



3 1142 02821 9445



New York University  
Bobst Library  
70 Washington Square South  
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:  
212-998-2482  
Web Renewal:  
[www.bobcatplus.nyu.edu](http://www.bobcatplus.nyu.edu)

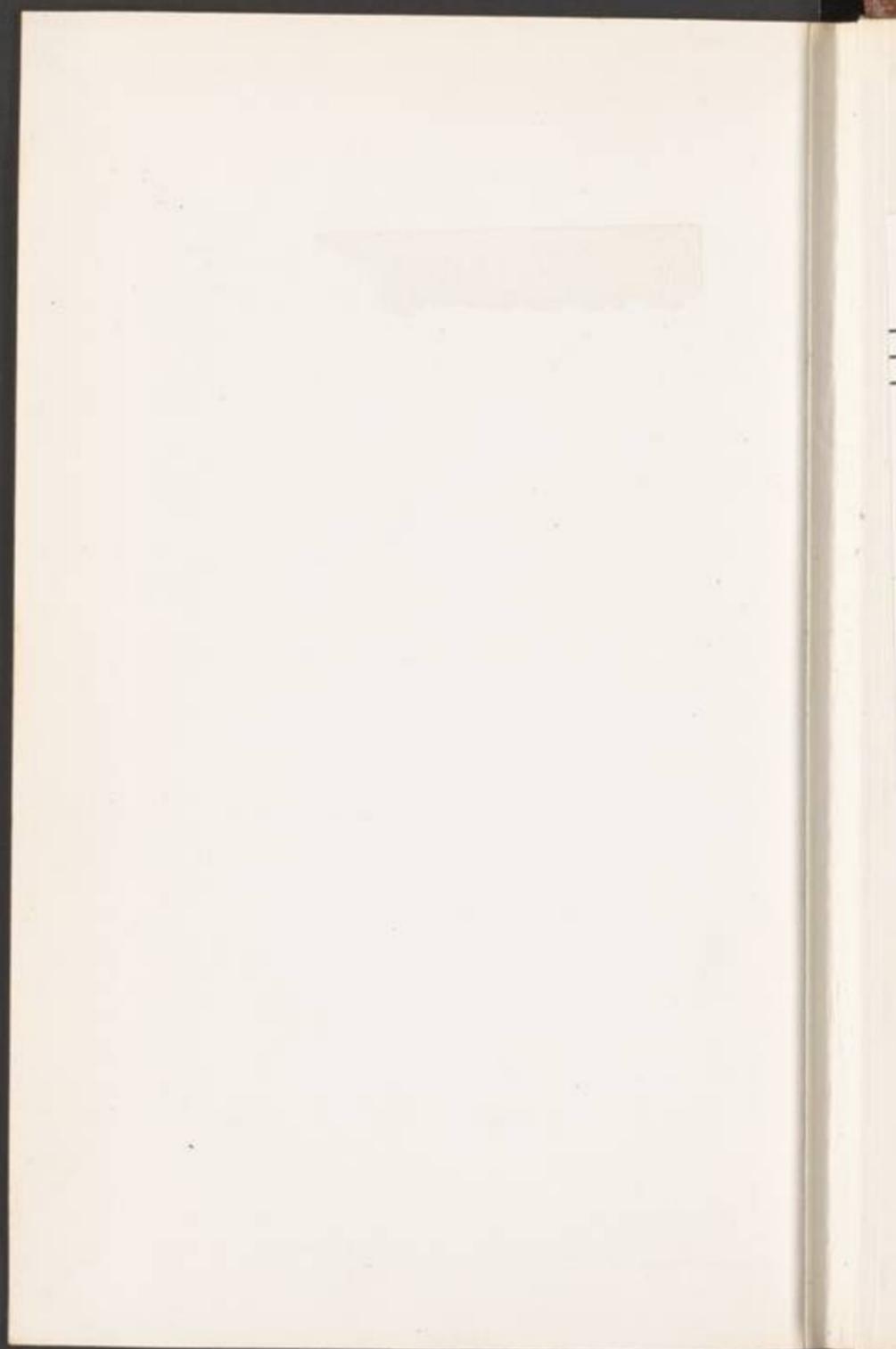
DUE DATE

DUE DATE

DUE DATE

\*ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL\*

PHONE/WEB RENEWAL DATE





3 1142 02821 9445



New York University  
Bobst Library  
70 Washington Square South  
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:  
212-998-2482  
Web Renewal:  
[www.bobcatplus.nyu.edu](http://www.bobcatplus.nyu.edu)

DUE DATE

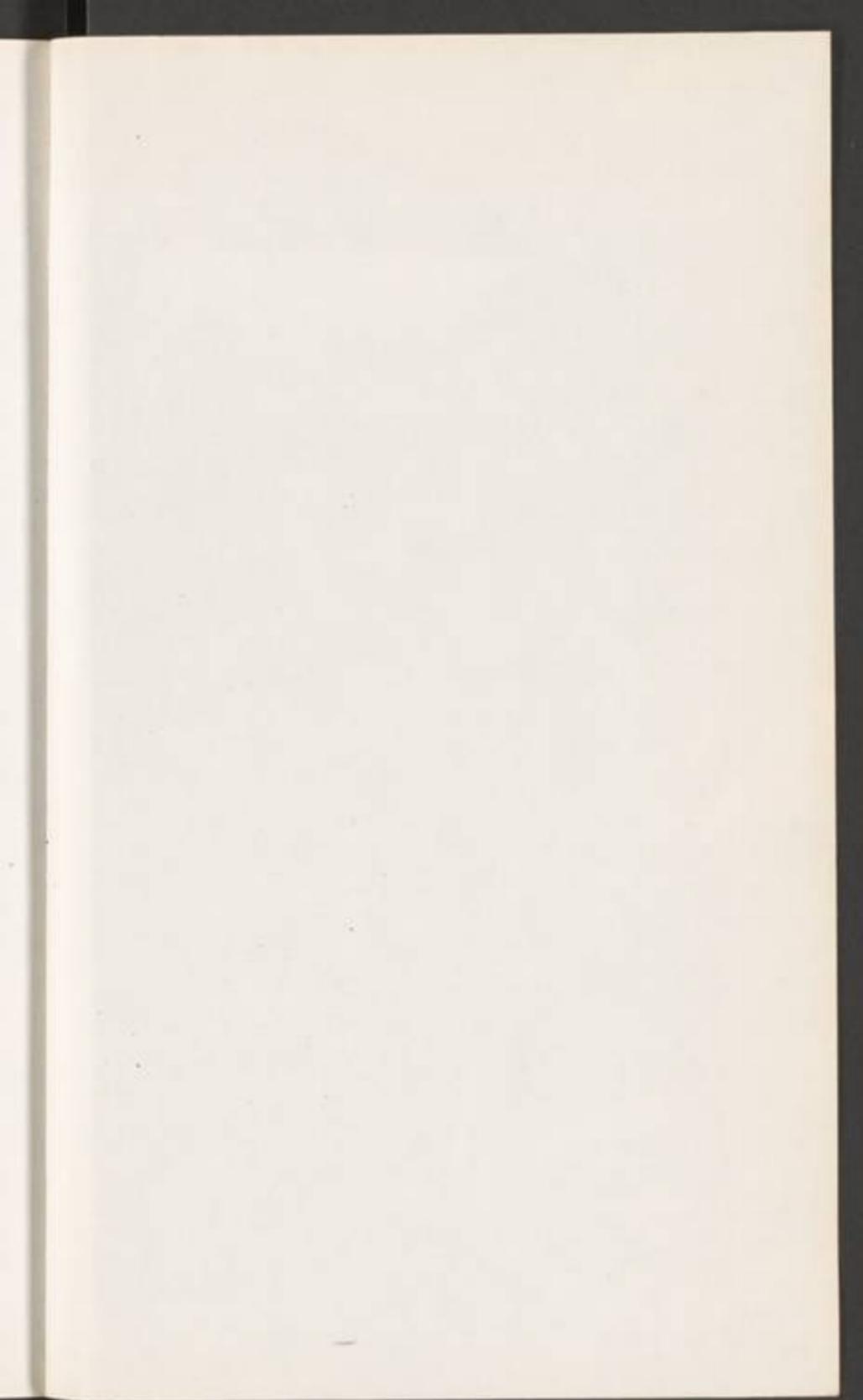
DUE DATE

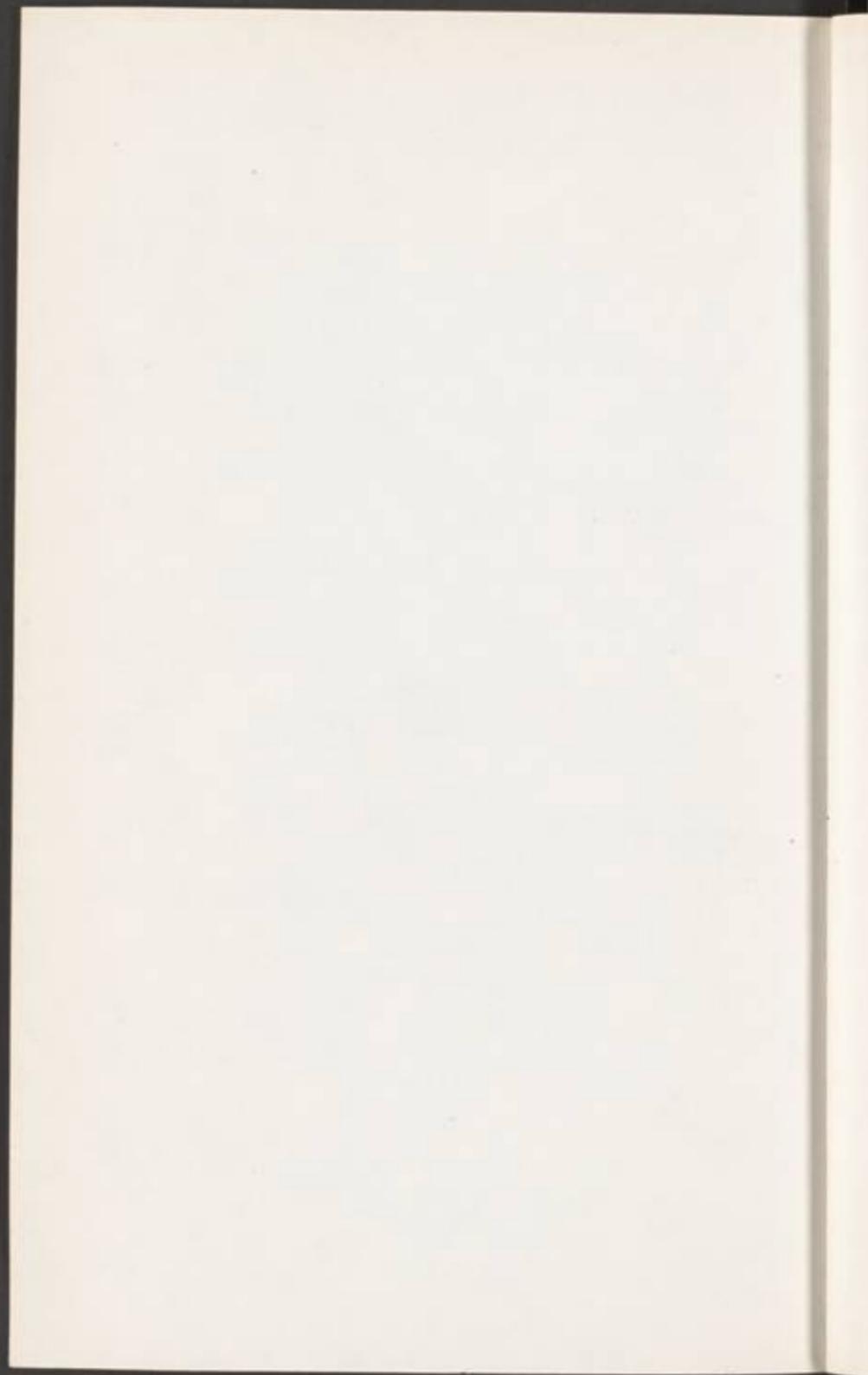
DUE DATE

\*ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL\*

PHONE/WEB RENEWAL DATE









كتاب  
*Kitāb tārikh Miṣr al-hadīth*  
تاريخ مصر الحديث

مع  
فذلكة في تاريخ مصر القديم



تأليف

جرجي زيدان

الجزء الاول ٧٠١

طبع بالرخصة الرسمية ( ٦٢ )

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة المنتطف بمصر سنة ١٢٠٦ هجرية او ١٨٨٩ مسيحية

DT

95

.73

Near East

~~DT~~

~~94~~

~~.73~~

~~V-1~~

~~C-1~~



6

Handwritten notes in the left margin, including a small sketch of a figure.

1

## فاتحة الكتاب

حمدًا لمن جعل اقايبص الاولين عبرة للآخرين . اما بعد فلا ازيد  
 الفارسي علماً بمجد التاريخ ولا بما له من المنزلة الرفيعة بين سائر العلوم ولا  
 بما يترتب على الاقبال عليه من اصلاح الشؤون . وإنما اکتفي بكونه أكثر  
 ارتباطاً بمصالح خاصة الناس منه بمصالح عامتهم . ففاداة التمدن ورجال  
 السياسة وكبار المصلحين احوج الى معرفته من سائر افراد الامة . ولذلك  
 رأينا ولاة الأمور على اختلاف الأزمان والاحوال يصرفون العناية في  
 مطالعة مؤلفهم خفاياهُ ويبدلون التنبس في استطلاع مكنوناته وجمع  
 شظاياهُ . فتكاد لا ترى مؤرخاً من القدماء الا وقد أعز اليه من وليّ  
 الأمر أو من جرى مجراه ان يضع في التاريخ كتاباً . بل كثيراً ما رأينا  
 من ولاة الامور انفسهم من ألف فيه كتاباً غير مبال بما يقتضيه ذلك من  
 تجشم المشاق ولا مستنكف من ان يقول الناس انه اعنى بما هو دون مقامه  
 ذلك كان شأن هذا العلم في الازمنة الخالية يوم لم يكن يتيسر لضعيف  
 مثلي ان يطرق بابه او يخوض عبابه لقصر باعه عما يحتاج اليه في ذلك  
 من المادة التي تمتنع الأعلى الملوك او المقرين منهم  
 اما الآن فما يتباحث فيه الملوك صباحاً في مؤتمراتهم السرية باقاصي  
 المغرب لا يأتي عليه الضحى حتى يذيع بين الصانع والتاجر في اقاصي

المشرق. والفضل بذلك لاسلاك البرق وصحف الاخبار التي لم تغادر بين الخاصة والعامة حجاباً. فلا غرو والحالة هذه اذا تجرأ من كان عاجزاً مثلي ان يضع في مثل ذلك كتاباً.

ولما كانت المملكة المصرية من اقدم الممالك تمدناً وأكثرها حوادث وطوارئ ومخناً لكثرة ما تداول عليها من الدول المتباينة نزعة ولغة ووطناً كانت اجدرها بتدوين تاريخها عبرة للذين يعتبرون وبما ان تاريخها بعد النفع الاسلامي أكثر ارتباطاً بمجالتها الحاضرة من تاريخها قبله كان أكثر فائدة واحوج الى التدوين وهذا ما ندعوه بتاريخ مصر الحديث

وقد قام من كتبة العرب وفاضلهم كثيرون اعننوا بالكتابة عن مصر وتاريخها القديم والحديث وسبأني ذكرهم وذكر مؤلفاتهم في الجزء الاول من هذا الكتاب عند الكلام عن مصادر تاريخ مصر الحديث (انظر صفحة ٨٧ ج ١). واحدث هذه المؤلفات "المخطط التوفيقية الجديدة لمصر الفاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة" تأليف العلامة الناضل صاحب السعادة علي باشا مبارك ناظر عموم المعارف جعله عشرين جزءاً كبيراً وهو من التأليف التي لا يقدم على كتابتها الا اصحاب الهم العالية والمعارف الواسعة. وقد كان عليه معتمدي واليه مرجعي في كثير من المواضع ولا سيما فيما يتعلق بالشوارع والجوامع

ومن الغريب اني لم ار بين المؤرخين الذين كتبوا عن مصر من اعنتني بوضع تاريخ لها مستوف على اسلوب قريب من فهم العامة ورضي الخاصة تتعاقب فيه الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل ذلك بالدولة الاسلامية عموماً وسائر الدول المعاصرة. واغرب من ذلك اني لم ار بين مدارس هذا القطر السعيد من اميرية وغير اميرية مدرسة تعنتي بتدريس هذا التاريخ الذي هو تاريخ بلادها. ولعل السبب في

ذلك عدم وجود الكتب الموضوعة على اسلوب مناسب للتدريس  
وقد رأيت الناس يلهجون باحنياج البلاد الى مثل هذا التاريخ .  
فاخذت على نفسي مع علي بعمري ان ابذل المجهود في سد هذا العوز  
معتدماً على اصح الروايات واصدق الكتبه من ثقات المشرق والمغرب  
ملتزماً في كل ذلك صحة النقل وانتفاء اصح الروايات وتطبيق كل ذلك  
على الاحكام العقلية واغفال كل ما هو مقول بغير قياس من التقاليد  
والخرافات

وقد عانيت انما لمعدت التأليف بتنقد الآثار العربية بنفسي باذن  
من نظارة الاوقاف الجليلة . فزرت معظم جوامع القاهرة وضواحيها ولا سيما  
ما كان منها قديماً كجامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الازهر وجامع  
السلطان حسن وجامع السلطان برفوق وجامع قايت باي وجامع  
الغوري وغيرها . وزرت ما هنالك من البنايات القديمة كالقلعة وما جرى  
مجرها وتسلقت ما صعب مسلكه منها ولا سيما اسوار القاهرة القديمة  
وابوابها كباب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وغيرها . ومن هن  
الاماكن ما قد تداعت اركانها وصعب الصعود اليه الا بالمخاطرة فكثيراً  
ما كنت اخاطر بحياتي لهذه الغاية . ومن الآثار العربية التي تنقدتها  
عدا عن الجوامع والمشاهد والتكيات والشوارع قصر الشمع او دبر  
النصارى في مصر القديمة وقناطر السباع ودار التحف العربية في جامع  
الحاكم بشارع الخاسين وغيرها من الاماكن في القاهرة وضواحيها كالقناطر  
الخيرية وغيرها

اما الآثار المصرية القديمة فقد تنقدتها كلها ايضاً ولا سيما ما هو منها  
في مصر العليا مبتدئاً من اهرام الجيزة بجوار القاهرة الى ما وراء وادي حلفا  
آخر حدود مصر فزرت خرائب سقارة واسنا وطيبة والكرنك وبيبان  
الملوك وجبل الهلسلة وانس الوجود وباسنبل وغيرها . ومثل ذلك آثار

مصر السفلى مبتدئاً بالمطرية فاتريب فغيرها . وفي مصر العليا فضلاً  
عن الآثار المصرية القديمة آثار استحكامات وبنيات بناها المماليك او  
غيرهم في حال محاربتهم لحكومة البلاد او دفاعهم عنها

كل هذه الاماكن نقتديها جيداً انما لمعدات التأليف . ولما توفرت  
لديّ المواد اللازمة باشرت تأليف هذا الكتاب ودعوت « تاريخ مصر  
الحديث » من الفتح الاسلامي الى هذه الايام . ثم رأيت ان النائبة  
لا نتم إلا اذا جعلت في مقدمته ملخص تاريخ مصر القديم ربطاً للحوادث  
بعضها ببعض وبتزيينه بالرسوم والخارطات وايضاحات اخرى . فجاء  
بحمد الله كتاباً في جزئين كبيرين وهما ملخص ما تضمنته

(١) فذلكت في تاريخ مصر القديم من اول عهدنا الى الفتح

الاسلامي

(٢) تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامي الى هذه الايام

وهو مقسوم الى دول تخلفها خلافت او سلطنات او امارات مرتبة حسب  
ازمان حكمها فيبدأ بدولة الخلفاء الراشدين فبني أمية فالعباسيين وهكذا  
حتى العائلة المحمدية العلوية الحاضرة

(٣) وفي الكتاب زهاء مائة رسم يبينها رسوم الجناب العالي والمغفور

له محمد علي باشا والحديوي السابق ويونا برت ورعسيس الثاني وتحتوس  
الثالث وامنوفيس الثالث وغيرهم . وبين هذه الرسوم ايضاً معظم النقود  
الاسلامية ولا سيما المصروية في مصر منذ صدر الاسلام الى اليوم . ورسوم  
اخرى كحجر رشيد واهله المصريين وخرائب المطرية وانس الوجود  
وادفو وغيرها

(٤) وفي ذيل الكتاب جدول عام لاسماء الذين تولوا مصر من

الامراء والخلفاء والباطنين والباشوات من الفتح الاسلامي الى اليوم  
مرتبة حسب ازمان حكمهم ويحانب ذلك عدد الصفحة التي ذكرت فيها

توليائهم من هذا الكتاب . ثم اذا كانوا امراء او ولاة يُذكر بازا ذلك  
 اساء الخلفاء او السلاطين الذين تولوا البلاد باسمهم  
 (٥) في خاتمة الكتاب فهرس ابجدي عام لكل ما ورد في هذا  
 الكتاب من المواضيع المهمة كالفتوحات والحاربات والبنائيات والتقلبات  
 واسماء الخلفاء والسلاطين والامراء والباشوات وغيرهم ممن حكموا مصر .  
 هذا فضلاً عن فهرس خاص لكل من جزئي الكتاب  
 (٦) قد جعلت للكتاب فضلاً عن الرسوم المتقدم ذكرها اربع  
 خارطات وهي . اولاً . خارطة مدينة القاهرة كما هي الآن . ثانياً . خارطة  
 مصر السفلى . ثالثاً . خارطة مصر العليا . رابعاً . خارطة القطر المصري  
 قبل الفتح الاسلامي

وقد عانيت في ضبط هذا التاريخ وربط حوادثه جهد الطاقة مغفلاً  
 كثيراً من الروايات التي ترجح لي فسادها بعد النظر والتروي متحاشياً  
 الالفاظ المستهجنة والتعابير المعقنة ما امكن متخذاً افضل اسلوب تفهمه  
 العامة وترضاء الخاصة بغير اخلال ولا امال . راجياً من اصحاب النقد  
 ان ينظروا اليه بعين الرضى اذ العصمة لله وحده سبحانه وتعالى .  
 يقال في الأمثال « من آلف فقد استهدف فان احسن فقد استعطف  
 وان اساء فقد استغذف » اما انا فان احسنت فان الفضل لافاضل الكنتبة  
 وثقات الرواة الذين سبقوني لاني لم آت بشي من عند نفسي ما خلا الحوادث  
 التي قدّر لي ان اكون فيها شاهد عين وما تفقدته بنفسي من الآثار  
 العربية والمصرية . وان اسأت فذلك دأب العاجز ولكني ارغب الى  
 من يعثر لي على خطأ ان ينهني اليه فاشكر سبعة واثني عليه لاني استحي  
 من الحق اذا عرفته ان لا ارجع اليه . او يعذرني فان اعقل الناس اعذرهم  
 للناس . ولا اقول ان كل خطأ سهو جري به الفلم بل اعترف ان ما  
 اجهل اكثر مما اعلم . وما تمام العلم الا لمن علم الانسان ما لم يعلم

هذا وارجو ان تصادف خدمتي هذه لدى اخواني ابناء هذا القطر  
السعيد قبولا واقبالا وانقدم الى رجال العلم منهم ان يخفونا من نثات  
اقلامهم بما هو اوفر مادة واجزل نفعاً . لاني اعلم ان بين ظهرانهم رجالا  
لم من العلم وسعة المعرفة ما يؤهلهم لما هو افضل من ذلك كثيراً . فتمت  
سعادة البلاد ونكون قد قمنا ببعض الواجب علينا نحوها ونحو اميرها  
الخطير سمو خديويتنا المعظم محمد توفيق باشا الافخم ادام الله ايامه باسمه  
الثغور في ظليل ظل صاحب الخلافة العظمى مولانا امير المؤمنين  
السلطان الغازي عبد الحميد خان ابد الله ايام دولته العلية بالعرز والاقبال  
وادام شوكنة واقنداره ما تكرر المجديدان

تنبيه - قد التزمت في هذا التأليف جانب الحقيقة المجردة شأن  
المحب لتقرير الحقائق كما هي بغير استحسان ولا استقباح الا في بعض الاحوال  
التي لا يختلف في استحسانها او استقباحها اثنان . وقد التزمت عند  
ورود اسماء العظام من رجال الحكومة المصرية وغيرهم في سياق  
تاريخنا هذا على اختلاف الازمان والاحوال ان اذكرها  
بمجردة من لقب الرتبة كصاحب السمو

وصاحب الدولة او السعادة

مثلاً او نحو

ذلك

## اقسام تاريخ مصر العام

يبدأ تاريخ مصر العام عند اقامة اول حكومة نظامية فيها وقد علم من مصادر مختلفة سياً في ذكرها ان اول حكومة اقيمت من هذا النوع كانت في اول الجبل الستين قبل المسيح اي منذ نحو سبعة الاف سنة على وجه التقريب

اما قبل ذلك المحين فكانت قبائل مستقلة تحت سلطة فئة من الكهنة يقال لهم بلغة مصر القديمة « حورثشو » وهم اخر من حكم المصريين قبل الدولة الملكية الاولى التي اول ملوكها الملك « مينا » وهو اول من اقام في وادي النيل حكومة نظامية ومنه يتبدى تاريخها وقد قسم المؤرخون تاريخ مصر العام بالنسبة الى تمدنها الى ثلاثة ادوار كبرى وهي

(١) الدور الجاهلي . يتبدى عند اول دخولها في سلك الممالك سنة ٥٦٢٦ ق م او ٥٠٠٤ ق م وينتهي سنة ٢٤١ ق م او ٢٨١ بعد المسيح وذلك عند ما نهى الملك ثيودوسيوس عن عبادة النصب والتماثيل وامر بانواع الدين المسيحي

(٢) الدور المسيحي . يتبدى عند شيوع سنة ثيودوسيوس وينتهي عند فتوح الاسلام سنة ١٨ ب م او ٦٤٠ ب م

(٣) الدور الاسلامي . يتبدى عند فتوح الاسلام ولا يزال

## اقسام الدور الجاهلي

يقسم هذا الدور الى خمس دول تسلط اثناءها على مصر ٢٤ عائلة وهي

(١) الدولة الملكية القديمة - تتبدى بتسلط العائلة الاولى وتنتهي

بانتهاء العائلة العاشرة اي (من ٥٦٢٦ - ٢٦٨٦ ق هـ) او من ٥٠٠٤ - ٢٠٦٤ ق م) ومدتها حكما ١٩٤٠ سنة

(٢) الدولة الملكية الوسطى - تبتدئ بالعائلة الحادية عشر

وتنتهي بانتهاء العائلة السابعة عشر (من ٢٦٨٦ - ٢٢٢٥ ق هـ) او (٢٠٦٤ - ١٧٠٢ ق م) ومدتها حكما ١٢٦١ سنة

(٣) الدولة الملكية الاخيرة - تبتدئ بالعائلة الثامنة عشر

وتنتهي بانتهاء العائلة الحادية والثلاثين (من ٢٢٢٥ - ٩٥٤ ق هـ) او (١٧٠٢ - ٢٢٢ ق م) ومدتها حكما ١٢٧١ سنة

(٤) الدولة اليونانية - تبتدئ بالعائلة الثانية والثلاثين وتنتهي

بانتهاء العائلة الثالثة والثلاثين (من ٩٥٤ - ٦٥٢ ق هـ) او (من ٢٢٢ - ٢٠ ق م) ومدتها حكما ٢٠٢ سنة

(٥) الدولة الرومانية - ويسمىها العرب دولة الروم وهي العائلة

الرابعة والثلاثون الرومانية (من ٦٥٢ - ٢٤١ ق هـ) او (من ٢٠ ق م - ٢٨١ ب م) ومدتها حكما ٤١١ سنة

### الدور المسيحي

اما الدور المسيحي فهو عبارة عن استمرار الدولة الرومانية بعد شيوع

سنة ثيودوسيوس الى فتوح الاسلام (من ٢٤١ ق هـ - ١٨ ب هـ) او (من ٢٨١ - ٦٤٠ ب م) ومدتها ٢٦٠ سنة

### اقسام الدور الاسلامي

يقسم الدور الاسلامي الى اثني عشرة دولة وهي

(١) دولة الخلفاء الراشدين (من ١٨ - ٤١ ب هـ) او من ٦٤٠ - ٦٦١ ب م)

- (٢) الدولة الأموية (من ٤١ - ١٤٢ ب هـ) او (من ٦٦١ - ٧٥٠ ب م)
- (٣) الدولة العباسية الاولى (من ١٤٢ - ٢٥٧ ب هـ) او (من ٧٥٠ - ٨٧٠ ب م)
- (٤) الدولة الطولونية (من ٢٥٧ - ٢٩٢ ب هـ) او (من ٨٧٠ - ٩٠٥ ب م)
- (٥) الدولة العباسية الثانية (من ٢٩٢ - ٢٢٤ ب هـ) او (من ٩٠٥ - ٩٢٤ ب م)
- (٦) الدولة الاخشيدية (من ٢٢٤ - ٢٥٨ ب هـ) او (من ٩٢٤ - ٩٦٩ ب م)
- (٧) الدولة الفاطمية (من ٢٥٨ - ٥٦٧ ب هـ) او (من ٩٦٩ - ١١٧١ ب م)
- (٨) الدولة الأيوبية (من ٥٦٧ - ٦٤٨ ب هـ) او (من ١١٧١ - ١٢٥٠ ب م)
- (٩) دولة المماليك الأولى (من ٦٤٨ - ٧٨٤ ب هـ) او (من ١٢٥٠ - ١٤٨٢ ب م)
- (١٠) دولة المماليك الثانية (من ٧٨٤ - ٩٢٤ ب هـ) او (من ١٤٨٢ - ١٥١٧ ب م)
- (١١) الدولة العثمانية (من ٩٢٤ - ١٢١٦ ب هـ) او (من ١٥١٧ - ١٨٠١ ب م)
- (١٢) الدولة المحمدية العلوية (من ١٢١٦ ب هـ او ١٨٠١ ب م ولا تزال)
- وينقسم تاريخ مصر العام ايضاً الى قسمين عظيمين قديم وحديث اما القديم فمن اول تاريخها الى الفتح الاسلامي ويشتمل على الدورين الاولين الجاهلي والمسيحي. والحديث منذ الفتح الاسلامي الى هذا اليوم ولا يزال

## مصادر تاريخ مصر القديم

ما زال تاريخ مصر القديم محجوباً عنا حتى أصبح لابناء هذا القرن حل رموز الكتابة الهيروغليفية (الفلم المصري القديم) على ان تاريخ العهد القديم لم يخل من بعض التلميح في ذلك مما لم يكن من النصوص التاريخية ما بعضه وما زال ذلك شأن تاريخ مصر القديم حتى القرن السابع قبل المسيح عند استيلاء اليونان على وادي النيل. ومن مصادر تاريخ مصر القديم

## (١) نصوص المؤرخين القدماء

ان هيرودوتس الرحالة المؤرخ اليوناني هو أقدم من كتب عن مصر ما يصح ان يسمى نصاً تاريخياً وقد جال هذا المؤرخ في وادي النيل سنة ٤٥٥ قبل المسيح. وبعد هيرودوتس ظهر سبانتوس احد كهنة المصريين العظام في الجيل الثالث قبل المسيح وكتب تاريخاً نفساً عن مصر لكنه فقد ولم يصلنا منه الا بعض ما ذكره بوسينوس عن اثار الاسرائيليين وما كتبه سنسولوس احد كتبة الجيل الثامن. ثم جاء ثودوروس من هيسيليا سنة ٨ قبل المسيح. ومن هؤلاء الثقات سترابو العالم الجغرافي وبلور تاريخس المؤرخ الذي ظهر في القرن الاول المسيحي. واما قائمة اسماء الملوك فقد وجدت بين ما كتبه بعض المؤرخين المسيحيين. ويقال بالاجمال انه لم يكتب عن مصر شي بجديران يدعى نصاً تاريخياً الا منذ الجيل الخامس قبل المسيح

## (٢) الآثار

واعلم ان ما كتبه اولئك المؤرخون لم يندنا شيئاً صريحاً عما وراء الجيل السابع قبل المسيح اما الآثار. تلك الاطلال البالية التي نراها مبنية

لا حراك بها وقد مكثت رغباً عن تقلبات الزمان وافعال العناصر فأنها تنطق  
 بأفصح لسان وتنادي بأجلى بيان عن عظمة صانعيها وهي لا نخبرنا عن  
 تاريخهم فقط بل نوضح امامنا ايضاً عوائدهم واخلاقهم ومكانتهم من الحضارة  
 وعلاؤهم ورفعة المنزلة. فقد نقشوا عليها من الرسوم والرموز ما جعلها  
 عبارة عن كتاب مزين بالرسوم والاشكال لا تحرقه النار ولا يخرقه الفار  
 هذه الهياكل العظيمة والمسلات الشامخة والتماثيل الهائلة هذه المدافن  
 هذه الاهرام هذا ابو الهول بل هذه الجثث البالية تراها صماء وقد افعم الاحياء  
 نطقها وقد كلفت بالحياة وعلقت آمالها بالمعاد فابتنت لانفسها البتايات  
 الشاهقة النورية العماد تبقى معها في عالم الخلود تنص على القادمين افاصيص  
 الاقدمين. وجميع هذه تعد من وثيق المصادر التاريخية

### (٣) الكتابة الهيروغليفية

يظهر ان ملوك الروم اثناء تسلطهم على مصر لم يكتثروا بهذه الكتابة  
 بل اهلوها شأن أكثر المتفخين بلغة من يتسلطون عليهم فبقيت محجوبة  
 نغشها دواعي الجهل الى ايام الحملة الفرنسية في اواخر الجبل الماضي  
 اذ انج لاحد رجالها ان يحل بعض رموزها. وقام بعد عدة من اعتنوا بحلها  
 فأتوا على فهمها فهماً جيداً بحيث امكنهم قراءة ما كُتب بها على البردي  
 (البابيروس) والاشجار فخدموا التاريخ خدمة نستحق الاعتراف وهاك كتيبة  
 توصلهم الى حلها بالابحار

لما قدم نابوليون الاول الى مصر اكتشف احد رجاله سنة ١٧٩٩ م  
 بالقرب من نغر رشيد حجراً اسود غير منتظم الشكل الأسطح منه كان مستويّاً  
 امس في اعلاه كتابة بالقلم المصري القديم ( الهيروغليف ) تحتها  
 كتابة أخرى بالقلم العامي او الديموتيفي ونحت هذه كتابة ثالثة باليونانية

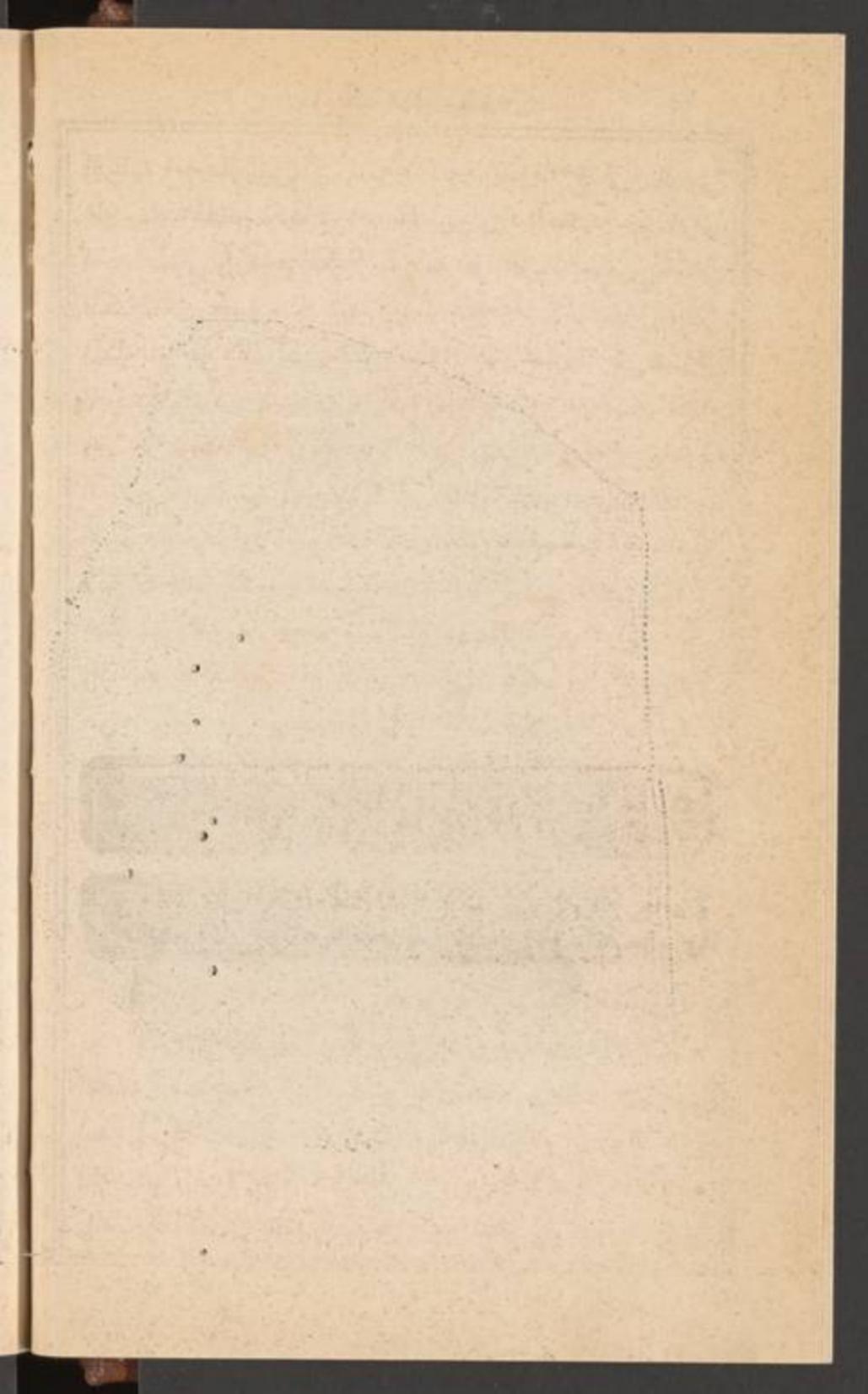
القديمة فأهدي هذا الحجر الى مجمع العلوم الفرنسي في القاهرة ثم لما تغلب  
الجنرال هتشنسون الانكليزي على جنود بوناپرت وضع يده على ذلك الحجر  
بعد ذلك أهدى الى المتحف البريطاني في لندن ولا يزال هناك وقد  
شاهدته في ذلك المتحف منذ سنتين موضوعاً في صدر الآثار المصرية محفوظاً  
في صندوق غطاء من زجاج اما طول ذلك الحجر فثلاث اقدام وقيراطان  
وعرضه قدمان وخمسة قراريط

وفي سنة ١٨٠٢ رسمت جمعية العاديات صورته وفرقتها في جمهور  
العلماء لينظروا في امر قراءتها فاهتموا الى قراءة الكتابة اليونانية بسهولة  
فاذا منادها ان كهنة منف كتبوها للملك بطليموس اينانيس سنة ١٩٤  
ق م تشكراً لما اسخ عليهم من النعم الجزيلة وانهم وضعوا منها نسخة في كل  
هيكل من هياكل الطبقة الاولى والثانية والثالثة بجانب تمثال ذلك الملك  
ثم ان العلماء وفي مقدمتهم العالم الفرنسي ده ساسي محاولوا قراءة  
الكتابة الديموتيقية وغاية ما وصلوا اليه انهم عينوا مواقع الاعلام في الكتابة  
المصرية المقابلة للاعلام اليونانية ثم عين العلامة اكر بلاد الاسوجي لفظ  
بعض الاعلام في القلم المصري العامي اما الهيروغليف فلم يطبع احد منهم  
في حلوه الى ذلك الحين

وفي سنة ١٨١٨ شرع العالم فرنسو شميليون الفرنسي في حل هذه  
الكتابة بعد ان درس اللغة القبطية وجغرافية مصر القديمة وكل ما كتبه  
المتقدمون عن مصر والمصريين وكان بلزوني الابيطالي قد عثر في جزيرة  
البرية على مسلة مصرية عليها كتابة يونانية ومصرية وارسل صورة الكتابة  
الى اوروبا فلما رآها شميليون ارتأى ان الكتابة اليونانية هي ترجمة  
الكتابة المصرية ثم رأى في الكتابة اليونانية اعلاماً واسماء الاعلام لا تُترجم  
فتوسم من ذلك هداية الى معرفة لفظ بعض الحروف المصرية ووجد في  
الكتابة المصرية نقوشاً محاطة بخط اهلبيجي مكررة مراراً ووجد في الكتابة

Handwritten text in a circular or semi-circular arrangement, likely a manuscript page. The text is dense and appears to be in a historical script, possibly Arabic or Persian. The page is heavily stained and shows signs of age and wear.

حجر رشيد



اليونانية اسم بطليموس، مكرراً مراراً كثيرة ايضاً فاستنج ان النقوش  
 الهيروغليفية المتقدم ذكرها هي اسم بطليموس وزادناً كبيراً عند ما رأى  
 اسم بطليموس واراداً في الكتابة اليونانية على الحجر الرشيدي وبقابلة في  
 الكتابة الهيروغليفية هناك نقوش محاطة بخط اهلبيجي كالنقوش التي على  
 المسلة تماماً فعلى ذلك تكون الصورة الاولى ضمن الخط الاهلبيجي تقابل  
 الحرف الاول من بطليموس اي الباء والثانية الحرف الثاني اي الطاء  
 وهلم جرا ووجد ايضاً في الكتابة اليونانية اسم كليوبيطرا وبقابلة في  
 الكتابة المصرية نقوش ضمن خط اهلبيجي. فقال شميليون بنسوه اذا كانت  
 الاولى بطليموس فهذه كليوبيطرا واخذ بالمقابلة مستعيناً باللغة القبطية  
 لانها بقية اللغة المصرية القديمة فرسم امامه الشكلين الذين ظنهما اسمي  
 بطليموس وكليوبيطرا وجعل يقابل الاحرف المتماثلة في الاسمين كاللام  
 والباء وغيرها فاذا بها متماثلة تماماً في الشكلين بمواقعها في الاسمين وهما  
 صورة اسم كليوبيطرا وبطليموس في الفقه المصري القديم



الشكل الاول  
 صورة اسمي كليوبيطرا وبطليموس  
 فالحرف الاول من اسم كليوبيطرا صورة ركة . واسم الركة في اللغة  
 القبطية يتدئ بحرف الكاف فهو حرف الكاف . والحرف الثاني صورة  
 اسد . واسم الاسد يتدئ في اللغة القبطية بحرف اللام فهو صورة حرف  
 اللام وهو الحرف الرابع في اسم بطليموس لان الثالث بمثابة الحركة  
 والحرف الثالث من اسم كليوبيطرا صورة قصبه . وهو الحرف السادس

والسابع في اسم بطليموس فهو بمثابة الالف او الياء . واسم القنصة في اللغة القبطية يبتدي بالالف . والحرف الرابع صورة عقدة وهو حرف الواو . والحرف الخامس مثل الحرف الاول من اسم بطليموس فهو حرف الباء . والسادس صورة نسر . واسم النسر في القبطية يبتدي بالالف فهو حرف الالف . والسابع صورة يد . واسم اليد في القبطية يبتدي بحرف الطاء فهو حرف الطاء . والثامن صورة فم . واسم الفم في القبطية يبتدي بحرف الراء فهو حرف الراء . والتاسع تقدم ذكره والعاشر مثل الثاني في بطليموس فهو طاء او تاء . والحادي عشر لا حرف له باليونانية وقد عرف بعد ذلك انه علامة لتحق آخر الاسماء المؤنثة . وفي اسم بطليموس حرفان هما الخامس والثامن لم يردا في اسم كليوباترا . فالاول هو الميم والثاني هو السين . وعلى هذه الصورة تمكن شميليون من معرفة عدد من حروف الهجا وقراءة كثير من الكتابات المصرية القديمة في مدة تسع سنوات كلها بحث وجد . واعلم ان الكتابة الهيروغليفية ليست واحدة فان من صورها ما هو حروف ونية ما هو مقاطع او كلمات . وجميع هذه الصور بعد بالميات

هذا من قبيل حل الالفاظ اما المعاني فعرفت بالمقابلة باللغة القبطية وبعض ما كان يكتبه المصريون القدماء من الرموز التي تدل على اشباهها كدلالة صورة الرجل على الرجل وما شاكل ذلك ومن المؤلفات الحديثة التي استعنت بها في فذلكة تاريخ مصر القدم كتاب العقيد الثمين ومصر لمربي وعوائد المصريين لوبلكنسن وغيرها

### جغرافية مصر القديمة

وفي جغرافيتها في ايام الدول المصرية القديمة الى فتوح الاسلام تدعى مصر في اللغة المصرية القديمة وفي اللغة القبطية « خم » او

« أرض خم » ومعناها الأرض السوداء نسبة إلى لون تربتها وهذا ما بذكرنا بحام وتسلو . وكان يدعوها الشعب العبراني « مصرام » ومعناها « المصران » ومنها اسمها في العربية اليوم . أما معنى تسمية العبرانيين لمصر فيلوح لي أنها مشتقة من قولهم « صر » في العبرانية ومعناها الشدة والضبيق « وصر » اسم مكان من صر أي مكان الشدة . ولعلها إشارة إلى ما قاساه الشعب العبراني من الشدة والاضطهاد في هذه البلاد إلى عهد موسى . أما كونها على صيغة المثني فربما نبع عن تسميتهم أولاً أحد قسبي مصر البحري والقبلي بهذا الاسم ثم جعلوا على صيغة المثني للدلالة على التقسيم معاً والله أعلم . أما اليونانيون فكانوا يسمونها « ايجينوس » ومنها اسمها في لغات أوروبا الحديثة « ايجيت »

ويستفاد من مصادر تاريخ مصر القديم أن الفطر المصري كان يقسم إلى قسمين عظيمين الواحد يدعى أرض الشمال أو الوجه البحري والآخر أرض الجنوب أو الوجه القبلي . وكان الوجه البحري منبثاً من منف (البدرشين وميت رهينة) إلى البحر المتوسط ويدعوه اليونان « الذلنا » لما جهته بحرف الذال عندهم أما الوجه القبلي فيمتد جنوباً من منف إلى جزيرة الفنتين مقابل اصبوان وهذا ما ندعوه اليوم بارض الصعيد . وكان من القاب ملوك مصر القدماء قولهم « سلطان البرين » إشارة إلى تسلطه على الوجهين البحري والقبلي وكل من هذين القسمين كان ينقسم عندهم إلى أقسام دعاها اليونان « نومس » أي مقاطعات ومجموعهما في الوجهين معاً يختلف عددًا باختلاف الرواة . فقد ورد في القوائم المصرية القديمة أنها ٤٤ وقال استرابون وديودوروس أنها ٢٦ والعول عليه عند الجمهور أنها ٤٢ منها ٢٠ في الوجه البحري و٢٢ في القبلي وكان لكلٍ من هذه المقاطعات عاصمة مخصصة بها وفيها مقر الحاكم ومركز العبادة . وهاك جدول يتضمن أسماء المقاطعات باليونانية وأسماء عواصمها بالمصرية واليونانية والعربية

الوجه		عواصمها	
← القبلي		بالمصرية القديمة	باليونانية
بالعربية	باليونانية	بالمصرية القديمة	باليونانية
كوم امبو	امبوس	ابو	١ لومبيثس
ادفو	اواينو بولس مانيا	تب	٢ ابولينو بوليس
اسنا (الكب)	لاتوبولس (البيشيا)	نخب	٣ لاتو بوليس
ارمنت	هرموشس	هرمونت	٤ هرمونثيس
القرنة			٥ بايريس
الكرنك والاقصر	ديوسبولس مايا	نوامن	٦ ديوسبوليس
قفط	كوبتوس	كوبتي	٧ كوبثيس
دندره	نتيرا	تنويربر	٨ تنويريس
هو	ديوسبولس بارفا	ها	٩ ديوسبوليس
البريه العرابية	ثيس ايدوس	ابدو	١٠ ثيپيس
المدفونة			
انخوم	بانوبولس	ابو	١١ بانوبوليس
المظف	افرودينوبولس	تبيو	١٢ افرودينوبوليس
قاوالكبير	اندوبولس	ياتباك	١٣ اندوبوليس
شذب	هيسليس	شاصحوت	١٤ هيسپاليس
اسيوط	ميكوبولس	سيوت	١٥ ليكوبوليس
شيخ عباده	اتينو وبولس		١٦ اتينويس
اشمونين	هرموبولس مانيا	خمونو	١٧ هرموبوليس
الفيس	سينوبولس	كوسا	١٨ سينوبوليس
ببنا	او كيرنخس	بيماسا	١٩ اكيرنخيس
احناس المدينة	هيراكليوبولس	خيتسو	٢٠ هيراكليوبوليس
مدينة الفيوم	كروكودينوبولس		٢١ ارسينويس
عطفية	افرودينوبولس	تبياه	٢٢ افرودينوبوليس

الوجه		العواصم	
بالمصرية	باللوانية	المصري القديم	اسماء المقاطعات باللوانية
بيت رهينة	مفيس	سوفر	١ مفيس
	ليتوبولس	سوخم	٢ ليتووليس
	ايس	نيانماي	٣ ليا
	كانوبوس	زوكا	٤ سايس
صا الحجر	سايس	صا	٥ سايس
سنا	خنويس	خنون	٦ خويتس
فوه	متايس	سونينوفر	٧ متايس
	سيتروي	ثوكوت	٨ سيثرويس
او صير	بوسيرس	يوسير	٩ بوسيريس
تل اتريب - بنها	اتريس	حاتا حيراب	١٠ اثريبيس
العسل			
كوم شباس	كاباسا	كاهيس	١١ كاباسيس
سمهود	سفينتوس	ثينوتر	١٢ سنيس
المطرية	اون هيلوبولس	انو	١٣ هيلوبوليس
سان	تانس	زوان	١٤ تانيس
دمهور	هرموبولس بارفا	پوت	١٥ هرموبوليس
اشمون	مندس	بيينيداد	١٦ مندسيوس
	ديوسبولس	يخون ان امن	١٧ ديوسوليس
تل بسطة (زقازيق)	وباسنس	يباست	١٨ وباستيس
	بوتو	بوتو	١٩ بياستس
هرت	قار يثوس	كوسم	٢٠ قاريثيس

ويظهر ان هذين القسمين الكبيرين قد جعلنا بعد ذلك ثلاثة عُرُوف  
بمصر العليا والوسطى والسفلى. فمصر العليا تدعى ايضاً باليونانية « ثيبايد »  
نسبة الى ثيبس ( طيبة ) وتمتد من اخر الحدود الثبيلية الى دروط . والوسطى  
يدعوها اليونان « هيتانومس » اي ذات السبع مقاطعات وتمتد من دروط  
الى رأس الذلتا . والسفلى تمتد من رأس الذلتا الى البحر المتوسط . وقسمت مصر  
السفلى في اخر عهد اليونان الى اربعة اقاليم كبيرة تحت كل منها عدة مقاطعات  
وُدُعيت مصر السفلى في ايام اركادبوس ابن ثودوسبوس الاعظم  
« اركاديا » نسبة اليه وقسمت مصر العليا ايضاً الى قسمين او اقلين دُعيا  
ثيبايد العليا وثيبايد السفلى تفصل بينهما اخميم او ما يجاورها . وتكاثر عدد  
المقاطعات في اخر ايام اليونان حتى بلغ ٥٧ مقاطعة منها ٢٤ في الذلتا فقط  
ثم ان بين ملوك المصريين القدماء من وسع نطاق المملكة الى ما  
وراء اصفوان وعلى الخصوص العائلة الخامسة والعشرون لان ملوكها كانوا  
اثيوبيين فامتد حكمهم الى جبل برقل . اما في حكم اليونان فبلغت حدود  
المملكة المصرية الى موغراكا وراء وادي حلنا

### ديانة المصريين القدماء

زعم بعض قدماء المؤرخين ان المصريين القدماء كانوا من عبدة  
الارثان مستدلين على ذلك بما شاهدوه من التماثيل العظيمة التي اقيمت  
للعبادة . ولكننا قد رأينا بعد استطلاعنا اسرار لغتهم وقراءة ما كتبوه على  
هياكلهم وفي كتب موتاهم انهم ليسوا من الوثنية على شيء وان هذه التماثيل انما  
اقاموها في بادئ الرأي تمثيلاً لبعض صفات او اعمال اله حقيقي غير  
منثور ولكن الرمان ارشخ على تلك الحقيقة حجاب النفايد والخرافات  
فاصبح النوم لا يعرفون من معبوداتهم الا تلك الحجارة الصماء التي هي من صنع

أبدتهم . على أن الحقيقة لم تكن محجوبة عن حكائهم وكهنتهم  
 أما الهتهم فعديدة واسماؤها مختلفة وصورها متنوعة وإنما مرجعها جميعاً  
 إلى الهين لها أصل لكل هذه الثبوتات وهما «فناج» في منف ويقصدون به  
 الخالق العظيم و«رع» في طيبة (الاقصر) وهو الشمس . وهذان الالهان هما  
 أقدم الهة المصريين ويرجعان إلى أولها لانهم يعتبرون الشمس تماثلاً لله  
 الحقيقي الذي هو الخالق . ثم لما انتشرت هذه الديانة وانتقلت صناعة البناء  
 والرسم جعلوا يقيمون في كل مدينة تماثلاً لأحد هذين الالهين أو لكليهما  
 وكانوا يسمونها باسماء مختلفة . فعددت الاشياء ثم نسي المقصود الأصلي وبنت  
 الظواهر . ومن جملة دعوي تعدد الالهة انهم كانوا يجعلون للشمس مثلاً اسماء  
 مختلفة باختلاف مواقعها من خط مسيرها فدعوها «هرمخيس» عند شروقها  
 وإقاموا لها ابا الهيل تماثلاً . و«رع» عندما تكون في خط الهاجرة .  
 و«نوم» عند الغروب و«اوزيريس» عند الظلام أي عندما تكون في العالم  
 السفلي وجعلوا لكل من هذه الحالات تماثلاً مخصوصاً . وعلى مثل ذلك قس  
 ما بقي من الالهة الكثيرة العدد التي قد أقاموا منها محاكم مساوية وجعلوا من  
 بينها قضاة وكتبه وجنود وما شاكل

وفي أثناء ذلك استنبطوا المثلثات الالهية فكانوا يضمون ثلاثة آلهة  
 إلى الواحد . فمن هذه المثلثات مثلث مؤلف من الالهة اوزيريس واوزيريس  
 وهوروس وهو المعروف بمثلث منف . والتأمل في صورها يرى أن الأول  
 أشبه برجل والثاني بامرأة والثالث بصبي

وبوجد بين آلهة المصريين تفاوت في الدرجات فعندم ثمانية آلهة  
 من الدرجة الأولى في منف وهي فناج وشووننو وست ونوت واوزيريس  
 واوزيريس وهوروس . ولم عن هذه الالهة وغيرها اخبار وخرافات معطولة لا  
 حاجة إلى ذكرها هنا وإنما نذكر فيما يلي اسماء أم الآلهة المصرية مع ذكر  
 مميزات كل منها بقدر الامكان بحيث يمكن لمن يشاهدها في الآثار المصرية

ان يميز احدها من الاخر وتسهل الالافهم تلك المميزات اقسامها الى قسمين  
بحسب نوع رؤوسها

اولاً . ذات الرؤوس البشرية . ثانياً . ذات الرؤوس الحيوانية .  
والرؤوس البشرية اما ان تكون رؤوس ذكور او اناث . والرؤوس  
الحيوانية اما ان تكون رؤوس طيور او حيوانات اخرى  
فالالهة ذات الرؤوس البشرية للذكور سبعة وهي

( ١ ) « فتاح » يمتاز بكونه على شكل جثة محنطة ( مومنية ) وفي  
يديه صولجان وليس على رأسه شيء يمتاز به

( ٢ ) « أمن » او « أمن رع » على هيئة رجل متصب وعلى رأسه  
قبعة مبلطحة تنتهي بريشتين غليظتين مستطيلتين بيده الواحدة مفتاح



وبالاعرى عصا كما ترى في الشكل الثاني  
وقد يكون على شكل جثة محنطة جالساً على  
كرسي وعلى رأسه القبعة المنقمة ذكرها وفي  
يده نمشة وعقافة وصولجان . ويدعى في هذه  
الحالة « أمن اوزيريس »

( ٢ ) « هوروس » صبي على رأسه  
ناج مزدوج يراد به ناجي الوجهين القلبي  
والبحري . يده اليسرى في فيه وفي يده اليمنى  
مفتاح صليبي الشكل وقد يكون هوروس برأس  
طير كما سيبي

( ٤ ) « خم » جثة محنطة ويده اليمنى  
مرفوعة وحاملة زواية كبيرة

ش ٢ « أمن رع »  
( ٥ ) « اوزيريس » جثة محنطة على

رأسه ناج مصر العليا بريشتي نعام واحياناً بغير ريش . وفي يده النمشة

والعنافة واحياناً الصولجان ايضاً . وقد يكون على رأسه هلال فيه قرص الشمس كما ترى في الشكل الثالث



(٦) « سب » يمتاز ببطة واقفة على رأسه

(٧) « نوم » على رأسه شعر طويل مكلل بزهرة

حبثوق او بريشة . وقد يكون على رأسه تاجا مصر العليا والسفلى

اما الآلهة ذات الرؤوس البشرية الانثوية فهي

(١) « ايزيس » على رأسها طاوية تشبه النسرفوقها

تاجا مصر العليا والسفلى بيدها الواحدة مفتاح والاخرى

صولجان كما ترى في الشكل الرابع وقد يكون على رأسها قرنان

بينهما قرص الشمس وفوق القرص ما يشبه تاجي مصر ش ٢ اوزبريس

(٢) « ما » الهة الصدق على رأسها ريشة واحدة منتصبة وعلى عينيها

غالباً غطاء يشبه العيونات

(٣) « موت » ( ام الجميع ) على رأسها

طاوية بشكل النسرفوقها تاجا مصر العليا والسفلى

وقد يكون لها رأس نسري

(٤) « نيث » على رأسها احياناً مكوك

واحياناً تاجا مصر العليا والسفلى

(٥) « نثيس » على رأسها الطاوية

النسرية وفوقها ما يشبه البرج

والآلهة برؤوس الطيور هي

(١) « هوروس » قد تقدم ذكره بين

ذوي الرؤوس البشرية وقد يكون ذا رأس



ش ٤ ايزيس

جواني كراس الصفرة فوقه الناجان

(٢) «خونس» (الشمس المشرقة) رأسه كراس الصفرة فوقه

هلال فيه قرص الشمس

(٣) «رع» (شمس المهاجرة) رأسه كراس الصفرة ايضاً عليه

قرص الشمس فوقه ثعبان

(٤) «نوت» (اله القلم) رأسه كراس الفلق عليه احياناً هلال

في وسطه ريشة

وهذه آلهة برؤوس حيوانات اخرى

(١) «بشت» (حبيبة فتاح) يمتاز برأس الهر و احياناً برأس

الاسد عليه قرص الشمس فوقه ثعبان كما ترى في الشكل الخامس

(٢) «عنور» يمتاز برأس كراس البقرة

بين قرنيها دائرة البدر

(٣) «كنوم» او «كنف» يمتاز برأس

كبش عليه اكاليل و ثعبان

(٤) «انوبيس» يمتاز برأس كراس ابن

آوى

وللمصريين القدماء آلهة كثيرة غير هذه قد

امسكنا عن ذكرها حياً بالاختصار



ش ◦ بشت

فذلكة

# في تاريخ مصر القديم

لما فكر قدماء المصريين في وضع تاريخ لأممتهم تتبعوا الحوادث الى مصادرها وجمعوا ما كان لديهم من التقاليد الموروثة بالالفين أباً عن جد واستطلعوا سير ملوكهم الاقدمين فوصلوا الى الملك «مينا» فاذا هو اول من حكم ونظام. ولما لم يعثروا على ما كانت عليه مصر قبله فرضوا ثلاث عائلات وهمية زعموا انها تسلطت على مصر بالتوالي وانتهت ببداية الدولة الملكية القديمة التي اول ملوكها «مينا» ودعوا العائلة الاولى عائلة المعبودات ويقال لها العائلة المقدسة. والثانية دعوا الشبيهة بالمقدسة والثالثة الكهنة «الحورشسو» وزعمون انهم اجدادهم

# الدور الجاهلي

## الدولة الملكية القديمة

### العائلة الاولى الطينية

حكمت من سنة ٥٦٢٦ - ٥٢٧٢ ق ٥ او من ٥٠٠٤ - ٤٧٥١

ق م وعدد ملوكها ٩

اولم الملك «مينا» او «مينس» - وهو اول من حكم مصر بعد الكهنة «المورشسو» نشأ في طينة (بقرب العراية المدفونة بجوار جرجا) والظاهر انه كان من الكهنة فنار في خاطره امر الاستقلال بالملك فقاومة الكهنة فتغلب عليهم فترك وطنه وأسس مدينة «منف» (البدرشين وميت رهينة) وجعلها سرير ملكه وشاد حولها جسراً يعرف الان بجسر قشيشة وحول مجرى النيل الى شرقها وكان يجري لجهة صحراء ليبيا. فعمرت منف واخصبت وزعت فشاد فيها الهياكل والمعابد واقام فيها تماثيل الالهة. فاذا زرت خرائب ستارة وشاهدت تماثيل رعمسيس الثاني ملقى في البركة الشرقية لميت رهينة اعلم ان بقرب ذلك التمثال كان باب الهيكل الذي بناه هذا الملك لمعبوده «فتاح» وما زالت منف مركز التمدن الى عصر اليونان. وما يذكر عنه انه فتح ليبيا فانسعت مملكة مصر في ايامه وكان رفوقاً برعاياه فلم يضغط على افكارهم ومعتقداتهم فغادروهم

على ما اعتادوه ولم يسلب الكهنة شيئاً من حقوقهم في قبائلهم على انه لم ينح



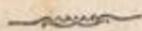
من ايقاعهم به فزعموا انه اضرّ  
بالعبادة من حيث فتور الناس في  
ايامه عن الزهد واستخدامهم انواع  
الترف فكانوا يتناولون طعامهم  
مضطجعين على اسررتهم

وقام بعد «ميناً» اخوه «تنا»  
فأسس القصر الملوكي في منف  
وكان عالماً بن الطب ولا سيما  
التشريح فكانت فيه رسالة جددت  
كتابتها في عهد رمسيس الثاني  
ومن ملوك هذه العائلة



«ونيفس» حصلت في ايامه مجاعة  
وهو الذي بنى هرم «كوكمه»  
بقرب الهرم المدرج في سقارة  
وكان معداً لدفن ما كانوا  
يعبدونه من الثيران في عصره  
فان صح ذلك كان هذا الهرم  
اول ما بنى من الاهرام في مصر  
ولم يبق من العائلة الاولى من  
يستحق الذكر

ش ٦ البنائين المصريين



## العائلة الثانية الطينية

حكمت من ٥٢٧٣ - ٥٠٧١ ق م او من ٤٧٥١ - ٤٤٤٩ ق م  
وعدد ملوكها ٩. نشأت في طينة ايضاً والمظنون ان بينها وبين العائلة  
الاولى قرابة

من ملوكها «كايهخوس» اجاز عبادة الحيوانات فاقام الثور «أيس»  
في منف والثور «منيفس» في عين شمس (المطرية) . وقام بعده  
« بينوتريس » فجعل للنساء حق الحكم على سرير الملك هذا اذا لم يكن  
للك المتوفي اولاد ذكور . وزعم ان الملك نائب عن الالهة في الاحكام  
وادعى ان بينه وبين الالهة نسباً وما زال الملوك بعد ذلك يدعون مثل  
دعواه الى عهد اليونان

ومن ملوكها « استنس » كان عالماً وطيباً فاتمّ الرسالة الطينية المتقدم  
ذكرها . واعلم ان الملك « مينا » لم يتوفى في حياته على اخضاع جميع القبائل  
المصرية لحكمه ولا ان يجعل مصر امة واحدة . اما العائلة الثانية فلم تنته  
حتى جعلت ذلك امراً ممنوعاً

## العائلة الثالثة المنفية

حكمت من ٥٠٧١ - ٤٨٥٧ ق م او ٤٤٤٩ - ٤٢٣٥ ق م  
وعدد ملوكها ٩

كانت طينة قبل ظهور الملك « مينا » مدينة العلم والحكمة ومحط  
رجال المنعة والسلطة . فلما بنيت منف تحول كل ذلك تدريجاً اليها وما  
زالت تخط شيئاً فشيئاً حتى انقرضت بانفراض العائلة الملكية الثانية

اما العائلة الثالثة فأول ملوكها «نخروفس» وفي اول حكمه تمردت ليبيا وشقت عصا الطاعة فسامها الرضوخ فأبت فأدى به الامر الى تحكيم السيف وكانت المعركة في ليلة مفرقة يقال ان الليبيين رأوا تلك الليلة دائرة القمر تنسج على غير المعتاد فخيّل لهم ان ذلك من غضب الآلهة على اعمالهم فالتفوا السلاح مسلمين . وقام بعده الملك «نوسنرس» وكان عالماً بالطب فوضع فيه كتباً تداوها الناس الى القرن الاول للتاريخ المسيحي .

اما من بني من ملوك هذه العائلة فلم يصلنا من اخبارهم سوى ان الملكة زهت في ايامهم فتكاثرت مباينها وقيمت فيها النصب الهائلة اعظمها ابو الهول التمثال المشهور بعظمه القائم الى هذا العهد قرب اهرام الجيزة ويسمى بلغتهم «خورميجي» اي شمس الافقين جعلوا جسمه جسم اسد ورأسه رأس انسان اشارة الى اجتماع القوة والتعقل . وأشبهه هذا التمثال كثيرة في الاثار المصرية بين ما حمله هائل الكبركاني الهول الذي يبلغ طوله ٢٠ متراً تقريباً وعرضه اربعة امتار وما لا يزيد عن حبّ المرجان حجماً كانوا يصنعونه من العقيق حلية للعنود . ومن اثارهم ايضاً الهيكل الكائن الى جنوبي اهرام الجيزة بجوار ابي الهول ويعرف بالكبسة وهو مبني من الحجارة الصوانية الضخمة ولم ايضاً آثار اخرى كمدافن ومحاريب وغيرها ومن ملوك هذه العائلة ايضاً «سنغرو» عمدت الى ذكره لما عرف به من العدل والبر وما أوتي من العزم والقدرة على الفتوحات ففهر اهل جبل الطور واستولى على ارضهم وبني فيها حصوناً ومعاقل واحفر آباراً جعل فيها رجالاً يستخرجون معادنها ونقش رسمه حفرّاً على حجر في وادي مغارة . ويقال انه لما عاد الى مصر ابنتي لنسبه هرمالم يعلم مقبرة الى الان

## العائلة الرابعة المنفية

حكمت من سنة ٤٨٥٧ - ٤٥٧٢ ق ٥ او من ٤٢٢٥ - ٢٩٥١ ق م

وعدد ملوكها ١٤

اعظم ملوك هذه العائلة واحنأ بالذکر الملك "خوفو" كان بناء ماہراً ومجارباً باسلاً فبنى اعظم اهرام الجيزة الذي تنحدر به مصر على سائر الامصار . ويقال ان اللذين اشتغلوا في بنائه مائة الف رجل اثناء ثلاثين سنة كانوا يتناوبون كل ثلاثة اشهر . وبنى له جسراً موصلاً بينه وبين ضفة النيل لنقل الحجارة . وارتفاع هذا الهرم ٤٥٠ قدماً وبعض القدم وعرضه ٧٤٦ قدماً وهو من جملة عجائب الدنيا لا يزال مقصوداً من السياح والمتفرجين الى هذا العهد

وتحت "خوفو" عدة تماثيل للآلهة ورم بعض الهياكل وقد قال فيو بعضهم انه كان عاتياً يخس الناس حقهم ويهتضم اجورهم زعماً منهم انه ابني هرمه على نفقة الفعلة المساكين على انه لم يكن على شيء من ذلك وربما بنى المعنون قولم على انه كان يستخدم الاسرى مجاناً وتلك عادة كانت متبعة في ذلك العهد ولا تزال

ومن ملوك هذه العائلة "خفرع" وهو الذي بنى الهرم الثاني في الجيزة بجانب هرم "خوفو" وسماه "أر" اي العظيم ارتفاعه ٤٤٧ قدماً وتيف وعرض قاعدته ٦٩٠ قدماً وبعض القدم . ولم ينبج هذا من السنة الفاذفين فقد كان وسلفه "خوفو" مضعة في افواه المرجنين وقد بلغت قنهم الى ان اخرجوا جثثها من هرمها وكسروا تابوتها ورموا بالجثتين الارض اهانة واحقاراً . وقد وجد في المعبد بجوار الاهرام سبعة تماثيل من الحجر الصوان مصنوعة على مثال ذلك الملك بغاية الدقة وهي الآن في متحف بولاق

ومن ملوكها أيضاً "منكورع" بنى الهرم الثالث من اهرام الجيزة وسماه  
 "حور" اى الاعلى جعل ارتفاعه ٢٠٢ اقدام وعرض قاعدته ٢٥٢ قدماً  
 وبعض القدم . وقد كان حظ هذا الملك من الشعب غير حظ سالفه لانهم  
 بالغوا في مدحه كثيراً . ويقال انه ارسل ابنة لبطوف في الهياكل المصرية  
 وبرغم ما كان منها في احتياج الى الترميم

وكان "منكورع" عالماً عاملاً في الدين والادب وقد وجدت جثته  
 محنطة في تابوت من الصوان في هرمه المتقدم ذكره فحاولت الدولة  
 الانكليزية نقلها وتابوتها الى متحفها ففرقت بها السنينه على مقربة من  
 البورتغال ولم يبق الا الجثة وغطاء التابوت وهو مصنوع من خشب الجوز  
 ومن ملوكها أيضاً "سبسكاف" ويسميه ماثيون "سبرخرس" وهذا  
 بنى الابوان الغربي بعبد فتاح بنف وهو اعظم ابوان فيه وكان محباً للعلوم  
 فتيها . ويقال انه ابتدع فن الهندسة ورصد الكواكب وسن قانوناً للقرص  
 من مقتضاه انه يجوز للانسان ان يرهن مدفن ابيه على مبلغ يستدينه  
 وللدائن الحق في استخدام المدفن حتى ينيو التلس الاخير

### العائلة الخامسة الاصوانية

حكمت من ٤٥٧٢ - ٤٢٢٥ ق ٥ او من ٢٩٥١ - ٢٧٠٢ ق م  
 وعدد ملوكها ؟

منهم "سحورع" او "سفرس" بنى هرمًا شمالي قرية ابي صير وله في  
 وادي مغارة لوح لا يزال هناك محفور عليه صورته منصوراً على اعدائه .  
 وبعد وفاته عبده المصريون زمناً طويلاً . ومن ملوكها "نفراركارع"  
 او "نفرخرس" اتسع نطاق العلم في ايامه وعمرت البلاد وقد بنى هرمًا لا  
 يُعرف مقره . ومن ملوكها "اعتوسر" وهو اول من اضاف الى اسمه لقب

عائلته "آن" قصار "اعنوسران" غزا جزيرة جبل الطور وانتصر عليها  
ونقش صورته على حجر هناك وبني هرمًا في ابي صيردُفِنَ فيه بعد موته .  
وكان في عصر هذا الملك رجل يدعى "تي" بنى مقبرة بديعة الاتقان وهي  
المقبرة المشهورة في سقارة على يسار المدفن المعروف بـ "أيس" بقصدُها  
المتفرجون من كل الانحاء لما فيها من الدقة وبديع الصنعة وجميل  
التقوش وتعداد الرسوم . وكان هذا الرجل صهر الملك وصاحب دولته  
وله رسم مخنوظ في متحف بولاق

ومن ملوكها "دكارع" اكتشف المعادن في وادي مغارة واتنى  
هرمًا لم يُعلم مكانه ولرجال دولته عدة مقابر في سقارة . ومن ملوكها  
"اوناس" او "انوس" بنى هرمًا في سقارة الى الجنوب الغربي من الهرم  
المدْرَج ترى حوله كنيبًا من الرمال والحصا قد تراكت هناك عندما  
حاولوا فتحه سنة ١٨٨١ ما تساقط من كسائه الخارجي . وكان عرض  
قاعدته ٢٢ قدمًا وارتفاعه ٦٢ قدمًا ولا يبلغ هذا القدر الآن لما لحقت  
من الهدم والتساقط وذلك لانهم كانوا يعتقدون ان في هذه الاهرام كنوزًا  
فيحاولون فتحها هدمًا . ولما هدموا هذا الهرم بعد المشقة لم يجدوا فيه الا  
تابوت الملك من المرمر الاسود وذراعه الابن وساقه وقطعا من اكفائه

### العائلة السادسة الاصوانية

حكمت من ٤٢٢٥ - ٤١٢٢ ق هـ او من ٢٧٠٢ - ٢٥٠٠ ق م

وعدد ملوكها ٦

من ملوك هذه العائلة "مريرع" اتخذ جزيرة اصوان سريراً للملكوت  
التي كانت شاملة لسائر النطر المصري . ومن ذلك الحين جعلت منف  
تختط . وكان له وزير اشهر بالدراية والحكمة فعهد اليه نظارة الاشغال

فقام باعبائها حتى القيام فتضاعفت المحصولات ولهذا الوزير حجري في متحف  
بولاق منقوش عليه ما بينهم منه شيء من سيرته . ومن اعمال " مربرع " انه  
فتح طريقاً تجارية بين قنط والبجر الاحمر وخط مدينة في مصر الوسطى  
واصلح معبد دندره وفتح بلاد الشام واستولى عليها كل ذلك مدوناً نقشاً  
على حجر وزيره المتقدم ذكره . وخضعت له النوبة وليبيا والحبشة وطورسينا  
وهو اشهر ملوك هذه العائلة . ومن ملوكها " مرزح " الاول ابن المتقدم  
ذكره ويسمى ايضاً " سوكرمساف " وهو اول من اصطنع سفينة في مصر بهمة  
ودراية وزيه الذي كان وزيراً لابييه قبله . ومن ملوكها ايضاً الملكة  
" نيتوقريس " كذا دعاها مانثيون وقال انها كانت اجمل واكمل اهل  
عصرها . وكانت مع ذلك ذات حيلة ومكر فكان لها اخ اتخذته بملأ ففتله  
بعض رجال دولته قيل توليتها الملك . فلما تولت اخذت نسعى الى طلب  
النار فاصطنعت سرداباً تحت الارض يصل بين النيل ومحل اعدته لوليمة  
دعت اليها نفرًا من الاعيان ورجال الدولة ومن جعلتهم القائل فلما التأم  
الجمع واشتغلوا بالوليمة فتحت باب السرداب من جهة النيل فسار الماء  
فيه الى قاعة الوليمة فاغرق جميع من كان هناك . اما هي فاسرعت من  
غبظها والقت نفسها في الرماد الحار فماتت .  
وفي ايام هذه العائلة اتقنت الرسوم على اسلوب خاص بحيث ان  
من تعود معاينة الآثار المصرية يقدر على تعيين اي رسم كان من رسوم  
هذه العائلة .

## العائلة السابعة والثامنة المنفية والتاسعة والعاشره الاهناسية

حكمت من سنة ٤١٢٢ - ٢٦٨٦ ق ٥ او من ٢٥٠٠ - ٢٠٦٤ ق م  
لم يُعلم ما الداعي لتأموس اخبار هذه العائلات على انه قد علم ان  
قاعدة العائلتين الاوليين كانت منف والآخرين اهناس وربما وجد في  
اهناس المدينة شي لا من اثارهم الا انها على كل لا نستحق الذكر

## الدولة الملكية الوسطى

## العائلة الحادية عشرة والثانية عشرة الطيبيتين سريرها طيبة

حكمتا من ٢٦٨٦ - ٢٤٧٢ ق ٥ او من ٢٠٦٤ - ٢٨٥١ ق م  
وعدد ملوكها ٢٤

اول ملوك العائلة الحادية عشرة "اتنف عا" لم يكن من ذوي  
العصية الملكية انما كان من عمال ملوك اهناس المدينة في الوجه القبلي  
على انه كان مهاباً لسلطوته وعأوهمته . بنى هرماً من الطين في الجهة المعروفة  
بذراع ابي النجاء بمديرية قنا وجعل في وسطه ضرباً متقناً دُفنت فيه  
جثته في تابوت غطاءه مطلي بالذهب استخرجه اهل تلك الناحية وذهبوا  
به فلما توفي قام ابنه « متوحنب » فجعل نفسه من مصاف الملوك وليس  
له من الاثار ما يذكر به

ومن ملوك هذه العائلة ايضاً « اتنف الرابع » تمكن بحكمته وبطشه  
من الاستيلاء على الوجه القبلي رثماً عن ملوك اهناس واستقل بالحكم عليه  
وعلى اسيا الشمالية وقد قال « اني استوليت على الوجه البحري » ولا حجة  
لقوله . ومن مآثره انه جدّد بنايات رفعة العباد في جهة قنط استعملت

انقضها في هذه الايام لبناء قنطرة . ولما مات دفن في ذراع ابي النجا . وقد  
وجدوا من اثاره مسلة بالقرب من العرابة المدفونة

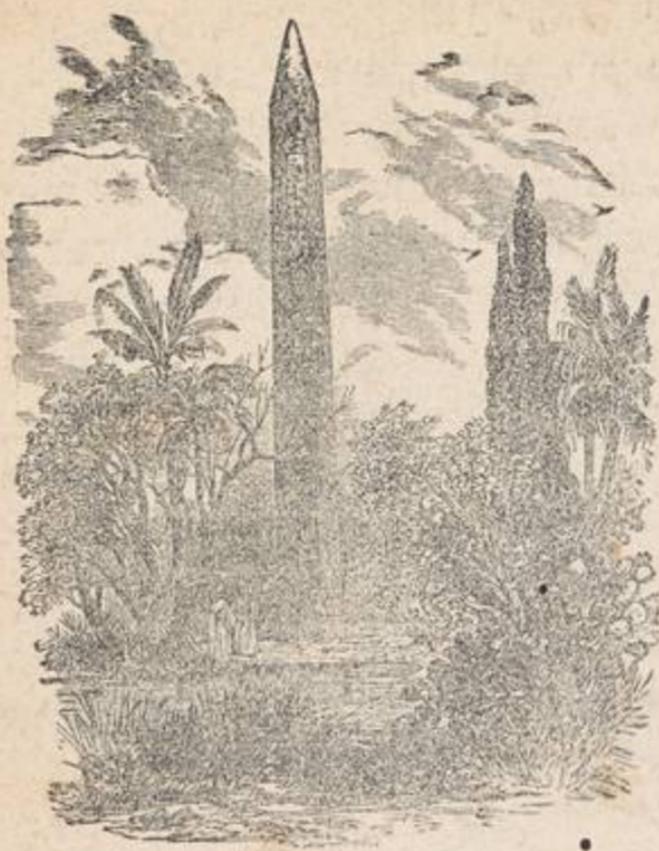
وتولى بعده « متوحنب الرابع » ولتنب « بنخرع » وهذا بالتحقيقة  
نزع الوجه البحري من ملوك اهناس وما زال يقاتلهم حتى استغل بالملك  
جميعه فكل من حكم قبل هذا من هذه العائلة لم يكونوا ملوكاً مستقلين  
وتولى بعده « سنخ كارع » ومن عظيم اعماله انه اثنذ « حنو » احد رجاله  
فاتم الطريق الموصلة بين مصر وبلاد العرب التي شرع فيها مبرع المتقدم  
ذكره جعل فيها خمس محطات فيها عيون من الماء فيتم بها التواصل  
مع بلاد العرب والهند . وكانت نسلكتها القوافل قادمة بالبضائع والسلع  
من بلاد الهند وشبه جزيرة العرب وما زالت هذه الطريق كذلك الى  
عصر اليونان فالروم كما سيحي

ومن خصائص ملوك هذه العائلة انهم كانوا يرسمون فوق توابيت  
موتاهم اشكالاً مختلفة بلونونها بالوان مختلفة زماً منهم ان احدى معبوداتهم  
« ايزيس » كانت ترف على اخيها « اوزيرس » نائسة جناحها حنو  
ومعظم اثار هذه العائلة في ذراع ابي النجا لا يزال محجوباً  
اما العائلة الثانية عشرة فابتدأت بدور جديد . فقد كانت مصر  
قبلها منقسمة غالباً الى حكومات متعددة في وقت واحد اما في ايامهم  
فانضمت جميعها تحت لواء واحد قاعدته مدينة طيبة  
اول ملوك هذه العائلة « امنمحت الاول » كان من اتباع الملك  
متوحنب الثالث ويسميه ماثيون « امنميس » فلما استتب له الملك قاتل الذين  
كانوا يكفرون صنو راحة مصر وهم عصب من اهالي ليبيا والنوبة واصبا  
تجمعوا القتال حول قلعة نانوي غربي منف فخارهم حتى انتصر عليهم  
وطردهم واستولى على منف . وكان عاقلاً حكماً وشجاعاً مدرباً استخراج  
المعادن من بلاد النوبة واخضع عدة اقاليم من بلاد الزنوج وغيرها

وقبل وفاته ولى ابنه «اوسرنس الاول» ويدعوه ماينثون  
 «سيسونخوسيس» وهو صاحب المسألة المشهورة في المطربة التي طولها  
 عشرون متراً وبعض المتر نصبها امام هيكل الشمس المدعو «انوم»  
 اجلالاً لذلك الهيكل ومعبوده ونصب بجانبها مسألة اخرى شاهدها عبد  
 اللطيف البغدادي وقد فقدت ولم يبق لها اثر الا ان . اما الاولى فلا تزال  
 باقية منقوشاً عليها بالقلم المصري القديم ما ترجمته ملخصاً «ان الملك  
 المنصور حياة كل موجود سلطان الوجه القبلي والبحري (خبر كارع)  
 صاحب التاجين وسلالة الشمس (اوسرنس) المحب لمعبودات المطربة  
 دام بقاءه قد نصب هذا الاثر في مبدأ العيد الرسمي تخليداً لذكره واحياءه  
 لهذا العيد» انظر الشكل السابع

فاذا زرت قرية المطربة الآن ووقفت بجانب مثلثتها ترى حولك  
 بقعة من الارض فيها بعض الزرع طولها ٤٥٦ قدماً بعرض ٢٥٦  
 محاطة بتلال متلاصقة كأنها سور من تراب . يقول ماريت ان هذه البقعة  
 ليست مساحة المدينة وإنما هي مساحة الحوش الكبير الذي كان امام  
 هيكل الشمس وجاء على ذلك بادلة تقرب من الصواب

ونصب اوسرنس ايضاً مسألة اخرى فيما يجازي قرية ببحج بجبهة الزنوم  
 وقد ظن بعض المؤرخين مستنجاً من سياق حكاية كتبها احد معاصري  
 هذا الملك انه النرعون الذي حصلت في ايامه المجاعة على عهد يوسف  
 بن يعقوب غير ان الجمهور على خلاف ذلك لعدم مطابقة الزمن بين ما  
 هو في العهد القديم وهذا التاريخ . ويقال بالاجمال ان هذا الملك يعد من  
 اول المؤسسين لهيكل طيبة «الاقصر» وقبل وفاته امر مهندساً الخاص  
 ان يبني له مقبرة فبناها وجعل في داخلها عدة غرف اقامها على اعمدة  
 وجعل فيها حوضاً متصلاً بالنيل وصنع لها ابواباً ومسلاتٍ ووجهة من  
 حجر طرا الابيض .



مسلة المطرية ش ٧

ومن ملوك هذه العائلة « اوسرنس الثاني » ويسميه مانيثون  
« سيزوستريس » ترك اثاراً كثيرة قلماً يستناد منها شيء عن تاريخه وغاية  
ما علم منها ان مملكة مصر كانت في عصره محافظة على شوكتها منسعة النطاق  
ومن ملوكها ايضاً « اوسرنس الثالث » وكان رجلاً حازماً مقداماً  
واشتهر بهذه الصناعات فارتفعت منزلته في قلوب الاهلين فعبده ومن  
اعماله انه جرد على السودان ( اثيوبيا ) وما وراءها لتوسيع نطاق مملكته .  
وشاد في وادي حلنا قلاعاً منها قلعتان تعرفان الان « بقمته » و « سمته »

لمنع الاعداء من مصر لا تزال تشاهد في اطلالها الجدران الشامخة والبروج  
العالية والحدائق وكان في داخلها معابد وعدة مساكن دُمّرت الآن  
وقد وجد الباحثون حجّرين كانا منصوبين على حدود مصر الجنوبية .  
ذلك ما فهم مما هو مكتوب عليها . وبعد وفاة هذا الملك بخمسة عشر قرناً  
اي في عصر العائلة القائمة عشرة شاد «نخوتس الثالث» معبداً في سمّة  
وكتب عليه ابتهالات كان يتلوها المصريون في ذلك الحين . ولهذا الملك  
هرم في دهشور

ومن ملوك هذه العائلة «امنمحت الثالث» ولهذا الملك يد يفضاه  
في امر النيل وفيضائه في اقليم الفيوم . وذلك ان للنيل كما لا يخفى ارتفاعاً  
معلوماً اذا بلغه كان غيباً وحياة لارض مصر واذا زاد عنه كان ضربة  
ودماراً فتسقط الجسور وتغرق البيوت . واذا نقص لا يكون مياهه كافية  
للري فيخشى من المجاعة . فلما علم هذا الملك بذلك تمّ الى تدارك الامر .  
فراى في الصحراء الغربية من مصر بادية شاسعة الاطراف يمكن غرسها  
واستغلالها تعرف الان بوادي النيوم ينصلها عن وادي النيل الاصلي برزخ  
قليل الارتفاع . وفي وسط تلك البادية بقعة من الارض تكاد لا تزيد  
ارتفاعاً عن اراضي وادي النيل تبلغ مساحتها عشرة ملايين من الامتار  
المرعبة . ويجانبه الغربي ارض منخفضة ذات اتساع عظيم نغرها مياه  
البحيرة الطبيعية المعروفة الآن ببركة قارون «او القرون» طولها يزيد  
عن عشرة فراعخ . فامر بحفر ترعين توصلان النيل بتلك البقعة احدهما  
كانت تبدي من النيل بجانبه الغربي وتجري بمحاذاة بحر يوسف الحالي .  
والاخرى كانت تجري شمالاً . وهاتان الترعنان تلتقيان وتصبان في تلك  
البقعة النسيجة وجعل عند ملتقاهما قناطر بجواز سدّ وتفتح حسب اللزوم .  
فكانت تلك البقعة بصفة حوض عظيم تجتمع فيه مياه النيل عند فيضائه  
عُرِفَت ببركة موريس

فان كانت زيادة النيل اقل من احتياج الارض انصرف اليها من مياهها ما يسد احتياجها. واذا كانت اكثر من الحاجة صرف ما يزيد الى ذلك الخوض فان طغى ماؤه انصرف الى بحيرة قارون بواسطة حواجز تُسد وتفتح على قدر الحاجة. وكانت الحكومة في كل سنة قبل ارناع النيل تنتدب من يسير الى النوبة لاستكشاف مقدار زيادته في جهة سمته وقمته وفي تلك الجهات الآن كتابات هيروغليفية تشير الى شيء من ذلك

وكان في وسط بركة موريس هرمان في كل منها تمثال. واصل كلمة موريس «مري» ومعناها في اللغة المصرية بحيرة وليس كما زعم اليونانيون من انها دُعيت بذلك نسبة الى اسم احد الفراعنة. واصل كلمة اليوم «ياوم» ووداها باللغة المصرية بلد البحر

والى شرقي بحيرة موريس بناء هائل يعرف باسم «لابراتنا» واسمه بالمصرية «لابوراحونت» اي معبد فم البحر بناء هذا الملك لاجتماع مجلس الاعيان من الكهنة. وفي هذا البناء رحبات الى كل من الجانبيين فيها من الغرف نحو من ثلاثة الاف غرفة. ويحيط بالبناء من الخارج سور عليه نقوش

اما بركة موريس فقد جنت ولم يعد لها اثر الآن. اما موقعها فقد اختلف المهندسون في حقيقته ومن رأي المستر كوب وايتهوس انه واقع في وادي وسيع الى جنوبي بركة قارون بعرض ٤٠' ٤٨' و ٣٠' ٢٩' شمالاً وهو المعروف الآن بوادي الريان. وقد اقترح المستر وايتهوس مؤخرًا على الحكومة المصرية ان تُخذ هذا الوادي مذخرًا لماء النيل كما كان قديمًا وامتدت حدود مملكة هذه العائلة الى بلاد النوبة وكان بينها وبين ليبيا الشمالية واسيا علاقات تجارية محورها ما بين بني سويف واهناس المدينة. وبسبب هذه العلاقات تعلم المصريون من الليبيين علم الرياضة الجسدية (الجمناز) اما صناعة البناء في ايام هذه العائلة فقد

كانت من الاتقان والتفنن على غاية حتى قيل ان معظم الاعمدة المحزونة  
الشكل في الآثار المصرية انما هي من مصنوعات هذه العائلة

### العائلة الثالثة عشرة الطيبة

حكمت من سنة ٢٤٧٢ - ٢٠٢٠ ق ٥ او من ٢٨٥١ - ٢٢٩٨

ق م وعدد ملوكها ٨٧

من ملوك هذه العائلة «سبك حنب الثالث» له آثار كناية على  
صخور شامخة صعبة التسلق عند ضفة النيل بقرب سمته منادها ان ماء  
النيل بلغ هذا الارتفاع في السنة الثالثة من حكم الملك سبك حنب الثالث  
وارطاً جزء من هذه الكتابة يعلو اعلى نقطة يبلغها النيل عند ارتفاعه  
في هذه الايام بنحو سبعة امتار. وذلك من الادلة على ان النيل كان اكثر  
ارتفاعاً في العصر الخالصة منه في هذه الايام بما يستحق الاعتبار. وهذه  
العائلة على كثرة عدد ملوكها قل ما يعرف عنها ويظن ما ريت ان  
اكثر آثارها مردوم في السبوط

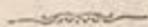
### العائلة الرابعة عشرة السخاوية

حكمت من سنة ٢٠٢٠ - ٢٨٢٦ ق ٥ او من ٢٢٩٨ - ٢٢١٤

ق م وعدد ملوكها ٧٥

بسبب العائلة الثالثة عشرة سقطت طيبة بعد ان كانت سريراً  
للدول المصرية نحواً من سبعمائة سنة. على ان ملوك العائلتين الثانية  
عشرة والثالثة عشرة لم يكونوا في اهتمام لحفظ رونقها وفضلتها على سائر  
النظر المصري وانما صرفوا اهتمامهم في تعمير الدنيا ورفع شأنه فزهت

منديس وسائس وبوباسنس وعلى الخصوص تانس ولكتم مع ذلك لم  
يغزوا غير طيبة سريراً لملكهم. اما العائلة الرابعة عشرة فجعلت عاصمتها في  
الوجه البحري في مدينة كانت تدعى خيس (سغا) في منتصف الذلتا .  
لا يعلم عن ملوك هذه العائلة ما يستحق الذكر سوى ان اسماءهم وجدت  
مكتوبة على صنعية من البايروس (البردي) حفظت في متحف نورين

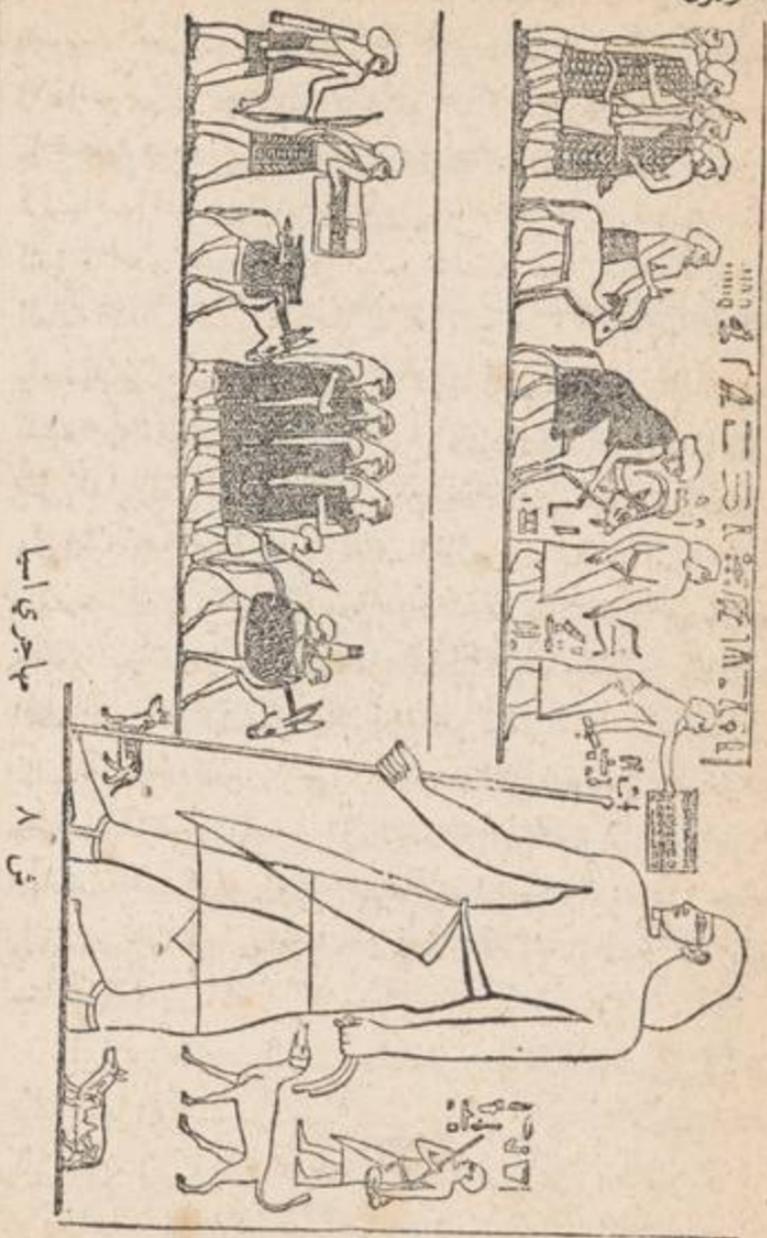


### العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة (الرعاة)

حكمت من سنة ٢٨٢٦ - ٢٢٢٥ ق ٥ او من ٢٢١٤ - ١٧٠٢ ق م  
فالعائلة الخامسة عشرة مؤلفة من ملوك الرعاة الذين افنخوا مصر  
واتخذوا «اواريس» سريراً لملكهم وكان معظم سلطتهم في الوجه البحري .  
اما القبلي فكان يحكمه بعض الملوك الوطنيين . اما منشأ ملوك الرعاة  
ويدعوهم اليونانيون «هيكسوس» فقد اختلف المؤرخون في حقيقته  
والأظهر انهم اخلاط من العرب واهل الشام واكثرهم من الحبش . وما يؤيد  
ذلك ان أكبر قبيلة منهم حكمت في مصر كانت تدعى باللغة المصرية  
القديمية «خيتا» والعرب يسمونهم العالقة ويقال انهم جاؤا مصر من  
جنوبي اسيا ففاجأوا المصريين في الوجه البحري وافتخوا بلادهم ونقاطروا  
اليها افواجاً حتى انتشروا فيها كالجراد . وجعلوا يعيثون استبداداً فاحرقوا  
المعابد ونهبوا ما فيها . واتخذوا منف قاعدة لحكمهم ففر الملوك المصريون  
الى الصعيد

واول من ملك من العالقة «سلاطيس» شاد قلاعاً حصينة في اماكن  
مختلفة وجعل في السويس جنداً عظيماً خيفة ان يهاجمه كنعانيو الشام  
والعراقيون . وفي ايامه نقاطروا اهل اسيا الى مصر أسراباً يطلبون ملجأ  
ورزقاً فبنى لهم في اواريس معسكراً عظيماً يسع نحواً من مائتين واربعين

الناس جعل حوله خندقاً ورثب لم ارزاقاً فصاروا له اعدواناً فهاج  
المصريون



مهاجري اسيا

ش ٨

ثم تداول خلنائو على سرير الملك الواحد بعد الآخر . وعدد م سنة  
 ومدت حكمهم جميعاً مائتان وستون سنة وقد كانوا في اول امرهم مستبدين  
 يسومون المصريين شرّ المعاملة ولا يستخدمون في مصالح حكومتهم الا  
 الاجانب من ابناء جلدتهم . لكنهم في آخر الامر قربوا الوطنيين منهم  
 واستخدموهم في مصالح الدولة وصرفوا اهتمامهم في احياء البلاد وتجديد  
 ثروتها فبنوا المدارس والمعابد ودانوا بديانة اهل مصر . فخضع لم الوجه  
 القبلي فاصبحت مصر جميعها في ايديهم . ثم خلقتهم دولة الرعاة الثانية وهي  
 العائلة السادسة عشرة وعدد ملوكها اثنان وثلاثون لم يُعرف منهم الا ملك  
 واحد يدعوه المصريون « اياي اعاكن » والعرب يدعونه « الريان ابن  
 الوليد » ومايتشون يدعوه « ابوفيس » . وفي ايامه تزح كثيرون من  
 اهل الشام الى مصر واستوطنوها لكنهم حافظوا على لغتهم ولم يبدلوا .  
 وفي ايامه ايضا وفدت السيارة للذين باعوا يوسف بن يعقوب الى قطيفر  
 وزير مصر الذي يدعى بلغة مصر القديمة « بدفير » اي هدية الشمس وقصته  
 مشهورة . وقد وجدت في الآثار حكاية استنق منها بعضهم ما يؤيد قصة  
 المجاعة التي حصلت في ايام يوسف والله اعلم

واما العائلة السابعة عشرة فكانت مصر في ايامها تحت حكومتين  
 وطنية بيد المصريين واجنبية بيد الرعاة . وبلغ عدد ملوك كل من الحكومتين  
 نحواً من ٤٢ ملكاً قلماً يعرف عنهم وكانت قاعدة مملكة الرعاة « سان »  
 والوطنيين « طيبة » . وغاية ما يقال في هذه العائلة انها لم تنته حتى انتهى  
 معها حكم الرعاة وبانقضائه انقضت الدولة الملكية الوسطى

## الدولة الملكية الاخيرة

حكمت من ٢٢٢٥ الى ٩٥٤ ق ٥ وعدد عائلتها ١٤

## العائلة الثامنة عشرة الطيبية

حكمت من سنة ٢٢٢٥ - ٢٠٨٤ ق ٥ او من ١٧٠٢ - ١٤٦٢  
 ق م وعدد ملوكها ١٤ وهذه العائلة شأن عظيم في تاريخ مصر القديم لان  
 البلاد في ابامها نشطت وامتدت سطوتها الى انحاء بعيدة  
 اول ملوكها «احمس» ويسميه مايتيون «اموزيس» تزوج بابنة  
 ملك اثيوبيا وتحالف معه على طرد بقية العالقة من مصر. وكانوا متخصمين  
 في قلعة اواريس برًا وبحرًا فحاصروهم ثم طردوهم منها. وما زال يتبعهم بجنوده  
 حتى نهر الفرات فتخلصت مصر منهم بعد ان استبدوا فيها مدة ستماية سنة.  
 وبقيت منهم بقية رخصت لاحكامه قهرًا. وما لبث ان عاد من هذه الحاربة  
 حتى عصته اهل النوبة فجرد اليها وظهر عليها اما الاثيوبيون فدخلوا في  
 طاعنه بغير حرب وامتدت سلطنة الى البحر المتوسط. وفي السنة الثانية  
 والعشرين من حكمه استعمل العالقة لقطع الحجارة من محاجر طره لتجديد  
 معبد «فتاح» في منف ومعبد «امون» في الكرنك ولانشاء معابد اخرى  
 وقد وجدت جنة هذا الملك في الدبر البحري بجبل القرنة وهي الآن في  
 مخف بولاق

ومن ملوكها «انتخب الاول» ويسميه مايتيون «امنوفيس» كان  
 ملكًا عادلاً مسلمًا تزوج بابنة ملك اثيوبيا وحنانها في مخف بولاق الان

ومن ملوكها ايضاً "نخونس الاول" رغب في توسيع دائرة ملكه  
 فجعل يجارب جنوبياً وشمالاً فامتدت سلطنته الى محاجر مدينة "انبو" في  
 وسط النوبة وبتدليل على ذلك بوجود اسمه منقوشاً على حجر هناك . وقد  
 وجدت نقوش اخرى في جهات اصوان تشير الى شي من ذلك . وامتدت  
 مملكة مصر في ايام جنوبياً الى جبل "ابته" في الحبشة . وشمالاً الى اقصى اسيا  
 المعورة من ضمنها فلسطين وبابل وغيرها . اما معظم ارضه بلاد فكانت  
 من اثيوبيا التي كانت تأتي منها البضائع مشحونة في مراكب النيل الى  
 مصر وفيها الحبوب والحب والجلد والعاج والخشب والحجارة الكريمة  
 والمعادن كالذهب وغيره . ويقال ان اسم النوبة مأخوذ من "نب" اي  
 ذهب . ومن آثاره انه شاد معبد امون في الكرنك ومسنتين احدهما لا  
 تزال الى الان عند باب المعبد المذكور اما الثانية فقد ذهبت بها يد  
 الزمان .

ومنهم الملكة «حعشبو» ويسمونها مانيثون «منرس» ساست  
 الاحكام بتديير وحزم ورسمت صورتها على الآثار بهيئة رجل ذي لحية  
 ملوكية مهيبة . وقد سعت هذه الملكة الى نشر سلطتها ففتحت بلاد «يون»  
 جنوبي بلاد العرب فكانت فيثا للتجارة . وكانت تأتي منها بالخشب  
 والعطريات والصمغ والذهب والنضة والحجارة الكريمة وغير ذلك من  
 لوازم بناء الهياكل . ومن آثار هذه الملكة مسلتان نصبتما في الكرنك لم  
 تزال احدهما قائمة الى هذه الغاية عليها كتابة بالقلم المصري القديم تنيد  
 انها اقامت هاتين المسلتين تذكراً لوالدها . وكان على قمة كل منهما اكليل  
 هرمي الشكل مصنوع من الذهب المغتم من الاعداء . والمسلة الواحدة  
 قطعة واحدة مقطوعة من محاجر اصوان استغرق عملها معاً اربعة عشر  
 شهراً وارتفاع كل منها ثلاثون متراً

ومن ملوك هذه العائلة «نخونس الثالث» وهو شقيق الملكة المنقدم

ذكرها . لم يمكث الملك إلا بعد وفاتها ولم يكن راضياً بحكمها إلا رغماً عنه فلما  
تولّى محلها اسمها من أكثر الأماكن التي ذكرت فيها انتصاراتها وكتب  
اسمها مكانة لتنسب تلك الانتصارات اليه

وفي أيامه استقلت

أسيباً من سلطنة المصريين

الأغزة وضواحيها . ثم ظهر

التمرد في الشام فثار أهلها

وحرّضوا سكان شمالي

سوريا على مثل ما فعلوا .

فقاتلهم وظهر عليهم وسلبهم

مدينة حلب ومدناً أخرى

ثم سار إلى الفرات فاضع

العراق والجزيرة وبعد

انتصاره أراد أكرام جيشه

فصرح لهم أن يصطادوا

من حيوانات تلك البلاد

ما شاؤوا . وكان في جملة

صيدهم مائة وعشرون فيلاً



رأس تخونس الثالث

ش ؟

فعاد إلى مصر ظافراً . ثم لم يمض يسيراً حتى عادت أسيباً الشمالية إلى الثورة

فشتت عصا الطاعة وتمرد أهلها وتابعهم أهل الجزيرة . فعاد إلى قتالهم وما

زال حتى استظهر عليهم وعاد إلى مصر ثم خرج عليهم الزنج والعييد من

النيل الأعلى فحاربهم ونهب بلادهم وهدم مساكنهم وحرقها وقادم أسرى إلى

مصر . (انظر ش ١٠) ويقال بالأجمال إن أكثر أيام هذا الملك كانت حروباً

وشدائد ولذلك لقبه بالسلطان الأكبر . وفي متحف بولاق حجر حجي يد



من الكرنك عليه من الأعلى صورة  
الملك المذكور كأنه يقرب  
القرابين لبعض الآلهة وهم وقوف  
بين يديه ونحت ذلك كتابة  
هيروغليفيه بين نثرونظم كُتبت  
عن لسان أمون إله طيبة  
بخطابها الملك بما يشبه المدح  
والتشريط

وكان في حوزته عند وفاته  
المحبشة والنوبة والسودان والشام  
والجزيرة والعراق العربي  
وكرديستان وارمينيا وقبرس. اما  
جنته فتشاهد في دار الخف  
المصرية في بولاق. ومن آثار

نحوتمس الثالث مسلمان اقامها ش ١٠ زوج مكثفون

في المطرية حتى اذا كانت ايام الملكة كليوباترا نقلنا الى الاسكندرية وجعلنا  
امام هيكل النبصر وعرفنا بعد ذلك بمسلي كليوباترا وعليها كتابة  
هيروغليفيه كثيرة بينها اسماء نحوتمس الثالث ورعمسيس الثاني وسيتي الثاني  
ولا وجود لامع كليوباترا عليها. وفي سنة ١٨٧٧ م نقلت احداها الى  
لندرا واقامت على ضفاف النيمس ثم نقلت المسلة الاخرى الى اميركا بعد  
حين

ومن ملوكها الملك « امنوفيس الثاني » استلم زمام الاحكام وسلطة  
مصر منتشرة في اقاصي الارض فاجتهد في حفظها الا ان اشور نظراً لبعدها من  
مصر ثارت واستالت اليها ما حولها من المدن فجهز اليها امنوفيس وما زال

بجار بها ومن تابعها نحواً من سنتين كان يتردد اثناهما بين العراق والجزيرة  
وأكساد. واخبراً عاد الى مصر بجرّاً غانماً ظافراً. وفي حملة ما جاء به من  
الغنائم سبع جثث ممن قتلهم في تلك الحملة فعلق سناً منها على سور طيبة.  
وهذا الملك رسم منقوش على مقبرة في القرنة هو فيه على هيئة ملك عظيم  
الشأن جالس على كرسي قد نقش على قاعدته اسماء البلاد الخاضعة له

ومن ملوكها ايضاً الملك «نخونس الرابع» ومن اعماله اعادة عبادة  
الشمس الى مصر. فكرم ابا الهول المرموز به عنها. ومن يزر هذا التمثال  
العظيم في الجيزة ير في صدره لوحاً ارتفاعه اربع عشرة قدماً انكليزية في  
اعلاه الى اليمين رسم هذا الملك يقدم العبادة لابي الهول والى اليسار رسم  
الشمس. وبلي ذلك نقوش كناية تبيّن ان ذلك الملك لم يبق شيئاً في  
تحسين مدينتي منف والمطرية واعطاء المرتبات المقررة للمعابد او لانشاء  
الهيكل والتمثيل والمعبودات وكان ملكاً قوياً مهيباً

ومن ملوكها ايضاً «امنوفيس الثالث» لما نوبى الاحكام كانت  
حدود مملكة مصر ممتدة شمالاً الى نهر الفرات وجنوباً الى جة ولكثرة  
شهرة في الاقطار الغربية دعاه اليونان باليمنون. وله تمثال عظيم في طيبة  
مشهور بهذا الاسم. وقد كثرت في ايامه القلاقل والفتن فسعى الى اخمادها  
بعزم ونشاط وكان ذا وقار ومهابة وفي الحروب باسلاً مقداماً. كل ذلك  
تراه مكتوباً نقشاً على تاج هيكل الاقصر لانه جدد فيه قسماً عظيماً. وكان  
يلقب نسة بسلطان البرين وامير العالمين (يريد عالمي اسيا وافريقيا)  
وكان حسن السياسة فزادت مصر في ايامه سطوة ومملكها اتساعاً

ومن آثاره هيكل في «نبته» جعل في الطريق الى باب صين من  
الكباش الراقدة على مثال ابي الهول وحسن معبد نخونس الثالث في سولين  
بين الشلال الثاني والثالث وشاد هيكلًا غربي الكرنك خدمة للمعبد  
أمون. وهناك اصلاحات اخرى اجراها في هيكل ومعبودات اصوان

وجزيرتها وجبل السلسلة وغيرها . وإنشأ على ضفة النيل الغربية تجاه الأقصر  
معبداً طالما كان من اعظم الآثار القديمة اما الآن فقد اصبح خراباً لاسباب  
لا نعلمها الاًصميين كبيرين كانا على بابه ولا يزالان قائمين رغماً عن مصادمة  
الايام ويعرفان بشامة وطامة وكل منها تمثال امنوفيس الثالث كما



ترى في الشكل الحادي عشر . وبقياً الى سنة ٥٩٥  
قبل الهجرة ولم ينتبه اليها حتى حصلت زلزلة  
استطعت جزء احدها الأعلى وبقيت قاعدته في  
مكانها فلوحظ ان هذه القاعدة اذا سقط عليها  
الندى ثم اشرقت عليها الشمس اخرجت صوتاً  
يستمر مدةً فجعوا يقولون في شأنه اقوالاً شتى اكثرها

مبني على الوهم والخرافات . ثم اهتم القوم باعادة  
الجزء الساقط الى قاعدته فاعادوه وملطوا مكان  
الاتحام جيداً فلم يعد يسمع له صوتٌ فعلوا ان  
ذلك الصوت كان يحدث من تأثير اشعة الشمس على نقط الندى بعد  
تظليلها جسم ذلك الحجر

ومن ملوكها ايضاً الملك « امنوفيس الرابع » رغب في عبادة الشمس  
فابتنى في محل تل العمادة على مقربة من المنيا مدينة جديدة جعلها سريراً  
لملكه بدلاً من طيبة ونقل اليها معبود قرص الشمس وبناه ( آتن ) على  
مثال اله اليهود ( ادوناي ) اقامة في معبد ابتناءً من اجله . وقد نقبوا  
مؤخراً اطلال تلك المدينة فوجدوا بينها بقية ذلك المعبد على دهليزين  
وسنة اعمدة مدرجة الوضع يظهر انها كانت منصوبة في صحه وشاهدوا على  
جدرانها رسم الشمس مشرقة على الملك ورجاله وهم وقوف يقربون القرابين  
اليها وبين اشعتها ايدٍ ممتدة كأنها تنثر الحياة على الخلوقات وحول هذه  
الرسوم ادعية وقصائد كان يتلوها المرتلون على نغمات الاوتار . وعلى

ش ١١ امنوفيس الثالث

جدران الهيكل ايضاً رسم هذا الملك ورجاله على هيئة غير مصرية .  
 وشاهد ايضاً في مقبرة بثل العادنة نقوش بينها صورة الملك واقفاً على عربته  
 الحربية ومجانبه بنائه السبع بقائلاً معه وله آثار في سوليب وهيكل ومسألة  
 بمدينة طيبة .

ومن ملوكها ايضاً الملك « حور محب » وهو من اقارب « امنوفيس  
 الرابع » ثارت عليه الرعية عند اول حكمه فارضاه بمحو عبادة الشمس  
 وهدم معبدها والمدينة جميعها واعادة الديانة المصرية القديمة . ولما خمدت  
 الثورة بنى الوجهة الرابعة من معبد الكرنك . وفي ايامه خرجت اسيا من  
 سلطة المصريين وما زالت كذلك الى ان جاءت العائلة التاسعة عشرة

### العائلة التاسعة عشرة الطيبية

حكمت من سنة ٢٠٨٤ - ١٩١٠ ق ه او من ١٤٦٢ - ١٢٨٨

ق م وعدد ملوكها ٨

اول ملوكها « رعسيس الاول » ولم يتحقق حتى الآن انه كان مصري  
 المولد او اسويدي نبواً كرسي الملك شيخاً وكانت الملكة المصرية تنبئ  
 لخروج معظم ابا لانها من طاعتها على أثر الحرب الدينية فجدد شبابه  
 ونهض للجهاد فخارب الاثيوبيين والحبشيين وكانوا امة عظيمة تحتها عدة  
 طوائف قد تحالفوا معاً على قتال المصريين . ويقال ان هذا الملك هو  
 اول من ناهض الحبشيين واخترق بلادهم وجال في اصقاعهم حتى ضفاف  
 نهر العاص

وخلفه ابنه « سبتي الاول » فسعى سعياً جميلاً لتوسيع مملكته فغزا  
 بعضاً من بلاد اسيا الغربية . ذلك ما يستفاد مما كتب على هيكل الكرنك



ش ١٢ اسرى الحبشيين

فغزا غزوات عديدة الى الشام والعراق وغيرها ففتح بلاداً تمتد من جنوبي  
 الشام الى ارمينيا . وقد كانت قبلاً لا يطلب منها الا جزية تدفعها وحكامها  
 من ابناءها . اما هذه المرة فادخل اهلها في طاعته وجعل عليهم حكماً من  
 امرائه واحاطهم بنقط حصينة كغزة وعسقلان جعل فيها حاميات من  
 رجاله فأمّن طغيانهم الا ما جاور الفرات فانه عجز عن ابقائه في حوزته  
 وعرضه الجزية والعراق ولم يعد قادراً على مقاومتها فوقف عند حده  
 ولذلك كانت فتوحاته كبيرة في الظاهر حقيرة في الباطن . ولما عاد من  
 تلك المحاربات جعل يمكن العلاقات مع ابالانوه بواسطة النقط العسكرية  
 التي كان قد جعلها فيها فزاد الارتباط بين المصريين والامم المتخابة ولا سيما  
 الكنعانيين فادخل المصريون معبود الكنعانيين ( بعلا ) في عداد معبوداتهم  
 ومثلوه بالشمس وكان لهذا المعبود زوجة اسمها ( اسنارته ) مثلوها بالقمح  
 واتخذوا من اسبا ايضاً آلهة اخرى

ومن آثار هذا الملك هيكل في القرنة واخر في رداسية واخر في العراية  
 المدفونة وقد نحت اعمدة كثيرة اقامها في النوبة وحجراً جعله في اصوان .  
 وفتح ترعة بين النيل والبحر الاحمر تبتدى من تل بسطة وتجري شرقاً في  
 وادي الطلمات الى ان تصب في البحيرات المرة وهي خط دفاع شرقي مصر  
 وشاد محراباً في القرنة وفتح طريقاً للقافلة بين قرية رداسية باقليم  
 اسنا ومعدن الذهب بجبل انوكي حيث اصطنع عمياً صناعية بنجر

منها الماء غريباً . وإصلح الغار الذي في بني حسان للمعبودة « بشت »  
 ويعرف الآن بغار « انيميدس » وأخيراً بنى لنفسه ضريحاً في بيسان الملوك  
 يعجب له كل من عابته لدقة صنعها ولما فيه من المناظر الفلكية البديعة  
 ومن ملوك هذه العائلة « رعمسيس الثاني » المشهور باسم  
 « سينوسترس » ويقال له « رعمسيس الأكبر » لأنه في الواقع اعظم  
 وأشد من ملك مصر حكمةً وبطشاً . حكم مدة طويلة كلها فتوحات  
 وحرروب ومبان ونقوش فلا يكاد يوجد اثر من الآثار المصرية القديمة  
 إلا وعليه اسمه ورسمه . وفي الملك صغيراً فسبب معتاداً على الاعمال السياسية  
 وكان متوقد الذهن وفيه فطنة ونباهة منذ حدثه . ولما توفي والده قام  
 باعباء الملك بنفسه فاخذ في توسيع نطاقه بالفتوحات . وأول غارة شنّها  
 كانت على الشام فسار بجيشه وما بلغ نهر الكلب بقرب بيروت حتى خمدت  
 الفتنة فعاد الى مصر تاركاً اثراً منقوشاً على صخر هناك . وفي السنة الرابعة  
 من حكمه ثار عليه سكان شمالي اسيا وهم الحثيون وكاتي وكركاميش وكوش  
 وكانوا اقواماً من الشجاعة على جانب عظيم فانضموا لمعاربته وساروا جميعاً  
 حتى وادي الارونط بقرب حدود مصر في ذلك العهد . فبلغ رعمسيس  
 خبرهم فجمع اليه امراءه ورجال دولته وقواده وجوده وسار في مقدمتهم  
 وما زالوا يخترقون سوريا حتى اتوا نهر العاص قرب مدينة قادس . فإذ  
 هي على جانب من المنعة ففرّق رجاله فرقاً في نقط معينة ثم سار في حاشيته  
 منفرداً فلقبه جواسيس الحثيين فاغروا على التقدم نحو المدينة فسار في  
 حاشيته تاركاً جيشه في اماكنهم فلما اقترب من المدينة علم انها دسيسة اوقع  
 فيها فالتمت واذا بهركبات الحثيين حوله لاعدادها فلما رأى ذلك رجال  
 حاشيته طلبوا النجاة بانفسهم وبني رعمسيس وحده فاستجد الله وهاجم  
 الحثيين بمفرده على مركبته ففرّقهم وفاز بهم وبعد سير عاد اليه رجال  
 حاشيته وقد كادوا يذوبون خجلاً لما كان من فرارهم اما هو فاكتفى بتويعهم



ش ١٢ رمسيس الثاني يقاتل الحثيين

ثم اجتمع نبيشو ثانية وهاجم العدو فهزمه وانتهى الامر بعقد معاهدة بينه وبينهم ثم هم بالجلاء من اسيا . وبينما هو في طريقه الى مصر ثار عليه الكنعانيون وانضم اليهم الحثيون ناقضين العهد وثار غيرهم معهم فاصبح جميع من قطن ما بين ضفاف الفرات وضايف النيل يقاتلون المصريين الا اهل اسيا الصغرى فانهم هجروا اوطانهم ولم يظهروا للقتال . وما زالت هذه الحروب متواصلة يظلمها هذات وفترات من خمس عشرة سنة فاستولى رمسيس على مدينتي تابور وميروم وقلعة اورشليم وعسقلان . ثم سار شمالا وقاتل هناك حتى اخذ من الحثيين مدينتين وجد في احدهما الان تمثالة وما زالت الحرب سجالاتا حتى اضطر ملك الحثيين الى المصالحة فطلبها فقبل رمسيس وذلك في السنة الحادية والعشرين من حكمه ففقدوا معاهدة كتبت اولاً بلغة الحثيين ثم نقشت على لوح من فضة وقدمت الى رمسيس ومنادها ان

الحثيين يتعهدون انهم لن يعودوا بعد ذلك الى حمل السلاح ضد  
المصريين وعلى مثل ذلك يتعهد المصريون وان يكون الفريقان متحالزين  
الى الابد وجعلوا في وسط لوح النضة وعلى جانبيه الأعلى صورة تمثال (ست)  
معبود المصريين معانقاً لتمثال (خيتا) معبود الحثيين . وما زالت هذه  
المعاهدة مرعوبة مدة ست واربعين سنة كانت الراحة اثناءها مستتبة ونصاهر  
الملكان توطبئاً للعلاقات الودية فاصبح المصريون والحثيون قلباً واحداً  
وبعد التوقيع على المعاهدة يسير دعا رعمسيس الثاني ملك الحثيين لزيارته  
الى مصر فزاره فآكرم مثواه

ولما سكنت الحروب اخذ رعمسيس في تشييد المباني فشاد في كل  
مدينة معبداً وتم معبد القرنة في الاقصر وكان قد شرع فيه ابوه . ومن آثاره  
ايضاً هيكل بناء في شرقي الشجع عبد القرنة بطيبة سماه شاميليون «رامسيون»  
منقوش فيه تناصيل احدى وقعاته ومنها معابد في العراة المدفونة ومنف  
ونل بسطة وغيرها وأسس في الوجه البحري مدناً عديدة دعاها باسمه .  
وكان لهذا الملك العظيم في قلوب رعيته من المحبة الى حد الشغف وكان  
لم يفيو من الثقة الى حد العبادة . ولما مات دُفن في مقبرة ببيان الملوك ثم  
نقل الى الاقصر لاسباب غير معلومة . ثم نقل الى متحف بولاق وهو هناك  
الى هذه الغاية .

ومن ملوك هذه العائلة «منتاح الاول» ابن رعمسيس الثاني أتبع  
خطوات ابيه فجعل يزيد في بنايات الذلنا وتحسينها ثم ناو عليه اهل اسيا  
الصغرى وطائفة الليبيين فانذروا اليه بوارجمهم في البحر المتوسط الى سواحل  
ليبيا مملوءة بالعدو والرجال من قبائل مختلفة وما زالوا حتى اتوا السواحل  
المصرية ودخلوها من غربي الذلنا كل ذلك والمصريون لا يبدون حراكاً  
الا اذا كان للتسليم ولم يمض كثير حتى اصبح معظم الوجه البحري في ذمة  
اولئك الوافدين . فلما علم منتاح بذلك تجدد في منف وارسل فرقة من

فرسانه لمقاومة العدو ثم أمر بتحصين جميع المراكز الواقعة على ضفتي فرع رشيد . فتناقل الليبيون فانفذ اليهم فرقة شنتهم وعاد المصريون فائزين غائبين بعد ان احرقوا معسكر العدو فعاد الأمن الى بلادهم . ويقال ان الاسرائيليين هاجروا مصري في ايام هذا الملك ولم على ذلك أدلة أعرضنا عن ذكرها لضيق المقام

### العائلة العشرون الطيبية (وتسمى الرعميسية)

حكمت من سنة ١٩١٠ - ١٧٢٢ ق ٥ او من ١٢٨٨ - ١١١٠ ق م  
وعدد ملوكها ١٢  
من ملوكها «رعميس الثالث» وهو اخر من اشهر من ملوك مصر القديما  
وفي اول حكمه غارت عليه اهل البدوة فتهددوا استعكامات الذلنا  
واهانوا العملة الذين كانوا يستخرجون المعادن من جبل الطور . وخرجت  
ولايات الشام من طاعته وسطا الليبيون على ارضه فاحتلوا بعضاً من  
الذلنا من جهة الغرب  
فلما علم رعميس بما كان من تلك الوقاحة سار في جيش من رجاله  
على البدو فهزمهم ثم على الليبيين فاقلمهم من محنتهم فعادوا على اعقابهم  
خاسرين . فلما علم اهل اسيا الصغرى والجزائر اليونانية بما كان جردوا  
جيوشهم متحاذين على محاربة رعميس وما زالوا حتى أتوا الذلنا فلاقتهم  
الجيوش المصرية عند مصاب النيل بقلوب لا تهاب الموت وفي مقدمتهم  
رعميس الثالث غير مبال بما كان حوله من الأسهم المتساقطة عليه من  
كل الانحاء . وما زالت الحرب سجالاً الى ان فاز المصريون فوزاً تاماً .  
ولهذه المعركة العظيمة رسم منتوش على جانب الحوش الاوّل من مباني  
مدينة (ابو) بهلية . واستتببت الراحة في ديار مصر بعد ذلك نحو

سنتين ثم عاد الليبيون الى الثورة ثانية وضموا اليهم بعضاً من القبائل  
المجاورة لبلادهم واغاروا على مصر من غربيها فقاتلهم المصريون بذبات  
فانتهت الحرب بنصرة المصريين كل ذلك منقوش في مدينة ( ابو ) بطيبة  
ايضاً . فاضطر الليبيون بعد المعركة الثانية الى رعاية حقوق مصر عليهم  
فرضوا لها صاغرين . ثم دخل في ذمة المصريين ايضاً اهل الشام وسكان  
سيسيليا وغيرهم من الامم المتعاهدات فاصبحت مصر دولة مهابة واسعة النطاق  
واستعز رعمسيس بالملك . الا انه لم ينج من بعض المتاعب الداخلية لان  
اخاه ارمانيس كان يسعى اليه بدسيسة يذهب بها حياته ولم ينج فعلم  
رعمسيس بذلك فأتى باخيه ومن شاركه وبعد تحققه ارتكابهم جازى كل  
منهم بما فعل فصنعة الدهر فجعل يجدد المباني فبنى في مدينة ( ابو )  
قصرًا كبيرًا نقش على جدرانها ما كان من محارباته ووسع معبد الكرنك  
واصلح هيكل الأقصر وغيره من مباني الوجه البحري وكاثت التجارة في ايامه  
رائجة منته الاطراف

وتلا هذا الملك ملوك اخر من هذه العائلة يعرفون برعمسيس الرابع  
والخامس الخ ويقال بالاجمال ان سطوة مصر اخذت بالسقوط في ايامهم  
الواحد بعد الاخر الى ايام رعمسيس الثالث عشر وهو اخر من ملك من  
هذه العائلة فاذا بمصر في ايامه منكسرة الشوكة محصورة الحدود يتهددها  
الاعداء يريدون النهامها فكانت غنيمة لاحد كهنتها الذي يدعى ( جرحور )  
وهو أول من ملك من العائلة الحادية والعشرين

### العائلة الحادية والعشرون الطيبة والطينية

حكمت من سنة ١٧٢٢ - ١٦٠٢ ق هـ او من ١١١٠ - ٩٨٠ ق م

وعدد ملوكها ٤

اولم الكاهن (حرحور) اخلس الحكم اخلاسا من العائلة الرعمسية  
 على اسلوب دني منقوش على هيكل (خونسو) بطيبة ثم نفي من نفي من  
 العائلة المذكورة الى الواحات في وسط الصحراء الكبرى  
 وتولى بعد ابنه الكاهن (يعنخي) وليس له ما يذكر به سوى انه تزوج  
 بابنة ملك الشام

ثم تولى بعد ابنه الكاهن "بينوزم الاول" وفي سنة ٢٥ من حكمه  
 قامت فتنة بين اهالي الوجه القبلي واهالي الوجه البحري بسبب نفي العائلة  
 الرعمسية وانتهت باستدعاء اولئك المنفيين من الواحات الى طيبة  
 وفي ايامه اتى النمرود بجيشه من اشور متظاهراً بالدفاع عن العائلة  
 الرعمسية وانما كان قصده الاستيلاء على البلاد المصرية فتحقت آماله  
 واخذها عنوة وضمها الى بلاده ثم توفي النمرود ودفنته امة في العرابة المدفونة  
 وجعلت لمدفنيه المرتبات المعتادة وتولى بعده ابنه (ششقي) على مصر  
 واشور واتخذ مدينة (تائيس) سريراً لملكه وسأني ذكره في الكلام على  
 العائلة الثانية والعشرين

### العائلة الثانية والعشرون البسطية

حكمت من سنة ١٦٠٢ - ١٤٢٢ ق م او من ٩٨٠ - ٨١٠ ق م  
 سميت بسطية لان قاعدة ملكها كانت في نل بسطة بالشرقية قرب  
 الزقازيق وعدد ملوكها تسعة ومن حكمهم ١٧٠ سنة  
 اول ملوكها الملك «ششقي الاول» ويدعى في النوراة شيشاق وهو  
 سامي الاصل ابن النمرود كما تقدم - وولد في مصر ونشأ فيها ولما استتب  
 للمقام في عاصمته سار الى العرابة المدفونة لزيارة قبر ابيه فوجد خدمة القبر  
 قد تبسوا ما كان في المعبد من الامتعة النضبة فأمر بقتلهم بعد ان سار الى

طيبة واستشار معبودها «امن رع» بذلك . واعاد الى المعبد من يهوذا  
ورسب للخدمة مرتباتهم . كل ذلك منقوش على حجر في العرابة المدفونة  
ومن اعمال هذا الملك انه سار الى فلسطين ووضع يد على اموال  
المسجد الاقصى الذي بناه سليمان الحكيم وعلى اموال النصور الملوكة وفيها  
الدروع السلطانية الذهبية المشهورة ثم سار الى الاسرائيليين فسلموا له الفلاح  
بغير قتال . وبعد عودته من هذه الغزوة نقش صورته على الجدار القبلي  
لهيكل الكرنك بالقرب من ايوان البسايطه الذي أسسه هو وبجانب



صورته اسماء المدن التي افتتحها مكتوبة  
في ست وتسعين منزلة ورسم صور الملوك  
الذين اصبحوا تحت حكمه وفي جملتهم  
الملك رحبعام ابن سليمان مكتوف  
اليدين وراء ظهره وفي عنقه حبل كما  
ترى في الشكل الرابع عشر اما الكتابة  
الهبروغليفيه التي على الرسم فهي لقب  
رحبعام «ملك يهوذا» . وبني عمارات  
كثيرة في طيبة بحجارة من جبل السلسلة  
من اعظامها الايوان المتقدم ذكره ولا  
تزال آثاره باقية الى هذا العهد قبلي  
هيكل رعمسيس الثالث ويعرف هذا  
الايوان عند علماء اللغة الهبروغليفيه  
بايوان البسايطه وتوفي بعد ان حكم

٢١ سنة

وتولى بعده ابنه «اوسوركون» ش ١٤ ملك يهوذا

الاول» وليس له آثار تذكر وخاف هذا ثلاثة ملوك ليس لدينا شيء من

اخبارهم . ثم تولى الملك « تاكلوت الثاني » وله لوح حجرى في رواق البسايطة بالكرنك منقوش عاينه بالقلم الهيروغليفي شئى من سيرته وفي ابامو صنعت شوكة مصر فعصنها اعمالها واستقلت في سلطنتها . فاصبحت مصر حرة وقد نذرت نودها ولا شئى من العز والمنة فيها . ثم تولى بعد هذا « ششنى الثالث » « اوربهاي » « وششنى الرابع » وفي عهدهم تجزأت مصر الى اعمال متفرقة على كل منها حاكم ليبي تحت ادارتهم فاستبدت اولئك الحكام ونغافل عنهم ملوكهم فزادوا فجوراً وما زالوا حتى ازالوا سلطة اولئك واخذوا الملك من ايديهم ولقبوا انفسهم بالفراعنة ونزل الملوك الاصليون في بسطة ثم هاجروا منها خوفاً الى منف وانتهى الامر بعد موت ششنى الرابع بخروج الدولة من يدهم الى ملوك العائلة الثالثة والعشرين

### العائلة الثالثة والعشرون الطينية

حكمت من سنة ١٤٢٢ - ١٢٤٢ ق هـ او من ٨١٠ - ٧٢١ ق م وعدد ملوكها ٤  
قاعدة ملكهم « تانيس » المعروفة الان بصان في الوجه البحري بمدينة الشرقية وقد كانت عند اول استيلائهم على الوجه البحري مدينة بسطة وكانت طيبة في ايدي الاثيوبيين فتزعها منهم « بتوباستيس » وهو اول ملوك هذه العائلة . وفي ايام هذه العائلة انقسمت مصر الى عشرين اقليماً تحت كل منها اقسام يتولى القسم منها امير يرجع في معضلات احكامه الى مركز الاقليم وما زال الامر كذلك حتى ظهرت العائلة الرابعة والعشرون

### العائلة الرابعة والعشرون الصاوية

حكمت من سنة ١٤٤٢ - ١٤٢٧ ق هـ او من ٧٢١ - ٧١٥ ق م  
وعدد ملوكها ٥

اولهم «نفتخت» وكان احد امراء الاقسام المتقدم ذكرهم . فقويت  
سلطونه شيئاً فشيئاً حتى تمكن من جميع مصر قبلها وبحريها الاقليم الشرقية  
فانه تركه للعائلة الملوكية السابقة ولما علم ملك اثيوبيا بما كان جرد اليه  
جيشاً وجاربه فقهره ونقش صورة المحاربة على حجر وجد في جبل برقل ثم  
نقل الى متحف بولاق . فلما دخلت مصر في سلطنة ملك اثيوبيا واسمه  
«يعنخي» جعلها ملحقة ببلاد لكنه ابني لروسائها الامتياز وجعل «نفتخت»  
ملكاً عليهم بالاصالة وبعد بسير مات يعنخي وخلفه آخر لم يكن اهلاً  
للاحكام فحرر المصريون من سلطته فالتحق برجاله الى بلاده وفي اثناء  
ذلك مات نفتخت فتولى بعده ابنة «باكوريس» وكان قوي الادراك  
فقبها بارعاً فجعل مصر الوسطى والسفلى تحت حكمه الا ان الدهر لم يدُم له  
لان الدولة الاثيوبية اصحبت تحت سلطة ((سباقون)) فجاء مصر وافتتحها  
عنه والى باكوريس حياً في النار وموته مانت العائلة الصاوية وامست  
مصر ايلة اثيوبية

### العائلة الخامسة والعشرون الاثيوبية

حكمت من سنة ١٢٢٧ - ١٢٨٧ ق هـ او من ٧١٥ - ٦٦٥ ق م  
وعدد ملوكها ٤

اولهم «سباقون» المتقدم ذكره نولى زمام مصر وجعل لنفسه القاب  
 الفراعنة واخذ بيت النظام في البلاد ويحسن سياستها فابق كل رئيس على  
 اقليبه مع حفظ نفوذه عليهم جميعاً بمراقبة امراء اثيوبين . ثم شاد الجسور  
 واحفر الترغ حرصاً على البلاد ان يمسا غرق او شرق ورم كثيراً من  
 المعابد واستبدل عنفة القتل بالاشغال الشاقة فاكتسب ثقة المصريين  
 واشهر بالرافة وحسن التدبير

الآن ذلك لم يدم له لان مملكة اشور كانت في ذلك العهد قد  
 امتدت سطوتها على النينقيين والاسرائيليين والفلسطينيين ورغب هولاء  
 في التخلص من نير الاشوريين فاجتمعوا على ان يستنصروا «سباقون» في  
 ذلك . فانتد هوشع ملك اسرائيل اليه هدايا فاخرة وسأله التحالف معه  
 على «شلتنصر» ملك الاشوريين فاجابه سباقون الى طلبه طبعاً منه  
 بالحصول على ما كان لاسلافه من ملوك مصر العظام . فبلغ خبر تلك  
 المعاهدة مسامع شلتنصر فاحمال على هوشع حتى أسره وفاجأ قومه بالشجوم  
 فظهر عليهم فاعترفوا له بالسيادة بعد ان قنطوا من مساعدة سباقون . ثم  
 سار «شلتنصر» الى السامرة وحاصرها لكنه مات قبل افتتاحها وكان  
 اخرا بناء العائلة الملوكية الاشورية . فاقم مكانه «سرجون» رئيس  
 قواده فاقنطى به وسار على خطواته فاتم فتح السامرة ثم سار الى فلسطين  
 وقتل الملك «يهويد» احد المتحالفين مع سباقون . فلما رأى سباقون  
 ذلك خاف على بلاده فتقدم بجنوده الى الشام لرد «سرجون» بعد ان  
 انضم اليه «حانون» ملك غزة احد المتحالفين فالتبها بجيوش الاشوريين  
 في مدينة رافيا واتشبت الحرب بين الفريقين فانهزمت الجيوش المصرية  
 والشامية وأخذ «حانون» اسيراً ونجا سباقون فضل في الصحراء الى ان  
 وجد من اهداه الى طريق مصر . فكانت هذه المعاربة امثلة له لكي  
 لا يطمع فيما هو عاجز عن نواله . ولم يكن ذلك كل شغائه فانه بعد هذه

الهزيمة نار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسة اسطيناينيس احد اقرباء الملك « باكوريس » سعيًا الى اصلاح شؤون البلاد فانهمز سباقون الى الصعيد واستقل باكوريس بالوجه البحري لكنه لم ترحم قدمه حتى انقسمت حكومته على نفسها وقام النزاع بين فئتين من طالبي السيادة وفي اثناء ذلك توفي « سباقون » وخلفه ابنه « سينون » فاغنم فرصة الانشقاق وحارب الوجه البحري واستولى عليه . وهذا ما لبث ان ثبتت قدمه حتى قتله « طهراق » وتولى مكانه

اما « طهراق » هذا فكان رجلاً محارباً نزع مدينة منف من « اسطيناينيس » ثم جاءه ملك اشور (اشوراخي الدين) فاتحاً فنزح طهراق الى النوبة واستولى ملك اشور على منف وطيبة ونهب امتهة هياكلها وقسوسها وارسلها الى بلاده لتحفظ تذكارة لتلك الغلبة . ثم اشتغل في اصلاح شؤون مصر فاعاد رؤساء الاقاليم كما كانوا كل واحد في اقليمه وضرب عليهم الجزية وبعد ان تم له ذلك سار الى « نينوى » تاركاً بعض جنوده حامية في قلاعه خوفاً من عائلة الاثيوبيين فمر اثناء الطريق بنهر الكلب قرب مدينة يبروت فنفس على الحجر الذي كان نصبه رعسيس الثاني نفوساً كثيرة بين فيها فتكته بالمصريين والاثيوبيين

وفي سنة ٦٦٩ ق م اغنم طهراق فرصة مرض اشوراخي الدين وهاجم المصريون لاسترجاع البلاد اليه فلما علم اشوراخي الدين بذلك وعلم بعجزه عن الدفاع تنازل عن الملك لابنه الاكبر « اشور بانال » . فسار هذا الى مصر واخرج منها الاثيوبيين واعاد السلطة لرؤساء الاقاليم وعاد الى وطنه . فعاد طهراق الى مشروعه فتحالف مع المصريين سرّاً على ان يعضدوه فيما يريد فعلم ملك اشور بذلك فقبض على الخائنين من رؤساء الاقاليم وقادهم اليه اسرى الا ان ذلك لم يمنع طهراق مما اراد فجمع على مصر واستولى على منف وطيبة وابطل عبادة الصنم « ايبس » منها . اما

ملك اشور فجعل يقرب منه رؤساء الاقاليم المأسورين عنده استجلاًياً  
 لرضاهم وطلباً لمساعدتهم فخلع عليهم واكثر من اكرامهم وارسلهم الى مصر  
 فاخذوا الوجه البحري ثم القلي ثم ما زالت مصر يتناوبها الاشوريون  
 والاثيويون حتى انتهى الامر باغضاء الاشوريين عن تملكها لما يقضي لذلك  
 من المشقة فدخلت في سلطنة "نوان ميامون" ملك اثيوبيا بدون كبير مشقة  
 وترى كيفية استيلائه مكتوبة بالهيروغليف نقشاً على حجر وجد في اطلال  
 مدينة "نبتة" بجبل رقل وهو محفوظ في متحف بولاق الآن

### العائلة السادسة والعشرون الصاوية

حكمت من ١٢٨٧-١١٤٩ قهاو ٦٦٥-٥٢٧ قم وعدد ملوكها ٦٦  
 اولهم «بسامتيك الاول» استولى على الوجه البحري والقلي حتى  
 الشمال الاول وكان اجنبياً ليس من العصبة الملوكية بشي الا انه اقترن  
 بابنة من العائلة الملوكية فاكتسب حق التملك بواسطتها . فتولى الملك  
 ومصر ثن ضعفاً وقنوطاً لما قاسته من الحروب التي نالت عليها اعواماً  
 بين الاشوريين والاثيويين فأخذ في احياء ربوعها واعادة رونقها اليها  
 فبنى المعابد في منف ووجهات معبد فتاح وفتح فيها طرقاً على عمد  
 عديدة وبنى القاعة الكبيرة التي كانوا يعلقون فيها العجل «ايس» ورم  
 ما كان منهدماً من معبد الكرنك . وباشر جميع هذه الاعمال دفعة واحدة  
 فاصبحت مصر كأنها معمل عظيم للبناء والترميم ونشط على الخصوص  
 صناعة الحجر والنقش فبلغت اوجاً رفيعاً . ثم نظر الى مناعة البلاد فراها  
 محاطة باعداء كثيرين اشد بأساً منها كالاشوريين والاثيويين فأخذ في  
 تحصينها فبنى القلاع والحصون في مضائق طرق الشام من الشرق وفي

ضواحي بركة المنزلة وفي مدينة دفنة بالقرب من « نسال » لمنع اغارة  
 الاشوريين وحصن اصوان لدفع الاثيوبيين  
 على انه عمد بعد الاكفاء بالدفاع الى الهجوم فهاجم الاثيوبيين  
 وحاربهم فظهر عليهم ثم سار الى الشام فاستولى على فلسطين واخذ مدينة  
 اشدود من الكنعانيين ثم عاد الى بلاده قانعاً بما اوتيه من النصر وفي ايامه  
 كثير تردد الاجانب الى مصر وفيهم اليونان فكان يكرم مشواهم ويقطعهم  
 من بلاده على سواحل بحر طينة ما يبتنون فيه معاقل ويؤتا يقيمون فيها  
 اما اليونان فاعجبهم مصر وطاب لهم المقام فيها فاخذوا يتعلمون علومها  
 وصنائعها واعجبهم الديانة المصرية فاصطعوا آلتهم على مثال آلهة  
 المصريين وادخلوا احداثهم المدراس المصرية فنبغوا وقام بينهم فلاسفة  
 لا تزال نستفيد من تعاليمهم الى هذا العهد ومن هؤلاء الثلاثة سولون  
 وفثاغورس وافلاطون وغيرهم وقد كان المصريون قبل ذلك العهد  
 ينظرون الى اليونان نظر الاحقار ويحذرون معاشرتهم وكانوا يبالغون  
 جداً في وجوب الابتعاد عنهم اما « بسامتيك » فكان يحبهم ويفرحهم منه  
 حتى جعل بطائفة منهم وألف ميمنة جيشه من رجالهم فاصبحت مصر في  
 قبضة يدهم فعظم ذلك على المصريين الى حد لم يمكنهم معه البناء في  
 بلادهم ولم يجيدوا سبيلاً لاشفاء ما في نفوسهم الا في المهاجرة من مواطنهم  
 ومغادرتها لاوثك النزلاء فاجتمع منهم نحو ٢٤ ألفاً وهوا بالجملاء الى  
 اثيوبيا فتبعم الملك واستعطفهم ان لا ينعلوا فأبوا فقال لهم ولين تغادرون  
 نساءكم واولادكم قالوا ايما ذهينا نجد نساء واولاداً وما زالوا حتى دخلوا  
 اثيوبيا فاستقبلهم ملكها واكرم مشواهم وادخلهم في جيشه فتأملت منهم  
 جيوش عرفت بالاسماخ اي حجاب ميسرة الملك وسام اليونان بعد ذلك  
 « انوبولس » اما « بسامتيك » فعرف بعد ذلك خطأه فاخذ في  
 اصلاحه فسعى الى انشاء الجيوش وحشدتها ولكن هببات ان تعود مصر

الى رونقها وكان الجاني على نفسه

ولما توفي نوح ابنه «نخاو الثاني» فاتم تنظيم الجيوش وكان ذا نفس  
ايمة وقمة عالية فانشأ معامل بحرية لتشييد السفن الحربية على نية افتتاح  
سواحل البحر الاحمر والمتوسط وجعل رؤساء تلك المعامل من اليونان .  
ولاح له لانعام مشروعه ان يوصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط فحضر ترعة  
امتدادها اربع مراحل بحرية وعرضها بسع سنينتين اولها مدينة بسطة  
بقرب الزقازيق واخرها بركة التماسح لان البحر الاحمر كان على مقربة  
من تلك الجهة وكان قد سبقه الى هذا المشروع (حسب ظن بعضهم)  
ملوك العائلة العشرين ففعلوا هذه التربة لكنها سدت بعد ذلك بالرمال .  
وساى امامك كلام منصل عن تاريخ الوسائل التي اتخذت لا يصال  
البحرين عند الكلام على ترعة السويس في هذا الكتاب

ثم سار نخاو بجيش لافتح فلسطين وافتتح معها اكثر البلاد في طريقه  
اليها وكانت تحت سلطة الاشوريين ولما عاد الى مصر كافأ من كان في  
عساكره من اليونان

ثم ان ملك الاشوريين «نبوخذ نصر» ارسل ابنه بختنصر في جيش  
لاسترجاع فلسطين والشام من المصريين فسار ولم يبلغ مقصوده حتى بلغه  
موت ابيه فعاد الى بابل مسرعاً بعد ان استرجع الشام . وحاول «نخاو  
الثاني» بعد ذلك الاستيلاء على بلاد الشام ثانية فلم يستطع

ثم توفي وخلفه ابنه «بسامنيك الثاني» وهذا لم تطل ايام حياته فخلفته  
«وح ابرع» وهو الذي استجد به «صدقيا» ملك اليهود على محاربة  
بختنصر ملك بابل في عصر ارميا النبي فسارت جيوش مصر وما لبثت حتى  
عادت منهزمة فاستولى الاشوريون على اليهود فالتجأت اليهود الى مصر  
فاقطعهم ملكها ارضاً بقرب دفنة فانتشروا في مجدل ومنف وبعضهم  
سكن الصعيد

وبخنتصر لما استولى على الشام طمع بصر فجاهها مهاجماً وقتل ملكها واستولى عليها وأقام فيها عاملاً من أمراءه وعاد إلى بلاده وساق معه جميع من كان في مصر من العملاء إلا أن هيرودوس المؤرخ يقول خلاف ذلك ثم حكم مصر الملك «أموزيس» وهذا كان في خشية من غارات الفرس على بلاده ولذلك كان يجاذرهم لقوتهم على أنه لم ينح من غائلهم فسلبوه بعضاً من بلاده لكنه بالسياسة وحسن التدبير أمن من اغارتم على كرسي ملكه فارتاحت مصر في أيامه فاقام فيها البيات والمعابد والمسلات واتسعت التجارة ولا سيما مع اليونان فانهم كانوا من البارعين فيها فزاد عددهم في مصر حتى بلغ ٢٠٠ الف نفس فاعطاهم أموزيس أرضاً اجتمعوا فيها يوناناً لهم بالغوا في ائقان بنائها فاصبحت مدينة من اجمل مدن مصر ثم جعلوا يحصونها وبعد يسير سنوا لانفسهم قانوناً مخصوصاً . وكانت تجارة مصر في ايديهم فاتسعت وابتاعها اتسعت شهرة مصر فقطع الناس فيها فانها الطلاب من كل الجهات بين فلاسفة وتجار واجناد . ثم رأى «أموزيس» من الحكمة ان يتحالف مع ائبنا لعلها تنبده ضد ملك فارس ففعل وتم التحالف

وفي اثناء ذلك مات «كيروس» ملك فارس فقام ابنه «كمبيز» مكانه وكانت مطامعه لا تزال قوية في مصر فأخذ منذ توليته الملك يسعى في هذا السبيل فاستكشف انسب طريق يؤدي إلى وادي النيل براً ولزيادة التأمين عقد معاهدات مع القبائل البدوية التي في طريقه ليجدوه بالمال الذي يحتاج اليورجاله وبنائه على هذه المعاهدات سارت الجيوش النارية وما زالوا حتى نزلوا امام طيبة فبلغهم ان «أموزيس» توفي وتولى مكانه «بسامتيك الثالث» وهذا جهز جيوشه وعساكره عند طيبة لدفع الفرس فحصلت موقعة كبرى وكان الفرس لشدة مكرم قد جعلوا امام جيوشهم عدداً عظيماً من الفسطط والبراة وغيرها من الحيوانات المقدسة عند المصريين

فذهب هؤلاء ولم يجسروا على رمي السهام مخافة ان تصيب تلك الحيوانات المقدسة فلم يكن لديهم الا الفرار ففرّوا الى منف . فارسل اليهم "كمبيز" رسلا في مركب يطلب اليهم التسليم فخرج المصريون الى ذلك المركب وكسروه اربا وقتلوا من كان فيه جميعا فاستنشاط كمبيز غضبا وانتقاما فسار بجيشه الى منف وفتحها عنوة وقبض على بسامتيك وقيده واهانه واودعه السجن ومن معه وكان بسامتيك صبورا فاحضل كل ذلك ولم يبد نضجرا فعجب كمبيز لصبره ثم اتفق بينا كان بسامتيك جالسا في السجن مقيدا وكمبيز بجانبه اذ مر به احد ندمائه السالفين مترددا بثوب خلق فتأفف بسامتيك وضع يده على جبهته متأسفا فقال له كمبيز مالك تنأسف وتناؤف الآن وقد احتملت منا اهانة عظيمة ولم تبد اثناها اسفا . فقال انما انأسف على حالة هذا الرجل فانه كان في عز وقد اصبح كما ترى والرجل اذا حلت به المصائب ونجرد من ذات يده واهين شرفة يحق عليه الأسف فتأثر كمبيز من ذلك واسرع الى حل قيوده واعاد اليه شرفه الا انه رآه بعد ذلك يسعى ضده فامر بقتله فانتهت هذه العائلة وابتدأت العائلة السابعة والعشرون

### العائلة السابعة والعشرون

وهي الدولة الفارسية الاولى

حكمت من سنة ١١٤٩ - ١٠٢٨ ق ٥ او من ٥٢٧ - ٤٠٦ ق م

وعدد ملوكها ٧

اولم "كمبيز" المتقدم ذكره فهذا كان براعي ميل الوطنيين فابقام على ما كانوا يعبدون واعاد الى اعيانهم امتيازاتهم وحقوقهم من الاعتراف

وتلقى اسرارهم اللاموتية ليكون له الممام فيها وازاف الى اسمه القاباً فرعونية  
 وكان لفتح مصر عظيم هيبة وتأثير عند الامم المجاوزة فعملوا جميعاً الى كمبيز  
 بالهدايا والجزية عن يديهم صاغرون وجعل كمبيز مصر حصناً يستعين به  
 في فتح افريقيا . ثم جند لقرطاجنة فلم ينزها فعاد وجند الى واحات سيوى  
 فلم يرجع من رجاله مخبر

ثم طمع في اثيوبيا وكانت اذ ذلك على جانب من المنعة والثروة فارسل  
 اليها جواسيس معهم الهدايا فساروا وقدموها الى ملك اثيوبيا وكان فظناً  
 نبياً فعرف مقاصدهم لكنه اظهر استخساناً لهديتهم . ثم قال لهم وفي يده  
 قوس كبيرة "انظروا الى هذه القوس" ورمى منها سهماً وقال "خذوا هذه  
 القوس الى ملككم كمبيز واخبروه ان الانسب ان يأتي هو بفردو فقط  
 لنصل ما تحدثت به نفسه حفناً لدم العباد وهذه القوس قولوا له اني اوتيتها  
 وحدي فاذا استطاع ذلك جازله شيء ما يكفه ضميره والا فليحمد الآلهة  
 لاغصائنا عن بلاده" فلما بلغ كمبيز ذلك اخذت به سورة الغضب فجرد  
 جيشه وطلب اثيوبيا من اقرب الطرق فسار في صحراء كروسكو وهو  
 لا يدري مسافتها فعطش جيشه وجاع حتى اكل بعضهم بعضاً فاضطر الى  
 العود وفي نسه من الغيظ ما كاد يذيبه فجاء منف وكان اهله في احتفال  
 سنوي لاحد معبوداتهم فظنهم فرحين لحببته فامر بقتل كل الكهنة وشنق  
 صوف العجل "ايس" والفاء للكلاب تاكلة ثم سخر بمعبوداتهم فجعل  
 احدها فتاح على هيئة قزم زيم الخلق كما ترى في الشكل الخامس عشر  
 ونهب جميع ما كان في المدافن القديمة وزاد فجوره حتى قتل اخنة  
 وغيرها ممن هم بريئو الساحة وهو مشهور بالفسوة والعسف . وبقي على  
 كرسي الملك ثلاث سنوات ثم قتله شعبة

وتولى بعده "دارا" فاخذ يسعى الى وسيلة يستجلب بها رضاء  
 المصريين فانفق موت العجل ايس في اول حكمه فجاء بنسوه الى المعبد

واظهر تأسفة الشديد لذلك ووعده بمبلغ وافر لمن يأتي بهجلا اخر مثله فاجبه



المصريون وانسعت مملكة الفرس في ايامه كثيرا فكان تحتها ٢١ ولاية وقبل ان يبارح مصر زار معبد فتاح بمنف واراد ان يجعل تمثالة بجانب تمثال رعمسيس الثاني فمنعته الكهنة بحجة انه لم يأت بعد على ما أتاه رعمسيس الاكبر فانه فتح بلاد التتر فنال لم دارا "اني أرجو ان اسوي رعمسيس الاكبر ان طال عمري بقدر عمره"

وأذن دارا لنول الكهنة بكل احترام ش ١٥ صورة الفرم

ومن مآثره انه مهد سبل التجارة فاتم طريق التواصل بين البحرين كما سترى عند الكلام على ترعة السويس وفتح طريق قفط للمواصلات برا وطريق اسبوط الممتدة الى العرابية المدفونة ومنها الى اصوان واكثر من العساكر للمحافظة على الواحات الكبرى . وكان الفرس القاطنون في مصر مجوسا متعصبين فصرح لهم بانباع دينهم على ان لا يستخدموا الكتابة الهيروغليفيه على الاطلاق

ثم ثار اليونان في اسيا فسار بجيش كبير لاقعهم فاستغنم المصريون فرصة غيايه وشتقوا عصا الطاعة وانزلوا ولاية "دارا" وعهدوا الحكم الى رجل يدعى "خبيش" من سلالة "بسامتيك" فعلم دارا بذلك فهم اليه لكنه توفي قبل ان تمام مشروعه فأقيم ابنه "شيارش" مكانه فجاء مصر واسترجعها عنوة الا انه كان فاتر الهمة فاطلق نذير الاحكام لولاية يعيشون بها كيف شاؤوا وهكذا كان شأنه في سائر ولاياته من اوربا واسيا وافريقيا فلم تمض مدة من الزمن حتى تجرد من سائر تلك الایالات وقتله من هم حوله وتولى الملك بعده الملك "ارتخشارشا" فاحبب المصريون الخروج من

طاعته فاستجدوا عليه اليونان فالتجدهم فحصلت حروب طويلة انتهت  
 بانهزام المصريين وثبوت قدم الفرس  
 وفي سنة ٤٢٥ ق م توفي "ارتخشارشا" وخلفه الملك "شيارش الثاني"  
 ثم "سوغدبانوس" ثم "دارا الثاني" وبه انتهت هذه العائلة وعادت مصر  
 للمصريين

### العائلة الثامنة والعشرون الصاوية

حكمت من سنة ١٠٢٨ - ١٠٢١ ق م او من ٤٠٦ - ٢٩٩ ق م  
 ليس لهذه العائلة الاملك واحد يدعى "اميرتيوس" ولاه المصريين  
 عند تخلفهم من نير الفرس وحكم مدة سبع سنين كلها اصلاح وترميم

### العائلة التاسعة والعشرون الاشمونيه

ابتدا حكمها سنة ١٠٢١ - ١٠٠٠ ق م او من سنة ٢٩٩ - ٢٧٨ ق م  
 وعدد ملوكها ٤  
 وليس في تاريخها شي مهم سوى ان الفرس كانوا يتهدون بها وقدموا  
 يريدون الاستيلاء عليها ولم يظفروا

### العائلة الثلاثون السنودية

حكمت من سنة ١٠٠٠ - ٩٦٢ ق م او من ٢٧٨ - ٢٤٠ ق م  
 وعدد ملوكها ٢  
 قضا مدات حكمهم وم بين دفاع وحذر من استيلاء الفرس وحصل

بينهما عدة مواقع كانت قيادة الجيوش المصرية فيها يدقواد من اليونان مجريين  
ولم يفرز الفرس الا في الموقعة الاخيرة . وكانت حكومة مصر بيد « نكتانيبس »  
فانهزم الى النوبة وهو آخر من حكم مصر من المصريين الاصليين لانها  
خرجت من يده الى الفرس ومنهم الى الروم ثم العرب ثم الترك كما سترى

## العائلة الحادية والثلاثون

وهي الدولة الفارسية الثانية

حكمت من سنة ٦٦٢ - ٩٥٤ ق ه او من ٢٤٠ - ٢٢٢ ق م  
وعدد ملوكها ٢

اولهم الملك « اوخوس » الملقب « بارتخارشا الثالث » وهو الذي  
نزع مصر من يد المصريين . مات مسموماً فجاء ابنة « ارسيس » وحكم  
سنتين ثم مات وخلفه احد اقاربه المدعو الملك « دارا الثالث » وكان  
يدعى قبل توليته « كودومانوس » وكان معاصراً للاسكندر المكدوني  
المشهور وفي ايامه جعلت دولة الفرس تنهقر وبدأ نجم اليونان بالاشراق  
فاخذ الاسكندر في فتوحاته ونوسيع مملكة ابيه ففتح الهند وفارس واستولى  
على مصر بعد موقعة انتهت بانهزام الفرس ودارا الثالث معهم وقتل كثير  
من رجاله ثم قتله احد نوابه فاتتقل بعده حكم مصر الى اليونان

## الدولة اليونانية

## العائلة الثانية والثلاثون

حكمت من سنة ٩٥٤ - ٩٤٥ ق ٥ او من ٢٢٢ - ٢٢٣ ق م  
 اوّل ملوكها وأخبره "اسكندر الأكبر المكدوني". تغلب هذا النافع  
 العظيم على الفرس وأخرجهم من مصر ودخلها عنوة فمرّ ببقعة من الأرض  
 على شاطئ البحر المتوسط من حدود مصر فاستحسن موقعها لانه رأى عبارة  
 عن لسان من اليابسة داخل في البحر وعلى احد جانبيه بحيرة مربوط المشهورة  
 فلاح له ان يبني فيها مدينة فبناها على رسم مخصوص رسمه بنفسه وعهد  
 انعام العمل الى المهندس "نيوكرانس" فلما تم بناء المدينة دعاها الاسكندرية  
 ولا تزال معروفة بهذا الاسم الى هذا العهد. وفي ٢٤ مايو (ايار) سنة  
 ٢٢٣ قبل المسيح توفي هذا البطل الباسل في بابل وسنة ٢٢ سنة فنقلت  
 جثته الى الاسكندرية ودُفنت فيها

## العائلة الثالثة والثلاثون البطالسة

حكمت من سنة ٩٤٥ - ٦٥٢ ق ٥ او من ٢٢٢ - ٢٠ ق م  
 لما توفي الاسكندر جاء "بطليموس الاول" من بابل ووضع يده على  
 مصر وجعل يسعى الى اكتساب ثقة اهلها ثم ارسل احد قواده المدعو  
 (( نيكتور )) في جيش لافتتاح سوريا فسار وحارب وفاز ولم تمض بضعة  
 سنين حتى ضم الى مصر سوريا وقبرس وقينيقيا

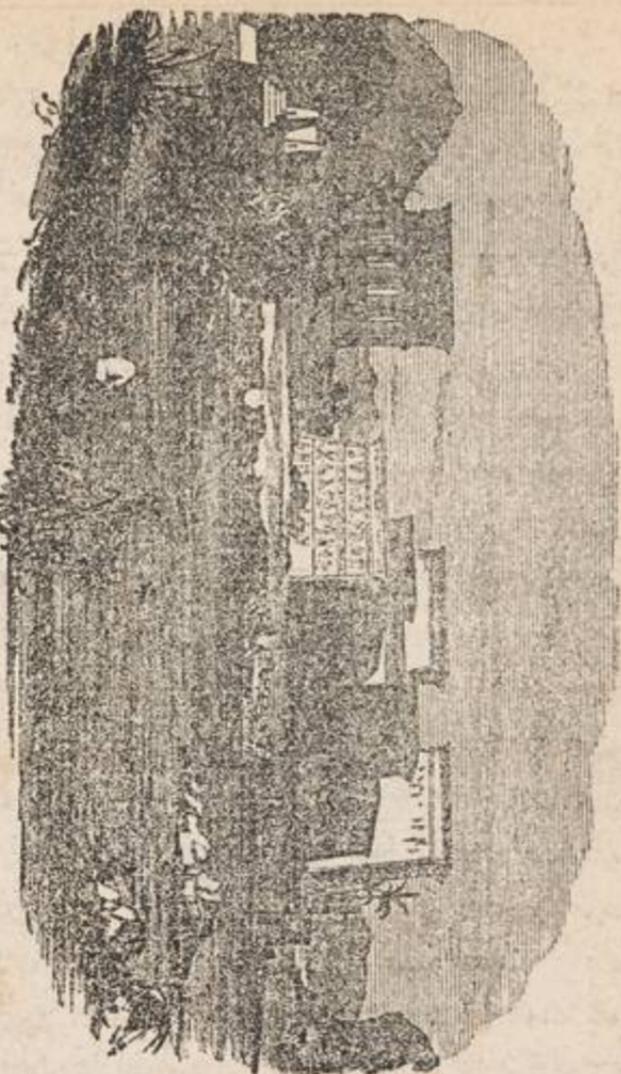
ثم شرع في بناء المعابد في الاسكندرية واقام على جزيرة فرعون  
التي بوصلها بالاسكندرية برزخ صغير برجا يبلغ علوه الف ذراع على قنوه  
نور يستضيء به القادمون بحراً وقد هدم هذا البرج الان ولم يبق له اثر .  
ومن مآثر هذا الملك مدرسة الاسكندرية الشهيرة فانه جمع اليها العلماء  
والفلاسفة من اليونان وسائر بلاد العلم والصناعة في ذلك العهد وكان  
يكرم وفادتهم وبضعهم في مكائهم من الهيئة الاجتماعية وانما مكتبة نفيسة  
طارصتها في الافاق

وفي السنة التاسعة والثلاثين من حكمه عهد الملك لابنه البكر  
"فيلادلفوس" واجلسه على كرسي الحكم في حياته سنة ٢٨٥ قبل المسيح ولقبه  
بطليموس الثاني ثم توفي سنة ٢٨٢ قبل المسيح فاهتم بطليموس الثاني  
في توطيد العلاقات مع الدول المعاصرة ولا سيما دولة الروم (الرومانيين)  
ولم يكن بينهما سائى محاربات مطلقاً وليتها لم تحصل لانها كانت آخرا الامر  
داعياً لاستيلاء الروم على مصر . ثم عكف هذا الملك على تنشيط العلم  
وذويو فراد في مكتبة ابيه فبلغت الاسكندرية في ايامه مبلغاً من العلم  
والثروة لم تعد ترى مثله بعد ذلك الحين . فقد كانت محور التجارة ومحط  
رحال العلماء والفلاسفة . وفي ايامه ايضاً تُرجمت التوراة الترجمة  
السبعينية المشهورة

ومن آثاره خرائب انس الوجود عند شلال اصوان فانه هو الذي  
شرع في بناء الهيكل الكبير الذي تشاهد اطلاله هناك الى هذه الغاية على  
جزيرة فيلوي تجاه اصوان ودمعوها العامة ايضاً جزيرة البربة وهي من الآثار  
المشهورة وقد اشتغل في انمام بناء هذا الهيكل كل من جاء بعد فيلادلفوس  
من البطالسة . انظر الشكل السادس عشر

وكانت مدة حكم فيلادلفوس ٢٨ سنة ثم توفي وخلفه ابنه «افرجيت  
الاول» ولقب بطليموس الثالث وكان محباً للتوحات فجرد جيوشه

خرائب انس الوجود

١٦  
ش

الى اسيا مقتدياً برعمسيس الثاني فلم يكن حظها منها بأقل من حظها لانه  
دوخ جميع البلاد التي على النرات قبائل فالفرس فما وراؤها وضرب الجزية  
عليها كلها واعظم ما أسرى به المصريين انه استرجع من الفرس جميع ما كان  
منقولاً الى بلادهم من تماثيل الآلهة المصرية بامر كميزر . ثم غزا اثيوبيا

حتى « ابريم »

وفي سنة ٨٤٤ قبل الهجرة أو ٢٢٢ قبل المسيح توفي « افرجيت الاول »  
 بعد ان حكم ٢٥ سنة تاركاً الملك لابنه « فيلوياتر » فتولى الاحكام حال  
 وفاة ابيه ولقب ببطليموس الرابع الا ان المصريين اتهموه بقتل ابيه  
 فكرهوه وكان فظاً عاتياً فزادهم كرهاً وبعد جلوسه يسير سارني جيش  
 عظيم لمحاربة انطيوخس في سوريا فحاربه فطلب الصلح بان يرجع له  
 سوريا و فينيقيا فقبل فيلوياتر وبقي هناك بضعة اشهر ثم عاد الى الاسكندرية  
 كل ذلك واخذه « ارسينوا » معه لم تفارقه يوماً واحداً . فاصبحت الاسكندرية  
 بعد ذلك في رغد ورخاء فانعكف فيلوياتر على الملذات فنتسي واجباته  
 المقدسة نحو البلاد فكثر اللغظ بين الاهلين وتكررت التظلمات وليس  
 من يجيب

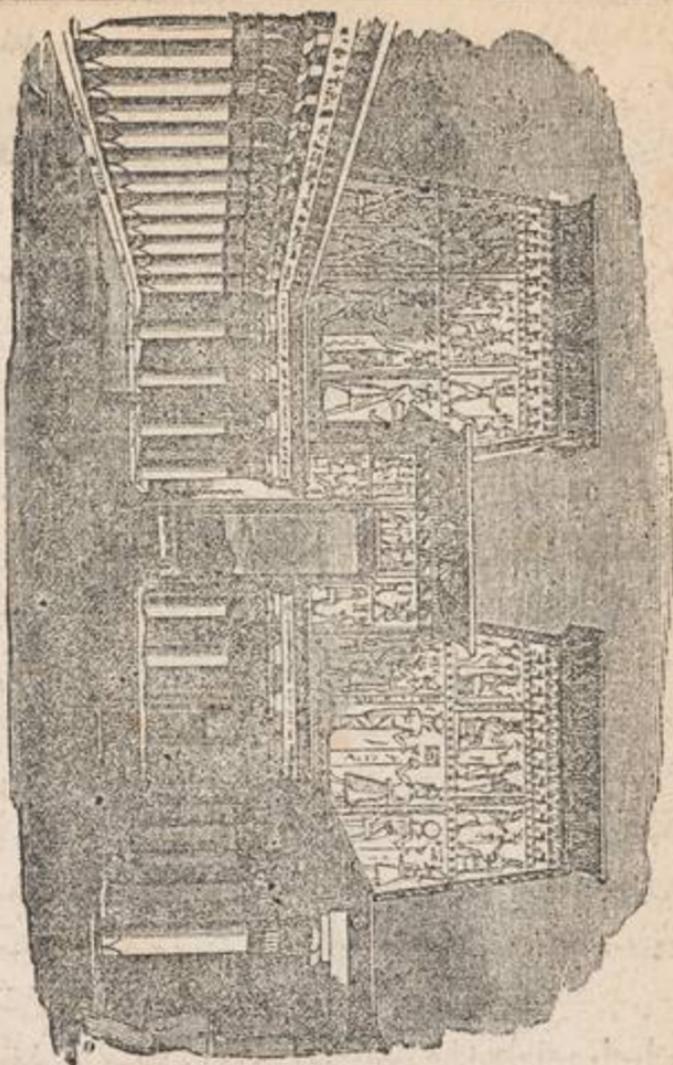
وفي ٩ أكتوبر ( تشرين الاول ) سنة ٢١٢ ق م او سنة ٨٢٤ قبل  
 الهجرة وضعت ارسينوا غلاماً ولم يكن من وارثي الملك غيره فاما كان من  
 فيلوياتر الا انه قتل ارسينوا بدسيسة بعض ذويه . وفي ٢٦ مارس ( اذار )  
 سنة ٢٠٥ قبل المسيح مات فيلوياتر واخني اصحابه خبره حيناً ربمما يتمكنون  
 من سلب امواله ثم شاع خبره فاقاموا عوضاً عنه ابنة الوحيد « ايبفان » وهو  
 بطليموس الخامس ولم يكن له من العمر الا خمس سنوات فاقيم عليه وصي  
 من سرة الدولة

وفيلوياتر هو المؤسس الاول لهيكل ادفو ( فيما بين الاقصر واصوان ) وقد  
 اتم بناءه من جاء بعده من البطالسة . والهيكل المذكور من اوضح الهياكل  
 المصرية لانه باق بمرتبته الا ان الرمال قد غطت جزءه السفلي وتراء في  
 الشكل السابع عشر نام الظهور لا بغشاءه شيء وهي صورته قبل ان غطته  
 الرمال فتري فيه الاعمدة والرواقات والابواب مكتشفة كشفنا تماماً  
 فلما رأى انطيوخس حالة مصر من الارتباك بعد وفاة فيلوياتر عاد

هيكل ادفن

١٧

ش



الى ما كان شارعاً فيه ففتح سوريا وفينيقيا عنوةً وهم الى مصر فعرض له  
 شاغل أكثر اهبة فعقد مع نواب مصر صلحاً على أن يعطي ابنته كليلو بيطرا  
 زوجة لبطليموس الخامس وان يترك له في مقابل ذلك البلاد التي فتحها فقبلوا  
 وفي ٢٧ مارس سنة ١٩٧ قبل المسيح اجلس « ايبثان » على كرسي  
 الملك وسلم زمام الاحكام فكتب الكهنة شيئاً عن ذلك نقشاً على حجارة في

ثلاث لغات كانت متعارفة في ذلك العهد وهي الهير وغلينية ( القلم المصري القديم ) والديموقريتيية واليونانية وقد وجد احد هذه الحجارة في رشيد وبواسطتها توصلوا الى حل رموز القلم المصري القديم كما مرّ بك . وفي سنة ١٩٢ زُفّت « كيلوبيطرا » ابنة « انطيوخس » على اييفان بطليموس الخامس . وفي نحو السنة الثامنة عشرة من حكمه زادت التشكيكات والنظلمات لسوء تدبيره ورخائه وما زال الاهلون يزيدون عليه حنفاً وحنفاً حتى يسوا من الاصلاح فأمانته مسموماً في سنة ١٨١ قبل المسيح فتولى مكانه ابنة « فيلوماتر » وهو بطليموس السادس وله من العمر خمس سنوات فحكم تحت رعاية أمه كيلوبيطرا فأقامت له اوصياء من رجال دولته العقلاء . وفي السنة الحادية عشرة من حكمه انتشبت الحرب بين مصر وسوريا وما زالت بينهما سجالاتاً حتى انتهت بانتهازم المصريين واسر ملكهم فيلوماتر . وسار السوريون في مصر براً الى منف اما الاسكندرانيون فلما علموا بسقوط منف واسر ملكهم اقاموا عوضاً عنه اخاه « افرجيت الثاني » وبعد اربع سنوات أخرج السوريون من مصر بمساعدة الروم وعادت مصر لحكم البطالسة فعاد فيلوماتر الى منصبه وفي سنة ٧٦٨ قبل الهجرة او ١٤٦ قبل المسيح توفي فيلوماتر بعد ان حكم ٣٥ سنة فاقم على مصر « افرجيت الثاني » وهو بطليموس السابع وقد كان الحق في الحكم لابن فيلوماتر الا انه كان صغيراً فقتله عمه وتزوج بأمه فكان الوريث الوحيد . ولم يكن « افرجيت الثاني » حسن السياسة فكان يقتل ويحبس ويستبد في احكامه وبغير وجه حتى فكرته الرعية وصاروا يتوقعون له داهية وبالغوا في اضطهاده الى حد أنه لم يعد يمكنه البقاء بينهم ففر من مصر ثم عاد اليها وما زال حمالاً نفيلاً على عائق رعيته الى آخر ايام حكمه فاهتدى الى السراط واخذ في تنشيط العلم والصناعة حتى انه كان يمارسها بنفسه وألف نحواً من اربعة وعشرين كتاباً معظمها

## في علم الحيوان

وفي سنة ٧٢٩ قبل الهجرة أو سنة ١١٧ قبل المسيح توفي افرنجيت الثاني بعد ان حكم ٢٩ سنة فاستدعت كيليوبيطرا اولادها وكان البكر في قبرس فأتى مصر فولته الملك ودعته «سوتر الثاني» ويسميه العرب «شوطار» فمن بطليموس الثامن ثم سعت الى ابعاده لغرض في نفسها فاشاعت انه مضر قتلها فثارت عليه الرعية ففر الى قبرس ثم الى سوريا فاستدعت اخاه «اسكندر» وولته الملك فكان بطليموس التاسع فحاف على نفسه ايضا ففضل الاعتزال على اخطار الملك ففر الى قبرس وكان اخوه «سوتر الثاني» في سوريا يستعد للهجوم على مصر فلما رأته كيليوبيطرا قرب مجي الجيوش لمحاربتها اخطرت ابنها اسكندر فعاد من قبرس وبعد يسير عادت الامور الى مجاريها اما كيليوبيطرا فكانت رغما عن كل عاطفة والدية تحاول التخلص من ابنها هذا اما هو فعلم بما في نفسها وسبقها الى ذلك فذهب بجيائها وفر من مصر فاستدعى اهالي الاسكندرية «سوتر الثاني» من سوريا ليستلم زمام الاحكام فقدم فترحب به المصريون الا اهالي طيبة لكنهم ما لبثوا حتى ادعوا

وفي ايام سوتر هذا كانت مملكة الروم آخذة في الانساع ودولتهم بالقوة والثروة ثم مات في سنة ٨٢ قبل المسيح بعد ان حكم في المرة الاولى عشر سنوات وفي الثانية سبع سنوات ونصف

فتولى مكانه ابنه «اسكندر الثاني» او بطليموس العاشر ولم يحصل في ايامه ما يستحق الذكر الا ان دولة الروم كانت قد استولت على سوريا وسيرينيا وليبيا واليونان فاصبحت مصر محصورة لا تستطيع حراكا وكان اسكندر هذا ساعيا جهده الى ارضاء الرعية لكنهم لم يكونوا يجهون بل كانوا يعتبرون فيه العسف والظلم وما زالوا عليه حتى ابعده من الاسكندرية فسار الى صور فاعتراه مرض اشتد عليه حتى ذهب بجيائه

بعد ان حكم ثماني سنوات

ولم يكن من العائلة الملوكية من يحكم بعده فانتخب الاسكندرانيون من بينهم رجلاً يدعى «ديونيسيوس» ولقبوه «بأولينس» لانه كان مغرمًا بالفلوت ( الآلة الموسيقية المعروفة ) ولم يكن بهمة امر الملك على ان مصر كانت بغاية الاحتياج الى الحكمة والتدبير لما كان يهددها من الخاطر فنار الاهالي عليه في طلب الاصلاح وهو غير قادر عليه ولم يكن في وسعه اختماد الثورة لان الجيوش الذين هم حامية البلاد كانوا في جملة النافرين فترك مصر وفرّ الى رومية . وكان له ابنتان الواحدة تدعى « كيليو بيطرا » والاخرى «بريس» وبعد بضعة اشهر ماتت الاولى ( كيليو بيطرا ) فتولت الثانية مدة سنتين فعلم « اولينس » بذلك فعاد الى مصر وقتل ابنته قصاصاً لها على اخلاصها الملك

وبعد يسير توفي اولينس فتولت ابنة له ثالثة اسمها ايضاً كيليو بيطرا وكانت بالغة رشدها ولولا ذلك لتوَّى اخوها ديونيسيوس الثاني وقد كان لحرسه ان يتولى مكانه الا ان كيليو بيطرا جلست على الملك حالاً ودعت نفسها ملكة وكانت مدة حكمها ٢٢ سنة وهي آخر من حكم من الدولة اليونانية في القصر المصري . وكان لهذه الملكة مطامع في الملك وقد ملكت رغماً عن صعوبات كثيرة كانت تحول بينها وبين ما تريد ففي اول الامر نازعها احد اخوتها ووافقه الاهلون فاخرجوها من مصر فسارت الى سوريا واستنجدت بجيوش الروم فساعدوها الفيصر ( يوليوس ) واعاد لها الملك واغرق اخاها في النيل فتولت وتزوجت اخاها الاخر ثم سارت برفقة الفيصر الى رومية وبقيت عنده الى يوم مقتله سنة ٤٤ قبل المسيح وفي سنة ٤٢ قبل المسيح قتلت اخاها بالسهم فحلاها الجور ثم اتفق ان « انطونيوس وكتافيوس » القائدين الروميين كانا في حرب مع «بروتس» فامتد هذا الاخير بعمارة بحرية وكانت قبل ذلك قد ولدت ولداً دعته

قيصرون نسبة لقبصر والده فكان هو الملك على مصر رسمياً  
 فلما بلغ انطونيوس وهو في طرسوس ان كيليوبيطرا انجذت برونس  
 عدوه بالمال والرجال خلافاً للمعاهدة استدعاها الى طرسوس للرافعة  
 فركبت زورقاً جميلاً مزخرفاً جوقه من ذهب ومجاذيفه من فضة تخرج  
 عند التحذيف بها صوتاً موسيقياً مطرباً وكانت كيليوبيطرا من اجمل  
 النساء فلبست انحر ما لديها من اللباس الثمين وجعلت حولها الجوارى في  
 احسن ما يكون من الترتيب والنظام ونشرت الارواح العطرية في ذلك  
 الزورق فلما بلغت طرسوس وشاهدتها انطونيوس شغف بها ولم يعد يخالف  
 لها امرأ فاصدر الحكم كما شاءت وشاء الغرام فعادت الى مصر غائمة  
 وبعد يسير زارها انطونيوس في الاسكندرية فاكرمت مثواه فداها  
 ملكة الملوك ودعى ابنها قيصرون ملك الملوك بدعوى انه ابن قيصر  
 بحسب الشرع وكان ذلك سنة ٢٦ قبل المسيح فزادت كيليوبيطرا عجباً  
 على عجب ولم تعد تكتفي بلقب الملوك فدعوها ابزيس الالهة الجديدة . واما  
 انطونيوس فانساه الغرام كل واجباته ولم يعد يعلم نفسه أهونائب القيصر  
 ام هو ملك مصر لانه اصبح اسيراً لكيليوبيطرا وكتب اسمه بجانب اسمها  
 ولما بلغ ذلك المشيخة الرومانية اشهرت الحرب على ملكة مصر سنة ٢٢  
 قبل المسيح فجهزت اوكتا فيوس بجيش وجعلت نقطة المحاربة في  
 «فارتو» و«برندزي» فلم يقبل انطونيوس بذلك وطلب ان تكون  
 الحرب في فرساليا ثم جهز جيشه وسار في خمسمائة مركب وسارت معه  
 كيليوبيطرا في ستين مركباً فالتقى الجيشان في اکتيوم باليونان وأبت  
 كيليوبيطرا الا ان تكون الحرب بحراً ثم انها خشيت ان تعود العاقبة على  
 جيش انطونيوس فالتحمت بمراكبها شيئاً فشيئاً وكان انطونيوس مهتماً  
 باعداد المهمات البحرية غير مبال بالموت في جانب مرضاة سالية له ثم  
 التفت الى مراكبها فاذا هي بعيدة تخترق عباب البحر فافتنى اثرها تاركاً

رجاله يجاربون ولا يدرون مفره وما زال حتى ادركها وسار بها الى مصر  
 اما الحرب فانهت بانكسار جيوش انطونيوس  
 ثم رأت كلبويطرا ان محبتها انطونيوس لا يقوى على حمايتها فالتجأت  
 الى الجانب الاقوى فارسلت صولجانها سرا الى اوكتافوس وطلبت  
 مساعدته فوعدها بما تريد بشرط ان تخلص من انطونيوس فعدت الى  
 الحيلة فاخذت نفسها وكل امتعتها واشاعت انها ماتت فلما علم انطونيوس  
 بذلك لم يعد يهوى الحياة بعدها ثم بلغته خيانتها فقتل نفسه اما اوكتافوس  
 فاستلم زمام الاسكندرية ونوى بكلبيويطرا سوءا اما هي فاوجست خيفة  
 منه وجعلت تستجلبه بما استجلبت غيره من قبله فلم تنز وفي اخر الامر قبض  
 عليها فنضلت الاتحار على ان يقتلها غيرها فاكلت السم وماتت في ١٥  
 اغسطس (آب) سنة ٢٠ قبل المسيح وقال آخرون في كينية موثها غير  
 ذلك والله اعلم  
 وكانت مدة حكمها ٢٢ سنة وكان ذلك اليوم اخر حكم اليونان بمصر  
 واول حكم الروم فيها

## الدولة الرومانية

وهي العائلة الرابعة والثلاثون

حكمت من ٦٥٢ - ٢٤١ ق هـ او من ٢٠ ق م - ٢٨٠ م  
 لما ماتت كلبويطرا على ما تقدم دخلت مصر في حكم دولة الروم  
 وصارت ولاية من ولاياتهم يتولأها وال منهم بحكم بمقتضى شرائعهم  
 وهذه الدولة هي اخر دول الدور الجاهلي وقد توالى على مصر في حكم

دولة الروم عدة ولا تليس في سرد اخبارهم ما يستحق الذكر سوى ظهور  
 الديانة المسيحية في العالم ومحجى بعض نصرائها الى مصر وما لاقوه فيها من  
 الاضطهادات العنيفة واشهر تلك الاضطهادات اضطهاد ديوقليطس فانه  
 بالغ في اضطهاد المسيحيين وقتل منهم جمعاً عظيماً بين كهنة وعامة ومن  
 تولية هذا الملك (في ١٣ يونيو/حزيران) سنة ٢٨٤ م) بيتدى التاريخ  
 القبطي المعروف بتاريخ الشهداء وهو المعول عليه عند الطائفة القبطية الى  
 هذا العهد. وفي سنة ٢٠٦ م جعل قسطنطين امبراطور الروم سرير  
 ملكه في مدينة بيزانس (القسطنطينية) فالتحطت سطوة مصر  
 وفي سنة ٢٤١ ق هـ او ٢٨١ م نهى الامبراطور "ثيودوسيوس"  
 المصريين عن عبادة الاصنام وامرهم باتباع الديانة المسيحية وانفاذا لامره  
 هذا اسرع الى هدم جميع الهياكل وتنزيل الانصاب وابطال جميع التقاليد  
 التي كان يعتبرها المصريون من ضروريات التدبير وكل ذلك كان بمساعدة  
 بطريك الاسكندرية ثيوفيلوس. وهنا ينتهي الدور الجاهلي وبيتدى  
 الدور المسيحي

## الدور المسيحي

بيتدى من سنة ٢٤١ ق هـ - ١٨١ م او من ٢٨١ - ٦٤٠ م  
 لما توفي "ثيودوسيوس" سنة ٢٩٥ م قام ولداه «هونوريوس»  
 و«أركادبيوس» واقتسما المملكة الرومانية بينها فجمعاها مملكتين شرقية

وغربية وجعلوا عاصمة الشرقية بيزانس وعاصمة الغربية رومية وكان كلاهما حاكمين معاً في وقت واحد اما مصر فكانت تابعة للمملكة الشرقية وكان هذا الانقسام كان رمزاً عن قرب انحلال هذه الدولة لان الامبراطورين ما فتئا يتناظران والانقسامات الدينية تزيد كل يوم والحرب قائمة سجالات بين لاهوتي بيزانس ولاهوتي الاسكندرية . وكان لكل من الفريقين احزاب جمّة وكثيراً ما اشتد الخصام بين هذه الاحزاب في الاسكندرية فال الى اشهار السلاح واهراق الدماء وكان الامبراطوران عبثاً يحاولان التوفيق بينها

فقد كانت النصارى اذ ذاك على قسمين متباينين في اجناسهم وعقائدهم احدهما اهل الدولة وكلهم روم ورأبهم وديانتهم باجمعهم الديانة الملكية وعدتهم تزيد على ثلثاية الف رومي والقسم الاخر عاصمة اهل مصر ويقال لهم القبط وانسابهم مختلطة لا يكاد يميز منها القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي الاصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة والاساقفة والنسوس واهل الفلاحة والزرع واهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية اهل الدولة من العداوة ما يمنع ازواجهم ويوجب قتل بعضهم بعضاً ويبلغ عددهم عشرات الاف كثيرة جداً وهم بالتحقيقة اهل مصر اعلاها واسفلها

وفي سنة ٦١٠ مسيحية في حكم هرقل كانت دولة الروم لا تزال آخذة بالتفقر وكانت طائفة القبط قد ظهرت على سواها وانفتح عنها ستكون المؤسسة للديانة المسيحية في مصر وقد كانت ولا تزال . على ان دولة الروم كانت ترغب في جعل المصريين على مذهبها في الدين لتثبت لها مصر لكن اولئك لم يغفلوا عن هذا فثبتوا على مبادئهم وحفظوا لغتهم وحافظوا على شريعتهم الدينية فترجموا جميع نعاليمها اليها ولا يخفى ان ذلك مما جمع كلمتهم وشد عرى اتحادهم فتقوا وثاروا في خاطرهم امر الاستقلال وقد كان

في وسعهم لو حاولوه

وما كان يزيد الا قباط ثبوتاً ضد الروم انهم كانوا يشاهدون قرب سقوط هذه الدولة ما كان يهددها من جميع جهاتها فالزرس تهددوا حدودها الشرقية والمغاربة كانوا ينتظرون اول فرصة لرفع النير عنهم وهكذا غيرها من الولايات - الا ان التقادير كانت تعد هذه البلاد لامة حديثة نشأت في شبه جزيرة العرب نعتي بها الامة الاسلامية وكانت شبه جزيرة العرب في ذلك العهد جزءاً من مملكة الروم كسائر بلاد سوريا وفلسطين ومصر الا انهم لم يكونوا يسكنون فيها ولا يعتنون بها على انهم لم يأخذوها بالحرب وانما كان تسلطهم عليها مجرد عظمتهم ونفوذهم ولذلك لم يكن فيها حاميات من جنودهم - وهنا ينتهي الدور المسيحي وينتهي الدور الاسلامي

# تاريخ مصر الحديث

## فصل في

### مصادر تاريخ مصر الحديث

لم أرَ بين المؤرخين الكثيرين الذين كتبوا في تاريخ مصر الحديث من جاء على كتابه مستوفية تنعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل ذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعاصرة . فبين مؤرخي المشرق ولا سيما العرب من أسهب في الكلام عن بعض أقسام مصر واعنى بتاريخها على أفراد . ومنهم من انفرد بتاريخ بعض دول مصر دون البعض الآخر ومنهم من اقتصر على تراجم بعض مشاهير حكام

مصر او علمائها او ادبائها ومنهم من وصف بعض وقائعها وحروبها بقطع  
النظر عن تعاقب السنين ومنهم من نظر الى تناسق الحوادث مع نسبتها  
لتعاقب السنين لكنه اوجز كثيراً فلم يأتِ بالفائدة المطلوبة ومنهم من  
جاء على تاريخ مصر عرضاً اثناء تكلمه عن تاريخ الدولة الاسلامية عموماً .  
فكان قوله متفرقاً متخللاً فضلاً عن كونه موجزاً

اما مؤرخو المغرب (الافرنج) ولا سيما المتأخرون فقد اتخذوا في كتاباتهم  
عن مصر اسلوباً اقرب الى المتصود من قبيل تناسق الحوادث وتعاقبها  
بتعاقب السنين مع بعض الاسهاب ولكنهم في الغالب لا يضبطون الاعلام  
لان حروف لغاتهم لا تساعد على ذلك وقد يسقطون المخاطبات البليغة  
التي كان يتكاتب بها الخلفاء والامراء فيما بينهم والخطاب النصيحة التي كانوا  
يلقونها في مجالسهم او على جنودهم او اذا لم يسقطوها فانهم يضعونها في لغة  
قومهم فتفسر بلاغتها ورونتها العربي فاذا اريد ترجمتها الى العربية لا  
يتفق ان تأتي على اصلها تماماً

فرايت ان لكل من الطرفين حسنات فجمعت بينها ما ترمزاً صحة  
النقل وانتقاء اصح الروايات وتطبيق كل ذلك على الاحكام التاريخية مع  
مراعاة الممكنات واغفال ما هو متول بغير قياس ومناقض لاحكام العقل  
بين مبالغات واختلافات وتقاليد

فكان مجمل المولنات التي اخذت عنها كتابي هذا ما ينوف عن  
الاربعين مولناً فضلاً عن التواميس الكبيرة . ومن هذه المولنات ما هو مطبوع  
تداوله الابدعي ومنها ما لا يزال خطاً محفوظاً في بعض المكاتب الخصوصية  
او العمومية كالمكتبة العامرة الخديوية ومنها ما لم يبق منه الا بعض  
الروايات المنقولة الى كتب الآخرين

وهاك جدول فيه اسماء اشهر المولنات العربية والافرنجية التي استعنت  
بها في تأليف هذا التاريخ

## الكتب العربية

اسم المؤلف	اسم الكتاب
المقرئزي	المخطط
ابن الاثير	الكامل
ابن خلدون	ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر
ابن خلكان	وفيات الاعيان
الاسحاقي	اخبار الأوّل
عبد اللطيف البغدادي	الافادة والاعتبار
ابو الحسن	النجوم الزاهرة
ابن عبد الظاهر	خطاط القاهرة
القيصري	ترجمة المقتنين*
ابن عبد الحكم	فتوح مصر
ابن زولاك	سيرة المعز لدين الله
المسيحي	تاريخ مصر الكبير
ابن رضوان	شرح الاربع
الكندي	اخبار امراء مصر
وصيف شاه	اخبار مصر وعجائبها
المسعودي	اخبار الزمانيق
«	مروج الذهب
لاي النضل	الطالع السعيد في تاريخ الصعيد
الاصواني	اخبار النوبة
شافع ابن علي	عجائب البلدان
الخزومي	المنهاج

ابن المتوَّج	ابقاظ المتغفل
الجواني	الجوهر المكنون
الجبرتي	عجائب الآثار
الغمري	زخيرة الاعلام
العسقلاني	رفع الاصر
علي باشا مبارك	خطط مصر
ابراهيم الطييب	تاريخ الدولة العثمانية
سليم خليل النقاش	مصر للمصريين
جبرائيل حداد الطراباسي	تاريخ الحرب السودانية

## الكتب الاخرى

فرنساوي	مونروند	تاريخ الحروب الصليبية
«	مارسل	« مصر الحديث
«	اميديه ريم	« الحملة الفرنسية
«	ب و ه	« محمد علي
«	مونرو	الانبياء الثلاثة (عربي وغوردون والمهدي)
«	دافاسيه دي بوتييه	المشرق ومصر
«	نتروتوسوس بلنك	تاريخ الدوائر الصحية المصرية
انكليزي	مري	الآثار المصرية
«	شارلس روبل	الحوادث المصرية الاخيرة
«	بانون	تاريخ المالك الى وفاة محمد علي
«	جمعية الرسائل الدينية	المملكة العثمانية
		الانسكلوبيديا البريطانية وغيرها من التواميس الشهيرة

## جغرافية مصر الحديثة

« حدود مصر واقسامها »

كانت المملكة المصرية قبل الحوادث السودانية الاخيرة تمتد شمالاً الى البحر المتوسط وجنوباً الى قرب خط الاسنواء حيث الجبال الزرق وبحيرة البرب نيانزا وشرقاً تبتدى من العريش على ساحل البحر المتوسط ونسبر جنوباً فتضم شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة حتى تلتقي بالبحر الاحمر مقابل راس بنار على ساحل البحر الاحمر الغربي ومن هناك تمتد الى مصوع فخلج عدن حتى بربرا اما في تلك الانحاء الجنوبية فسلطة الخديوي لم تكن تتجاوز الشطوط فضلاً عن ان الحيشة وقبائل اخرى هناك كانت لا تزال مستقلة . وغرباً من راس الكنائس عند البحر المتوسط مخترقة صحراء ليبيا حتى دارفور ثم تنعطف شرقاً الى الجبال الزرق

اما بعد الحوادث السودانية الاخيرة فانحصرت المملكة المصرية في النطر المصري مع استبقاء سواكن وشبه جزيرة سيناء واحاطت صحراء ليبيا فالنطر المصري او وادي النيل بحدوده شمالاً البحر المتوسط وجنوباً الشلال الثاني ( وادي حلنا ) وشرقاً قنال السويس فالبحر الاحمر حتى سواكن وغرباً راس الكنائس وصحراء ليبيا

ويتنقسم النطر المصري الآن الى قسمين عظيمين هما الوجه القبلي والوجه البحري او مصر العليا ومصر السفلى تفصل بينهما القاهرة وكل من هذين القسمين يقسم الى اقاليم او مديريات في كل منها مدينة كبيرة تقيم فيها حكومة تلك المديرية وعلى كل من هذه المديريات حاكم يدعى مديراً وهناك اسما المديريات وقواعدها

## مصر السفلى

اسم قاعدتها	اسم المديرية
دمتهور	مديرية البحين
شبين الكوم	» المنوفية
الزقازيق	» الشرقية
المنصورة	» الدقهلية
طنطا	» الغربية
بنها	» الفيومية

## مصر العليا

اسم قاعدتها	اسم المديرية
الجيزة	مديرية الجيزة
بني سويف	» بني سويف
النيوم	» النيوم
المنيا	» المنيا
اسيوط	» اسيوط
سوهاج	» جرجا
قنا	» قنا

وتنقسم المديرية الى عدة مراكز على كل منها ناظرٌ  
وفي النظر المصري عدا عن هذه المديرية خمس مراكز كل منها  
مستقل باحكامه عن المديرية الواقع هوفيهما تدعى محافظات وهي محافظات  
القاهرة واسكندرية ودمياط وعموم القنال بما فيه بورت سعيد والاسماعيلية  
والسويس) ومحافظه الحدود وعلى كل منها حاكم يقال له محافظاً. وجميع  
المديريات والمحافظات ترجع باحكامها الى نظارة الداخلية  
وعند ما كانت بلاد السودان في حوزة الحكومة المصرية كانت

حكمدارية تخمها تسع مدبريات في مدبريات دنقله وبربر والخرطوم  
وكردوفان وسنار ودارفور والبحر الابيض والتاكا والجدارف - ومحافظة  
في محافظة سواكن

وقد كانت مساحة الاراضي المصرية قبل الحوادث السودانية الاخيرة  
نحواً من مليون ونصف من الاميال المربعة فاصحبت الآن لا تزيد عن  
عشرة آلاف ميل نصفها في الذلنا والنصف الآخر فيما بقي

« سكان مصر »

بلغ عدد سكان مصر بناءً على تقويم سنة ١٨٨٢ ٦٨.٢٧٤٢٢ نسماً  
منهم ٩٠.٨٨٨ اجانب . ويظهر ان عدد سكانها في عهد المصريين القدماء  
قد تجاوز هذا العدد فقد قال هيرودوتس المؤرخ انه كان في مصر على  
عهد الملك امانيس ٢٠٠٠٠ مدينة وقال ديودوروس ان عدد السكان  
بلغ سبعة ملايين ويوسينوس يتول سبعة ونصف وقد انحط هذا العدد في  
عهد المماليك الى ثلاثة ملايين ثم اخذ يتزايد من عهد المغفورة محمد علي  
باشا ولا يزال يتزايد الى يومنا هذا

ويقسم سكان مصر الآن الى وطنيين واغراب فالوطنيون منهم سكان  
القرى وسكان المدن وعرب البادية وهؤلاء ينقسمون الى ١٥ قبيلة متفرقين  
في انحاء القطر

اما الاغراب فمنهم الاوروبيون على اختلاف اجناسهم والاتراك  
والسوريون والحبش واهل نوبيا والزنج وغيرهم

« مزروعات مصر »

نقسم مزروعات القطر المصري الى المزروعات السنوية والاشجار  
وقد حسب عدد هذه المزروعات على وجه العموم فيبلغ نحو ١٢٠٠ نوعاً

فمن المزروعات السنوية القمح والشعير والذرة والدخان والارز  
 وقصب السكر والنول والعدس والحمص والترمس والبشلة والبايا واللويبا  
 واللبلاب والبصل والكرات والتوم والخبيزة والخس والكرنب والبادنجان  
 والرشاد والتبغ والخبث والبقاشا وعبد اللاوي والمجور والشام والبطيخ  
 والجزر واللفت والبرسيم والحلبة والقطن والسكنان والفتب والقرطم والسهم  
 والتيلة والحناء والقوة والاقيون والخردل والكربرة والبقدونس وغيرها  
 ومن الاشجار الخلد والبرقال والمندرين (يوسف افندي) والليمون والتين  
 والجوز والاموز والمشمش والخوخ والرمان والتوت والعنب والزيتون  
 واللوز والسنط والطرفة والخروب والنبق والدوم واللبغ وغيرها  
 ومعظم هذه الاشجار كان معروفاً لدى المصريين القدماء الا ان  
 بعضها قد دخل الى البلاد حديثاً منها اللبغ وهو مزروع على معظم الشوارع  
 العمومية في المدن الكبيرة للانتفاع بظلها

## حيوانات مصر

نقسم الى الحيوانات الداجنة والحيوانات البرية  
 فالداجنة منها الجمل والفرس والحمار والبغل والجاموس والبقرة  
 والضان والماعز والخنزير والكلب والهر والديك والهندى والوز  
 والحمام ومن الغريب ان الجمل والجاموس والضان والديك لم تكن معروفة  
 لدى المصريين القدماء

والحيوانات البرية منها الخنزير البري والضبع والغزال وبقرة الوحش  
 وكبش الجبل واوحسين والذئب والثعلب والقط البري والثمس  
 والارنب والوطواط والاسناج وحيوانات اخرى من الطيور والزحافات  
 والاسماك لا حاجة بنا الى ذكرها

# الدور الإسلامي

دولة الخلفاء الراشدين

خلافة عمر بن الخطاب

من سنة ١٢ - ٢٢ هـ أو ٦٣٤ - ٦٤٤ م

« مبدأ الدولة الإسلامية »

وفي خلال تلك الانقسامات الدينية في مصر كانت نشأة حضرة صاحب الشريعة الإسلامية محمد المهدي بن عبد الله القرشي (صلم) ولد في مكة المشرفة نحو سنة ٦٩ ميلاد المسيح وهاجر الى المدينة في ٦ ايلول (تموز) سنة ٦٢٢ ومن هذا اليوم يتبدى التاريخ الإسلامي وهو تاريخ الهجرة النبوية المعول عليه الآن. وفي آخر السنة السادسة للهجرة كتب الى هرقل الروماني ملك القسطنطينية كتاباً يدعو فيه الى الاسلام وكتب مثل ذلك الى سائر ملوك العرب والعجم وفي جملتها كتاب الى المنوقس بوحنا بن فرقت اليوناني حاكم مصر من قبل ملك الروم فبعث اليه المنوقس اربع جوار منهن مارية ام ابراهيم ابنة فكان ذلك اول الصلات بين دولة العرب ومصر ثم كانت الغزوات والفتوحات المشهورة حتى السنة الحادية عشرة فتوفي حضرة صاحب الشريعة (صلم) وبويع الخليفة ابو بكر الصديق (رض) فعمل على استمرار الفتوحات حتى كانت خلافة امير المؤمنين عمر بن

الخطاب (رض) سنة ٥١٢هـ أو ٦٢٤م

فألبت الاسلام أن ظهر في شبه جزيرة العرب حتى انتشر بسرعة  
غربية الى العراق وفارس والشام وفلسطين وغيرها جهاداً في سبيل الدين  
في مدة لا تتجاوز الثاني عشرة سنة

فما رأى هرقل الروماني ما كان من افتتاح العرب لسوريا وغيرها  
من بلاده عنده أوجس خيفة على باقيها ولا سيما مصر إلا أنه لم يكن في  
حسابه ان العرب يقدمون الى مصر مفتحين حالاً على أثر فتوحاتهم الكثيرة  
فاقام بينه وبين الخليفة الامام عمر بن الخطاب (رض) معاهدة ما لها ان  
يدفع الرومان جزيرة سنوية معلومة لجزيرة المسلمين قبالة اغصانهم عن  
فتوح مصر. إلا ان هذه الجزية لم تكن تدفع في حينها وبالقدر المعين فاعتبر  
الخليفة تلك المعاهدة لاغية

« فتح مصر سنة ٥١٨هـ أو ٦٤٠م »

وكان عمرو بن العاص لا يفتقر عن ترغيب الخليفة عمر بن الخطاب  
في مصر وافتتاحها لأنه كان قد ذهب اليها قبل ان اعنتق الدين الاسلامي  
ورأى فيها من العظمة والمجد ما جعله شديد الرغبة في افتتاحها وكان يقول  
له « انك ان افتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي أكثر الارض اموالاً  
واعجز عن القتال والحرب » وكان الامام عمر يتخوف من ذلك ولا سيما بعد  
ان اقام المعاهدة بينه وبين هرقل لكنه بعد ان نُقضت على ما تقدم رأى  
ان يجيب طلبه فانفذ اليه ان يسير باربعة الاف رجل اشداء وقال له  
« سِراني مستخبر الله في سيرك وسياً تيك كئاني سريعاً ان شاء الله تعالى  
فان ادركك كئاني أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او  
شيئاً من ارضها فانصرف وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كئاني فامض  
لوجهك واستعن بالله واستنصره » وكان ذلك بعد افتتاح بيت المقدس

بأيام فسار عمرو بن العاص ومن معه فاصداً مصر وهو بكاد لا يصدق  
 ان أذن له بذلك فما بلغ فخ (وهي قرية تدعى الآن رفح تبعد نحو عشر  
 ساعات عن العريش) حتى ادركه رسول من قبيل امير المؤمنين وألحق  
 اليه كتاباً يخاف ان يكون ذلك الكتاب مؤذناً بالانصراف عن مصر وهو  
 لم يدخلها بعد فاجل ففتح حتى يدخل ارضها وكانت اذ ذاك على مسافة  
 يسيرة منها فأمر بجد السير حتى امسى المساء فسأل ابن نحن فقيل له في  
 العريش فعلم انه دخل ارض مصر فأمر بالمبيت هناك وعند النجر نهض  
 النوم للصلاة وبعد انماها وقف عمرو وفي يده كتاب الخليفة ففضه بكل  
 احترام وتلاؤه على الجمهور بصوت عالٍ وهو «بسم الله الرحمن الرحيم  
 من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى  
 وبركاته. اما بعد فان ادركك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع  
 عنها واما اذا ادركك وقد دخلتها او شيئاً من ارضها فامض واعلم اني  
 ممدك» فالتفت عمرو الى من حوله قائلاً ابن نحن يا قوم فقالوا في العريش  
 فقال وهل هي من ارض مصر ام الشام فاجابوا انها من مصر فقال لهم بنا  
 اذا ادعانا لامر الله وامر امير المؤمنين. وهكذا دخل عمرو بن العاص  
 ارض مصر في اربعة الاف رجل في السنة الثامنة عشرة للهجرة وجعلوا  
 يخترقونها جنوباً في قسمها الشرقي وكان عددهم يزيد كل يوم ممن كان  
 ينضم اليهم من القبائل البدوية التي كانوا يمرّون بها في طريقهم. فكان  
 اول موضع قوتل فيه الفرما قاتلت الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر ثم فتح  
 الله على المسلمين وكان عبدالله بن سعد على مينة عمرو منذ توجه من  
 قيسارية الى ان فرغ من حربه. ثم تقدم عمرو وهو لا يقا تل الا بالامر  
 الخفيف حتى اتى بليس فقاتلوه فيها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه وكان في  
 بليس ارماتوسة بنت المتوقس حاكم مصر من قبل الروم فأحب عمرو  
 ملاطفة المتوقس استجاباً لودّه فسبر اليه ابنته مكرومة في جميع ماها فسرّ

ابوها بقدمها كثيراً

ثم سار عمرو وما زال حتى مرَّ بجانب الجبل المنقطع فاشرف على حصن  
 بابل او بابلون القائم على ضفة النيل الشرقية مقابل الاهرام العظيمة  
 وكان حصناً منيعاً رفيع العماد<sup>(١)</sup> الى شرقيه الجبل المنقطع راسخ وعلى وجهه  
 شجيرات تدل على قدم عهده وبين الجبل والحصن بقعة من الارض لاثني  
 من العمارة فيها الا بعض الاديرة والكنائس ثم نظر الى الغرب فاذا بالنيل  
 منحدر امام ذلك الحصن فيزيده مناعة والى ما وراء النيل ارض قد كستها  
 الطبيعة من جمالها حلة خضراء بين اعشاب واشجار خصبة وهي جزيرة  
 الروضة وكانت تعرف بجزيرة مصر والماء محيط بها مدار السنة ويقطع  
 النيل بين الحصن وهذه الجزيرة جسر من خشب وكذلك فيما بينها والجزيرة  
 يمر عليها الناس والدواب من البر الشرقي الى الجزيرة ومن هنـ الى البر  
 الغربي وكان هذان الجسران مؤلفين من مراكب مصطنعة بعضها بجذاه  
 بعض وموثقة بسلاسل من حديد ومن فوق المراكب اشباب ممتدة فوقها  
 تراب وكان عرض الجسر الواحد ثلاث قضبات

ثم نطلع عمرو الى ما وراء الجزيرة فاذا بالاهرام العظيمة راسخة  
 كالجبال وقد اثقلت على كاهل الدهر فجعر عن هدمها ثم رمى بنظري الى  
 جنوبي اهرام الجيزة فاذا ببنايا منف العظيمة ترهب القلوب لما يتجلى فيها  
 من العظمة والشوكة ومن جعلتها اهرامها المعروفة الان باهرام سفاره  
 فامر عمرو ان تنصب الخيم فيما بين الحصن والمنقطع لجهة الشمال  
 قرب مصر القديمة اليوم ولم يكن هناك الا بعض المزارع والغياض وجعل

<sup>(١)</sup> ويسميه بعض مؤرخي العرب حصن باب البون او باب الاون  
 والمؤرخين فيه اقوال اظهرها انه حصن بناء الفرس عند تملكهم مصر  
 ودعوه باسم عاصمة بابل لانها كانت في حوزتهم

يسرح نظره ويتأمل بما بهتده من الاخطار في مقاومة هذا الحصن ثم  
 نظرا الى وادي النيل فاذا هو يانع خصب يشتهي النظر بخترة النيل  
 المبارك على غريبه آثار منف والاهرام وعلى شرفه ذلك الحصن وفيه  
 قد حشدت جنود المصريين متأهبين للدفاع ولم يكن قد رأى شيئا من  
 مثل ذلك فيما مر به من البلدان فعظم عليه الامر الا انه عاد الى عزومه  
 عند ما تصور مقدار ما يلحق به من العار اذا عاد خائبا ومقدار ما يقع في  
 يده من الخيرات اذا فاز بالنصر بعد الجهاد الحسن على انه اذا لم ينز في  
 جهاده هنا واستشهد في الاخرة ما هو افضل مما بآ

وكان في الحصن المتوقس وقد تقدم انه حاكم من قبل دولة الروم  
 على مصر العليا والسفلى ومعظم سكانها من القبط وكانت عاصمة حكومته  
 منف على الضفة الغربية واما هذا الحصن فقد اتخذ مركزا حريبا ليمنع  
 العرب من المرور الى عاصمته . والمتوقس هذا مع كونه يوناني الاصل فانه  
 كان من حزب الوطنيين ويقال انه كان بينه وبين الرسول (صلم)  
 مكاتبة وعلى كلي فانه لم يكن له ان يفعل ما يشاء . فلما علم بقدم جوش  
 الاسلام جهز حامية تحت قيادة احد كبراء جيشه المدعو الأبرج وجاءوا  
 بما لديهم من العدة والسلاح وتحصنوا في ذلك الحصن

إما عمرو فاخذ في المهاجمة مدة فابطأ عليه النخ فكتب الى الخليفة  
 يستمد فامدته باربعة آلاف عليهم اربعة من كبار القواد وهم الزبير بن  
 العوام والمنذر بن الاسود وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان  
 الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة وورد معهم خطاب امير المؤمنين  
 ونصه «اني قد اتذنت اليك اربعة آلاف على كل الف منهم رجل  
 مقام الف»

فانفذ عمرو احد قواده ولعله حذافة بن عسمائة فارس ليسيروا الى  
 الجهة الثانية من الحصن من وراء الجبل فساروا ليلا وكان الروم قد خندقوا

خندقاً وجعلوا له ابواباً وبذروا في اقبنتها حسك الحديد فالتقى النوم  
 حين اصبحوا فانهزم المصريون حتى دخلوا الحصن فصارت العرب محيطة  
 بالحصن من كل الجهات الا النيل وكان حول ذلك الحصن الخندق فلم  
 يستطع العرب الهجوم عليه واستمر رمي السهام طويلاً صلاحاً ومساءً ثم  
 نشاور عمرو والزبير بشأن ذلك فاقرآ على تشديد الحصار فترقا الرجال  
 حول الخندق والحج عمرو على الحصن ووضع عليه المنجنيق ثم جعل يخامر  
 معهم بشأن التسليم فلم يفعلوا على ان المتوقس كان من يريدون التسليم  
 تخلصاً من نير الروم لما بينه وبينهم من الضغائن الناتجة عن الانتقامات  
 الدينية الا انه لم يكن يعرج على التصريح ببغيتهم هذه لان رجاله لم يكونوا  
 كلهم من حزبه ولا سيما الأعرج ولما رأى من اقدام العرب وصبرهم على  
 القتال ورغبتهم فيه خاف ان يظهروا على رجاله فتكون الحسارة مزدوجة  
 فعند برجاله الى باب الحصن الغربي على ضفة النيل وعبروا على الجسر  
 الى الجزيرة ثم تبعه الأعرج تاركاً نفراً قليلاً من رجاله والعرب غير  
 عالمين ولما ابطأ الفتح قال الزبير «اني اهب الله تسمي وارجو ان ينح الله  
 بذلك على المسلمين» فعبر الخندق ثم وضع سلماً الى جانب الحصن من  
 ناحية سوق الحمام واخير عمرو وانهم اذا سمعوا نكيبين ان يجيبوه جميعاً فما  
 شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر والسيف في يده فتحامل الناس  
 على السلم حتى كادوا يكسرونه لكثرتهم فنتاهم ثم كبر وكبر الناس معه  
 واجاههم الناس من خارج فظن من كان باقياً في الحصن ان العرب جميعهم  
 هاجموا فمروا وعمد الزبير واصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحموا  
 الحصن وملكوه ثم عمدوا الى الجسر فتمقبوا القبط الى الجزيرة واما هؤلاء  
 فساروا الى منف عاصمة ولايتهم وبعد ان عبروا النيل رفعوا الجسر عنه  
 فتوقف العرب عن تعنتهم اذ لم يكونوا يستطيعون عبور النيل فاصبحوا  
 محاطين بالماء من كل الجهات

فلما رأى المنوقس ذلك انفذ الى عمرو كتاباً ونصه « انكم قوم قد  
ولجتم في بلادنا وانحتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصابة  
يسيرة وقد اظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد  
احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجالاً منكم  
نسمع من كلامهم فلعلنا ان يأتي الامر بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب  
وينقطع عنا وعنكم القتال قبل ان نضامكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام  
ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفاً لطلبكم ورجائكم  
فاعثوا الينا رجالاً من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء »  
فلما اتى رسل المنوقس الى عمرو وحسبهم عنده يومين وليلتين حتى  
خاف عليهم المنوقس وانما اراد بذلك عمرو ان يروا حال المسلمين  
وعند ذلك رد عمرو الرسل وكتب الى المنوقس « انه ليس  
بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال إما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا  
وكان لكم مالنا وان ايتم فاعطيتم الجزية عن يداي واتيتم صاغرون واما ان  
جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين »  
فلما جاءت رسل المنوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا « رأينا  
قوماً الموت أحب الى احدثهم من الحياة والتواضع أحب الى احدثهم من  
الرفعة ليس لاحد في الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب واكلهم  
على ركبهم واميرهم كواحد منهم لا يعرف رفيعهم من وضعهم ولا السبب منهم  
من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم  
بالماء ويخشعون في صلاتهم »

فأقسم المنوقس قائلاً « لو ان هؤلاء التلوا الجبال لأزالوها ولا يتوى  
على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لن  
يجيبونا بعد اليوم اذا أمكنتهم الارض وقوا على الخروج من مواضعهم » وما  
زال على رجال حكومتهم حتى وافقوه على طلب الصلح فكتب الى عمرو

« ابعثوا الينا رسلاً منكم تعاليمهم وتتداعى وهم الى ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم »

فبعث عمرو عشرة نفر اقدم عبادة بن الصامت وكان رابط الجاش هائل المنظر اسود اللون طوله عشرة اشبار وجعله متكلم النوم وامره ان لا يجيبهم الى شيء دعوى الا احدى هذه الثلاث خصال قائلاً « ان امير المؤمنين قد تقدم الي في ذلك وامرني ان لا اقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلاث خصال » فركبوا السفن الى ان اتوا المتوقس ودخلوا عليه فتقدم عبادة في صدر اصحابه فها به المتوقس لسواده وعظم جنته وقال نحو عني هذا الاسود وقد موى غيره يكلمني فاجابوا « ان هذا افضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعاً الى قوله ورأيه وقد امرنا الامير ان لا نخالف له امرأ » فقال المتوقس « وكيف رضيت ان يكون هذا متدماً عليكم وهو اسود وانما ينبغي ان يكون دونكم » فقالوا « كلاً وان كان اسود فهو افضلنا »

فقال المتوقس لعبادة « تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك » فتقدم عبادة اليه وقال « قد سمعت مقالتك وان فيمن خلنت من اصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سواداً مني وافظع منظرًا وجميعهم اشد هيبته مني وانا قد وليت وأدير شباي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل وذلك انما لرغبنا وهمتنا في الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا من حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلب الاستكثار منها الا ان الله عز وجل قد احل لنا ذلك وجعل ما غنمنا منه حلالاً وما يبالي احدنا ان كان له قطار ذهب او كان لا يملك الا درهماً لان غايه احدنا من الدنيا اكلة بأكلها ليسد بها جوعه لليل ونهاره وشمله بلتحنها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قطار من ذهب انفق في سبيل الله واقتصر على هذا الذي في يده ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعم الدنيا

ليس نعيماً ورخاءاً لها ليس رخاءاً انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك به جوعه ويستر عورته وتكون همة وشغلة في رضوانه وجهاد عدوه

فما سمع المتوقس منه هذا الكلام قال لمن حوله بلغنهم «هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لا هيب . ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها» ثم اقبل المتوقس على عبادة وقال له

«ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغنم ما بلغنم الابا ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليهم الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالي احدكم بمن لقي ولا من قاتل وانا لتعلم انكم لن تندروا عليهم ولن نطينوهم لضعفكم وقتنكم وقد اقمتم بين اظهرنا اشرأ وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم مائة دينار ولحبايتكم الف دينار فتقبضونها وتصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم ما لا قوام لكم به»

فقال عبادة «يا هذا لا نفرن نفسك ولا اصحابك اما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لا نتوى عليهم فلعمرى ما هذا الذي تخوفنا به ولاء بالذي بكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارغب ما يكون في قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وماشي لا اقر لا عيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حيثنذ لعلى احدى الحسينيين اما ان نعظم لنا بذلك غنيمه الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمه الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل

قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل الا وبدعو ربّه صباحاً ومساءً ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلد ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل منا ربّه اهله وولده وانما همتنا ما امامنا . واما قولك اننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنعن في اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فينبه فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث خصال فاختر ايها شئت ولا تطمع تنسك في الباطل . بذلك امرني الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل الينا اما ان اجتمعت الى الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسوله وملائكته امرنا الله ان نقاتل من خلفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستغل اذاكم ولا التعرض لكم وان ايتمت الالجزية فادوا الينا الجزية عن يديهم صاغرون وان تعاملكم على شيء نرضى به ونحن وانتم في كل عام ابداً ما بقينا وبقيتهم ونقاتل عنكم من ناولكم وعرض لكم في شيء من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم ان كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ايتم فليس بيننا وبينكم الا الهاتمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب ما تريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظر والانسك

فقال المنوقس " هذا ما لا يكون ابداً ما تريدون الا ان نتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا "

فقال عبادة " هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت "

فقال المنوقس " أفلا نجيبوننا الى غير هذه الثلاث خصال "

فرجع عبادة يديه الى السماء وقال " لا وربّ هذه السماء وربّ هذه الارض وربّ كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاخناروا لانفسكم " فالتفت المتوقس اذ ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ النوم فما تريدون فقالوا « أبرضى احد بهذا النمل اما ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابداً ان نترك دين المسيح بن مريم وتدخل في دين غيره لا نعرفه واما ما ارادوا ان يسبونا ويجعلونا عبيداً فالموت ابسر من ذلك فلورضوا ان نضاعف لهم ما اعطيناهم مراراً كان امون علينا »

فقال المتوقس لعبادة « قد آبي النوم فما ترى فراجع اصحابك على ان نعطيكم في مرتكهم هذه ما تمنيتهم وتصرفون »

فقال عبادة واصحابه « لا » . فقال المتوقس لاصحابه « اطيعوني واجيبوا النوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم نجيبهم اليها طائعين لنجيبهم الى ما هو اعظم كارهين »

فقالوا « واي خصلة نجيبهم اليها » قال « اما دخولكم في غير دينكم فلا يسلم احدكم به واما قتالهم فانا اعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة » قالوا « فنكون لهم عبيداً ابداً » قال « نعم تكونون عبيداً مساطلين في بلادكم آمنين على انفسكم واحوالكم وذراريتكم فاطيعوني من قبل ان تندموا » فاذعن النوم الجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه .

فقال المتوقس لعبادة « اعلم اميرك اني لا ازال حربصاً على اجابتم الى خصلة من تلك الخصال التي ارسل اليها فليعطني ان اجتمع به انا في نفر من اصحابي وهو في نفر من اصحابه فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعاً وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه »

فرجع عبادة الى عمرو واخبره بما كان فابششار اصحابه فقالوا « لانجيبهم الى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيئنا

وغنيمة كما صار لنا الحصن وما فيه . فقال عمرو وقد علم ما عهد الي أمير المؤمنين في عهده فان اجابوا الي خصلة من الخصال الثلاث التي عهد الي فيها اجنتهم وقبيلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم . فوافقوه .

فاجتمع عمرو والمنوفس واتفقوا على الصلح بان يعطى الامان للمصريين وهم يدفعون الجزية وهالك نص الشروط

”بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على انفسهم ودمهم واموالهم وكافتهم وصاعهم ومدهم وتددمهم لا يزيد شي في ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب وعلى اهل مصر ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذه الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف وعليه من جنى نصرتهم فان ابي احد منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم وذمتنا من ابي برة وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله ما لم وعليه ما عليهم ومن ابي واخثار الذهب فهو آمن حتى يبلغ ما منه ويخرج من سلطاننا وعليهم ما عليهم اثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة امير المؤمنين وذم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكندا وكندا رأسا وكندا فرسا على ان لا يغزوا ولا يبيعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر هذا نص الكتاب“

ولما تم الصلح على هذه الصورة كتب المنوفس الي ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم بفتح رأيه وبعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه ”ان ما أتاك من العرب اثنا عشر الفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا اداء الجزية الي العرب واخثارهم علينا فان عندك بمصر من الروم

وبالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة الف فارس معهم العدة والقوة  
والعرب وحالم وضعهم على ما قد رأيت فهجرت عن قتالهم ورضيت ان  
تكون انت ومن معك من الروم في حال القبط اذلاء فقاتلهم أنت ومن  
معك من الروم حتى ثوت او نظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثيركم  
وقوتكم وعلى قدر قوتهم وضعهم كأسكنة ناهضهم القتال ولا يكن لكم رأي  
غير ذلك» وكتب ملك الروم بذلك كتباً الى جماعة الروم

فأقبل المنوقس الى عمرو وقال له «ان الملك قد كره ما فعلت  
وعجزني وكتب اليّ والى جماعة الروم ان لا نرضى بصالحك وأمرهم بقتالك  
حتى يظنوا بك او نظفهم ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاهدتك  
عليه وإنما سلطاني على نفسي ومن اطاعني وقد تم صلح القبط ما بينك وبينهم  
ولم يأت من قبلهم نقض وأنا منكم لك على نفسي والقبط ممنون لك على الصلح  
الذي صالحتهم عليه وعاقبتهم وأما الروم فأننا منهم براء وأنا اطلب اليك  
ان تعطيني ثلاث خصال الاولى ألا تنقض بالقبض وادخلني معهم والزمني  
ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه فهم ممنون لك  
على ما تحب وأما الثانية فان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا  
تصالحهم حتى تجعلهم فينا وعبيداً فانهم اهل لذلك لاني نصحتهم فاستغشوني  
ونظرت اليهم فاتهموني وأما الثالثة فاني اطلب اليك ان تأتني ان  
تأمرهم بدفوني بحسر الاسكندرية». فاجابه الى ما طلب على ان يضمنوا له  
المجسرين جميعاً ويقبوا لهم الأتزال والضيافة والأسواق في طريقهم الى  
الاسكندرية ففعلوا وصارت القبط لهم اعدواً

فانذ عند ذلك عمرو الى الخليفة رسولاً بكتاب يخبره بما تم بينه وبين  
المنوقس فاجابه منشطاً وسأله ان يصف له مصر فاجابه

«ورد اليّ كتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءه وبسألني عن مصر  
اعلم يا امير المؤمنين ان مصر قرية غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها

عشر بكنتها جبل أغبر ورمل أغبر بخط وسطها النيل المبارك الغدوات  
 ميمون الروحات تجري فيه الزيادة والنقصان لجاري الشمس والقمر . له  
 اوان بدر حلايه وكثير عجاجه ونعظم امواجه فتنيض على الجانبين فلا  
 يمكن التخاص من القرى بعضها الى بعض الا في صغار المراكب وخفاف  
 القوارب وزوارق كآهن الخايل ورق الاصابل فاذا تكامل في زيادته  
 نكص على عقبه كأول ما بدا في جريته وطى في درته فعند ذلك تخرج  
 ملة محفورة وذمة محفورة يجرثون بطون الارض ويذرون بها الحب  
 يرجون بذلك النماء من الرب لفهم ما سعو من كدم فباله منهم بغير  
 جدم فاذا احق الزرع واشرق سناه الندى وغذاه من تحت الثرى  
 فيينا مصر يا امير المؤمنين لؤلؤة بيضاء اذ هي عنبره سوداء فاذا هي  
 زمردة خضراء فاذا هي ديباجة زرقاء فتبارك الله الخالق لما بشاء الذي  
 يصلح هذه البلاد وينيرها ويقر قاطنها فيها ان لا يقبل قول خسيسها في  
 رئيسها وان لا يستأدي خراج الثمة الا في اوانها وان يصرف ثلث ارتناعها  
 في عمل جسورها وتراعها فاذا نقر الحال مع العمال في هذه الاحوال  
 تضاعف ارتناع المال والله تعالى بوفى الملك والمال «

« فتح الاسكندرية . سنة ٥٢٠ »

ولما تمّ التعاقد بين المسلمين والقبط على ما تقدم هاجر جميع من  
 كان بين هؤلاء من الروم ملتجئين الى الاسكندرية او عمرو فعزم على  
 النزول الى الاسكندرية فاقام في الحصن حامية ونادى برجاله ان يسيروا  
 على نية النخ وان يسير معه جماعة من رؤساء القبط يصلحون له الطرق  
 ويقومون الجسور والاسواق وكانت خيام العرب مضروبة بين النيل والجبل  
 على ما تقدم فامر عمرو بنفقوا فيها والاستعداد للسير فجاءه قائل « ان خيمة  
 الامير قد عشعش في قمتها زوج من الحمام تحته صغار لا تستطيع الانتقال

فأرأي الامير « فاجاب عمرو قائلاً » ما عاذ الله ان نأبى حجابة ذي  
حياة استجار بنا فترتل دارنا واستنظل بجاننا فضلاً عن اننا لا نزال في شهر  
محرم المبارك الذي حرّم علينا فيه أتيان الاذى بشي من خلق الله فاتركوا  
فسطاطي منصوبة لهن الطيور فانها ضيوف عليّ لينا نعود ان شاء الله «  
ولا يخفى ما كان لهن الحادثة من التأثير الحسن في قلب من سمعها من  
الوطنيين . فتركوها وساروا في سيلهم قاصدين الاسكندرية متغذين ضفة  
فرع النيل الغربي خطة مسيرهم فلاقاهم في الطريق بعض من هاجر من  
منف من الروم فقاتلوهم بسيراً وكان من هؤلاء فئة تحصنت في كوم شريك  
واخرى في مريوط وكانا على جانب من المنعة فتغلب عليها عمرو واحتلها  
اما القبط فكانوا اعواناً للمسلمين في كثير من احوالهم ذلك ما امرم  
به المتوقس فلما بلغ ذلك جماعة الروم في الاسكندرية اشتد غيظهم فاصروا  
على الحرب وأخذوا يعدون مهنات الدفاع اما عمرو فما زال يتقدم بجيشه  
الى الاسكندرية وكانت عاصمة القطر المصري الى ذلك العهد وفيها من  
عظمة الروم ورهينهم ما يوقف الابطال وحاصرها براً اما بحراً فكانت  
الطريق متوحة بينها وبين القسطنطينية وكان يأتيها منها كل ما تحتاج  
اليه من المؤن والرخاير فطال امد الحصار رثماً عن جميع الوسائل التي  
اتخذها العرب ففتخر عمرو فجمع اليه رجاله وخطب فيهم ما انهض همهم  
فهاجموا الاسوار وهو في مقدمتهم فخرقوها فدخل المدينة عمرو واثان من  
قواده وها مسلمة بن مخلد ووردان الا انهم لم يكادوا يبطؤونها حتى قفلت  
الاسوار وراءهم والنبي القبض عليهم واحضروا امام الحاكم فخطبهم قائلاً  
« هوذا انتم اسرى في ايدينا فاخبرونا ما الذي جاء بكم الينا وما الذي  
حملكم على قتالنا » فاجابة عمرو بقلب لا يهاب الموت « قد اتيناكم  
ندعوكم الى الاسلام فيكون لكم مالنا او ان تدفعوا الجزية عن يدي  
وانتم صاغرون والا فلا يمكننا الاكتفاف عن قتالكم فان الله يأمرنا به

الآ اذا اجتمعونا الى احدى الخصلين « فبهت الحاكم لجوابه وعظيم انتبه  
على حين انه كان ينتظر منه تذلاً واستعطافاً شأن من كان على مثل  
حالو فداخلة الربيب فقال لمن في مجلسه من الروم باللغة اليونانية يظهر  
لي ان هذا الرجل من وجوه العرب وربما كان من كبار قوادهم فلا ينبغي  
ان تتخلى عن قتله وكان وردان عارفاً باللغة اليونانية ففهم ما قاله الحاكم  
ولكي يطلع عمراً على ذلك لكمة مستهزئاً وناداهُ منتهراً « ما هذا الهذيان  
يا رجل ومن انت حتى تنطق بهتل ما تظفت او ان تنسب الى اسياك  
ما قد نسبت من اقامك متكلماً عنهم او ما ادراك بمقاصدهم وما انت الا  
احد صعايلهم فاصبت ولا تعد للتداخل فيما لا يعنك »

فاختلف ظنُّ الحاكم لكنه لم يزل متعجباً لتلك الجسارة وزاد تعجبه عند  
ما رأى ان المتكلم احد صعايلك العرب ثم قال مسلمة « اعلم ايها الحاكم  
المعتبر ان أميرنا اقرب الناس الى المسالمة لكنه يرغب قبل الانسحاب ان  
يعقد مجلساً مؤلفاً من كبار الجيشين فيتفقون على شروط الانسحاب واذا  
اذنت بعودنا اليه نخبره بما لاقيناه من حسن المعاملة وما اتم عليه من  
كرم الاخلاق » فاجابهم الى ما طلبوا فانصرفوا وهم لا يصدقون انهم نجوا  
من الموت فيبناهم في الطريق قال مسلمة لعمره « والله ما نجاك من الموت  
الا لكمة وردان » فوصلوا الى المعسكر وهم على نية تشديد الحصار الى ان  
يقضي الله بما يشاء

وفي اثناء ذلك استبطأ الخليفة فتح الاسكندرية . فكتب الى عمرو  
« اما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما  
ذاك الا لما احدثتم واحبيتم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك  
وتعالى لا ينصرفوا الا بصدق زبائهم وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر  
واعلمت ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان  
يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم فاذا اناك كتابي هذا فاخطب في الناس

وحضهم على قتال عدوهم ورغبتهم في الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس ومر الناس جميعاً ان يكونوا لم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وسمع الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم « فجمع عمرو رجاله وتلا عليهم كتاب امير المؤمنين فأثر فيهم تأثراً عظيماً وعزموا على القيام به

وفي خلال ذلك توفي هرقل ملك القسطنطينية ضحية مقاومة الذين حولته لما رأى فيه من الخمول وكيف انه بعد ما رأى من تملك الاسلام بلاده لم يبد حراكاً وعقب مونة انقسامات داخلية وحروب اهلية سفكت فيها دماء بريئة بسبب ادعاء الملك من هم من غير العائلة الملوكية وانتهى الامر بان عهد كرسي الملك لولده هرقل الثاني او قسطنطين الثالث وهذا لم يمض عليه مائة يوم من جلوسه حتى قضى مسموماً بيد مارتين امرأة ابيه ثم بساعي بطريرك القسطنطينية عقد على الملك بعده هرقلينة ابنة مارتين المذكورة وبعد بضعة اشهر نصب قسطان بن هرقل الثاني فيقال اجمالاً انه كان على القسطنطينية ثلاثة ملوك في وقت واحد الامر الذي اوجب زيادة الانشقاق وتعاضم الخصام وكل ذلك مما اضعف من همة الاسكندرانيين وضاعف بأسهم فهاجر بعضهم بجزاً وليك البهض الآخر في المدينة يريدون دفاعاً لم يقووا عليه . فدخلها عمرو يوم الجمعة غرة شهر محرم سنة ٢٠ للهجرة او ٢٢ دسبر سنة ٦٤٠ للميلاد واقام فيها احتفالاً عظيماً تذكراً لما اوتيه من النفع المبين ثم كتب الى امير المؤمنين كتاباً ونصه

« من عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب عليه سلام الله تعالى وبركاته اما بعد فقد فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبحت فيها اربعة آلاف بنية باربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم

الجزية واربعائة ملعب للوك واثنى عشر الف بقال بيعون البقل  
الاخضر»

وبعد ان استلم عمرو زمام الاحكام أخذ في استجلاب قلوب الاهلين  
فجعل يقرب منه سراة النوم ووجوههم ويحكم في الناس بالنسب ويحبب  
التماسهم في كل ما كانوا يسألونه منه حتى اجمع الكلك على الميل اليه  
والاذعان لامره

وقد شوّه كنية الافرنج نارنج اعمال هذا القائد العظيم واعمال الخليفة  
عمر فيما يتعلق بحرق مكتبة الاسكندرية المشهورة فقالوا انها حُرقت  
بمشورة الاول وامر الثاني وهالك ما ورد من اقوالهم بشأن ذلك قالوا « لما  
فتح عمرو بن العاص الاسكندرية علم بوجود مكتبة عظيمة هي مكتبة  
الاسكندرية الشهيرة وكان امرها مكتوماً عنه لمحاولة اهل الاسكندرية  
اخفاءها حرصاً عليها لانها كانت مشتملة على اثنى الكتب التي معظمها  
مكتوب على البايروس ( البردي ) الآن احد علماء الروم القاطنين  
الاسكندرية واسمه يوحنا الغراماطيني من الطائفة اليعقوبية كان منذ  
تشيده لتلك الطائفة مردولاً من الاسكندرانيين فاعتزل للدرس والمطالعة  
فلما فتح الاسلام الاسكندرية خطر له ان هذه المكتبة العظيمة لا تلبث حتى  
يتشتت شملها فرأى ان يسعى جهده ليستولي على شيء منها فطلب الى عمرو  
ان يسمح له بالاطلاع على بعض كتبها فاجابه في بادئ الرأي ثم رأى من  
الحاح ونهني ما يوجب المظنة فاستهله ريثما يخاطب امير المؤمنين بذلك  
فكتب اليه يستنبيه في امر المكتبة جملة فاجابه على الكتابين معا في  
كتاب ونصه

« اني اهنتك بالنور العظيم الذي اوتيته وانك اول من ولى مصر  
من المسلمين اما المكتبة فلا يخلو ان تكون كتبها مصدقة لما في الكتاب  
العزيب فلا حاجة لنا بها او مناقضة له فهي رجس وضلال وعلى التقديرين

حرقها اولي»

فلم يسع عمرو إلا الاذعان لاقام الخليفة فجعل الكعب التي اقتضى  
لكتابتها اجيال وقوداً لحمامات الاسكندرية ستة اشهر»  
اما كتبة العرب فيترهون الخليفة الامام عمر بن الخطاب عن تلك  
النعلة الشنعاء وربما كان الاقرب الى الصواب ان هذه المكتبة ومكتبة  
اخرى كانت في الاسكندرية قبلها ذهبتا فريسة النار وأيدي الاشرار على  
عهد البطالسة ومن جاء بعدهم من الروم اثناء المحروب الاهلية ولم يبق  
منها شيء الا النشوح الاسلامي والله اعلم

«بناء الفسطاط»

ثم كتب عمرو الى الخليفة يستفتيه في السكنى في الاسكندرية فسأل  
الخليفة الرسول هل يجوز بيني وبين المسلمين ما قال نعم يا امير المؤمنين  
اذا جرى النيل فكتب الى عمرو «اني لا أحب ان تنزل المسلمين منزلاً  
يجول الماء بيني وبينهم شتاء ولا صيفاً فمتى اردت ان اركب اليكم راجلي  
حتى اقدم اليكم قدمت» فاستخاف عمرو في الاسكندرية حامياً وأمر  
فشدت الرجال الى حصن بابل فلما بلغوا المكان حيث فسطاط الامير  
رأوها لا تزال منصوبة وفيها الطيور فتزلوا فيها وجعلوا تلك الخيمة مركزاً  
لمسكروهم ودعوا ذلك المكان من ذلك اليوم بالفسطاط . ثم انضمت القبائل  
بعضها الى بعض وأخذوا في بناء البيوت لسكنى الجيوش فاخطأ عمرو  
مدينة شمالي الحصن دعاها الفسطاط فيها نحو عشرين حارة دعاها خططاً  
واقام اربعة من كبار رجاله يتزلون الناس في الخطط المذكورة بحسب  
احزابهم وقبائلهم

وفي مكان حصن بابل اليوم كنائس قبطية قديمة العهد يدعون  
بجملها قصر الشمع او دبر النصارى او دبر ماري جرجس فاذا تجاوزت

جامع عمرو ومسافة بضع دقائق تاركاً مصر العتيقة الى يمينك تشاهد الى يسارك بناء كبيراً يظهر انه حارة مؤلفة من عدة ابنية عليها ملامح الشيخوخة وكأنها محاطة بسور كبير مقام من الفرميد الاحمر عند اسنلو باب قديم مصغ بالحديد الغليظ يتصل اليه بالحدار لا يقل عن ثلاث اذرع وهذا هو احد ابواب الحصن على ما يظن ومن هذا الباب تدخل في زقاق ضيق تنصل منه الى ازقة كثيرة كلها ضيق من النمط القديم ومنها تنصل الى عدة كنائس قبطية منها كنيسة العذراء وكنيسة ابي سرجة وكنيسة ماري جرجس وكنيسة القديسة بربارة وكنيسة لليهود ( كان في الاصل كنيسة على اسم القديس ميخائيل ) وغير ذلك وقد زرت جميع هذه الكنائس فرأيت انها مع كونها تشير الى تقادم عهدها في البناء فقد جدد فيها قسم عظيم وجميعها داخلية في بناء الحصن

وما يستحق الانتباه اني شاهدت تحت كنيسة ابي سرجة مغارة ينزل اليها بعدة درجات يقولون انها كانت مقاماً للسيدة مريم العذراء عند قدومها الى مصر وبلوح لي انها كنيسة من الكنائس التي كان يصلي فيها المسيحيون في ايام الاضطهاد الشديد لانها تظهر للمتأمل مبنية على مثال الكنائس الحاضرة فني صحتها الى كل من الجانبيين عدة اعمدة بينها نقر في جدار المغارة اشبه بالمذابح وفي المغارة جرن للعمادة وكهها معنور في الصخر اما الحصن فاذا تأملت بجدرانها الباقية من الخارج تراها على نمط البناء الروماني وترى احدها وهو الجنوبي لا يزال عبارة عن برجين كبيرين في احدهما كنيسة العذراء المعروفة بالمعلقة سميت كذلك لارتفاعها وبينها باب مسدود وقد طمرت الاتربة جزء السفلي وبشاهد في جدران اخرى آثار مثل هذين البرجين وتشير هذه الابراج الى ما كان عليه هذا الحصن من المناعة فلاغرو اذا امتنع على العرب سبعة اشهر . اما محلة بابليون التي قد اقيم فيها هذا الحصن فلا يمكن معرفة حدودها الآن وإنما

يشاهد الى جنوبي الحصن ببضع مئات من الامتار دبراً يقال له دبر يابلون  
 يدخل اليه من باب ضيق مصغ بالحديد وفيه الى الآن كيسة السيدة مريم  
 يجتمع اليها بعض المسيحيين للصلاة وبناء هذا الدبر اشبه ببناء الحصون  
 منه بالاديرة وهو قائم في منخفض بين تلين يقال لهما تل غراب ولم يعد الآن  
 غير هذا الدبر حاملاً لاسم تلك الحوطة

وكثيراً ما يقع الالتباس بين بابل هذه وبابل العراق في بعض  
 النصوص التاريخية فيجب الانتباه الى ذلك

اما النسطاط فقد خربت ولم يبق منها الا آكام من الاتربة فيما  
 بين القاهرة ومصر العتيقة بجدها شمالاً اطراف القاهرة وجنوباً قناطر السباع  
 ومصر القديمة وشرقاً آكام من الاتربة متصلة بالقرافة وغرباً مدافن  
 النصارى

وجعل عمرو النسطاط عاصمة الديار المصرية ومركز الامارة بدلاً  
 من الاسكندرية وجعل على الاسكندرية المتوقس وعلى الوجه القبلي عبدالله  
 بن سعد بن ابي سرح بأمر الخليفة وتولى بنسبه صلوات مصر وخراجها  
 فكان يجبي منها ١٢ مليوناً من الدينانير سنوياً

وكان في جملة القبائل التي حضرت فتح مصر وجاءت لاحتلالها قبيلة  
 همدان فهذه أحببت النزول في الجزيرة مع من والاها من المسلمين فاستأذنوا  
 عمرو بن العاص فقال مهلاً ريثما استشير امير المؤمنين فكتب اليه  
 يعلم بما فتح الله عليهم وبما ارادت همدان فاجابة بحمد الله على ما كان من  
 ذلك ويقول له « كيف رضيت ان تفرق اصحابك بان يكون بينك  
 وبينهم بحر ولا تدري ما ينجأهم فلهلك لا تندر على غيائهم حين ينزل بهم  
 ما نكره فاجمعهم اليك فان ابلو عليك واعجبهم موضعهم بالجزيرة واحبوا ما  
 هنالك فابن عليهم من في المسلمين حصناً» فعرض عليهم عمرو ذلك  
 فأبوا واعجبهم موضعهم فبنى لهم حصناً بغيرهم اذا فاجأهم امر

ثم سار عبدالله بن سعد الى الوجه القبلي لتدويع البلاد فلم يلق معارضا  
وما زال حتى اتى بلاد النوبة ففتحها كلها

« اصلاح البلاد وتنظيمها »

وأخذ عمرو من ذلك الحين في تنظيم البلاد فقسم النظر المصري  
الى كور او أعمال برأس كلأ منها حاكم قبلي تأتيه النضايا فينظر فيها  
ويصدر احكامه الى من هم تحت حكمه رأساً فحصل الاهلون على راحة لم  
يكونوا راوها منذ ازمان وساد الأمن في بلادهم  
فامر عمرو بترميم مقاييس النيل التي كانت قد تعطلت منها مقياس  
اصوان ومقياس ارمنت ومقياس منف وغيرها . وكان من عادة المصريين  
قبل الفتح الاسلامي انه اذا مضى ١٢ يوماً من شهر بوونه يمدون الى  
جارية بكر من ابويها فيرضونها ويجعلون عليها من الحلي افضلها ثم يلتونها  
في النيل ضحية . فابطل عمرو هذه العادة وعوض عن الجارية بمثال من  
طين . وقد ذكر بعض المؤرخين هذه الحقيقه في سياق حكاية لا بأس من  
ذكرها وهي انه اتفق للنيل في السنة التالية للفتح انه لم يرتفع الارتفاع اللازم  
لري الاراضي ولما دخل شهر بوونه التبلي قال له اهل البلاد « ايها  
الاميران لنيلنا هذا سنة لا يجري الايها » فقال لهم وما ذلك فقالوا « اذا  
كان اثني عشرة ليلة نخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها  
فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها  
في النيل » فقال لهم عمرو « ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم  
ما كان قبله » فمضى بوونه وايب وسري وهولا يجري قليلاً ولا كثيراً  
حتى هموا بالجللاء فكتب عمرو الى امير المؤمنين عما كان فاجابه « انك  
قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالفها  
في داخل النيل اذا اناك كتابي »

فلما قدم الكتاب الى عمرو ففخ البطاقة فاذا فيها « من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرک فلا تجر وإذا كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك بامرہ فسنأل الله الواحد القهار ان يجريك » فالتى عمرو البطاقة في النيل وقيل ان ذلك كان قبل عيد الصليب يوم وقد تم أهل مصر للخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراء الله تعالى ١٦ ذراعاً فلما رأى المصريون ذلك تعجبوا ووقع في قلوبهم الرعب وزاد احترامهم للخليفة واورامه وابطلوا تلك العادة القبيحة واستقبلوا رمزاً عنها تمثالاً من طين يصنعونه كل سنة عند فسخ الخلع بسمونة العروسة فيلقونها في الخلع ولا يزال ذلك جارياً الى يومنا هذا انرا لما كان يرتكبه المصريون القدماء من العسف كل سنة في شأن النيطان

ثم اخذ عمرو في تنظيم العدلية وكانت امورها الى ذلك العهد منوطة بنواب مالئين او جهاديين من قبل حكومة الروم يستبدون بالريعية كيف شاؤوا وليس من ينصف فاوجد لهم عمرو المجالس النظامية وقسمها الى مجالس دائمة وزمنية مؤلفة من اعضاء ذوي نزاهة واستقامة ومقام رفيع عند الاهلين . ولا بد لنا من ذكر فضل هذا النامح بانه اول من اوجد هذه المجالس بمصر تحت اسم دواوين . اما اعضاءها فيختبون من الاهالي والاحكام تجري بمقتضى عدل القضاة وتسنأف عند الاقتضاء لنقضها او ابرامها ولم تكن احكام النضاة المسلمين تجري الا على المسلمين باعتبار كونهم من جيش الاحتلال . والنضايا التي فيها احد الخصمين قبضي كان لنواب القبط حتى التداخل فيها والعمل بمقتضى قوانينهم الدينية والاهلية

اما اعطيات الجيش فكانت تصرف مما يجبي من اموال الخراج وتوزع في الديوان على الامراء والعمال والاجناد على قدر مرتبتهم وبحسب مقدارهم ويعمل ما ينصل الى بيت المال وكان يقال لذلك في صدر الاسلام

العطاء وما زال ذلك جارياً في الدول الاسلامية الى آخر الدولة الفاطمية  
ثم صارت منذ ايام صلاح الدين تُعطى اقطاعات تفرق على السلطان  
وامرائه واجناده

وما فتئ عمرو يتخذ الوسائل الممكنة لاكتساب ثقة المصريين ولم يدع  
فرصة تنوثة في اكتسابها. فقد قيل ان البطريرك بنيامين كان من الطائفة  
اليعقوبية وكان مضطهداً من هرقل ملك الروم اضطهاداً عظيماً لمحاظنته  
على خطوه الدينية رغمًا عما كان يسومه ذلك الملك من الاكراه على تغييرها  
غير مبال بما كان يهدده من المخاوف والاضطرابات فشدد هرقل عليه التكبير  
واحرمه حرية التدبير ومنعه من السلطة الدينية وتمهده بالقتل ففر يطلب  
ملاجاً في بعض الادبج فأقام هرقل مقامه في زمن الحصار رجلاً كان بيد  
المجلس آلة يدبرونها كيف شاءوا وكانت مصر حينئذ منقسمة كما تقدم الى  
قسمين دينيين ملكيين ويعقوبيين وكان على رئاسة الطائفة الاولى وهي  
الاصغر هذا البطريرك الجديد وعلى الطائفة الثانية بطريرك واساقفة  
اقامهم هرقل باختياره غير ان الشعب لم يكن يعاملهم الا بالاحقار ولم  
يكن يعتبر الرئاسة الحقيقية الا لبنيامين المختار قديماً منهم. فعند ما بادت  
سلطة الروم ورأى القبط من الاسلام ميلاً ورفقاً عرضوا امرهم الى عمرو  
يلتمسون استرجاع بطريركهم القديم فاستدعا عمرو وطيب خاطره واقامه  
في منصبه وخلع الذين كانوا مكانه فحسب القبط هذا الامر منةً وفضلاً  
وازدادوا ثقةً وميلاً للمسلمين ولا سيما لما رأوه يفتنون لهم الصدور  
ويبعثون لهم اقامة الكنائس والمعابد في وسط النسطاط بل في وسط  
جيش الاسلام على حين انه لم يكن للاسلام معبد فكانوا يصلون  
ويخطبون في الخلاه

ثم عمد عمرو الى بناء جامع على مثال جامع مكة سعةً وشكلاً فبناه  
في النسطاط قرب حصن بابل وكان في موضعه خان استولى عليه احد

رجال عمرو عند النخ فلما عادوا من الاسكندرية طلب اليه عمرو ان يجعل منزله هذا مسجداً فرضي وكان النيل يجري بفرس ثم انحسر عنه بعد ذلك غرباً . واتى عمرو بحجارة ذلك الجامع من بقايا منف العظيمة بينها اعمدة كبيرة من الجرانيت وقطع هائلة من الرخام اُقيمت بها جدرانها وقد قيل ان القرآن كله كان منقوشاً عليها مذهباً . والجامع المذكور لا يزال الى يومنا هذا في مصر القديمة يعرف باسم جامع عمرو يكاد يكون مهجوراً مساحته ٢٥٠ قدماً مربعاً وقد رُمِّمَ مراراً بحيث لم يبقَ من البناء الاصلى الا شيءٌ زهيد ومن جملة من جدد في بناؤه السلطان المؤيد سنة ٨١٤ هـ وآخره مراد بك وهذا لم يكن يحاول ذلك الا طمعاً بحياة أو عز اليه انها مدفونة في بعض اجزائه كما سترى . واذا زرت هذا الجامع الآن تراه خراباً وقد سقطت كل الاعمدة الرخامية التي كانت على الجانبين وفي صحته حنفيه وشجره وفي ارض ليوانه صهرج

وفي هذا الجامع كانت تعطى قبالات الاراضي وهي ان متولي الخراج كان يجلس في جامع عمرو زمان ثين فيه قبالة الاراضي (التزامها) وتجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صنفات (وكانت صنفه البيع عند العرب ان يضرب المشتري يده على يد البائع ان رضي البيع ثم سمي عند البيع الصنفه) وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما ينهي اليه مبالغ الكور والصنفات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين لاجل الظلم والاستعمار وغير ذلك فاذا انقضى الامر خرج كل من كان تقبل ارضاً وضمنها الى ناحيته فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنسبه واهله ومن يتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في اباؤه على اقساط وبحسب له من مبلغ قباليه وضمانه لتلك الاراضي ما ينقذه على عمارة جسورها وسد ترعها وحنر خراجها بضريبة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ

الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين فكان اذا تأخر من مال الخراج البواقي تشدد الولاة في طلبه مرة ونساح به من فاذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلاً جديداً فيزيدون فيها بمخسول الزيادة من غير ضمان البلاد وينقصون فيها بما يحتاج التفتيش منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع ابن العاص الى ان بنى احمد بن طولون جامعة

والمنتخبون اجدر الناس باتباع الرفق بمن اصبحوا من رعاياهم وقد ضربت عليهم المسكنة بعد ان كانوا اصحاب البلاد ويهدم الحل والعقد والظاهر ان عمراً كان على بينة من ذلك وقد جرى عليه لانه كان يحمل من المصريين وبهمهم في دفع الخراج الى حد ان بوقع فيه مظنة الخليفة وما يحكى ان الخليفة استبطأ الخراج من قبل عمرو فكتب اليه

” بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني فكرت في أمرك والذي انت عليه فاذا ارضك ارض واسعة عريضة ريفية وقد اعطى الله اهلها عدداً وجلداً وقوة في برّ وبحر وانها قد عاجتها الفراعنة وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك واَعْجَبَ ما عَجِبْتَ انْهَا لَا تُؤَدِّي نِصْفَ مَا كَانَتْ تُؤَدِّيهِ مِنَ الْخَرَاجِ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ قُحُوطٍ وَلَا جَدْبٍ وَلَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي مَكَاتِبِكَ فِي الَّذِي عَلَى اَرْضِكَ مِنَ الْخَرَاجِ وَظَنَنْتَ اَنْ ذَلِكَ سِيَأْتِيْنَا عَلَى نَفِيرٍ نَزْرٍ وَرَجُوتُ اَنْ تَبْقَى فَنُفْرِعَ اِلَيّْ ذَلِكَ فَاِذَا اَنْتَ تَأْتِيْنِي بِمَعَارِيضٍ نَعْبَأُ بِهَا لَا تُوَافِقُ الَّذِي فِي نَفْسِي لَسْتُ قَابِلًا مِنْكَ دُونَ الَّذِي كَانَتْ تُؤَخِّدُ بِهِ مِنْ الْخَرَاجِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَسْتُ اَدْرِي مَعَ ذَلِكَ مَا الَّذِي تَنْتَرِكُ مِنْ كِتَابِي وَقَبْضِكَ فَكُنْ كُنْتَ مَعْجِزًا كَافِيًا صَحِيحًا اَنْ الْبِرَاءَةَ لِنَافِعَةٍ وَاِنْ كُنْتَ مُضِيعًا نَطْعًا اَنْ الْاَمْرَ لَعَلِيْ غَيْرَ مَا تَحَدِّثُ بِهِ نَنْسُكَ وَقَدْ تَرَكْتَ اَنْ اِيْبِيْ ذَلِكَ مِنْكَ فِي

العام الماضي رجاء ان تنيق فتزفع اليّ ذلك وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك الا ان عمالك عمال سوء وما توالس عليك وتلقف اتخذوك كهنا وعندني باذن الله دولة فيه شفاء عما اسالك فيه فلا تجزع ابا عبد الله ان يؤخذ منك الحق وتُعطاه فان النهر يخرج الدرّ والحجّ والطح ودعني وما عنته تلجلج فانه قد برح الخفاء والسلام

فكتب اليه عمرو " بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني اُحمد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتاب امير المؤمنين في الذي استبطناني فيه من الخراج والذي ذكر فيه من عمل النزاعة قبلي واعجابي من خراجها على ايديهم وتنص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمري للخراج يومئذ اوفر واكثر والارض اعمر لانهم كانوا على كفرهم وعنوم اُرغب في عمارة ارضهم منّا مذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدرّ فحلّبتها حلّبا قطع درّها واكثرت في كتابك واثبت وعرضت وترتبت وعلمت ان ذلك عن شيء تخفيه على غير خبير فحجبت لعمري بالمنطعات المقدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد عملنا لرسول الله (صلعم) ولبن بعدك فكنا نحمد الله مؤدبين لا مانتنا حافظين لما عظم الله من حقّ آيبتنا نرى غير ذلك قبيحا والعمل شيئا فتعرف ذلك لنا ونصدق فيه قبلنا معاذ الله من تلك الطعم وشرّ الشيم والاجترأ على كل ما ثم فاض عملك فان الله قد نزهني عن تلك الطعم الدينية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا والله يا ابن الخطاب لانا حين براد ذلك مني اشد غضبا لنفسي ولها انزاهما واكراما وما عملت من عمل ارى تليو فيه متعلنا ولكي حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولكن الله عظم من حذك

« ما لا يجهل »

فكتب اليه الخليفة « من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص  
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد عجت  
من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتباك الي ثنابات الطرق  
وقد علمت اني لست ارضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك الي مصر  
اجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكي وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج  
وحسن سياستك فاذا اناك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين  
وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام »

فكتب اليه عمرو « بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من  
عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما  
بعد فقد انا في كتاب امير المؤمنين يستبطني بالخراج ويزعم اني احيد  
عن الحق وانك عن الطريق واني والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن  
اهل الارض استنظروني الي ان تدرك غلثهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق  
بهم خيراً من ان تحرقهم فيصيروا الي بيع ما لا غنى لهم عنه والسلام »  
فكف الخليفة مقتنعاً وقد كان محبواً على ما اتبه به ممن كان يناظر  
عمراً على ولاية مصر

« فتح دمياط ونانس »

فمثل هذه المعاملة جعل للعرب منزلة رفيعة عند المصريين فعهدوا  
امورهم اليهم الا الهاموك حاكم دمياط وهو من انساب المنوقس فانه  
امتنع عن التسليم واستعد للحرب فانفذ اليه عمرو المقداد بن الاسود في  
طائفة من المسلمين فخرج اليهم الهاموك وحاربهم حتى قتل ابنة بالحرب  
فعاد الي دمياط وجمع اليه اصحابه فاستشارهم في امره وكان عنده حاكم  
قد حضر الشورى فقال له « ايها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما

استغنى به احد الأهداء الى سبيل الفوز والنجاة من الهلاك وهؤلاء العرب من يده امرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد وأذلوا العباد وما لأحد عليهم قدرة ولسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وإن النجوم قد أبدوا بالنصر والظفر والرأي ان تعقد مع النجوم صلحاً تنال به الأمن وحقق الدماء وصيانة الحرم فما انت باكثر رجلاً من المنوقس» فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودفع على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها فلما برز الهاموك للحرب لم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد فاستأمن للعقداد فتسلم المسلمون دمياط واخبروا عمراً بذلك ثم خرج شطا بن الهاموك بعد ان أسلم الى البرلس والدميرة واشموم طناج فحشد اهل تلك النواحي وجعلهم مدداً للمسلمين وسار بهم مع المسلمين لفتح نانس فبرز لاهلها وقاتلهم حتى قتل في المعركة في ليلة الجمعة نصف شعبان بعد ما أنكل فيهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط مجبون فيه ليلة نصف شعبان من كل سنة ولم يكف المسلمون عن تانس حتى فتحوها

« خلع امير المؤمنين »

ومن الاعمال العظيمة التي أجريت على يد عمرو بن العاص احتقار الخلع الموصل بين النيل والبحر الاحمر في سنة ٥٢٣ ودعاه خلع امير المؤمنين وسبب ذلك ان الناس بالمدينة اصابهم جهد شديد في سنة الرمادة فكتب الخليفة الى عمرو بن العاص ما نصه « من عبدالله عمر امير المؤمنين الى العاصي بن العاصي سلام اما بعد فلعمري يا عمرو ما تبالي اذا شبعت أنت ومن معك ان أهلك أنا ومن معي فياغوثاه ثم يا غوثاه » فكتب اليه عمرو « من عبدالله عمرو بن العاص الى امير المؤمنين اما

بعد فبا ليك ثم باليك قد بعثت اليك بعير اولها عندك وآخرها عندي  
والسلام» اراد بذلك انه ارسل له قافلة من الجمال عظيمة الجمل  
الاول منها في المدينة والآخر في مصر يتبع بعضها بعضاً فلما قدمت على  
الخليفة وسع بها على الناس ودفع الى اهل كل بيت بعيراً بما عليه من  
الطعام لياكلوا الطعام ويا تدموا بالحبه ويخندوا بجلده ويتنعوا بالوعاء  
الذي كان فيه الطعام فيما ارادوا من لحاف وغيره فلما رأى الخليفة ذلك  
حمد الله وكتب الى عمرو ان يقدم اليه هو وجماعته من اهل مصر فقدموا  
فانفرد بعمرو جانباً وقال له «يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر  
وهي كثيرة الخبز والطعام وقد اتى في روعي لما احببت من الرقيق باهل  
الحرمين والتوبة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم والجميع  
المسلمين والعرب قد تشاءمت بي وكادت ان تغلب على رحلي وقد عرفت  
الذي اصابها وليس جند من الاجناد ارجى عندي ان يغيب الله بهم اهل  
الحجاز من جندك فان استطعت ان تحال لم حيلة حتى يغيبهم الله تعالى»  
فقال عمرو «ما شئت يا امير المؤمنين قد عرفت انه كانت تأتينا سنن  
فيها تجار من اهل مصر قبل الاسلام من خليج كان مفتوحاً بين النيل  
المبارك وبحر الفلزم فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركة التجار  
فان شئت ان نخرق فنشئ فيو سنناً يحمل فيها الطعام الى الحجاز فعلت»  
فقال الخليفة نعم فافعل ولما خرج عمرو من حضرة امير المؤمنين لاقاه  
الذين أتوا معه من مصر فذكر لهم ما كان من حديث الخليفة فقالوا «ماذا  
جئت يا صالح الله الامير اتريد ان تخرج طعام ارضك وخصبها الى الحجاز  
وتخرّب هذه فان استطعت فاستقل من ذلك» فاستصوب قولهم ثم جعل  
يتردد بين الامرين

فلما حان اوان عوده الى مصر ذهب لوداع امير المؤمنين فقال له  
«يا عمرو انظر الى ذلك الخليج ولا تسين حفره» فاجاب عمرو

« يا امير المؤمنين انه قد انسد وتدخل فيه ثقفات عظيمة » فقال له  
 « اما والذي نسي يده اني لا ظنك حين خرجت من عندي حدثت  
 بذلك اهل ارضك فعضموه عليك وكرهوا ذلك اعزم عليك الا ما حفرته  
 وجعلت فيه سنناً » فقال عمرو « يا امير المؤمنين انه متى ما يجد اهل  
 الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا ينجثوا الى الجهاد » فقال  
 الخليفة « اني ساجل من ذلك امرأ الا يحمل في هذا البحر الأرزق  
 اهل المدينة واهل مكة » فافهم عمرو وعاد الى مصر وياشر لساعته بجنر  
 الخليج ومعالجته وجعل فيه السفن ودعاه « خلع امير المؤمنين » ولم يزل  
 يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز ثم ضيعة  
 الولاة فاهل وسيا في تنصل ذلك عند الكلام على ترعة السويس في ايام  
 الخديوي اسماعيل باشا

وفي خلال ذلك تجند عمرو الى الغرب ففزع برقة وصالحه اهلها على  
 الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب ففتحها ايضاً وكتب الى الخليفة بذلك  
 سنة ٢٢ للهجرة

### خلافة عثمان بن عفان

من سنة ٢٢ - ٢٥ هـ او من ٦٤٤ - ٦٥٥ م

وبعد فتح طرابلس الغرب بقليل قُتل الامام عمر بن الخطاب بنحجر  
 عبد فارسي يقال له فيروز الملقب بابي لؤلؤة كان عبداً لمغيرة بن شعبه  
 وذلك في ٢٦ ذي الحجة سنة ٥٢٢ هـ بعد ان تولى الخلافة عشر سنين  
 وخمسة اشهر وثمانية وعشرين يوماً  
 ونادى قبل وفاته بعبد الرحمن بن عوف فصلى في الناس ثم قبل لو

استخلفت يا امير المؤمنين « فقال دعوني اعهد الى النفر الذي توفي رسول الله (صلم) وهو عنكم راضٍ » ثم دعا علياً وعثمان والزبير وسعد فقال « انتظروا احاكم طلحة ثلاثاً فان جاءه الا فاقضوا امركم فقد قبض رسول الله وهو عنكم راضٍ واني لا اخاف الناس عليكم ان استغنم ولكي اخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عيشة باء ذنها فتشاوروا فيها ثلاثة ايام ولا يا تين اليوم الرابع الا وعليكم امير منكم وبجضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الامر وطلحة شريككم في الامر فان قدم في الايام الثلاثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا امركم . انشدك الله يا علي ان وليت من امور الناس شيئاً ان تحمل بني هاشم على رقاب الناس انشدك الله يا عثمان ان وليت من امور الناس شيئاً ان تحمل بني معيط على رقاب الناس انشدك الله يا سعد ان وليت من امور الناس شيئاً ان تحمل اقاربك على الناس فتشاوروا واقضوا امركم وليصل بالناس صهيب » . وترى في الشكل الثامن عشر اسم الجلالة واسم الرسول (صلم) واسماء الصحابة المتقدم ذكرهم مع اسماء الخلفاء الراشدين مكتوبة بالحرف الكوفي في شكل جميل

وبعد وفاة عمر تشاور الصحابة فيما اوصاهم عمر فبايعوا عثمان بن عفان في ٢ محرم سنة ٢٤ هـ . وفي سنة ٢٥ ازل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولى عبدالله بن سعد بن ابي سريح اخيه من الرضاة وكان عاملاً على الصعيد في اماره عمرو . فلما تولى اماره مصر جبي خراجها للسنة الاولى ١٤ مليوناً من الدنانير وكان عمرو لا يجبي اكثر من ١٢ مليوناً فقال عثمان لعمرو « يا ابا عبدالله درت اللعنة باكثر من درها الاول » فاجابه عمرو « لقد اضرتهم بولدها ذلك ان لم يمت  
الفصل

وفي اثناء ذلك انفذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من

الزبير

محمد

سعد

ابوبكر

سعيد

عمر

عبدالله

عثمان

عبد

علي

الرحمن

طلحة

ش ١٨ اسماء الجلالة والرسول والصحابة بالحرف الكوفي

المسلمين وسبب ذلك ان الروم في النسطاطينية عظم عليهم فجع المسلمين الاسكندرية ووطنوا انهم لا يمكنهم المقام في بلادهم بعد خروج الاسكندرية من يدم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوم الى نقض الصلح فاجابوهم لانهم رأوا الجوخاليا لم بعد موت الامام عمر الذي كان يبعث كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولاة لا يغفلها ويكف مرابطها ولا يأمن الروم عليها. فسارت الجيوش من النسطاطينية في المراكب تحت قيادة منوبل الخصي فلما بلغوا الاسكندرية كان عليها المنوقس فمنعهم من الدخول فنزلوا في ساحلها وانضم اليهم من كان فيها من الروم اما المنوقس ومن معه من جماعة القبط فلم ينقضوا عهدهم مع المسلمين فسأل اهل مصر الخليفة ان يفر عمرو بن العاص حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو فنزل

عمرو والنسطاط يتأهب لمهاضة الروم وكان حول الاسكندرية سور  
 فحلف عمرو لئن اظفر الله عليهم ليهدمن سورها حتى تكون مثل بيت  
 الزانية توثى من كل مكان . فقال خارجه بن حذافة لعمرو « ناهضهم  
 قبل ان يكثر مددكم فلا آمن ان تنقض مصر كلها » فقال عمرو « لا  
 ولكن ادعهم حتى يصيروا اليّ فانهم يصيبون من مروا به فيجزى الله بعضهم  
 بعض » فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من اهل القرى فجعلوا  
 يتزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون اطعمتها وينهبون ما مروا  
 به فسار اليهم عمرو ولم يتعرض لهم حتى بلغوا نيبوس فلقوم في البر والبحر  
 فبدأت الروم القبط بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً وكانت  
 الروم قد ناهبت صنوفاً خلف صنوف فبرز احد كبار الفرسان من الروم  
 عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زييد يقال له حومل  
 بكى ابا مزحج فافتتلا طويلاً برمحين يتطاردان ثم التى الرومي الرمح واخذ  
 السيف فالتى حومل رمحه واخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو  
 يصيح ابا مزحج فيجيبه ليك والناس على الجانبين وقوف في صنوفهم كأن  
 على رؤوسهم الطير فجاؤا ساعة بالسيف ثم حمل الرومي فاحتمله حومل  
 واخترط خنجرآ كان في منطقتيه فضربه به في نحره فسقط ميتاً فوثب اليه  
 واخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك ودفن في المقطم فاشتد المسلمون  
 وانهمز الروم فظلمهم المسلمون حتى الحقوم بالاسكندرية وقتلوا منوبل  
 الخصي وانخلوا في رجاله فاستجدوا المسلمين فامر عمرو برفع السيف عنهم وبني  
 في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً دعاه مسجداً الرحمة اشارة الى  
 رفع السيف هناك وهدم سور المدينة ثم جمع ما اصاب منهم فجاهه اهل  
 تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هؤلاء  
 اللصوص فاخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يدك فرد عليهم عمرو ما  
 كان لهم من متاع عرفوه واقاموا عليه البيعة فقال بعضهم لعمرو « باحل

لك ما صنعت بنا فقد كان لنا ان نقاتل عثمانا في ذمتك ولم ننقض  
فأما من نقض فابعد الله « فندم عمر وقال يا ليتني كنت لقبتم حين  
خرجوا من الاسكندرية

ولما انهزم الروم وسكنت القلوب اراد الخليفة ان يكون عمرو على  
جند مصر وعبدالله بن سعد على خراجها فقال عمرو « انا اذا كاسك  
البقرة بقرنها وآخر يستدرها » فابى عمرو ونحى عن مصر فعاد عليها  
عبدالله بن سعد

وفي سنة ٢٧ هـ غزا عبدالله بن سعد افريقيا فقتل ملكها جرجير  
وضم البلاد الى حكمه

وفي سنة ٢٨ هـ غزا قبرص مع معاوية بن ابي سفيان فصالحهم اهلها  
على جزية سبعة الاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم  
المسلمون من ذلك وعليهم ان يؤذنوا المسلمين ان يجعلوا طريقهم الى  
العدو اليهم

وفي سنة ٢١ هـ نقضت بلاد النوبة فغزاها عبدالله بن سعد وحصر  
رجالها في دنتله حصاراً شديداً وراماه بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرفه  
وخسف بهم كبيتهم بحجر فيهم ذلك فطلب ملكهم « قليدوروث »  
الصلح وخرج الى عبدالله وابدى ضعفاً ونواضعاً فتلقاه عبدالله ورفعته  
وقربه ثم قرّر الصلح معه على ثلاثماية وستين راساً في كل سنة . وفي هذه السنة  
غزا ذا الصواري ايضاً

### « مقتل عثمان »

وفي سنة ٢٣ هـ كثرت الاشاعة بالامصار بالطعن على عثمان وعالمه  
وكتب بعضهم الى بعض في ذلك ونوالت الاخبار الى اهل المدينة فجاؤا  
الى عثمان واخبروه فلم يجدوا عنده علماء منه فقال اشيروا علي وانتم شهود

المؤمنين قالوا تبعث من ثقي به الى الامصار يا نوك بالخبر اليقين ففعل  
 فجاءته الاخبار فكتب الى اهل الامصار «اني قد رفع الي اهل المدينة ان  
 عمالي وقع منهم اضرار بالناس وقد أخذتهم ان يوافقوني في كل موسم فمن  
 كان له حق فليحضر يأخذ بجنه مني او من عمالي او تصدقوا فان الله  
 يجزي المتصدقين»

وفي سنة ٢٥ هـ بعث الى عمال الامصار فقدموا اليه في الموسم وفيهم  
 عبدالله بن سعد بن ابي سرح من مصر فقال الخليفة «ويحكم ما هذه الشكاية  
 والاذاعة واني اخشى والله ان يكونوا صادقين وانما الامر كائن وبابك سيفع  
 ولا احب ان يكون لاحد علي حجة في فتوه وقد علم الله اني لم آل الناس  
 خيرا فسكنوا الناس ويبنوا لهم حقوقهم» ثم قدم المدينة ودعا عليا وطلحة  
 والزبير ومعاوية حاضر فكلمهم فهاظروا له وجه حجه بالحقوق

وكان عبدالله بن سعد قد استخلف على مصر عند قدومه الى عثمان  
 عتبة بن عامر وكان فيها محمد بن الحذيفة من ثاروا على عثمان فجمع اليه  
 عصابة واخرج عتبة بن عامر من القسطنطين ودعا الى خلع عثمان واسمر  
 البلاد وعرض على عثمان بكل شر يقدر عليه فاعتزلته شيعة عثمان وناذوه  
 وهم معاوية بن حديج وخارجة بن حذافة ويسر بن ارقطاة ومسلمة بن  
 مخلد في جمع كثير وبعثوا الى عثمان بأمرهم وما صنعه ابن ابي حذيفة فبعث  
 سعد بن ابي وقاص يصلح امرهم فخرج اليه جماعة فقبلوا فسطاطة وشجوه  
 وسبوه فركب وعاد راجعا ولما اقبل عبدالله بن سعد من مكة معوه ان  
 يدخل فانصرف الى عسقلان

وازداد المسلمون تعصبا على عثمان فتكاثروا من امصارهم في القدوم الى  
 المدينة خفية فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في الف  
 وخرج اهل الكوفة والبصرة وكلمهم في مثل عدد اهل مصر وخرجوا جميعا  
 في شوال مظاهرين للصحح فلما اتوا المدينة واجه المصريون عليا وهو عند اجمار

الزيت فعرضوا اليه أمرهم فصاح بهم وطردهم وفعل مثل ذلك طلحة مع  
 البصريين وزيير مع الكوفيين فانصرفوا الى بعد فتفرق اهل المدينة ظناً  
 منهم ان النوم قد رجعوا عن مرادهم فلم يشعروا الا والتكبير في نواحيها وقد  
 أحاط المصريون بعثمان ونادوا بأمان من كفت يده فغدا عليهم علي فقال  
 " ما ردم بعد ذهابكم " قالوا " أخذنا كتاباً مع بريرة بقتلنا والكتاب  
 موقّع عليه من عثمان " فدخل علي على عثمان واخبره برجوع المصريين  
 فاشرف عثمان على الجمع وخطب فيهم بريرة زجرهم فنادوه من كل ناحية  
 " أنتي الله يا عثمان وتب اليه " وكان اولهم عمرو بن العاص فرفع الخليفة  
 صوته وقال " انا اول من أتعظ واستغفر الله ما فعلت وانوب اليه فليات  
 اشراقكم بروني رأيتهم فوالله ان ردني الحق عبداً لاستن بسنة العبد  
 ولا ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لا اعطيكم الرضا  
 ولا احجب عنكم " ثم بكى وبكى الناس ورجع الى منزله فدخل عليه علي  
 ومحمد بن مسلمة وسأله عن اعتراضه على ما يقوله اهل مصر فحلفت ما  
 كتب ولا علم ثم دخل عليه المصريون وقالوا له « جئنا لقتلك فردنا علي  
 ومحمد وضمننا لنا النزوع عن هذا كآء فرجعنا ولقيتنا رسولك ناقلاً كتاباً  
 وفيه امرك لابن ابي سرح ( ولم يكونوا عالمين باعمال ابن ابي حذيفة ) بجلدنا  
 والمثلة بنا وهو يد غلامك وعابو خاتمك » فحلف عثمان لا كتب ولا امر  
 ولا علم . قالوا « فكيف يجترأ عليك بمنل هذا فقد استخيت الخلع على  
 التقديرين اذ لا يجعل ان يولى الامور من ينتهي الى هذا الضعف فاخلع  
 نفسك » فقال « لا أتزع ما البسني الله ولكني انوب وارجع » قالوا « رأيناك  
 تنوب وتعود فلا بد من قتلك » وخرجوا وبقي محصوراً اربعين يوماً منع  
 عنه الماء في اواخرها وفي ١٨ ذي الحجة قتل منخوراً برمح محمد بن ابي بكر  
 والقرآن في يده فتحضب بالدماء . وهجمت نائلة امرأته لتحميه بيدها  
 فاصيبت بضربة قطعت اصابعها . وبقي في بيتو ثلاثاً ثم جاء حكيم ابن

حزام و جبير بن مطعم الى علي فأذن لها في دفنوه فخرجا به ومعها الزبير  
والحسن وابوجهم بن حذيفة و مروان فدفنوه في حش كوكب بعد ان  
تولى الخلافة ١٢ سنة ال ١٢ يوماً

ولما علم اهل مصر بقتل عثمان ثار المشيعون له فيها وعقدوا لمعاوية  
بن حديج و بايعوه على الطلب بدم عثمان فساروا الى الصعيد فبعث اليهم  
ابن ابي حذيفة خيلاً فمزمت ومضى ابن حديج الى بركة ثم رجع الى  
الاسكندرية فبعث اليها ابن ابي حذيفة جيشاً آخر فالتقى به في خربتنا في اول  
شهر رمضان سنة ٢٦ فاقتتلوا وكانت النصرة لشعبة عثمان وانهمز الجيش  
واقامت شعبة عثمان في خربتنا

### خلافة علي بن ابي طالب

من سنة ٢٥ - ٤١ هـ او من ٦٥٥ - ٦٦١ م

أما ما كان من امر الخلافة فان طلحة والزبير والمهاجرين والانصار  
اجتمعوا الى علي (رض) ببايعونه فأبى وقال «أكون لكم وزيراً خيراً من ان  
أكون اميراً ومن اخترتم رضيت» فالتحقوا عليه قائلين «لا نعلم احق منك ولا  
نختار غيرك» فبايعوه في المسجد يوم الجمعة في ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٥ واول  
من بايعه طلحة ثم الزبير ثم بايعه الناس وبايعته الانصار وتاخر منهم قليلون  
فخطب خطبته الاولى في الناس بعد حمد الله فقال «وان الله انزل  
كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض  
الفرائض اذوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة . ان الله حرم حرمات غير  
مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشدد بالاخلاص والتوحيد  
حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا

بجل دم امرء مسلم إلا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم الموت  
فان الناس امامكم وان ما خلفكم الساعة تحذوكم فحفظوا لحفظوا فانما ينتظر  
الناس اخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسئولون حتى عن  
البقاع والبهائم اطيعوا الله فلا نعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم  
الشرف دعوه واذكروا اذا انتم قليل مستضعفون في الارض»

ثم رجع الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير وعدد من اصحابه فقالوا  
يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء النعم قد اشتركوا في قتل  
هذا الرجل واحلوا بانفسهم فقال «يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون  
ولكن كيف اصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم  
عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلاطكم بسومونكم ماشاوا فهل ترون  
موضعاً لقدرة على شيء ما تريدون» قالوا لا فقال «فلا والله لا ارى الا  
رأياً ترونه ابداً الا ان يشاء الله . ان هذا الامر امر جاهلية وان هؤلاء  
النعم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض آخذ  
بها ابداً ان الناس من هذا الامر ان حرك على امور فرقة ترى ما ترون  
وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع  
القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهداً واعني وانظروا ماذا يا نبيكم ثم عودوا  
واشدوا على قريش» ثم خرجوا من عنده وقد اضرهم له شراً

وكان معاوية لما توجه الى ولايته في الشام اخذ قميص عثمان المطلقة  
بالدماء واصابع نائلة امرأته وعلق القميص في المنبر وجعل يخطب في  
الناس ويغرس في اذنانهم ان قاتل عثمان انما هو عليّ ويحتمهم على معاملة  
القاتل بالقتل وشدد النكير على عليّ فالتفت عليه دعائه رغبة في الانتقام  
وما زاد اعداء الامام عليّ عدداً انه لم تدخل سنة ٢٦ هـ حتى عزل  
جميع من كانوا على الامصار في ايام عثمان وولى مكنانهم من رأى من  
المتقربين فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة

وعبد الله بن عباس على اليمن ولما علم بقتل محمد بن ابي حذيفة وتلى مكانه قيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام عوضاً من معاوية اما سهل فخرج حتى اذا كان في نيوك لثبته خيل فقالوا من انت قال امير قالوا على ابي شي قال على الشام فقالوا «ان كان بعثك عثمان فاملا بك وان كان بعثك غيره فارجع» قال اما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع الى علي . اما قيس بن سعد فكان صاحب راية الانصار مع النبي (صلم) وكان من ذوي الرأي والبأس وكان ضخماً جسماً صغير الرأس طويلاً جداً مطاعاً جواداً كريماً يعد من دهاء العرب ولما ولاه على مصر قال له «سير الى مصر فقد ولتكمها واخرج الى رجلك واجمع اليك ثقتك ومن احببت ان يصحبك حتى تأتينا وبعك جند فان ذلك اربح لعدوك واعز لوليك واحسن الى المحسن واشد على المرعب وارفق بالعامه والخاصه فان الرفق بمن» فقال له قيس «اما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم ادخلها الا بجند آتيتها به من المدينة لا ادخلها ابدا فان ادع ذلك الجند لك تبعهم في وجوهك» فخرج قيس حتى دخل مصر في مستهل رجب سنة ٢٧ هـ بسبعة من اصحابه فصعد المنبر وامر بكتاب امير المؤمنين فقرأ على اهل مصر بامارتيه وبامرهم بمبايعته واعانتيه على الحق وقال «الحمد لله الذي جاء بالحق وامات الباطل وكبت الظالمين ايها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا ايها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا يعة لنا عليكم» فقام الناس وبايعوا واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا خربنا وفيها من قد اعظموا قتل عثمان وعليهم رجل من بني كنانة اسمه يزيد بن المهرث فبعث الى قيس بدعوة الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد اظهر الطلب ايضاً بدم عثمان فارسل اليه قيس «ويحك اعلي نثب فوالله ما احب ان لي ملك الشام الى مصر واني قتلتك» فبعث اليه

مسلة « اني كافٍ عنك ما دمت وانت والي مصر »  
 وكان معاوية لا يزال ساعياً على عليّ فلما رأى مصر قد استقام امرها  
 خاف ان يُقبل عليّ في العراق وقيس في مصر فيقع هو بينها فكتب الى  
 قيس « سلام عليك اما بعد فانكم نعمتم على عثمان ضربة بسوط او شنبمة  
 رجل او تسبير آخر واستعمال فتى وقد علمتم ان دمه لا يجل لكم فقد ركبتم  
 عظيماً وجنتم امراً اذاً فكتب الى الله يا قيس فانك من المجلبين على عثمان  
 فاما صاحبك فانا استيقنا انه هو الذي اغرى الناس وحملهم حتى قتلوه  
 وانه لم يعلم من دمه عظم قومك فان شئت يا قيس ان تكون من يطالب  
 بدم عثمان فافعل وتابعنا على امرنا ولك سلطان العراقيين اذا ظهرت ما  
 بقيت ولن احببت من اهلك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وساني ما  
 شئت فاني اعطيتك واكتب اليّ برأيتك » فلما جاءه الكتاب احب ان  
 يرافعه ولا يبيدي له امره ولا يتعجل الي حربه فكتب اليه « اما بعد فاني  
 لم اعارف شيئاً ما ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شيء منه وما ذكرت ان  
 عظم عشيرتي لم يسلم فاول الناس كان فيه قياماً عشيرتي واما متابعتك  
 فهذا امر لي فيه نظر وفكرة وليس هذا ما يسرع اليه وانا كافٍ عنك  
 وليس بأنتك من قبلي شيء نكرهه حتى ترى ونرى ان شاء الله تعالى »  
 فلما قرأ معاوية كتابه رآه متقارباً متباعداً فكتب اليه « اما بعد فقد  
 قرأت كتابك فلم أرك تدنو فاعدك سلماً ولا تباعد فاعدك حرباً  
 وليس مثلي بصانع الخادع وينخدع للكبايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل  
 والسلام » فلما قرأ قيس الكتاب ورأى انه لا تنيد معه المرافعة والماطلة  
 عمد الى مكاشفته بما في نفسه فكتب اليه « اما بعد فالعجب من اغترارك في  
 وطمعتك في واستسناطك اباي انسومني الخروج عن طاعة اولي الناس  
 بالامارة واقولم بالحق واهداهم سبيلاً وافترهم من رسول الله (صلى  
 وسيلة وتامرني بالدخول في طاعتك طاعة اعد الناس من هذا الامر واقولم

بالزور واضلهم سبيلاً وابعدهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسبأه ولد ضالين  
 مضامين طاغوث من طواغيت ابليس واما قولك اني مالي في عليك مصر  
 خيلاً ورجالاً فوالله ان لم اشغلك بنسك حتى تكون ام البك انك لن ذو  
 جدٍ والسلام» فلما رأى معاوية كتابه فخط منه وثقل عليه مكانه ولم ينجع  
 فيه حيلة فجعل يسعى الى كيد افساداً بينه وبين علي فقال لاهل الشام  
 «لا تسبوا قيساً ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شعبة نائبا كنيته ونصيحة  
 سرا الا ترون ما يقع باخوانكم الذين عدوه من اهل خربتنا يجري عليهم  
 اعطياتهم وارزاقهم ويحسن اليهم» وانفانا لمكيدته افعل كتاباً عن قيس  
 اليو بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأه على اهل الشام  
 فبلغ ذلك علياً فاعظمه واكبره فدعى ابنه وعبدالله بن جعفر  
 واعلمهم بذلك فقال ابن جعفر «يا امير المؤمنين دع ما يربيك الى ما  
 لا يربيك لعزل قيس عن مصر» قال علي «اني والله ما اصدق بهذا  
 عنه» فقال عبدالله اعزله فان كان هذا حقاً لا يعتزل لك فيينا هم  
 كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر امير المؤمنين بحال المعتزلين وكتبه  
 عن قتالهم فقال ابن جعفر «ما اخوفني ان يكون ذلك مائة منه فمره  
 بتالهم» فكتب اليو بأمره بتالهم فلما قرأ قيس الكتاب كتب جوابه  
 اما بعد فقد عجبت لامرك تأمرني بتال قوم كافين عنك ومتى حاد دنام  
 ساعدوا عليك عدوك فاطعني يا امير المؤمنين واكف عنهم فان الراي  
 تركهم والسلام»

فقرأ علي الكتاب بحضور ابن جعفر فقال له يا امير المؤمنين  
 ابعت محمد بن ابي بكر على مصر واعزل قيساً فبعث علي محمد بن ابي  
 بكر الى مصر فلما وصلها قال له قيس «ما بال امير المؤمنين ما غيره  
 أدخل احد بيبي وبينه» قال لا وهذا السلطان سلطانك فقال قيس  
 والاهل لا اقيم وخرج من مصر مقبلاً الى المدينة وسار الى علي واخبره

الخبر فعلم انه كان يقاسي امورا عظاما من المكابدة

اما محمد بن ابي بكر لما قدم مصر على ما تقدم جمع اليه سراة البلاد  
ورجال الدولة ونلا عليهم كتاب أمير المؤمنين ثم قام خطيباً فقال « الحمد  
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ما اخلف فينا من الحق وبصرنا واياكم كثيراً عما  
كان عني عنه الجاهلون ألا ان أمير المؤمنين ولاني امركم وعهد الي ما  
سمعت وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت واليه اتيب فان يكن ما ترون من  
امارتني واعمالني طاعة لله فاحمد الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادي له  
وان رأيتم عاملا في عمل بغير الحق فارفعوا الي وعاتبوني فيه فاني بذلك  
أسعد وانتم جد برون وبقنا الله واياكم لصالح الاعمال برحمتي »

وفي سنة ٢٨ هـ خرج معاوية بن حديج السكوني وطلب بدم عثمان

فالتفت عليه قوم كثيرون وفسدت مصر على محمد بن ابي بكر

اما معاوية فكان قد استغل امره وكثر متبعوه فبايعوه على الشام  
ولم يكن له في الامصر وكان يخشى منها لقريةها منه وكان يعتقد انه اذا  
ظهر عليها مكنته من الظهور على علي فتكون الخلافة كلها له فاجتمع  
بعمر بن العاص وحبيب بن مسلمة وغيرها من سراة قومه وقال لهم « أتندرون  
لما جمعتم فاني جمعتمكم لامر لي مهم » فقال عمرو « دعوتنا لتسألنا عن  
رأينا في مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعلم الرأي رأيت في  
افتتاحها فان فيه عزك وعز اصحابك وكبت عدوك وذل اهل الشقاق  
عليك » فقال معاوية « اهملك يا بن العاص ما اهملك » وكان عمرو قد  
صالح معاوية على قتال علي على ان له مصر طعمة ما بقي حيا فنظر  
معاوية الى من حضر من اصحابه وقال لهم « لقد أصاب ابو عبد الله فإنا  
ترون » فقالوا ما نرى إلا ما رأى عمرو قال « فكيف اصنع فان عمرا  
لم ينسر كيف اصنع » فقال عمرو « اري ان تبعث جيشا كثيرا عليهم  
رجل حازم صابر صارم تأمنه وثق بوقيا في مصر فانه سيأتيه من كان

على مثل رأينا فيظاهرة على عدونا فان اجتمع جندك ومن بها على رأينا رجوت ان ينصرك الله» قال معاوية «ارى ان نكتب من بها من شيعتنا فمنهم ونامرم بالثبات ونكتب من بها من عدونا فنذعوهم الى صلحنا ومنهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان كان ما اردنا بغير قتال فذاك الذي اردنا والا كان حربهم من بعد ذلك . اترك يا ابن العاص بورك لك بالشدّة والهجلة وانا بورك لي بالثوذة» فقال عمرو «افعل ما ترى فما ارى امرنا بصير الا الى الحرب»

فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني وكانا قد خالفا علما يشكرهما على ذلك ويحتمها على الطالب بدم عثمان وبعدها المواسة في سلطانه فاجاب مسلمة بن مخلد الانصاري عن نفسه وعن ابن حديج ما نصه «اما بعد فان الامر الذي بذلنا له انفسنا واتبعنا به امر الله امر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا ونجمل النعمة على من سعى على ايماننا اما ما ذكرت من المواسة في سلطانتك فتنا لله ان ذلك امر ماله نرضنا ولا اياه اردنا فنجمل الينا بجيالك ورجلك فان اعدانا اصحوا لنا هاتين فان يا نبي مدد بفتح الله عليك والسلام» فجاءه الكتاب وهو في فلسطين فدعا اوليك النفر وقال لم ما ترون فقالوا نرى ان تبعث جندا فعهد الى عمرو وان يسير في ستة الاف رجل واوصاه بالثوذة وترك الهجلة

فسار عمرو فقتل اداني ارض مصر فاجتذعت البيودعاة العثمانية فاقام بهم وكتب الى محمد بن ابي بكر كتابا ونصه «اما بعد ففتح عني بدمك يا ابن ابي بكر فاني لا احب ان يصيبك مني ظفر ان الناس بهت البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلوبك فاخرج منها ابي لك من الناصحين» وبعث معه كتاب معاوية بالمعنى ايضا . فارسل محمد الكتابين الى علي واخبره بتزول عمرو بارض مصر وانه رأى التناقل

من عنده ويستنده فكتب اليه علي يا مرة ان يضم شعبته اليه ويعدّه  
 انفاذ الجيوش اليه ويا مرة بالصبر لعدوه وقتاله . فقام محمد بن ابي بكر  
 في الناس وندبهم الى الخروج الى عدوهم فانضم اليه ثلاثة آلاف فلما رأى  
 ذلك عمرو بعث الى معاوية بن حديج يستنده فامده والتقى الجيوش  
 فظهرت رجال عمرو وتفرقت اصحاب ابن ابي بكر فما زال عمرو يجهش حتى  
 أقبل على محمد وكان قد تخلى عنه رجاله ففر من وجه عمرو يطلب ملجأ  
 فانتهى الى خربة بناحية الطريق فاوى اليها وسار عمرو حتى دخل النسطاط  
 ثم ارسل معاوية بن حديج في طلب محمد بن ابي بكر فانتهى الى جماعة  
 على قارعة الطريق فسألم عنه فقال احدم دخلت تلك الخربة فرأيت  
 فيها رجلاً جالساً فقال بن حديج هو هو فامسكوه فدخلوا عليه فاستخرجوه  
 وقد كاد يموت عطشاً واقبلوا به نحو النسطاط فوثب اخوه عبد الرحمن  
 بن ابي بكر الى عمرو وكان في جده وقال « اتقتل اخي صبراً فابعت الى  
 ابن حديج فانهو عنه » فبعث اليه يا مرة ان يأتيه به فجاؤا به وقد اعياء  
 الظأ فقال لهم استوفوا ماء فقال له معاوية بن حديج « لاسقاني الله ان  
 ستبتك قطرة ابداً انكم منعم عثمان شرب الماء والله لاقتلك حتى يسبقك  
 الله من الحميم والنساق » فقال له محمد « يا ابن اليهودية النساجة ليس  
 ذلك اليك انما ذلك الى الله يسقي اوليائه ويظني اعداءه انت وامثالك  
 اما والله لو كان سبني بيدي ما بلغت مني هذا » فقال له ابن حديج « اندري  
 ما اصنع بك ادخلك جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار » فقال محمد  
 « ان فعلت بي ذلك فطالما فعلتم مثله باولياء الله واني لارجو ان يجعلها  
 عليك وعلى اوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تظلي كما خبت زادها الله  
 سعيراً » . فغضب منه وقتله وجعله في جنة حمار والقاء في النار فلما بلغ  
 ذلك عايشة جرعت عليه جزعاً شديداً وقتنت في دبر الصلاة تدعو على  
 معاوية وعمرو واخذت عيال محمد اليها فكان القاسم بن محمد بن ابي بكر

في عيالهم ولم تعد تأكل من ذلك الوقت شواء . هكذا تم فتح مصر  
لمعاوية على يد عمرو بن العاص فاتحها الاول

اما الامام علي فكان قد اجهد نفسه ليجمع مدداً الى محمد فلم يأتيه من  
رجالوه الا نفر قليل وبقا هو يحث الناس على ذلك جاءه الخبر بقتل  
محمد بن ابي بكر وفتح مصر فاشتد غيظه وخطب في الناس قائلاً

«الا ان مصر قد افتتحتها اهل النجور اولو الجور والظلمة الذين  
صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجاً الا وان محمد بن ابي بكر قد  
استشهد فعند الله تحسبه اما والله ان كان كما علمت لمن ينتظر القضاء  
ويعمل للجزاء ويبغض شكل الناجر ويجب هدى المؤمن افي والله ما اليوم  
نسي على تقصير وافي لمفاساء الحروب لجدير خبير وافي لا تقدم على الامر  
واعرف وجه الحزم واقوم فيكم بالرأي المصيب واستعرضكم معلناً واناديكم  
نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي امراً حتى نصبر في  
الامور الى عواقب المساءة فانتم القوم لا يدرك بكم النار ولا تنقض بكم  
الايثار دعوتكم الى غياث اخوانكم من بضع وخمسين ليلة ففجر جرتم جرجرة  
الجمل الاشدق وتناقلتم الى الارض تناقل من ليست له نية في جهاد  
العدو ولا اكتساب الاجر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب كأنما يساقون  
الى الموت وهم ينظرون فاقب لكم» ثم نزل

وفي ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ قتل الامام علي بن ابي طالب وبويع  
ابنه حسن مكانه وبقي هذا على كرسي الخلافة سنة اشهر فدخلت سنة ٤١  
وقبها تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان خليفة الشام ومصر  
الذي لم يحل عن مقصده حتى بلغه فنودي به اميراً للمؤمنين وبويع لحسن  
بقين من ربيع الاول سنة ٤١ هجرية

اما النفود التي ضربت في عهد الخلفاء الراشدين فكلها نحاسية وفي  
غاية البساطة كما ترى في الشكل ١٩ ليس عليها من الكتابة الا صورة

الشهادة بالحرف الكوفي . ولم تضرب النقود الفضية في الاسلام حتى ايام  
الخليفة عبد الملك كما سترى



ش ١٦ نقود الخلفاء الراشدين

## الدولة الاموية

من سنة ٤١ - ١٢٢ هـ او من ٦٦١ - ٧٥٠ م

### خلافة معاوية بن ابي سفيان

من سنة ٤١ - ٦٠ هـ او من ٦٦١ - ٦٨١ م

هكذا كانت نهاية دولة الخلفاء الراشدين وبداية دولة خلفاء بني أمية وأولهم معاوية بن ابي سفيان . وكانت الخلافة على عهد الخلفاء الراشدين انتحائية فجعلها معاوية وراثية فاحصرت في اعتقايه تنبيهاً لما ربه وشرع في تولية العمال على الامصار ولما كانت مصر من أم تلك الامصار عهد أمرها لعمر بن العاص لما عرف من علو همنه وحسن سياسته وجعلها له طعمة بعد عطاء جندها والتمنته في مصلحتها . فعند عمرو لشريك بن سمي لغزو البربر فغزاهم وصالحهم ثم اتفقوا فبعث اليهم عتبة بن نافع فغزاهم حتى هزمهم وعند لعقبة ايضاً على غزو هواره وعند لشريك على غزو لبة فغزاهما في سنة ٤٢ هـ ولما قنلا كان عمرو شديد الدنف بتقلب على فراش الموت فتوفي ليلة الفطر من السنة المذكورة وكان قصير القامة مجنذب بالسواد وكان من أفراد الدهر دهاء وحزمًا وفصاحة الآانه كان يتلجج بكلامه .

ولما علم معاوية بوفاة عمرو تكدر كدرًا عظيمًا جدًا لانه لم يعد يعلم لمن يعهد ولاية مصر بعده . وبعد التردد في الامر لم يربداً من تولية احد ابناء عائلته فارسل اليها عتبة بن ابي سفيان أخاه في ذي القعدة من سنة

٤٣ فسار اليها وبعد ان اقام اشهرًا عرض له سفر الى اخيه معاوية بدمشق فاستخلف عبدالله بن قيس ابن الحارث وكان في شدة وعسف فكره المصريون ولايته وامنعوا منها فبلغ ذلك عنبة فاضطر الى الرجوع الى مصر ولما جاءها صعد منبر الخطابة فقال

«يا اهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أيتم درأكم بيده فان أيتم درأكم بسيفي ثم رجي في الاخير ما ادرك في الاول ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وابنا غدر فلا ذمة له عند صاحبه» فناداه المصريون من جنبات المسجد «سمعاً سمعاً» فناداهم «عدلاً عدلاً» ونزل وعقد عنبة لعقمة بن يزيد على الاسكندرية في اثني عشر الفا من اهل الديوان تكون لها رابطة

وتوفي عنبة في النسطاط في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ وكانت مدة ولايته سنة كاملة فاقام معاوية عوضاً عنه عقبة بن عامر ابن عيس الجهنني وجعل له صلاتها وخراجها وكان عقبة قارئاً فقيهاً مفرضاً شاعراً له الهجرة والصحة والسابقة الا انه لم يكن من السياسة وحسن التدبير على ما يرضي معاوية فولى مكانه مسلمة بن مخلد ابن صامت الانصاري وكان من سراة المدينة وامره ان يكتم ذلك لئلا يخرج عقبة من مصر بجيلة

ففي ١٩ ربيع الاول سنة ٤٥ هـ انفذ معاوية امره الى عنبة ان يسير الى رودس بحراً فقدم مسلمة ورافق عقبة الى الاسكندرية وهو لم يعلم بامارتيه فلما توجه سائراً استوى مسلمة على سريره ايمارته فبلغ ذلك عقبة فقال «أخلعاً وغربة» وكانت مدة ولايته ثلاثة اشهر وقيل سنتين وثلاثة اشهر . واخذ مسلمة في اجراء الاحكام وجمع الصلات والخراج وانتظمت غزوانه في البر والبحر فانفذ الى الغرب جيوشاً وشاد مدينة القيروان واقام حولها حصوناً ومعاقل وجعل فيها حامية . وفي سنة ٥٢ هـ في

امارتِهِ نزلت الروم البرلس وقتل يومئذٍ وردان مولى عمرو بن العاص  
 في جمع من المسلمين . وأمر مسلمة بابتناء منارات المساجد وهو أول من  
 أحدث المنار بالمساجد والجوامع . وفي سنة ٦٠ هـ سافر مسلمة بن مخلد إلى  
 الاسكندرية واستخلف على مصر عايس بن سعيد وفي هذه السنة توفي  
 معاوية في دمشق في غرة رجب وسنة ثمان وسبعون سنة ومدة خلافته تسع  
 عشرة سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام

### خلافة يزيد بن معاوية

من سنة ٦٠ - ٦٤ هـ او من ٦٨١ - ٦٨٤ م

وفي يوم وفاة معاوية بويج ابنة يزيد فاقتر مسلمة بن مخلد على مصر  
 فكسب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الأعداء لله بن عمرو بن العاص  
 فهددوه بالخرق فبايع ولم يكن يزيد أهلاً للخلافة ولولا قانون الوراثة  
 الذي سنه أبوه ما بلغ عمره هذا المنصب لأنه كان متبعاً هوى نفسه متغاضياً  
 عن واجباته . فحرك ذلك الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير على اقامة  
 الحجّة عليه وكانا في المدينة فبعث يزيد إلى حاكمها ان يقبض عليهما ففرا  
 منها فالتمت عليهما حرب كبير من اهل الكوفة وغيرها فارسل بن الزبير في  
 امرها عبيد الله وعمر بن سعد في عدد من الأجناد فهجما على الحسين وقتلاه  
 افطع قتله وانو برأسه إلى يزيد فبالغ في اهانته . لكنه لم يكذب يبلغ مناه  
 بقتل الحسين حتى قام عبدالله بن الزبير في مكة مستعظماً فعلة فشدد عليه  
 التكبير وجند اليه منتقياً للحسين

وكانت مصر اثناء ذلك ساكنة آمنة وفي ٢٥ رجب سنة ٦٢ هـ توفي  
 اميرها مسلمة بن مخلد بعد ان نولها ١٥ سنة واربعة اشهر فولى الخليفة

مكانه سعيد بن يزيد الأزدي من أهل فلسطين فدخل مصر في مستهل  
رمضان سنة ٥٦٢ هـ فقتلناه عمر بن قحزم الحولاني وقد شقَّ عليه تولية من هو  
من غير بلاده عليه فقال « يغفر الله لأمير المؤمنين أما كان فينا مئة  
شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم » ثم جعل أهل مصر يعرضون عنه  
ويعارضون في أحكامه لكنه كان حازماً لم يثنه ذلك عن إقامة الحد  
وإتباع العدل فسادت الراحة واستتب النظام إلى آخر أيامه

وما زالت الأحزاب في مكة والمدينة يشددون النكير على يزيد إلى  
أن أجمعوا على خلعهم رثماً عن كثرة دعاة الأمويين وأخرجوا من كان منهم في  
المدينة فانفذ يزيد ١٢ ألفاً من رجاله عليهم مسلمة بن عقبة المرسي لمحاصرة  
المدينة وأمرهم أن لا يكفوا عنها إلا إذا ادعت فإذا مضت ثلاثة أيام ولم  
تعمل فليحرقوها وهكذا حصل فانها أصبحت غنيمه للنار بعد الأفاضة في  
النهب والقتل والأسر وكان ذلك في سنة ٥٦٣ هـ

وفي سنة ٥٦٤ هـ بوبع عبدالله بن الزبير على الخلافة في مكة باجماع من  
كان فيها من أهلها والمهاجرين إليها من المدينة والحجاز فأرسل يزيد  
الحصين بن النمير إلى مكة فحاصرها وقاتل أهلها ورمأها بالمنجنيق فاحرق  
البيت (الكعبة) كل ذلك وابن الزبير فيها يدافع بالشئ الممكن إلى أن  
جاءه الخبر بوفاة يزيد فقطع قول كل خطيب وكانت وفاته في حوران  
من بلاد الشام في ٤ ربيع أول من تلك السنة بعد أن تولى الخلافة ثلاث  
سنين وتسعة أشهر إلا بضعة أيام وسنة ٢٩ سنة

خلافة معاوية بن يزيد

ثم عبدالله بن الزبير ثم مروان بن الحكم

من سنة ٦٤ - ٦٥ هـ او من ٦٨٤ - ٦٨٤ م

وفي يوم وفاة يزيد بُويِعَ ابنه معاوية وسنة عشرين سنة وبعده  
بعضهم معاوية الثاني تمييزاً له من معاوية بن ابي سفيان جده وبعد ٤٥  
يوماً من مبايعته توفي ولا ولده

وفي ٩ رجب من تلك السنة هتف الناس بمبايعة عبدالله بن الزبير  
بالاجماع ويقال ان معاوية بن يزيد تنازل له عن الخلافة من يوم  
بايعوه لما رأى من كثرة احزابه وعجزه عن مناهضته فزهد في الدنيا رغماً  
عن صغر سنه وطلب ان يكتب على قبره « الدنيا غرور »

وكان عبدالله بن الزبير رجلاً مؤدباً فطناً جمع بين شرف النسب  
وعلو الهبة والاقدام حضر عدة مواقع حربية وهو شاب ولما افتتح عمرو  
بن العاص مصر كان عبدالله وابوه الزبير واخوه محمد من جيشه ولما  
كتبت معاهدة الصلح بين عمرو والاقباط وضع هؤلاء الثلاثة اخنامهم عليها  
شهوداً . ولما ارسل الخليفة عثمان بن عفان عبدالله بن سعد امير مصر في  
جيش عظيم لافتتاح سواحل الغرب كان عبدالله بن الزبير معه . ومن  
اخلاقه انه كان مثابراً في اعماله ثابتاً في مقاصده فلم ينفك منذ اختلاس  
معاوية بن ابي سفيان الخلافة من الخلفاء الراشدين وهو في سعي دائم عليه  
ثم على ابنه يزيد ثم على ابن ابنه معاوية الثاني حتى ظفر بمراميه ولما جاء  
الخبر بوفاة يزيد كان في مكة محاطاً بجيش من يزيديين فلما علموا بالخبر  
عادوا على اعقابهم الى الشام فاستولى عبدالله على المدينة والحجاز واليمن

وبايعة من فيها ثم شرع في ترميم الكعبة فهدمها حتى الحقتها بالارض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الاسود عندها وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها السور وادخل فيها الحجر اما مصر فكان عليها سعيد الازدي كما مرّ وكان عبدالله بن الزبير على بينة من امر مصر واهميتها فانفذ اليها عبدالرحمن بن عتبة بن محمد وادواه ان يدعو الناس الى مبايعته غير ان سعيد الازدي كان لا يزال متشبعا للامويين فلم يقبل على دعوة عبدالله من المصريين الا بعضهم ولم ترسخ قدم عبدالله بن الزبير في الخلافة رغما عن كثرة دعائه واشياعه الا بعد وفاة معاوية بن يزيد اذ رأى الكوفة والبصرة والموصل والعراق وقسما من مصر يدعو باسمه فلم يعد في خشية من شيء فصرح بخلافته . ثم تم الى اخضاع مصر فعقد على امرتها لعبد الرحمن بن عتبة الذي كان ارسله اليها وكيلا فوصلها في شعبان سنة ٦٤ هـ واخرج من كان فيها من دعاة الامويين وفيهم سعيد الازدي فبايعه الناس وفي قلوب بعضهم غل . اما اهل الشام فلما علموا بوفاة معاوية بن يزيد بايعوا مروان بن الحكم من العائلة الاموية فعظم ذلك على عبدالله بن الزبير فانفذ اليه الصحاك بن قيس في جيش من رجاله فساروا الى قرب دمشق فانصل خبرهم بمروان فسار من الجابية لملاقاتهم فالتقى الجيشان في مرج راهط فحصلت بينهما مواقع كبيرة شفت عن انقلاب جيش عبدالله

وكان مروان قد انفذ ابنة عبدالعزبز في جيش من اهل الشام لفتح مصر اما بعد ظفرو بجيش بن الزبير في مرج راهط فاشتدت عزيمته وحمل بكل جيشه على مصر . فلما علم اميرها عبدالرحمن بن عتبة بذلك تم الى الدفاع فحفر حول النسطاط خندقا عميقا لا يزال اثره باقيا في القرافة فترل مروان قرب المطرية ومعه عمرو بن سعد فخرج عبد الرحمن اليها وقتلا شديدا مدة يومين ولم يظفر احدها بالآخر وبينما كان الجيشان

في شغل بين هجوم ودفاع سار عمرو بن سعد في نخبة من رجال مروان قاصداً الفسطاط فدخلها فلما علم عبد الرحمن بذلك لم يربباً من المصالحة فتصالحا ودخل مروان مصر في ١٠ جمادى الاولى سنة ٦٥٥ فكانت مدة اماره ابن جندم تسعة اشهر وفي هذا اليوم توفي عبدالله بن عمرو بن العاص فاتم مصر فلم يستطع التوم الخروج بجنازته الى المدافن لشغب الجند على مروان فدفنوه في بيته قرب جامع عمرو اما مروان فلم يكن واثقاً بالمصريين واخلاصهم فخشية ان يستغيثوه ويعقدوا لعبدالله بن الزبير وبن عليهم ابنة عبد العزيز

وفي الحال وضع مروان يده على جميع خزائن مصر وأبطل العطاوات فبايعه جميع الناس الا جماعة من قبيلة المغافر قالوا لا نخلع بيعة بن الزبير فقطع اعناقهم وعنق بن همام رئيس قبيلة لخم وكان من قتلة عثمان بن عفان فخافت الناس واجمعوا على مبايعته

فاقام مروان في مصر شهرين ثم عهد مهامها الى ابنه عبد العزيز وهم بالرحيل فقال له ابنه « يا امير المؤمنين كيف المقام في بلد ليس بها احد من بني آبي » فقال له مروان « يا بني عمهم باحسانك يكونوا كلهم بني ابيك واجعل وجهك طلقاً نصف لك مودتهم واقوع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عيناً على غيره وينقاد قومه اليك وقد جعلت معك اخاك بشراً مؤنساً وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وما عليك يا ابني ان تكون اميراً باقصى الارض اليس ذلك احسن من اغلاق بابك وخمولك في منزلك » ثم اوصاه عند خروجه من مصر الى الشام قائلاً « اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلايته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واوصيك ان لا تجعل لذاعي الله عليك سبيلاً فان المؤمن يدعو لي فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً واوصيك ان لا تعد الناس موعداً الا انفذته

لم وإن حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير فان الله لو اغنى احدًا عن ذلك لاغنى نبيّه محمداً (صلعم) عن ذلك بالوحي الذي يأتيه . قال الله عزه وجل وشاورهم في الامر» وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة ٥٦٥ والحرب لا تزال سجالاً بين دعاة مروان ودعاة عبدالله بن الزبير

### خلافة عبد الملك بن مروان

من سنة ٦٥ - ٥٨٦ أو من ٦٨٤ - ٧٠٥ م

وفي غرة رمضان من تلك السنة توفي مروان وله من العمر ٦٣ سنة فبويع ابنه عبد الملك فاقترأ اخاه عبد العزيز على مصر واخذ في متابعة مشروع ابيه فانفذ الاجناد الى جهات العراق والبصرة والجزيرة سعياً الى تعميم خلافتهم وفي آخر الامر حاصر عبدالله بن الزبير في مكة مدة سبعة اشهر وفي نهاية سنة ٥٧١ قُتل عبدالله بن الزبير فخلع الجوّ لعبد الملك وكانت وفاته فضلاً نهائياً لذلك الخصام الذي استمر عشر سنين متواليات ومملكة الاسلام تننازعها خلافتان الواحدة في دمشق والاخرى في مكة

وفي سنة ٥٦٩ امر عبد العزيز بن مروان ببناء قنطرة الخليج الكبير في طرف الفسطاط بالحمراء القصوى وبني مقياساً للنبيل في حلوان وهو اول مقياس بناء الاسلام في مصر ويقول بعضهم ان عمرو بن العاص بنى مقياساً قبل ذلك ولا دليل على هذا القول

وفي سنة ٥٧٠ وقع الطاعون في مصر فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها داراً وجعل فيها الاعوان وبني فيها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلاً وكرمها

وفي سنة ٧٧ هدم جامع النسطاط كله وزاد فيه وفي أيامه ضربت  
الدنانير المنقوشة النضية والذهبية وكانت العرب الى ذلك العهد تتعامل  
بالدنانير الفارسية ولم تكن ضربت الا الفطع النحاسية وترى في الشكل  
العشرين صورة احد تلك الدنانير ضرب سنة ٧٩ للهجرة



وفي آخر أيام هذا  
الخليفة تم بناء السراي  
الجميلة المدعوة الدار  
المذهبة في شارع سوق الحمام

ش ٢٠ دنانير عبد الملك بن مروان

وكانت طائفة الحكمة الاقباط معافة من الضرائب والعوائد فضرب  
على الشخص الواحد منهم ديناراً وعلى البطاركة ثلاثة آلاف دينار سنوية  
وسنة ٨٦ هـ توفي عبد العزيز بن مروان في النسطاط في ١٢ جمادى  
الاولى بعد ان حكم فيها عشرين سنة وعشرة اشهر و١٢ يوماً وكان جواداً  
حليماً حازماً بشوشاً فتولى بعده عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل  
ابيه على صلاحتها وسنة ٢٩ سنة وطلب اليه ابوه ان يقتني آثار عمه عبد  
العزيز بالفضة والدراية

### خلافة الوليد بن عبد الملك

من سنة ٨٦ - ٩٦ هـ او من ٧٠٥ - ٧١٤ م

وفي هذه السنة توفي عبد الملك بن مروان وبويع ابنه الوليد بن عبد  
الملك الملقب بابي العباس فاقترأ اخاه عبد الله على مصر. وفي أيام الامير  
عبد الله جعلت الكتابة في دواوين مصر باللغة العربية وكانت لا تزال

الى ذلك الحين بالقبطية يتولى امرها انتناش فعزله وولى مكانه بن بربوع  
 النزارى من اهل حمص . وغلت الاسعار في امارته فتشاءم الناس به وقالوا  
 انه كان يقبل الرشوة ثم وفد على اخيه في صفر سنة ٥٨٨ واستخلف عبد الرحمن  
 بن عمر بن قحزم الخولاني واهل مصر في شدة عظيمة وضيق عيش مخيف  
 اما الوليد بن عبد الملك فقد حكم في الاسلام حكماً حنئاً ووسع نطاق  
 المملكة الاسلامية وحارب حروبا كثيرة عاد منها ظافراً منها الحروب  
 الهائلة مع امراء تركستان والفرس والهند وملك القسطنطينية وقد فتح  
 طوائفه من بلاد الروم والانديس وسمرقند . كل هذه التتوحات والغزوات  
 وغيرها كانت على يد هذا الخليفة الباسل

وفي ١٢ ربيع اول سنة ٥٩٠ هـ اقيم على مصر قره بن شريك من اهل  
 قنسرين بدلا من عبدالله بن عبد الملك واحيى قره بن شريك بركة الحبش  
 وغرس فيها القصب فقبل لها اصطلب قره واصطلب القماش

وقد تشكى القبط من جورهم فهم يقولون انه كان يحنقر اعتقادهم  
 ويدخل احيانا الى كنائسهم ويعة رجال من حاشيته ويوقهم عن صلاتهم  
 وفي سنة ٥٩٢ هـ اعاد قره بن شريك بامر الوليد بن عبد الملك بناء  
 جامع عمرو . وفي سنة ٥٩٦ هـ توفي قره في النسطاط فاقم مقامه عبد الملك بن  
 رفاعة بن خالد وكان قره سمي التدبير خبيثاً ظالماً غشوماً فاستأق وبعد  
 ثلاثة اشهر من امارته توفي الخليفة الوليد في دمشق في ١٥ جمادى الثانية  
 بعد ان حكم ٩ سنين ونصف وسنة ٤٨ سنة وقد بنى مقياساً للنيل في جزيرة



الروضة يقال ان النيل جرفة  
 وقال آخرون ان المأمون  
 امر بهدمه . وهذه صورة النقود  
 التي ضربت في ايام الخليفة

الوليد بن عبد الملك سنة ٥٩٢ هـ ش ٢١ نقود الوليد بن عبد الملك

## خلافة سليمان بن عبد الملك

من سنة ٩٦ - ٩٩ هـ أو من ٧١٤ - ٧١٧ م

وبعد وفاة الوليد بوبع أخوه سليمان بن عبد الملك الملقب بابي ايوب  
فسار على خطوات أخيه في توسيع نطاق مملكته في أول سنة من خلافته  
ففتح طبرستان وجورجيا وأرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك فحاصر  
القسطنطينية حصاراً شديداً

وعند أول خلافته أقر عبد الملك بن رفاعة على مصر وجعل على  
خراجها أسامة بن يزيد المشهور بالظالم ولقبه بعامل الخراج وقد اتفق  
جمهور المؤرخين من مسلمين وأقباط على استبداد هذا الرجل وعسفه وما  
جعلهم يزيدون نظماً منه أنه لم يكف باعلان الرهبان باستمرار الضريبة  
عليهم على حين أنهم كانوا ينتظرون رفعها عنهم لكنه أمر ان يلبس كل  
منهم في كل سنة خاتماً من حديد في اصبعه محنوراً عليه اسمه بأخذه من  
جاني الخراج اشارة الى خلوة طرفه ومن يخالف ذلك تقطع يده فاذا اصر  
على المخالفة يقتل فكانت العساكر تطوف الاديرة والمعابد في هذا السبيل  
فكم قتلوا من نفس زكية وربما كانوا يرون قتلها واجبا. وكان اسامة مع  
ذلك يظهر رغبة شديدة في اصلاح شؤون البلاد وزيادة محصولاتها فكان  
من وقت الى اخر يتفقد الارض وربها وينتبه خصوصاً لمقاييس النيل  
التي يعرف منها مقدار المحصولات. فعلم سنة ٩٦ هـ بسنوط مقياس حلوان  
فأعلم الخليفة بذلك فأمر باغنائه واقامة مقياس آخر في جنوبي الجزيرة  
بين النسطاط والجينة وهو المكان المعروف بالروضه

ومن ضرائب اسامة ضريبة فادحة مقدارها عشرة دنانير تطلب من  
المزار في النيل صاعداً او تازلاً ولا يمر الآمن كان في يده امر مؤذن له

بذلك بعد اداء المبلغ المفروض . وما يحكى ان ارملة سافرت في النيل مع ابن لها بعد دفع المفروض ونوال تذكرة المرور ولكن بكل مشقة نظراً لضيق ذات بدنها فحدث وهي في اثناء المسير ان ابنها هذا تناول الى النيل مستقيماً فاخطفته تمساح وانلعه وثيابه والناس ينظرون وكانت تذكرة المرور في جيبه وبما وصلت المكان المقصود اعترضها صاحب التذاكر وابى الا ان تبرز تذكرتها فاخبرته ما كان من امر ضياع ابنها على مشهد من الناس فاغلق اذنه عن صراخها ولم يبرج عنها حتى باعت ما بين يديها ودفعت النلس الاخير

كل هذه الاجراءات وغيرها جعلت المصريين في قنوط فثاروا على اسامة يطلبون الانتقام وفيما هم في ذلك جاءهم النبأ بوفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك فسكن جاشهم على امل ان ينالوا ما يريدونه من يخلفه . وكانت وفاته في ٢١ صفر سنة ٥٩٩ وهو ببني مدينة الرملة في فلسطين بعد ان حكم سنتين وثمانية اشهر وخمسة ايام وسنة ٤٥ سنة قنوبع ابن عمر بن عبد العزيز الملقب بابي الخنص لانه لم يكن من اخوته وذلك من يصلح للخلافة

### خلافة عمر بن عبد العزيز

من سنة ٩٩ - ١٠١ هـ او من ٧١٧ - ٨٢٠ م

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز محباً للعدالة فرجع اليه المصريون شكواهم على اسامة فأمر بعزله وتولية ايوب بن شرحبيل وكان هذا ورعاً منزهاً مستقيماً عادلاً فزاد في الاعطيات وعطل الخانات فانسى المصريين ما كان من استبداد اسامة وغلاظته ثم بعث اليه الخليفة بالقبض على اسامة وتكبيله بالمديد وتسمير يديه ورجليه باطواق من الخشب وارساله اليه

ف فعل فوات اسامة في الطريق

وكان على الجيش في مصر حيان بن شرح فبلغ عمر بن عبد العزيز انه يطالب المسلمين بالجزية فعظم عليه ذلك وكتب اليه « ارى يا حيان ان تضع الجزية عن اسلم من اهل الذمة فان الله تعالى قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وقال قائلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يديهم صاغرون » فاجابه حيان « اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلقت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار تممت بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين ان يأمر بقضائها فعل » فكتب اليه عمر « اما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً فضع الجزية عن اسلم فبج الله رأيك فان الله بعث محمداً (صلم) هادياً ولم يبعثه جانياً ولعمرى لعمر أشقى من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على يده » وفي ٢٥ رجب سنة ١٠١ هـ توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد ان حكم سنتين وخمسة اشهر و٤ ايوماً فرجعت الخلافة لابناء عبد الملك حسب اشتراط سليمان قبل موته فبويع يزيد بن عبد الملك

### خلافة يزيد بن عبد الملك

من سنة ١٠١ - ١٠٥ هـ او من ٧٢٠ - ٧٢٤

فاقر يزيد ايوب بن شرحيل على مصر ثم انفذ اليه ان يسلم الحكم لبشر بن صفوان الكلابي وبعد بسير امره ان يتوجه الى افر بنية واقام

مكانة حنظلة بن صفوان وفي أيامه امر الخليفة بتكسير التماثيل والأصنام  
المقامة في مصر منذ القديم فكسر معظمها . وفي سنة ١٠٤ هـ عزل حنظلة  
وتولّى الامارة محمد بن عبد الملك احد اخوة الخليفة . وفي ٢٥ شعبان  
سنة ١٠٥ هـ توفي الخليفة يزيد بن عبد الله في حران فبويع اخوه هشام ولم  
يرَ المصريون في مدة خلافة يزيد يوم نعيم

### خلافة هشام بن عبد الملك

من سنة ١٠٥ - ١٢٥ هـ او من ٧٢٤ - ٧٤٢ م

فلما بويع هشام امر بصرف محمد بن عبد الملك عن مصر وإقام عليها  
الحرّ بن يوسف وفي امارته كان اول انتفاض القبط سنة ١٠٧ هـ ثم وفد  
الى الخليفة واستعفى من الامارة في سنة ١٠٨ هـ فتولّى مكانه حنص بن الوليد  
وفي سنة ١٠٩ هـ استبدل حنص بعبد الملك بن رفاعة وفي تلك السنة  
توفي ابن رفاعة فتولّى مكانه بامر امير المؤمنين اخوه الوليد بن رفاعة  
وفي ولايته نقلت قبيلة قيس الى مصر ولم يكن فيها احد منهم فاتزلوا في  
الحوف الشرقي . وفي ايامه خرج وهيب اليعقبي شارداً في سنة ١١٧ هـ من  
اجل ان الوليد اذن للنصارى في ابتناء كنيسة يونا بالحمراء وفي هذه  
السنة توفيت السيدة سكينه بنت الحسين بن علي بن ابي طالب . وتوفي  
الوليد في القسطنطينية وهو وال اول جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ بعد ان  
حكم تسع سنين . فتولّى مكانه عبد الرحمن بن خالد النهدي وبعد سنة توفي  
عبد الرحمن وخلفه حنظلة بن صفوان فتحكم في مصر هذه المرة مدة ست  
سنوات وكان عاتياً غشوماً رثماً عن رغبة الخليفة اليونان يعامل الناس  
بالرفق والمعروف ولم يكتفِ بالضرائب المفروضة على الانسان فرضها

على الحيوانات وكان يختم الوصولات المعطاة منه بختم عليه صورة أسد  
 وكان يقطع يد كل من لم يكن ناقلاً هذا الرسم من المسيحيين  
 فكانت المصربون الخليفة بشأن ذلك فأخذ اليه في سنة ١٢٤ هـ  
 يعزله من مصر وبأمره ان يتوجه الى افريقيا ففعل فولى مكانه حنص بن  
 الوليد الحضرمي وهذا هي المرة الثانية لامارتو . وفي ٦ ربيع آخر من سنة  
 ١٢٥ هـ توفي الخليفة هشام بن عبد الملك وسنة ٥٦ سنة ومدة حكمه ١٦  
 سنة و٧ اشهر و١١ يوماً ومن اعماله التي تسحق الذكر انه تغلب على  
 الروم واسر ملك القسطنطينية سنة ١١٢ هـ

وهذه صورة النود



التي ضربت في عهد  
 الخليفة هشام بن عبد  
 الملك سنة ١٠٧ هـ  
 كما ترى في الشكل  
 الثاني والعشرين

ش ٢٢ نود الخليفة هشام

### خلافة الوليد بن يزيد

من سنة ١٢٥ - ١٢٦ هـ او من ٧٤٢ - ٧٤٤ م

ولما توفي هشام بويغ الوليد بن يزيد الملقب بابي العباس فأمر  
 بصرف حنص عن مصر رغماً عما عُرِف به من النزاهة والاستقامة وثقة  
 الاهالي فيه واقام عوضاً عنه عيسى ابن ابي عطاء على الخراج فقط ولم يكن  
 عيسى من السياسة على شيء فأثار بسوء تصرفه خواطر المصريين ثانية .  
 والخليفة لم يكن احسن سياسة منه لانه جمع جميع الصفات التي تحمط من

قدر الملوك فاثار عليه رعاياه ولا سيما اهل الشام فشقوا عصا الطاعة  
 وطلبوا ان يبدل يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وطلبوا من هذا اذا كان  
 يقبل ذلك فاجاب ايجاباً وجعل لمن يأتيه برأس الوليد بن يزيد مائة  
 الف دينار ثم قتل الوليد سنة ٤٢ سنة ولم يحكم الا سنة واحدة وشهرين  
 و ٢٠ يوماً

### خلافة يزيد بن الوليد ثم ابراهيم بن الوليد

من سنة ١٢٦ - ١٢٧ هـ او من ٧٤٤ - ٧٤٤ م

فبويغ يزيد بن الوليد الملقب بابي خالد في ١٨ جمادى الآخرة من  
 سنة ١٢٦ هـ الا ان تلك المبايعة لم تكن كافية لتسكين خواطر الناس لان  
 الثورة كانت قد امتدت الى اطراف العالم الاسلامي حتى مهددت المملكة  
 بالسقوط . فان اهل حمص لم يبايعوا يزيد بل قاموا يطالبون بدم الوليد .  
 وسليمان بن هشام نجح من محبته في عمان وجمع اليه اجناداً وسار الى دمشق  
 يطالب بجنود الخلافة . واهل فلسطين ثاروا على اميرهم وقتلوه . ومروان  
 بن محمد الحمار جرد من ارمينيا مطالباً بدم الوليد وكان جيشه غنياً فلما  
 بلغ حران خافه يزيد فكاتبة وعاهدت على ان يجلي له ما بين النهرين  
 وارمينيا واذر بيجان حقناً لدم العباد . وبعد ذلك يسير توفي يزيد  
 بالطاعون سنة ٤٠ سنة ولم يحكم الا خمسة اشهر وعشرة ايام

وفي يوم وفاة يزيد بويغ ابراهيم بن الوليد أخوه من ابيه ولم تكن  
 تلك المبايعة مفرحة له لانه جاء الخلافة وهي في معظم الاضطراب . فلما علم  
 مروان بن محمد بوفاة يزيد نكث المعاهدة وجرد جيشاً من ٨٠ الف  
 مقاتل الى قنسر بن ناكر المبايعة على ابراهيم فبعث ابراهيم مائة الف

مقاتل تحت قيادة سليمان بن هشام لملاقاته في حمص وكان مروان يتنقل سبياً يتنقل له الهجوم على دمشق فأدعى انه جاء لانفاذ الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد من سجن دمشق . وقبل مباشرة الحرب كتب مروان الى سليمان بن هشام في حمص يسأله اذا كان يتعد معه على خلع الخليفة ابراهيم وتولية احد ابناء الخليفة السابق فأبى محاربة مدة ففر سليمان ورجاله الى دمشق فلما دخلها تعاهد مع الخليفة ابراهيم وجعلها ايديها على الخزانين ثم اخرجا ابني الوليد من السجن وقطعا عنقهما بناء على انهما منشا تلك المتاعب وان يقتلها يتخلصان من المقاومين فجاء الامر بالعكس اذ عظمت دعوى مروان فأدعى ان الخليفة الذي يقتل ابناء اخيه بغير الحق لا يصلح للخلافة وطلب خلعه وما زال حتى دخل دمشق في الشهر الثاني من سنة ١٢٧ هـ ووضع يده على الاحكام ودعا الى مبايعته فبايعه الجميع حتى الخليفة ابراهيم لانه اشترى حياته بهذه المبايعه وكانت مدة خلافة ابراهيم ٦٩ يوماً وعاش بعد الخلع ست سنوات

### خلافة مروان بن محمد

من سنة ١٢٧ - ١٢٢ هـ او من ٧٤٤ - ٧٥٠ م

وكان لمروان بن محمد ثلاثة القاب الأول ابو عبد الملك لقب به يوم ولادة ابنه البكر والثاني المجدي نسبة الى عمه جده بن درهم والثالث الحمار وكان مشهوراً به اكثر مما بغيره واصل تلقبه به انه كان ثابتاً في الحروب فلقبه بمحار الوحش ثم أهملت الكلمة الثانية <sup>لكنه لم يستعمل</sup> فتنسبت وبقيت الاولى وحدها . فلما تمت له المبايعه سنة ١٢٧ هـ ابدل حنص بن الوليد امير مصر بحسان بن عثاهية النجفي فشق ذلك على المصرين فوثبوا عليه

وقالوا لا نرضى الا بحنص وركب جماعة منهم الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحبسوا حسان في داره وقالوا اخرج عنا فانك لا نقيم معنا ببلد فاخرجوه بعد ١٧ يوماً من توليته واخرجوا معه عيسى ابن ابي عطاء صاحب الخراج فولى مروان على مصر الحنص بن الوليد وهي المرة الثالثة لولايته عليها. وفي سنة ١٢٨ هـ صرفه مروان وولى مكانه الحوثر بن سهل بن عجلان والمصريون غير راضين بذلك فسار اليها في الآف في اول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فابى عليهم حنص فخافوا خوثة وسألوه الامان فامنهم ونزل ظاهر النسطاط. وبعد سنة ونصف (في ٢٤ رجب سنة ١٢١) عزل حوثر وولى مكانه المغيرة بن عبد الله النزازي وبعد يسير توفي المغيرة وولى مكانه عبد الملك <sup>بن مروان</sup> بن موسى <sup>بن الحوثر</sup> وكان والياً على الخراج فلما تولى الامارة امر باتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبلة وكان ولاية الكور يخطبون على العصي الى جانب القبلة. والمغيرة آخر من تولى مصر من قبل الدولة الاموية. لانها كانت على شفا السقوط وقد انتشر النساد في انحاء المملكة الاسلامية فنارت حمص على مروان وكانت اول من جاهر بدعوته كما علمت فسامها الرضوخ فأبى ومثل ذلك فعلت دمشق وكانت اول من دعا الى بيعته وبويع سليمان بن هشام على البصرة ثم تقدم بجيشه الى قنسرين فحاربه مروان وقتل من رجاله ثلاثين القاتل فانهزم سليمان الى حمص وحاصر فيها فجهز اليه مروان وحاصره هناك وكان عبدالله بن معاوية العلوي لا يزال خليفة في الكوفة الى ذلك الحين. وكثير منازعو مروان على الخلافة وفي مقدمتهم ابو العباس الهاشمي وكان اذ ذاك خليفة في اقصى الشرق (خراسان) بمساعدة عبد الرحمن بن مسلم الذي أرسل اليها وكبلاً وهو لم يبلغ التاسعة عشرة من العمر لكنه اظهر همة ودراية لا تكونان الا بالرجال العظام فتملك قلوب الناس وجمع كلنهم اليه وحارب جيوش مروان في خراسان فظفر بها فتقدم الى جورجيا ثم الى

الكوفة فافتتحها وخطب فيها لابي العباس . اما مروان فلم يظفر بمحمص  
وسار الى الموصل فاضطهده اهلها فقتل من النوز فعاد على اعقابيه الى  
سوريا فاذا بها مجمعة على عصيانه فلم ير له ملجأ الا مصر لانها كانت  
لا تزال الى ذلك الحين معترفة بخلافته

اما ابو العباس فلما استتب له الامر في الكوفة جعل على البلاد التي  
صارت تحت حكمه ولاية اخنارم من ذويه ثم بايعه اهل الشام ومن والام  
وهكذا كانت نشأة الدولة العباسية التي اقيمت على انقاض الدولة  
الاموية . ثم رأى ابو العباس تثبيتاً لقدمه في الخلافة ان يقتل كل من بقي  
من ابناء الدولة الاموية ودعاتها ولو بايعوه فامر بالقبض عليهم فاذا بهم  
ثمانون نفساً بين نساء ورجال واولاد فأمر بذبحهم معاً بغير شفقة فلقلب  
من ذلك الحين بالسفاح . ولم ينج من هذه المذبحة الا شاب من العائلة  
الاموية يقال له عبد الرحمن حنيد الخليفة هشام ففر هارباً الى الاندلس  
( اسبانيا ) واسس فيها دولة اخرى اموية

اما مروان فاجاء الى مصر على نية ان يستبقها له فارسل عبد الله عم  
ابي العباس اخاه صالح بن علي يقتني اثره وامر ان يقبض عليه باي  
وسيلة كانت فسار صالح في جيش عظيم ومعه ابو عون عبد الملك بن  
يزيد ونزل على جبل بشكر حيث جامع ابن طولون اليوم وكان قسماً من  
النسطاط في اول عهدهما ثم صار خراباً فأمر ابو عون اصحابه بالبناء  
فيه فابتنوا وقاموا فيه معسكرهم ودعوه بالعسكر واتصل بناؤه ببناء  
النسطاط وبنيت فيه بعد ذلك دار الامارة وجامع عرف بجامع العسكر  
ثم عرف بجامع ساحل الغلة وصار هناك مدينة ذات اسواق ودور عظيمة  
وصار امراء مصر ينزلون فيه من بعد ابي عون الى ان بنى احمد بن طولون  
القطائع واقام فيها قصر

ثم اخذ صالح بن علي في استتباع مروان فادركه في قرية ابو صير من

المجيزة وقتله في ٢٧ جمادى الاخرة سنة ١٢٢ هـ وسنة سبعون سنة وقال  
آخرون ٥٩ ونقل رأسه الى ابي العباس السفاح وكانت مدة خلافة  
مروان خمس سنوات وشهر واحد وهو آخر من ملك من الدولة الاموية

## الدولة العباسية الاولى

حكمت من سنة ١٢٢ - ٢٥٧ هـ او من ٧٥٠ - ٨٧٠ م

### خلافة ابي العباس بن محمد

من سنة ١٢٢ - ١٢٦ هـ او من ٧٥٠ - ٧٥٤ م

بويج الخليفة ابو العباس عبدالله بن محمد الملقب بالسفاح في ١٢  
ربيع اول سنة ١٢٢ هـ وهو من سلالة عبد المطلب واول الخلفاء  
العباسيين فبادر الى اقالة ولاة الامصار الذين كانوا قبل خلافته وابداهم  
بولاقه من اقاريه وذويوهم فجعل على مصر عمه صالح بن علي قاتل مروان فسار  
صالح حتى دخلها في محرم سنة ١٢٢ هـ وبعد يسير بعث الى الخليفة وفداً  
من اهل مصر بما يعنها ثم قبض على عبد الملك بن موسى وجماعته وقتل  
كثيراً من دعاة بني امية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة من  
ارض فلسطين . وفي غرة شعبان سنة ١٢٢ هـ ورد اليه كتاب امير  
المؤمنين بامارتو على فلسطين وان يستخلف على مصر من اراد فاستخلف  
ابا عون عبد الملك بن يزيد نائباً عنه وسار معه عبد الملك بن نصير  
وعدة من اهل مصر

وفي ١٢ ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ توفي ابو العباس في الهاشمية سرير  
خلافته بعد ان قضى على دست الخلافة ٤ سنوات و٨ اشهر و٢٦ يوماً

وسنة ٢٢ سنة ونصف وهو اول من اتخذ وزيراً لان خلفاء بني امية لم يكونوا يستوزرون ولكنهم استكتبوا

### خلافة المنصور بن محمد

من سنة ١٢٦ - ١٥٨ هـ او من ٧٥٤ - ٧٧٥ م

وخلف ابا العباس اخو المنصور بن محمد الملقب بابي جعفر واتخذ الهاشمية سريراً للملك كما فعل سلفه . وفي سنة ١٤٠ هـ عهد ولاية مصر الى ابي عون الذي كان نائباً فيها . وفي سنة ١٤١ هـ عزل ابا عون عن مصر وولى موسى بن كعب وكان احد نقباء العباسيين فدخل مصر في ١٥ ربيع آخر من السنة المذكورة ونزل العسكر . وفي ٥ ذي الحجة من تلك السنة عزل موسى وولى محمد بن الاشعث الخراسي واراد توليته امر الخراج فابي فتولاها نوفل بن الفرات ثم رأى بعد حين ان اهل الدواوين مالوا بكلينهم نحو صاحب الخراج فندم وآل الامر الى تنوير بينه وبين نوفل . وفي ٥ رمضان سنة ١٤٢ هـ صرف محمداً وولى حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي فجاء مصر بجيش وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٤٤ هـ صرفه وولى يزيد بن حاتم المهلبى

فترى انه قد تقلب على مصر في مدة لا تتجاوز السبع سنوات ستة امراء الامر الدال على ما فطر عليه المنصور من التقلب فانه كان لا يثق باحد ولا يقر على امر وكان كثيراً ما هاجس والظنون سريع الحكم وبذلك على ذلك ما كان من امره مع ابن مسلم الذي له النضل على جميع الخلفاء العباسيين اذ لولا مساعيه ما وصلت الخلافة الى يدهم فانه بمجرد ما قيل له ان ابن مسلم متشيع لاهل البيت امر بقتله . ولشدة هواجسه ترك الهاشمية

التي كانت الى ذلك العهد (سنة ١٤٥ هـ) سريراً للخلافة العباسية وشرع في بناء مدينة دعاها مدينة السلام ثم دعيتم بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين وقد جعله سوه ظنوه متردداً لا يستقر على حال . فاوصى بالخلافة لابن اخيه عيسى بن موسى ثم ندم فاوصى بها ل اخيه علي ان يكون لعيسى حق بالخلافة بعده ثم تردد بين الامرين ولم يجرم باحدهما

اما يزيد بن حاتم فتولى مصر في ايام المنصور نحواً من ثماني سنين عمل فيها بامانة ونشاط فلقبه بامير مصر وجعل هذا اللقب لمن يخلفه من الولاة وفي امارته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر وتكلم بها الناس وبابح كثير منهم لعلي بن محمد بن عبدالله وطرق المسجد في ١٠ شوال سنة ١٤٥ هـ ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسين بن علي في ذي الحجة فنصب في المسجد . وفي تلك السنة منع يزيد اهل مصر من الحج ولم يخرج منهم احد ولا من اهل الشام لما كان في الحجاز من الاضطرابات بأمر بني حسن . وفي سنة ١٤٦ هـ ورد كتاب ابي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحويل من العسكر الى النسطاط وان يجعل الديوان في كنائس النصر من اجل ليانة المسجد . وفي هذه السنة كان الفراغ من بناء مدينة بغداد فتحوّل اليها الخليفة ابو جعفر المنصور في صفر فلما دخلها امر أن تجتمع اليه العلماء والفلاسفة . وفي سنة ١٤٧ هـ حج يزيد واستخلف عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج صاحب شرطه وبعث جيشاً لغزو الحبشة من اجل خارجي ظهر هناك فظنر به الجيش وقدم رأسه في عدة رؤوس فحملت الى بغداد . وفي سنة ١٤٨ هـ ضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو اول من فعل ذلك . وفي سنة ١٥٠ هـ خرج القبط في سخا فبعث اليهم جيشاً فرجع منهزماً . وفي سنة ١٥٢ هـ توفي يزيد بن حاتم واقام المنصور عوضاً عنه عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وهذا لم يحكم في مصر الا ٢٢ سنين . وفي سنة ١٥٥ هـ

أبدل باخيه محمد بن عبد الرحمن . وفي سنة ١٥٦ هـ توفي محمد المذكور  
فوتى مكانه موسى بن علي بن رباح . ولداعي هذه التغييرات الكثيرة في  
أمانة مصر لم يرتح أهلها فلم يكن لها فرصة للتقدم خطوة نحو الامام وذلك  
لاعتقاد كل حاكم انه عن قليل معزول فبدلاً من ان يسعى الى زرع ما ربما  
لا يستغله كان يسعى الى ما فيه مصلحة الشخصي ولذلك كان كل واحد  
منهم يزيد في مقدار الضرائب المفروضة او يخترع ضرائب جديدة بحيث  
انه لم يبق شيء معاف من الضرائب حتى النعلة وباتني البنول وقادة  
الجمال وكل الصناع حتى المتسولين كل هؤلاء كانوا يدفعون الضرائب  
فعم البلاء واشتد الجوع فاكل الناس الكلاب ولحم الادميين  
وفي ٦ ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ توفي ابو جعفر المنصور وهو في بير

ميمون على بضعة اميال من مكة حيث توجه لفضاء فروض الحج وكان  
سنة ٦٢ سنة ومدة حكمه ٢٢ سنة  
الآ ٧ ايام . وهذه صورة النقود  
التي ضربت في ايام الخليفة  
المنصور سنة ١٤٦ هـ (انظرش ٢٢)



ش ٢٢ نقود المنصور

### خلافة محمد المهدي

من سنة ١٥٨ - ١٦٦ هـ او من ٧٧٥ - ٧٨٥ م

فخلفه محمد المهدي ابنه وهو الخليفة الثالث من بني العباس وكان  
كايه متقلباً متردداً . وفي سنة ١٥٩ هـ صرف موسى بن علي عن مصر  
وولى محمد بن سليمان من اهالي سوريا ثم عزله واعاد موسى بن علي وفي

سنة ١٦٠ هـ صرف هذا وولى عيسى بن لقمان المجبى وفي سنة ١٦٢ هـ  
 صرف عيسى وولى واضح مولى ابي جعفر وبعد بسير ابدله بمنصور بن يزيد  
 العربي وهو ابن خال الخليفة المهدي . وفي سنة ١٦٢ هـ ابدله يحيى بن  
 داود الملقب بابي صالح من اهل خراسان وكان ابنه تركياً وهو من اشد  
 الناس واعظهم هيبه واقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة فمنع من غلق  
 الدروب ليلاً ومن غلق الحوائت حتى جعلوا عليها شرائح النصب لمنع  
 الكلاب . ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال « من ضاع له شيء  
 فعلي ادأوه » فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا ابا صالح  
 احرسها فكانت الامور جارية على هذا النمط مدة ولايته وامر الاشراف  
 والنقباء واهل النوبات بلبس الفلانس الطوال والدخول بها عليه يوم  
 الاثنين والخميس بلا اردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو  
 رجل بخافي ولا يخاف الله . وفي سنة ١٦٤ هـ عزل ابو صالح وولى سالم  
 ابن سوادة النيسبي . وفي ١٥ محرم سنة ١٦٥ هـ عزله المهدي وولى ابراهيم  
 بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس فابتنى داراً عظيمة بالموقف من  
 العسكر . وخرج دحية ابن المعصب من نسل عبد العزيز بن مروان  
 نابذ ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه ابراهيم ولم يجمل بامرّه حتى ملك  
 عامة الصعيد فحفظ المهدي على ابراهيم وعزله عزلاً قبيحاً في ٧ ذي الحجة  
 سنة ١٦٧ هـ وولى موسى بن مصعب بن الربيع من اهل الموصل ولما جاء  
 هذا مصر اخذ من ابراهيم ومن كان معه ثلثمائة الف دينار ثم سيره الى  
 بغداد . وشد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل  
 وجعل يقبل الرشوة وضرب خراجاً على الحوائت وعلى الدواب فتضايق  
 الاهالي وكرة الجند ذلك ونابذوه وثار قيس والبانبة وكانوا اهل  
 النسطاط فانفقوا عليه فبعث بجيش لقتال دحية بالصعيد وخرج في جند  
 مصر كلهم لقتال اهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه اهل مصر باجمعهم

الحجة ومعه علي بن عبد العزيز الجروي لاخذ ما له فلم يدفع اليه شيئاً فقتله  
 وصرف عبدويه وخرج الى برقة وولى عيسى بن منصور الرافعي فولي من  
 قبل المعتصم اول سنة ٢١٦ هـ على الصلوات فانتفضت مصر السفلى عريها  
 وقبضها في جمادى الاولى واخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة  
 فقدم الافشين من برقة في منتصف جمادى الاخرة ثم خرج هو وعيسى في  
 شوال فاقعوا بالقوم واسرا منهم وقتلوا ثم رجع عيسى فسار الافشين الى  
 الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى ان قدم امير المؤمنين عبدالله  
 المأمون في ١٠ محرم سنة ٢١٧ هـ فسخط على عيسى وحل لواءه واخذة  
 بلباس البياض عنوة له وقال له «لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن  
 فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتم الخبر حتى تناقم  
 الامر واضطربت البلاد» ثم ولى كيدر الصندي بالنيابة عن المعتصم  
 وسبب قدوم الخليفة الى مصر انه كان عائداً من محاربة الروم فرأى  
 ان يمر بمصر لمراقبة شوئنها وكان قلقاً عليها لما بلغه من نرد اهلها ونقض  
 اعمالها فدخلها وجعل يمر بقراها يتفقد احوالها ويقال انه كان يبني له  
 في كل قرية دكة يضرب عليها سرادقة والعاكر حولة وكان بنيم في  
 القرية يوماً وليلة . وبلغ النمسطاط في يوم الجمعة ٩ محرم سنة ٢١٧ هـ  
 وما زال يتجرى اصول النساد ويقتلها الى ان بارح مصر في آخر صفر  
 من تلك السنة قاصداً دمشق

ولم يبق المأمون اثناء تجوله في مصر عن تنظيم احوالها واصلاح  
 داخلتها وتأييد مجالسها واحكامها وامر بترميم مقياس النيل الذي بناه  
 اسامة في الروضة وبناء جامع فيه ومقياس آخر في بينودا (الصعيد)  
 وترميم مقياس اخميم

وبعد ان بارح المأمون مصر بلغه ان الدواوين في مصر سارت على  
 خطه لا برضاها من حيث قبول الزيادات وفتح عقود الضمانات وانتزاعها

من كابد المشقة والتعب في اصلاحها واسادها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلفة ولا نصب فلما علم بذلك أنكروه ومنع من ارتكابه واصدر أوامره الصارمة باعناء الكافة اجمعين والضمنا والعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ما داموا مغلفين وبقساطهم قائمين ونضمن ذلك منشور قرئ على الناس بينهم فيه الى ما جاء في الكتاب العزيز من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود

وفي ١٩ رجب سنة ٢١٨ هـ توفي الخليفة المأمون على اثر حصى حادة على نهر البزندون في سلسيا ودفن في طرسوس سنة ٤٨ سنة وبضعة اشهر ومدة خلافته عشرون سنة وخمسة اشهر و١٢ يوماً

اما آثار المأمون فاجل آثار الخلفاء لانها تدل على ما بلغت العلم وما بلغت اليه الصناعة من السعة والاتقان. وقد كان لشدة تعلقه بالعلم والصناعة يتعاطاها بنفسه وبأخذ بناصرتها وكان يبذل النفس والنفيس في سبيل تقدمها ولولاه لم يتطلع العرب على كثير من المؤلفات التي كتبت بالعبرانية او السريانية او اليونانية او اللاتينية فانه هو الذي سعى الى نقلها الى اللغة العربية ونشط رعيته لمطالعتها والاستفادة منها. ولا يقتصر فضله من هذا القبيل على ابناء اللغة العربية فان اهالي اورزوباعوماً مديونون له لانه حفظ لهم كتابات كثيرة يونانية ولاينية لولا نقلها الى العربية وحفظها فيها لحطمتها يد الزمان كما حطمت غيرها ما نسمع به ولم نره. وكان كلفاً بجاسة العلماء والحكام لا يخلو مجلسه منهم ولم يكن يقتصر على العلماء من شعبه وملتبه لكنه استدعى اليه من العلماء النصارى واليهود واليونان والفرس حتى المجوس والهنود وقرهم منه ولم يفرق بين احد منهم بالاكرام والسخاء وكان اذا صرفهم انما يصرفهم مناسفاً على مفارقتهم وهم اشد اسفاً منه على ذلك لانهم كانوا يرتاحون الى مجالسته لما كانوا يتمتعون به من لطفه ودعوه

دينار على ان يتخلى عن هدمها فأبى وكان كثير الصدقة فعلق به الاهلون حتى قالوا انه اهل للخلافة فطع فيها فحفظ عليه هارون الرشيد وعزله وولى مكانه موسى بن عيسى العلوي في ٦ ربيع اول سنة ١٧١ هـ وحالما استلم زمام الامارة أذن للمسيحيين بابتناء الكنائس التي هُدمت بامر علي ابن سليمان فابتنيت بمشورة الليث بن سعد وعبدالله بن طبيعة . وفي ١٤ رمضان سنة ١٧٢ هـ عُزل بعد ان تولى الامارة سنة وخمسة اشهر وتولى مكانه مسلمة بن يحيى وفصل بين ادارة الحكومة والمالية او الخراج وجعل على الخراج عمر بن غيلان وفي ٥ شعبان سنة ١٧٢ هـ عزل مسلمة بن يحيى عن الصلات وتولى محمد بن زهير وفي غاية ذي الحجة سنة ١٧٢ هـ عُزل وتولى مكانه داود بن يزيد ابن حاتم بن قبيصة . وفي ٧ صفر سنة ١٧٥ هـ عُزل داود بن يزيد وولى مكانه موسى بن عيسى ثانية . وفي هذه السنة اوصى هارون الرشيد بالخلافة لابنه الثاني محمد الملقب بالامين وهو اذ ذلك لم يبلغ الخامسة من العمر واخوه المأمون في السادسة وسبب ذلك ان الامين كان ابن زبيدة ابنة عم الخليفة واما المأمون فكان ابن امرأة اخرى ليست بذات نسب عال ففضبت زبيدة من حرمان ابنها من الخلافة وكان الرشيد يحبها فاوصى بالخلافة لابنها الامين على ان يكون للمأمون حق الخلافة بعد رثما عن كونه البكر

وفي ٢٦ صفر سنة ١٧٦ هـ عهدت اماره مصر الى ابراهيم بن صالح ثانية وكان قد تولاها في خلافة ابي جعفر كما تقدم . وفي ١٨ رمضان سنة ١٧٦ هـ تولى اماره مصر عبدالله ابن المسيب بن زهير الضبي اخو محمد بن الزهير ثم صرف في رجب سنة ١٧٧ هـ فخلعته اسحق بن سليمان من بني العباس فلما وصل مصر زاد في خراج المزارعين زيادة اجمعت بهم فخرج عليه اهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعند لهرثة بن اعين في جيش عظيم وبعث به فقتل الحوف فقتلناه

اهله بالطاعة واذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كافة فسر الخليفة ما اناه  
 هرثة من النصر فصرف اسحق بن سليمان وولى مكانه هرثة في ٢ شعبان  
 سنة ١٧٨ هـ وبعد قليل ارسل الرشيد هرثة الى افريقية وولى على مصر  
 عبد الملك بن صالح اخا ابراهيم بن صالح على الصلات وارسل معه عبدالله  
 بن زهير على الخراج . وفي ١٢ محرم سنة ١٧٩ هـ ابدل عبد الملك بن  
 صالح بعبيدالله بن المهدي شقيق الخليفة وبعد قليل نتج هذا عن الامارة  
 لموسى بن عيسى وهي المرة الثالثة لامارته . وفي سنة ١٨٠ هـ عادت امارة  
 مصر الى عبيدالله بن المهدي ثانية . وفي ٧ رمضان سنة ١٨١ هـ سلمت  
 امارة مصر الى اسماعيل بن صالح وكان خطيباً بليغاً فقال فيه بن غير  
 « ما رأيت على هذه الاعواد اخطب من اسماعيل بن صالح »

وفي ١٤ جمادى الاخرة سنة ١٨٢ هـ صرف الرشيد اسماعيل بن صالح  
 وولى اسماعيل بن عيسى العباسي ثم صرف هذا وولى الليث بن النفل  
 البيوردي من اهل بيورد فقدم مصر في ٥ شوال سنة ١٨٢ هـ وخرج  
 منها في رمضان سنة ١٨٢ الى الخليفة بالهدايا والمال واستخلف اخاه النفل  
 ابن علي في مصر ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانية بالمال في ٢١ رمضان  
 سنة ١٨٥ هـ واستخلف هاشم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن  
 حجاج ثم عاد في ١٤ محرم سنة ١٨٦ هـ فكان كلما أغلق خراج سنة وفرغ من  
 حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هارون الرشيد مع الحساب  
 ثم بعث بمساح بمسحون الاراضي ومن جعلتها اراضي اهل الحوف  
 فانتفض لهم من القصبه اصابع فتظلموا الى الليث فلم يسمع منهم فجمعهم وا  
 وساروا الى النسطاط فخرج اليهم الليث في اربعة الاف من جند مصر  
 في شعبان سنة ١٨٦ هـ فالتقى بهم في رمضان فانهزم عنه الجند في ١٢ منه  
 وبقي في نحو المائتين فحمل بن معه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم  
 غينة وكان النصارى على ارض جب عميرة وبعث الليث الى النسطاط

بثمانين رأساً من رؤوس القيسية ولما عاد الى النسطاط عاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فسار الليث الى الخليفة هارون الرشيد في محرم سنة ١٨٧ هـ وطلب اليه الجيوش لانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الحوف الا يجيش يبعث به معه وكان مخنوظ بن سليم بباب الرشيد فرجع مخنوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فوله الخراج وصرف الليث بن الفضل عن صلوات مصر وخراجها وفي ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٨٧ هـ عزل واقم مقامه احمد بن اسماعيل بن صالح . وفي ١٨ شعبان سنة ١٨٩ هـ اُبدل بعبداً بن محمد العباسي الملقب بابن زينة . وفي هذه السنة ابدل عبدالله المذكور بحسين بن جميل الخناخ وفي ايامه امتنع اهل الحوف من الخراج فبعث اليه امير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ في أمره فقتل بليس في شوال سنة ١٩١ هـ وصرف الحسين بن جميل عن امارة مصر في شهر ربيع الآخر سنة ١٩٢ هـ وولى مالك بن دلم وفرغ يحيى بن معاذ من امر الحوف وقدم النسطاط في جمادى الثانية فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج اليه فكتب الى اهل الحوف ان اقدموا حتى اوصي بكم مالك ابن دلم وادخل بينكم وبينه في امر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من البانية والقيسية وقد اعد لهم النبود فامر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقدم وتوجه بهم في منتصف رجب وفي السنة التالية عهدت الى الحسين قيادة الجيش والخراج فضلاً عن الامارة . وفي ١٢ ربيع آخر سنة ١٩٢ هـ اُبدل بمالك بن دلم وكان على الخراج الخصب ابن عبد الحميد واليه تنسب مدينة منية خصب

واخيراً في ٤ صفر سنة ١٩٢ هـ عادت امارة مصر الى الحسن بن جميل الى ان توفي الخليفة هارون الرشيد في ٣ جمادى الآخرة من تلك السنة في طوس سنة ٤٧ سنة مدة حكمه ٢٢ سنة وشهر ١٩ يوماً . ولا

حاجة لتعداد خلال هذا الخليفة الذي رفع شأن الخلافة الاسلامية الى حد من العظمة لم تدرکه في سائر اطوارها فقد كان حازماً عادلاً نقيماً باسلاً ودبماً محباً للعلم والنضل واهلها ولدبنا من الاحاديث عن كرم اخلاقه ما تحدث به العامة والخاصة فنكتفي بانه جعل الخلافة علماً هو سماها فاذا قيل لنا ان الامر الفلاني حصل في ايام الخليفة لانهم الا انه حصل في خلافة هارون الرشيد

وما يحكى عنه انه كان بينه وبين شرملان ملك فرنسا في ذلك العهد صداقة وولاء وانه اهدى اليه اشياء كثيرة من اعمال الشرق ومنها الساعة الشهيرة المكتوب عليها



بالحروف الكوفية . وهذه صورة النفود التي ضربت في ايام الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩١هـ انظرش ٢٥

ش ٢٥ نفود هارون الرشيد

### خلافة محمد الامين

من سنة ١٩٢ - ١٩٨ هـ او من ٨٠٦ - ٨١٢ م

وفي يوم وفاة الرشيد خلفه ابنه محمد الامين اما المأمون فكان ابوه قبل وفاته قد وهبه جميع حلاله واسلحه المخصوصية وولاه خراسان بما فيها من العدة والرجال وان يكون عليها حاكماً مستقلاً عن اخيه الامين . فالامين عند استلامه زمام الخلافة انكر على اخيه وصية ابيها ولم يسلمه شيئاً مما له الحق به ويقال ان كل ذلك كان بدسيسة الفضل بن ربيع . فتنافر الاخوان والامين اشدها ضعيفه فارسل الى الكعبة فاتي بالكتابين اللذين جعلها

الرشيد هناك ببيعة الامين والمأمون فاحرقهما النضل وجعل ولاية العهد لموسى بن الامين فلم يعد بعد ذلك باب للمصالحة بين الاخوين . وكان الامين محباً للهو ومعاقرة الخمر اما المأمون فكان متيقظاً يترقب القرص فدعى الى مبايعته في خراسان فالتف حوله حزب كبير يدعون الى بيعته لما رأوا فيه من العدل وكرم الاخلاق ثم جعل المأمون يجمع قوائمه ويستنصر دعائه واتخذ معه هرثة بن اعين الذي كان اميراً على مصر قبل ذلك الحين فعظم الأمر على الامين فولّى حاتم بن هرثة على مصر سنة ١٩٤ هـ استعطافاً لابي هرثة ولكن ذلك لم يجده نفعاً لان هرثة لم يتحول عن ولاء المأمون

وفي سنة ١٩٥ هـ انشد الامين جيشاً فيه اربعون الف مقاتل الى خراسان لمقاتلة اخيه فلا قام طاهر بن الحسين فائداً جند المأمون وارجعهم على اعتابهم فعظم المأمون في عيون المسلمين عموماً فبايعه اهل خراسان وتابعهم كثيرون فلما رأى الامين ذلك ورأى ان تولية حاتم بن هرثة على مصر لم تجده نفعاً عزله وولى جابر بن الأشعث في السنة عينها . وابنتى حاتم بن هرثة في سبخ الجبل المنطم حيث القلعة الان قبة عظيمة دعاها قبة الهواء بنيت الى انراض دولة بن طولون وخراب القطائع . وبعد تولية جابر على مصر اشتد ازر الامين وطمع بالنوز على اخيه فجدد جنداً آخر مؤلفاً من ٤٠ ألفاً لمحاربتهم ووجدوا آخر انفذه من جهة اخرى تحت قيادة عبد الله بن حميد بن قحطبة الذي كان ابوه اميراً على مصر في عهد ابي العباس . اما طاهر بن الحسين فسار لملاقاتهم ولم يبال بتلك الجيوش لكنه لم يلتقي بها فتقدم الى الاهواز من واسط والمدائن وكان على مصر جابر بن الأشعث كما تقدم فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السري بن الحكم غضباً للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا المأمون في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٩٦ هـ وقام في

بغداد الحسين بن علي احد سرايتها ودعا الناس الى خلع الامين وتولية اخيه المأمون فاجابوه وبابعدوا المأمون في ١١ رجب من تلك السنة . ووثب العباس بن عيسى على الامين ووالدته زيدته وادعها السجن موثقين . ثم تمكن الامين ببعض الوسائط من تسليح كرمي الخلافة ثانية فبايعه من في بغداد فقط اما خلافة المأمون فكانت على الحجاز واليمن والشام ومصر وغيرها وعند علي مصر لحاتم بن هرثة بن اعين وارسل اليها عباد بن محمد نائباً عنه مؤقتاً

وفي سنة ١٩٧ هـ حمل طاهر بن الحسين وهرثة بن اعين على بغداد وحاصراها نحواً من سنة فضجر الاهالي وملأوا من طول هذه المحاصرة وصاروا ينظرون لها نهاية فلم يروا لها حلاً الاً بخلع الامين فخلعوه للزع الثانية ففر وبعد قليل قبض عليه وقتل وجيء برأسه والخاتم والنضيب والبردة الى المأمون ولم يكن سن الامين عند موته الا ٢٦ سنة و ٣ اشهر وبضعة ايام ومدة حكمه اربع سنين وثمانية اشهر وثمانية عشر يوماً وكنت بموته الحروب وحفنت الدماء

### خلافة عبدالله المأمون

من سنة ١٩٨ - ٢١٨ هـ او من ٨١٢ - ٨٢٢ م

فبيع المأمون مبايعة قطعية في ٢٥ محرم سنة ١٩٨ هـ يوم قتل اخيه الامين . فاستقدم عباد بن محمد الذي كان عينه نائباً في مصر وعهد امارتها الى المطلب بن عبدالله الخزاعي وبعد اشهر قليلة ابدل بالعباس بن موسى بن عيسى الذي تولي على مصر ثلاث مرات في ايام هارون الرشيد فتولى صلاتها وخراجها . وفي سنة ١٩٩ هـ تخلى

العباس بن موسى عن اماره مصر فارسل المأمون عوضاً عنه المطلب بن عبدالله سلفه وبعد قليل ابدل بالسري بن الحكم . واخذت الراحة من ذلك الحين تنشر في المملكة الاسلامية الا ان الايام نلد العجائب فتأتيك كل يوم نبياً جديداً

فان سلالة الامام علي بن ابي طالب لم يكفوا عن المطالبة بمخوفهم في الخلافة فدعوا الناس الى مبايعة علي بن موسى من سلالة الامام علي فلما علم المأمون بذلك استشار وزيره الفضل بن ربيع في الأمر فصح اليه ان يصرف تلك النازلة بان بوصي بالخلافة بعد وفاته لعلي المذكور بشرط ان يكفوا عن كل ما يوجب الاضطراب . الا ان تلك السياسة لم تزد الا زيادة الخرق انسانيًا فتضاعف التمرد ونمت الاحزاب وقد شق ذلك خصوصاً على بني العباس لانهم رأوا الخلافة قد خرجت من ايديهم الى العلويين فثاروا سنة ٥٢٠٢ هـ ثورة شنت عن خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي اما سطوته فلم تكن تتجاوز سور بغداد لانه لم يكن اهلاً للحكم فحارت قواه دون ذلك فجز الذين اقاموه عن استبقائه اكثر من سنة وبضعة اشهر فتنازل عن الخلافة سنة ٥٢٠٣ هـ وفرّ هارباً فعاد المأمون الى بغداد في سنة ٥٢٠٤ هـ فدخلها في حلة خضراء علوية وبعد اسبوع عادت الجنود الى الملابس السوداء العباسية

وفي هذه السنة توفي الامام محمد بن ادريس الملقب بالشافعي صاحب المذهب الشافعي وكانت وفاته في الفسطاط ولم يبلغ من العمر اكثر من ٥٤ سنة . وتوفي ايضاً السري بن الحكم امير مصر وقيم مقامه محمد بن السري بمبايعة الجند لانه قطع النظر عن اوامر الخليفة بهذا الشأن . وفي سنة ٥٢٠٧ هـ توفي طاهر بن الحسين رئيس قواد المأمون في مرو عاصمة خراسان وكان قد اقامه المأمون هناك حاكماً كما قدم ابنه عبدالله بن طاهر الى مصر واقام في بليس

ونظراً لما بين مصر ودار الخلافة من المسافة اصبح الناس لا يعاؤون  
 بما كان يأتيهم منها من الاوامر وزيد على ذلك ان الدولة اصحبت في اتياء  
 من الضعف لما كان يتهددها من نمرد عمالها واحتمار رعيها لما ولا سيا  
 المصريين فانهم كانوا لا ينفكون عن خرق حرمتها ومخالفة اوامرها حتى  
 عقدوا لعبدالله بن السري عليهم بمبايعة المجد كما تقدم وما زالوا على ذلك  
 نحواً من خمس سنوات . وفي سنة ٢١١ هـ تحصن عبدالله بن طاهر في بلبس  
 فالتفت عليه عصابة من اهلها وباعوه فاستنحل امره فسار الى النسطاط  
 في ربيع اول من تلك السنة وانزل عبدالله بن السري وجعل على  
 النسطاط عباد بن ابراهيم . وفي سنة ٢١٢ هـ ابدل عباد بهيسى بن  
 يزيد الجلودي

وفي سنة ٢١٤ هـ اتت المأمون الى عبدالله بن طاهر ان يقف عند  
 حده ويتحجب من مصر وعند على مصر وسوريا لاختيه المعتصم واعطاه  
 خمسمائة دينار وامر بمثل هذا المبلغ هبة لعبدالله بن طاهر للتعيش ويقال  
 انه امر بمثل ذلك ايضاً لابن العباس فيكون جملة ما اخرج من خزنته  
 في يوم واحد مليوناً وخمسمائة الف دينار وهذا منتهى السخاء

واستخلف المعتصم عمير بن الوليد التميمي على الصلوات في ١٧ صفر  
 فخرج ومعه عيسى الجلودي لقتال اهل الحوف وكانت بينهم معارك عظيمة  
 قتل فيها عمير فاستخلف مكانه عيسى الجلودي فحارب اهل الحوف بمينة  
 مطر ثم انهزم في رجب واقبل المعتصم الى مصر في اربعة الاف من اتركو  
 فقاتل اهل الحوف في شعبان ودخل الى مدينة النسطاط في ٢٢ منه  
 وقتل اكابر الحوف ثم خرج الى الشام في اول محرم سنة ٢١٥ هـ في اتركو  
 ومعه جمع من الاسارى في حر وجهد شديد وولى على مصر عبدويه بن  
 جبلة على الصلوات فخرج اهل الحوف في شعبان فبعث اليهم وحاوهم  
 حتى ظفروهم . ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الى مصر في ٢ ذي

الحجة ومعه علي بن عبد العزيز الجروي لاخذ ما له فلم يدفع اليه شيئاً فقتله  
 وصرف عبدويه وخرج الى برقة وولى عيسى بن منصور الراجعي قوياً من  
 قبل المعتصم اول سنة ٢١٦ هـ على الصلوات فانتفضت مصر السفلى عريها  
 وقبضها في جمادى الاولى واخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة  
 فقدم الافشين من برقة في منتصف جمادى الاخرة ثم خرج هو وعيسى في  
 شوال فاقعوا بالقوم واسرا منهم وقتلوا ثم رجع عيسى فسار الافشين الى  
 الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى ان قدم امير المؤمنين عبدالله  
 المأمون في ١٠ محرم سنة ٢١٧ هـ فمخط على عيسى وحل لواءه واخذة  
 بلباس الياض عنوبة له وقال له «لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن  
 فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكنتم الخبير حتى تنافم  
 الامر واضطربت البلاد» ثم ولى كيدر الصندي بالنيابة عن المعتصم  
 وسبب قدوم الخليفة الى مصر انه كان عائداً من محاربة الروم فرأى  
 ان يمر بمصر لمراقبة شؤنها وكان قلقاً عليها لما بلغه من نمردها ونقض  
 عمالها فدخّلها وجعل يمر بقراها يتفقد احوالها ويقال انه كان يبني له  
 في كل قرية دكة يضرب عليها سرادقة والعساكر حوله وكان ينيم في  
 القرية يوماً وليلة . وبلغ النسطاط في يوم الجمعة ٩ محرم سنة ٢١٧ هـ  
 وما زال يجرى اصول الفساد ويقتلها الى ان بارح مصر في آخر صفر  
 من تلك السنة قاصداً دمشق

ولم ينتر المأمون اثناء تجوله في مصر عن تنظيم احوالها واصلاح  
 داخليتها وتأيد مجالسها واحكامها وامر بترميم مقياس النيل الذي بناه  
 اسامة في الروضة وبناء جامع فيه ومقياس آخر في بينودا (الصعيد)  
 وترميم مقياس اخميم

وبعد ان بارح المأمون مصر بلغه ان الدواوين في مصر سارت على  
 اخطا لا برضاها من حيث قبول الزيادات وفتح عقود الضمانات وانتزاعها

من كابد المشقة والتعب في اصلاحها واسادها وتسليمها لمن يدفع الزيادة من غير كلنة ولا نصب فلما علم بذلك أنكره ومنع من ارتكابه واصدر أوامره الصارمة باعناء الكافة اجمعين والضمان والعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ما داموا مغلفين وبقساطهم قائمين ونضمن ذلك منشور قُرى على الناس بينهم فيه الى ما جاء في الكتاب العزيز من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود

وفي ١٩ رجب سنة ٥٢١٨ توفي الخليفة المأمون على اثر حصى حادة على نهر البزندون في سلسيا ودفن في طرسوس سنة ٤٨ سنة وبضعة اشهر ومدته خلافته عشرون سنة وخمسة اشهر و١٢ يوماً

اما آثار المأمون فاجل آثار الخلفاء لانها تدل على ما بلغت العلم وما بلغت اليه الصناعة من السعة والافتان . وقد كان لشدة تعلقه بالعلم والصناعة يتعاطاها بنفسه وبأخذ بناصرتها وكان يبذل النفس والنفس في سبيل تقدمها ولولاه لم يطلع العرب على كثير من المؤلفات التي كتبت بالعبرانية او السريانية او اليونانية او اللاتينية فانه هو الذي سعى الى نقلها الى اللغة العربية ونشط رعيته لمطالعتها والاستفادة منها . ولا يقتصر فضله من هذا القبيل على ابناء اللغة العربية فان اهالي اور وبا عموماً مديونون له لانه حفظ لهم كتابات كثيرة يونانية ولاينية لولا نقلها الى العربية وحفظها فيها لحطمتها بد الزمان كما حطمت غيرها ما نسمع به ولم نره . وكان كلفاً بجالسة العلماء والحكام لا يخلو مجلسه منهم ولم يكن يقتصر على العلماء من شعبه وملته لكنه استدعى اليه من العلماء النصارى واليهود واليونان والفرس حتى المجوس والهندود وقربهم منه ولم يفرق بين احد منهم بالاكرام والسخاء وكان اذا صرفهم انما يصرفهم مناسفاً على مفارقتهم وهم اشد اسفاً منه على ذلك لانهم كانوا يرتاحون الى مجالسته لما كانوا يتمتعون به من لطفه ودعوه

وقد نبغ في ايامه علماء كثيرون من المسلمين وغيرهم بعلوم كثيرة كالفلك والهندسة والفلسفة العقلية وغيرها . منهم احمد بن كثير الملقب بالفرغني وعبدالله بن سهل ومحمد بن موسى ومشاهه اليهودي ويحيى بن ابي المنصور وقد أقام بواسطتهم الارصاد الكثيرة وكان عالماً بالفلك فكان يعاونهم بالرصد احياناً في مرصد شمسية بقرب بغداد واحياناً في المرصد على جبل قسيون قرب دمشق . ومن الاطباء الذين كانوا يجالسونه سهل ابن سبور وجبرائيل الذي بحث في الرمد على الخصوص وبوحنا بن البصري الملقب بالترجمان لانه ترجم الكتب الطبية من اليونانية الى العربية

ففي خلافة المأمون وأبيه بلغت دولة الاسلام مجداً عظيماً واتسع نطاق مملكتهم فبلغت حدود الصين شرقاً فاستولوا على الهند ومنها شمالاً الى السواحل المتجمعة من البحر الشمالي الى اقصى عشائر الاتراك وساروا في بلاد اليونان الى البوسفور ومن الجنوب الى جبال الحيش العليا الوعرة المسلك الى القبائل البربرية في داخلية افريقيا ومن الغرب الى الجزائر فطرابلس الغرب ومنها شمالاً في اوروباً الى ما وراء الاندلس في ارض فرنسا فكانت حدود تلك المملكة تلاطمها امواج الاقبانوس الانلاتيكي غرباً وامواج المحيط شرقاً والبحر الشمالي شمالاً والاقبانوس الهندي والعربي جنوباً . الا انها قبل وفاة المأمون جعلت تسير التفهري فانقسمت على نفسها فاتحطت شوكتها وابتدأ ذلك في غربها فانصلت عنها الاندلس واستقلت بنفسها تحت دولة اموية جديدة عاصمتها قرطبة . وترد طاهر بن الحسين في خراسان ( قبل وفاته ) فشق عصا الطاعة واستقل بالحكم بنفسه وجعله ارباً لنسله من بعده بالاستقلال التام عن خلافة بغداد وتعرف دولتهم هذه بالدولة الطاهرية ومثل ذلك فعلت سائر الامارات اقتداءً بمن سار امامها فطلبت كل منها استقلالها . اما مصر فقد كانت

مقطعة للمعتصم ولم يبق تابعاً لخلافة بغداد سواها وهي لم تبق إلا لطاع  
المعتصم بالخلافة بعد المأمون  
وهذه صورة النقود التي  
ضربت في عهد الخليفة  
المأمون في سنة ٢١٨ للهجرة  
وكان ذلك بأمر ابن  
العباس (انظر شكل ٢٦)



ش ٢٦ نقود المأمون

### خلافة محمد المعتصم

من سنة ٢١٨ - ٢٢٧ هـ او من ٨٢٢ - ٨٤٤ م

فلما توفي الخليفة المأمون خلفه أخوه محمد المعتصم بن هارون الرشيد  
الثالث في ١٨ رجب سنة ٢١٨ هـ وهو أول من اتخذ لفظ الجلالة في لقبه  
فلقب نفسه المعتصم بالله

وكان قد أقر إمارة مصر لكيدر الذي كان نائباً عنه فيها ثم كتب  
اليه بأمره بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم  
ففي شهر ربيع آخر سنة ٢١٩ هـ توفي كيدر وتولى مكانه المظفر بن  
كيدر . وفي سنة ٢٢٠ هـ توفي المظفر وتولى مكانه موسى بن أبي العباس  
الملقب بالشيباني وبلغه آخرون بالشامي . وفي سنة ٢٢٤ هـ استدعى موسى  
من مصر فاستخلف مالك الذي يلقبه بعضهم بالهندي والبعض الآخر  
بالكندي وهو ابن كيدر المتقدم الذكر . وفي سنة ٢٢٥ هـ عزل مالك  
وعهدت ولاية مصر بأمر الخليفة إلى أبي جعفر شناس وهو آخر من

وُلِّي مضر بامر المعتصم

وفي سنة ٢٢٧ هـ اصيب الخليفة المعتصم بجحش في سامرة وفي ١٨ ربيع اول من تلك السنة توفي . ومن الغريب ما لهذا الخليفة من الحظ في الرقم « ٨ » فان بينه وبين ابي العباس اول الخلفاء العباسيين ثمانية اعقاب وولد في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة القمرية وهو الخليفة الثامن من بني العباس وتولى الخلافة سنة ٢١٨ وسنة ٢٨ سنة وثمانية اشهر وثمان مائة وثمانين و٨ اشهر و١٨ ايام وتوفي في ١٨ ربيع في السنة الثامنة والاربعين من عمره وترك ثمانية اولاد ذكور وثمانى اناث وحضر ثمانى مواقع حربية واخيراً وُجد في خزينته عند موته ثمانية ملايين من الدنانير وثمانون الف درهم وقد قيل انه بناء على هذا الاتناق الغريب دعي « بالثمن »

وقد كان هذا الخليفة نقطة ابتداء نهقر دولة العرب ولعله كان السبب في ذلك النهقر لانه كان ضعيف السياسة بعيداً من النضائل والآداب امياً لا يعرف الكتابة لكنه كان قوي البدن يحمل ما وزنه الف رطل (ليبرا) ويمشي به خطوات وكان مع ذلك شجاعاً شديداً ومحجماً على نوع خصوصي للحرب ولاقتناء الاسلحة والخيل الجياد والعساكر المنظمة

وهذه صورة النقود التي



ضربت في عهد الخليفة المعتصم سنة ٢١٩ للهجرة او ٨٢٤ للميلاد (انظر شكل ٢٧)

ش ٢٧ نقود المعتصم بالله

## مبدأ الدولة الطولونية

ان الامة العظيمة التي يدعوها بعض المؤرخين تركية وبعضهم نثرية وفيها شعوب التركان والمغول والتتر تشغل بسكانها بقعة من الارض في اسيا الشمالية تمتد من نهر جيحون الى حدود الصين وبجدها شمالاً الاوقيانوس المتجمد . ونظراً لما بينها وبين شبه جزيرة العرب من الابعاد والجبال والادوية والانهار ما لا يسهل تخطيو كانت في ما من من غزوات العرب وقتوحاتهم وفي غنى عن معاهداتهم او غير ذلك ما يستدعي ارتباطها الواحدة بالآخرى . الا ان الشعوب التركية اخذت من عهد الخلفاء الراشدين في غزو بلاد التتر ما يلي بلادها والعرب ايضاً كانوا يفعلون مثل ذلك ما يلي ولاياتهم وما زالوا ينتحون فيها حتى بلغوا حدود تركستان وما وراءها قافضى الامر الى تراحم هاتين الامتين فتنازعنا فقام الحرب بينهما سجالاتاً طويلاً في اماكن مختلفة وكان الاستئثار بينهما متبادلاً فكان العرب يرسلون باسرام من الترك الى بلاط الخلافة بمثابة الجزية لاستعمالهم في منازل الخلفاء وكبار الامراء ويدعونهم بالمالِك

والمالِك الذين كانوا في دور الخلفاء كانوا يمتازون غالباً بالقوة البدنية والعقلية وكانوا يقربون من اسياهم شيئاً فشيئاً حتى استخدموم في بلاطهم وقد كان المالِك في بادئ امرهم في ظلمات من الجهل والعجبة وعلى ابعاد من النضيلة وشعائر الدين لا يعرفون القراءة لكنهم بمغالظتهم للامراء ورجال الدولة اصبحوا على جانب من التهذيب والاستنارة لاعنائهم الديانة الاسلامية ثم ندر بوا شيئاً فشيئاً في شؤون الدولة فبرعوا في السياسة وتديير الاحكام وادارة الاعمال فعضموا في اعين الخلفاء فلما كثر تمرد ولاية الامصار صار الخلفاء يهدون اليهم ولاية الامصار فكثير انصارهم فاقاموا لهم احزاباً من ابناء البلاد يخدمونهم عند الحاجة . ولم يكن ذلك كل ما فعله

المخلفاء لكنهم كانوا يبذلون المبالغ الوافرة في اتياعهم يتنون منهم الممتازين  
جمالاً وقوة وذكاء ليدخلوهم في خدمتهم الخاصة . ومن ذلك ما فعله  
الخليفة المعتصم اذ رغب في تعزيز حاشيته فابتاع من اولئك المماليك مئات  
فوق ما كان عنده منهم وامر بتدريبهم على استعمال السلاح والحاقهم  
بالجيش ليخار منهم من شاء من يصلح لبطائنه فكثرت نفوسهم وجعلوا  
يعيشون فيمن حولهم فكثرت التشكيكات في حقهم وكثر المهرج في بغداد  
حتى اضطر المعتصم الى مبارحتها فاستبدلها بسامرة

وكان للمعتصم بالله بطانة من المماليك عليهم رئيس يقال له «طولون»  
من قبيلة الطغرغراحدى الاربعة وعشرين قبيلة التي تناهت منها تركستان  
وكانت عائلته مقيمة في جوار بحيرة لوب في بخارى الصغرى فأسر في  
احدى المواقع الحربية وحيء به الى ابن اسد الصامى وكان من عمال  
المأمون بدفع له جزية سنوية من المماليك والخيول التركية واشياء اخرى  
ففي سنة ٥٢٠٠ للهجرة كان طولون في جملة من ارسلهم ابن اسد  
من المماليك وكان متناسب الاعضاء قوي البنية فاتعجب المأمون  
فاحقته بحاشيته وما زال يرقبه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بامير الستر .  
وهذا المنصب لم يكن يناله الا من كان للخليفة ثمة خصوصية بامانته  
واخلاصه ليكون محافظاً على حياته الشخصية . وبعد ان صرف طولون  
تحرراً من عشرين سنة في هذا المنصب في ايام المأمون والمعتصم اصبح ذا  
عائلة واولاد منهم احمد الذي لقب بعد ذلك بابي العباس وهو مؤسس  
الدولة الطولونية . ولد في بغداد وقال آخرون في سامرة سنة ٥٢٢٠ من  
والدة تركية تدعى قاسمة ويدعوها بعضهم هاشمة كانت في عهده السراي  
وقال آخرون انه ابن الهلي خادم طولون وان طولون ربه صغيراً  
والله اعلم

## خلافة الواثق بن المعتصم

من سنة ٢٢٧ - ٢٢٢ هـ أو من ٨٤٢ - ٨٤٧ م

وقبل ان يترعرع احمد بن طولون توفي المعتصم بالله وبويع ابنه هارون ابو جعفر فلقبوه بالواثق بالله وفي السنة الاولى من خلافته عزل القسم الاعظم من ولاية الامصار واصحاب المناصب الذين كان قد ولاهم ابوه وكان في نيتو اقاله اشناس من اماره مصر لكنه لم يكده يفعل حتى توفي اشناس في النسطاط سنة ٢٢٨ هـ فاقام مقامه علي بن بجي الارمني وبعد نحو سنة ابدل بعيسى بن منصور للمرة الثانية . وفي سنة ٢٢٩ هـ توفي الخليفة الواثق بالله في ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٤ سنة ومدته حكمه ٥ سنوات و ٦ اشهر و ١٢ يوماً

## خلافة المتوكل بن المعتصم

من سنة ٢٢٢ - ٢٤٧ هـ أو من ٨٤٧ - ٨٦١ م

وعند وفاة الخليفة تواطأ وزيراه احمد بن ابي داود ومحمد بن عبد الملك الملقب بالزيات مع واصف التركي رئيس المحجوب على ان يباعدوا محمد بن الواثق ويلقبوه بالهندي بالله الا انهم رأوا سنة لا يجيز له تعاطي الاحكام فعدلوا عنه الى جعفر بن المعتصم فبايعوه ولقبوه بالمتوكل على الله . وقد كان الواثق والمتوكل اخوين من اب واحد والدين والدة الاول جارية يونانية تدعى كارانيس والدة الثاني جارية تركية تدعى سرجه

وفي سنة ٢٢٢ هـ عقد المتوكل على مصر هرثمة بن نصر الجبلي وفي السنة التالية ابدل بابنه المنتصر بن المتوكل وسنة ٢٢٤ هـ تولاهما حاتم بن هرثمة . وفي ايامه ثارت البجعة في النوبة بعد ان كانوا عاهدوا المأمون على الصلح فانفذ المتوكل لحرهم محمد بن عبدالله فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة على المراكب في النيل فاجتمع البجعة في عدد عظيم قد ركبوها الا بل فهاب المسلمون ذلك فبعث اليهم محمد بن عبدالله كتاباً لفته بثوب فاجتمعوا لقرائه فحمل عليهم وفي اعناق الخيل الاجراس فانزعرت جمال البجعة ولم تثبت امام صلصلة الاجراس فركب المسلمون اقبنتهم وانحنوا فيهم وقتلوا كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث بطلب الهدنة فصالحوه على ان يعطى بساط امير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل وصوح على اداء الادوات والبقط واشترط عليه ان لا يمنع المسلمين من العمل بالمعدن

وفي تلك السنة ابدل حاتم بن هرثمة بعلي بن يحيى الارمني (ثانية) وفي سنة ٢٢٥ هـ ابدل هذا باسحق بن يحيى الجبلي وفي هذه السنة اوصى المتوكل بالخلافة بعده لابنه المنتصر وبهذه ابنة الثاني المعتز بالله وبعد هذا ابنة الثالث المؤيد بالله وجعل مملكة حصصاً فاعطى المنتصر افرينيا وكل المغرب من العريش الى اخر حدود المغرب بما فيه مصر وازاد الى ذلك قنشرين وسوريا وبين النهرين وديار بكر والموصل وكل الاراضي التي يرونها الدجلة ومكة والمدينة واليمن وحضرموت والبحرين والسند وسامرة والكوفة وكل نوابها . واعطى المعتز خراسان وطبرستان والفرس وارمينيا واذر بيجان . واعطى المؤيد دمشق وحمص ومرج الاردن وفلسطين . اما المنتصر فلم يقنع بما قسم له وطمع بتوليته الخلافة قبل وفاة ابيه فاخذ يسعى الى خلعوه

وفي سنة ٢٢٦ هـ اقيم على مصر خروط عبد الواحد بن يحيى وفي

سنة ٥٢٢٨ ابدل بعنيسة بن اسحق وفي سنة ٥٢٢٩ امر المتوكل ببناء  
 حصن في مدينة الفرما وحصون اخرى في ديباط وتانس وتولى بناءها عنيسة  
 وصرف عليها مبالغ وافرة وقاية من غزوات الروم لكنهم لم يكادوا  
 يفتحصون حتى هجم الروم على ديباط وملكوها ومن فيها وقتلوا جمعا  
 كثيرا من المسلمين وسوا النساء والاطفال واهل الذمة فلما علم بذلك  
 عنيسة ركب اليهم يوم النحر في جيشه ونفر كثير من الناس فأخبروه ان  
 الروم قد ساروا الى تانس وتخصوا في اثموم فلم يتبعهم عنيسة فكتب  
 يحيى بن الفضل الى الخليفة المتوكل على الله رسالة فيها هذه الايات

اترضى بان يوطأ حرمك عنوة وان يستباح المسلمون وبحربوا  
 حماراتي ديباط والروم وتب بتانيس راى العين منه واقرب  
 مقيمون بالاشوم يفتنون مثلما اصابوه من ديباط والحرب ترنب  
 فارام من ديباط شبرا ولادري من العجز ما ياتي وما يتجنب  
 فلا تنسنا انا بدار مضبعة بمصر وان الدين قد كاد يذهب

وفي ٢٠ رجب سنة ٥٢٤٢ سار المتصر الى ابيه في سامرة واخذ يسعى  
 بالدسائس والتواطى مع المنسدين على ابيه واستخلف على مصر يزيد بن  
 عبدالله . وفي سنة ٥٢٤٥ خرج يزيد بن عبدالله الى ديباط مرابطا  
 ثم رحل فبلغه نزول الروم في الفرما فرجع اليها فلم يلتمهم . وفي سنة ٥٢٤٧  
 بنى مقياس النيل في جزيرة الروضة وكان قد سنط بزلزلة فاعاد بناءه  
 فعرف من ذلك الحين بالمقياس الجديد او الكبير وهو المقياس الباقي  
 هناك الى هذه الغاية . وجرت على العلويين في ايام يزيد شدة . هذا ما  
 كان من امر يزيد

اما المتوكل ففي سنة ٥٢٤٣ انتقل الى دمشق على نية ان يتخذها  
 مستقرا الى حين فتبعه المتصر وما زال ساعيا بالمناسد توصلا الى بغيتو  
 حتى سنة ٥٢٤٤ اذ قارب النوز بغرضه الوخيم فثارت عصبة من الاتراك

المجندين في دمشق على الخليفة بدعوى تاخر دفع مرتباتهم وكان ذلك بدسيسة المنتصر فتلافى الخليفة الشر بدفع المتأخر لم وترك دمشق عائداً الى سامرة . وفي سنة ٢٤٧ هـ علم الخليفة بمقاصد ابنه فامر به اليه فوجهه على مسمع من الناس . وفي يوم الاربعاء الرابع من شوال من السنة المذكورة دُبح المتوكل على فراشه في منتصف الليل بيد احد ضباط الحرس التركي المدعو بغا الصغير بدسيسة المنتصر وكان سن المتوكل عند موته



٤١ سنة ومدة حكمه ١٤ سنة و ١٠ اشهر و ٣ ايام . وهذه صورة النمود التي ضربت في عهد المتوكل على الله سنة ٢٤٥ هـ ( انظر شكل ٢٨ )

ش ٢٨ نود المتوكل على الله

### خلافة المنتصر بن المتوكل

من سنة ٢٤٧ - ٢٤٨ هـ او من ٨٦١ - ٨٦٢ م

فاستوى المنتصر على منصب الخلافة قبل ان تفارق اياه رجفة الموت فلما استتب له الملك حدثتة نمسة ان يحرم اخويه مما اوصى به ابوه لما على ما مر برك . فحملها سنة ٢٤٨ هـ على ان يوقعا على صك بجرمانها من الخلافة وما اوصى لها به ابوها من المدن . وساعد المنتصر على ذلك وصيف التركي وشركائه بقتل المتوكل مخافة ان يلقوا جزاء ما فعلته ايديهم اذا وصلت الخلافة الى احد الاخوان . على ان حياة المنتصر لم تكن لقصرها تسحق كل هذه الاحتياطات لانه اصيب بعد توليته بايام بدهاء اعبي الاطباء وما زال حتى ذهب بجمانه وهو يتقلب على مثل جمر الغضا من الألم

## خلافة المستعين بن محمد

من سنة ٢٤٨ - ٥٢٥٢ او من ٨٦٢ - ٨٦٦ م

وبعد وفاة المنتصر نساور وصيف التركي وبغا الصغير وبغا الكبير والوزراء والاعيان فيمن يجب ان يكون الخليفة عليهم فاجمعوا على حرمان ابناء المتوكل ووقع اختيارهم على احمد بن محمد بن المعتصم وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم فبايعوه يوم وفاة المنتصر لقبوه بالمستعين بالله . ولم يكذب ذلك حتى قامت عصبة يريدون استخلاف المعتز بالله الا انهم كانوا نفراً يسيراً ففترقوا ولم تكن النتيجة الا القبض على ولدي المعتصم وسجنهما

ومن ذلك الحين اخذ نجم احمد بن طولون بالظهور في افق الاعمال السياسية فتوفي والده سنة ٥٢٢٩ وهو لم يبلغ التاسعة عشرة من العمر وكان ذلك في ايام الخليفة المتوكل في الثماني سنوات الاول فرأى في احمد اللياقة ليخلف اباؤه على امارة السمر . وكان احمد قد تعلم وترى تربية حسنة وكان نقياً رضي الخلق كريم النفس لين العريكة مع اقدام وبسالة وعلم بالسياسة وكان مغرمًا بمطالعة الحديث فاكسب شهرة بالتقوى والعدالة والعلم فاحبه جميع الضباط الاتراك الذين كانوا في بلاط الخليفة وفيهم احد كبارهم برقوق فاروج احمد ابنته فجاءه منها غلام دعاه عباساً ومن الغريب ان احمد بن طولون شبَّ بين الدسائس والمفاسد ولم يصب اليها ولم تحدثه نفسه يوماً باتباعها بل كان ينجسها وينفر منها اما آدابه ومعارفة فكانت تنسج بوميًا بالاخبار والمراقبة فقد كان على كثرة شواغل ولا يترك فرصة في توسيع دائرة علمه فكان يسير من وقت الى آخر الى ترسوس في آسيا الصغرى للتعلم في مدارسها وكان لشدة كلفه بالعلم كلفاً

بالعلماء . فالتمس من عبيد الله بن يحيى رئيس وزراء الخليفة اذناً بالتوجه الى ترسوس ملازمة دروسه فاذن له مع استبقاء مركزه ولفقيه ومرباته كالعادة فسار اليها ثم دعته والدته ان يأتي اليها فحجاء اليها في سامرة في خلافة المستعين بالله غير عالم بشيء ما حصل في غيابه من قتل المتوكل وتولية المنتصر

وحدث بينما كان عائداً من ترسوس هذه المرة وسنة ١٩ سنة ان بعض اهل البادية هجموا على الركب الذي كان هو يرفقه ويريدون سلبه وفيه ما يساوي مبالغ وافرة كلها محمولة الى الخليفة المستعين بالله فحافت حامية الركب وكاد اللصوص يظفرون فدفعهم احمد بعزم شديد واعادهم على اعقابهم التفهري صفري الايدي . فلما بلغ الركب سامرة اخبروا الخليفة بما كان من بسالة ابن طولون فنحنه بجائزة الف دينار واتزله منزلة الامراء ووهبه احدى جواريه واسمها مية وهي التي ولدت له ابنة الثاني «سماويه» سنة ٥٢٥٠ وهي اول سني ظهور نجمه

وفي اثناء ذلك ثارت عصبة كبيرة تريد خلع المستعين . وتوصل ذلك ان المماليك الاتراك الذين كانوا يخدمون في بلاط الخلفاء وجددم على ما تقدم كانوا يزدادون عدداً وقوة منذ ايام المعتمض لتقليلهم في المناصب العالية فامسوا وفي ايديهم ازمة الدولة يدبرونها كيف شاءوا . وقد كانوا قبل وفاة المتوكل يقتنعون بعزل وتولية الامراء والوزراء وقتل من شاءوا ممن ليس على غرضهم لكنهم بعد ذلك لم يعد برضهم الا التداخل في عزل وتولية الخلفاء فكانوا اذا لم يعجبهم خليفة سعلوا الى استبداله فيستنجدون احزابهم وينفذون ما رهبهم . وقد كانت تولية المستعين بالله بمساعي بعض كبراء الحرس الخاص فاستاء البعض الاخر وجعلوا يسعون الى خلعهم فخلعوه سنة ٥٢٥٢ بعد ان تولى امرها ثلاث سنوات و٨ اشهر

## خلافة المعتز بن المتوكل

من سنة ٢٥٢ - ٥٢٥٥ او من ٨٦٦ - ٨٦٩ م

وبعد خلع المستعين بايعوا ابن عمه المعتز بالله وهو ابن المتوكل على الله واخو المنتصر وكان محروماً من حقوق الخلافة منذ قتل ابيه وسنة اذ ذاك ٨ اسنة وبضعة اشهر وكان بعد ان قر من سمرق مع اخيه المويذ بالله قد اعادها ابن عمها المستعين الى القيود. فالاحزاب التي قويت بعد ذلك وخلعت المستعين لم يكن لها دخل في قتل المتوكل فحلوا قيود المعتز وبايعوه يوم الجمعة في ٤ المحرم سنة ٥٢٥٢ وجاءوا الى المستعين واجبروه على ان يتنازل فنزل فنقلوه الى قلعة وجعلوا عليه حرساً ثم ارسلوه الى واسط في سرب تحت قيادة احمد بن طولون فقتل في الطريق. ويقال ان الحاجب سعيد هو الذي قتل بناء على اوامر سرية من المعتز بالله وقال البعض ان احمد بن طولون هو الذي فعل ذلك بيده غير ان الجمهور يجمع على تبرئته من هذه التهمة الفظيعة

والأظهر ان الاحزاب التي دعت الى خلع المستعين واجباره على الاستقالة امروا بابعاده الى واسط ولم يريدوا ان يصحبه الا من لا يرتاب احد في امانته له واخلاصه فلم يجدوا نسب من ابن طولون وكان الى ذلك العهد مكسباً ثقة الطرفين فعهدوا اليه تلك المهمة فقام بها حتى القيام ثم ان الاحزاب في سمرق رغبوا عن فوزهم بخلع المستعين وتولية المعتز أو جوسوا شراً من بقاء الاول في قيد الحياة فاعزوا الى الثاني ان خلافته لا ترسخ الا بقتل المستعين. فكذبت فتيحة ام المعتز الى احمد بن طولون وهو في طريقه الى واسط تحته على قتل المستعين وتعدته بولاية واسط مكافأة له فرفض ذلك احمد هنس آية فارسلت حاجباً يدعى سعيداً وبيده اوامر

الى احمد بن طولون مؤذنة بتسليم المستعين الى سعيد وعود احمد الى سامرة فاذعن احمد الى الاوامر فسلم المستعين الى سعيد . فسار به في الصحراء تبعاً للاوامر السرية التي كانت معه وذبحه في فسطاطه وعاد برأسه الى المعتز ورمى به الارض بين اقدامه

اما احمد بن طولون فدخل الى خيمة المستعين بعد ذهاب سعيد فاذا بالجثة بغير رأس فلم الدسيسة وتكدر من هذا الفعل الوحشي الذي قضى بموت البرئ مقتولاً ثم تم الى الجثة فغسلها وكفنها ونقلها الى سامرة حيث صلي عليها ودفنت . وقد قال احمد بن طولون عند استيلائه على مصر وسوريا ما مفاده « وُعدت بولاية واسط على ان اقتل المستعين فأبيت محافظة على القسم الذي قسمته وما زلت في نوى الله وقد كافأني من فضله بولاية مصر وسوريا ولا يفلح الظالمون »

وكانت مصر اثناء جميع هذه الحوادث ينتابها ما ينتاب غيرها من الامارات الاسلامية . فان يزيد بن عبد الله الذي كان استخلفه المنتصر على مصر اصبح عليها اميراً عند ما صار المنتصر خليفة وبقي يزيد قائماً باعباءه مصلحاً طول مدة خلافة المستعين بالله اما المعتز بالله فبعد ما جلس على دست الخلافة عزله في ٢ ربيع اول سنة ٥٢٥٢ هـ وولى مزاحم بن خاقان من اعيان الاتراك الذين ساعدوه في حصوله على الخلافة . ومن اعماله انه اكثر من الاتباع بسكان النواحي وولى الشرطة أرجوز فمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤثرين والنواحي . وفي رجب منها منع من الجهر بالسلمة في الصلاة بالجامع ولم يزل اهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الاسلام الى ان منع منها أرجوز واخذ اهل الجامع بتام الصنوف ووكل بذلك رجلاً من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وامر اهل الحلق بالتحول الى الثبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من الهساند التي يسند اليها ومن المحصر التي كانت للرجال في الجامع وامر ان تصلى التراويح في

رمضان خمس تراويح ولم يزل اهل مصر بصاؤون سنا الى رمضان سنة  
 ٥٢٥٢ هـ ومنع من التثويب وامر بالاذان في يوم الجمعة في مؤخر المسجد  
 وان يغسل بصلاة الصبح ونهى ان يشق ثوب على ميت او يسود وجهه او  
 يخلق شعر او تصنع امرأة وعاقب في ذلك وشدد فيه . وفي ٥ محرم سنة  
 ٥٢٥٤ هـ توفي مزاحم فتولى ابنه احمد بن مزاحم وفي تلك السنة استقال  
 هذا فعين المعتز مكانه باكبك احد كبار الاتراك . وكان هؤلاء يتولون  
 الامارات اسما بلا رسم لانهم لم يكونوا يبارحون مجلس الخليفة اما الاحكام  
 في الامارات فكانت موكولة الى نواب يعهدون اليهم امرها . وكان عدد  
 مثل هؤلاء النواب في مصر يكثر احيانا فقد يكون منهم نائب في النسطاط  
 وآخر في اسكندرية وآخر في الصعيد الخ وكان يستند احداهم بالاعمال  
 العسكرية والآخر بالاعمال الادارية والآخر بالقضاء وهكذا . ونظراً  
 لما كان لاحد بن طولون من السمعة المحسنة اتخذه باكبك المتقدم ذكره  
 وجعله قائداً للقوة العسكرية في النسطاط اما الادارة المالية او الخراج  
 فعهدا الى احمد بن المدبر ودعاؤه منتش الخراج

وابن المدبر هذا لم يكن من التدبير على شيء بل كان عاتياً غشوماً  
 فزاد الضرائب وشدد الوطأة خصوصاً على المسيحيين . وكان من دهاة  
 الناس وشياطين الكتاب فابتدع في مصر بدءاً صارت مستمرة من بعده  
 لا تنقض فاحاط بالنظرون وحجر عليه بعد ما كان مباحاً لجميع الناس  
 وقرّر على الكلاء الذي ترعاه البهايم مالا ساء المراعي وقرر على ما يطعمه  
 الله من البحر مالا ساء البصائد فانقسم مال مصر الى خراجي وهلالتي اما  
 الخراجي فهو ما يؤخذ مسانحة من الاراضي التي تزرع حبوباً ومغلاً وعنباً  
 وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وغيره من  
 طرف الربف واما الهلالتي فعلى نوعين سماها بالرافقي والمعاون وهو ما  
 يؤخذ من الضرائب على مثل ما ابتدعه ابن المدبر كما تقدم . فكره

الاهلون هذه المعاملة وجعلوا يسعون الى الكيد به وقد كان عالماً بذلك  
فجعل في حاشيته الخاصة نحواً من مائة غلام هندي ممتازين بالقوة والشجاعة  
كانوا يرافقونه الى حيث توجه

فلما قدم احمد بن طولون الى الفسطاط ليستلم زمام القوة العسكرية فيها  
قدم احمد بن المدر بجاشيته للفاتح ترفلاً منه واهدى اليه هدايا قيمتها عشرة  
الاف دينار وقدم معه شقير الخادم غلام فتحة ام المعتر وهو يتقلد البريد فرأى  
ابن طولون بين يدي بن المدر مائة غلام قد تقدمت الاشارة اليهم وكان  
لم خلق حسن وطول اجسام وبأس شديد عليهم اقية ومناطق ثقال  
عراض ويايديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا  
يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس فاذا ركب ركبا بين يديه  
فيصير له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدر بهديته الى  
ابن طولون ردها عليه فقال ابن المدر ان هذه هبة عظيمة ومن كانت هذه  
هبتة لا يؤمن على طرف من الاطراف فخافة وكره مقامه بمصر معه وسار الى  
شقير الخادم صاحب البريد وانتقا على مكانة الخليفة بازالة ابن طولون فلم  
يكن غير ايام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدر يقول له « قد كنت  
اعزك الله اهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجوز ان بغتتم مالك كثرة  
الله فرددناها توفيراً عليك ونحب ان نجعل العوض منها الغلمان الذين  
رأيناهم بين يديك فانا اليهم احوج منك » فقال ابن المدر لما بلغته  
الرسالة « هذه اخرى اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان  
يرد الاعراض والاموال ويستهدي الرجال ويثابر عليهم » ولم يجد بداً  
من ان يعثم اليه فحولت هبة ابن المدر الى ابن طولون فكتب ابن المدر  
فيه الى الخليفة يغري به ويجرض على عزله فبلغ ذلك ابن طولون فكم ما  
في نفسه ولم يبد

وفي ٢٠ رجب سنة ٥٢٥٥ كثرت دسائس الاتراك في بغداد بمساعدة

الحاجب صالح بن واصف احد قتلة المتوكل فاعزوا الى المعتز سنة اذ  
 ذلك ٢٤ سنة ان ينزل عن الخلافة ولم يحكم فيها الا ٤ سنوات و٦ اشهر  
 فنزل في ذلك اليوم فادعوه سجناً مظلماً وقطعوا عنه الغذاء فمات جوعاً  
 بعد ستة ايام فاقاموا عوضاً عنه ابن عمه المهدي بالله بن الواثق  
 سنة ٢٧ سنة

### خلافة المهدي بن الواثق ثم المعتمد بن المتوكل

من سنة ٢٥٥ - ٢٥٧ او من ١٦٩ - ١٧٠ م

وفي ايام المهدي بن الواثق ظهر لابن طولون عدو آخر في مصر  
 هو ابراهيم الصوفي مأمور اقليم اسنا وكان قد وضع يده على البلاد التي  
 حوله وقتل كل من كان يحاول مقاومتها فانهذ اليه احمد فرقة من جيشه  
 فحاربها وغلبها فرجعت متفرقة الى قرب اخميم وهناك انتهت نجدة اتحدت  
 معها فتغلبت على جيوش ابن الصوفي فقتل المذكور في البرية ملجئاً الى  
 الواحات في بطن الصحراء الكبيرة مع من بقي معه من الرجال  
 وكان احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن  
 فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها فبعث ابن المدير بسعاية  
 وخمسين الف دينار حملاً من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها  
 وفرقها في اصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطعم ابن شيخ في  
 التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر

وفي رجب سنة ٢٥٦ هـ ذبح المهدي في سامرة وبويع المعتمد على  
 الله سنة ٢٥ سنة وهو ابن المتوكل الثالث فبايعه الجميع الا ابن شيخ فانه  
 لم يدع له ولم يبايعه لاهو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينيا فوق ما

معه من بلاد الشام وفتح له في الاستخلاف عليها والاقامة على عملها فدعا حينئذ للمعتمد وبايعه ثم كتب الخليفة سرّاً الى ابن طولون ان يتأهب الى حرب ابن شنج وان يزيد في عدته وكتب لابن المدبران يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال واثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وجهاز كل ما يحتاج اليه وخرج في احتفال عظيم وجيش كبير وبعث الى ابن شنج بدعوه الى طاعة الخليفة وردّ ما اخذ من المال فاجاب بجواب قبيح فسار احمد في ٦ جمادى الآخرة مستقلّاً اخاه موسى بن طولون على مصر وبينما هو في الطريق ورد اليه كتاب الخليفة بأمره الى العود فعاد الى النسطاط ودخلها في شعبان واتى عوضاً عنه لخاربة ابن شنج أماجور التركي فلقية اصحاب ابن شنج وعليهم ابنة فحاربهم أماجور فانهزموا منه وقتل قائدهم واستولى أماجور على دمشق ولحق ابن شنج بأرمينيا ونقلد أماجور اعمال الشام كلها وهدأت الاحوال اما ابن طولون فلما عاد الى النسطاط شرع في بناء الاستحكامات وتخصيب البلاد وكان الى ذلك الميعن يسكن السراي التي كان يسكنها اسلافه من ولاة الاحكام ولم تكن هذه السراي داخل سور النسطاط بل كانت في ضاحية العسكر وكان العسكر اشبه بمدينة فيها الاسواق والشوارع والبنائات الجميلة وكان كافياً لسكنى روساء الجيوش وولاية الامور اما في ايام ابن طولون فضاقت ذراعاً عن سعة مهائمه وعبيده وتجنه فاخذ يسعى الى ايجاد محل آخر وافى بالمقصود مع قربه من النسطاط فصعد الى المنطّم ونظر الى ما حوله فرأى بين العسكر والمنطّم بقعة من الارض مساحتها نحو ميل مربع لا شيء فيها من العمارة الا بعض المدافن للنصارى واليهود فاخارها للبناء فامر بحرث المدافن وهدمها واخذ في موضعها بناء عظيماً دعاه القصر ومعملاً آخر بالقرب منه دعاه الميدان وتقدم الى اصحابه وعلماؤه واتباعه ان يخطوا لانفسهم حوله فاخذوا

وبنوا حتى انصل البناء بعارة النسطاط ثم قطعت الى قطائع وسميت كل  
قطيعة باسم من سكنها فكانت لعلمان النوبة قطيعة مفردة تعرف بهم ولعلمان  
الروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللراشدين قطيعة تعرف بهم ولكل صف  
من العلما قطيعة مفردة تعرف بهم وبنى القواد مواضع متفرقة فعمرت  
القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد  
الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقيل سوق  
العيارين وسوق الناميين وهكذا البقالين والشوابين الخ ولكل من الباعة  
سوق حسن عامر فصارت القطائع المذكورة مدينة كبيرة اعمر واحسن  
من الشام . وكان للنصر مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم  
الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ومن يخرج

وانسعت احوال ابن طولون وكثرت اصطيبلاته وكراعُه وعظم صيته  
فبلغ ذلك اماجور والى الشام فاخذته غائلة الحسد وخشي من مد سلطنة  
ابن طولون اليه فاخذ يسعى الى خلعه فكتب الى الخليفة المعتمد على الله  
ما نصه « ان قوات ومهات ابن طولون اصحبت اعظم ما كانت لابن  
شيخ الذي لما ثار في سوريا لم تخضعه الا بعد شق الاتنس وهذا ابن طولون  
قد كثرت حاشيته وقويت سطوته بالرجال والمال وصار يخشى منه والامر  
لامير المؤمنين » . وكتب ابن المدبر منتش الخراج ايضا مثل ذلك وفي  
قلوب من احمد ما تعلم من الضعائن ونواطاً على ذلك مع كاتب سره  
شفيخ الخادم

فارسل المعتمد الى ابن طولون ان يتخلف عن مصر حالاً الى سامرة  
ويستخاف مكانه من يشاء فلما بلغ ابن طولون ذلك الامر هم الى القيام به  
وهو لا يدري ما وراء الاكمة فجاء من ذوبو من اطلعه على معنى هذا  
الاستدعاء الى سامرة فلما علم بدخيلة الامر جهز احمد الواسطي كاتب سره  
وصدقته وارسله مكانه الى سامرة بالهدايا الفاخرة الى الوزير فاستجلب

خاطره فسمى امام الخليفة فالغى الامر السابق واصدر امراً آخر يزيد  
منه ما مورية ابن طولون في مصر وبصرح له بنقل عائلته جميعها اليها وقد  
كانت الى ذلك اليوم في سامرة . فسر ابن طولون بهذا النور وفرق  
في الناس الزكاة

وفي سنة ٥٢٥٧ حُكِمَ على بابك امير مصر الاصيل الذي كان  
قد عين ابن طولون قائداً للقوة العسكرية بقطع الرأس لجناية ارتكبها  
وعين مكانه برقوق حمو احمد بن طولون وهذا حالما استلم الامر بالامارة  
عهد الى صهره النيابة العامة ليس فقط على النسطاط بل على سائر القطر  
المصري فامر عيسى بن دينار متولي الاسكندرية ان يسلم زمامها اليه  
فتوجه ابن طولون الى الاسكندرية ونسلم ادارتها ثم سلمها لعيسى المذكور  
واقرة عليها . فاصبحت سياسة مصر جميعها بيد احمد ابن طولون . وفي  
السنة التالية توفي برقوق فولي احمد مكانه والياً عاماً على القطر المصري

## الدولة الطولونية

من سنة ٢٥٧ - ٥٢٩٢ او من ٨٧٠ - ٩٠٥ م

## حكم احمد بن طولون

من سنة ٢٥٧ - ٥٢٧١ او من ٨٧٠ - ٨٨٤ م

وكان احمد بن طولون قد عرف دسانس ابن المدبر وشقيق الخادم  
وكان الوزير قد ارسل اليه جميع التخابر الواردة منها مجقوب بعد يسير توفي  
شقيقه خوفاً وهم ابن طولون الى عزل ابن المدبر لكنه عرف بعد ذلك ان

اخاه على خزينة الخليفة فاغضى عنه . اما ابن المدير فكان قد ملّ من مناظرة  
 ابن طولون وهو لا يقوى على كيدِه فطلب الى اخيه ان ينقله الى وكالة خراج  
 سوريا حالاً ففعل وقبل تركه مصر اجتهد حتى اعاد صلات المودة مع  
 ابن طولون وتوطئاً لها ازوج ابنته لخوما رويه بن احمد بن طولون ووهبه  
 معها جميع الاملاك التي كانت له في مصر ثم ارسل المعتمد يستحث ابن  
 طولون في جمع الخراج فاجابه لست اطيع ذلك والخراج في يد غيري  
 فاحيل الخراج اليه فاصبحت جميع اعمال مصر الادارية والعسكرية والمالية  
 بيده فالقى الخراج الهلالي الذي وضعه ابن المدير وقبل الغائيه حسب  
 مقداره فبلغ مائة الف دينار سنوياً فاحب ان يستشير بشأه فتشاور مع  
 عبدالله بن دسومة امين متولي الخراج وكان عاتياً ذا طمع في الدنيا . فقال  
 لئن آمنني الامير تكلمت بما عندي فقال له قد أمنك الله عز وجل فقال  
 « ايها الامير ان الدنيا والآخرة ضرّتان والحازم من لم يخلط بينهما  
 والمنقرط من خلط بينهما فيتلف اعماله ويبطل سعياه وافعال الامير ايده  
 الله الخبير وتوكله توكل الزهاد وليس مثله من ركب خطاه لم يحكمها ولو  
 كنا نتق بالنصر دائماً طول العمر لما كان شيء عندنا اكثر من التضييق  
 على انفسنا في العاجل بعبارة الاجل ولكن الانسان قصير العمر كثير  
 المصائب مدفوع الى الآفات . وترك الانسان ما قد امكنه وصار في يده  
 تضييع ولعل الذي حماه من نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده فيعود  
 ذلك توسعه لغيره بما حرمه هو ويحسب للامير ايده الله بما قد عزم على  
 اسقاطه من الهلالي في السنة بمصر دون غيرها مائة الف دينار وان فسح  
 ضياع الامراء والمتقبلين في هذه السنة لانهما سنة ظاء توجب الفسخ زاد مال  
 البلد وتوفر توفراً عظيماً فيضاف الى مال الهلالي فيضبط به الامير ايده  
 الله امر ديناه وهذه طريقة امور الدنيا واحكام امور الرياسة والسياسة  
 وكل ما عدل الامير ايده الله اليه من امر غير هذا فهو منسد لديناه وهذا

راي والامير ابده الله على ما عساه يراه» فقال ابن طولون ننظر في ذلك ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد ان قضى اكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة فرأى في منامه رجلاً من اخوانه الزهاد في طرسوس وهو يقول « ليس ما اشار عليك من استشرته في امر الارنناق والفسخ برأي محمد عاقبته فلا تقله ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه فامض ما كنت عزمت عليه » . فلما اصبح اتت الكتيب الى سائر العمال بذلك فابطل الضرائب المتقدم ذكرها ونشرت في سائر الدواوين بامضائه . ثم دعا ابن دسومة واخبره بما كان فقال له « قد اشار عليك رجلان الواحد حفي في البقطة والاخر ميت في النوم وانت الى الحي اقرب وبضائته اوثق » فقال له « دعنا من هذا فقد قضى الامر ولست قائلاً منك ما نتول »

وفي غد ذلك اليوم ركب احمد نحو الصعيد فلما امعن في الصحراء ساخت في الارض يد فرس احد غلمانه فسقط الغلام في الرمل فاذا بنفق ففزع فتقدم احمد وامره ان يحفرها هنا ففعلوا فاصاب فيه من المال ما كان مقداره مليون دينار وهو الكثر الذي شاع خبره وكتب به الى العراق احمد بخبره به العتمد ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها فاذن له فبنى منه مستشفى وحصناً وسبيلاً وجوامع وفرق قسماً منه في الفقراء

و اول جامع شاده ابن طولون جامع التنور ابتناه على قمة جبل المقطم في مكان كان يدعى تنور فرعون يقال انه سمي كذلك لانه على مرتفع فكانوا يضرمون فيه النار ليلاً فظن بعض المشايخ ان في ذلك المكان كثرًا فاخذ يحفر فيه فلم يظفر بشي ففعل ابن طولون فاحفر فاصاب مالاً اكثر كثيرًا من ذي قبل وعند ذلك امر ببناء الجامع هناك ودعا جامع التنور . واحفر ابن طولون بئراً عند بركة الحبش تعرف ببئر عنصة

وابن سفيان وقناطر خارج المغافر عرفت بقناطر بن طولون ناظر  
بناها مهندس مسيحي ماهر ولا تزال آثارها باقية

وفي سنة ٥٢٦٠ اعاد احمد بن طولون حفر ترعة الاسكندرية  
وكانت قد سدت بالرمل المحمولة البهاوي في الاسكندرية آباراً مستوفية  
بالبناء العقد واحواضاً تحت الارض لكي يأتي منها بالماء العذب النقي ما  
يكفي المدينة. وفي تلك السنة ركب مع رئيس خزنته ابي ايوب والفاضي  
بقال في جزيرة الروضة فرأى المقياس محتاجاً الى اصلاح فأمر باصلاحه  
اصلاحاً متقناً انفق عليه عشرة آلاف دينار. واقام ابو ايوب بعد سير  
مقياساً آخر في دار الاسلحة في الجزيرة المذكورة حيث بنيت السمور  
ولكن لم يبق منها الى ايام المقرئزي الا اثر طفيف

وفي اواخر السنة المذكورة توجه احمد بن طولون الى الاسكندرية  
لتنشيط الاشغال التي كان امر باجرائها واوصى بها لابنه البكر العباس  
ثم امر بترميم منارة الاسكندرية واقام فوقها القبة ويقال ان هذه المنارة  
كان ارتفاعها خمسمية قدم

وفي ذلك الوقت امر ابن طولون ببناء المستشفى في العسكر وقد  
كانت الفسطاط قبله مجردة من مثل ذلك وخصص لاجل التنفحات اليومية  
للمستشفى والبنائات الاخرى اطبائاً واسعة تأخذ محصولاتها وخصص  
لها ايضاً دخل مبيع الرقيق وكان يأتي بنسبه لزيارة المستشفى وتنفذ سير  
الاطباء فيه وعبادة المرضى والمجاهدين واتقى ذات يوم ان احد المجانين  
في المستشفى هم الى قتله ولولا القضاء لذهب بجيانه ولم يكن شيء من ذلك  
ليثني عزمه عن العيادة. وبني في العسكر حمامين وقد بلغ مقدار  
مصاريف بناء المستشفى والحمامين والجامع عند جبل المقطم ستين الف  
دينار. وبقيت هذه البنائات رغماً عن جميع التقلبات السياسية التي كان  
يخشى ان تذهب بها ولا يزال كثير من آثارها الى هذه الغاية

قلنا ان ابراهيم ابن الصوفي فر من وجه احمد بن طولون والتجأ الى الواحات الكبرى في الصحراء فهذا تمكن بعد ذلك من التجنيد والتقدم نحو مدينة اشمونين فبلغ ذلك ابن طولون فانفذ اليه جيشاً تحت قيادة ابن ابي الغيث وهذا لم يلتق بجيش ابن الصوفي فسار لمحاربة ابي عبد الرحمن العمري وكان معتدياً على حدود نوبيا وبعد حرب شديدة سار ابن الصوفي الى اصوان فلاقاه ابن ابي الغيث مغضباً عن ابي عبد الرحمن وحاربة ففر من وجهه وسار من طريق عيذاب الى مكة حيث قبض عليه وأرسل الى احمد بن طولون فالقاه في السجن مدة ثم صرفه مؤذناً له بالسكنى في المدينة وبقي فيها الى ان توفاه الله

اما ابو عبد الرحمن العمري فاستنحل امره واقام الاستحكامات في نوبيا فشق ذلك على احمد ولم يستطع صبراً فانفذ اليه جيشاً اخر تحت قيادة شبه البيكي الى اصوان فلما بلغها رأى ابا عبد الرحمن منشغلاً بمقاومة جيوش زكريا ملك نوبيا والحرب بينهما فقامت هذه فرصة لا يصح ضياعها فجمع على حصون ابي عبد الرحمن بدون ان يستأذن من ابن طولون فلم يعبا ابو عبد الرحمن بتكاثر الاعداء عليه فجعل رجاله فرقتين وحارب التنتيين ونغلب على شبه واعاده على اعقابهم صفر اليدين الى النسطاط فلم يصادف من ابن طولون الا احتقاراً وانتهاراً

وبعد ذلك بقليل قدم النسطاط عبدان حاملين برأس ابي عبد الرحمن العمري فرمياه بين اقدام احمد بن طولون فسألها عما اتى بهما اليه وما حملها على قتل سيدهما فاجابا ان لا غرض لهما الا الحصول على رضا امير القطر البصري فقال لهما احمد « ان ما ارئكمتموه نستوجبون عليه عقاب الله وعقابي » وأمر بقتلها وغسل رأس ابي عبد الرحمن ودفنه بما يلزم من الاحترام . وحقبة الامر ان العيدين لم يقتلا سيدهما بايديهما وانما قتل بمكيدة محمد بن هارون شيخ قبيلة مضر فسولت لها النفس ان

بقطعاً رأسه وبجملته الى ابن طولون فينالان جائزة عظيمة وما علمنا ان  
 الشهامة وكرم الاخلاق تأييداً مثل ذلك  
 ثم نار ابو نوعة صديق ابن الصوفي القديم فانضم اليه عصبة من  
 الانباغ فجاهر بالعصيان ضد ابن طولون فارسل اليه حملة فغلبها فانجدها  
 ابن طولون فغلبته وفرّ ابو نوعة الى الواحات واضطر اخيراً الى التسليم  
 رغماً عنه

وبعد سنة من هذه الحادثة نار محمد بن فاراب الفرغني وتابعه اهالي  
 برقة جميعهم فارسل اليهم احمد بن طولون لؤلؤاً وقال له نزع المدينة  
 من العصاة فتكن عليها والبا فحاربهم لؤلؤ وفاز عليهم فمعلد ابن طولون  
 والبا على برقة ومتعلقاتها

وفي السنة نفسها اضطر ابن طولون الى محاربة شديدة كان يخشى  
 عليه منها وهي محاربة ابي احمد طلحة الملقب بالموفق بالله احد ابناء المنوكل  
 على الله واخو المعتمد على الله الخليفة. وذلك ان صاحب الزنج (بجوار  
 زنجبار) ادعى انه من سلالة علي بن ابي طالب فقدم البصرة سنة ٢٥٤ هـ  
 واستولى عليها وعلى الكوفة وغيرها واستفحل امره فانفذ امير المؤمنين  
 المعتمد على الله يستقدم اخاه ابا احمد الموفق بالله من مكة وكان الخليفة  
 المهتدي بالله قد بعثه اليها منفيّاً فقدم سنة ٢٥٧ هـ فاوصى المعتمد بالخلافة  
 من بعد لابن المنوَّض وبعد للموفق وجعل غربي المماليك الاسلامية  
 للمنوَّض وشرقيها للموفق وكتب بينهما بذلك كتاباً ارتين فيه ايمانها بالوفاء  
 بما قد وقعت عليه الشروط

وكان الموفق يحمي اخاه المعتمد على الخلافة ولا براه اهلها فلما  
 جعل المعتمد الخلافة من بعد لابن المنوَّض بعد شق ذلك عليه وزاد  
 في حقه وكان المعتمد منشاعلاً بلاذ نسه من الصيد واللعب والتفرد  
 بجواربه فضاغت الامور وقسد تدبير الاحوال وفاز كل من كان متقلداً

عملًا بما نقلده

وكان في الشروط التي كتبها المعتمد بين المنوَّض والموفق انه ما يحدث في عمل كل واحد منهما من حدث تكون النفقة عليه من مال خراج قسمه . واستخلف على قسم ابن المنوَّض موسى بن بغا فاستكتب موسى ابن بغا عبيد الله بن سليمان بن وهب . وانفرد الموفق بشبهه من ممالك الشرق وتقدم المعتمد الى كل منهما ان لا ينظر في عمل الآخر وجعل كتاب الشروط بالكعبة

ولما كانت البصرة والكوفة واقعتين في حصة الموفق كان عليه محاربة الزوج ودفعم فتأهب في جيش كبير وسار اليهم وناهضهم فطال زمن المحاربة حتى انقطعت مواد خراج المشرق عن الموفق وثقاعد الناس عن حمل المال الذي كان يحمل في كل عام واحتجوا بأشياء اخرى فدعت الضرورة الموفق الى ان كتب الى احمد بن طولون في مصر في حمل ما يستعين به في حروب صاحب الزنج وكانت مصر في قسم المنوَّض لانها من الممالك الغربية الا ان الموفق شكك في كتابه الى ابن طولون شدة حاجته الى المال بسبب ما هو في سبيله وبعث الكتاب مع تحرير خادم المتوكل ليقبض منه المال

فما هو الا ان وصل تحرير الى ابن طولون واذا بكتاب المعتمد قد ورد عليه بأمره فيه يحمل المال اليه على رسمه مع ما جرى الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك وكتب اليه ايضا كتابا سريا يقول فيه « ان الموفق انما انفذ تحريرا اليك عينيا ومستقصيا على اخبارك وانه قد كاتب بعض اصحابك فاحترس منه واحمل المال الينا وعجل انناذه »

وكان تحرير الخادم لما قدم الى مصر انزله احمد بن طولون معه في داره بالميدان فمعه من الركوب والخروج من الدار التي انزله بها حتى

سار من مصر وتلطف في الكتب التي اجاب بها الموفق ولم يزل بتحرير حتى اخذ جميع ما كان معه من الكتب التي وردت من العراق الى مصر وبعث معه الى الموفق ألف ألف دينار ومائتي الف دينار وما جرى الرسم بحمله من مصر وأخرج معه العدول وسار بننسيه صحبته حتى بلغ به العريش وكان قد ارسل الى اماجور متولي الشام يقدم عليه بالعريش فاسلمه خادم الموفق والمال واشهد عليه بتسليم ذلك ورجع الى مصر ونظر في الكتب التي اخذها من تحرير فاذا هي الى جماعة من قواده باستئنتهم الى الموفق فقبض على اربابها وعاقبهم حتى هلكوا في عقوبته

فلما وصل جواب ابن طولون الى الموفق ومعه المال كتب اليه كتاباً ثانياً يستقل فيه المال ويقول «ان الحساب بوجب اضعاف ما حملت» وبسط لسانه بالقول والتبس ممن معه من يخرج الى مصر ويتأدها عوضاً عن ابن طولون فلم يجد احداً عوضه لما كان من دعة ابن طولون وملاطنته وجوه الدولة

فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون قال «واي حساب بيني وبينه او حال توجب مكاتبتي بهذا او غيره» وكتب اليه بعد البسلة . «وصل كتاب الامير ابيد الله تعالى وفيمته وكان أسعد الله حقيقاً بحسن الخبر المثلي ونصيره اباي عمدته التي يعتمد عليها وسيفه الذي يصول به وسنانه الذي ينفي الاعداء بحده لاني دائب في ذلك وجعلته وكدي واحملت الكلف العظام والمؤن الثقيل باستخفاف كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغنى وكفاية بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم صيانة لهذه الدولة وذياً عنها وحسماً لاطماع المنشوقين لها والمنحرفين عنها . ومن كانت هذه سبيله في الموالاة ومنهجة في المناصحة فهو حري ان يعرف له حقه ويوفر من الاعظام قدرة ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل ما امر بوجوبه في المخاطبة

بغير حال نوجب ذلك ثم أكف على الطاعة جعلاً وألزم في المناصحة  
ثناً وعهدي بمن استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته ان يستدعيه  
بالبدل والاعطاء والارغاب والارضاء والاكرام لا ان يكلف ويحمل من  
الطاعة مؤنة وثقلاً واني لا اعرف السبب الذي بوجب الوحشة وبوقعها  
بيني وبين الأمير أيده الله تعالى ولا ثم معاملة تقتضي معاملة ان  
تحدث منافرة لان العمل الذي انا بسبيله لغيره والمكاتبه في اموره الى من  
سواه ولا انا من قبله. فانه والأمير جعفر المموص أيده الله تعالى قد  
اقسما الاعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت  
عليه البيعة فيه انه من نقض عهده او اخبر ذمته ولم يف لصاحبه بما  
أكد على نفسه فالأمة بريئة منه ومن بيعته وفي حل وسعة من خلته.  
والذي عاملني به الأمير من محاولة صر في مرة واسقاط رسمي اخرى وما  
يأتىه ويسومنيو ناقض لشروطه منسد لعهدك. وقد التمس اوليائي وأكثروا  
الطلب في اسقاط اسمه وازالة رسمه فأثرت الابقاء وان لم يؤثره واستعملت  
الاناة وان لم تستعمل معي ورأيت الاحتمال والكظم اشبه بذوي المعرفة  
والفهم فصبرت نفسي على احتر من الجهر وامر من الصبر وعلى ما لا يتسع  
به الصدر. والأمير أيده الله تعالى أولى من اعانني على ما اؤثره من لزوم  
عهدي وأتوخاه من تأكيد عهده بحسن العشرة والانصاف وكفت الاذى  
والمضرة وان لا يضطرني الى ما يعلم الله عز وجل كرهني له ان اجعل ما  
قد اعدته لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثرة والعساكر المتضاعفة التي  
قد ضرست رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفاً الى  
نقضها. فعندنا وفي حيننا من يرى انه احق بهذا الامر وأولى من الأمير.  
ولو آمنوني على انفسهم فضلاً عن ان يعثروا مني على ميل او قيام بنصرتهم  
لاشدت شوكتهم ولصعب على السلطان معاركهم. والأمير يعلم ان بازانو  
منهم واحداً قد كبر عليه وفض كل جيش انهضه اليه على انه لا ناصر له

الأليف البصرة وأوباش عامتها فكيف من يجد ركناً متبعاً وناصرًا مطيعاً وما مثل الأمير في أصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عدّة له فيجعلها عليه بغير ما سبب بوجوب ذلك فان يكن من الأمير اعتاب أو رجوع إلى ما هو أشبه به وأولى والأرجوح من الله عزّ وجلّ كناية امره وحسم مادّة شرّه وإجراءنا في الحياطة على اجمل عادته عندنا والسلام»

فلما وصل الكتاب إلى الموفق اغاظه غيظاً شديداً فاحضر موسى بن بغا وكان عون الدولة وأشدّ أهلها بأساً وإقداماً فنقدم إليه في صرف أحمد ابن طولون عن مصر ونقلبدها أمامجور فامتثل وكتب إلى أمامجور كتاب التقليد وانفذ إليه فلما وصل إليه الكتاب توقف عن إرساله إلى أحمد بن طولون لعجزه عن مناهضته - ثم خرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدراً أنه يدور على المنووس ليحمل الأموال منه ولما علم بتوقف أمامجور عن مناهضة أحمد بن طولون كتب إليها يأمرها بحمل الأموال وعزم على قصد مصر والإيقاع بابن طولون واستخلاف أمامجور عليها فسار إلى الرقة وبلغ ذلك ابن طولون فاقلفه ليس لأنه يتصر عن مناهضة موسى ابن بغا لكن لتحويله تلك الدولة وإن يأتي سبيل من قاوم السلطان وجاربه وكسر جيوشه إلا أنه لم يجد بداً من الحاربة ليدفع عن نفسه ما يكره فنأمل مدينة فسطاط مصر فوجدتها لا تؤخذ إلا من جهة النيل فراد لكبر همته وتدبره أن يبني حصناً على الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة (جزيرة الروضة) يكون معتلاً لحرمه وذخائره وخاصته ثم يشتغل بعد ذلك بحرب من يأتي من البر

وقد زاد فكره في من يقدم من النيل فأمر ببناء الحصن على الجزيرة واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من العليات والجمائم والعشاريات والسنايك والزوارق وقوارب الخدمة وعمد إلى سد وجه البحر الكبير وإن تنبع ما يجئ إليه من مراكب طروس وغيرها من البحر

المخ الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية في وجه البحر الكبير خوفاً ما سيحیی من مراكب طرسوس كما فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وجعل فيها من يذب عن هذه الجزيرة وانفذ الى الصعيد وإلى اسفل الارض يمنع من يحمل الغلال الى البلاد ليمنع من يأتي من البر الميرة

واقام موسى بن نغا بالرقعة عشرة اشهر وقد اضطربت عليه الاتراك وطالبوه بارزاقهم مطالبة شديدة بحيث استتر منهم كاتبه عبيد الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على نفسه منهم فخاف موسى بن نغا عند ذلك ودعته ضرورة الحال الى الرجوع فعاد الى الحضرة ولم يبق بها سوى شهرين ومات من علة في صفر سنة ٢٦٤ هـ

هذا واحمد بن طولون يجدد في بناء الحصن على الجزيرة وقد الزم قواده وثقاته امر الحصن وفرقة عليهم قطعاً قام كل واحد بما لزمه من ذلك وكذ نفسه فيه وكان يتعاهد منهم بنفسه في كل يوم وهو في غفلة عما صنعه الله تعالى له من الكفاية والغنى عما يعانيه . ومن كثرة ما بذل في العمل قدر ان كل طوبه منه وقفت عليه بدرهم صحيح . ولما تواترت الاخبار بموت موسى بن نغا كف عن العمل ونصدق بمال كثير شكر الله تعالى على ما من به عليه من صيانتهم عما يقع فيه عنه الاحدوث وما رأى الناس شيئاً كان اعظم من عظيم الجهد في بناء هذا الحصن ومباكرة الصناع له في الاسحار حتى فرغوا منه فانهم كانوا يخرجون اليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء انفسهم من غير استحداث لكثرة ما سخا به من بذل المال فلما انقطع البناء لم يرا احد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها كأنما هي نار صب عليها ماء فطفت لوقتها ووهب للصناع مالا جزيلاً وترك لهم جميع ما كان سلفاً معهم وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين الف دينار ذهباً وقال سعيد بن الناضي من ابيات بشأن ذلك

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملاً الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر ترى اثرًا لم يبق من يستطيعه من الناس في بدو البلاد ولا حضر مآثر لا تبلى وان باد اهلها ومجد بوادي وارثيه الى النخري اما الموفق فلما تفرق جيشه لم يعد يرى بدأ من الاغضاء عن مقاومة احمد بن طولون اغضاء وقتياً

وكثر اتباع احمد بن طولون ورجال حاشيته وجنده حتى ضاق جامع العسكر ذرعاً عن احصائهم ايام الجمعة للصلاة فرفعوا اليه ان يبني لهم جامعاً آخر اكثر اتساعاً فاستجاب التماسهم على ان يبنيه على جبل يشكر وكان لهذا الجبل شأن ديني عندهم وكانوا يقولون ان موسى الكليم ناجى ربه عليه مراراً وانه اقتبل في ذلك المكان بعض الشرائع المقدسة . وعزم احمد ان يجعل ذلك الجامع اعظم ما بني من الجوامع الى ذلك العهد وان يقيم على ثمانية عمود من الرخام فقبل له ان مثل هذا العدد لا يتيسر الحصول عليه وانه اذا اصر على عزمه لا يترك للمسيحيين ما يقوم ببناء معابدهم فتردد بين ان يتم مشروعه وان لا يجرم الطوائف الاخرى من التمتع بحقوقها الدينية في بناء المعابد

وكان المهندس المسيحي الذي تقدم انه من ذوي الاطلاع والمعرفة بفن الهندسة وصناعة البناء قد اودع السجن لتهمة توجهت نحوه بغير الحق فلما بلغه ما كان من عزم ابن طولون وتردده كتب اليه من السجن انه قادر على اتمام مشروعه وانه لا يحتاج في ذلك الى اكثر من عمودين يجعلها عمودي القبة . فاستحضره امامه وقد طال شعره حتى نزل على وجهه وطلب اليه ان يشرح له عن كيفية ذلك فرسم الجامع على الكيفية التي كانت في ذهنه فاعجب ابن طولون كثيراً وامر باطلاقه وخلع عليه وجعل تحت امره مائة الف دينار وقال له انفق وما احتجت اليه بعد ذلك اطلقناه لك وامر ابن طولون ان يكون بناء الجامع من الفرميد والجير

ونهى عن ادخال اي مادة كانت ما يقبل الاشتعال قائلاً « ورغبني من ذلك انه اذا طرأ على الفسطاط دمار بالماء ام بالنار فلا يكون على جامعي بأس فيبقى ولو دمرت جميعها »

ولما تم بناء هيكل الجامع اخذ في زخرفته فيضه وعلق فيه الفناديل الجميلة النحاسية بالسلاسل النحاسية الطوال وجعل على طول افاريزه آيات من القرآن الشريف لا يزال معظمها ظاهراً الى هذا اليوم وفرش فيه المحصر وحمل اليه صناديق المصاحف ونقل اليه القراء والفتهاء ويقال انه بناء على مثال جامع مكة وقال آخرون بل على مثال جامع سامرة وانه هو الذي رسم القبلة والمنارة بنفسه وجعلها منفصلة عنه برواق يحيط بالجامع ويفصل المنارة عن صحن ثانٍ خارجي وقد هدم بعض هذه المنارة الآن الناظر اليها لا يسعه الا التعجب من عظمتها ويقال ان قبالة المنارة المذكورة الباب الكبير وجعل للجامع ٢٢ شباكاً . وجعل بجوار الجامع بناء دعاه دار الامارة يستطرق الى الجامع من كوة في جداره القبلي بجوار المهراب . والمنبر مزين بالستائر وفيه المساند الجميلة والطنانفاس الثمينة فكان ابن طولون يتزل في تلك الدار اذا راح الى الصلاة يوم الجمعة فانها كانت تجاه القصر والميدان فيجلس فيها ويجدد وضوءه وبغير ثيابه وفي موضعها الان سوق الجامع

ومن زرع هذا الجامع اليوم برة خراباً مهجوراً وقد استعملته الحكومة مراراً منازل للحجاج والقراء فبنوا في فناطره فسدوها وقد هدم بعض تلك الفناطر وبعض المنارة وفي صحن الجامع البيضاء ولا يزال اثر المنبر الخشبي باقياً وفي جوار المنارة غرف يقال انها كانت مصلى احمد ابن طولون وذريته

وقد اقتضى لبناء هذا الجامع سنتان فانتهى في شهر رمضان سنة ٢٦٤ هـ فاذن ابن طولون بالصلاة فيه ولكن المسلمين لم يكونوا يدخلونه خيفة ان

يكون مبنياً من دراهم لم تكنسب بالطريق الحق والعدل فاقسم لهم انه لم  
 ينق عليه درهما من الدراهم التي وجدها اتفاقاً فصدقوه فاحتفل بتكريسه  
 في يوم الجمعة التالي وصار يرد اليه الجاهير من المسلمين . وتذكراً لذلك  
 الاحتفال كتبوا على الواح كبيرة من الرخام الابيض بعض الآيات من  
 القرآن الكريم حفرآ . وقال المفريزي انهم كانوا يعرقون اقراص الند  
 اثناء الصلاة فيبعث الجامع بدخانه والمؤمنون في الصلاة . وكان القاضي  
 بكار بن فتيبة الامام الاول وربيع بن سليمان الخطيب الاول لهذا  
 الجامع . وفي ذلك الحين اقام محمد بن ربيع مدرسة عمومية في احدى  
 غرف الجامع وكان ابن طولون واولاده وجميع حاشيته لا يتركون الجامع  
 الا بعد ان يتم محمد تدريسه ويعطي الدروس اللازمة . وكانت دروس  
 هذه المدرسة محصورة في الحديث ومن كان يحضر عليه ابناء احمد بن  
 طولون وكانوا يواظبون على الحضور والانصراف كسائر التلامذة كل  
 ذلك بأمر والدهم . وفي مساء يوم التكريس عاد ابن طولون الى دار  
 الامارة لاعادة الوضوء وتغيير الثياب فكثرت طويلة في الجامع بصلي  
 الى الله ويشكره على ما اولاه من النعم يتفجع جميع مشروعاته ووهب الجامع  
 عشرة الاف دينار وخصص له مدفوعات معلومة تدفع له من ماله ما بقي  
 حياً . وبنى ابن طولون بجوار الجامع خارج صحبه حوضاً وفسقية للوضوء  
 ثم بنى اجزخانة يحضر فيها بأمره كل يوم جمعة طيب يطيب الفقراء  
 مجاناً لاسيما الذين يأتون للصلاة وحسبت نفقات البناء فبلغت مائة  
 وعشرين الف دينار فضلاً عما اوقف له . ويقال ان احمد بن طولون  
 وجد ما عدا الكثرين المتقدم ذكرها كترآ ثالثاً من الذهب النقي ويقال  
 ان هذا الذي جعله يضرب الدينار الاحمدي المشهور بنقاوته والمنقل  
 على سائر انواع الذهب القديم للتذهيب به  
 وفي اثناء بناء الجامع توفي أماجور الذي كان حاكماً في سوريا

فخلفه ابنه علي فاستغنى احمد بن طولون تلك الفرصة ليضم سوريا الى مصر والموقف منشغل عنه بمعاربة الزنوج فاطهر انه عازم على محاربة الروم جهاداً في سبيل الدين وجمع جيشاً جراراً فيه قسم كبير من المتطوعين فكتب الى ابن اماجور يستنصره في تلك الحرب وان يبابعة على سوريا بدعوى ان الخليفة اقطعها اياها فاجاب مطيعاً

وفي غرة سنة ٥٢٦٥ هـ بارح احمد بن طولون مصر مستخلفاً ابنه عباساً سنة اذ ذلك ٢٢ سنة وعهد تدير الاحكام الى وزيره احمد الواسطي . ولما احتشدت جيوش ابن طولون في فلسطين اناه محمد حاكم الرملة مسلماً خاضعاً فاقرة في منصبه ولما بلغ دمشق ترحب به علي بن اماجور وامر بان يخطب باسمه فاقرة في مركزه ايضاً وهكذا فعل ايضاً في حمص وعليها عيسى فاقرة عليها ثم وضع يده على حلب وحمها وكانت تحت حكومة انطاكية وحاكمها يدعى سيبا الطويل فحرر اليه احمد بن طولون يطلب مبايعته فوعده ولكنه لم يف فاعاد الطلب فوعده ايضاً ولما تكرر منه الوعد والاخلاف تقدم احمد بجيشه الى اسكندرونه ثم هاجم انطاكية من جهة باب البحر فلم يفلح لانه كان منيعاً فهاجمها ثانية وثالثة ولا فائدة وما زال حتى كاد يهاجمه البأس فاناه بعض اهالي المدينة بنبؤونه بباب آخر في الجهة المقابلة يدعى باب النرس لجهة الجبال وقالوا انه سهل المأخذ فسار احمد بجيشه وهاجم المدينة من ذلك الباب وما طلع الفجر الا والمناريس في يده . واما سيبا فدافع دفاعاً حسناً حتى قتل وجيء برأسه الى احمد بن طولون فشق عليه قتله لانه كان صديقاً له واما المدينة فذهبت فريسة النتك والنهب حتى نودي بالطاعة فسكنت الغوغاء ووضع احمد يده على باباس وادنة وترسوس . وبينما كان بهم بالنقدم في فتوحاته الى ما وراء ذلك جاءه من ابناء مصر ان ابنه عباساً الذي استخلفه في مصر قد شق عصا الطاعة ومد يده الى الخزائن والاحكام واستبد فيها فلم يرد احمد

الرجوع الى مصر قبل اتمام اعماله في سوريا فسار الى محاربة محمد حاكم  
رقّة ثم اخيه موسى ولم يرجع الى مصر الا في نهاية سنة ٢٦٥ هـ بعد ان  
فتح كل سوريا وبعض اسيا الصغرى واستخلف في رقّة لؤلؤها الذي كان  
حاكماً على مصر وحلب وحمص وقسرين

اما عباس فعهد ان يبذ طاعة والده انقياداً لذوي الاغراض شعر  
بخطائهم وخاف سؤ العنفي فجمع اليه الخزينة وفيها مليونان من الدينانير  
واستدان فوقها ٢٠٠ الف دينار وفرّ من معه الى الجيزة على ضفة النيل  
الغربية وساق معه احمد الواسطي وزير والده مغلولاً ولكنه خشي ان  
لا يكون مكانه هناك أميناً فعهد حكومته فيه الى اخيه ربيع مظهر السمر  
الى الاسكندرية وسافر الى برقة

فلما وصل احمد بن طولون الى النسطاط ونزل العسكر ورأى من  
امر ابنه ما رأى احب استجلايو بالحسنى فحرر اليه تحارير لطينة كلها  
حنوً ونجح وارسلها مع بكار بن قتيبة فعاد بلا نتيجة كل ذلك بدسيسة  
من النف حولة وهم الذين اغروا على كل ما فعل ولكنهم مع ذلك ومع  
كونهم لم يكونوا يشعرون بالسلطة الابوية كانوا يخافون غضب ذلك  
الامير الخطير فاعزوا الى عباس ان يعم في داخلية افريقيا في سنة  
٢٦٧ هـ جمع اليه رجال دعوتهم وسار في داخلية البلاد ساعياً جهده في  
استجلاب مشايخ القبائل اليه فلم يفر الا مع القليل منهم فكتب الى ابراهيم  
امير القيروان ليايعة على افريقيا مدعيًا ان الخليفة امر بذلك وكان سعيه  
مع هذا باطلاً ايضاً . ثم هاجم قلعة لبة ففتحت له ابوابها فدخلها واتباعه  
ذابحين ناهيين فاستاء الاهالي فحرروا الى الياس بن المنصور فوعدهم  
بالمساعدة

وفي اثناء ذلك سار ابراهيم امير القيروان بجيش الى طرابلس الغرب  
لمهاجمة عباس فهاجمه وبقيت الموقعة الى الليل وكان عباس مشهوراً في

ذلك العهد بالشجاعة والحماسة وكان شاعراً فصيحاً يشد الأشعار الحماسية  
اثناء المحاربة وما أنشده قوله

لله دري إذا أعدو على فرسي      إلى الهياج ونار الحرب نستعز  
وفي يدي صارم اقري الرؤوس به      في حده الموت لا يبني ولا يذر  
ان كنت سائلة عني وعن خبري      فما انا الليث والصمصامة الذكر  
من آل طولون اصلي ان سألت فما      فوق المنخر بالجود مفتخر  
لو كنت شاهدة كرتي ببلدة اذ      بالسيف اضرِبْ وإلهامات تبتدر  
أذا لعابنت مني ما تبادره      عني الاحاديث والانباء والخبر

وفي الصباح التالي وصل الياس ومعه ١٢ الفاً من قبيلة العبادنة  
مدداً لابراهيم فضمه الى جيشه واستأنف الحرب مع عباس وخسر عباس  
في هذه الموقعة أكثر ضباط جيشه واشجع جنوده وجميع المؤن والمهمات  
العسكرية التي اتى بها من مصر اما هو فتمكن بعد الجهد من الفرار الى  
برقة فبلغ ذلك اباة فانظر له قلبه رغماً عن سابق عصيانه ومعاداته. وفي  
اواخر سنة ٢٦٧ هـ انفذ احمد جيوشاً الى برقة وبعد بضعة ايام اتى بنفسه  
الى الاسكندرية في جيش كبير قيل انه كان مؤلفاً من مائة الف رجل  
فاناه احمد الواسطي وكان قد تخلص من عباس فجهزه ابن طولون بجيش  
وارسله الى برقة يهاجم من فيها من العصاة فهاجم وقتل العدد الاعظم منهم  
اما عباس فقبض عليه حياً وجاء به الى ابيه وكان ذلك في منتصف سنة  
٢٦٨ هـ وبعد بضعة ايام عاد ابن طولون الى النسطاط ومعه ابنة العباس  
ولما بلغ النسطاط حجز عليه في سرايته

وبعد ثلاثة اشهر وصلت الجيوش ومعهم الاسرى الباقيون فاحضرم  
وعباس معهم فأمره ابيه ان يقطع ايدي هولاء المنسدين وارجلهم بيده  
ففعل ثم التفت اليه ووتجّه بكلام تفتت له الحجارة ثم امر بان يضرب  
مائة جلدة قال ذلك وقلبه يقطر دمًا ثم اعاده الى بيت تحت الحجر وامر

بقتل من بقي من العصاة والفاء جنهم في النيل  
وما كادت مصر تُخضع من هذه الاضطرابات الداخلية حتى داهمها  
اضطرابات خارجية اشد وطأة وأصعب مراساً . فان ما كان بين احمد  
ابن طولون والموفق من الضغائن كان لا يزال كامناً الى ذلك العهد وما  
اصاب الخزينة من السلب وما تكبده ابن طولون على اثر ذلك من  
النفقات في الحروب قد حملته على الاقتصاد في النفقات والاعتدال بالسخاء  
فساء ذلك بعض من كانوا يقتربون منه استنزافاً لذات يده وفهم لؤلؤ  
الذي كان منغمساً بانعامه وقد ولاه بلاداً واسعة فاضمر له شراً منافداً  
الى ذلك بايعاز كاتبه محمد بن سليمان الذي لم يكن ابن طولون بحجة  
فامسك لؤلؤ عن دفع الجزية الى ابن طولون على ان يدفعها الى الموفق وبياعة  
على ماتحت حكمه قطار الموفق فرحاً اما الضباط الذين كانوا مع لؤلؤ  
فلم يكن بينهم وبين احمد بن طولون ما يوجب النفور فاعلموه بغدره  
فادرك جميع العواقب الناجمة عن هذه الخيانة ولكنه اتخذ الحزم والتأني  
نبراساً فحرر الى لؤلؤ يستدعيه الى طاعته بعبارات لطيفة فأبى واستنكر  
فنظر احمد في الامر نظراً بعيداً فتراءى له ان العاقبة محمودة فكتب  
الى المعتمد سرّاً يعلنه انه في خشية من خيانتهم ربما كان فيها خطر على حياة  
الخليفة ويدعوه الى مصر قائلاً « ان لدينا هنا مائة الف مقاتل مستعدة  
للدفاع عن امير المؤمنين وقمع عدوه (يعني به الموفق) واعادة السلطان  
ليده » وبعث مع هذا الكتاب هدية تساوي مائة الف دينار وسار في  
جيش جرار سنة ٥٢٦٩ هـ وتقدم الى دمشق وابنه عباس بمعينته مستخلفاً على  
مصر ابنة الثاني المدعو خمارويه مجاهرآ انه انما قدم لأميرين وهما انقاذ  
الخليفة المعتمد ومعاقبة لؤلؤ فلم يظفر بلؤلؤ لانه كان قد انضم الى الموفق  
على محاربة الزنوج

وثارت في اثناء ذلك فرقة من الجند كان قد ارسلها احمد الى سلسيا

وعصت قائدها خالا فتمكن هذا من الفرار بجيائه الى دمشق فاغنم سكان  
 طرسوس هذه النرصه لخلع طاعة ابن طولون فابطلوا الصلاة باسمه فجهز  
 اليهم اقتصاصاً منهم ثم ورد اليه كتاب من المعتمد اوقفه عن عزوه . وسبب  
 ذلك ان الخليفة المعتمد أدرك بعدئذ ان ليس في يده من المخلافة الا  
 الاسم وان اخاه الموفق اضرب بنفوذه ضرراً بليغاً فلما جاءه تحريراً ابن طولون  
 قبله بكل سرور واجابة منشكراً منه ومتشكياً من تصرف اخيه والتي اليه  
 ان يتصرف بالامر بمقتضى حكمته وان يلاقيه في رقعة فانفذ اليها ابن طولون  
 جيشاً لا يتظاره لان المعتمد احب ان يعتم فرصة اشتغال اخيه بالحرب  
 مع الزوج للقدوم الى احمد فتظاهر بالخروج في حاشيته للصيد وسافر  
 في جمادى الاولى حتى بلغ اسحق بن كنداجيق حاكم الموصل وما بين  
 النهرين وكان قد كتب اليه وزير الموفق بما كان واوعز اليه ان يجتال في  
 التنبض على الخليفة . فاستقبل اسحق الخليفة بكل اكرام واحترام وشيعة الى  
 آخر حدود البلاد التي هي تحت حكم ابن طولون وهناك ابعد بعض رجال  
 الخليفة بجيئة ودس في الباقيين سم الحسد ايقاعاً باين طولون وطلب اليهم  
 ان يأتوا اليه على انفراد ليتشاوروا في شأن ابن طولون قبل ان يتبعوا في  
 يده فادخلهم الى خبيته وهناك قبض عليهم وأغلبهم واحداً واحداً ثم توجه  
 في اثر الخليفة فلاقاه وهو غير عالم بما كان فجعل بكلمة بلسان الثعلب  
 فاقنعه ان لا يسعى لتغيير حدود مملكته بل يبقها كما تركها اباؤه وان  
 يعهد امرها لاخيه افضل من ان يعهدا لرجل غريب وعلى ذلك رجع  
 المعتمد وغير المغلولين من رجاله الى سامرة . فعلم الموفق بذلك فسراً  
 لكنه خشي ان يعود اخوه مرة ثانية الى قصده الاول فارسل اليه من  
 يراقب حركاته وهب اسحق جميع البلاد التي هي تحت حكم ابن طولون  
 فاصبح حكمة منبأ من بغداد الى اطراف افريقيا واهداء سيفين ولقبه بذمي  
 السيفين اشارة الى تسلطه على الشرق والغرب

فلما علم ابن طولون بذلك اشد غيظة فجمع اليه من كان في دمشق من قضاة بلاده وعلماؤها واشرافها واعلمهم ان الموفق قد هتك حرمة الاخوة نحو اخيه وحاول الاستقلال بالدولة الاسلامية وان الخليفة امير المؤمنين قد اصبح في حالة يرئى لها يقضي نهاره بالاسف والكدر الشديدين وما زال ينهض همتهم ويجرّك عواظهم حتى تهرؤوا ان يذكر الخطيب بعد ان يتم صلاة الجمعة امام الجمهور حالة الخليفة ويطلب الى الله ان يحفظه ويكبت اعداءه و زادوا على ذلك ان الموفق عاص على الخليفة فهو محروم من حقوق الخلافة ثم زاد هو على هذا ان الموفق خلع الطاعة وبرى من الذمة فوجب جهاده على الأمة فاعترض بعض الحضور على ذلك ومنهم بكار فقال ان تحارب الخليفة تخالف ما قررتوه لانه تحرر بان يكون الموفق وارثا للخلافة قطعياً فاجابة ابن طولون ان الخليفة لم يكن حرّاً بما فعل والتي بكاراً في السجن ريثما يرد من الخليفة الجواب على تلك الاقرارات وانتهى الامر باقرار الجميع على ما سبق ذكره وان يحافظوا على كل كلمة فاهوا بها وان ينادوا بذلك في الجماهير ايام الصلاة كما تقدم

فلما بلغ الموفق ذلك سعى الى اخيه المعتد ان يحرم ابن طولون وما انك حتى اجابه الى طلبه فصرح بحرمان ابن طولون في جميع جوامع العراق وان يعلن على المنابر بعبارة ونصها « اللهم العنه لعنا بقل حده ويتعس حده واجعله مثلاً للغابرين انك لا تصلح عمل المنسدين » فصرح ابن طولون بحرمان الموفق في جميع بلاده وارسل جيشاً للاستيلاء على مكة فعلم حاكمها هارون فانذ الى الموفق الخبر فارسل اليه مدداً تحت قيادة جعفر فخار بوا المصريين في مكة فغلبوه بعد ان قتلوا ما بي رجل منهم واسروا قائدهم فنودي بحرمان ابن طولون في جامع مكة الا ان هذا جميعه لم يكن ليثني ابن طولون عن عزمه في اجراءات اخرى فانه سار الى سلسيا لاختماد الثورة ومقاصة المعتدين فمراثناه

المسير على دمشق وبنى قبة مرتفعة على مدفن الخليفة معاوية كان قد  
هدمها العباسيون وزينها بالفناديل وجعل فيها من يتلو القرآن الشريف  
ثم قدم اذنة لمقاصة بزماز حاكمها لامتناعه عن مبايعته وكان بزماز قد  
قبض على رسل ابن طولون فشق ذلك على ابن طولون فاسرع الى  
محاصرته بفرقة من الجند فحوّل بزماز نهر سدّس على جيش ابن طولون  
وكانوا في منتصف الشتاء ففاضت مياهه وساعدها البرد القارص فاهلكا  
معظم العساكر فاضطر احمد الى رفع الحصار وتأجيل الانتقام الى فرصة  
اخرى فنهض لجنّة جهات اخرى كان يتهددها اليونان فسار بفرقة من  
رجالِه الى باياس فانطاكية حيث كان ينتظره القضاء المُبرّم وذلك انه  
شرب فيها كمية وافرة من لبن الجاموس دفعة فاضرت بصحة فانذره  
الطبيب الذي كان يرفقته واسمه سعيد ثيوفيل وكان مسيحيًا فاهمل انذاره  
وتغافل عن الاحتياّم الصارم فاشتب مرضه كثيرًا فترك عبدالله بن التناح  
حاکماً في حلب واسرع عائداً الى مصر محمولاً على الاذرع في هودج الآان  
الضعف لم يسمح له بالاستمرار على هذه الكيفية فنزل عند الفرما ثم سافر  
الى القسطنطينية في النبل فبلغها في آخر السنة وهو في حالة خطر فنادى  
اليه اطباء المدينة وتهددهم بالقتل اذا لم يبذلوا الجهد في شفائه  
فحدث في مصر من الفلاقل ما اشغل ابن طولون عن الاهتمام بصحة  
كما يجب وذلك ان احد العلويين واسمه احمد بن عبدالله لما بلغه ما فيه  
احمد بن طولون من المرض شق عصا الطاعة فانضمت اليه فرقة من  
رجال الصعيديين محبوة بالاغواء فانفذ اليها احمد فرقة من رجاله ففرقتها  
وعادت برأس قائدها وعاد معها الامن واستتبّت الراحة  
اما الموفق فبعد ان حارب الزنوج طويلاً فاز بهم ولكنه ملّ الحروب  
ومال الى المسالمة وكان شعائره العدوانية نحو ابن طولون قد اصبحت على  
طول الزمن آخذة في الخمود فرغب في حثف الدماء واقامة الحدود

ولم تكن سطوة ابن طولون اقل اعتباراً في عين الموقف من ذي قبل  
والظاهر ان المرض اضعف منه حاسة الانتقام من الموقف فمال الى انهاه  
الذلاقل التي كان الموقف اشد رغبة في انهاها . فعهد الموقف الى سعيد بن  
مخاد وجماعة من ذويه ان يكتبوا الى ابن طولون كتابة يوهونه انها صادرة  
منهم على غير علم الموقف يبينون له ان ما حصل من الخصام انما كان من  
عواقب العجلة في الحكم وسوء التناهم وان يتفقوا معه على المصالحة ففعلوا كما  
امرهم فلما اطلع ابن طولون على هذه الكتب علم انها من نثات الموقف  
مكتوبة بخط من هي بامضائهم على ان ذلك لم يمنع من قبوله بالمصالحة  
فاجاب موافقاً على نسيان كل ما سبق حصوله من سوء التناهم واعداء باعادة  
الصلوات الودية مشترطاً على الموقف ان يصرح جهاراً بتنازله عن كل  
حاسات الحقد او الانتقام . فعلم الموقف من مطالعة الكتاب ان ابن طولون  
قد استطلع ضميره فاجابه بدون تردد انه نادم على ما فرط منه في الماضي  
وعامل على استئصال جرائم الحقد وانه يرغب الى صديقه الجديد ان يقبل  
تلك المصالحة رسمياً فقبل . اما المعتبر فسرّ جداً لما دار بينها وحرر رسالة  
بخط يده الى ابن طولون يحمد سعياً ويطلب اليه ان يستمر مسالماً لاصيه  
الموقف واخبره انه قد ابطال الحرمان الذي كان قد صرح به ضده وبعث  
الرسالة مع حسن بن عطاف فلم تبلغ مصر الا بعد وفاة ابن طولون لان  
صحته كانت تناخر يوماً بيوم وكان الالم المعدي المتسبب عن افراطه من  
شرب لبن الجاموس يشتد عليه مصحوباً بحمى شديدة وضعف عام ثم رافق  
كل ذلك اسهال ذهب بكل ما بقي من قواه

فلما استحسن احمد بقرب الاجل استغاث بصلوات شعبه على اختلاف  
معتقداتهم فاجتمع الاسلام بقرآتهم والمسيحيون باناجيلهم واليهود بتوراتهم  
الى الجبل المنظم حيث اقاموا فروض الدعاء الى الله تعالى ان يشفي لهم  
ملكهم وكان من جملة من حضر هذا الاحتفال معلو المدارس وتلامذتها

اما جوامع المدينة فكانت في الوقت عينه غاصة بالجماهير يقرأون القرآن الشريف كل ذلك والحسنات تنفرق في الناس بكميات وافرة فانتفع الناس في موتهم كما انتفعوا في حياتهم . ولما تأكد قرب الساعة صلى قائلاً « ايها الاله العظيم ارحم عبدك وعلمه قيمة نفسه لانه لم يعرف لها قيمة وانصفت برحمتك » واخذ بعد ذلك بتكرار سورة الشهادة الى ان قضى . وقبل وفاته بقليل اخرج بكاراً من السجن لكنه لم يلبث بعد وفاة ابن طولون الا اياماً قليلة وتوفي ودفن في النسطاط ولا يزال مقامه مكرماً . وكانت وفاة احمد بن طولون يوم الاحد العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٥٢٧ هـ (موافق ١١ مايو سنة ١١٨٤ م) ودفن عند سفح المقطم في ترعة على طريق المتوجه الى القرافة الصغرى

ولما بلغ المعتمد خبر وفاة ابن طولون حزن حزناً شديداً وراثاً بتقصيفه تدل على ان المعتمد كان شاعراً أكثر مما كان حاكماً . وكانت مدة حكم ابن طولون ١٨ سنة كلها حروب وظفر . ومن تأمل بسيرة حياته يرى ان فخره لم يكن الا بكثرة المصاعب وهي التي كانت تثير فيه الهمة وتحمله على توسيع نطاق مملكته وقد ترك ثروة قدرها عشرة ملايين دينار وعداداً وافراً من الاسلحة والامتعة و٧ الاف عبد تحت السلاح و٢٤ الف عبد بغير سلاح وعداداً عظيماً من الخيل والبغال والجمال وحيوانات اخرى . ويقال ان محصولات مصر بلغت في ايامه مائة مليون دينار سنوياً وقال آخرون انها لم تبلغ اكثر من عشر هذا القدر وهو الارجح وقد كان شجاعاً نشيطاً حليماً شفوفاً

ومن امثال شفتيه انه ركب في غداة باردة الى المنس في ضواحي النسطاط فاصاب بشاطئ النيل صياداً عليه خلق لا يواريه منه شيء وبمعة صي له في مثل حاله وقد التقى شبكته في البحر فلما رآه رق لحاله وقال « نسيم ادفع الى هذا عشرين ديناراً » فدفعها اليه ولحق ابن طولون فسار

احمد ولم یبعد ورجع فوجد الصیاد میتاً والصی بیکی وبصح فظن ابن طولون ان بعض سودانیه قتله واخذ الدنانیر منه فوقف بنفسه علیه وسأل الصی عن ابيه فقال له هذا الغلام « وإشار الى نسیم الخادم » دفع الى ابي شیباً فلم یزل یقلبه حتی وقع میتاً فقال فتشهُ یا نسیم فتزل وفتشهُ فوجد الدنانیر معه بمجالها فحرّض الصی ان يأخذها فأبی وقال هنه قتلت ابي وان اخذتها قتلتني فاحضر ابن طولون قاضي المنس وشبوخه وأمرهم ان يشتروا للصی داراً بجمایة دینار تكون لها غلة وان تحبس علیه وكتب اسمه في اصحاب الجریات . وقال انا قتلت اباہ لان الغنی یحتاج الى تدریج والأقل صاحبہ . هذا كان یجب ان یدفع الیه دینار بعد دینار حتی تاتیه هذه الجملة علی تفرقة فلا تكثر في عینہ . واحمد بن طولون اول من جلس في مصر للنظر في المظالم فكان یجلس لذلك یومین في كل اسبوع في محل یقتل فيه التظلمات وینصف اصحابها . وكان نقیاً یحترم الشعائر الدینیة کثیراً فكان له في قصره حجرة جعل فیها ۱۲ رجلاً سأم بالمکبرین بیبت منهم في كل لیلۃ اربعة یتناوبون اللیل نوباً یکبرون ویسبحون ویحمدون ویهللون ویقرأون القرآن نظریاً بالحدان ویتوسلون بقصائد زهدیه وبتذنیف اوقات الاذان . ومن صفاته الحمیة حبه لعمل الخیر المجد والتصدق علی کل من طلب الصدقة فكان ینفق في سبیل ذلك الی دینار شهریاً سوی ما یطراً علیه من الذور وصدقات الشکر علی تجدید النعم وسوی مطالبته الی اقیمت في کل یوم للصدقات في داره و غیرها یدبح فیها البقر والکباش و یفرق للناس في القدور الخار والقصاع علی کل قدر او قصعة لكل مسکین اربعة ارغفة في اثین منها فالودج والاثان الاخران ما علی القدر وكانت تعمل في داره وینادی من احب ان یحضر دار الامیر فلیحضر وینفخ الابواب ویدخل الناس المیدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذکره ینظر الی المساکین ویتأمل فرحهم بما یأکلون ویمهلون فیسرو

ذلك ويحمد الله على نعمته . ولقد قال له مرة ابراهيم بن قراطقان وكان متولياً توزيع الصدقات « ايد الله الامير انا نغف في المواضع التي تفرق فيها الصدقات فمخرج لنا الكف المخفضة نقشاً والمعصم الرائع فيه الحديدة والكف فيها الخاتم » فقال « يا هذا من مد يده اليك فاعطه فانه في اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه في كتابه فقال بحسبهم الجاهل اغنياء من التعنف احذر ان ترد يداً امتدت اليك » . وابن طولون اول من بنى قلعة في بافا . وترك عند وفاته ثلاثين ولداً ١٧ ذكوراً و ١٢ انثى مع انه لم يكن سنة عند وفاته اكثر من خمسين سنة . وقد اوصى قبل وفاته ان تكون الاحكام ثابتة لابنيه من بعده ليكون له من نسله دولة تخلد له ذكراً الا ان هذه الدولة لم تمك بعد الامة ٢٢ سنة فقط . وهذه صورة النقود



التي ضربت في عهد ابن طولون سنة ٥٢٥٧ هـ عليها اسم واسم الخليفة المعتمد (انظر شكل ٢٩)

ش ٢٩ نقود المعتمد وعليها اسم ابن طولون

## حكم خمارويه بن احمد

من سنة ٢٧١ - ٢٨٢ هـ او من ٨٨٤ - ٨٩٥ م

وبعد وفاة ابن طولون اقيم ابنه خمارويه حالاً في مكانه في شهر ذي القعدة من سنة ٥٢٧٠ هـ وسنة ٢٠ سنة ولقب بابي الجيش فسر الناس من توليته . واما عباس فكان لا يزال في السجن وقد كرهته الامة لما كان من عتوقه . وقد قال بعضهم ان اباة ناداه قبل وفاته وسامحه عما كان آتى به

واوصى ان يكون على سوريا تحت امانة اخيه خمارويه لكنه ما لبث ان اقيم اخوه على الاحكام حتى ذهبت حياته بامر . ولم يشأ خمارويه ان يجعل مركز حكومته في النسطاط كما فعل ابوه فاقامها في منتصف النطاط التي كان قد بناها ابوه مقرًا لرجالِه

واول شيء اجراه خمارويه كان موجبا لتملكه قلوب الرعية لما كان فيه من النزاهة ونصرة الحق . ذلك ان كنيسة الاسكندرية كانت سنة ٥٢٦٨ هـ تحت رعاية البطريرك ميخائيل وهذا كان قد عزل الاسقف سكا لسوسيرته وتعاليمه فسار هذا الاسقف الى النسطاط مضمرا اشرا فسمى الى احمد بن طولون فسادا مدعيا ان البطريرك كثير الثروة على حين انه لا يحتاج الى المال وكان احمد اذ ذاك يتأهب للذهاب الى سوريا وفي احتياج للنفقات فاستحضر البطريرك المذكور وقال له « ان من كان في مركزك ايها البطريرك لا يحتاج الى اكثر من حاجيات الطعام واللباس وقد علمت انك ذو ثروة عظيمة والبلاد في احتياج الى نفقات كبيرة فادفع كل ما لديك الى خزينة الحكومة » فحاول البطريرك رفع تلك التهمة عنه فذهب اجتهاده عبثا فالتى في السجن ومعه احد شمامسته المدعو ابن المنذر سنة كاملة فاخذ يوحنا وابراهيم ابنا موسى كاتب سر احمد بن طولون على عانقها ان يطلق البطريرك بشرط ان يدفع مبلغا معيناً يجمعه من المسيحيين الذين هم تحت رعايته . فكتب على نفسه صكاً بمبلغ ٢٠ الف دينار يدفعه على دفعتين لكنه لم يدفع الدفعة الاولى الا بعد العناء العظيم والاستقراض وبيع اوقاف الكنيسة لان ما كان مضروباً على ابناء الكنيسة لم يكن وافياً بالمطلوب فاصبح البطريرك في حالة اليأس متزوّباً في دير القديسة مريم في قصر الشمع بجوار النسطاط لا يعلم كيف يقوم بدفع المبلغ الباقي فاكثر الضرائب على الاسقفيات الى حد لم يكن في الامكان القيام بدفعه فُسب اليه الاستبداد وهو براه منه ولما ان وقت الدفع لم يكن

قادراً عليه ففيد ثانياً الى السجن وبعد يسير توفي ابن طولون . فلما تولى  
 خمارويه رأى من العدالة ان يحل سبيله ويبرى ذمته ما كان باقياً عليه  
 ففعل وكان لذلك وقع عظيم ولا سيما عند طائفة المسيحيين  
 ثم اخذ في تدبير الاحكام فلم يغير شيئاً مما كان على ايام ابيه فابقي  
 الرتب والوظائف على حالها فبقيت قيادة جيش سوريا في يد ابي عبد الله  
 وقيادة ما بقي من الجيوش في يد سعيد الابر ولكي يتأكد تحصين  
 سوريا ارسل اليها مراكب حربية تجول في سواحلها . ولما اطأ باله من  
 قبيل الخارجة عكف على الداخلية فاقتل على قصر ابيه وزاد فيه واخذ  
 الميدان فجعله كنه بستاناً وزرع فيه انواع الرياحين والشجر المطعم العجيب  
 وانواع الورد والزعفران وكسا اجسام النخل نخاساً مذهباً وجعل بين  
 النخاس واجساد نخل مزاريب الرصاص واجرى فيها الماء المدبر وغرس  
 فيه من الریحان المزروع على نفوس معموله وكتابات مكتوبة بتعاهدها  
 البستاني بالمفراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وطعموا له شجر الشمس  
 باللوز واشباه ذلك وبنى في البستان برجاً من خشب الساج المنقوش  
 بالنقر النافر ليقوم مقام الاقنص وسرح فيه من اصناف القاري والدباسي  
 والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت وجعل فيه اوكاراً تفرخ  
 الطيور فيها وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج  
 الحبش ونحوها . وعلم في داره مجلساً في رواقه سماه بيت الذهب طلى  
 حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد على احسن نقش وجعل في  
 حيطانه صوراً بارزة من خشب معمول على صورته وصور حفاياة والمغنيات  
 اللاتي تغنين بما عليهن من اللباس بالوانه وجعل عليهن من الحلي مثل ما  
 اعتدن لسهه وجعل بين يدي هذا البيت فسقية ملاءها ذئبقاً وسبب ذلك  
 انه شكاه الى طبيبه كثرة السهر فاشار اليه بالتغميز فانف من ذلك فقال  
 تأمر بعمل بركة من زئبق فعمل بركة يقال انها . ذراعاً طولاً في . عرضاً

وملاها من الزئبق وجعل في اركان البركة سكاكاً من النضة الخالصة وجعل في السكك زنانير من حرير في حلق من النضة وعمل فراشاً من ادم يمشى بالريج حتى يتفتح فيحك حيث شدته ويلقى على تلك البركة وتشد زنانير الحرير التي يجلق النضة في سكك النضة وينام على هذا الفراش ولا يزال هذا الفراش برج ويحرك بحركة الزئبق ما دام عليه ولم يعرف ملك قط تقدم خمارويه في عمل مثل هذه البركة . وبنى ايضاً بالنصر قبة تضاهي قبة الهواة سماها الدكة وكان كثيراً ما يجلس فيها لبشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة . وبنى ميداناً آخر اكبر من ميدان ايو . وبنى ايضاً في داره داراً للسياح عمل فيها بيوتاً بأزاج كل بيت يسع سبعة ولبوته وبجانب كل بيت حوض من رخام وجعل لتلك السياح سياساً يقومون بما تحتاج اليه من الطعام والشراب والتنظيف . وكان من جملة هذه السياح سبع ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذي احداً ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم فاذا نصبت مائة خمارويه اقبل زريق معها ورض بين يديه يلتقط ما يرميه اليه من فضلاتها فاذا نام جاء زريق ليعرسه فان كان قد نام على سرير رض بين يدي السرير واذا كان على الارض فبجانبيه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة

وانسعت ايضاً اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلًا مفرداً وعمل للثور داراً مفردة ومثل ذلك للبهود وللنبيلة والزرافات كل ذلك سوى الاصطبلات التي في الحديقة . وكان له ايضاً بمصر اصطبلات نتج فيها الخيل حلبة السباق وللرباط في سبيل الله برسم الغزو . وبلغت مرتبات الجيش في ايامه تسعماية الف دينار في كل سنة . وكانت حلبة السباق في ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر العساكر والعلمان على كثيرهم بالسلاح التام والعدة الكاملة فيجلس

الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون للاعياد وكان له معرض للخيل فريد  
وقد تقدم ان خمارويه قتل اخاه وكان ذلك بايعاز ابي عبدالله  
قائد جنود سوريا ثم خاف ابو عبدالله ان يعود خمارويه الى الانتقام  
منه اذ يندم على قتل اخيه فعكف الى المكيمة فكانت الموفق يقول له  
« ان هذا الشاب خمارويه لا يفهم من امور الاحكام الا انها وسيلة للتمتع  
بالملاهي والملذات » وكتب اليه غير ذلك ما شوق الموفق الى الاستيلاء  
على مصر واخذت العداوة من ذلك الحين تنمو بينها . وفي سنة ٢٧١ هـ  
حصلت موقعة عظيمة بين احمد بن الموفق الملقب بالمعتضد بالله وخمارويه  
تدعى واقعة الطواحين بما كان بين والديهما من العداوة

وتفصيل واقعة الطواحين ان احمد بن الموفق لما كان في قلبه من  
البغض لخمارويه ما كان اتى دمشق فاستولى عليها لان ابا عبدالله سلمه  
اياها بدون حرب فلما علم خمارويه بذلك جرد جيشه قاصداً استرجاعها  
حتى بلغ الرملة ومعه سعيد الايسر قائد الجنود المصرية العام فبلغ ذلك  
المعتضد بالله فسار من دمشق نحو الرملة الى عساكر خمارويه فانه الخبر  
بوصول خمارويه الى عساكره وكثرة من معه من الجوع فهم بالعود فلم  
يكنه من معه من اصحاب خمارويه الذين صاروا معه . وكان المعتضد قد  
اوحش ابن كنداجيق وابن ابي الساج ونسبها الى الجبن حيث انتظراه  
ليصل اليها ففسدت نيابتهما معه ولما وصل خمارويه الى الرملة نزل على  
الماء الذي عليه الطواحين فملكه فنسبت الواقعة اليه ثم وصل المعتضد  
وقد عيى اصحابه وكذلك ايضا فعل خمارويه وجعل له كميناً عليهم سعيد  
الايسر فحملت ميسرة المعتضد على مينة خمارويه فانهزمت فلما رأى ذلك  
خمارويه ولم يكن رأى مثله قبله ولّى منهزماً في نفر من الاحداث الذين  
لا علم لهم بالحرب ولم يقف دون مصر فنزل المعتضد الى خيام خمارويه  
وهو لا يشك في تمام النصر فخرج الذين عليهم سعيد الايسر وانضاف اليهم

من بقي من جيش خمارويه ونادوا بشعارهم وحملوا على عسكر المعتضد وم  
 مشغولون بالنهب ووضع المصريون السيف فيهم فظن المعتضد ان  
 خمارويه قد عاد فركب وانهمزم ولم يلبو على شيء فوصل الى دمشق ولم  
 يبق له اهلها بابها فمضى منهزماً حتى بلغ ترسوس وبقي العسكران بضطربان  
 بالسيوف وليس لواحد منها امير فطلب سعيد الايسر خمارويه فلم يجده  
 فاقام اخاه ابا العشار وتمت الهزيمة على العراقيين وقتل منهم خلق كثير  
 وقال سعيد للعساكر ان هذا اخو صاحبكم وهذه الاموال تنفق فيكم ووضع  
 العطاء فاشتغل الجند عن الشعب بالاموال وسيرت البشارة الى مصر  
 ففرح خمارويه بالظفر ونجى للهزيمة غير انه اكثر الصدقة وفعل مع  
 الاسرى فعلة لم يسبق الى مثلها قبله فقال لاصحابه ان هؤلاء اضيافكم  
 فاكرمهم ثم احضرهم بعد ذلك وقال لهم من اخنار منكم التيام عندنا فله  
 الاكرام والمواساة ومن اراد الرجوع جهزناه وسيرناه فمنهم من اقام ومنهم  
 من سار مكرماً وعادت عساكر خمارويه الى الشام ففتحتها اجمع فاستقر  
 ملك خمارويه له وهذه الموقعة كانت الاخير بين خمارويه والموفق  
 وبعد ذلك عادت الصلوات الودية



بين الاثنين وضرباً النقود وعليها  
 اسمها واسم المعتمد في وقت واحد  
 كما ترى في الشكل الثلاثين

ش ٢٠ نقود عليها اسماء المعتمد والموفق وخمارويه  
 وفي سنة ٢٧٨ هـ توفي الموفق واوصى بولاية العهد لابنه المعتضد بعد  
 المنفوس ابن اخيه وفي اول سنة ٢٧٩ هـ خلع المعتمد ولاية العهد عن ابنه  
 المنفوس وجعلها للمعتضد. وفي تلك السنة توفي الخليفة المعتمد على الله بعد  
 ان حكم ٤٢ سنة فبويغ ابن اخيه المعتضد بالله فاغنم خمارويه فرصة  
 ليوطيد العلائق بينه وبين الخليفة الجديد فانفذ حسين بن عبدالله

المعروف بابن النصر وقدأ الى بغداد ناقلامه الهدايا الثمينة يعلن الخليفة ان مصر ستدفع له جزية سنوية قدرها مائتا الف دينار وانها ستدفع ايضاً عن السنين الماضية ٢٠٠ الف دينار فاجابه الخليفة بثبتيته في حكومته لمدة ٢٠ سنة على جميع الاراضي والمدن التي كانت تحت امارته او امانة ابيه وارسل اليه ايضاً السيف والبردة المختصتين بهن المصلحة فدفع خمارويه الدفعة الاولى تماماً اما ما بعدها فكانت نقل شيئاً فشيئاً وتناخر رويداً رويداً لكنه لم يكن يغفل عن توطيد علاقات المودة بينه وبين الخليفة فارسل اليه وقدأ آخر بعرض عليه ازواج ابنته المسماة قطر الندى لابن المعتضد فقبل الخليفة بان يكون الزواج له وحصل الزفاف على اعجب سبيل فحملت قطر الندى الى المعتضد وذهبت برفقتها عندها العباسية ابنت احمد بن طولون مشبعة لها الى آخر اعمال مصر من جهة الشام ونزلت هناك وضربت فساطيطها وبنيت هناك قرية فسميت باسمها وقيل لها العباسية

ولما استقر له السلام على هذه الصورة مع الخليفة جعل يوسع سطوته فامر طنج بن جف الذي كان اقامه حاكماً على دمشق ان يتقدم بفرقة من عساكر ترسوس الى اراضي اليونان ففعل وحارب اليونان واستولى على عدة مدن وعاد بالغنائم . وفي سنة ٢٨٢ هـ التي كانت زاهية بعقد زفاف قطر الندى سؤدت بموت خمارويه مقتولاً في دمشق وذلك انه نفي اليه ان بعض نساؤه كن يتغابرن مع بعض كهراء خدامه مخافة حية سرية الى ان تمكنوا مما ارادوه فشق ذلك على خمارويه فاخذ في تحقيق الامر وتأكيد الجرم على فاعله ومقاصته بما تقتضيه العدالة الصارمة فحشي هؤلاء من العقاب الشديد فانفقوا مع نساؤه على قتله لينجو الجميع من شره فقتلوه على فراشه في ليلة من ليالي ذي الحجة من سنة ٢٨٢ هـ وقال آخرون في كيفية قتله غير ذلك . وبعد موته التي القبض على نحو من عشرين من الخدم الذين

وقعت عليهم الشبهة وبعد التحقيق تأكدت الجريمة على العشرين محكم عليهم بالاعدام فنقلت جثة خمارويه الى مصر ودفنت بسفح المقطم بقرب جثة ابيه احمد وكانت مدة حكمه ١٢ سنة و١٨ يوماً وكان من احسن الناس خطاً. وحال موته بوبع ابنه جيش الملقب بابي العساكر وهو صغير لم يبلغ رشده.

### حكم جيش بن خمارويه

من سنة ٢٨٢ - ٢٨٣ هـ او من ٨٩٥ - ٨٩٦ م

وفي سنة ٢٨٣ هـ أبي طغح بن جف حاكم الشام مبايعة جيش على بلاده وبعد سير ثارت الجيوش في مصر عليه بدعوى انهم لا يقبلون موضع احمد بن طولون صيماً لم يبلغ رشده وكانوا يقولون انه لا يعرف شيئاً من امور الاحكام وكان اذا ابدل مأموراً بأخر قالوا قد اخنار من هو في سنة او على شاكلته. وبعد تسعة اشهر من حكمه ثار عليه الجميع وقتلوه ونهبوا سرايته واحرقوا المدينة

### حكم هارون بن خمارويه

من سنة ٢٨٤ - ٢٩٢ هـ او من ٨٩٦ - ٩٠٤ م

واقام رؤساء الثورة اخاه هارون مكانه وقيل ان المعتضد ثبته على مصر لانه وعده بجزية مقدارها مليون من الدينارين. وفي السنة المذكورة توفي لؤلؤ الذي كان سعي فساداً بين احمد بن طولون والموفق سعياً آل الى حرب بين الثريفين. وكان لؤلؤ كما تقدم معنا قد ضم جيشه الى جيش الموفق في محاربة الزوج الا انه لم يات به ذلك الضم بفائدة تذكر ولما وصل

احمد بن طولون الى سوريا لم يمكنه القبض على لؤلؤ نفسه فقبض على ما كان له في دمشق من الممتلكات والمحرم وفيه نساءه واولاده وحظاياه وباعهم عبيداً في سوق النسطاط فلما بلغ ذلك لؤلؤاً حزناً جداً واخذ منه الغيظ كل ما أخذ فتوجه الى الموفق وطلب اليه ان يعطيه جيشاً ليغزو به على مصر يمتلكها ويتنقم من ابن طولون وكان الموفق قد عقد صلحاً مع ابن طولون كما تقدم ولم يشأ ان يجيب لؤلؤاً سلباً فوعده بنوال مرغوبه وكرر الوعد مراراً وكان الموفق قد فعل ذلك على نية ان يحفظه عنده لعلة يحتاج الى مصالحة ابن طولون فيرسله اليه هدبة ولما توفي ابن طولون بقي لؤلؤ في خدمة الموفق ٢ سنوات واخيراً جرده من سائر ممتلكاته وطرده من خدمته فاتي مصر حيث بيعت نساءه واولاده وبقي هناك الى ان مات شراً مونة

وفي سنة ٢٨٤ هـ اي بعد تنصيب هارون بسنة اخذ الاهلون ورجال الحكومة بقلولن من الطاعة لاوامره وبخفرون مشوراته شيئاً فشيئاً الى ان صاروا في استعداد كلي لبند الطاعة والمجاهرة بالعصيان ورئيس هذه الثورة طنج بن جف حاكم سوريا . وفي سنة ٢٨٥ هـ علم المعتضد ما كان من انقسام بلاد هارون وكره الرعايا له فرأى ان يغتنم تلك الفرصة لاسترجاع تلك البلاد التي كانت في يادي الامر تحت سلطة اسلافه فتقدم نحو مدينة اميد فبايعه حاكمها محمد بن احمد بن عيسى بن شيخ وكان حكمة بها مستقلاً ثم تقدم الى قنسرين وملكها

فلما بلغ ذلك هارون اوجس خيفة ولم يعد يعلم ماذا يفعل وله من رعاياه اعداء الداء فكانت المعتضد مصرحاً انه مستعد لتسليمه جميع البلاد التي هي قريبة من العصيان عليه وحرر ايضاً الى حكام قنسرين والعواصن جميعها ان يعتبروا سلطة الخليفة المعتضد عليهم فقبل المعتضد تلك العطية بكل سرور فوضع يده على تلك الاماكن فبايعه اهلها

وفي سنة ٢٨٩ هـ زادت الفلاقل التي كانت تنهدد هارون بانتشار  
 الزرامطة في سوريا. ومنشأ هذه الطائفة بالبحرين سنة ٢٨١ هـ وكيفية ظهورها  
 ان رجلاً يعرف بجي بن المهدي قصد قطيف فترل على رجل يعرف بعلي  
 بن المعلي بن حمدان مولى الزباديين وكان يغالي في التشيع فظاهر له بجي  
 انه رسول المهدي وانه خرج الى شيعته في البلاد يدعوم الى امره وان  
 ظهوره قد قرب فوجه علي بن المعلي الى الشيعة من اهل النظيف فجمعهم  
 واقرأهم الكتاب الذي مع جي بن المهدي اليهم من المهدي فاجابوه وانهم  
 خارجون معه اذا ظهر امره. ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك  
 فاجابوه وكان فيمن اجابه ابو سعيد الجنابي وكان يبيع للناس الطعام  
 ويحسب لم يجمعهم. ثم غاب عنهم جي بن المهدي مدة ثم رجع ومعه كتاب  
 يزعم انه من المهدي الى شيعته ونصه « قد عرفني رسولي ابن المهدي  
 مسارعنكم الى امري فليدفع اليو كل رجل منكم ستة دنانير وثلاثين » ففعلوا  
 ذلك ثم غاب عنهم وعاد ومعه كتاب مفاده اذفعلوا الى جي خمس اموالكم  
 فدفعلوا اليو الخمس وكان جي يتردد في قبائل قيس ويورد لهم كتباً يزعم  
 انها من المهدي وانه ظاهر فيكونون على اهبة. وصار يتشر امر هؤلاء  
 ويتعاطم عددهم حتى طبعوا بالغزو فبلغوا الشام واستغل امرهم حتى  
 حاربوا طنج حاكم دمشق وحاصروها سنة ٢٩٠ هـ فاجتمع اليها جميع قوات  
 سوريا وهاجموا الزرامطة وشنتهم بعد ان قتلوا شيخهم جي

وفي سنة ٢٩٢ هـ كان على منصب الخلافة العباسية الخليفة المكني بالله  
 بن المعتضد فاحب ان ينفذ ما كان نواه سلفه في سوريا ومصر فانفذ جيشاً  
 الى سوريا تحت قيادة محمد بن سليمان فتملكها حالاً وكانت له مباءة ثم هجم  
 على مصر فاخترقها حتى بلغ العاصمة (القساط). فاستعد هارون للدافعة  
 ورجاله ينفصون يوماً فيوماً مما كان يسير منهم الى صفوف الاعداء اثر كل  
 وقعة. ولم يكن هناك منتهى الشقاء فان معسكر هارون نفسه كان مرشحاً

تتلاعب فيه الدسائس ويضمو فيه الخصام بين رجاله واشتد القتال بينهم يوماً فركب هارون جواده واخذ في ردهم بعضهم عن بعض فاصيب بطعنة من احد المغاربة فسقط ميتاً في ١٨ صفر سنة ٢٩٢ هـ وكانت مدة حكم هارون ٩ سنوات كلها نعاسة وشقاء ويقال ان عمه شيبان هو الذي قتله

### حكم شيبان بن احمد

من سنة ٢٩٢ - ٢٩٢ هـ او من ٩٠٤ - ٩٠٤ م

وفي يوم موته اقيم عثم شيبان مكانه الا انه لم يهنا بالحكم لان الشعب رفضه بصوت واحد وخابروا محمد بن سليمان ان يعطيهم الامان فامتهم ثم حركوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسة فلقية طليح في اناس من النواد كثيرين فساروا به الى القسطنطينة واقبل اليهم عامة اصحاب شيبان ولما رأى شيبان اصرارهم على ذلك ولم يعد لديه احد ممن يعتمد عليهم واقفهم على التسليم فاستلم محمد بن سليمان زمام الامور فاعطاهم الامان فبايعوه . اما شيبان فلم يكن يأمن من سكناه في مدينة اقام فيها فغتنبها منه ففر من المعسكر ليلاً فبعث محمد بن سليمان من يقبض عليه فلم يظفر به وقال اخرون انه لم يفر ولكنه قتل جزاء قتله هارون بعد عشرة ايام من قتله . وهكذا انتهت الدولة الطولونية بعد ان حكمت ٢٧ سنة وبضعة اشهر

وبوم الخميس اول ربيع اول من تلك السنة التي محمد بن سليمان النار في القطناع ونهب اصحابه القسطنطينة وكسروا السجون واخرجوا من فيها وهجموا على الدور واستباحوا وهتكوا وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك واخرجوا ولد احمد بن طولون وهم عشرون انساناً

وأخرجوا قوادم ولم يبق في مصر منهم احد يذكر وخلصت منهم الديار وعفت  
منهم الاثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل بعد العز والتطريد  
والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة الايام ثم سبق اصحاب  
شيبان الى محمد بن سليمان وهو راكب فذُبحوا بين يديه كما تذبح الشياه  
وقتل من السودان سكان القطائع خلق كثير وهكذا بادت دولة بني  
طولون فرثتهم الشعراء والكتباء . وقد عثرت على عدة قصائد لكثير من  
الشعراء المعاصرين للدولة المذكورة يرثون بها هذه الدولة ويبالغون في  
الاسف عليها منهم احمد بن محمد الحبيشي واحمد بن يعقوب واسماعيل بن  
ابي هاشم وسعيد بن القاضي واحمد بن اسحق الجعفي ومحمد بن طسويه  
وغيرهم . فيما قاله سعيد بن القاضي من قصيدة طويلة قد مرَّ بعضها قوله

جرى دمعاً ما بين سحري الى سحري

ولم يجري حتى اسلنته يد الصبر

وهل يستطيع الصبر من كان ذا اسي

بييت على حجر وبضحى على حجر

تابع احداث بضعن صبره

وغدر من الايام والدهر ذو غدر

أصاب على رغم الأنوف وجدعها

ذوي الدين والدنيا بقاصمة الظهر

وفقد بني طولون في كل موطن

امرٌ على الاسلام فقداً من القطر

وكان ابو العباس احمد ماجداً

جميل الحيا لا بيت على وتر

كان ليالي الدهر كانت لحسنها

واشراقها في عصره ليلة القدر

بدل على فضل ابن طولون همة  
 مخالفة بين السماكين والغفير  
 فان كنت نبغي شاهداً ذا عدالة  
 يخبر عنه بالجلي من الامر  
 فيالجبل الغربي خطة بشكر  
 له مسجد يغني عن المنطق الهدير  
 وتثور فرعون الذي فوق قلعة  
 على جبل عال على شاق وعير  
 بني ميمناً فيه يروق بناؤه  
 ويهدي به في الليل ان ضل من يسري  
 وعين معين الشرب عين زكية  
 وعين اجاج للرواة وللطهير  
 بناء لو ان الجن جاءت بثله  
 لقبل لقد جاءت بمستفزع نكر  
 ولا تنس مارتانه وانساعه  
 وتوسع الارزاق للحول والشهير  
 وان جئت رأس الجسر فانظر تاملاً  
 الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر  
 ترى ايراً لم يبق من يستطيعه  
 من الناس في بدو البلاد ولا حضر  
 وقام ابو الجيش ابنه بعد موته  
 كما قام ليث الغاب في الاسل السمير  
 انه المنايا وهو في امن داره  
 فاصبح مسلوباً من النهي والامر

وورث هارون ابنه ناج ملكه  
 كذلك ابو الاشبال ذوالناب والمهصر  
 وقد كان جيش قبله في محلو  
 ولصن جيشاً كان مستفصر العمر  
 فقام بامر الملك هارون مدة  
 على كفظ من ضيق باع ومن حصير  
 وما زال حتى زال والدهر كاشح  
 عقاربه من كل ناحية تسري  
 فمن بيك شيئاً ضاع من بعد اهله  
 لنقدم فليبك حزناً على مصر  
 لبيك بني طولون اذ بان عصم  
 فبورك من دهر وبورك من عصر

اما القرامطة فاغتنموا فرصة غياب الجيوش لمحاربة مصر وعادوا  
 الى ما كانوا عليه في سوريا فعلم محمد بن سليمان بذلك فسافر الى  
 بغداد مستخفياً في مصر حاميتها وجيش الخليفة الآن الامور لم تكن  
 قد سكنت تماماً فنار ابن قلندج وضم اليه عصابة سببت اضطراب  
 الراحة من فاستدركها ابن كيغلق حاكم سوريا فترك دمشق ومعها كل جيش  
 الخليفة الذي كان تحت قيادته وجاء لاصحاح ثورة مصر فاغتنم القرامطة  
 فرصة اخرى واستولوا على دمشق وتقدموا الى طبريا فهبوا ولكنهم لم  
 يجاوزوها بخافة ان تلاقهم الجيوش التي كانت في مصر فعادوا قاصدين  
 الكوفة وكان هناك من المواقع ما لا علاقة له بهذا التاريخ

## الدولة العباسية الثانية

من سنة ٢٩٢ - ٢٢٢ هـ أو من ٩٠٥ - ٩٢٤ م

## خلافة المكتفي بن المعتضد

من سنة ٢٩٢ - ٢٩٥ هـ أو من ٩٠٥ - ٩٠٨ م

فعاد المكتفي خليفة على مصر فاقام عليها عيسى النوشري وبعد  
٢ سنوات توفي المكتفي يوم الاثنين في ١٢ ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ وسنة  
٢١ سنة و٢ اشهر بعد ان حكم مدة ٦ سنوات و٧ اشهر و٢٢ يوماً

## خلافة المقتدر بن المعتضد

من سنة ٢٩٥ - ٢٢٠ هـ أو من ٩٠٨ - ٩٢٢ م

وفي يوم وفاة المكتفي بويغ اخوه جعفر المقتدر بالله سنة اذ ذاك  
١٢ سنة. وهذا لم يحدث في الامارات نغيهاً بذكر فافر عيسى النوشري  
على مصر على انه اضطر بعد مدة ان يتخل عنهما محمد بن الخليل وهذا  
لم يلبث بضعة اشهر حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشري فعاد فتولاها  
نحو ٢ سنوات وفي شعبان سنة ٢٩٧ هـ توفي فابدل بتكين الخزري ابي  
منصور وبقي الى سنة ٢٠٢ هـ فاقبل واقيم مقامه زكا الرومي ابو حسن  
الاعور فتولى مصر خمس سنوات وتوفي في ربيع اول سنة ٢٠٧ هـ فاعيد

تكنين ثانية وبعد ايام قليلة توفي تكنين ناركا ولدا يدعى محمداً وهذا وضع  
 يده على حكومة مصر بدون اذن الخليفة. اما الخليفة المتندر فقتل في ٢٨  
 شوال سنة ٢٢٠ هـ وسنة ٢٨ سنة بعد ان حكم ٢٤ سنة و ١١ شهراً  
 و ١٦ يوماً



وهذه صورة التود  
 التي ضربت على عهد  
 المتندر بالله سنة ٢١٦ هـ  
 (انظر شكل ٢١)

ش ٢١ تود المتندر بالله

### خلافة القاهر بن المعتضد

من سنة ٢٢٠ - ٢٢٢ هـ او من ٩٢٢ - ٩٢٤ م

فيوبع اخوه القاهر بالله الابن الثالث للمعتضد بالله . فاراد هذا ان  
 يفاصص محمد بن تكنين على جساتره فوئى على مصر ابا بكر محمد بن طنج  
 ومن هذا نشأت دولة حكمت على مصر وسوريا مدة من الزمن

### مبدأ الدولة الاخشيدية

وكان محمد ابو بكر ابن طنج في ذلك الحين حاكماً في دمشق واصلة  
 من اولاد ملوك فرغانة وكان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جلب  
 اليه من فرغانة جماعة كثيرة ووصنوا له جف (والد محمد ابي بكر) وغيره  
 بالشجاعة والندم بالحروب فوجه المعتصم من احضرم . فلما وصلوا اليه بالغ  
 في اكرامهم واقطعهم قطائع نسر من رأى وقطائع جف لا تزال الى الآن  
 معروفة هناك . فاقام بها وجاءت له الاولاد وتوفي جف في بغداد في

اللبلة التي قتل فيها المتوكل وكانت لياة الاربعاء في ٢ شوال سنة ٢٤٠ هـ  
 وخرج اولاده الى البلاد بتصرفون وبطلبون لم معايش وانصل طمغ بن  
 جف بلولو غلام ابن طولون وهذا اذ ذاك مقيم بديار مصر فاستخدمه على  
 ديار مصر ثم انحاز طمغ الى جملة اصحاب اسحق بن كنداج فلم يزل معه الى  
 ان مات احمد بن طولون وجرى الصلح بين ابنه خمارويه وبين اسحق بن  
 كنداج ونظر ابو الجيش خمارويه الى طمغ بن جف في جملة اصحاب  
 اسحق فاعجب به واخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق  
 وطبرية ولم يزل معه الى ان قتل ابو الجيش فرجع طمغ الى الخليفة المكتفي  
 بالله فحلح عليه وعرف له ذلك وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن  
 فسام طمغ ان يعرجي بالتزلف له مجرى غيره فكبرت نفس طمغ عن ذلك  
 فاغرى به الملك المكتفي فقبض عليه وحسبه وابنه ابا بكر محمد بن طمغ  
 المذكور فتوفي في السجن وبقي ولده ابو بكر معه محبوساً مدة ثم اطلق وخلع  
 عليه ولم يزل يرسل العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى اخذ بنار  
 ابيه هو واخوه عبيدالله في الوقت الذي قتله فيه حميين بن احمد بن  
 حمدان ثم خرج ابو بكر واخوه عبيدالله في سنة ٢٩٦ هـ وهرب عبيدالله  
 الى ابن ابي الساج وهرب ابو بكر الى الشام واقام متغرباً في البادية سنة  
 ثم اتصل بابي منصور تكين الخزري فكان اكبر اركانها وما كبر به اسمه  
 سريته في البعث الى الجمع الذين تجتمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم  
 وذلك سنة ٢٠٦ هـ وهو حينئذ يتقلد عمان وجبل الشراة من قبل تكين  
 المذكور وظفر بهم ونجا الحجاج وقد فرغ من امرهم يقتل من قتله واسر  
 من اسره وشرد الباقين . وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة  
 المنتدر بالله امرأة تعرف بعجوز فحدثت المنتدر بالله بما شاهدت منه فانفذ  
 اليه خلفاً وزاده في رزقه ولم يزل ابو بكر في صحبة تكين الى سنة ٢١٦ هـ  
 ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك وسار الى الرملة فوردت كتب المنتدر اليه

بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ٢١٨ هـ فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق وسار اليها ولم يزل بها الى ان ولاء القاهر بالله ولاية مصر في رمضان سنة ٢٢١ هـ لكنه لم يذهب الى مصر لاستلام مركزه المشار اليه ولم يلقب به الا مدة شهر فقط ثم عين الخليفة مكانه احمد بن كيغلق سنة ٢٢١ هـ. وحصل في تلك الايام اضطرابات في الخلافة بلغ صداها النظر المصري

### خلافة الرازي بن المقتدر

من سنة ٢٢٢ - ٢٢٢ هـ او من ٩٣٤ - ٩٣٤ م

وفي ٥ جمادى الاولى سنة ٢٢٢ هـ عزل القاهر بالله عن دست الخلافة بعد ان حكم سنة و ٦ اشهر وستة ايام وفي اليوم الثاني بويج ابن اخيه الرازي بالله ابن المقتدر وحال توليته الخلافة عزل ابن كيغلق عن مصر وولى مكانه محمد بن طغج فقدم لاستلام امانة مصر فامتنع ابن كيغلق من تسليمه وتخاصما حتى استخدما السلاح وبعد محاربات شديدة كان الفوز لمحمد بن طغج وفر احمد بن كيغلق بن معه من ذويه الى برقة ومنها الى قبروان وكانت قبروان وسواحل الغرب تحت سلطة دولة مستقلة عن الدولة العباسية تدعى الدولة الفاطمية نسبة الى الفاطميين الذين هم من قبيلة كنانة بالقرب من مدينة فاس في الطرف الغربي لافريقيا ويدعون انهم من سلالة اسماعيل الامام السادس من سبط علي وبعبارة اخرى من سلالة فاطمة ابنة النبي ومنها لقبهم ويلقبون ايضاً بالاسماعيليين والعلويين وكانوا قد اخذوا في نشر سلطتهم منذ سنة ٢٦٩ هـ في الجهات الغربية من افريقيا في احزاب من الاغالبة والادريسيين الذين كانوا قد خلعوا طاعة الخلفاء العباسيين في بغداد وخلصوا بني أمية في الاندلس.

وفي سنة ٥٢٨٠ وضع زعيم الناطقين أبو محمد عبيد الله يده على قيروان .  
 وفي سنة ٥٢٩٦ رأى من نفسه القوة فادعى الخلافة فبوع ولقب بالخليفة  
 عبيد الله المهدي وكان من آخر الأئمة العلويين الذي يدعى أنه منهم وأنه  
 أحق من سواه بالخلافة . فاصبحت الدولة الإسلامية بذلك منقسمة إلى ثلاث  
 دول على كل منها خليفة يدعى الاحتمية بالخلافة وهم بنو أمية في الأندلس  
 وبنو العباس في بغداد والفاطميون في قيروان . فلما سمع عبيد الله زعيم  
 الفاطميين عن حالة مصر مع ما هي عليه من الثروة والحصب تأقت نفسها  
 إليها وأخذ يسعى للاستيلاء عليها

وبعد ظهور خلافته بخمس سنوات أي في سنة ٢٠١ هـ بعث إلى  
 مصر أربعين ألف مقاتل في ٢ فرق مع الرجاء الوطيد بنوزها . فعلم  
 الخليفة المنتصر بالله ما نواه المهدي فجهز جيشاً كافياً لدفع هذه الرزية  
 عن مصر فحصلت بين الفريقين مواقع عديدة شنت عن فوز الجيوش  
 المصرية فعاد الفاطميون على اعتقهم وتبعهم المصريون حتى أخرجهم من  
 حدود مصر . فرأى عبيد الله بعد هذا الانكسار أن يؤجل افتتاح مصر  
 لوقت آخر ولكنه رأى أيضاً أن استحكامها غير كافية فأسس مدينة  
 أخرى دعاها المهدية نسبة إليه على نية أن تكون عاصمة وقتية لبعث فوج  
 مصر فيجعل عاصمتها عاصمته لأنه كان مصمماً على افتتاحها . إلا أن ذلك  
 الافتتاح لم يتيسر لعبيد الله ولا لخلفائه الأول ولا الثاني . وفي سنة ٢٢٢ هـ  
 توفي عبيد الله المهدي في رقادة وسنة ٦٢ سنة بعد أن تولى الخلافة الفاطمية  
 ٢٦ سنة فتولى ابنه أبو القاسم محمد الملقب بالقائم بأمر الله وكان أكثر  
 تشوقاً للافتتاح من أبيه

وفي أيام أبي القاسم جاء أحمد بن كيفلغ مطروداً من مصر يطلب  
 ملجأً عندك وجعل يبحث على المسير إلى مصر وافتتاحها فرأى القائم أن في  
 افتتاحها عظمة وفخراً فجهز إليها فعلم محمد بن طغج ذلك فحصد الحدود

الغريبة لمصر وجعل فيها حامية قوية لكن ذلك لم يمنع من نزول المقدور لان الفاطميين بعد ان مكثوا قدمهم في الاسكندرية تقدموا بجيوشهم حتى بلغوا النسطاط واحتلوا قسماً كبيراً من الصعيد. ثم رأى القائم بامر الله ان جندة لا يقوون على افتتاح العاصمة فاجل ذلك ريثا تضعف شوكة الدولة العباسية اكثر من ضعفها اذ ذلك فيسهل عليه افتتاحها  
 اما الدولة العباسية فكانت على وشك الانحلال لان اماراتها اخذت تستقل عنها شيئاً فشيئاً. فاستولى الفرامطة على سوريا وقسم من جزيرة العرب والسامانيون وضعوا ايديهم على خراسان والامويون على الاندلس والفاطميون على افريقيا والمحمديون على ما بين النهرين وديار بكر وبنو بويه على الفرس ولم يبق للعباسيين الا بغداد وبعض ضواحيها ومصر

### الدولة الاخشيدية

من سنة ٢٢٢ - ٢٥١ هـ او من ٩٢٤ - ٩٦٨ م

### حكم محمد الاخشيد

من سنة ٢٢٢ - ٢٢٤ هـ او من ٩٢٤ - ٩٤٦ م

فلما رأى ابو بكر محمد بن طنج امير مصر ما كان من انحلال الدولة العباسية وانقسام الدولة الاسلامية على ما تقدم طلب نصبه من تلك القسمة فصرح باستقلاله في مصر سنة ٢٢٤ هـ فاضطر الخليفة الى تعيينه رعيماً عنه وملكه فوق ذلك سوريا مع انها لم تكن بيده وفي ٢٢٧ هـ لقبه بالاخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانا وهو من اولادهم ومنادى هذه اللقبة

في لغتهم ملك الملوك وكان كل من ملك فرغانا لقبوه بالاخشيد كما يلقب  
الفرس ملكهم كسرى والروم قيصر والترك خاقان والشام هرقل واليمن  
تبع والحبشة النجاشي الخ . ومن سلالة ابي بكر هذا كانت الدولة الاخشيدية .  
وفي تلك السنة امر الاخشيد بنقل دار الصناعة من الجيزة الى ساحل  
النيل فنقلت

وفي سنة ٢٢٨ هـ اعطى الخليفة الراضي بالله لقب امير الامراء لمحمد  
ابن رائق حكامدار فلسطين وكان مستقلاً بالحكم عنه فلاح له ان يغزو  
سوريا وكان عليها الامير بدر من قبل محمد الاخشيد فحاربة فهرب بدر  
فنهض محمد الاخشيد لانجاده مستخلفاً في مصر اخاه الحسن وعسكر في  
الفرما وكانت جيوش محمد بن رائق قد بلغت هناك . فنداخل بعض  
الامراء في الامر فانصرفت النازلة بالتي هي احسن وتصلحها فعاد محمد  
الاخشيد الى النسطاط وما بلغها حتى انبى ان محمد بن رائق بارح دمشق  
وفي نيتيه مهاجمة مصر فاسرع الاخشيد حالاً الى ما كان عليه فعاد بجيشه  
الى سوريا فالتقى بقدمة جيش ابن رائق في العريش فحصلت موقعة شنت  
عن انكسار جيش محمد بن رائق وانهمزموه الى دمشق فوضع محمد  
الاخشيد يده على الرملة واسر خمسمائة رجل من جيش ابن رائق . وفي  
هذه الموقعة قتل حسين اخو الاخشيد . فما كان من ابن رائق رغباً عما  
كان بينه وبين الاخشيد من العدوان الا انه انفذ اليه ابنة مزاحم ناقلاً علامة  
الامان ليقتدم احترامات ابيه ويعزي الاخشيد على فقد اخيه . فلما بلغ  
هذا النائب محمد الاخشيد اكرم مثواه وخلع عليه وعقد معه معاهدة من  
مقتضاها ان يتغلى هو عن دمشق وان يدفع له ابن رائق مقابلة لذلك  
جزية سنوية مقدارها مائة الف واربعمون دينار وان تكون البلاد من  
الرملة الى حدود مصر للاخشيد . وبعد ان اتم محمد الاخشيد هذه  
المعاهدات عاد بجيشه الى مصر سنة ٢٢٩ هـ

وفي ٦ ربيع اول من هذه السنة توفي الخليفة الراضي بالله ولم يكن  
سنة أكثر من ٢٢ سنة ومدة حكمه ست سنوات وعشرة اشهر وعشرة ايام  
فبويغ اخوه ابو اسحق ابراهيم الملقب بالمتقي لله



وهذه صورة النود التي  
ضربت في عهد الخليفة الراضي  
بالله سنة ٢٢٨ هـ كما ترى في  
شكل ٢٢

ش ٢٢ نود الراضي بالله

وفي سنة ٢٢٠ هـ أقر المتقي لله محمد الاخشيد على مصر ثم انصل  
بمحمد الاخشيد ان محمد بن رائق قُتل بسيف الحمدانيين فاغنم الفرصة  
لاسترجاع البلاد التي كان اقام بينه وبين ابن رائق المعاهدة عليها فدخل  
سوريا مسرعاً ولم يعد الى مصر حتى استولى على دمشق وما جاورها. وسنة  
٢٢١ هـ تأكد محمد الاخشيد ثبوت قوته فارصى بالحكم من بعده لابنه  
ابي القاسم محمود الملقب بابي هور

وفي سنة ٢٢٢ هـ حصل شغب في بغداد وسببه ان لقب امير الامراء  
الذي كان يهبه الخليفة لكبار الاتراك اصبح في عينتهم اشرف من لقب  
الخليفة. فلما ناله احدهم المدعو طوزون جعل يقاوم الخليفة في احكامه  
حتى حمله على ترك بغداد والمهاجرة الى الموصل فاستجار هناك بناصر الدولة  
وسيف الدولة من امراء بني حمدان واستنصرها فنصرها وجردها جيشاً  
قوياً وساروا وبرفتها الخليفة الى بغداد فهاجموا طوزون فغلبهم وعادوا  
على اعقابهم الى الموصل فخلع الخليفة على كل من الامير بن الحمدانيين  
خلعة الشرف وهذا غاية ما كان للخلفاء ان يهبوه في ذلك العهد. ثم سار  
الخليفة من الموصل الى رقة فلاقاه كتاب طوزون يدعوه الى العود الى  
بغداد. فلما رأى الخليفة ان نصرائه من بني حمدان عجزوا عن مجده تلاح

له قبول ما دعاه اليه طوزون وقبل ان بهم الى ذلك جاءه محمد الاخشيد  
 من مصر يدعو اليها مباءة له فرفض فالح عليه الاخشيد متعمداً ان  
 يقوم بكل ما يلزم الخليفة من النفقات والارزاق بشرط ان لا يعود الى  
 بغداد ويلقي نفسه بين ايدي طوزون فتردد الخليفة بين الامرين . فلما رأى  
 طوزون المذكور تمنع الخليفة عن القدوم الى بغداد خشي ان يكون على  
 ثقة من بصره عليه فجاءه بنفسه وترامى على اقدامه والح عليه ان يتوجه  
 معه الى بغداد مدهياً انه لا يعرف احداً غيره خليفة على المسلمين فسار  
 معه ولم يكذب يبلغ تلك العاصمة حتى خلعه طوزون في ٢٠ صفر سنة ٢٢٢ هـ  
 بعد ان حكم ٤ سنوات و ١١ شهراً وولى مكانه ابنه ابا القاسم عبدالله  
 تحت لقب المستكفي بالله وفي ٢٢ جمادى الثانية سنة ٢٢٤ هـ عزل  
 المستكفي بعد ان حكم سنة و ٤ اشهر وبومين . فبوع مكانه النضل بن  
 المنتدر تحت لقب المطيع لله وبقي هذا على دست الخلافة نحواً من ٢٠ سنة  
 لكنه كان آخر من كانت له السيادة على مصر من الخلفاء العباسيين

وهذه صورة النغود التي

ضربت على عهد الخليفة المطيع  
 لله سنة ٢٥٢ هـ كما ترى في

شكل ٢٢



ش ٢٢ نغود الخليفة المطيع لله

اما محمد الاخشيد فلما رأى الخليفة المتقي ميالاً الى مطاوعة طوزون  
 في السفر الى بغداد مكث في دمشق بضعة ايام ثم عاد الى مصر فسار سيف  
 الدولة الى حلب وكان حاكمها يانس المونسي من قبل محمد الاخشيد  
 فحاربة فاستولى عليها ثم سار متعباً ابراهيم الأوكيلي قائد الجيوش المصرية  
 وغلبه بين سرمين والمعرة واستولى على دمشق التي كانت الى ذلك العهد  
 تحت حكم محمد الاخشيد فارسل محمد الاخشيد في الحال كافوراً الى

سوريا وكان من مواليد و كان له فيه الثقة النامة وارسل معه جيشاً كبيراً .  
 وكان كافور عبداً اسود خصياً مثقوب الشفة السفلى بطيناً قبيح القدمين معتل  
 البدن جلب الى مصر وعمره عشرين سنين فما فوقها في سنة ٥٢١٠ فباعه  
 الذي جلبه لمحمد بن هاشم احد المتقبليين للضباع فباعه لابن عباس  
 الكاتب واتفق ان ابن عباس الكاتب ارسله بهدية يوماً الى الاميراني بكر  
 محمد بن طغج الاخشيد وهو يومئذ احد قواد تكيين امير مصر فاخذ كافوراً  
 ورد الهدية فترقى عنده بالخدم حتى صار من اخص خدمه . فلم يكن  
 باسرع من ورود الخبر من دمشق بان سيف الدولة علي بن حمدان  
 اخذها وسار الى الرملة حتى سار للملاقاة فالتقى الجيشان وكان ذلك يوم  
 الجمعة فاعتذر بنو حمدان انهم لا يجارون في هذا اليوم المبارك فتركوا  
 معسكرهم وساروا يطوفون في الخلاء المجاور فاستغنم كافور فرصة غيابهم  
 وهجم على معسكرهم وسلب كل مؤتمهم ففر سيف الدولة الى حمص فتبعه  
 كافور فسار الى حماه ومنها الى رستوق فتبعه كافور وكان سيف الدولة  
 في انتظاره هناك بقدم ثابتة فلما قدم جيش كافور وجد بينه وبين العدو  
 نهر العاصي فاضطر الى عبوره بجيشه فاغنم سيف الدولة فرصة في غابة  
 المناسبة والعساكر المصرية ساجدة في الماء وهجم عليهم فاخذ منهم خمسة  
 آلاف اسير وجميع امتعتهم وفر كافور الى حمص ومنها الى دمشق  
 فلما بلغ ذلك محمد الاخشيد سار من مصر بجيش كبير حتى وصل  
 المعرة فعلم سيف الدولة بمجيء الجيوش المصرية تحت قيادة الاخشيد فهالة  
 الامر ولكنه لم يشأ الهرب فعمد على ان يهاجم العدو مهاجمة اليأس فارسل  
 خزائنه وعبيده وحرمة الى ما بين النهرين وتقدم بجيشه لمقابلة الاخشيد  
 فالتقى به في قنسرين فقسم محمد الاخشيد جيشه الى فرقتين وجعل الرماحة  
 الى الامام وسار هو وعشرة آلاف رجل من نخبة الرجال الى الورا . فهاجم  
 سيف الدولة الفرقة الامامية وشتتها اما فرقة الخليفة فكانت راسخة القدم

فلم يقدر سيف الدولة على تثبيتها تماماً لكنه استولى على بعض متاعها  
 فافترق الجيشان ولم تنته الغلبة لاحدهما وسار سيف الدولة الى موصل فغير  
 بحيرتها قاصداً ما بين النهرين فرض في رقة وكانت جيوش محمد الاخشيد  
 هناك لا يفصل الجيشين الا نهر الفرات وبقي عدة ايام بدون حرب . ثم  
 عندما صلحاً على شروط من مقتضاها ان حمص وحلب وما بين النهرين تكون  
 لسيف الدولة وان جميع الاراضي من حدود حمص الى حدود بلاد العرب  
 تبقى لمحمد الاخشيد وحفرها خندقاً بين جيوشنا ولبوه حداً فاصلاً بين  
 المقاطعتين حيث لا يوجد لها فواصل طبيعية . وتأيداً لهذا الصلح تزوج  
 سيف الدولة ابنة محمد الاخشيد وعاد كل منهما الى بلاده الا ان المعاهدة  
 المذكورة لم تلبث حتى نقضت بما حصل بين الاخشيد وبني حمدان من  
 المواقع التي آلت الى استرجاع حلب للاخشيد

وفي سنة ٢٢٤ هـ توفي محمد الاخشيد في دمشق في ذي الحجة سنة  
 ستون سنة و مدة حكمه ا سنة و ٢ اشهر ويومين ودفن في القدس الشريف .  
 وكان ممتازاً بصفات حميدة اخضاها البسالة والتدبير في الحرب فكان ملكاً  
 حازماً شجاعاً متأنياً كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير  
 مكرماً للجنود شديد القوى لا يكاد يجر غير قوسه وكان له ثمانية آلاف من  
 بجرسه في كل ليلة الفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم اذا سافر  
 ثم لا يثق حتى يمضي الى خيم الفراشين ولم يكن ينام ليلتين متواليتين في  
 مكان واحد فلم يكن احد عالمًا بمكان نومه . على ان المؤرخين لم يطلعونا  
 على شيء صريح عن حدود مملكته على اختلاف الازمان الا انهم يقولون  
 انه كان يملك كما ملكت الدولة الطولونية في زمانها اي على مصر وفلسطين  
 وسوريا وبين النهرين الى الفرات وقسم كبير من بلاد العرب . وقد  
 شكى المسيحيون من جوره فكان اذا جرد حملة واحتاج لمعاونة اخذها  
 منهم ولو باعوا اناث بيوتهم او كرائمهم في سبيل ذلك . وقال احد

المؤرخين المعاصرين ان محمد الاخشيد كان برد لم ما يأخذهُ في سبيل  
الاعانة وما يرى ساحة الاخشيد انه ظفر بجبأة في الآثار القديمة اصاب  
فيها كثيراً من المواد الثمينة التي تساوي مبالغ وافرة فلم يكن والحالة هذه  
في احتياج الى سلب مال الاهلين

وهذه صورة النقود التي

ضربت في عهد محمد الاخشيد

سنة ٢٢٢ هـ كما ترى في

الشكل ٢٤



ش ٢٤ نقود محمد الاخشيد

### حكم انوجور بن الاخشيد

من سنة ٢٢٤ - ٢٤٩ هـ او من ٩٤٦ - ٩٦١ م

وتولى بعد محمد الاخشيد ابنه ابو القاسم محمد الملقب بانوجور  
وكان صغير السن ليس من السياسة على شيء فعهد تدير الاحكام الى  
كافور وزير ابيه فاخذ كافور يتصرف نحو ابي القاسم تصرفاً اميناً نشيطاً  
مستقيماً يستوجب عليه المدح الجزيل فعزل ابا بكر محمد جاني الخراج  
لتعدد التشكيكات وثبوتها عليه واقام مقامه رجلاً من مارد بن يقال له محمد  
كان عفيفاً مستقيماً فعلم سيف الدولة بوفاة محمد الاخشيد وسفر ابنه  
الى مصر فاغتم الفرصة وقدم دمشق واستولى عليها فعلم كافور بذلك  
فاسرع حالاً بحيش عظيم فلاتى سيف الدولة في الرملة قادماً من دمشق  
للملاقاة والتعم الثريخان فانهزم سيف الدولة الى رقة واستولى كافور على  
دمشق قبل ان يستقر سيف الدولة فيها

وفي سنة ٢٤٥ هـ اغار ملك نوبيا على املاك مصر في بلاده حتى  
 اتى اصوان فوقع فيها السلب والنهب فارسل كافور جيشاً تحت قيادة  
 محمد ابن عبدالله الخازن عن طريق البر وانفذ عمارة بحرية في النيل  
 وفرقة سارت الى البحر الاحمر فتزلت على سواحله ومنها الى ما وراء نوبيا  
 لتسد على النوبيين السبيل فتضائق النوبيون وفروا يظلمون النجاة تاركين  
 حصنهم في ابريم (على ١٥٠ ميلاً وراء اصوان) بيد المصريين  
 وفي ذي القعدة سنة ٢٤٩ هـ توفي انوجور بن محمد الاخشيد  
 بعد ان حكم ١٤ سنة وعشرة ايام وولي مكانه اخوه علي الملقب بابي الحسن

### حكم ابي الحسن علي بن الاخشيد

من سنة ٢٤٩ - ٢٥٥ هـ او من ٩٦١ - ٩٦٦ م

وحكم ابو الحسن على مصر خمس سنوات وشهرين ويومين وكان  
 كافور مع علي كما كان مع اخيه انوجور . وفي سنة ٢٥١ هـ لم يرتفع ماء  
 النيل الارتفاع اللازم لري الاراضي وفي السنة التالية كان اقل ارتفاعاً ثم  
 نزل بغتة والاراضي لم ترتو فحصل في مصر جوع شديد تعاقب القحط  
 بعده ٩ سنوات رافقة اضطراب داخلي آل الى الانشقاق بين ابي  
 الحسن وكافور

وفي اثناء هذه الاضطرابات الداخلية في سنة ٢٥٤ هـ قدم بونانيق  
 القسطنطينية تحت قيادة الامبراطور نيسوقورس فوكاس الى سوريا  
 ودخلوها بجيش جرار فتملكوا حلب وكانت لا تزال الى ذلك الحين في  
 حوزة بني حمدان والنفلو بسيف الدولة فحاربوه . فتجنده وليم الاوقازلي  
 حكمدار دمشق تحت رعاية الاخشيديين واسرع لمساعدة بني حمدان  
 بعشرة آلاف رجل وعلم نيسوقورس بمجيء هذا المدد فاختر الانسحاب

## حكم كافور الاخشيدى

من سنة ٢٥٥ - ٢٥٧ هـ او من ٩٦٦ - ٩٦٨ م

وفي محرم سنة ٢٥٥ هـ توفي ابو الحسن علي فخلقه كافور ونلقب  
بالاخشيدي وطلب من الخليفة المطيع لله ان يثبته في مصر ففعل وهكذا  
عادت سلطة العباسيين الى مصر وكان يدعى لكافور على المنابر بمكة  
والبحار جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وانطاكية  
وطرسوس وغيرها

وبقي كافور في منصبه هذا مدة سنتين و٤ اشهر وكان الفاطميون قد  
استولوا على النجوم والاسكندرية كما تقدم فاخذوا في مدسلتهم رويداً  
رويداً الى جميع الصعيد وتوفي كافور في ١٠ جمادى الاولى سنة ٢٥٧ هـ  
ودفن في القرافة الصغرى وقبته مشهورة هناك

## حكم ابي الفوارس بن علي

من سنة ٢٥٧ - ٢٦٢ هـ او من ٩٦٨ - ٩٧٢ م

فخلف كافور احمد ابو الفوارس بن ابي الحسن علي بن محمد  
الاخشيدي ولم يكن لابي الفوارس من العمر اكثر من احد عشرة سنة فلم  
يثبته الخليفة في الحكم. اما سوريا وغيرها من البلاد الخاضعة للاخشيديين  
فبايعت حسين الاخشيدي الا انه ما لبث ان استناب له المقام حتى جاءه  
الفرامة واخذوا البلاد من يده ففر الى مصر قاصداً اغتيالها من احمد  
ابي الفوارس

ولما انقسمت العائلة الاخشيدية على نفسها قرب حين انقراضها شأن

كل المالك والدول . فلما رأى رجال الدولة ما حصل من الانقسام بين افراد العائلة الحاكمة ملأوا الانتظار فصاروا يستجعدون الفاطميين الذين كانوا قد تملكوا قسماً عظيماً من مصر فلبوا الدعوة ففرّ حسين الى سوريا واستولى على دمشق واما احمد ابو الفوارس فعزل من مركزه وهو آخر من تولى مصر من الدولة الاخشيدية وبعزله انتهت ايام هذه الدولة ولم يدم حكمها اكثر من ٢٤ سنة و ٢٤ يوماً

## الدولة الفاطمية

من سنة ٢٦٢ - ٥٦٢ هـ او من ٩٧٢ - ١١٧١ م

## خلافة المعز بن المنصور

من سنة ٢٦٢ - ٥٦٥ هـ او من ٩٧٢ - ١٢٧٥ م

وكانت الدولة الفاطمية اذ ذاك في خلافة معد ابي تميم الملقب بالمعز لدين الله بن القايم بامر الله وقاعدتها المهدية وسلطتها منشرة على امارات افريقيا والغرب ومالطا وسردينيا وسبيليا واكثر جزائر البحر المتوسط . وما فتئ هذا الخليفة منذ جلوسه على دست الخلافة يمد سطوته في النظر المصري وقد حاول افتتاحها اكثر من مرة ولم يفر حتى اذا كان الخلاف بين ابي الحسن علي وكافور اغتم الفرصة وتقدم في البلاد المصرية . فلما تولى كافور هذه للديار بنفسه توقف المعز قليلاً وعند نهاية حكم كافور جرد جيشاً ارسله تحت قيادة جوهر وهو مملوك رومي رباة المعز لدين الله ابو تميم معد وكناه بابي الحسن

وعظم محله عنده . وفي سنة ٢٤٧ هـ صار في رتبة الوزارة فصبره قائداً للجيوش  
وبعثه في صفر منها في جيش فسار الى ناهرت ووقع في عدة اقوام وافتح مدناً  
وسار الى فاس فنارها مدة ولم يأخذ منها شيئاً فرحل الى سجلماسة ومنها  
الى ان بلغ البحر المحيط واصطاد منه سمكاً جعله في قلة ماء وبعث به الى  
مولاه المعز واعلم انه قد استولى على كل ما مر به من البلدان والامم حتى  
انتهى الى البحر المحيط . ثم عاد الى فاس وألح عليها بالقتال حتى استولى عليها  
عنوة . ثم عاد في اخريات هذه السنة وقد عظم شأنه وبعد صيته . ولما قوي  
عزم المعز على تسير الجيوش لاختد مصر ونهباً امرها فقدم القائد  
جواهر فبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة الف فارس وبين يديه  
اكثر من الف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه كل يوم ويخلو  
به ويتداول معه سرّاً واطلق يده في بيوت امواله فاخذ منها ما يريد زيادة  
على ما حمله معه ويحكي ان المعز خرج يوماً فقام جواهر بين يديه وقد اجتمع  
الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جواهر وقال والله لو  
خرج جواهر هذا وحده افتح مصر ولتدخلن مصر بالاردية من غير حرب  
واتنزلن في خرابات ابن طولون وبنى مدينة تسمى القاهرة تهر الدنيا .  
وامر المعز بافراغ الذهب في هيئة الارحية وحملها مع جواهر على الجمال  
ظاهرة للعبان وامر اولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر اهل الدولة  
ان يمشوا في خدمة جواهر وهو راكب وكتب الى سائر عماله يامرهم اذا  
قدم عليهم جواهر ان يترجلوا مشاة في خدمته . فلما قدم برقة افتدى صاحبها  
من ترجله ومشي به في ركابه بمخمسين الف دينار ذهباً فاتي جواهر الا ان  
يمشي في ركابه ورد المال فمشى . ولما رحل من النبروان الى مصر في ١٤  
ربيع اول سنة ٢٥٨ هـ ودعه اهلها . وما قاله محمد بن هاني بهذا الشأن قوله  
رأيت بعيني فوق ما كنت اسمعُ وقد راعني يومٌ من الحشر اروعُ  
غداة كان الافق سدّاً بثلهُ فعاد غروب الشمس من حيث تطلعُ

فلم ادِرِ اذ ودّعت كيف اودع ولم ادِرِ اذ شيعت كيف اشيعُ  
ومنها قوله

اذا حل في ارض بناها مدائنًا وان سار عن ارض غدت وهي بلقعُ  
تحل بيوت العز حيث محلة وجم العطايا والرواق المرفعُ  
رحلت الى النسطاط اول رحلة بايمن قال بالذي أنت تجمعُ  
فان بك في مصر ظمًا لمورد فقد جاءهم نيل سوى النيل بهرعُ  
فسار جوهر نحو الصعيد واسرع جنوبًا ليرد هجمات ملك نوبيا الذي  
كان نازلًا نحو مصر ولم يدركه جيش جوهر حتى بلغ اصوان وقد  
نهبها وذبح اهلها واستعبد من بقي حيا وعاد الى بلاده اما جوهر فكان قد  
تملك الصعيد جميعه

ولما توفي كافور ووقع الخلاف بين احمد ابي الفوارس وحسين كان  
جوهر على حدود النسطاط فأتاه الاهالي والامراء ومعهم الوزير جعفر  
وجماعة من الاعيان الى المحيزة في يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة ٢٥٨ هـ  
والتفوا بالقائد ونادى منادٍ فتزل الناس كلهم الا الشريف والوزير فترجلوا  
وسلموا عليه واحداً واحداً والوزير عن شماله والشريف عن يمينه ولما فرغوا  
من السلام ابتدأوا في دخول البلد فدخلوا من زوال الشمس وعليهم  
السلاح والعدد ودخل جوهر بعد العصر وطبولة وبنوده بين يديه وعليه  
ثوب ديباج مثقل وتحته فرس اصفر ونزل في ما هو موضع القاهرة اليوم  
ثم نزل الى النسطاط بمن معه وخطب في جامع عمرو باسم المعز لدين الله  
وازال الشعار الاسود العباسي والبس الخطباء الثياب البيض فبايعه الناس  
وبعد يسير اصبحت جميع البلاد المصرية خاضعة للدولة الفاطمية بدون  
اقل مقاومة فحرر لمولاه المعز بما اتاه الله من النفع

وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة امر جوهر ان يزداد عقيب  
الخطبة « اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة

البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم وصل على الائمة الطاهرين اباة المؤمنين . وفي ايامه صار يذكر بالاذان حي على خير العمل . ثم ارسل جوهر الى سوريا احد اركان حربه المدعو جعفر ليتعقب الحسين

وكانت الخلافة العباسية لا تزال في يد المطيع لله الذي لم تكن حكومته الاً نهقراً مستمراً وانحطاطاً متتابعاً . فان الدولة العربية التي كانت في القرون الثلاثة الهجرية الاولى شمساً باهرة باعثة اشعتها على القسم المعمر من الارض امست في ايام المطيع وقد ذهب بهاؤها كأنه قد عراها كسوف فاستقلت امارتها وعلى كل منها امير مسلم لكنه غير عربي فلم تعد تصح تسميتها بعد ذلك بالدولة العربية بل الدولة الاسلامية وكان امراء بني بويه قد اغتصبوا الخلفاء العباسيين جميع املاكهم في اسيا من جهة بلاد فارس . والمطيع وان كان مقبياً في بغداد الا انه لم يكن له نفوذ فيها وقد هجره وزبره واقام له بنو بويه وزبراً من غرضهم تنفيذاً لما آروهم . وغاية ما بقي للمطيع من السلطة في الدولة الاسلامية انما هو تثبيت الولاة متى اقبموا على ولاياتهم لا توليتهم . فكانت الاندلس قد اصحبت في حوزة الدولة الاموية الغربية واسيا العليا في حوزة بني سامان والبصرة وواسط والاهواز والفرس في حوزة بني بويه . والموصل وديار بكر في حوزة بني حمدان . وسوريا العليا وارمينيا كان بعضها في حوزة الفرامطة والبعض الآخر تابعاً لمصر التي كانت الى ذلك العهد في حوزة الدولة الاخشيدية تحت رعاية الخلفاء العباسيين وعلى وشك الانتقال الى الدولة الفاطمية

فلم يأل القائد جوهر جهداً في تثبيت قدم هذه الدولة في الديار المصرية وقد اخذ على عاتق صلاحها وخراجها وكان قد هجرها النظام منذ تداخل بها النساد وساد فيها الخصام الناتج عن زيادة الضرائب وسق الاحكام . فاخذ في تخفيض الضرائب وحفر الترع فارتوت الارض فزادت

غلتها فشبع الزارع ورجح التاجر فاستتب النظام وساد الأمن وبلغ خراج مصر في السنة التي دخلها فيها جوهر ثلاثة آلاف وأربعمائة الف دينار فلما رأى جوهر مناعة الديار المصرية ووفرة عزها لم يبقع لها بالنسطاط عاصمة فشرع ببناء مدينة جديدة جعلها قاعدة القطر المصري دعاها بالقاهرة . وكان تشييد المدن سنة عمومية في ملوك الشرق اذ ذاك فكانوا يبنون المدن وينقلون اليها عظمهم ولعلمهم كانوا يريدون بذلك تخليد ذكروهم . فقد كانت قاعدة المملكة المصرية في عهد الفراعنة منف ثم ابدلت بطيبة ثم بغيرها فغيرها الى عهد اليونان فاستبدلت بالاسكندرية ولما جاء المسلمون ابدلت بالنسطاط حتى اذا كانت الدولة الطولونية استبدلت بالنسطاط على نوع ما بالعسكر والقطائع الى ان جاء جوهر القائد فرغب في تخليد ذكره وذكر مولاه فعمد الى بناء عاصمة الناطميين على كيفية بناخر بها بغداد عاصمة العباسيين

ففي سنة ٥٢٥ هـ شرع جوهر ببناء القاهرة فاخذت بقعة من الارض حيث اناخ جماله يوم جاء لفتح النسطاط فانه نزل الى شمالها فيما مكانة اليوم الجامع الازهر وبيت القاضي وخان الخليلي وبين القصرين وما جاورها من الاماكن التي بين الجبل والخليج وكانت هذه البقعة رمالاً فيما بين النسطاط وعين شمس (المطرية) ولما نزل فيها جوهر لم يكن فيها الا بساكنين قليلة منها بستان الاخشيدي الكافوري شرقي الخليج وميدان الاخشيدي ودبر للنصارى كان يدعى دبر العظام فيو بئر لا يزال باقياً يعرف ببئر الجامع الاقمر وتسميه العامة بئر العظمة . وكان في تلك البقعة موضع يعرف بقصير الشوك ثم عرف بعد بناء القاهرة بقصر الشوك . فأمر جوهر ببناء القاهرة في ذلك المكان وابنى فيها قصرين احدهما اكبر من الآخر عرفا بالقصر الكبير والقصر الصغير جعلها لاقامة المعز عند قدومه الى مصر ولا يزال من اثرها الى الآن محل المحكمة الشرعية المعروف

بهت القاضي يتصل اليه من شارع النحاسين

ففي نحو ثلاث سنوات تم بناء القاهرة (في اواخر سنة ٥٢٦١ هـ) وقد  
بني حولها السور وفيه الابواب ولم يزل بعض آثارها باقياً الى هذا العهد .  
فبعث جوهر الى مولاة المعز بذلك فترك المنصورة التي بناها ابو وسار  
قادماً الى عاصمته الجديدة مستخلفاً على افريقيا وزبره يوسف بن زبري  
فركب في عمارة بحرية الى جزيرة سردينيا ومنها الى سبيليا فصرف فيها  
بضعة اشهر يتفقد احوالها ثم سار منها الى طرابلس الغرب ومنها الى  
الاسكندرية فالقاهرة فوصلها في شعبان سنة ٥٢٦٢ هـ وكان دخوله اليها  
باحفال عظيم من باب زويلة يصحبه يعقوب بن يوسف بن كلس . وكان  
لزويلة بابان متلاصقان بجوار زاوية سام بن نوح الجاورة لسبيل العقادين  
بجوار الخرنفش فدخل المعز من الباب الملاصق ولم يبق له اثر الآن  
فتيامن الناس به وهجروا الباب الآخر حتى جرى على الالسنه ان من  
مر به لا تقضى له حاجة

وفي يوم الثلاثاء ٥ رمضان سنة ٥٢٦٢ هـ دخل المعز لدين الله  
قصره بالقاهرة وعند دخوله خر ساجداً ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل  
من دخل معه واستقر في قصره باولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر  
يومئذ بهجة وكثرة تحف وممنات وبعد ذلك باسبوع اذن بدخول من  
يريد مقابلته للتهنئة وجلس في الابوان فدخل اولاً الاشراف ثم اذن  
بعدم للاولياء وسائر وجوه الناس وكان الفائد جوهر قائماً بين يديه يقدم  
الناس قوماً بعد قوم . وبعد وصوله ييسير امر ببناء تربة في القصر  
الكبير دفن فيها اجداده الذين استخضروا معه بتواييت من بلاد المغرب  
وصارت بعد ذلك مدفناً يدفن فيه الخلفاء واولادهم ونسائهم وكانت  
تعرف بتربة الزعفران وكان موقعها حيث الخان الخليلي الآن . فلما انشأ  
الامير جهاركس الخليلي خانة اخرج ما شاء من عظامهم فالتفت على المزابيل

وفي سنة وصوله عهد ليعنوب بن يوسف بن كلثوم خراج مصر  
 وجميع وجوه الاموال والحسبة والاعشار وجميع ما يضاف الى ذلك في  
 سائر الاعمال . ويعنوب هذا كان يهودياً من بغداد ثم جاء مصر ونقل  
 بعض مصالحها في ايام كافور الاخشيدى واسلم طمعاً بالترقي فاحبته كافور  
 ورقاه . واشترك مع يعنوب في امر الخراج عسلاج بن الحسن وكتب  
 المعز لها سجلاً بذلك فجلسا في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء  
 على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات (الالتزام)  
 وطالبا بالبقايا من الاموال على المتقلمين والمالكين والعمال واستنصبا  
 بالطلب ونظرا في المظالم فتوفرت الاموال وزيد في الضياع وتزايد الناس  
 وتكاثروا وحسنت الاحوال وكثر ضرب النفود الى حد يفوق التصديق  
 ثم ابنتى جوهر جامعاً دعاه الجامع الأزهر وهو اقدم جوامع القاهرة  
 الآجامع ابن طولون واكثرها انشاعاً ولذلك نُقِبَ بالجامع الكبير . واقام  
 جوهر في الجامع المذكور بامر الملك العزيز الآتي ذكره مكتبة ننيسة  
 ومدرسة ذاع صيتها في الافاق وقد كانت تراس العلم ونادي العلماء من  
 سائر المشرق ولا تزال في مثل ذلك الى هذه الغاية . وكانت تُعَلِّمُ فيها كل  
 العلوم العربية كاللغة والنه والمنطق والطب والنلك والرياضيات  
 والتاريخ وكانت تاتيها التلامذة من الاقطار البعيدة كالمغرب وسوريا  
 والعراق والهند وغيرها وكانت تتكاثف الطلبة فيها حتى تُعد بالآلاف  
 ومعدل ذلك العدد اثنا عشر ألفاً . والنقراء منهم يأسسون ويشربون  
 ويلبسون على نفقة الجامع

وقد زاد في بناء الجامع الأزهر وغيره كثير من الملوك والامراء  
 الذين تولوا امر مصر بعد المعز وعلى الخصوص الملك الظاهر بيبرس  
 وقايت باي والغوري من سلاطين المماليك والسيد محمد باشا من ولاة  
 الدولة العثمانية واسماعيل بك وعبد الرحمن كخيا من امراء المماليك

وعبد الرحمن كخبيا المذكور جدد فيه اشياء كثيرة وجعل فيه مدفناً له دفن فيه . واخيراً سعيد باشا ابن محمد علي باشا سنة ١٢٧٢ هـ . ولذلك يكاد لا يوجد فيه الآن شيء من الجدران والاعمدة التي وضعها جوهر القائد فلما رسمت قدم الفاطميين بمصر اصبحت المملكة الاسلامية يتنازعها خليفتان المعز لدين الله الفاطمي في مصر والمطيع لله العباسي في بغداد وكل منهما يجتهد في اثبات الخلافة العامة له وحرمان الآخر منها . ودعوى المعز بالاسبقية مبنية على اتسابه لفاطمة ابنة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد اختلف النسابون في حقيقة دعواه على انه قلما كان يعتمد على شرف الحسب والنسب . وما يحكى عنه انه لما كان قادماً الى القاهرة وخرج الناس للقائه اجتمع به اناس من الاشراف وفيهم عبد الله بن طباطبا المشهور فتقدم الى الخليفة المعز وقال له « الى من ينتسب مولانا » فقال له « سنتقد مجلساً نجمعكم فيه ونسرد عليكم نسبنا » ولما استقر المعز في النصر جمع الناس في مجلس عام وجلس بهم وقال « هل بقي من رؤسائكم احد » قالوا « لم يبق معتبر » فسل نصف سيفه وقال « هذا نسبي » ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال « هذا حسبي » فقالوا جميعاً سمعنا واطعنا

ولم يسكن المعز لدين الله قصره طويلاً لانه توفي بعد ثلاث سنوات من حكمه بمصر (الجمعة في ١١ ربيع آخر سنة ٥٦٥ هـ) وسنة ٤٥ سنة ومدة حكمه جميعها ٢٤ سنة معظمها في المغرب . وكان عاقلاً حازماً اديباً حسن النظر محباً للنجامة شاعراً وينسب اليه من الشعر قوله

لله ما صنعت بنا تلك المهاجر بالمعاجر  
امضى واقضى في التنوس من الخناجر في الخناجر  
ولقد تعبت بينكم تعب المهاجر في المهاجر  
وينسب اليه ايضاً

اطلع الحسن من جيبك شمساً فوق ورد في وجنتك اظلاً

وكان الجمال خاف على الور  
وترى في الشكل الخامس  
والثلاثين صورة نقود المعز  
مضروبة بعد دخوله القاهرة  
بسنة واحدة



ش ٢٥ نقود المعز لدين الله

### خلافة العزيز بن المعز

من سنة ٢٦٥ - ٢٨٦ هـ او من ٩٧٥ - ٩٩٦ م

فلما توفي المعز بويع ابنه نزار بن معد ابو منصور الملقب بالعزيز بالله وبدعوه بعضهم العزيز بدين الله ومولده المهدي في افريقيا. واتسعت المملكة في ايامه حتى اتصلت بمكة. ولم يكن سن العزيز عند مبايعته الا ٢١ سنة فترك ازمة الجند لجوهر. وفوض ليعقوب بن يوسف النظر في سائر الامور وجعله وزيراً له في رمضان سنة ٢٦٨ هـ. وفي محرم سنة ٢٧٢ هـ امر العزيز ان تكون جميع المكاتبات الرسمية باسم يعقوب وان تضى الاوامر باسمه. واهداه كثيراً من القلمان والاموال فرتب يعقوب الدواوين فجعل ديواناً للجيش وآخر للاموال وآخر للخراج وآخر للسجلات والانشاء وآخر للمستغلات وجعل في كل منها كتاباً وروساء كتاب. وكان يجلس في مجلسه الادباء والشعراء والفنهاء وارباب الصنائع وخصص لكل منهم الارزاق والف كتباً في الفقه والقراءات وكان يجلس في كل يوم جماعة يقرأ مصنفاً على الناس بنفسه وكان له مجلس في داره للنظر في رقايع المرافعين والمنظلمين ويوقع بيده في الرقايع ويخاطب الخصوم بنفسه. وتوفي الوزير يعقوب في ٥ ذي الحجة سنة ٢٨٠ هـ وهو اول وزراء الدولة الناطمية بمصر

وكان العزيز بالله قد تزوج امرأة مسيحية من الطائفة الملكية وكان  
يحبها كثيراً فاكسبت نفوذاً عليه فكان يراعي ابناء طائفتها ويرفق بهم  
أكراماً بها حتى اتخذ طيبة الخاص منهم وجعل اخويها في مصاف البطاركة  
الواحد في الاسكندرية والآخر في القدس الشريف

وقدم الى الشام في ايام العزيز هنتكين الشراي من بغداد لغزو  
دمشق . وهنتكين هذا يقال له الهنتكين ابو منصور التركي الشراي غلام  
معز الدولة احمد بن بويه ترقى في الخدم حتى غلب في بغداد على عز  
الدولة مختار بن معز الدولة وكان فيه شجاعة وثبات في الحرب . فلما  
سارت الاتراك من بغداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشهر فيه  
هنتكين الا ان اصحابه انهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فسار بن معه من  
الاتراك وهم نحو الاربعماية الى ان قرب من حوشة احدى قرى الشام وقد  
وقع في قلوب العربان منه هابة . وما زال ينتقل من محل الى آخر ويجمع  
اليو الاحزاب ومنهم الفرامطة حتى غزا القسم الاعظم من سوريا الى  
دمشق ونزل على السواحل

فعلم بذلك العزيز بالله فارسل اليو جيشاً تحت قيادة جوهر فبلغ  
هنتكين ذلك وهو في عكا اما الفرامطة فكانوا في الرملة ولما بلغهم قدوم  
جوهر وجيوش العزيز فروا عنها فنزلها جوهر وسار من الفرامطة الى  
الاحساء التي هي بلاد جماعة وتأخر عدة . اما هنتكين فسار من عكا  
الى طبرية وقد علم بمسير الفرامطة وتأخر بعضهم فاجتمع في طبرية واستعد  
للقاء جوهر وجمع الاقوات من بلاد حوران والثنية وادخلها الى دمشق .  
ثم سار اليها وتحصن فيها فعلم جوهر بذلك فسار الى دمشق ونزل على  
ظاهرها في ٢٢ ذي القعدة وبنى على معسكره سوراً وحفر خندقاً عظيماً  
وجعل له ابواباً

فجمع هنتكين برجاله لقتال جوهر وطال الاخذ والرد الى ١١ ربيع

اول سنة ٢٦٦ هـ . وعند ذلك اختل امر هنتكين وم بالفرار ثم انه  
 استظهر ووردت الاخبار بقدم احمد القرمطي الى دمشق فطلب جوهر  
 الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير ان يتبعه احد وذلك انه رأى  
 أمواله قد قلت وهلك كثير مما كان في عسكره حتى صار اكثر عسكره  
 رجالة واعوزهم العلف وخشي فوق ذلك قدوم القرامطة . فاجابه هنتكين  
 وقد عظم فرحه فرحل جوهر في ٢ جمادى الاولى وجد في المسير الى ان  
 بلغ طبرية وكان قد قرب القرامطة فتعقبوه اليها فسار منها الى الرملة  
 فبعث القرامطة بسرية كان لها مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من  
 العرب . ثم طال الكفاح مدة ١٧ شهراً ففر جوهر الى عسقلان فغم  
 هنتكين شيئاً كثيراً . ثم سار فحاصر عسقلان فبلغ ذلك العزيز فاستعد  
 للمسير ليمد جوهر . اما جوهر فلما طال حصاره راسل هنتكين بطلب  
 اليه تقرير الصلح على مال بحملة اليه وان يخرج من تحت سيفه فعلق هنتكين  
 سيفه على باب عسقلان وخرج جوهر ومن معه من تحته وساروا الى القاهرة  
 فوجدوا العزيز قد برز يريد المسير فساروا معه وما زالوا حتى نزلوا الرملة  
 وكان هنتكين في طبرية فسار الى لقاء العزيز ومعه عدة من رجاله فالتقى  
 الجيشان فلم يكن غير ساعة حتى انهزم جيش هنتكين وفاز العزيز فطلبوا  
 هنتكين فاذا هو قد فر على فرس بمفرده فقبض عليه احد العرب وجاء به  
 الى العزيز وعيانه في عنقه فامر به فطيف به على العسكر على حمل فاخذ  
 العسكر بلطمونه وبهزون لحينه . ثم سار العزيز بهنتكين والاسرى الى  
 القاهرة فاستخدمه ومن معه واحسن اليه غاية الاحسان وانزله في دار  
 وواصله بالعطاء والمخلع حتى قال لقد احتشمت من ركوبي مع مولانا  
 العزيز بالله وتطوقني اليه بما غمرني من فضله واحسانه . فلما بلغ ذلك  
 العزيز قال لعمو حيدرة « يا عم والله اني احب ان ارى النعم عند الناس  
 ظاهرة وارى عليهم الذهب والنفضة والجوهر ولم الخيل واللباس والضباغ

والعقار وان يكون ذلك كله من عندي» وما زال هنتكين برنقي في ظل  
العزيز الى ان توفي سنة ٢٧٢ هـ فظن العزيز ان يعقوب بن كلس سمته  
(وكان لا يزال حياً) لانه كان يلاحظ بينها مناظرة في التقرب من الخليفة  
فاعقله مدة ثم اطلقه

وفي ٢٨ رمضان سنة ٢٨٦ هـ توفي العزيز بالله في بليس على اثر  
مرض طويل بالفولج والحصاة وسنه ٤٢ سنة وبضعة اشهر ومدة خلافته  
٢١ سنة وخمسة اشهر ونصف فنقل الى القاهرة ودفن في تربة القصر مع  
ابائه. وكان العزيز كريماً شجاعاً حسن العنق عند المفردة وكان اسم اللون  
اصهب الشعر اشهل العين عريض المنكبين حسن الخلق قريباً من الناس  
لا يؤثر سفك الدماء محباً للصيد ولا سيما صيد السباع وكان ادبياً فاضلاً  
وما يحكي ان احد الشعراء نظم قصيدة مجابها وزيره وكتب سره  
فرفعا الشكوى اليه وطلب عقاب الشاعر فاطلع على القصيدة فرأى فيها  
هجواً به ايضاً فقال لها «بما اني شاركنكما باحتمال الامانة شاركوني بالعفو  
عن هذا الشاعر»

والعزيز اول من اتخذ وزيراً اثبت اسمه على الطرز وقرن اسمه باسمه  
اول من لبس منهم الخنئين واول من اتخذ منهم الاتراك واستخدمهم وجعل  
منهم القواد واول من رمى منهم بالنشاب واول من ركب منهم بالذقابة  
الطويلة وضرب بالصواجحة ولعب بالرمح واول من اقام طعاماً في جامع  
القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان واول من اتخذ الحمير لركوبه  
اياها. ومن آثاره انه اسس جامع  
الحاكم فلما جاء الخليفة الحاكم اتمه



وترى في الشكل ٢٦ صورة  
نقود العزيز بالله ضربت في

ش ٢٦ صورة نقود العزيز بالله

القاهرة سنة ٢٧٦ هـ

## خلافة الحاكم بأمر الله بن العزيز

من سنة ٢٨٦ - ٤١١ هـ أو من ٩٩٦ - ١٠٢١ م

ولما توفي العزيز خلفه ابنه المنصور ابو علي فبوع ولفب بالحاكم بأمر الله ولكننا سنرى انه لم يحكم إلا أخلاقاً لأمر الله . وكان سنة عند مبايعته احد عشرة سنة فكان الوصي عليه الوزير ارجوان فاغنم ارجوان الفرصة وتمتع بالنفوذ الكلي حتى تجاوز الحد

وكانت مدة حكم الحاكم نحو ٢٥ سنة ثارت في اولها عصبة ادعى زعيمها انه من سلالة الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان وحصل بسبب ذلك خصام وحروب كان النصر فيها متبادلاً وفي المرة الاخيرة قبض على زعيم العصاة والتي في السجن وهرب اتباعه ثم اراد الحاكم ان يرهق على اختلال شعور هذا الرجل فاركبه جملاً واركب من ورائه قرداً وطوفه المدينة والفرد لا يبتك عن فرع ذلك الرجل على راسه الى ان مات اشر مونة

واقام الحاكم في القاهرة مكتبة دعاها دار العلم اودار الحكمة جلس فيها النشاه والعلماء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور الممورة ودخل الناس اليها فكانوا بين ناسخ ومطالع فكانت تفتن بالجمهاير من جميع انواع طلبية العلم بين منجمين ونحويين وفقهاء وغيرهم وكانت تلك الدار مزخرفة بالستائر والنفوش والفرش الثمين واستجلب لها الكتب الثمينة من الاقطار وجعل فيها ما يحتاج اليه من الحبر والاقلام والورق اشبه بما هو في ايامنا المكتبة الخديوية . وكان الحاكم يدعوا اليه العلماء والاطباء والنشاه كل فنة على حدة للمناظرة بين يديه فانه كان يرى في ذلك لذة عظيمة . وفي سنة ٢٩١ هـ امر الحاكم الناس بان يقدوا الفناديل في سائر

البلد على جميع المحابيت وابواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير  
الشارعة ولازم الركوب في الليل وكان ينزل في كل ليلة الى موضع موضع  
والى شارع شارع والى زقاق زقاق وصار الناس من الزينة والوقود الكثيرة  
في الليل يوصلون ليلهم بنهارهم فيفضون طول الليل في البيع والشراء .  
وكان اذا مشى في موكبه امر حاشيته ان لا تمشي بقربه وزجرهم وقال  
ابعدوا ولا تمعوا احداً مني فكانت تقرب الناس منه وتحدق به وتكثر  
من الدعاء له

وبعد يسير اصيب المحاكم بتغيير في عقولهم يفارقه حتى فارقت الحياة .  
وظهر في اثناء ذلك مذهب يدعى درار وزعة جماعة عرفوا  
بالدرارية . ثم توفي الزعيم وخلفه احد تلامذته المدعو حمزة بن احمد  
الملقب بالهادي وسن هؤلاء شرائع كثيرة وعلموا تعاليم مختلفة منها  
تعظيم يوم الجمعة والاحتفال بالاعیاد والتعويض عن الحاج ملكة بزيارة  
مقام طالب في اليمن ومن شرائعهم انهم اباحوا الزيجة بين الاخ واخوة  
والاب وبناته والام وابنائها وجاهوا بامور كثيرة تخالف او تناقض ما  
جاء في القرآن الشريف

فارتاح المحاكم هذه الديانة الجديدة وافتتن بها فتنبها ونسي ديانة ابيه  
وجده . وكان يصعد كل صباح منفرداً الى الجبل المقطم حيث ادعى انه  
يتلقى الجلالة كما كان يفعل موسى . وبعد ان كان اشد نصير للديانة  
الاسلامية نادى جهاراً بمقاومتها وادعى بالسوء على الصحابة وسعى الى  
ابطال الديانة الاسلامية واقامة ديانة جديدة فحبطت مساعيه فاحترقته  
الرعية ولم تعد تعباً بمدعياته فعاد الى نصره الاسلام فاضطهد النصارى  
واليهود والزعم ان يحملوا على ثيابهم علامة تميزهم من المسلمين وامرهم بشد  
الزئار ولبس القبار وان يحمل اليهودي اذا دخل الحمام جرساً والمسيحي  
يحمل على صدره صليباً من الخشب كبير طوله ذراع في مثل ووزنه خمسة

ارطال وان يكون مكشوقاً لبراءة الناس ومنعهم من ركوب الخيل وان  
 يكون ركوبهم البغال او الحمير بسروج الخشب والسبور السود وان  
 لا يستخدموا مسلماً ولا يشتروا عبداً ولا امة وتتبع آثارهم في ذلك فاسلم  
 منهم عدة وهمم الكنائس واخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع وكتب  
 بذلك الى الاعمال فهدمت ما بها ثم امر اليهود والنصارى بالخروج من مصر  
 الى بلاد الروم وغيرها . ونهى عن اكل الملوخيا والجرجير وذبح الابنار  
 السليمة من العاعة . ومنع الناس ان لا يخرجوا بعد الغروب في الطرقات  
 وان لا يظهر احد بها لبيع او شراء فحلت الطرق من المارة وامر بكر  
 اواني الخبور فاريقت من سائر الاماكن واشتد خوف الناس وقويت  
 الشناعات وزاد الاضطراب

ومنع من بيع الزبيب والتي منه في النيل شيئاً كثيراً ومنع من حمل  
 وقطع كروم الحبيزة كلها . ونهى عن لعب الشطرنج وكان يقاصص من  
 يخالف او امره مناقصة عارية من كل رفق

ثم عاد فاذن للنصارى واليهود ان يعودوا الى تعاليمهم القديمة وان  
 يعلموها جهاراً . ثم اخرج كنيسة القيامة القائمة على المنجملجة في اورشليم  
 ثم عاد فيها على نقتو الخاصة . اصدر امراً بسب السلف وامر الناس  
 ان ينقشوا ذلك ويكتبوه بالالوان في سائر المواضع ثم اصدر امراً  
 بصد ذلك واظهر نأسفة لما صدر منه من مثل هذه الجسارة . واصدر امراً  
 مآله ان لا يخرج النساء في الطرقات فلم تر امرأة في طريق البنة وغلفت  
 حمامتين وامر الاساكنة ان لا يصنعوا لهم احذية البنة وان بائعي  
 الماء كولات يبيعوهن ما يلزهن منها بطريقة لا يرى احدها الآخر فيها  
 وهي ان يضع البائع المواد المباعة في مغرفة ذات يد طويلة يدخلها الى  
 البيت من كوة فتأخذ الامرأة ما فيها وتضع عوضاً عنه الدراهم المتفق عليها .  
 وتنادى الحاكم بالادعاء حتى ادعى الالوهية وفتح سجلاً يكتب فيها اسماء

الذين يسلمون له بذلك فكان عدد من كتبوا اسماهم نحوًا من ١٧ النا  
 من اهل القاهرة ولم يتعلموا ذلك الا فرارًا من العقاب. واحب الحاكم ان  
 يشهر يوم نأليه فعلق النار بالمدينة فاحترق بعضها ونهبت عساكره  
 البعض الآخر. فكان هذا الحاكم حملًا ثقيلاً على عائق المصريين والسوريين  
 ولم يستطع احد مقاومته فكان كل منهم يكظم غيظه وهو يسمع باذنو رنة  
 السهم في قلبه

ولكن الامور تجري على سنن محدودة ولا بد لكل منها من نهاية فعلت  
 اخت الحاكم وقائد جيشه ان الحاكم امر بقتلها فعمدا على اغتيالها قبل ان  
 يقتلها فاختار الاحباطات الممكنة. وفي سنة ٥٤١١ هـ قتلاه على الجبل المقام  
 وبعد موته تولت مكانه اخنوخ موقتا ثم نادى بابن علي ابي الحسن الملقب  
 بالظاهر لا عزاز دين الله وريفا له فاستلم زمام الاحكام فبايعوه وبنيت  
 الاحكام في يده ١٧ سنة. ومن آثار الحاكم بامر الله الجامع المعروف بجامع  
 الحاكم وقد تقدم ان العزيز وضع اساسه بواسطة وزيره يعقوب بن كلس فاتم  
 الحاكم بنائه وانفق في سبيل ذلك اربعين الف دينار ودعاه جامع باب  
 النوح لمجاورته له وجعل فيه المنوشات الثمينة والاواني النضبة والذهبية  
 وكان هذا الجامع عند بناؤه خارج سور القاهرة. ثم لما جاء امير الجيوش  
 وجدد الاسوار فابنى باب النوح حيث هو اليوم فاصبح الجامع داخل  
 السور. ثم مهدم بعضه بزلزلة حصلت في ١٢ ذي الحجة سنة ٥٧٠٢ هـ في ايام  
 ركن الدين بيبرس الجاشنكير فامر بترميمه وجعل فيه دروسا اربعة لتعليم  
 الفقه على مذاهب الائمة الاربعة ودرسا لاقراء الحديث وجعل فيه مكتبة  
 نفيسة وصهاريج للماء واماكن اخرى. ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه في  
 ايام الملك الناصر حسين بن محمد بن قلاوون سنة ٧٦٠ هـ على يد الشيخ  
 قطب الدين محمد الهرماس ويقال ان الشيخ المشار اليه وجد في الجامع  
 حجرا مكتوبا عليه هذه الايات لغزا في الحجر المكرم

ان الذي اسررت مكنون اسمه وكسبته كما افوز بوصله  
 مال له جذر ساوى في الهجا طرفاه بضرب بعضه في مثله  
 فيصير ذلك المال الآ انه في النصف منه نصاب احرف كوه  
 واذا نطقت بربعه متكلمًا من بعد اوله نطقت بكنه  
 لا نطق فيه اذا تكامل عدة فيصير منقوطًا بجملة شكله  
 وجامع الحاكم الآن قد تداعت اركانه واقبل مؤخرًا في صعب مخف  
 للآثار العربية تحت ادارة نظارة الاوقاف فيه كثير من الآثار العربية  
 من ادوات الجوامع وغيرها



وهذه صورة النقود الذهبية التي ضربت في  
 ايام الحاكم بامر الله (انظر شكل ٢٧)

ش ٢٧ نقود الحاكم بامر الله

### خلافة الظاهر بن الحاكم

من سنة ٤١١ - ٤٢٧ هـ او من ١٠٢١ - ١٠٢٦ م

وفي ايام الظاهر (سنة ٤٢٢ هـ) توفي الخليفة القادر بالله العباسي الذي  
 كان قد اقيم سنة ٢٨١ هـ خلفًا للطائع واقبل مقامه في بغداد القائم بامر الله  
 وفي سنة ٤٢٧ هـ توفي الظاهر لاعزاز دين الله في ليلة الاحد متصف

شعبان فبوع ابنه معد ابي تميم  
 خليفة مكانه ولقب بالمتنصر بالله  
 وهذه صورة نقود الظاهر  
 لاعزاز دين الله ضربت في



الفاخرة سنة ٤٢٥ هـ انظر ش ٢٨ ش ٢٨ نقود الظاهر لاعزاز دين الله

## خلافة المستنصر بن الظاهر

من سنة ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ او من ١٠٢٦ - ١٠٩٤ م

ولم يكن سنّ المستنصر عند مبايعته أكثر من سبع سنوات وكانت أمه جارية سوداء ابتاعها الظاهر من تاجر يهودي اسمه ابو سعيد سهل بن هارون التستري . فلما رأت ابنتها في هذا المنصب اتت بسيدها الاصيلي وولّته الاستشارة وكانت مدة خلافة المستنصر اطول من مدة كل خليفة فاطمي وأكثر حوادث من الجميع

ففي سنة ٤٢٩ هـ عقد هدنة مع امبراطور اليونان وكان لا ينفك قبل ذلك عن مهاجمة التتوم الاسلامية حتى اخضع حلب ثم تبعها جميع سوريا اما بعد الهدنة فساد الامن الى ان اتت سنة ٤٣٤ هـ بويلاتها فنارت داخلية مصر بنتنة جديدة لظهور رجل ادعى انه الخليفة الحاكم عاد منفصاً وانه جاء لاستلام منصبه الاول وقد ساعد هذا الرجل على دعوته ما كان بينه وبين الحاكم من المشابهة فتبعه عدد من الاهالي وصارت له عصبية اجتمعت امام سراي المستنصر منادية بصوت واحد ( هوذا الحاكم ) الا انها لم تكن قوية الى حد ان تستدعي استعداد الحكومة وبعد يسير انفضح كذب هذا الرجل اذ عرف اصله فاذا هو رجل من شعب بنقال لم سكين وقد جاء للخديعة فهجروا اتباعه وقبض عليه وقتل

ثم سعت ام الخليفة فساداً في الاحكام فغيرت في الوزارة ونقلت الادارة السياسية من يد احمد بن علي ليد حسن بن العنبري ومنه الى صدقة النلاجي وهذا قتل سلته سنة ٤٤٠ هـ فحكم عليه بالقتل فايدل بحسين الجرجاري وفي شوال سنة ٤٤١ هـ قبض عليه وارسل متنبياً الى سوريا واقام مقامه ابو النضل بن مسعود والقاضي يازوري وقد حاز هذا الاخير

على رضا المستنصر فقربه منه بحيث انه كان يعطيه الالقب الخاصة بالخليفة  
ويضرب التتود باسمها معاً

وفي اثناء ذلك اضطربت الخارجية بسبب معز الدولة وكان قد  
ولاه الخليفة على حلب سنة ٤٢٦ هـ فحاول الاستقلال بها فانفذ اليه  
الخليفة جيشاً تحت قيادة ناصر الدولة ابن ابي الهيجاء فكسره فاسترجعه  
وارسل عوضاً عنه الاميرين طرف ورفيق وتحتها جيوش مصرية فلم ينالا  
اكثر مما نال ولحسن الطالع اعناض معز الدولة عن الهجوم على مصر بعد ما  
رأى من اتصاره على جيشها بعقد الصلح فانفذ ابنة وزوجته ليعقدا  
صلحاً مع المستنصر وكانت زوجته بدبعة الجهال فاخذت بمجامع قلب  
المستنصر فوافقها بالتنازل عن حلب لزوجها

وما انتهت هذه المعضلة في الشرق حتى نشأت معضلة اخرى في  
الغرب وذلك ان اميراً يدعى معز بن باديس تظاهر بالعصيان في  
افريقيا لمكانبات عدوانية حصلت بينه وبين الوزير اليازوري فابطل  
ذكر المستنصر في الخطبة واستعاض عنه باسم الخليفة العباسي القائم  
بامر الله ولم يكن لدى المستنصر جيش كاف يرسله لاختماد هذه الثورة  
لاشتغاله باضطرابات داخلية آلت الى سنك الدماء بين قبيلتين من  
العرب وهما بني زايح وبني رباح فرأى الوزير ان يستدرك الخطب  
الداخلي قبل الخطب الخارجي وان يستخدم العدو الواحد لابادة الآخر  
فاجتهد حتى اصلح بين القبيلتين ثم حركها للهجوم على المعز بن باديس على  
ان يجعل لهم في مقابل ذلك قسماً من الارض ملكاً خاصاً بهم لا يشاركهم  
فيه احد فقبلوا فوعدهم ببرقة وطرابلس الغرب

فاستعد المعز بن باديس لملاقاة العربان فحشد جيشاً مؤلفاً من  
٢٠ الف فارس ولم يكن العربان اكثر من ٢ الاف مقاتل فلما التقيا  
بجيش المعز هابوه فطلبوا الفرار فناداهم قائدهم مونس ان يجالدوا في

القتال فاجابوه « ابن نطعن هؤلاء القوم المكسوين بالخود والدروع » فقال « في عيونهم » ومن ذلك الحين لقب موسى هذا بابي العيون وعادت رجاله وقد ثارت فيهم الحمية العربية وما زالوا حتى انتصروا على المعز في تلك الوقعة ثم بقيت الحرب سجالات بين الفريقين مدة ست سنوات وكانت الغلبة طوراً لهؤلاء وطوراً لهؤلاء.

اما المستنصر في مصر فرأى الخارجية في شاغل عنه فعمد الى تزيين القاهرة وبناء البنايات الجميلة فيها فاعاد تذهيب جامع عمرو سنة ٤٤١ هـ وبني فيه في السنة التالية منبراً من الخشب الثمين قائماً على عمد من خشب الصندل واقام فيه منارة جديدة وخصص لهذه الترميمات مبلغاً من خزيرته الخاصة

وفي سنة ٤٤٢ هـ توفي في مصر اميرتان من اغني امراء مصر وهما راشد وعبد وكلاهما ابنتا الخليفة المعز لدين الله فتركت الاولى ثروة مقدارها مليونان وسبعائة الف دينار والثانية مثل ذلك وطالما كان الخلفاء الناطقيون ينتظرون موتهما فاتوا ولم يروها فكان غنيمه باردة للخليفة المستنصر

وفي سنة ٤٤٤ هـ وصل القاهرة نبأ مختلفان . الاول ان الخليفة العباسي في بغداد اصدر منشوراً عمومياً الى سائر العالم الاسلامي بان ادعاء الخلفاء الناطقين بانصالم بعلي لا صحة له . والثاني ان امير اليمن علي ابن محمد الصالح امرا ن يخطب باسم المستنصر في الصلاة وارسل اليه هدايا فسر الخليفة المستنصر لهذين الخبرين الذين يوازن احدهما الآخر ولم يبد حراكاً لاضطراب داخلته على اثر جوع عظيم نتج عن عدم وفاء النيل تلك السنة فاشتد النحط وكان قد احنكر الحنطة وكان يتباع منها كل سنة بمبلغ مائة الف دينار ويحفظها في خزائنه لبيعها عند الحاجة بالاثمان الغالية فاذا كانت سنة رخاء كان الوزير اليازوري يستبدل تلك الحنطة

بقيتها من الخشب او الحديد او ما شاكل . ففي سنة ٤٤٦ هـ لم يغب النيل  
 ولم يكن في خزائن الخنطة الا ما يكفي للخليفة واهل حاشيته قوتاً ضرورياً  
 فقلت الخنطة وغلا العيش فبلغ ثمن الكيس الصغير من القمح ثمانية دنانير  
 واخذ الجوع يتزايد وتبعه الطاعون وامتد الاثنان الى سوريا حتى بلغا  
 بغداد ونوع هاتين الضربتين ضربة ثالثة وهي الحرب . وسببها ان الخليفة  
 المستنصر لما اشتد الجوع في بلاده ارسل الى القسطنطينية يستنجد  
 امبراطورها بالخنطة فرضي الامبراطور ان يرسل له اربع مائة الف اردب  
 ولكنه مات قبل ارسالها . فلما تولت الامبراطورة ولية العهد اوقفت ارسال  
 الخنطة على ان يعقد لها المستنصر معاهدة ( هجومية ودفاعية ) فلم يرض فلم  
 ترسل الخنطة فاستشاط غضباً وامر بالجهاد الديني فانند ناصر الدولة  
 الى اللاذقية وانطاكية لمحاربتهمما فقبض عليه وتفرق جيشه فتعاظم لذلك  
 غيظ المستنصر واشتد انتقامه فامر بالحجز على كل ما في كبسة القيامة في  
 القدس الشريف من الاموال والادوات الثمينة فاضطربت العلاقات  
 الودية بين الدولة اليونانية ومصر

وما زاد المصريين رعباً نجم ذو ذنب طويل ظهر في افق مصر في  
 ١٢ جمادى الثانية سنة ٤٤٥ هـ ولم يغب الى ١٥ رجب منها . غير ان  
 الوزير لم يأل جهداً في تدير الامور بكل حكمة ورزانة فخنفت المصائب  
 واستجلب الفوت الى البلاد رويداً رويداً . على ان سلطة المستنصر كانت  
 لا تزال تزداد في الخارج يوماً فبوم حتى ان الامير ارسلان البساسيري  
 قائد جيوش الخليفة العباسي القائم بامر الله لما كبر شأنه رفض الطاعة  
 لخليفته ورفع في بغداد العلم الناطقي الابيض ودعا للمستنصر على منابرها سنة  
 ٤٥٠ هـ . وفعل مثل ذلك اهل واسط والكوفة وسائر المدن الشرقية  
 الشهيرة واضطر القائم بامر الله ان يوقع على صلح من مقتضاه ان الحق  
 بالخلافة انما هو بحملته للخلفاء الناطقين

فانتشر نفوذ المستنصر الدبني لغاية خراسان وشرقي بلاد فارس  
 فرأى السلطان طغرل بك الذي كان حاكمًا هناك ان انتشار الطائفة  
 العلوية في بلاده يضرُّه فجعل لها حدًّا هناك وسار بجيشه الى بغداد  
 واعاد القائم بامر الله الى منصبه واعاد العلم العباسي والمخطبة للخليفة القائم  
 في ٢٦ ذي القعدة سنة ٤٥١ هـ

وكان المستنصر قد ارسل الى ارسلان مددًا من العدة والرجال  
 وخمسمائة الف دينار وموتًا وزخائر وثيابًا وخيلًا ولكن لما علم باعادة  
 تنصيب الخليفة خشي منه ولم يعد يدهُ واكتفى باتخاذ الاحتياط لمنع تقدمه  
 ولولا ذلك لانتشرت سطوة الدولة الفاطمية الى اقصى ما بلغت اليه الدولة  
 العباسية في عزها . وحصل في اثناء ذلك في سوريا حروب آلت الى  
 ضعف سطوة المستنصر . وذلك ان مدينة حلب كانت الى ذلك الحين  
 لمعز الدولة وكان عرضة لهجوم عرب بني كلاب الذين اقلقوا راحته  
 وطعموا بذات يده فلم يرَ طريقًا للتخلص منهم الا بالالتجاء الى المستنصر  
 فكتب اليه انه لم يعد قادرًا على البقاء في حلب على هذا الحال ولذلك يطلب  
 ان يرد هذه المدينة الى الخليفة وان يأخذ بدلًا منها بلدًا لا يكون للعربان  
 يدُّ اليها . فقبل المستنصر بذلك واعطاه مدن بيروت وعكا وجليل وجعل  
 على حلب مكين الدولة احد قواده فحاصنها في شهر ذي القعدة سنة ٤٤٨ هـ .  
 ثم سافر معز الدولة الى مصر وعقد فيها معاهدة مع المستنصر على المدن  
 التي اعطيت له . وكان مكين الدولة لطيف المعاملة حلبيًا وكان الشعب  
 سعيدًا في ايامه فرخصت الاسعار واستنبت الراحة الا ان بني كلاب لم  
 ينفكوا عن سلب راحته تحت قيادة الامير محمود ابن اخ اميرهم الاول  
 وكان قد عَنف عمه لتسليمه للخليفة باراضي قبيلتهم واحنسب نفسه سعيدًا  
 لانخازه هذه القيادة بنفسه فجاء مدينة حلب وغزاها فقتل حاميتها ودخلها  
 فسلبت له في ٢ جمادى الثانية سنة ٤٥٢ هـ

اما مكين فكان محاصرًا في الحصن فارسل الى مصر يطلب النجدة  
 فسار اليو ناصر الدولة بجيش جرار وكان قد اطلق من انطاكية فلما علم  
 العرب بقدمه اخلوا المدينة فدخلها بسلام ولا معارض ولكن في اليوم  
 الثاني الاربعاء آخر يوم من رجب عاد العرب الى حلب وفتحوها واسروا  
 ناصر الدولة ففتحت هذه المدينة في مدة ثلاثة ايام ثلاث مرات  
 وبعد ان دخل الامير محمود حلب اخلى سبيل ناصر الدولة وصرح  
 له بالذهاب الى مصر وارسل معه هدايا فاخرة. فلما وصل مصر رأى  
 الخليفة ان يكافئه على عدم نجاحه فولاه دمشق. وفي سنة ٥٤٥٥ هـ بدل بيدر  
 الجبالي وهو ارمني المولد لكنه كان مملوكًا عند جمال الدولة ومنه لقبه وقد  
 نقلب في عدة مناصب وكان يظهر منه ما يدل على انه ثابت حازم. ولم  
 تمض على سور يا مدة تحت ولايته حتى ساد فيها الامن لان الخليفة سمح  
 للامير محمود ان يتوّن حلب ولقبه بامير الامراء وعضد الدولة وسيف  
 الخلافة. اما مصر فكانت اقل طمانينة من غيرها لان الوزير يازوري  
 كان يضطهد المسيحيين اضطهادًا شديدًا ويسومهم اشد العذاب ظلمًا  
 واعسافًا واسرًا واغتصابًا وكان يثير ضد المذاهب في المدبريات والقبض  
 على البطريرك كرىستودول وبعض الاساقفة وساقهم الى القاهرة.  
 اما الخليفة فلم يكن راضيًا بذلك فامر باخلاء سبيلهم بكل احترام فشق  
 ذلك على الوزير فامر بقتل جميع الكنائس المسيحية في القطر المصري من  
 يعقوبية وملكة فثار مسيحيو القطر فاستدرك الخليفة الامر بالقبض على  
 الوزير المستبد ونفيه الى نانس وبعد قليل اعدمته الحياة وذلك سنة ٥٤٥٢ هـ  
 فتشاءم المسيحيون من تلك الحوادث اذ رافقها تغيرات فلكية منها  
 الشفق الشمالي وكسوف تام للشمس فكان منظر السماء مهيبًا استمر ٤ ساعات  
 اشتد فيها الظلام بحيث كان يمكن مشاهدة النجوم عيانًا وقد التجأت  
 الطيور الى اعشاشها رهبة. وولى الخليفة مكان يازوري ابا الفرج البالي

و بعد نحو شهرين ابدل بعبد الله بن يحيى ثم بغيره ثم بغيره حتى قلب على  
وزار مصر نحو من ٢٥ وزيراً في مدة ٢ اسنة ولم تكن تزيد بها هذه التقلبات  
الا تعقيداً . كل ذلك والتشكيات ترد الى الخليفة تترى من رجال الدولة  
والرعايا فاحترار في امره ولم يكن يعلم مصدر هذه الفلاقل فاستدعى الى  
حضرته رجالاً من جميع الرتب وكلمهم ملياً وجعل يستطلعهم حقيقة الامر  
فلم يظهر له شيء مما كان يسمعه . ثم ازداد نبوءة السوق على رجال الدولة  
فكانوا اذا اجتمعوا على امر اتنفذوه ولو كان مناقضاً للامر العالية فازداد  
الخليفة اضطراباً وكانت ترد له التقارير المتناقضة فلا يعلم ايها يتبع . ورجال  
القضاء بدلاً من ان ينظروا في التقارير كانوا بصرفون اوقانهم وقواتهم في  
المدافعة عما كان يتقدم في حتم من التشكيات . فاشتد النور من جانب  
الاهالي في الامارات حتى هاجر بعضهم البيوت فازدادت التوضى وكثر  
اللفظ الى حد ينوق التصديق

وكان المستنصر بحال في امر الحج فيذهب في زمرة من الحجاج على  
الجمال مظهر الحج فاذا بلغ بهم محطة بركة عميرة حيث اعتادوا المبيت في  
ذهابهم الى الحج وايابهم منه وتدعى الآن بركة الحج ينزل بهم هناك فتدار  
عليهم الخبيرة عوضاً من الماء ثم يعودون الى القاهرة . ففي سنة ٤٥٤ هـ بينما  
كان الخليفة ومعه الحجاج في المكان المعهود افراط احد الاتراك بالشرب  
فسكر فجرد سيفه على احد العساكر السود من حرس الخليفة فهجم رفاقة  
على التركي وقتلوه فاغناظ الاتراك ونجهموا بكثرة وانوا الى المستنصر  
فائلين « اذا كان قتل هذا برضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير  
رضى امير المؤمنين فلا نرضى بذلك » فاجاب الخليفة ان ما حصل انما  
حصل بغير رضاه فانقض الاتراك على السودانيين وكانوا كثاراً لان ام  
الخليفة كانت سودانية وكانت تحب الاستنكار من مواطنيها فكانت  
تبتاعهم من كل الجهات حتى ملأت سرايتها منهم وكان منهم في اسواق

القاهرة الوف يتألف منهم زرع قوية . فتخاصم الفريقان طويلاً وبعد هرق  
 دماء كثيرين انتهى الامر بان يعتقدوا بينها صلحاً على ان يكون الفائز  
 تحت اوامر الأتراك ثم عادوا الى القاهرة . إلا ان الضغينة كانت تتزايد من  
 الجانبين يوماً فبوم . ولم ينفكوا عن الخصام من وقت الى آخر وكان  
 السودانيون نبعلاً وامر الوزير بتعاطون مصالحهم تحت الحجز في قسلاقم  
 اما الأتراك فافتشوا يستجلبون اليهم عصباً من العرب يفتنون معهم على  
 المشاركة في السراء والضراء . واخيراً اقاموا عليهم ناصر الدولة الذي تقدم  
 معنائه لم ينجح في حملته على سوريا وكان قد عزل من منصبه في دمشق  
 واضمر للخليفة ووزرائه وشراً وكان في القاهرة ينتظر سروح الفرصة للانتقام .  
 فقبل تلك القيادة آلة لتنفيذ ما يريد . ثم علم السودانيون انهم غير كفاء  
 لمقاومة تلك العصابة فهاجروا الى الصعيد فانضم اليهم كثيرون من اهله  
 فاشتد ازهر وكثر عددهم حتى بلغ خمسين الف مقاتل فاحشدوا الى  
 القاهرة والاسكندرية وهاجموا الأتراك في كوم شريك على الشاطي الغربي  
 لفرع رشيد من النيل ( وقد اشتهر هذا المركز بعدئذ في الحملة الفرنسية  
 حيث غلبت المالك ) . فلم يكن الأتراك الا عشرة الآف وقد كمنوا لاعدائهم  
 حتى اذا جاءت الساعة هجموا على السودانيين وهم على الشاطي فالتوا  
 بعضهم في الماء وذبجوا بعضاً آخر وفر الباقون وقد قال بعض المؤرخين  
 ان جملة من قتل وغرق منهم بلغت ثلاثين الفاً

وكانت والدة الخليفة قد نظارت جهاراً لحزب السودانيين مواطنيها  
 فشق عليها امر انكسارهم ففضبت على الأتراك وحقدت عليهم ولا سيما  
 لانهم قتلوا احد اصدقائها المخلصين المدعو ابو سعيد فانفذت الى  
 السودانيين مدداً امكنهم معه المدافعة نوعاً فحصلت مواقع دموية في اماكن  
 مختلفة في جوار القاهرة وفي مصر العلى والسفلى . وكانت التشكيات العديدة  
 لا تزال ترد الى الخليفة في امور مختلفة وجوابه الوحيد عليها قوله « ان ما

حصل انما حصل بدون علي فما انا مشول عنه . وبعد طول الخصام وتكرار المواقع ضعف الفريقان فضغت فيهم حاسة الانتقام فعادوا الى السكنة الا ان القلوب لا تزال على غل تنتظر فرصة للانتقام . وكان عدد الأتراك يزداد كل يوم وقد اصحمت يدهم اثم اعمال الحكومة فاقفلوا الخليفة بالمحاضاتهم المتكررة طلباً لزيادة مرتباتهم . اما هو فكانت قد نذرت ثروته عبثاً فرأى انه غير قادر على اشباع مطامعهم وقد اصبح رقاً لاولئك الارقاء الذين قد ربوا في كنفه ولم يألفوا إلا الحماية شخصو . وكانت والدة المستنصر تزيد في الطين بلة وتاتيو كل يوم بنبأ جديد وتطلب اليه اموراً ما انزل الله بها من سلطان ونصر على ان لا يحاول رفض احدها فضايق المستنصر ذرعاً حتى اضطر في سنة ٤٥٧ هـ الى الفرار على قدميه منفرداً نحو جامع عمرو متظاهراً بتغلية الاحكام والازواء . في هذا المعبد لعبادة الله تعالى الا ان ارباب دولته لما علموا بمكانه حملوه على العدول عن هذا النصد فعاد قانطاً من الحيل

وفي سنة ٤٥٦ هـ قويت شوكة الأتراك وزاد طمعهم في المستنصر واصروا على طلب الزيادة في مرتباتهم وضافت احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال الخليفة واستضعف جانبه فبعثت ام المستنصر الى قواد العبيد نفرهم بالأتراك فاجتمعوا بالمجيزة وخرج اليهم الأتراك في مقدمتهم ناصر الدولة فاقتلوا عدة مرار ظهر في آخرها الأتراك على العبيد وهزموم الى بلاد الصعيد فعاد ناصر الدولة الى القاهرة وقد عظم امره وقوي جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة واحنفه

اما السودانيون فاجتمعوا بعد هذا الانهزام وتكاثر عددهم حتى بلغ نحواً من ١٥ الف مقاتل فاستولوا على الصعيد ثم حاولوا النزول نحو القاهرة ونزل بعضهم الاسكندرية والبعض الآخر في النمسطاط . فنار الذين في النمسطاط بدسية والدة المستنصر فاستنشاط ناصر الدولة

غضباً وعزم على قطع دابر السودانيين من الفطر المصري او ان ينفصل الامر امله واما عليه فجمع عصيته وحارب السودانيين وظهر عليهم وانحن في قتلهم واسرهم في الفسطاط ثم سار الى الصعيد فحاربهم وشتتهم ثم عاد الى مصر السفلى فاخرجهم منها وخصوصاً من الاسكندرية واقام فيها من ببقى به ثم عاد الى القاهرة فنظنها من آثارهم وقتل كل من وصلت اليه اخباره ثم دخلت سنة ٤٦٠ هـ والمستنصر عبثاً بجاول اعادة نفوذه فاستنار كثيرين من ذوي شوره فلم يجده احد منهم نفعاً لانهم هم انتسبهم لم يكونوا يعتبرون فيه البياقة لهذا المنصب

وفي اثناء ذلك اغتم بدر الجمالي فرصة فاستقل بسوريا وكانت الصعيد لا تزال في حوزة السودانيين ومصر السفلى لم تكن تخضع الا لناصر الدولة ولا سيما بعد استيلائه على اسكندرية . وكانت الفسطاط والقاهرة ايضاً تحت اوامره واما اوامر المستنصر فكانت بالكاد تجري على حاشيته . وقد استغل الاتراك واستهانوا بالخليفة واستخفوا بقدره وصار مقرهم في كل شهر اربعمائة الف دينار بعد ما كان ٢٨ الفاً

هذه حالة المستنصر في داخل مصر اما خارجها فلم يكن الحال اصح لان الصالح امير اليمن الذي كان قد بايع الفاطميين قتلته احد قواده ودخلت مكة واليمن في حوزة الخلفاء العباسيين وكانت التت لا تنفك قائمة على الحدود بين حكام الاقسام ومن يعتدي عليهم من الخوارج فيخرجونهم من اماكنهم ويحلقونها فيقدم حكام الاقسام الى القاهرة منهزمين . وفي ختام الاضطرابات جاهر اليونانيون بالحرب . وما زاد الطين بلّة ان المستنصر لسوء تصرفه افسد العلاقات بينه وبين الامير محمود متولي حلب الذي قد تقدم انه حصل على رضائه ونال منه اشرف الالاف . فلما طلب اليونانيون الحرب كتب اليه المستنصر ان يساعده بكيفية من النفود لهاربة اليونان وصرف الاتراك من بلاده فاجاب محمود بقوله

« اما النفود فلا وجود لها عندي لاني قد اقتضت مبلغاً كبيراً لاعادة جلب الي يدي واصحاب المال بطلابوني . اما اليونان فقد عقدت معهم صلحاً فاقضوني مالا لسد احتياجاتي واخذوا ابني رهناً عليها فلا يمكن معادتهم . اما الاتراك فهم قوم اقوى مني كثيراً فاذا حاولت طردهم طردوني » . فاستشاط المنصر غضباً لهذا الجواب وحرر الي بدر الجمالي حاكم سوريا بعهد اليه الاقتصاص من امير حلب العاصي فلم يصدق بدر الجمالي ان جاءه هذا البلاغ فجنده الي حلب واقام عليها حرباً

وفي اثناء ذلك خرج ناصر الدولة من القاهرة لمحاربة السودانيين في الصعيد فلاقي منهم هذه المرة مقاومة لم يسبق له مقاساة مثلها لانه حاربهم مراراً وكانوا يغلبونه في كل مرة فكتب الي الخليفة من الجيزة يشكي اليه امر السودانيين ويلقي كل التبعة على والد الخليفة بانها المهيجة لهم وانها تدمر بالعدو والمال سرّاً بمعرفة ابنتها . فاجاب الخليفة انه لا يعلم شيئاً عن امورنا يتكلم عن نفسه ويقسم انه لم يتدخل في هذا الامر الا اولاً ولا آخراً فتشدد ناصر الدولة ورجاله وضموا اليهم مدداً وعادوا لمهاجمة اعدائهم مهاجمة اليأس ففازوا بهم واخذوا فيهم فالذي لم يقتل لم يرسب سبيلاً للنجاة الا في الفرار فتبعنوا وتلاشت من ذلك الحين قوتهم

ولم يكن نصر ناصر الدولة الا حملاً ثقبلاً على عائق الخليفة ونعمة لضعفه فاصحح لا ينظر اليه الا نظراً لاحتمار وقد اسقط اعتباراً ونفوذ بين رجاله الاتراك فلم يعودوا يكثرنوا باوامره ولا بشخصه واصبح صعلوكهم يقول على الخليفة بكل سوء وتجهروا يطلبون زيادة مرتباتهم فانزعج الخليفة لذلك ولم يكن يأمن على حياته ولا يرتاح في اكله ولا شربه ولا نومه حتى ولا في صلواته ومثل ذلك ناب الوزراء فتنازلوا عن الوزارة وكانت مطالبهم الاتراك مجرد تحكم لانهم كانوا قد نالوا الزيادة اللازمة فبلغت مرتباتهم الشهرية اربعمائة الف دينار كما تقدم . فضلاً عن ان المال نهد فبعثوا

يطالبونه بالمال فاعنذر اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروهم وقالوا بع ذخائرك  
 فلم يجد بداً من اجابتهم واخرج كل ما كان في القصر من الذخائر الثمينة  
 التي كان يجمعها الفاطميون منذ تأسيس دولتهم وصاروا يقومون ما يخرج  
 اليهم باقل الاثمان ويأخذون ذلك في واجباتهم واقتسموها بينهم حسب  
 ما تراءى لهم لا فرق في كونه حقاً او تعدياً . وقد شاهد الخليفة ووزير  
 ماليته المزد قانماً على امتعتهم بدون قياس وهم لا يبدون حراكاً وقد بالغ  
 المؤرخون في مقدار تلك الامتعة الثمينة الى ما ينوق التصديق . ولما نهوا  
 السراي على ما تقدم كتبوا عن طلب زيادة المعاش بعد ان علموا انه  
 لا يملك شيئاً لكنهم دخلوا مقبرة اجداده واخرجوا منها كل ما وجدوه بها  
 من الخف ثم عمدوا الى المكتبة الملوكة وكان فيها نحو عشرين الف مجلد  
 خطي فاقتسموها بينهم الا قسماً كبيراً منها كان يخص ابن المحرق حاكم  
 الاسكندرية فارسل يطلبه اليه ف ارسل له فلما بلغوا بالكتب ايارسطا عليهم  
 بعض العربان من قبيلة لوانة فنهبوا واحرقوا قسماً منها بعد ان اخذوا  
 جلودها ابصطنعون منها احذية لم وتركوا النسم الباقى آكاماً على الرمال  
 وساروا ولم تمض مدة حتى غطتها الرمال فاصبحت تلاً عظيماً يعرف بتل  
 الكتب وفي سنة ٤٦١ هـ لم يكف ناصر الدولة بما حط من نفوذ الخليفة  
 السياسي فعمد على ان يحط من نفوذه الديني ويقم خليفة غيره ولم يكن  
 ذلك ممكناً ما لم يأت بحجة تمنح المنتصر قلبك بترويق النرص فانفق بينا  
 كان خارجاً مع من يبيت الوزير ان لاقاه رجل وطعنه بخنجر فمّم اليه  
 ناصر الدولة وخفته حالاً لان جرحه لم يكن بليغاً ورأى بعدئذ انها فرصة  
 لا يحسن ضباها فادعى ان الخليفة المنتصر هو الذي اغرى هذا الرجل  
 على قتله وان مثل هذا الخليفة الفارق في الملاهي والمسكرات لا يليق  
 للقبض على ازمة الخلافة وكان ناصر الدولة قد اتفق مع اي طاهر حي  
 دارا احد الاشراف وكان مطروداً من سوريا بامر بدر الجمالي وقد اتى

الفاهر وجمع اليه عصابة يشد بها ازرة وكان معروفاً بالتقوى والتدين . فوعده ناصر الدولة ان بوليته الخلافة بعد المستنصر بشرط ان يتعهد بقتل بدر الجمالي حاكم سوريا قبلاً وكان هذا مستثلاً هناك ولكن ناصر الدولة خاف من قدومه الى مصر . فانضم الى الشريف ابي طاهر اميران من بدو سوريا وبعد ان اخذ من ناصر الدولة اربعين الف دينار للنفقات الابتدائية سافر الثلاثة الى سوريا والتف عليهم هناك عدد وافر من الاحزاب اما بدر الجمالي فكان ساهراً على حكومته فلم يلبث الموامرون ان قابلوا حصون بدر الجمالي حتى قبض عليهم واخذت امنعتهم وقتل حي دارا سلخاً

اما ناصر الدولة فلم يترك ساعياً الى مراده واصبحت القوة العسكرية قسمين الواحد على غرض ناصر الدولة وهم الاتراك والآخر على غرض الخليفة . فلم ير الخليفة بداً من اتباع خطة الدفاع بالقوة فكتب الى ناصر الدولة يندره وينصح اليه بما نصه « لما تقربت منا وطلبت حمايتنا حميناك ووسعناك هبات وخيرات فكافينا بالعنوق ومازادك حملنا الائمة فالتيت عصا الشفاق في جيوشنا ونواطت مع ذوبك على دمارنا فالآن اخرج من عاصمتنا ونحن نضمن لك الامان التام ونؤذن لك بان تحمل معك من ثروتك ما شئت الى حيث شئت وان لم تدعن الى امرنا هذا اوقعنا بك غفاباً صارماً » . فاجابه ناصر الدولة ساخراً ومخفراً فبعث المستنصر الى قواد الاتراك الذين كانوا من حزبه وبينهم دكوز وهو من الداعاء ناصر الدولة (مع انه حموي) وجاء معهم قواد المغاربة وامراء كتامة وطلب اليهم مبايعة ثانية فبايعوه . فرأى ناصر الدولة عدد رجاله قبلاً فبارح القاهرة الى الجيزة فاغتنم حزب الخليفة فرصة غيابه فهبوا بيته وبيوت جميع من معه وقتلوا كثيرين من اتباعه ثم ركب المستنصر جواده وليس درعه وتبعته الموسيقى العسكرية واحاطت به الاعلام فمر من تحنها جميع من في

القاهرة من الاترك وفيهم عدد عظيم من ضباط ناصر الدولة وسار الموكب حتى اتى فيما بين القاهرة والنسطاط فنودي بالنصر للخليفة المستنصر . اما ناصر الدولة فلما رأى ما كان من قلة رجاله ونفاد ماله فرّ الى الاسكندرية وتحصن فيها وبعث الى عائلته واولاده ان يقدموا اليه ثم عمل على بث مباديه في مصر السنلى بمساعدة بعض القبائل البدوية فحمل الناس على خلع المستنصر ومبايعة القائم بامر الله العباسي

اما النسطاط والقاهرة فلم تكونا في معزل عن مثل تلك الفلاقل لان الجوع كان قد تمكن منها لتقصير النيل مدة خمس سنوات متواليات وامتد الجوع الى سنة ٤٦٤ هـ لكن معظمه كان في سنة ٤٦٢ هـ . ومنذ سنة ٤٥٧ هـ لم يكن وفاء النيل كافيًا لري الاراضي ثم جاءت بعد ذلك الفلاقل التي اقتضت الاسراف بالحبوب ورافق كل ذلك انشغال الحكومة عن الزراعة باصلاح سياستها الداخلية فكل هذه الاسباب جعلت الحنطة نادرة جداً فبلغ ثمن الارب الواحد مائة دينار والنقطة ٣ دنانير والكلب ٥ دنانير ومع هذه الاثمان لم يكن ثم شيء من الطعام ورافق هذه الغلاء وباء شديد مكث سبع سنين فلم يوجد من بزرع وشمل الخوف من في العمسكية وكانت ثورة العبيد فانقطعت الطرقات برًا وبحرًا الا بالحنطارة الكثيرة . ولما استفحل امر الجوع جاء المستنصر الى محافظ القاهرة وانذره مقمًا براسه انه اذا كان لا يتخذ طريقة لتخفيف هذه النازلة يقطع عنقه وكان الوالي عارفاً بوجود مخاني كيرة من الحنطة ولكنه لم يكن يعلم مقرها فاخرج بعض المسجونين المحكوم عليهم بالاعدام والسهم ملابس الاغنياء واقفهم في رحبة عمومية وامر بقطع رؤوسهم بدعوى انه لم ير سبيلاً لتخفيف وطأة الجوع الا بقتل الاغنياء وقال انه لن ينفك عن قتل مثل هؤلاء حتى يشبع الناس فغاف الاغنياء الذين كانوا قد اخضوا الحنطة ونهضوا مخازنهم وفرقوا الزاد على العباد

وكان ناصر الدولة قد عقد النية على حصر جميع حبوب مصر السفلى  
 وقطع وارداتها الى القاهرة وجهاتها واغتم هذه الفرصة للقدوم الى القاهرة  
 ومحاصرتها بعد ان احرق كل ما مر به من القرى والمدن فاضطر الخليفة  
 بعد طول المقاومة ان يفتح ابواب المدينة لناصر الدولة واتباعه . ولما  
 دخل ناصر الدولة القاهرة زاد قحّة وطمعا فعاد الى مطالبه مدعيا ان  
 له على الخليفة مرتبات متاخرة وبالغ في احقاره الى ما تنفر النفس من  
 سماعه . فيحكى ان ناصر الدولة بعث مرة الى الخليفة فراه الرسول في سراية  
 خربة جالسا على حصير بال لم يكن في تلك السراية من الفرش غيره وقد  
 اصبح لا حاشية عنده الا ثلاثة عبيد نصف عراة فطلب الرسول دفع  
 المتأخرات فالتفت اليه الخليفة قائلا « أما يكفي ناصر الدولة ان اجلس  
 في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فليأخذ اذن هذا الحصير وهؤلاء  
 العبيد وهذه الاثواب التي لا تكاد تستر عورتى وليتصرف عني » فبكى  
 الرسول ورجع الى ناصر الدولة واخبره فتأمر من هذا القول واحمرّ خجلا  
 وتنازل عن طلبه وخصص للمستنصر مرتبا شهريا (ويقال يوميا) مقداره  
 مائة دينار بنفقة في حاجات بيته

وفي سنة ٤٦٥ هـ نصالح ناصر الدولة مع حميه دكوز الا ان هذا لم  
 يزل في ريبة من مقاصد صهره فعمد الى ايتاع الأذى به فدخل عليه يوما  
 في بيته وطعنه بالخنجر فقتله وقتل اخاه فخر العرب واخذ راسيهما والقي  
 بهما بين رجلي الخليفة . على ان ذلك لم يكن ليسكن بال المستنصر اذ قد  
 تخلص من شره ووقع في آخر لان دكوز لم يكن اقل معاكسة له من صهره  
 فالتجأ الى الاستنصار بيدر الجمالي حاكم سوريا المتقدم ذكره فكتب اليه  
 سرا ان يأتي بجيشه الى مصر وهو يولييه عليها فقبل بدر الجمالي مشروطا  
 التصريح له ان يستبدل جنود مصر بمن يختارهم من السوريين  
 فسافر بدر الجمالي من سوريا في عصابة من رجاله قد اخبر شجاعهم

وامانتهم من مدة طويلة وسار في البر حتى اتى عكا فسار منها بحراً وكانت  
الريح جيدة على غير المعتاد في مثل ذلك التصل لانه بارح عكا في اول  
دسمبر (كانون الاول) وبلغ مصر ولم يشعر احد به ونزل بين نانس وديباط  
فاستقبله سليمان كبير اهل الهيئة وساروا جميعاً نحو القاهرة فنزلوا في  
قليوب وطلبوا من الخليفة ان يقبض على دكوز قبل دخولهم القاهرة فنقبض  
عليه واعقله في خزانة البنود فدخل بدر الجمالي القاهرة يوم الاربعاء في ٢٩  
جمادى الاولى سنة ٤٦٧ هـ . ولم يكن عند الامراء علم من استدعائهم  
فما منهم الا من اضافه فلما انقضت نوبهم في ضيافته استدعاهم الى وليمة  
اعدها لهم في منزله وبيت مع اصحابه ان تقوم اذا اجنهم الليل فانهم لا بد  
يحتاجون الى الخلاه فمن قام منهم الى الخلاه يقتل هناك ووكل بكل واحد  
واحد من اصحابه وانعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال  
واقطاع وغيره . فصار الامراء اليه وظلوا يهاجم عنده وياتوا مطشبين فما  
طلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤوسهم  
بين يديه فقويت شوكتهم وعظم امرهم وخلع عليه المستنصر بالطيلسان  
المنور وقلده وزارة السيف والشم فصار القضاء والدعاة وسائر ارباب  
الدولة من تحت يده وزيد في القايم لقب امير الجيوش كافل قضاء  
المسلمين وهادي دعاة المؤمنين . وتبع المنسدين فلم يبق منهم احد حتى  
قتله وقتل من امائل المصريين وقضايتهم ووزرائهم جماعة ثم خرج الى  
الوجه البحري فاسرف في قتل من هناك من لوانة واستصنى اموالهم وازاح  
المنسدين وافنام بانواع القتل وصار الى البر الشرقي فقتل منهم كثيراً  
ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها اياماً  
من محرم سنة ٤٧٧ هـ الى ان اخذها عنوة وقتل جماعة من كان بها وعمر  
جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائهم في ربيع الاول سنة  
٤٧٩ هـ ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والنمالة وافنى اكثرهم بالقتل وغنم

من الاموال ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساده  
 وكان يسمى جهده في سعادة الاهالي لينسبهم ما قاسوه طويلاً فنشط  
 الزراعة وباح الارض للزارعين ثلاث سنين حتى ترققت احوال الفلاحين  
 واستغنوا في ايامه وسهل سبل التجارة فاحضر التجار الى مصر لكثرة عدله  
 بعد انتزاحهم منها في ايام الشدة وامر باقامة البنايات العظيمة في القاهرة  
 وغيرها من المدن الكبيرة وشاد الجوامع في الاسكندرية والقاهرة وجزيرة  
 الروضة بقرب المنيا وكان المنيا في احتياج الى الاصلاح فاصلمه  
 اصلاحاً يصح ان يقال فيه انه بناء ثانية وبني دار الوزارة الكبرى ودعيت  
 بالدار الافضلية وسكنها ولم يزل يسكنها بعده من بلي امرة الجيوش الى  
 ان انتقل الامر الى بني ايوب فاستقر سكن الملك الكامل في قلعة الجبل  
 خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم ارصدت دار  
 الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة وعادت سطوة الخليفة السياسية  
 والدينية الى الديار المصرية وغيرها وعادت مكة الى مبايعة المستنصر  
 بعد ان صرفت خمس سنوات تحت حماية الخليفة القائم بأمر الله العباسي  
 في بغداد ورفعوا الغطاء الاسود عن الكعبة ووضعوا مكانه الغطاء الابيض  
<sup>(١)</sup> منقوشاً عليه اسم المستنصر بالله ولقبه . وبقيت مصر بعد ذلك مدة  
 عشرين سنة ولم يحدث فيها ما يهيج التاريخ ذكره واقل الامم ذكراً في  
 التاريخ بعدها

اما سوريا فان الامير انزل احد الامراء التركمانين اغتم قرصة غياب  
 بدر الجبالي امير الجيوش عنها فقدم اليها غازياً فاستولى على بيت المقدس  
 وطبرية وما بعدها حتى دمشق ثم قدم الى مصر في عشرين الف مقاتل  
 وعسكر في سهل بجوار القاهرة وكانت الجيوش المصرية مشغلة في اطفاء  
<sup>(٢)</sup> اللون الابيض يختص بالفاطميين والاسود بالعباسيين والاخضر

ما بقي من نيران الثورة في الصعيد فاضطرب اهل القاهرة ولم يرب بدر  
الجمالي بدأ من مصالحة انسز التركاني على مبلغ مائة وخمسين الف دينار  
يدفعها له بعد انحابه من مصر فنظراً لفروغ جيب انسز قبل بتلك  
الشروط لكنهما لم تدم اكثر من خمسين يوماً تمكن امير الجيوش اثناءها من  
استدعاء جيوشه من الصعيد واستجلاب قسم من كبار العربان الذين  
تألف منهم معظم خيالة انسز وبعض رجال التركان الذي اتوا معه .  
فلما صارت الجيوش المصرية على مقربة من القاهرة كتب امير الجيوش الى  
قافلة كانت تهبأت الى الحج كتاباً ونصه « ان الجهاد في سبيل الله اعظم  
ثواباً عند الله من زيارة الحرمين فانضموا الى جيوشنا » فاطاعوه ففرق  
فيهم المال والسلاح . فلما تكامل عدد رجاله جمعهم وهمم على انسز  
ذات صباح بغتة واحكم في رجاله السيف فانهزموا بعد ان خسروا عدداً  
وافراً منهم فنبعهم العربان والمصريون الى مسافة بعيدة ثم عادوا الى  
معسكرهم فوجدوا فيه نحواً من عشرة الآف ولد بين اثبات وذكر وقد اسرم  
التركان من مصر . وخسر التركان على اثر تلك الموقعة جميع الاراضي التي  
افتتحوها في سوريا فدخلت في حوزة الخليفة المستنصر . ومات انسز في  
دمشق اشفي مونة

فلم بعد امام بدر الجمالي من يخالف اوامر او يقف في سبيل مقاصد  
في اصلاح البلاد . وكان سور القاهرة قد تهدم بعضه فشرع في ترميمه  
وتقويته فزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير  
وفما بين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن  
وزاد عند باب النصر ايضاً جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الى باب  
النصر وجعل السور من لبن واقام الابواب من حجارة وبنى باب زويلة  
وعلى ابراجه ولم يعمل له باشورة كما هي عادة ابواب الحصون من ان  
يكون في كل باب عطف حتى لا تنجم عليه العساكر في وقت الحصار

ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه جعل في بايو زلاقة من حجارة صوانية عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تنزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل بن العادل الابوي فانفق مروره من هناك فاختل فرسه وزلق به واحسبه سقط عنه فامر بنقضها فنقضت وبقي منها شيء يسير وكان احدها في ايام المقرئ لا يزال موجوداً قرب قيو الخرنفش . وبعد بضع سنين اضطرب القطر من عصبه ثارت تحت قيادة ابن بدر الجمالي لكنها لم تكند نأتي بضرر حتى انكسرت شوكتها

وفي سنة ٤٨٢ هـ احصى امير الجيوش الاراضي المصرية ومقدار خراجها وقابلها بما كان يحصله الحكام قبله فرأى ان الخراج الذي كان يُستخرج منها قبله لا يزيد عن مائتين وثمانماية دينار اما في ايامه ف تجاوز ثلاثة ملايين ومائة الف دينار وما ذلك الا لعنائوه الخصوصي بالزراعة وتنشيط التجارة وكانت زاهرتين في ايامه . وما زال عاملاً بنشاط الى اوائل ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ فتوفي في القاهرة سنة ثمانون سنة بعد ان حكم في مصر عشرين سنة حكماً مطلقاً وكان محترماً ومهاباً من الجميع وفي يده ازمة الاحكام يديرها بكل حكمة ودراية وثبات فتكاثرت ثروة البلاد وخصبها الى حد لم تبلغه قبلاً وكان ينشط الزراعة والتجارة والعلم والادب على السواء . وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قيل انه قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالفها منها نحو عشرين الف من البحيرة ومثل ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واصوان والقاهرة الا انه عمر البلاد واصحها بعد فسادها بانلاف المنسدين من اهلها . ولا يزال امير الجيوش معدوداً لدى المصريين بمنزلة عمرو بن العاص واحمد بن طولون

وبعد وفاة امير الجيوش ببضعة ايام توفي الخليفة المستنصر في ١٨

من الشهر نفسه سنة ٦٧ سنة وخمسة اشهر صرف منها ستين سنة في منصب  
 الخلافة الا انه لم يكن اهلاً لادارة الاحكام لضعفه وقصر حبه وتصديقه كلما  
 يقال له منها كانت حقيقته فلم يكن لقب الخلافة له الا اسماً لغير معنى .  
 وعلى طول مدة خلافته لم يحدث فيها خلا تلك الضيقات العظيمة ولم تكن  
 مصر وحدها التي قاست العذاب تحت حمايته فان سبيلها التي كانت  
 اغنى اراضي الفاطميين تربة وكانت قبلاً تحت حكم الاغالبة نظراً لبعدها  
 من كرسي الخلافة لم تكن فيها فائز و كان الولاة الذي يرسلون اليها  
 لا يتفكرون عن محاولة الاستقلال . فني ايام الخليفة المعز لدين الله كان على  
 هذه الجزيرة والى يقال له احمد رأى منه الخليفة ميلاً عن الطاعة فنفاه الى  
 افريقيا واقام مقامه بايس وبعد غير وساروا كلهم على خطة واحدة  
 فكانت الفلاقل وانقسم اهالي الجزيرة على انفسهم فلم يعد في امكانهم دفع  
 من يغزوم من المسيحيين وزد على ذلك ان المسيحيين المنفيين في الجزيرة  
 نظراً لما كانوا يعاملون به من الاستبداد كانوا يودون النجاة من نير  
 المسلمين فجعلوا يكتبون ابنا ملتهم من الدول الاخرى وكان كل هذا  
 في ايام المستنصر وانتهى بخروج تلك الجزيرة من المملكة الاسلامية  
 وكيفية ذلك ان اسلام هذه الجزيرة كانوا على حزين متضادين برأس  
 احدهما ابن تمامه فغاربا فانهم ابن تمامه برجاله والنجاء الى مدينة  
 كانان وكانت في حوزة الفرنسيين منذ سنة ٢٧٢ هـ فاستبشر  
 الفرنسيون بقدمه فآكروا وفادته وامدوه بالعدو والرجال اما الحزب  
 الآخر فكان قد استمد المعز بن باديس فامدم بفرقة من افريقيا فكانت  
 بين الحزبين موقعة احدثت ناراها على الخصوص بين الاحزاب المساعدة  
 وهم رجال المعز بن باديس من الجهة الواحدة والجيوش الفرنسية تحت  
 قيادة القيس روجر الاول من الجهة الاخرى وانتهت بانتصار ابن تمامه  
 ورجال روجر وانهمز من كان في الجزيرة من المسلمين فدخلها روجر

وقد نفذ سهمه على يد ابن تمامة فاخذ يسعى الى تمكين قدمه فبايعه اهلها سنة ٤٥٣ هـ وهكذا خرجت هذه الجزيرة من سلطة الناطيبين . وما زالت سيسيليا في حوزة روجر الى ان مات فخلته ابنة ولقب روجر الثاني في سنة ٤٩٥ هـ فتنوع خطوات ابيه في اصلاح شأن الجزيرة فتقدمت في ايامه نندما عظيماً لم تبلغه في سائر ازمائها فنست الازمان التي مضت عليها وهي غارقة في التقلب والتخربات وسنك الدماء . اما المسلمون الذين اختاروا المكوث في الجزيرة فكانوا متمتعين بجميع حقوقهم المدنية والسياسية والدينية



وترى في الشكل التاسع والثلاثين صور النقود التي ضربت على عهد ملوك سيسيليا الاقدمين في باليرم عاصمة ايطاليا اذ ذاك



ش ٢٩ نقود ملوك سيسيليا القدماء . مضروبة في باليرم

وفي الشهر الاول من سنة ٤١٧ هـ توفي المنندي بالله الخليفة السابع والعشرين من بني العباس وفي الشهر الاخير توفي المستنصر ووزيره الباسل امير الجيوش كما تقدم وكانت وفاتها خسارة جسيمة على العالم الاسلامي وصدمه قوية على الخلافة . وترى في الاشكال ٤٠ و٤١ و٤٢ صور النقود الذهبية التي ضربت في ايام الخليفة المستنصر بالله فالاولى ضربت



في القاهرة سنة ٤٢٨ هـ والثانية في صور سنة ٤٤٢ هـ والثالثة ضربت سنة ٤٦٥ هـ . ولم يغفل بدر الجمالي قبل موته عن النظر في

ش ٤٠ نقود المستنصر ضربت سنة ٤٢٨ هـ

مستقبل الملكة فاضى بتدبيرها لولده الثاني شاهين شاه (لان

الاول كان عاصياً كما تقدم) فانه  
كان فاضلاً حكيماً وكان قبل وفاة  
ابيه لا ينفك عن ملاصقته والاكساب



ش ٤١ نفود المستنصر ضربت سنة ٤٤٢ هـ

من سيرته فتدرب على يده وكان  
يساعده في ارائه فرأى فيه ابوه  
رجلاً يليق بادارة الاحكام واستلام  
زمام الامور ولما تولى شاهين شاه



ش ٤٢ نفود المستنصر ضربت سنة ٤٦٥ هـ

الوزارة لتب بالافضل ويجمع الالجاب والامتيازات التي كانت لابي  
امير الجيوش

### خلافة المستعلي بن المستنصر

من سنة ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ أو من ١٠٩٤ - ١١٠١ م

اما المستنصر فاضى بالخلافة لابنه الثاني احمد الملقب بابي القاسم  
فبادر الافضل الى القصر واجلس ابا القاسم احمد بن المستنصر في منصب  
الخلافة ولقبه بالمستعلي بالله وسير الى الامير تزار والامير اسماعيل اولاد  
المستنصر فجماعهم اليه فاذا اخوهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا  
لذلك وشق عليهم فامرهم الافضل بتفجيل الارض وقال لهم « قبلوا الارض  
لمولانا المستعلي بالله وبابعوه فهو الذي نصّ عليه الامام المستنصر قبل  
وفاته بالخلافة من بعد » فامتعضوا من ذلك وقال كل منهم ان اباه قد  
اوصى له بالخلافة وقال تزار لو قطعت ما بايعت من هو اصغر مني

وخط والدي عندي بالي ولي عهد وانا احضره وخرج مسرعاً ليحضر  
 الخط فمضى لا يدري بواحد ونوجه الى الاسكندرية فلما ابطأ بجيشه بعث  
 الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبراً فاترجع لذلك انزعاجاً عظيماً .  
 وكان الافضل حاقداً على نزار لاسباب منها انه دخل يوماً من باب  
 وهو راكب فصاح به نزار انزل يا ارمي الجنس فحقدتها عليه وصار كل  
 منها بكره الآخر فلما مات المستنصر خاف الافضل من مبايعة نزار لانه  
 كان رجلاً كبيراً وله حاشية واعوان فعمد على مبايعة اخيه احمد بعد ان  
 اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار وما زال بهم حتى وافقوه على الاعراض  
 عنه وكان من جعلتهم محمود بن مصال فبعث الى نزار واعلمه بما كان من  
 اتفاق الافضل مع الامراء على اقامة اخيه احمد وادارته لم عنه ثم كان  
 استدعاء الافضل له ولاخيه لمبايعة اخيهما . فلما خرج نزار ليأتي بوصية  
 ابيه له بالخلافة سار من القصر متنكراً وبعث ابن مصال الى الاسكندرية  
 وفيها الامير نصر الدولة افنكيك احد ممالك امير الجيوش بدر الجمالي  
 ودخلا عليه ليلاً واعلماه بما كان من الافضل وتراميا عليه ووعده نزار  
 بان يجعله وزيراً مكان الافضل فقبلها اتم قبول وبيع نزار واحضر اهل  
 الثغر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الافضل فاخذ  
 يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر محرم سنة ٤٨٨ هـ بعساكره وسار الى  
 الاسكندرية فبرز اليه نزار وافنكيك وكانت بين الفريقين عدة حروب  
 شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بين معه منهزماً الى القاهرة فقوي نزار  
 وافنكيك وصار اليها كثير من العرب واشتد نزار وعظم واستولى على بلاد  
 الوجه البحري واخذ الافضل يتجهز ثانية لمحاربتيه ودرس الى اكابر  
 العربان ووجه اصحاب نزار وافنكيك ووعدهم وسار فاصطاد  
 الاسكندرية فتل اليها وحاصرها حصاراً شديداً والح في مقاتلتها . فلما كان  
 في ذي النعثة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر في

البحر الى جهة بلاد الغرب فانكسرت شوكة نزار واشتد الافضل ونكثرت  
جموعه فبعث نزار وافتكين اليه يطلبان الامان فامتنها ودخل  
الاسكندرية وقبض على نزار وافتكين وبعث بهما الى القاهرة فاما نزار  
فانه قتل في القصر بان اقيم بين حائطين بنا عليه فوات بينهما واما افتكين  
فقتله الافضل بعد قدومه

فعاد النظام الى البلاد فعكف الافضل على استرجاع البلاد التي  
كانت قد خرجت من الدولة الناطمية ودخلت في حوزة دولة جديدة  
أقيمت على أثر الدولة العباسية نعتي بها دولة الأرمن

وكيفية نشوء هذه الدولة ان السلجوقيين خرجوا من بلاد التتر قبل ذلك  
المحين بنصف قرن فافتحو بلاد فارس وكانت تابعة للدولة العباسية ثم  
التفوا في غربها بقائل من التركان عائشين على تربية المواشي لا معرفة لهم  
بالحروب فاخرجوهم من ضواحي بحر قسبين وساقوهم الى حدود سوريا .  
فلما بلغوا ذلك المكان اضطروا لتنازع البقاء ان يقاوموا من يمنهم من  
نوال رزقهم فاستخدموا قوتى الهجوم والدفاع حتى اصبحوا كغيرهم من  
الحاربيين ولكنهم ما لبثوا ان اصبحوا كذلك حتى كانت الدولة السلجوقية  
قد امتدت الى حيث هم فدفعتهم امامها فتهقروا الى غربي سوريا وانتشروا  
فيها وفي فلسطين . فامير التركانيين المتقدم ذكرهم كان يدعى ارئق  
ابن اكسك استولى على اورشليم فأسس دولة عرفت بدولة الأرمن .  
وفي سنة ٤١٤ هـ توفي ارئق ناركًا ولدين الغازي وسقان محكما معاني  
بيت المقدس وسائر فلسطين وقسم من غربي سوريا وكانت جميع هذه  
البلاد في قبضة الخلفاء الناطميين . ففي ايام شاهين شاه الافضل كان  
الأرمن على ما تقدم والسلجوقيون في بلاد فارس والقسم الشرقي  
من سوريا

وفي سنة ٤٩١ هـ سار امير الجيوش الافضل لتخليص بيت المقدس

من الارثوذكس فطلب التسليم فابى فحضرها بالتحقيق فهدم بعضها فسلت  
وقرّ الارثوذكس الى شرقي سوريا فصار سقان الى الرها واقام لنفسه حكومة  
فيها وضم اليه ديار بكر واستولى الغازي على العراق العربي وانشأ مملكة  
في ماردين

ثم كانت الحروب الصليبية اذذاك في اول نشأتها. تلك ايام  
التعصبات الدينية العمياء التي يخجل التاريخ من ذكرها فكم اهرقت من  
الدماء وكم احرمت من الراحة فان ذلك التعصب قد ساق اهل اوربا  
من بلادهم بالعدة والرجال لمحاربة سوريا وفلسطين ومصر ولم تكن النتيجة  
الا اهلاك العباد المنصود انقاذهم فمن نجا من السفلم ينج من الاستعباد وانا  
لنمسك القلم عن الخوض في هذا الموضوع الذي يسود القلوب ويشوه وجه  
الانسانية فتأمل الحالة التي كانت البلاد الاسلامية فيها من الارتياب وما  
كان في طرفها من العنابات . فقد تقدم انما كانت منقمة فيما بينها ثم قام  
اهل اوربا جميعا وجاهروا بمحاربتها جهادا في سبيل الدين على ما يزعمون  
وكانوا يجنشدون في القسطنطينية بامر الامبراطور الكس كيون الاول  
وكان السلجوقيون يتقدمون في اسيا ينتقمون البلد بعد الآخر حتى بلغوا  
الاناضول فاصبحوا يتهددون المسلمين في مصر كما يتهددون النصارى في  
القسطنطينية وما زالوا سائرين نحو القسطنطينية حتى شاطئ البوسنور  
الشرقي فلم يعد بينهم وبين القسطنطينية الا ذلك البوغاز وكان اذا ذكر  
اسم الله في معسكر المسلمين وقت الصلاة يسمعه المسيحيون واضحا في كنيسة  
القديسة صوفيا على الجانب الآخر . ثم قطعت جيوش النصارى البوسنور  
وكان عددها عظيما فقابلها السلطان قليج ارسلان السلجوقي ابن سليمان  
مؤسس الدولة السلجوقية فحاربوه وارجعوه وجيشه الى الورا واستولوا  
على مدينة نيسي ثم انطاكية وعند ذلك جاء المسلمين مدد مؤلف من  
كنبوغا امير الموصل ودقاق امير دمشق وجناح الدولة امير حمص ومع

كل منهم فرقة من الرجال فاحاطوا بالصليبيين وضيقوا عليهم فجمع هؤلاء من اليأس ودفعوا قوات المسلمين وفرقوها فلم يعد امامهم ما يوقنهم عن التقدم فاستولوا على المعرة بعد حرب ودخلوا حمص بدون حرب وانتشرت جيوش النصارى في جميع انحاء سوريا الغربية وفلسطين كالامواج المتلاطمة فلانها جيوش مصر هناك وكانت بيت المقدس تحت حكم الخليفة المستعلي الفاطمي منذ استخلاصها من الارمن فحاصرها الصليبيون اربعين يوماً ثم افتتحوها عنوة ودخلوها يوم الاربعاء في ٢٢ شعبان سنة ٤٩٢ هـ (١٤ يوليو/تموز) سنة ١٠٩٩ م) في مذبحه استمرت اسبوعاً فاصبحت الجثث متراكمة في الاسواق فجعلوا يجمعونها في الجامع الاقصى وقيل انه قتل في تلك المعركة نحو من سبعين الف نفس واغنم الصليبيون غنائم كبيرة وساروا لفتح مصر

فاضطربت مصر لتلك الاخبار واصبحت تخشى ان يصيبها مثل ذلك فجدد امير الجيوش لمحاربة الصليبيين جيشاً جراراً تحت قيادة سعد الدولة فسار الجيش وما زالوا حتى التقوا بالجيوش الصليبية عند اسوار عسقلان فحاربوها فارجعوها على اعقابها . فلما رأى الصليبيون انهم خارج حدود مصر لم يعودوا يطمعون فيها فوجهوا معانهم شرقاً نحو ما بين النهرين فالتقت فرقة منهم بكمشتين امير ملاطية وسيواس فكسرها الا ان ذلك لم يوقنهم عن مرادهم فساروا من الجهة الواحدة نحو ديار بكر الى السروج ومن الجهة الاخرى حتى استولوا على ارسوف وقبصرية

ومرت سنتا ٤٩٢ و ٤٩٤ هـ في مثل هذه المناوشات وفي يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ توفي الخليفة المستعلي بالله في القاهرة بعد ان حكم ٧ سنوات وشهرين وله ولد اسمه المنصور لم يبلغ السادسة من عمره فشاھين شاه الذي كان وصياً على المستعلي كان وصياً على ابنه ايضاً وكان قد عهد اليه ان يلقب عند مبايعته بالامر باحكام الله ففعل

## خلافة الأمر بن المستعلي

من سنة ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ أو من ١١٠١ - ١١٢٠ م

وكان الصليبيون اثناء ذلك لا يزالون في فتوحاتهم في سوريا مغنمين فرصة انقسام القوات الاسلامية . وقد كان الواجب في مثل هذه الحال ان يتعدوا بدأ واحدة لمقاومة الاغراب لكنهم جاءوا بالعكس فانقسمت الآراء وتشتت القوات فكانت تلك فرصة للجماعة الصليبيين لم يضعوها لان الكونت سنجيل بعد ان استولى على طرطوس وحمص وجبيل وطرابلس الشام تقدم نحو عكا سنة ٤٩٧ هـ وحاصرها براً وبحراً . وكانت عكا في ذلك الحين تابعة لمصر وحاكمها يدعى زاهر الدولة ويلقب بالجيوشي لانه كان من اتباع امير الجيوش . وطال امد الحصار حتى مل الصليبيون الانتظار فهاجموا المدينة ودخلوها عنوة وفتكوا من فيها وفر زاهر الدولة الى الشام ومنها الى مصر

ووصل الى مصر في ذلك الحين ايضاً الامير خلف بن ملاعب من قبيلة بني كلاب وكان والياً على حمص واخرجه منها تناس حاكم دمشق زوراً سنة ٤٨٥ هـ فأتى الى مصر عارضاً نفسه لخدمة الخلفاء الفاطميين بعد ان طاف جميع انحاء المملكة الاسلامية لاستطلاع احوالها شأن الحب لمعرفة حقائق الاشياء . فوصل مصر والخلينة باحتياج الى خدامته وذلك ان اباه غربي سوريا كان قد تملكها السلطان رضوان فخر الدولة السلجوقي واقام عليها والياً من قبله فخر هذا الوالي لامير الجيوش سرّاً انه مستعد لتسليم المدينة لاتي من يكون مرسلان من خلينة مصر . فتقدم الامير خلف هذه المهمة فقبل فسار الى اباه وملكها للحال الا انه لم ترسخ قدمه فيها حتى

بند الطاعة واقف دفع الجزية فاراد الخليفة معاقبته فلم يستطع لما كانت عليه سوريا اذ ذلك من الفلاقل الجسيمة فانف قاضي تلك المدينة واعيانها من البقاء على تلك الحال فحرروا الى والي حلب يطلبون حماينة فحماهم فسلوا له المدينة وقتلوا خلقا وبعض افراد عائلته . لكن الدهر لم يدم لهم لانهم ذهبوا غنيمه للصليبيين في سنة ٢٩٩ هـ واول من قتل منهم القاضي المتقدم ذكره

وفي اثناء ذلك كان الكونت سنجيل محاصرا طرابلس الشام واميرها توجه الى بغداد يستمد الخليفة المنتدر والسلطان ملك شاه السجولقي فلم يمداه بشئ فاحتى اهلها بخلية . مصر فحماهم وبعث الافضل الى طرابلس احد اوليائه وتملكها باسم الخليفة الامر وارسل اليها بعد ذلك عمارة بحرية تدفع عنها الصليبيين فتأخر وصولها لمعاكسة الريح لها . وفي ١١ ذي الحجة سنة ٥٠٢ هـ ( ٣ يوليو سنة ١١١٠ م ) فتح الصليبيون طرابلس الشام عنوة وقتلوا قسما من اهلها واستعدوا القسم الاخر فسبوا بدخولهم اليها من الخسائر ما لا يمكن ان نسبة الحرب . ففي مدسبع سنين كلها حروب دموية استولى الصليبيون على سوريا وفلسطين وجعلوا بيت المقدس عاصمة ملكهم . اما مصر فكانت في جميع هذه الحوادث ملتزمة جانب الحيازة الا المدافعة عند من الحاجة وكانت تعد ذاتها سعيدة لتجاتها من هجمات اولئك الصليبيين كل ذلك بتدبير الافضل امير الجيوش

وفي سنة ٥٠٦ هـ امر الافضل ببناء خليج سماه بحر ابي المنجالان الذي ناظر على حنزه هو ابو المنجا ابو شعبا اليهودي . واقام الافضل ايضا مرصدا عظيما كلفه مشقة ليست يسيرة وجعل مركز ذلك المرصد على ارتفاع في جوار المنظم كان يعرف قديما بالجرف ثم لما اقيم فيه المرصد صار يعرف بالرصد

على ان هذه المهمة والنشاط والغيرة التي كان يبذلها الافضل امير

الجيش في سبيل صالح البلاد ووقايتها لم تكن تحرك من الخليفة الأمر  
 بأحكام الله ساكناً فقد كان منغمساً بالملاهي لا يسمع بغانية جميلة إلا  
 استدعاها وكان له شغف خصوصي بالمجاري البدويات . ومن أقاصيصه  
 أنه بلغه أن في الصعيد جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة  
 جميلة فيقال أنه تزياً بزيمى بداء الأعراب وصار يجول في الأحياء إلى أن  
 انتهى إلى حياها وبات هناك في ضائفة وتعميل حتى عاينها فإلى ملك صبره  
 ورجع إلى مقر ملكه وسرير خلافة فارس إلى أهلها يخطبها فاجابوه إلى  
 ذلك وزوجوه بها فلما صارت إلى النصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت  
 عليه وأحبت أن تسرح طرفها في النضاء ولا تقبض تنسها تحت حيطان  
 المدينة فبني لها البناء الذي اشتهر في الجزيرة بالهودج وكان على  
 شاطئ النيل بشكل غريب . إلا أن البدوية بقيت متعلقة الخاطر بأبن  
 عم لها ربيت معه يعرف بأبن مباح فكثبت إليه وهي في قصر الخليفة الأمر

يا ابن مباح البك المشتكى	مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حبي مرءاً مطلقاً	نائلاً ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مؤصد	لا أرى إلا أحيساً ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللؤلؤ	حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعينا برملات الحمى	حيثما شاء طليق سلكا

(فاجابها)

بنت عمي وإني غديتها	بالمهوى حتى علا واحتكا
بجت بالشكوى وعندى ضعفا	لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الأمر إليه يشكى	هالك وهو الذي قد هلكا
شأن داود غدا في عصرنا	مبدياً بالته ما قد ملكا

فبلغت الأمر فقال لولا أنه أساء الأدب في البيت الرابع لرددتها

إلى حيو وزوجتها به

وفي اواخر سنة ٥١١ هـ خرج بردويل ملك الصليبيين من بيت المقدس لافتح مصر بجيش غنير فوصل الفرما فاستولى عليها وذبح اهلها واحرق جميع جوامعها وهم الى مصر فداهم مرض حمله على العود حالاً فعاد قاصداً بيت المقدس فمات قبل ان ادرك العريش فترعوا احشائه ودفنوها في مكان لا يبعد كثيراً من العريش في وسط ارض رملية واقاموا على قبره حجراً كبيراً ولا يزال ذلك المكان معروفاً الى ايامنا هذه باسم رمال بردويل اما جثته فحملوها الى بيت المقدس وموت بردويل نجت مصر من فتوح عظيم وبقي الصليبيون سبع سنوات اخرى لا يستطيعون مناهضة مصر لانشغالهم بهجمات المسلمين من شرقي سوريا ففي سنة ٥١٨ هـ اتى الصليبيون صور واخذوها صلحاً مؤذنين للمسلمين ان يخرجوا منها بكل ما يستطيعون حمله من المناع . وكانت صور اذ ذلك تابعة لمصر فخاف خليفتها من تقدم الصليبيين الى مصر ننسها وكانوا قد كفوا عن الفتوح فنبههم اليه الارمنيون وعماد الدين زنكي في شرقي سوريا والعراق وفي اثناء ذلك نشأت طائفة الباطنيين ويدعوهم بعض المؤرخين بالحشاشين لانهم كانوا يكثرون من تدخين الحشيش وبالاسماعيليين نسبة الى اسماعيل رئيسهم وهم فئة جمع بينهم التعصب والطمع . وكان اسماعيل يترصدها فرصة الغزو والنهب فلما رأى الدول القوية منشغلة بالحرب في انحاء المشرق وضع يده على بعض القرى الجبلية بجوار دمشق ثم جعل يناهض الصليبيين فيحاربهم تارة وبصالحهم اخرى الى ان انتهى به الامر فاقام حكومته بين ظهرانهم وابتنى حصوناً منيعة ارهبت الولاة المسيحيين وخلصنا الاسلام فاجبرهم على دفع جزية معلومة وقاية من فتكهم بجياتهم فانه كان متفتناً في القتل بطرق سرية على يد بعض رجاله الدهاة . وفي سنة ٥٢٤ هـ سعى امير الباطنيين الى قتل الامر باحكام الله فانفذ اليه بعض دهانه فقتلوه في ٢ ذي القعدة من السنة المذكورة وهو متوجه الى

زيارة معشوقه البدوية وكان سنة ٢٥ سنة وحكمة ٢٠ سنة تقريباً



وترى في شكل ٤٢ صورة نقود  
الأمير بإحكام الله ضربت بالاسكندرية  
سنة ٥١٢ هـ (انظر شكل ٤٢)

ش ٤٢ نقود الأمير بإحكام الله ضربت في الاسكندرية

### خلافة الحافظ بن محمد

من سنة ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ او من سنة ١١٢٠ - ١١٤٩ م  
ولم يكن للأمير اولاد ذكور فكان الحق بالخلافة لابن عمه عبد المجيد  
ابن القاسم بن محمد ولكن ارملة الخليفة كانت حاملاً فلقب عبد المجيد  
بنائب الملك بينما يرون ماذا يكون المولود فوضعت ابنة فبوع عبد المجيد  
ولقب بالحافظ لدين الله فاستوزر احمد بن الافضل بن امير الجيوش  
فقام بالوزارة حتى القيام فعظم في عيني الخليفة فكثير حساده فقتلوه  
فاستوزر وزيراً آخر اختبر فيه الدراية والحكمة واسمه بهرام لكنه لم يلبث  
يسيراً حتى قتل في اواخر سنة ٥٤٢ هـ فعزم الخليفة بعد ذلك ان  
يقوم باعباء الوزارة بنفسه

وفي خلال ذلك لم يكن في مملكة مصر اضطراب الا فيما يتعلق  
بمشاركتها سوريا بالحروب الصليبية على انها ما فتئت ساهرة تخشى غائلة  
تلك التعصبات لكنها لم تلبث ان ارتاحت نوعاً من حروبها في الشرق  
حتى ظهر لها عدو هائل في الغرب فاصبحت الدولة الفاطمية حجراً بين  
مطرفتين فعدوهم في الشرق الصليبيون واما في الغرب فملك سبيليا  
روجر الثاني . فقد تقدم انه تولى هذه الجزيرة بالارث وكان الفاطميون

قد علموا بذهابها من ايديهم فلم يأمنوا عليها لبعدها عن مركز حكومتهم .  
 الآن روجر المذكور لم يفتح بما ناله فخبلة مطامعة ان مجرد عارة مؤلفة  
 من مائتين وخمسين شرعاً و يتقدم نحو افريقيا فتقدم في سنة ٥٥٢٩ واستولى  
 على برصة وقتل كل من كان فيها من الرجال واستعبد النساء . وفي  
 سنة ٥٥٤١ وضع يده على طرابلس الغرب وفي سنة ٥٥٤٢ على المهديّة  
 مهد الخلافة الناطبية وكان قد هجرها اهلهما لاجوع منفع استولى عليهم . ثم  
 تقدم روجر من هناك قاصداً الاسكندرية . فوقع مصر في حيص بيص  
 وقد اصبح هذا العدو في عينها اشد وطأة من الصليبيين لانشغالهم عن مصر  
 اذ ذلك بما كان يهددهم بزكي وانا بك محمود الملقب بالملك العادل  
 نور الدين . وفي اثناء ذلك توفي الخليفة المحافظ في جمادى الثانية  
 سنة ٥٥٤٤ بعلة التولخ وكان كثير الاصابة بها . فعلم له موسى النصراني  
 طبل التولخ وهو عبارة عن طبل مركب من سبع معادن عليه الكواكب  
 السبع وكان من خاصته ان الانسان اذا ضربه خرج الريح من مخرجه  
 ولهذا الخاصية كان يفتح في التولخ . وكان سن المحافظ عند موته ثمانين  
 سنة ومدة حكمه ١٩ سنة و٧ اشهر ولم يكن من التديروالحكمة على شيء  
 فكان يعهد ادارة الاحكام لوزرائه مكنتياً بالسلطة الدينية المحصورة في  
 كل خليفة ولم يكن لديه من السلطة السياسية الا الامضاء على الاوامر في  
 تثبيت الامراء على اماراتهم شأن الدول عند قريب التحلل ملكها الآن  
 تغيير الوزراء جعل فيه بعض الالتمام في الاحكام . وترى في شكل ٤٤ صورة

نقود المحافظ لدين الله ضربت  
 في الاسكندرية سنة ٥٥٤٤ هـ وفي  
 السنة التي توفي فيها



ش ٤٤ نقود المحافظ لدين الله

## خلافة الظاهر بن الحافظ

من سنة ٥٤٤ - ٥٤٩ هـ أو من ١١٤٩ - ١١٥٤ م

واستخلف الحافظ ابنة اسماعيل ايا المنصور فوبع ولقب بالظاهر بامر الله لكنه لم يكن مسمى لذلك الاسم وكان سنة ١٧ سنة وهو اصغر اولاد ابيه سناً وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الاغاني فكان ينظر الى الدسائس الجارية في سرايته الآيلة الى خراب ملكته بعين المتردد المتهامل وبمثل ذلك كان ينظر الى تهديد جنود سبيليا من جهة الغرب والصلبيين من الشرق فكان كل منها يقترب رويداً رويداً من قاعدة المملكة الناطمية وكان الظاهر مشعراً يقرب ستوط خلافته ويستوطها نسفط الدولة الناطمية ولا يبدى حراكاً

وفي السنة الرابعة من حكمه وهي سنة ٥٤٨ هـ حاصر الصليبيون عسقلان وكانت من املاك الفاطميين ونظراً لوقوعها على الحدود النصوصي لملكهم ولكثرة تعرضها لهجمات الصليبيين كان الوزراء في ايام الخلفاء السالفين يعززونها من وقت الى آخر بهبات الدفاع وفي بداية خلافة الظاهر توفي وزيره ووقع الخلاف بين ذوي شوره فانشغلوا بذلك عن صيانة البلاد فاهملوا امر عسقلان فاغتم الصليبيون هذه الفرصة الثمينة وحاصروا المدينة وضيقوا عليها حتى سلمت فجاء خبر سقوطها الى القاهرة مصحوباً بخبر آخر اشد وطأة منه وهو ان العمارة المسيحية نزلت على سواحل مصر واحرقت مدينة نانس في منتصف بحيرة المتزلة ونهبت الثرما الا انها لم تنفذ اكثر من ذلك فاخذت ما امكنتها حمله من الغنائم وعادت الى حيث انت

ومن سنة ٥٤٩ هـ انتهت حياة الخليفة الظاهر وحكمه معاً وسبب

موتوه انه كان غارقاً في الشهوات الوحشية مشتغلاً عن مهام الدولة فشق ذلك على وزيره العباس فاعزى الى ابنه نصر ان يقتله ويحجى البلاد من شره ويخلص ما كان يقول الناس في عرضها من معاشرته اياه فاستدعاه الى دار ابيه سرّاً بحيث لم يعلم به احد وتلك الدار هي المدرسة الحنفية التي عرفت بالسوفية فقتله بها واخفى قتله في منتصف محرم سنة ٥٤٦ هـ فأتى نصر الى ابيه العباس واخبره بذلك من ليلته . ولما كان الصباح اقبل عباس الى القصر على جاري عاذوه في الخدمة واظهر عدم الاطلاع على قضيتيه وطلب الاجتماع به ولم يكن اهل القصر قد علموا بقتله بعد فانه خرج من عندهم في خفية وما علم احد بمخروجه فدخل الخدم الى موضعه ليستأذنوا للعباس فلم يجدوه فدخلوا الى قاعة الحرم فقبل انه لم يبت هنا فتطلبوه في جميع مظانه في القصر فلم يفعلوا له على خبر فحققوا قتله فاخرج عباس اخوي الظافر وها جبريل ويوسف وقال لهما انما قتلتما ايماننا وما نعرف حالة الامتكما فاصراً على الانكار وكانا صادقين في ذلك فقتلها في الوقت ليلتي عن نفسه وابنه التهمة .



وترى في شكل ٤٥ صورة نفود  
الظافر بأمر الله ضربت في  
الاسكندرية سنة ٥٤٥ هـ

ش ٤٥ نفود الظافر بأمر الله ضربت في الاسكندرية

### خلافة الفائز بن الظافر

من سنة ٥٤٩ - ٥٥٦ هـ او من ١١٥٤ - ١١٦٠ م

فاستدعى العباس الفائز بن الظافر ونقد بر عمره خمس سنوات وقبل سنتان فحملة على كنفه ووقف في صحن الدار وامر ان تدخل الامراء

فدخلوا فقال لم هذا ولد مولاكم وقتل نساء اياه وقد قتلنها به كما ترون  
والواجب اخلاص الطاعة لهذا الطفل فقالوا باجمعهم سمعنا واطعنا  
وصاحوا بصيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس وسموه  
الفاخر وسيروه الى امه وقد اخذ من تلك الصيحة فصار بصزع في كل  
وقت ويختلج

فاخذ عباس من ذلك الحين يدبر الامور وانفرد بالتصرف ولم  
يبقى على يده يد واما اهل القصر فانهم اطعوا على باطن الامر واخذوا  
في اعمال الحيلة في قتل عباس وابنه فكانوا بذلك الصالح طلّانغ بن  
رزبک الارمني وهو ابو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير  
الدين كان قد سار الى زيارة مشهد الامام علي بن ابي طالب بارض  
النجف من العراق في جماعة من النخراء وكان من الشيعة الامامية فتنبا له  
الامام انه سيتولى مصر بناء على رؤيته رآها في منامه فسار من ساعده الى  
مصر وصار يترقى في الخدم حتى ولي منبة خصيب

فلما صار اهل القصر الى ما صاروا اليه كتبوا الى طلّانغ وسألوه  
الاتصار لهم ولولام والخروج على عباس وقطعوا شعورهم وسيروها في طي  
الكتاب وسودوا الكتاب فلما وقف الصالح عليه اطلع من حوله من الاجناد  
عليه وتحدث معهم في المعنى فاجابوا الى الخروج معه واستمال جمعا من  
العرب وساروا قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد فلما قاربوها خرج  
اليهم جميع من بها من الامراء والاجناد والسودان وتركوا عباسا وحده  
فخرج عباس في ساعده من القاهرة وخرج معه ولده نصر ومعها شيء من  
المال وجماعة يسيرة من اتباعهم وقصدوا طريق الشام على ابنة وذلك في  
١٤ ربيع اول سنة ٥٤٩ هـ . اما الصالح بن رزبک فانه دخل القاهرة  
بدون قتال وما قدم شيئا على النزول بدار عباس المنقدم ذكره .  
واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعة قتله وسأله عن الموضع

الذي دفن فيه فعرفه به وقلع البلاطة التي كانت عليه واخرج الظافر  
ومن معه من المفتولين فحملوا وقطعت لهم الشعور وانتشر البكاء والنواح  
في البلد ومشي الصالح والخائف قدام الجنازة الى موضع المدفن في تربة  
الفاطميين

ونكفل الصالح بالخليفة الصغير وذبح احواله . واما عباس فان  
اخذت الظافر كانت افرنج عسقلان بشانه وشرطت لهم مالا جزيلاً اذا  
امسكوه فخرجوا عليه وصادفوه فتواقفوا وقتلوا عباساً واخذوا ماله وولده  
وانهزم بعض اصحابه الى الشام وفيهم ابن منقذ فسلموا . وسيرت الافرنج  
نصر بن عباس الى القاهرة تحت الحوطة في قنص من حديد . فلما وصل تسلم  
رسولهم ما شرطه لهم من المال فاخذوا نصراً وضربوه بالسياط ومثلوا به  
وصلوه بعد ذلك على باب زويلة ثم انزلوه يوم عاشوراء سنة ٥٥١هـ واحرقوه  
ولم يحكم الخليفة الفاتح بنصر الله الامدة ست سنوات وفي سنة ٥٥٥هـ  
توفي وكانت مصر قد انحطت في ايامه الى مهاوي الضعف حتى انه كان  
يدفع مبلغاً وافراً من الثود ترضيه للصليبيين في بيت المقدس ليتوقفوا  
عن الغزو من جهة عسقلان وغزة

### خلافة العاضد بن يوسف

من سنة ٥٥٦ - ٥٦٧ هـ او من ١١٦٠ - ١١٧١ م

وبعد وفاة الخليفة الفاتح اخذ الملك الصالح بهتم في اقامته من بخلفه فقدم  
السراي فقدموا له شيخاً من العائلة الفاطمية لم يكن ثم احق منه للخلافة فهم  
الى مبايعته فجهاد احد اصدقائه وهمس في اذنه قائلاً « ان سلفك في الوزارة  
كان احسن تدبيراً منك لانه لم يسلم نفسه لخليفة سنة اكثر من خمس سنوات »  
فرئت هذه العبارة في اذن الوزير فعندل عن تنصيب هذا الشيخ وعمد الى

عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ولم يكن بالغاً رشده فبايعه ولقبه  
بالعاضد لدين الله وهو الخليفة الرابع عشر للدولة الفاطمية ثم ازوجه ابنته  
ومعها ثروة عظيمة

ولما كانت ادارة الاحكام منوطة بالوزير كان النفوذ الاكبر له ولم  
يكن الخليفة العاضد لدين الله اقل استعباداً من سلفه ولقب الصالح بلقب  
ملك ثم لقب سلطان ففتحت اعين الاعداء عليه وفي جملتهم عمه الخليفة  
فعزمت على قتله فارسلت اولاد الراعي فكنتمو له في دهااليزان قصر وضربوه  
حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحاً لا يعي الى داره فمات يوم  
الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ وكان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محباً  
لاهل الادب جيد الشعر وفيو عقل وسياسة وتديباً وكان مهيباً في شكله  
عظيماً في سطوته وغناؤه وكان محافظاً على الصلوات وفرائضها ونوافها  
شديد المغالات في التشيع صنف كتاباً سماه الاعتماد في الرد على اهل  
العتاد جمع له النفاة وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة علي بن ابي طالب  
والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين  
في كل فن فنه في اعتقاده

يا امة سلكت ضلالاً بينا  
حتى استوى اقرارها وجودها  
ملتم الى ان المعاصي لم يكن  
الا بتقدير الاله وجودها  
لو صح ذا كان الاله بزعمكم  
مع الشريعة ان تمام حدودها  
حاشا وكلا ان يكون الهنا  
بنهى عن الغشاء ثم يريدنا

ولم يمت الصالح الا بعد ان اتهم من عمه الخليفة باذن من الخليفة نفسه  
لانه لم يكن يعتبرها ثم استوزر ابنته محبي الدين رزبك ولقبه بالملك  
العادل وكتبته ابو شجاع وهذا استغلف شاور

ومن اعمال الملك الصالح طلائع بن رزبك انه علم بوجود مشهد  
الحسين (رض) في عسقلان وكان امير الجيوش اثناء حرويه في سوريا قد

ظفر بـدفن رأس الامام الحسين في تلك المدينة فابتنى عليه مشهداً فلما علم  
 طلائع بوجود ذلك المشهد في تلك الجهة خاف عليه من هجمة الافرنج  
 فعزم على نقله الى مصر فابتنى له جامعاً مخصوصاً خارج باب زويلة دعاهُ  
 جامع الصالح نسبة اليه ولا يزال هناك بعض انفاضة على نية ان يجعل فيه  
 المشهد فلما فرغ من بناؤه لم يمكنه الخليفة من ذلك بدعوى انه لا يليق ان يكون  
 ذلك الاثر الشريف خارج سور المدينة واهي الا ان يجعله في بعض اجزاء  
 قصره المدعو قصر الزمرد فاقام له مشهداً هناك . ثم في سنة ٥٧٤ هـ  
 احترق المشهد فاعيد بناؤه مراراً واخيراً اقيم في جواره جامع حتى انا  
 كانت ايام الامير عبد الرحمن كخيا احد امراء المملك فاعيد بناء المشهد  
 الحسيني في اواخر القرن الماضي لميلاد وبعد ذلك اعيد بناؤه برتبته في ايام  
 الخديوي السابق ولم يبق من البناء القديم الا القبة المغطية لمقام الامام  
 فاصبح على ما نشاهده الآن وهو الجامع المعروف بجامع سيدنا الحسين في  
 السكة الجديدة في القاهرة

وكان الملك الصالح طلائع بن رزيك قد انشأ في وزارته امراء  
 يقال لهم البرقية وجعل في مقدمتهم ضرغام ابا الاشبال فترقى هذا الرجل  
 حتى صار صاحب الباب فلما تولى شاور الوزارة طمع ضرغام في سلوه اباها  
 فجمع رفقة وتخوف شاور وجمع اليه رجاله فاصبح الجيش فرقين فرقة مع  
 ضرغام واخرى مع شاور فلما كان بعد تسعة اشهر من وزارة شاور اي  
 في رمضان سنة ٥٥٨ هـ نار ضرغام وصاح على شاور فاخرجه من القاهرة  
 وقتل ولده الاكبر اسمى بعلبي وبقي شجاع المنعوت بالكامل وخرج شاور  
 من القاهرة يريد الشام وكذلك فعل الوزير رضوان بن ولحشى فانه  
 كان رفيقاً له في تلك الكفة واستقر ضرغام في وزارة الخليفة العاضد  
 لدين الله بعد شاور وثقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته فانه كان  
 فارس عصره وكان كاتباً جميل الصورة فكه المحاضرة عاقلاً كريماً لا يضع

كرمه الآ في سمعة ترفعه او مواراة نفعه الا انه كان اذا مستجلاً على اصحابه فاذا ظن في احد شراً جعل الشك بقيناً وعجل بالعتوبة . فبلغه بعد حين ان ارفافه البرقية يسعون على خلعه واعادة الوزارة الى شاور فعلى عادته من التعجيل ارسل اليهم وكانوا نحواً من سبعين اميراً سوى اتباعهم واحضروهم الى دار الوزارة ليلاً وقتلهم بالسيف صبراً فذهبت لذلك رجال الدولة واخذت احواها وضعت بذهاب اكابرها وفقد اصحاب الرأي والتدبير منها

وفي اثناء ذلك قصد الافرنج بلاد مصر فخرج اليهم هام اخو ضرغام وحارهم فغلبوه ونزلوا على حصن بليس وملكوا بعض السور ثم عادوا الى بلادهم وعاد هام عوداً رديماً فما هو الا ان قدم رسل الافرنج على ضرغام في طلب مال الهدنة المقررة في كل سنة وهو ٢٢ الف دينار ثم جاء الخبر بقدم شاور ومعه اسد الدين شيركويه بن شادي وهو كردي الاصل من قبيلة الروادية من اشهر قبائل الاكراد من مدينة دوين من اعمال اذربيجان وكان شيركويه هذا واخوه نجم الدين ايوب في خدمة الانابك نور الدين في سوريا منذ طفولة واظهرا من اللياقة ما جعل له فيها الثقة التامة فلما سار شاور الى دمشق استجد بانابك نور الدين ليرجع الوزارة الى يده فنور الدين لم يرد اذاعة فرصة كهذه تجعل له بدأ بامور مصر فارسل معه اسد الدين شيركويه في كثير من الغز وسار معها يوسف ابن اخيه ونجم الدين بن ايوب وكان صغير السن ولم يكن لايه رضى بسفره في هذه الاخطار على صغره ومنعه الانابك ايضاً الا انه ابي الرحيل طوعاً لهوى النفس في حب العلى والمجد ولعل التنادير ساقته الى مصر ليكون سلطاناً عليها تمتد سلطنته الى اقصى الممالك الاسلامية وهذا المولد قد صار بعد ذلك البطل الذي يبلغ التاريخ بذكره السلطان صلاح الدين الابوي اما مولده فقلعة اكربت سنة ٥٢٢ هـ . وسار

الاتابك نور الدين بنفسه مشياً جيوشة حتى حدود مصر وقصده من ذلك ايها الصليبيين الذين في طريقه انه آت لمحاربتهم فاحصروا في مدنها ومرّ جيشه بامان ولا معارض حتى مصر

فلما علم ضرغام بقدم شاور ومن معه ومطالب الصليبيين اضطرب واصبح الناس في ٢٦ جمادى الاولى سنة ٥٥٩ هـ خائفين على انفسهم واموالهم فجمعوا الاقوات والماء ونحوها من مساكنهم وخرج هام بالعسكر اول يوم من جمادى الاخرة فسار الى بليس وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها . وصار الى شاور واصحابه جميع ما كان مع عساكر هام واسروا عدة ونزل شاور بمن معه الى التاج (قليوب) ظاهر القاهرة يوم الخميس ٦ جمادى الاخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجبوشية بداخل القاهرة وشاور مقب في التاج منذ ايام ثم سار شاور ونزل في المنس (الازبكية) فخرج اليه عسكر ضرغام ومحاربة فانهزم هزيمة قبيحة وسار الى بركة الحبش ونزل بالشرف الذي عرف بعد ذلك بالرصد وملك مدينة مصر القديمة واقام بها اباناً . فاخذ ضرغام مال الايتام الذي كان بمودع الحكم فكرهه الناس واستعجزوه ومالوا مع شاور فتنكر منهم ضرغام وتحدث بايقاع العنوة بهم فزاد بغضهم له . ونزل شاور في ارض اللوق خارج باب زويلة وطارد رجال ضرغام وزحف الى باب سعادة وباب القنطرة وطرح النار في اللؤلؤة وما حولها من الدور وعظمت الحروب بينه وبين اصحاب ضرغام وفي كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا الى شاور ووعده انهم عون له فاتحل امر ضرغام فارسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمي فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جملته وقتلت همه اهل القاهرة واخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج الى شاور فامر ضرغام بضرب الابواق والطبول ما شاء الله من فوق الاسوار فلم يخرج اليه احد وانفك عنه الناس فسار الى باب الذهب من ابواب

القصر ومعه ٥٠٠ فارس فوقف وطلب من الخليفة ان يشرف عليه من الطاق وتضرع اليه واقسم عليه بأبائه فلم يجبه احد واستمر واقفا الى العصر والناس تغل عنه حتى بقي في نحو ٢٠ فارساً فوردت عليه رقعة مكتوب فيها «خذ نفسك وانج بها» واذا بالابواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر ساور فمر ضرغام الى باب زويلة فصاح الناس عليه ولعنوه ونحطنوا من معه وادركه النوم فاردوه عن فرسه قريباً من الجسر الاعظم فيما بين القاهرة ومصر القديمة قرب جامع السيدة نفيسة واحتزوا رأسه في غاية جمادى الآخرة وفر منهم اخوه الى جهة المطرية فادركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل اخوه الآخر عند بركة النيل وبقي ضرغام ملقى على الارض يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها وكانت وزارته ٦ اشهر وكان من أجل اعيان الامراء واتجمع فرسانهم واجودهم لعباً بالكرة واشدهم رمياً بالسهم وكان له مع ذلك خط ابن مقله وكان ينظم الموثعات الجميدة ولما جئ برأسه الى ساور رفع على فناءه وطيف به فقال الفقيه عمارة

ارى جنك الوزارة صار سيناً بحر مجده جيد الرقاب  
كانك رائد البلوى والآ بشير بالمنية والمصاب

وهكذا اعيدت وزارة مصر الى ساور فاستلم زمامها وصار يدفع للانايبك نور الدين ثلث محصولاتها مقابلته لما بذله في اعادته اليها. الا ان الانايبك لم يكن هذا حد مطامعه في مصر فقد كان له بتلك الحملة غرضان الاول ان يقضي حق ساور لانه قصد مستصرحاً والثاني ان يستعلم عن احوال مصر لانه كان يبلغه انها ضعيفة من جهة الجند واحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك. ولما اقيم ساور على مصر اقيم بينه وبين نور الدين اتفاق سرى بشأن تسليم مصر. الا ان الشيطان وسوس لساور انه قادر على دفع جيوش نور الدين فينال

السلطة لنفسه فكتب الى شيركويه ان يسير الى سوريا وكان معسكراً  
بجوار القاهرة فاجابه الى طلبه بعد ان اطلق فرقة من جيوشه استولت  
على بليس وبقي الحوف الشرقي فلما علم بذلك شاور عمد الى معاهدة  
الصليبيين على اخراج جنود شيركويه وادعز اليهم ان اخراج هذه الجيوش  
الاسلامية من مصر يندم اكثر مما يفيد وبلغهم اتناه ذلك ان نور الدين  
قادم من الشام في جيش جرار الى مصر امداداً لشيركويه فخاف  
الصليبيون ولم يعاهدوا شاور مكثفين بالحافضة على مراكزهم . الا انهم طلبوا  
الى شيركويه ان يخلي بليس ويسترجع ما سوريه ويتوجه الى سوريا ولم  
يكن عالماً بقدموم نور الدين وجيشه فقبل فاخلى بليس وسار الى سوريا  
فالتقى بنور الدين في حرب مع الصليبيين فاتخذ معه حارباً وانتصرا الا  
ان انتصارها لم يقلل شيئاً من رغبة شيركويه في افتتاح مصر فكان من  
وقت الى آخر يحث نور الدين على ذلك . وقال بعض المؤرخين ان  
شيركويه استجد خليفة بغداد ايضاً واغراه على مغالبة الخلفاء الفاطميين  
فواقفه وحشد الجيوش هذه الغاية . فعلم شاور وزير مصر وتاكّد  
لديه انه اذا كان لا يسارع الى ملافاة المخطب لا تلبث مصر حتى تصير  
في يد الانابكة على ان الصليبيين من الجهة الاخرى لا ينفكون اليهم  
ونهارهم ساعين الى افتتاحها وقد قطعوا السبيل على جيوش نور الدين  
في سيرها الى مصر فساروا بجيش عظيم حتى لم يبق صليبي الا سار في ذلك  
الجيش لكي يقطعوا السبيل على نور الدين . اما نور الدين فقطع سوريا  
حتى بلغ حدود مصر ودخلها في ربيع اول سنة ٥٦٢ هـ وكان الصليبيون  
قد ساروا تحت قيادة ملكهم في الصحراء فلم يظفروا باحد ثم عادوا على  
غزة فالعريش ثم الى بليس . اما جيش شيركويه فكان قد تجاوز بليس  
حتى بلغ عطاس فعسكر قرب القاهرة وتهددها  
فخاف شاور من قدموم ذبلك الجيشين وكل منها بمحاول النور

لنفسه فضل ان يسلم القاهرة للصليبيين ويحملهم على قتال شيركويه الذي كان على بعد ١٢ ميلاً من تلك العاصمة . فرأى شيركويه ان جيشه بعد ان قاسى الاهوال في عبور الصحراء لا يسهل عليه الهجوم على هذه المدينة فقطع النبل الى البر الغربي وعسكر هناك وبنى له استحكامات نفية من العدو . فدخل الصليبيون القاهرة لكنهم لم يوافقوا شاور على ما اراد الا بعد ان تعهد لهم بزيادة الجزية السنوية عما كان يدفعه لاموري قائد تلك الحملة فعيّن معتمدين من قبله لعقد المعاهدة بذلك فانهبوا على ما اراده الصليبيون فقبضوا منه مبلغ مائتي الف دينار نقداً على وعد ان يقبضوا مثله بعد مدة يسيرة

وفي اثناء ذلك تقدم شيركويه ليلاً وعسكر في ايجيزة فاراد الملك اموري مهاجمته على جسر يصنعه من القوارب فجعل شيركويه كلما ابتداء في بناء الجسر يشغلهم عن اتمامه فبقي الجيشان في مثل ذلك نحو ٥٠ يوماً تمكن اثنائها شيركويه من تملك الضفة الغربية للنيل اما الصليبيون فقطعوا الى البر الغربي عند راس الذلثا فارتحل شيركويه بجيشه نحو مصر العليا فتسعت الجيوش الصليبية بعد ان جعلوا حاميات في جميع حصون القاهرة حتى سراي الخليفة . اما شيركويه فوقف في جيشه عند مضيق يدعى البابين ينتظر قدوم الصليبيين والمصريين بقدم ثابتة وكانوا قد تجمهروا كثاراً فلما راىهم الجيوش السورية ارتاعت لكثرتهم لكنها حاربتهم يوماً كاملاً حتى فازت عليهم فعاد الصليبيون الى القاهرة فاقام شيركويه حامية في مصر العليا وسار لاختضاع مصر السفلى وفتح الاسكندرية

وحصلت بينه وبين الصليبيين والمصريين مواقع كثيرة لم يكن الظفر فيها مقطوعاً لاحد الجانبين واستولى شيركويه على الاسكندرية واقام عليها ابن اخيه يوسف صلاح الدين ثم رأى الصليبيون في سوريا ان رفقاءهم في مصر على جانب من القوة فحاجوا اليهم يطلبون اقتسام الغنيمة

ومساعدتهم عند الحاجة . فلما رأى شيركويه نكائر العدو وان لم يعد في طاقته مقاومة بما كان معه من الرجال بعد ان قطعت عنه سبل الاستمداد من سوريا واقفهم على المصالحة ومفادها ان يسحب الصليبيون والسوربون معا بسلام وترجع الاسكندرية الى شاور . فقبل الفريقان بهذه المعاهدة وعاد شيركويه وابن اخيه يوسف الى دمشق اما الصليبيون فلم يريدوا مبارحة القاهرة واصروا على ان يدفع لهم شاور مبلغ مائة الف دينار ومتى انسحبوا يتكئون في القاهرة حامية من رجالهم فقبل شاور بذلك فخرج الصليبيون وهو لا يصدق انهم فعلوا . اما حامية الصليبيين في القاهرة فما اتكوا بجارلون الاستيلاء على مصر رغما عن تلك المعاهدة فحروا الى ملكهم اموري في اورشليم ان يمدم بجيش لاستلام زمام الامور قبل ان يتصل ذلك بجنود سوريا فسارت جيوشه ودخلوا مصر بغتة فوصلوا الى بليس بعشرة ايام واخذوها بعد حصار ثلاثة ايام فنهوها وذبجوا من كان فيها . فبلغ ذلك شاور فتحير في امره وتردد هنيهة في ماذا يفعل واي الجانبين يأخذ واخيرا اقر على استنجد نور الدين فكتب اليه بذلك فاحب نور ان يتخذ قيادة تلك الحملة بنفسه لكنه خشى من اغتيال بلاده اثناء غيابه فارسلها تحت قيادة شيركويه

وكان اموري معسكرا امام القاهرة ولم يرد فتحها لانه لم يأت اليها الا تخويفا لشاور لعله يشتري التسايب بكمية من التتود لانه لم يكن يرى افتتاح مصر والاستيلاء عليها بعد ما اقام من المعاهدات مع شيركويه اما اهل القاهرة فلما رأوا ما فعل الصليبيون ببليس بعد افتتاحها من النهب والقتل اقسوا على الدفاع عن بلادهم لآخر نسمة من حياتهم وبناء على تصميمهم هذا امر شاور ان تحرق النسطاط كلها لكي لا يبقى فيها ملجأ يعسكر فيه الصليبيون فأحرقت ثم عمدوا الى النيل فقطعوا السبيل على ما ربما يأتي من المدد لعدوهم

وفي اثناء ذلك جاءت الانباء باقتراب شيركويه وجيشه فاخذ شاوور بمطاوله الصليبيين واشغالم بالخباية معهم لغير طائل فاقام عليهم الحجة بانة صديقهم ولم يكن ينبغي ان يجردوا عليه سلاحاً وان قدومهم على هذه الصورة لا يأمن معه من قدوم نور الدين وجيشه ثم عرض على أموري مبلغاً من النفود لياخذهُ ونسحب بجيشه الى سوريا . اما الصليبيون فلم يكونوا يحملون الا بغزو هذه المدينة العظيمة ونهب ما فيها من الغنائم اما اموري فكان مشهوراً بالطلع فلم يكن يتكر الا بالمبلغ الكبير الذي عرض عليه . فوافق شاوور بشرط ان يكون ذلك المبلغ مليوناً من الدينار يدفع قسماً منه فوراً والنسم الآخر بعد أجل مسمى فدفع له مائة الف دينار ووعده بدفع الباقي في وقت آخر فانسحب الصليبيون من امام القاهرة راجعين الى سوريا

وبينا كان شاوور يخامر الصليبيين بامر المعاهدة كان الخليفة غارقاً في المعاهدات السرية مع الاتابك نور الدين فعرض عليه ثلث خراج مصر اذا كان ينجيه من شاوور وانه يولي شيركويه مكانة . فاسرع شيركويه الى مصر فالتقى بالصليبيين في بليس فحاربهم واخرجهم منها ومن كل ارض مصر . ثم تقدم الى القاهرة فدخلها في ربيع ثاني سنة ٥٦٤ هـ باحتفال عظيم وسارتوا الى مقر الخليفة العاضد فترحب به وخلص عليه واكرم مثواه بالهدايا الفاخرة له ولسائر جنده فاستاء شاوور من هذه المودة بين شيركويه والعاضد لكنه رأى الجيوش السورية قريبة منه فاخفى ما في ضميره خوفاً من الوقوع في شر اعماله فاخذ يتظاهر بحبه لزيارة شيركويه ثم نوى على دعوته لولاية بعده له فيها معدات الهلاك فعلم يوسف صلاح الدين وبعض كبار جيش السوريين بذلك فنوا عليه ما نواه على اميرهم وجعلوا يترقبون خطواته فيينا كان قادماً الى معسكر السوريين لزيارة احتاطوا به ووقبضوا عليه واوثقوه بالحديد فانصل ذلك بشيركويه فشق عليه فطلب الى رجاله

ان لا يوقعوا يوشرا اما الخليفة العاضد فبعث يطلب رأسه فأرسلوه له  
حالا وسطوا على سرايتو فنهبوها

فسر الخليفة العاضد جدا لنجايته من ذلك الوزير الذي جعله  
باستبداده وسو نديره رقاب اذل من الرق ووئى شيركوبه مكانة ولقبه  
بالمملك المنصور . فاستلم شيركوبه زمام هذه المصلحة في يوم الاربعاء ١٧  
ربيع اول سنة ٥٦٤ هـ ولم يتم له مقاوم وسكن في سراي الوزير الاعظم  
وفرقت العطايا في جيوشه التي رافقته الى مصر وشدت على النصارى وامرهم  
بشد الزنابير على اوساطهم ومنعهم من ارخاء الذواية التي تسمى بالعزبة  
فكتب المهذب بن ابي الملح زكريا وكان مسجيا الى اسد الدين بقوله  
يا اسد الدين ومن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى  
كفى غيرا شد اوساطنا فما الذي اوجب كشف الفنا

فلم يسعنه بطليبول ولا مكنه من ارخاء الذواية وعندما ايس من ذلك أسلم  
ولم تطل مدة وزارة شيركوبه فعاجلته المنية في ٢٢ جمادى الثانية  
سنة ٥٦٤ هـ ولم يمكث في منصبه الا شهرين وخمسة ايام فقط . ودفن في  
القاهرة ثم نقل الى مدينة الرسول وكان شديد المواظبة على تناول اللعوم  
الغليظة وكانت تنواتر عليه التخم والخوانيق فاعتراه خانوق عظيم ذهب  
بجياته . وكان شيركوبه يعتبر نفسه نائبا لنور الدين في مصر وانه قائم  
بمنصب الوزارة باسمه وبعد وفاته احب العاضد ان يبين ممنونته ووجهه له  
فولى مكانة ابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالمملك الناصر وكان  
لا يزال شابا ولعل الخليفة اصبح يفضل الوزراء الصغيري السن ظنا منه  
انهم لا يفوون على اكتساب ثمة الجند فلا يخشى من استبدادهم . وما علم ان  
هذا الشاب البالغ سيكون اشد نودا واعظم تأثيرا في الجند والاهالي من  
سائر سلفائه فقد كان صلاح الدين زين العريكة قريب من الناس فصيح  
المخاطب

ولما تولى الوزارة ابنت الجيوش السورية الرضوخ له لصغر سنه  
فأخذهم بالليلن فاستجلب خواطرم فاجمعوا على ولائيه والضرب بسيفه فعظم  
نتوذه وكثرت نصرانه فشاغل الحميد مؤمن الخلافة جوهر الخصي وحدثته  
نفسه بخلع صلاح الدين وواقفة كثير من الامراء المصريين والجند وانفق  
رأبهم ان يبعثوا الى الافرنج ببلاد الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا  
خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ناروا وهم في القاهرة واجتمعوا مع الافرنج  
على اخراجه من مصر فسيروا رجلاً الى الافرنج وجعلوا كتبهم معه في  
نعل فصار الرجل الى الير البيضاء قريباً من بليس فاذا ببعض اصحاب  
صلاح الدين هناك فانكر امر الرجل من اجل انه جعل النعلين في يده  
ورأها وليس فيها اثر المشي والرجل رث الهيئة فارتاب واخذ النعلين  
وشقها فوجد الكتب بيطنها فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتنبع  
خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذي كتبها من اليهود الكتاب فامر  
بقتلها فاعتصم الاسلام واسلم وحدثته الخبر فبلغ ذلك مؤمن الخلافة فخاف  
على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج فاعرض صلاح الدين عن ذلك  
جملة وطال الامد فظن الخصي انه قد اهل امره وشرع يخرج من القصر  
وكانت له منظره بناها بناحية الخرقانية في بستان فخرج اليها في جماعة  
وبلغ ذلك صلاح الدين فانقض اليه عدة هجوموا عليه وقتلوه في يوم  
الاربعاء ٢٥ ذي الحجة سنة ٥٦٤ هـ واحتزوا رأسه وانوا به الى صلاح  
الدين فاشتهر ذلك في القاهرة واشيع فغضب العسكر المصري وناروا  
باجمعهم وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامه حتى صاروا  
ما ينيف عن خمسين الفا وساروا الى دار الوزارة وفيها صلاح الدين  
وقد استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة فخر الدين طوران شاه اخو  
صلاح الدين وصرخ في العساكر الغز وركب صلاح الدين وقد اجتمع  
اليه طوائف من اهلوا قارب وجميع الغز ورتبهم ووقفت الطائفة الربحانية

والطائفة الجبوشية والطائفة الفرنجية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم بين الفصرين فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين واصحابه وعند ذلك امر طوران شاه بالحملة على السودان فقتل فيها احد مقدميه فانكف بأسمه قليلاً وعظمت حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الزهومة وقتل حينئذ عدة من امراء المصريين وكثير من عداهم وكان العاضد في هذه الواقعة يشرف من المنظرة فلما رأى اهل الفصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من اعلى الفصر بالنشاب والمجارة حتى انكوا فيهم وكنوهم عن القتال وكادوا يهزمون فامر حينئذ صلاح الدين النساطين باحراق المنظرة فاحضر شمس الدولة النساطين واخذوا في تطيب فارورة النفط وصبوا بها على المنظرة التي فيها العاضد فخاف العاضد على نفسه وفتح زعيم الخلافة باب المنظرة وقال بصوت عال « امير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم » فلما سمع السودان ذلك ضعنت قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب النوم اقبينهم الى ان وصلوا الى سوق السبوفين فقتل منهم كثير واسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان فاحرق عليهم وكان في دار الارمن قريباً من بين الفصرين خلق عظيم من الارمن كلهم رماة ولم جار في الدولة يجري عليهم فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن ان يسيروا الى العبيد فاحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقاً وقتلاً ومروا الى العبيد فصاروا كلما دخلوا مكاناً اُحرق عليهم وقتلوا فيه الى ان وصلوا الى باب زويلة فاذا هو مغلق فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين ثم بلغهم ان صلاح الدين احرق المنصورة التي كانت اعظم حاراتهم واخذت عليهم افواه السكك فابتنوا انهم قد اُخذوا لا محالة فصاحوا بالامان فامنوا وذلك يوم

السبت في ٢٨ ذي القعدة وفتح لم باب زويلة فخرجوا الى الجيزة فعدا عليهم  
شمس الدولة في العسكر وقد قوا باموال المهزومين واسلحتهم وحكموا  
فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة امر العاضد  
ودعيت بواقعة العبيد . ومن غرائب الاتفاق ان الذي فتح مصر للدولة  
الناطية وبنى القاهرة يدعى جوهرًا والذي كان سببًا في زوال هذه الدولة  
وخراب القاهرة يدعى ايضا جوهر الملقب بمؤمن الخليفة

فلما انتهت هذه الواقعة واستصلت جرثومة التساد عاد صلاح الدين  
الى السكون فولى اخاه طوران شاه قوص واصوان وعيناب مكافأة لما  
اظهره من السالة في واقعة العبيد وجعل البلاد المذكورة له اقطاعا فكان  
دخلها في تلك السنة ٢٦٦٠٠٠ دينار . وفي سنة ٥٦٨ هـ خرج طوران  
شاه لغزو بلاد النوبة وفتح قلعة ابريم فسي وغنم ثم عاد بعد ان اقطع  
ابريم بعض اصحابه . وفي سنة ٥٦٩ هـ خرج الى بلاد اليمن وفتحها عنوة  
ولقب بالملك المعظم طوران شاه وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي

وكانت وزارة صلاح الدين في مصر سببًا لاضطراب الصليبيين اما  
نور الدين فركب عمارة مصرية وجعل يطوف البحر المتوسط عند شطوط  
سور يا ليمع مرور الوافدين الى الارض المقدسة ويستولي على ما يرد الى  
الصليبيين من المؤن والذخائر فتشاور الصليبيون في شأن ذلك فاقروا  
على ارسال بطريرك صور فريدريك مع بوحنا اسقف عكا لاستمداد  
ملوك فرنسا وانكلترا وسبيليا وغيرهم من الامراء المسيحيين فلم ينجح  
مسعاهم غير ان امبراطور القسطنطينية ارسل عمارة مؤلفة من مائة وخمسين  
شراعًا ملانة من الذخائر والمؤن والعدة والرجال فاتحدت بجند عسقلان  
وساروا براً وبحراً الى مصر حتى اذا بلغوا الفرما ساروا حتى اتوا دمياط  
فعسكروا بينها وبين البحر في صفر سنة ٥٦٥ هـ  
وكانت هذه الحملة تحت قيادة الملك اموري فظن انه يقدر على

أخذ دمياط بالهجوم الأمانه رأى منها مقاومة ودفاعاً الزمها على إقامة  
 الحصار قاقامة ولم يكن أكثر فائدة له من الهجوم لان عدة اهل دمياط  
 كانت عظيمة ولم يبالوا بعدة الصليبيين وعدادهم وظال امد الحصار حتى  
 نفذت مؤنة الصليبيين فارادوا العبور في النيل ليأتوا بالزاد فاوقفهم  
 حاجز إقامة المسلمون في عرض النهر وهو عبارة عن سلسلة قوية من  
 الحديد طرفها الواحد ممكن بتاريس دمياط والطرف الاخر ببرج هائل  
 منبع الجانب وكانت ترد الامدادات لحامية دمياط من القاهرة بكل سهولة  
 اما الصليبيون فكان اشظارهم للدد من سوريا عتياً فانتشر الجوع في  
 معسكرهم وقام الشقاق فيما بين الفرنسيين منهم وهم الذين كانوا في  
 سوريا واليونانيين الذين اتوا بالمدد من الاستانة واشتد ذلك الاختلاف  
 حتى افضى الى الانفصال التام بعد ان بلغ منهم الجوع مبلغاً عظيماً فكلوا  
 يخاصمون على كسرة وبمضغون افنان الخيل وما زاد تعاستهم تكاثر  
 الامطار والزوابع على معسكرهم بدون انقطاع حتى اصعبوا كثرتهم في  
 طوفان عظيم وحصل من تكاثر الاعصار نوبة في النيل اسرع جربة  
 فتزاحمت مراكب الصليبيين وتلاطمت فلم يعد استخدامها ممكناً لوقوعها  
 بين قوتين متضادين الريح من جهة ومجرى النيل من جهة اخرى فتكسر  
 معظمها ثم انتشبت النار فيها فاحرقت ما بقي منها

فلما رأى الصليبيون ذلك لم يروا بداً من العود على اعقابهم الى  
 سوريا صفر اليدين بعد ان تعاهدوا مع المسلمين ان لا يعارضهم معارض  
 في سيرهم. وكان صلاح الدين قد اعد في القاهرة جيوشاً ليسير بها مدداً  
 الى دمياط لكنها لم تبلغها حتى فارقت الجيوش الصليبية مراكرها فشق  
 عليه ذلك ووجه الامراء الذين سمحوا لهم بالانتحاب ثم عاد الى القاهرة  
 وفي السنة التالية سار في جيش عظيم الى سوريا لمحاربة الذين  
 ضافوه السنة الماضية فدخل فلسطين سنة ٥٦٦ هـ فعلم اموري وهو في

عسقلان ان صلاح الدين قد حاصر قلعة دارون وهو دبر قدم للنصارى وموقعة على قمة جبل وعمر على ٤ اميال من غزوة انخذ الصليبيون حصناً . فاسرع الملك اموري لهاجمة صلاح الدين في ذلك المكان وكان قد علم صلاح الدين بقدموه فاسار ملاقاته فلاقاه في منتصف الطريق وحاربة وغلبه ونزل على غزوة فاستولى عليها واستنشر المسلمون بهذه الانتصارات ولكنهم اكنفوا بها أخذاً بالنار فتركوا في غزوة حامية كافية وعادوا الى مصر فبلغوا القاهرة في اواخر السنة المذكورة . ثم بلغ صلاح الدين ان الافرنج قد احتلوا ايلة وتحصنوا فيها فاسار اليها ومعه عصبة من رجاله الاقوياء وحمل معه مراكب مفككة ينقلها على الجمال ولما وصل الى البحر عند ايلة ركب تلك المراكب وانزلها البحر وهاجموا ايلة في ربيع اول من السنة المذكورة براً وبحراً وما زالوا عليها حتى فتحوها وقتلوا من كان فيها من الافرنج وجعل فيها صلاح الدين جماعة من ثقافته وقوامهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة

وكان لصلاح الدين نفوذ عظيم في مصر ولم يكن الخليفة العاضد الا اسماً لغير مسمى ولم يعد لديه الا السلطة الدينية فلاح لنور الدين ان الاسلام في غنى عن هذه السلطة التي لا معنى لها الا زيادة الروساء وتكثير الاحزاب فارسل الى صلاح الدين يطلب اليه ابطال الخطبة للعاضد لدين الله وان يخطبوا عوضاً عنه للمستضيء بامر الله الخليفة الثالث والثلاثين من بني العباس في بغداد . فاجابة صلاح الدين يعتذر عن عدم امكانه انفاذ هذا الامر فوراً مخافة ان يثير في مصر حزب العلويين الذين يدعي الفاطميون باتساعهم اليهم وهم عديدون ثم دعا اليه امرائه واوعز اليهم ان لديه امرآ عظيم الاهمية يريد محاربتهم بشأونه فاجتمعوا اليه فاخبرهم بما ارسل اليه نور الدين فقال بعضهم انه امر خطير وتنفيذ بعد وقاحة عظمى ووافق البعض الآخر على اجرائه ولكن لم يجزأ احد على مباشرة الامر بنفسه فبهت

صلاح الدين هنيهة فنهض امير فارسي يدعى امير عالم وحرص على وجوب  
اتباع امر نور الدين واخذ على عاتقه ان يباشر العمل بنفسه  
ففي الجمعة الاولى من محرم سنة ٥٦٧ هـ توجه امير عالم الى اكبر  
جوامع القاهرة وصعد المنبر وخطب في الناس وصلى باسم الخليفة المستضي  
بامر الله العباسي فلم يعارضه احد من الناطقين ولا من العباسيين . فلما  
علم صلاح الدين بذلك أمر أن يعاد ذلك في الجمعة القادمة في جميع  
جوامع القاهرة والنسطاط فقبل الجميع ودخلت مصر في حماية الخلافة  
العباسية الدينية في بغداد بعد خروجها منها مدة مائتين وسبع سنين .  
ثم تم الى القبض على العاضد واشياعه واستفتى الفقهاء في قتله فاتفقوا بجواز  
ذلك لما كان عليه العاضد واتباعه من انحلال العقيدة وكثرة الوقوع في  
الصحابة والاشتهار بذلك

اما الخليفة العاضد فاصيب بسبب الاهانة التي لحقت به بمرض شديد  
ثم حجز عليه في احدى غرف القصر الداخلية . كل ذلك ولم يتجرأ احد  
من ذويه ان ينوه بكلمة تتعلق به ولا ان يخاطبه . وبعد ايام قليلة توفي  
العاضد في تلك الحجرة الاثنين في ١١ محرم سنة ٥٦٧ هـ ولكن وفاته  
انقذت صلاح الدين من قلاقل كثيرة كان يخشى عليه منها لو بقي الخليفة  
حيًا . ويقول بعض المؤرخين الصليبيين ان صلاح الدين هو الذي قتل  
العاضد بيده الا ان الجمهور على خلاف ذلك على اننا لا يسعنا الا لومة  
لنطرفه في احتقار الخليفة وتجريد اياه من ذات يده ومن مناعه وقد بالغ  
بذلك حتى انه علم بجواد كرم كان بركة الخليفة لتروج النفس في حديثه  
فطلبه منه فلم يسع الخليفة الا اعطاؤه اياه والتوقف عن الرياضة التي  
لم يعد لديه سواها من جميع ثروة الخلفاء . وكان الخليفة العاضد شديد  
التشبع متغالياً في سب الصحابة واذا رأى شيئاً استحل دمه . وترى في الشكل  
السادس والاربعين صورة نفوذ زجاجية ضربت في عهد الدولة الفاطمية

ابام احتياجهما للمال وقلة الذهب والنضة وحالما تولى صلاح الدين الغاما  
وضرب نقوده المعروفة بالنقود الناصرية نسبة اليه



ش ٤٦ نقود زجاجية مضروبة على عهد الدولة الفاطمية

## الدولة الايوبية

من سنة ٥٦٧ - ٦٤٨ هـ أو من ١١٧١ - ١٢٥٠ م

### سلطنة صلاح الدين يوسف

من سنة ٥٦٧ - ٥٨٩ هـ أو من ١١٧١ - ١١٩٢ م

ولما علم صلاح الدين بوفاة العاضد وضع يده على السراي (القصر)  
وكان قد عهد الى خصي له يدعى بهاء الدين الملقب بقراقوش وكان  
من ثقاته ان يخفي جميع التحف التي كانت قد جمعت . ثم اتى القبض على  
جميع من بقي من العائلة الفاطمية وهم الامير داود بن العاضد ولي العهد

وينعت بالحماد لله وإخوة أبو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنة ابن  
القاسم وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد  
واسماعيل بن العاضد وجعفر بن ابي طاهر بن جبريل وعبد الظاهر  
ابن ابي الفتوح بن جبريل بن المحافظ وجعلهم تحت الحجر في مكان  
بعيد من السراي . اما ممالك العاضد وعبيده فباع بعضها وفرق  
البعض الآخر في ارباب دولته . وهكذا كانت نهاية دولة الخلفاء  
الناطقين بآي القاهرة فقد غادروها وفيها من آثارهم بنايات عظيمة  
وقصور ومناظر منها النصر الكبير (السراي) الذي وضعه جوهر عند ما  
اناخ في موضع القاهرة ومنها النصر الصغير الغربي ونحو عشرة قصور اخرى  
جميعها متقنة ثمينة كلها قاعات ومناظر من داخل سور النصر كان يقال  
لها النصور الزاهرة . ومن آثارهم عدة بساتين ومناظر باماكن مختلفة من  
القاهرة ولما بقي من تلك الآثار على حاله ولكن هناك اثرًا عظيمًا لا يحصى  
كرور الايام نعتي بها القاهرة فانها من بنائهم كما علمت . وللناطقين  
احاديث مطولة فيما يتعلق ببنائهم في مجالسهم العامة وكيف كان مجالسهم  
ارباب الدولة والفقهاء والعلماء وسائر الاتباع وكيفية صلاتهم في المساجد  
وما يجري في ذلك من الاحتفال ما لا حاجة لذكره هنا . ويقال ان  
صلاح الدين جمع في خزائنه من مجوهراتهم ما ينوق الحصر . ويقال  
ايضاً انه وجد بين هذه الخزائن مكتبة تحوي على مئة الف مجلد منتخبة  
من احسن المؤلفات ولا يزال قسم منها الى الآن في مكتبة ليدن بالمانيا  
ثم اسرع صلاح الدين الى اعلام اتابك نور الدين بتنفيذ ما امره به  
وموت الخليفة فاتصل هذان الخبران ببغداد فاصح خليفته منفردًا بالخلافة  
على سائر المشرق فخلع على اتابك نور الدين وبعث اليه سيفين اشارة الى  
توليته على سورية ومصر وخلع ايضاً على صلاح الدين وبعث اليه بالغطاء  
الاسود العباسي يجعله على المنبر الشريف . وبعد ان كانت القاهرة احدى

عواصم الاسلام امست كغيرها من المدن وتحولت العظمة جميعها  
الى بغداد

فلما رأى نور الدين نفسه متسلطاً على سورية كلها تقريباً وعلى قسم  
من جزيرة العرب وعلى اسيا الصغرى وما بين النهرين وضع يده ايضاً على  
مصر . اما صلاح الدين فكان في نيته الاستقلال بمصر منذ اول توليته فيها  
وكان بينه وبين نور الدين مكاتبات سرية ما لها المحافظة على سلطة الخليفة  
العباسي الروحية محافظة وقتية ريثما يتأتى له الاستقلال . اما اتباع الخلفاء  
الفاطميين فلم يكونوا يستطيعون اقل المقاومة جهارية عند التصريح  
ببإيعة خليفة بغداد والخطبة له لان حزبهم كان ضعيفاً لكنهم كانوا يجنسون  
سراً ويقولون بجرمان خليفة بغداد من هذه الحقوق ثم اقاموا خليفة منهم  
يخلف العاضد لدين الله وكان لهم زعيم يقال له عمارة بن علي الملقب  
باليميني لان اصله من اليمن الا انه نظراً لانقطاع الكلي الى نظم الشعر  
واشتغاله به عما يدعوه اليه الحزب الفاطمي لم يحصل على النفوذ الذي يكتل  
نجاح مشروعه ثم احصى عدد اتباعه وقد قدرتهم فاذا بهم يقصرون عن  
مناهضة صلاح الدين قصوراً كبيراً فخاف ان تعود العائنة عليه فسار الى  
صلاح الدين وبين له خضوعه التام للامير العالمة وعاد الى غرفته مقتنعاً  
بلذة المطالعة والنظم على ان صلاح الدين لم يمهز احزاب الفاطميين ولم يعبا  
بها البتة لانه كان واثقاً بقواته وقوات نور الدين وكفاءتها لا يقاب كل  
هذه الاحزاب عند حدها على انه لم يكن يغفل عن السعي الى كل ما يحيط  
من قوتها ويضعف نفوذها ويؤيد نفوذ العباسيين . وكان صلاح الدين  
مع تظاهره في تأييد سلطة الخلفاء العباسيين لا يفترباعياً الى انمام مقاصده  
التي كانت لا تزال تحت طي الخفاء فاخذ في تربية الاحزاب واعداد  
الثوات الى ما يمكنه من الاستقلال بمصر ومقاومة نور الدين اذا عارضه بذلك  
فاستحسن نور الدين فبعث اليه على اثر وفاة العاضد يستقدمه وفرقة من رجاله

مظهرًا استجاده في حربه مع الصليبيين عند الكرك وإنما قصد الحقيقي ان يخرجهُ من مصر وبقية عنده تحت ملاحظته فيأمن من غائلته . فادرك صلاح الدين مقصد الحقيقي لكنه لم يستصوب مخالفة امره لئلا تتنافر القلوب فتعرقل مساعيه فكتب اليه انه اذعانا لامره قد بارح القاهرة في فرقة من الجند لملاقاة جيوش نور الدين في الكرك . فلما وصل نور الدين اليها لم يجد فيها احدًا فانتظر فلم يقدموا ثم ورد اليه كتاب من صلاح الدين يخبرهُ انه بارح القاهرة بجندهِ الى الكرك فعرض له في الطريق ما الجأهُ الى العود حالاً الى مصر . فعلم نور الدين انها ماطلة مقصودة فافرّ على المسير بنفسه الى مصر والاشتغال بصلاح الدين عن الصليبيين ولكنه قبل ذهابه بعث الى صلاح الدين بتهددٍ بالعزل اذا لم يبادر الى ما أمر به فاستدعى صلاح الدين رجال عائلته وفيهم ابوه نجم الدين ايوب وخالة شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء فلما تكامل الجمع اعلمهم بما كان بينه وبين نور الدين وما بلغه من عزمه على الهجـة اليه واستشارهم فلم يجبه احد بكلمة فهض نفي الدين عمرو بن شاهين شاه اخي صلاح الدين فقال « ان الرأي اذا جاءنا نور الدين قاتلناه ومنعناه عن البلاد » ووافقه غيره من اهلهم . فشتهم نجم الدين ايوب والد صلاح الدين واستعظم اقوالهم وشنم نفي الدين واقعدهُ وقال لصلاح الدين « ها انا ابوك وهذا شهاب الدين خالك وهل تظن بين هذا الجمع من يحبك ويخلص لك اكثر منا » قال لا فقال « اعلم يا يوسف اننا والله لو رأينا نور الدين لم نمك الآ ان نقتل بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا . وكل الذين تراهم عندك من الامراء لو رأوا نور الدين وحده لم يجاسروا على الثبات على سرورهم وهذه البلاد له ونحن ممالئكه ونوابه فيها فان اراد سمعنا واطعنا والرأي ان تكتب كتاباً مع نجاب نقول فيه بلغني انك تريد الحركة الى هذه

البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتى مندبلاً وياً خذني  
البك وما ههنا من يمنع»

ثم قام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا ثم خلا ابوب بصلاح الدين  
فقال له «باي عقل فعلت هذا اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عزمنا  
على منعه ومحاربتو جعلنا أم الوجوه اليو وحينئذ لا تقوى عليه واما الآن  
اذا بلغه ما جرى وما اظهرنا من الطاعة له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار  
نعمل عملها ووالله لو اراد نور الدين قصبه من قصب السكر لفاتلتنا انا  
عليها حتى امنعه او اقتل» ففعل صلاح الدين ما اشار به ابوه

فلما جاء كتاب صلاح الدين الى نور الدين كما نصه ابوه سكن  
روعه وتوقف عن المسير الى مصر وعاد للاهتمام بامر الصليبيين وكانوا  
قد امنعوا في سوريا ولم تعد اخبارهم تصل لنور الدين بالسرعة اللازمة  
لاتساع ايا لاته فاستخدم الحمام لنقل الاخبار فكانت تأتو بها بزمن قريب  
واما الصليبيون فكانوا يتألمون عصباً ويتقدمون في سوريا يفتخون منها  
وما زالوا في خطتهم هن حتى لم يعد امامهم الا عدوان كيران وها نور  
الدين وصلاح الدين . وكان هذا الاخير يترقب الفرص لبلوغ مرامه فكان  
يقتنم فرصة انشغال نور الدين بالمحاربة في ما بين النهرين ويسير الى  
غزو سوريا وحالما يعلم بقدموه اليها يعود الى مصر حالاً فآل ذلك الى  
النفور الشديد بين هذين الرجلين وهم نور الدين الى حشد الجيوش  
وتسيبها الى مصر لاخراج صلاح الدين منها واقامة حامية لحماية الحدود  
التي يخشى من هجوم الصليبيين عليها . وبينا كان نور الدين على اهبة  
الرحيل فاجأته المنية بالتهاب البلعوم فمات في دمشق في ٨ رمضان سنة  
٥٦٩ هـ وسنة ستون سنة ومدته حكمه ٢٩ سنة وكان شجاعاً باسلاً وفاضلاً  
باراً وكان محبوباً معتبراً من المسلمين والمسيحيين من اعدائه وكانت مملكته  
شاملة جميع سوريا الشرقية وقسم من سوريا الغربية ومصر والموصل

وديار الجزيرة . وكانت ملوك ديار بكر قد سلمت له اليمن بمجملتها  
 فانتقلت هذه المملكة بعد موته الى ابنه الملك الصالح اسماعيل وكان بالغاً  
 من العمر احد عشرة سنة فقط فأقيم شمس الدين محمد بن المقدم نائباً  
 له في تدبير المملكة . فاستخف الناس به لصغر سنه حتى هم أفراد عائلته  
 الى تنزيله لكنهم لم يتجملوا وحاول الملك أموري غزوه فعاد خائباً اما  
 الامراء الذين كانوا على الامارات التابعة لمملكته فحاول كل منهم الاستقلال  
 بذاته فاحب نائب الملك ان يسير الى صلاح الدين يستنجده فوقفه اولئك  
 الامراء وفي خلال ذلك ورد اليهم والي نائب الملك كتب من صلاح  
 الدين يقول بوجود الخضوع التام لخليفة نور الدين كما كان له وارسل  
 نفوداً مضروبة في مصر باسم السلطان الجديد . وما كتبه للامراء قوله  
 « لو علم نور الدين ان فيكم من هو اكثر اهلية وامانة مني لولاية مصر  
 فلا شك انه كان يعهدا اليه وهي اجمل واخصب ولاياتي واعلموا ايضاً  
 انه لو لم يفاجئته القضاء لاقامني وصياً على ابنه وارى انكم تحاولون اخراج  
 يدي ولكني سأذهب الى دمشق بنفسي واقدم عبوديتي الى هذا السلطان  
 الجديد معترفاً بالافعال العظيمة التي حملتها ابوه اما انتم فساء علمكم  
 بمقتضى تصرف كل واحد منكم فاني اعنبركم قوماً تلفون الفلاقل والفتن في  
 البلاد » وجاء صلاح الدين الى دمشق بعد وصول كتبه بقليل واخرج  
 منها سيف الدين الغازي ابن اخي نور الدين وكان قد وضع يده عليها  
 واعادها للملك الصالح ثم اسرع الى استرجاع الاماكن التي كان قد استقل  
 بها بعض الامراء الصغار من عائلة نور الدين في سوريا الشرقية استخفافاً  
 منهم بسلطة الملك الصالح فاسترجع منهم حمص وحماه وبارين وسلامية  
 وتل الخاطب وبعليك والرها الا ان هذه الفتوحات لم تجدي الملك الصالح  
 نفعاً لانها دخلت في سلطة صلاح الدين ولم يعط منها شيئاً للملك الصالح  
 فاستنكف منه وخافه ثم حاول صلاح الدين الاستيلاء على حلب وكانت

في حوزة الملك الصالح على نية ان يخرجهُ الى شرقي البلاد السورية وكان الملك الصالح قد استنجد ابن عمه سيف الدين الغازي وكان قد ولاة الموصل فأمدهُ فاتَّخَذَ الجيُشان وهاجموا صلاح الدين قرب حماه في ١٩ رمضان سنة ٥٧٠ هـ فغلب عليهم وسلب منهم كلَّ امتعتهم واستولى على حلب وابطل الخطبة للملك الصالح وخطب لنفسه

فراى صلاح الدين اذ ذلك من قوّاته والاحوال المحيطة به ما يؤهله لبلوغ ما طالما كان يتمناه من الاستقلال بالملك فصرَّح بسلطانه في مصر وسوريا وكان كذلك فاصبح الصليبيون اعداءهُ رأساً امام فاعتصموا فرصة انشغالهِ في جهات حلب وحملوا على البلاد الغربية من سوريا وجعلوا يتنكبون باهلها ويسمونهم سوء العذاب يقتلون بعضهم ويأسرون البعض فحاربهم طوران شاه اخو صلاح الدين فلم يقوَ عليهم . فبلغ ذلك صلاح الدين وكان قد استقدم جنداً مصرياً فانفذ بعضهم فارجعلوا الصليبيين على اعقابهم فعاد الى اتمام فتوحاته فحارب سيف الدين الغازي وفاز به واستولى على بوزاع ومنبج وعبراز حيث قبض على اثنين من الباطنيين وقتلها بيده وكانا مرسلين من قبل امير الباطنيين ليقتلاه وختم صلاح الدين فتوحاته العظيمة بمعاهدة عقدها مع سيف الدين الغازي والمملك الصالح من مقتضاها استبقاء جميع البلاد التي فتحها تحت سلطنته وان لا يكون للملك الصالح ادنى تداخل فيها

وعاد صلاح الدين الى مصر في ٢٠ محرم سنة ٥٧٢ هـ بعد ان استخلف اخاه طوران شاه على دمشق وكان قبل مسيره الى الشام قد استخلف على مصر موقناً وزبره الامير بهاء الدين الاسدي وهو خصي فارسي قد تقدم ذكرهُ فعهد اليه تدير الاحكام وامره ان يقيم البناءات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها فانفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيره ونشاط وكانت الجسور المقامة لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد أهمل شأنها منذ تولى

الخلفاء الفاطميون فكان اذا فاض طغت مياهه على الباسية وخربت  
الطرق واقسدت الزرع فهدد الطرق واحفر الترع واقام الجسور والسدود  
واستخدم لذلك حجارة بعض الاهرام الصغيرة التي كانت تحيط باهرام الجيزة  
وغيرها من ابنية المصريين القدماء وانشأ طريقاً تمتد طولاً على ضفة النيل  
فتقها من صدمات المياه وتسهل صلات العاصمة مع مصر العليا والسفلى  
وشاد فوق التربة التي كانت تجري بين الجيزة واهرامها جسراً عظيماً  
مولفاً من اربعين قنطرة لا يزال بعضها باقياً الى الان

ولم يكن لصلاح الدين اذ ذلك مسكنٌ الا القصران اللذان كانا  
مسكناً للخليفة والوزير السابقين ولم يكونا منيعين حتى المنعة فجعلها منزلاً  
لضباط الحكومة وقواد الجيوش وشاد عند الطرف الشمالي من جبل المقطم  
على سفح قلعة منيعة لارهاب الاهالي اذا حاولوا العصيان وجعل فيها  
قصرًا لبلاطه وكان في ذلك المكان بناء قديم من عمل الدولة  
الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه واقام القلعة على انقاضه واتى بحجارتها  
من خرائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب نشرف على  
كل المدينة وليس في القاهرة بناء آخر اعزّ موقعاً من القلعة وهي التي لم  
تزل باقية الى هذا العهد وتعرف بقلعة الجبل او قلعة القاهرة . وجعل بهاء  
الدين في القلعة بئراً نفراً في الصخر عميقاً جداً يسع كلما تحتاج اليه الحامية من  
الماء ولا يزال البئر والنصر الى هذه الغاية يعرفان باسمه فالبئر يدعى بئر  
يوسف ويظن بعض العامة انه سمي هكذا نسبة الى يوسف الصديق ابن  
يعقوب والصحيح نسبه الى يوسف صلاح الدين الذي امر باحتماره  
والمظنون ان هذا البئر كان محفوراً من ايام قدماء المصريين ثم طمر  
بالرمال فاعاد صلاح الدين حفره . وما بقي من القصر يعرف بديوان يوسف  
او ديوان صلاح الدين . وابتنى هذا الوزير ايضاً حواصل كبيرة في النسطاط  
لخزن المحاصلات التي ترد من الاعمال سنوياً ولا تزال تدعى الى يومنا هذا

بغازن يوسف وقد ظن بعض المتفرجين انها من بناء فرعون في ايام  
يوسف الصديق . وبعد ان فرغ بهاء الدين من اصلاح الترع والتخجان  
والطرق وبناء القلعة اخذ بهم بنام سور القاهرة وكان قد ابتدا بعمارته  
السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ على وزارة العاضد ثم عهد  
الى بهاء الدين اتمامه فعمل له رسماً عظيم الاتساع يحيط بالقاهرة والنسطاط  
وقصر الشمع وما بينها من الارض الا انه استعظم بناءه بهذا الاتساع فجعله  
محيطاً بالقاهرة والقلعة فقط واضطر لقبام مشروع هذا ان يهدم جوامع  
ويوتناً وقيوراً كثيرة كانت قائمة في مكان السور ولم يكن الاهالي معتادين  
على الاذعان لاوامر صلاح الدين كسلطان وكان بعضهم لا يزال متشبعاً  
للدولة الفاطمية فاتهموا بالاستبداد ولقبوا بهاء الدين بقراقوش اي الطير  
الاسود وهو العقاب ولا يزال بعض عامة الشرفيين يصفون هذا الاسم  
بالاستبداد والعسف وينسبون اليه احكاماً عجيبة في ولايته حتى ان الاسعد  
ابن ماتي له كتاب لطيف سماه الغاشوش في احكام قراقوش وفيه اشياء  
يبعد وقوع مثلها منه والظاهر انها موضوعة فان صلاح الدين كان معتمداً  
في احوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفائه ما فوضها اليه وكان  
رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية

وهذه هي المرة الثالثة لبناء سور القاهرة في المرة الاولى بناء جوهر وفي  
الثانية امير الجيوش وفي الثالثة بهاء الدين بامر صلاح الدين فزاد فيه  
القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى  
باب البحر وبني قلعة المنس وهي برج كبير جعله على النيل بجانب جامع  
المنس الذي يعرف اليوم بجامع اولاد عنان وهو خارج باب البحر على  
يسار الذهاب من الشارع الجديد الى محطة السكة الحديد وانقطع السور  
من هناك . وزاد في سور القاهرة قطعة ما يلي باب النصر منتهى الى باب  
البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير يتصل بسور قلعة

المجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصورة تحت القلعة والى الآن  
آثار الجدار ظاهرة للتأمل فيما هو آخر السور الى جهة القلعة وجاء دور  
هذا السور المحيط بالقاهرة ٢٩٢٠٢ من الاذرع الهاثمية . وقلعة المنس  
المذكورة كانت برجاً مطلقاً على النيل في شرقي جامع المنس ولم تنزل  
حتى هدمها الوزير صاحب شمس الدين عند ما جدد الجامع المذكور  
سنة ٥٧٠٧ هـ وجعل في مكان البرج المذكور جنيبة . وحفر بهاء الدين  
خارج السور خندقاً جعله من باب النوح الى المنس ومن الجهة الشرقية  
خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وجعل خارج هذا الخندق  
سوراً آخر بابراج مبني بالحجارة الا ان هذا السور الثاني هدم جميعه والخندق  
ردم الا في بعض الاماكن

وفي سنة ٥٧٢ هـ عاد الصليبيون الى التعدي فحصلت بينهم وبين صلاح  
الدين موقعة في الرملة كان النور فيها للصليبيين الا ان ذلك النور لم  
يلبث حتى انقلب عليهم لما حصل بين رؤسائهم من الانشقاق

وفي ٥ صفر سنة ٥٧٦ هـ توفي شمس الدولة طوران شاه في ثغر  
الاسكندرية وكان قد جاءها من دمشق فنقلته اخذته ست الشام بنت ايوب  
الى دمشق ودفنته في مدرستها التي انشأها بظاهر دمشق فهناك قبره  
وقبرها وقبر ولدها حسام الدين عمر بن لاجين وقبر زوجها ناصر الدين  
ابن اسد الدين شوركويه صاحب حمص وكانت قد تزوجته بعد لاجين  
وفي سنة ٥٧٨ هـ حمل صلاح الدين على سوريا حملة ثانية وسبها

ان الملك الصالح كان قد مات واستخلف عز الدين ملك الموصل فلاح  
لهذا ان يخرق المعاهدة التي كانت قد عقدت مع صلاح الدين فانصل  
ذلك بصلاح الدين وانصل به ايضا ان امراء الموصل تآمروا عليه سرا  
مع الصليبيين فاسرع الى سوريا فاجاء حلب وحاصرها فسلمت ثم استولى  
على الرها ورفقة ونصيبين وسروج وخابور وسنجار وحران ثم اتى فمسك

امام الموصل ولم يبق غيرها للملك الصالح فحاصرها وبعد اخذ ورد سلمت سنة ٥٨١ هـ وأصيب فيها صلاح الدين بمرض شديد فانتشر ذلك في أنحاء سوريا ثم بعث عز الدين يطلب المصالحة وكانت المصالحة النهائية لانهم جعلوا لها حثبة دينية ومن مقتضاها الخطبة لصلاح الدين في الموصل وسائر البلاد التي أرجعت للانابك الملك الصالح وان يعترف ملك الموصل بتبعيته لصلاح الدين ويتقدمه العدة والرجال عند الحاجة لمحاربة الصليبيين

وفي ٤ اربيع آخر سنة ٥٨٢ هـ كانت بداية وقعة حطين الشهيرة في وسط نهار الجمعة والاسلام كثيراً ما يجاولون لقاء عدوهم يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر في سائر العالم الاسلامي في وقت واحد . فسار السلطان صلاح الدين بما اجتمع لديه من الجند على اتم نظام وحظ رحالة عند بحيرة طبرية على سطح الجبل على امل ان الافرنج اذا بلغهم نزولته هناك يقدمون اليه وكانوا معسكرين في مرج صنورية بارض عكا فلم يتحركوا من منزلهم فسار صلاح الدين في جريئة من جيشه الى طبرية واستلمها بساعة بعد القتل والنهب الا ان القلعة بقيت سالمة من فيها . فبلغ الافرنج ما حصل بطبرية فساروا نحوها فعلم السلطان بذلك فترك على قلعة طبرية من يحاصرها وعاد للملاقاء العدو فالتقى به على سطح جبل طبرية الغربي في يوم الخميس ٢٢ ربيع آخر وبعد حرب شديدة تفرقت جيوش الافرنج الا فرقة منها تحصنت في تل يقال له تل حطين وهي قرية هناك عندها قبر النبي شعيب فضاينهم المسلمون واشعلوا حولم النيران واشتد بهم العطش الى ان الجأهم الامر للقتال بأساً فاسرت مقدمتهم وقتل الباقون وكان في جملة المأسورين الملك جنري واخوه البرنس ارباط صاحب الكرك والشوبك وغيرهم من القواد والامراء فجلس السلطان صلاح الدين في خيمته وامر بتحضير الاسرى بين يديه

فاحضروا وفيهم الملك جنري فامر له بشربة من جلاب وثلج فشربها وكان في غاية الظأ ثم اعطى البرنس ارباط اخاه فشرب وقال السلطان للترجمان قل للملك انت الذي سقيته اما انا فما سقيته وكان من جميل عادة العرب ان الاسير اذا اكل او شرب من مال من اسره أمن فنقص السلطان بقوله هذا ان الملك جنري قد امن اما اخوه فلم يأمن . وكان في قلب صلاح الدين حقد على البرنس ارباط لسابق تعديه على جماعة من المسلمين وقتلهم في حال سلمية لغير داع فسبى من السلطان قسم انه اذا ظفر بهذا الامير قتله . فبعد ان شربا ارسلها للمائدة فاكلا ثم اعيدا الى السلطان فاخذ بيده سيقاً وتقدم الى البرنس ارباط قائلاً ها انا انتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام فاني فضرت به بالسيف فحل كنفاه وتم قتله من حضر ورميت جثته على باب الخيمة فلما رأى جنري ذلك وقع الرعب في قلبه . فكلمه السلطان وطيب خاطره وقال له لم تجر العادة ان يقتل الملوک الملوک اما هذا فقد تجاوز الحد وتجرأ على الانبياء .

وفي اليوم التالي نزل السلطان على طبرية فاستلم قاعنها ثم رحل طالباً عكا فبلغها يوم الاربعاء غاية ربيع آخر . وفي اليوم التالي حاربها واخذها وانفذ من كان فيها من اسارى المسلمين وكانوا اكثر من ٤٠٠٠ واستولى على ما فيها من الاموال . ثم فرق السلطان صلاح الدين جيشه فرقاً في انحاء سوريا فاستولى على نابلس وحيناً وقيسارية وصنورية والناصرية . وسار هو يطلب تبين فترها يوم الاحد ١١ جمادى الاولى وهي قلعة منبعا فحاصرها اسبوعاً ونصب عليها المنجنيق حتى فتحها عنوة ثم رحل عنها الى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد نزوله ثم سار الى بيروت وركب عليها المنجنيق وما زال حتى اخذها في يوم الخميس ٢٩ جمادى الاخرة وسارت سرية من رجاله الى جبيل من اعمال لبنان فاستلمتها . ثم حوّل شكيمة فتوحاته جنوباً فاصداً عسقلان فمر على

مواقع كثيرة كالرمانة والدارون فاستولى عليها فلما وصل عسقلان  
نصب عليها الخجيني وقاتلها قتالاً شديداً حتى نسلها ثم بعث من رجاله  
من استلم غزوة وبيت جبريل والبترون بغير قتال

ولما تم لصلاح الدين الاستيلاء على البلاد المحيطة ببيت المقدس شمر  
عن ساعد الجدى في المسير اليه فجمع اليه جنده وكانوا متفرقين في الساحل  
وسار بهم حتى اتى بيت المقدس يوم الاحد في ١٥ رجب سنة ٥٨٢ هـ  
فتزل في الجانب الغربي وكان مشحوناً من الخيالة فانتقل الى الجانب الشمالي  
في ٢٠ منه وهناك نصب الخجيني وضيق على البلد بالرحف والقتال حتى  
اخذ النقب في سورها ما يلي وادي جهنم فلما رأى الافرنج ما كاد يقع بهم  
طلبوا المخابرة فحصلت وانتهت بتسليم المدينة فسلمت في ٢٧ رجب وكانت  
ليلة المعراج وكان يوم فرح وافتخار لجيش المسلمين فتقاطر الشعراء من  
سائر الانحاء لنهضة السلطان صلاح الدين بما اناؤه الله من الفتح ونظمو  
النصائد وقالوا الخطب على الجماهير وسالت اقلام الكتاب وفاضت قرائعهم  
فكنت ترى فيهم اما خطيباً يبشر ويحرض واما شاعراً يحمده الله ويمدح  
الفتح او مؤرخاً يذكر الحادثة بما فيها من الثغر لجيش الاسلام وكان من  
جملة من كتب القاضي الناضل صاحب السيرة الايوبية وعماد الدين  
الاصهاني ومن انشد في هذا الشأن عبد الرحمن بن بدر فقال قصيدة مطلعها

هذا الذي كانت الايام تنتظرُ فلبوفِ لله اقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت يمدح بها السلطان ويهتبه بالفتح  
ولما استلم المسلمون بيت المقدس نكسوا الصليب الذي كان على قبة  
الصخرة وكان عظيم الحجم . وكانت قاعدة الصلح ان يؤدى الافرنج عن كل  
رجل منهم فدية عشرين دينار وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية وعن  
كل ذكر صغير او اثني ديناراً واحداً فمن احضر فديته نجا بنفسه والا  
اخذ اسيراً فلما جمعت الاموال فرقها السلطان على الامراء والرجال

والفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه . وبعد فتح بيت المقدس سار  
لفتح صور فجهّأ عكاً فقتل فيها ونظر في أمورها ثم سار عنها الى صور في  
يوم الجمعة ١٥ رمضان فقتل قريباً منها وارسل لاحضار آلات القتال ولما  
تكاملت نزل عليها وقتلها برّاً واستقدم اسطول مصر ليقاقتها بحراً ثم  
ارسل من حاصر هونين فسلمت اما الصوريون فارسوا اسطولهم الى  
اسطول المسلمين فاسروا منه خمس قطع وقتلوا كثيراً من المسلمين فعظم  
ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكت الامطار  
واستشارهم فيما يفعلون فاشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجمعوا  
للقتال فساروا وحملوا من آلات القتال ما امكن واحرقوا ما بقي منها  
وسارت كل جماعة الى بلادهم للراحة وسار صلاح الدين الى عكا

وبقيت الهدنة الى ان دخلت سنة ٥٨٤ هـ وعند ذلك نزلوا على حصن  
كوكب وكان منيعاً فاخذوه بعد قتال شديد ثم سار السلطان الى دمشق  
وبقي فيها خمسة ايام . ثم بلغه ان الافرنج قصدوا جبل فسار نحوهم ثم علم  
انهم رحلوا عنها فتوقف وسار قاصداً اتمام فتح سوريا فجهّأ ترسوس في ٦  
جمادى الاولى سنة ٥٨٤ هـ وكان قد انضم اليه رجال من سنجار والموصل  
تحت قيادة عماد الدين زنكي ومظفر الدين بن زين الدين ففتح ترسوس  
ثم سار الى جبلة ففتحها ومنها توجه الى اللاذقية في ٢٤ جمادى الاولى  
فاخذها في يوم واحد الا قلعتها على انها اضطرتنا اخيراً للتسليم ثم رحل  
من اللاذقية الى صهيون فقتل عليها في ٢ جمادى الاخرة فصالحها اهلها  
على ان يدفع الرجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة والصغير دينارين ثم  
سير من رجاله من استولى على عدة قرى منها بلاطس وغيرها من الحصون  
المنبعة ثم رحل عنها واتى بكاس وهي قلعة حصينة على نهر العاصي ففتحها  
عنوة وهدم قلعتها وتوجه بعدئذ الى قلعة برزنة الشهيرة ففتحها وفتح غيرها  
من القلاع

وفي ٢ شعبان ارسل اهل انطاكية يطلبون الصلح فصالحهم ثم توجه الى حلب في ضيافة ابنه الملك الظاهر ثم الى حماه في ضيافة عمرا بن اخيه قبات في حماه ليلة واحدة ثم سار على طريق بعلبك ودخل دمشق وسار في اوائل رمضان يريد صدد فخار بها واستولى عليها بالامان وفي هذا الشهر سلمت الكرك ايضا ثم نزل في الغور واقام بالخيم بقية الشهر واعطى الجماعة دستورا وسار مع اخيه العادل يريد زيارة القدس ووداع اخيه لانه كان متوجها الى مصر فدخل القدس في ٨ ذي الحجة وصلى بها العيد وسار منها الى عسقلان في ١١ منه ينظر في امورها فاخذها من اخيه العادل وعوض عنها الكرك ثم مر على بلاد الساحل يتفقد احوالها ثم دخل عكا فاقام بها معظم الحرم من سنة ٥٨٥ هـ واصلح امورها ورتب بها الامير بهاء الدين قراقوش والبا وامر بعمارة سورها وسار الى دمشق فدخلها في مستهل صفر واقام بها الى ربيع اول ثم خرج الى شقيف اربون وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف في ١٧ ربيع اول واقام اياما يباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فتضايق صاحب الشقيف فنزل الى صلاح الدين بنفسه وطلب الامان ووعد انه يسلم المكان بشرط ان يعطى له موضع يسكنه في دمشق لانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الافرنج واقطاع تقوم به وباهله وشروطا غير هذه فاجابه الى ما طلب وفي اثناء ذلك وصلت الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد اقام عليها جمعا يحاصرونها مدة سنة كاملة الى ان تند زاد من كان فيها فسلموا

ثم ظهر بعد ذلك للسلطان ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فسير صلاح الدين مهانا الى دمشق ثم ظهر له ان الافرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها في ١٢ رجب سنة ٥٨٥ هـ فسار اليها حالاً ونزل فيها بغتة ليفتوي قلوب من بها وارسل يستدعي التجذات من الانحاء

وكان عند الافرنج مقدار النني فارس و ٢٠ الف رجل . ثم تكاثروا واستنحل امرهم واحاطوا بعكا وحاصروها في غاية رجب فضاقت صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق اليها لتستمر السابلة بالنجدة فيتمكن وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا وجرى بينه وبين الافرنج مناوشات في عدة ايام ثم تأخر المسلمون الى تل العياضة وهو مشرف على عكا وفي هذه المنزلة توفي الامير حسام الدين طمان

وما زال الحال كذلك والافرنج يتشددون بما كان يأتهم من المدد بجرأ الى أن قووا على فتح المدينة ودخلوها والسلطان خارجها فعظم ذلك عليه جداً ثم بلغه ان الافرنج سيخرجون من عكا للاستيلاء على عسقلان فأتى السلطان الرملة وتشاور مع ذوي شوره في امر عسقلان وهل الصواب خرابها ام يقاتوها فانفتحت اراؤهم ان يبقى الملك العادل قبالة العدو وان يسير صلاح الدين بنفسه لخرابها خوفاً من وصول العدو اليها فيأخذ بها القدس فسار وشرع بخرابها بكل نشاط رغماً عن ارادته لانه قال « لأن افقد ولدي جميعهم احب الي من ان اهدم منها حجراً ولكن اذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة » وهاجر اهالي عسقلان الى الشام ومصر وغيرها حزاني تاركين اراضيهم وبيوتهم ومواشيهم بحالة برئ لها . وبينما كان الخراب قائماً اتى من الملك العادل خبر مفاده ان الافرنج تحدثوا معه بامر الصلح طالبين جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان ان موافقتهم على طلبهم هذا افضل لما رأى من الضجر الذي خامر قلوب المسلمين من المشاق المتواليه فكسب اليه باذنه في ذلك وفوض الامر الى رأيه واصر على حريق عسقلان فنوض ذلك الى احد اولاده الافضل وسار الى الرملة ومنها الى اللد واشرف عليها وامر باخرابها واخراب قلعة الرملة ثم دار حول قلعة البترون وهي قلعة منبعة فامر باخرابها وفي يوم الاربعاء ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ هـ تم الصلح بين صلاح الدين

وكبير الصليبيين بعد مداوات ومخابرات يطول شرحها ونادى المنادون ان البلاد الاسلامية والنصرانية واحدة فمن احب من كل طائفة ان يتردد الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوماً مشهوراً سرّت به الطائفتان وعادت الصلوات الى مجاريها وعادت التجارة وجعل الزائرون يفتدون الى بيت المقدس من كل صوب وتوجه السلطان الى تلك المدينة يتفقد احوالها وسار اخيراً الملك العادل الى الكرك وابنة الملك الظاهر الى حلب وابنة الافضل الى دمشق وبقي السلطان صلاح الدين في القدس مدة يقطع الناس ويعطيهم دستوراً ويتأهب للمسير الى الديار المصرية وكان في عزمه السفر للبحر لكنه عدل عنه

ولما سار ملك الافرنج الى بلاده رأى السلطان ان يعود لتنفذ الفلاح السورية ففعل وسار منها الى دمشق فوصلها في ١٦ شوال وفيها اولاده الافضل والظاهر والظافر المعروف بالمشمر واولاده الصغار وكان يحب تلك المدينة ويؤثر الإقامة فيها على سائر البلاد . ثم قدم الملك العادل من الكرك فاصداً البلاد الفرانية فنزل دمشق واجتمعت هذه العائلة على رغد وسلام وقد نسي السلطان صلاح الدين عزمه الى مصر وعرضت له امور اخرى وعزمات غير ما تقدم

على ان المنية على عجزها مهاجمة هذا الباسل في ساحة الحرب لم تخف مهاجمة على فراشه وبين اولاده واخوانه فني يوم الجمعة ١٥ صفر ركب السلطان للملافة المحج فعاد الى منزله كسلاً ثم غشيت حتى صفر اوية ثم اصبح في اليوم التالي اكثر كسلاً وضعفاً وما زال المرض يتزايد يوماً فيوم الى ان نوافه الله بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ وكان يوم موته يوماً لم يصب الاسلام بمنزله منذ فقد الخلفاء الراشدين (رض) وغشي القلعة والملك والدينا وحشة عظيمة وكان الناس يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم . وكان سنة عند وفاته ٥٧ سنة ومدته حاكم ٢٤ سنة في

مصر و ١٩ سنة في سوريا . فحضر الجميع وشيعوا جنازته ودفنوه في الدار التي كان ممرضاً فيها وكانت بينهم شقيقة النقيب المدعوة ست الشام وقررت في الناس الصدقات العظيمة من جيبها الخاص . ويقول بعض المؤرخين ان صلاح الدين لم يترك في خزينته الخصوصية الا ديناراً واحداً و ٤٧ درهماً من النقصة ولم يجلسوا في جميع صناديقه ائراً للذهب او لغيره من الحجارة الكريمة وذلك ما يدل على فرط كرمه لانه اصاب اموالاً كثيرة جاد بها على آله وذويه

ومن آثاره في العدل والرفق ان الاموال الهلالية كانت قد اعيدت الى مصر اثناء الدولة الفاطمية وصارت تعرف بالمكوس فلما تولى السلطان صلاح الدين امر باسقاطها وكانت مداخيلها عظيمة جداً تبلغ مائة الف دينار سنوياً الا انها كانت مضروبة على جميع انواع الاطعمة والالبسة والحيوانات من ماشية وخبول وغيرها وعلى الحوانيت والاختشاب والمصنوعات والمزروعات والابنية والاقمشة الى غير ذلك جميع هذه امر صلاح الدين بالغائها . ورأى ان كثيرين من الاهالي لا يزالون مثقلين بالديون بسبب تلك المظالم فسامحهم بما كان عليهم وكان بالغاً قدرها عظيماً جداً من الدنانير والغلال

وكان بين اقارب السلطان صلاح الدين رجل يدعى عز الدين موسك كان من حفظة القرآن ومحبي اهل العلم فابنى قنطرة فوق الخليل الكبير دعاها قنطرة الموسكى ثم دعي الربع كلة باسمها فصار هناك درب الموسكى وخط الموسكى . ولما تم الصلح بين السلطان صلاح الدين والافرنج اياح لم ان يستوطنوا مصر وكان هو اول من فعل ذلك فجاء منهم بعض الباعة واستوطنوا في جهات الموسكى لانها خارج سور المدينة وافتحوا حوانيت لمبيع الادوية الافرنجية . ثم اخذ شارع الموسكى بالظهور على تمادي الايام حتى وصل الى ما هو عليه الآن وهو اغنى شوارع القاهرة

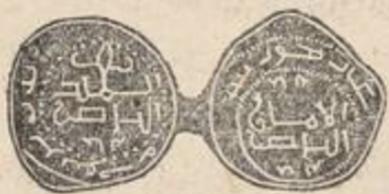
وترك صلاح الدين من الاولاد ١٧ ذكورا وانثى واحدة اسمها  
 مونسه خاتون تزوجت ابن عمها ناصر الدين محمد بن سيف الدين  
 الذي لقب بعدئذ بالملك الكامل . فلما توفي صلاح الدين اقتسم اولاده  
 واخوته واولادهم مملكته فيما بينهم غير ان المحصص لم تكن متساوية فان  
 ثلاثة من اولاده اخذوا اكبرها واقتنع الباقون بمقاطعات صغيرة . وتم كل  
 ذلك بموافقة الامراء فتلقب اول اولاد صلاح الدين المدعو نور الدين  
 بالملك الافضل وكان من نصيبه مملكة دمشق والشطوط البحرية  
 واورشليم والبصرة وبنياس وسوريا الغربية . ولقب ابو الفتح الغازي بالملك  
 الظاهر غياث الدين فاخذ حلب وجميع سوريا الشرقية ومن ضمنها حران  
 وتل باشرو وعيراز والمنجج . ولقب عماد الدين عثمان بالملك العزيز وتولى مصر  
 ومن هؤلاء الامراء الثلاثة تكونت ثلاث دول مختلفة هي الدول  
 الابوية الحلبية والدمشقية والمصرية اما من بقي من تلك العائلة فكانوا  
 ولاة على بلاد اقطاعهم اياها صلاح الدين الا انهم تحت سلطة هؤلاء الثلاثة  
 فسيف الدين ابو بكر الملقب بالملك العادل ابن ابوب واخو صلاح  
 الدين كان حاكما في الكرك والشوبك . وناصر الدين محمد الملقب  
 بالملك المنصور ابن نقي الدين عمر بن شاهين شاه احد اخوي صلاح  
 الدين كان اميرا على حماه والسلامية ومارا . وبهرام شاه الملقب بالملك  
 الامجد حفيد شاهين شاه ايضا كان ملقباً بملك الرها . وشمس الدولة طوران  
 شاه بن ابوب الذي كان قد فتح اليمن بامر ابيه سنة ٥٦٩ هـ كان قد اقام  
 فيها مملكة وكان اخوه نوغغفن  
 حاكما فيها تحت اسم الملك المعز  
 وترى في الاشكال ٤٧  
 و ٤٨ و ٤٩ صور النقود التي  
 ش ٤٧ نقود صلاح الدين ضربت في دمشق سنة ٥٨٢





ضربت في ايام السلطان صلاح الدين على احد وجهيها اسمهُ وعلى الوجه الآخر اسم الامام الناصر الخليفة العباسي لذلك

ش ٤٨ نقود صلاح الدين ضربت سنة ٥٨٤



العهد فالصورة الاولى نقود ذهبية ضربت في دمشق سنة ٥٨٢ والثانية نحاسية ضربت سنة ٥٨٤ والثالثة مثل ذلك

ش ٤٩ نقود صلاح الدين

### سلطنة الملك العزيز بن يوسف

من سنة ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ او من ١١٩٢ - ١١٩٨ م

وبعد ان قسمت الدولة الايوبية على ما تقدم عرف كل منهم نصيبه وبعد سير نهض اعداء صلاح الدين وكانوا ينتظرون فرصة للانتقام منه لغيره ايام فلما لم يستطيعوا ذلك في حياته قاموا على خلفائهم وجمعوا على محاربتهم فاتخذ الايوبيون في بادئ الرأي دفعا لها هضمهم ثم تفرقت كلمتهم لها قام بينهم من الخاسد انهبادا للمطامع واصفاء لذوي المناسد فاصبحوا بما بينهم في شاغل عن دفع مهاجمهم

ففي سنة ٥٩٢ هـ رأى الملك العادل حاكم الكرك والشوبك ان حصنة قليلة ومنصبه خبير بالنسبة لغيره من العائلة الايوبية فتواطأ مع الملك العزيز عثمان سلطان مصر على خلع الملك الافضل نور الدين علي عن دمشق وتولية احدهما الملك العادل عليها وفعلا ذلك بسهولة . ففر

الملك الافضل من دمشق الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة الناصر لدين الله  
وكان كلاهما شاعرين ماجدين . فكتب الافضل الى الامام الناصر

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي  
وهو الذي كان قدولاه والده عليها فاستقام الامر حين ولي  
فخالفاً وحلاً عقد بيعتو والامر بينها والنص فيه جلي  
فاجابة الامام الناصر بقوله

واني كتابك يا ابن يوسف معلناً بالود يخبر ان اصلك طاهر  
غصبا علياً حفة اذ لم يكن بعد النبي له يثرب ناصر  
فاشير فان غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الامام الناصر  
الآن الملك العادل لم يلبث ان بكنه ضميره فاعاد الملك الى ابن  
اخيه الافضل وتنازل ايضاً عن حصته الاصلية . الا ان العزيز لم يتمتع  
بالملك مدة طويلة فتوفي في القاهرة في ٢١ محرم سنة ٥٩٥ هـ وكان ملكاً  
مباركاً كثير الخير واسع الكرم محسناً الى الناس معتقداً في ارباب الخير  
والصلاح ولكنه كان ضعيف الميادي سهل الانقياد قليل الثروي وكان  
له عشرة من ذوي الحفة فاشاروا عليه يوماً ان يهدم اهرام الجيزة فأمر  
بهدمها حالاً وبعث اليها بالعملة فابتدأوا بالهرم الثالث منها وهو اقلها  
اعتباراً ويعرف بالهرم الاحمر وجعل اولئك العملة تحت ملاحظة بعض  
امراء مجلسه فحسروا بحوار الاهرام وجمعوا اليهم عدداً كبيراً من الفعلة  
النلاحين من القرى المجاورة وجعلوا لهم مرتبات فاحشة وما زالوا على  
ذلك نحو ثمانية اشهر فقدروا مقدار العمل فراقوا انهم لم يهدموا في اليوم  
الواحد الا حجراً واحداً او حجرين وان الاستمرار على هذا العمل  
ضرب من العبث وقد دخلت فيه نفقات كبيرة فعدلوا عنه سنة ٥٩٢ هـ  
وقد شوهوا وجه الهرم تشويهاً ولم يهدموا منه الا قسماً صغيراً جعل في  
الهرم خرقالاً يزال ظاهراً فيه الى هذا اليوم

ثم ارتأى الملك العزيز مشروعا آخر جاء بنتيجة افجع من تلك وذلك ان ايام الفيضان في مصر ولا سيما في القاهرة تعد من ايام التزهة لجرى ان المياه في الترع والخجان ولا سيما خليج مصر فانه يجري مخترقا المدينة فكان الناس يخرجون في ذلك الحين في صغار القوارب للتزهة في مجاري المياه ليلا ونهارا يتمتعون بعمرة ربهم فيقيمون الولائم ويضربون الموسيقى . وكان الحاكم بامر الله قد حاول مرات عديدة ابطال هذه العوائد فلم يقدر لان الناس لم يرضوا الا التمتع بما وهبهم الطبيعة من داعيات السرور فامر الملك العزيز سنة ٥٩٤ هـ بالامتناع عن هذه الاحتفالات امتناعا كلياً واستخدم لتنفيذ امره هذا طرقا وحشية فاسترحم الناس الغاء هذه الاوامر مرات عديدة فلم ينحول فجاهروا بالعصيان ثم عاجلت المنية الملك العزيز فقطعت جبهة قول كل خطيب

وما اناه الملك العزيز في سلطنته من المظالم انه اعاد اليها المكوس الظالمة التي كان قد الغاها ابوه وزاد في شناعتها وزادت في ايامه المنكرات وترك الانكار لها وكثر شرب المسكر وياحة اولي الامر والنهي له وتفاش الامر فيه الى ان غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقبمت في حارة المحمودية طاحون لطحن حبش المزر وافردت برسمه وحملت بيوت المزر واقبمت عليها الضرائب الكثيرة فمنها ما انتهى امره في كل يوم الى ستة عشر دينارا . وحملت اواني الخمر على رؤوس الاشهاد في الاسواق فداهم غلاء الحبوب لوقوف زيادة النيل جزاء الخشم . وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم بحيث لم يعد لهم ما ياكلون وكثر ضجيجهم وشكواهم فجعل الملك العزيز يفتصب الارزاق ويضها الى اقبليات عائلته وصارت الاهالي في حال صعبة زادها ارتكاب المنكرات والمظالم صعوبة الى ان جاءت المنية منصفة الظالم من المظلوم . وسبب موته انه توجه الى النجوم فطرد فرسه وراه صيد فتقطر بوقاصاته

الحقنى فحمل الى القاهرة فتوفي في الساعة الرابعة من ليلة الاحد سنة ٥٩٥ هـ



وترى في الشكل الخمسين  
صورة النقود النحاسية التي  
ضربت في عهد الملك العزيز  
ابن صلاح الدين

ش ٥٠ نقود الملك العزيز بن صلاح الدين

### سلطنة الملك المنصور بن العزيز

من سنة ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ او من ١١٩٨ - ١٢٠٠ م

وخلف العزيز ابنه ناصر الدين محمد وسنه ثمانى سنوات فلقبوا  
بالمملك المنصور ثم استفدوا على عمه الملك الافضل من سوريا ليكون وصيا  
على ملكهم الجديد فقبل وجاء القاهرة ونودي به انا بكا اى وصيا على ابن  
اخيه الا انه لم يتمتع بهذه المصلحة لان عمه الملك العادل قدم بجيش جرار الى  
القاهرة وبين حنوقه بالتوصية بناء على انه جد الصبي الحاكم وعم وصيو  
فحاول الافضل مقاومته فلم يجمع فحاصر في سرايته في القاهرة ثم فر  
راجعا الى حكومته في دمشق مكث فيها بما قسم له



وترى في شكل ٥١  
صورة النقود النحاسية التي  
ضربت على عهد الملك المنصور  
ابن العزيز

ش ٥١ نقود المنصور بن العزيز

## سلطنة الملك العادل بن ايوب

من سنة ٥٩٦ - ٦١٥ هـ او من ١٢٠٠ - ١٢١٨ م

ولما خلا الجولملك العادل خلع الملك المنصور في شوال سنة ٥٩٦ هـ بعد ان حكم ٢١ شهراً . وتولى الملك العادل سلطنة مصر وسوريا بنفسه وخلع الملك الافضل عن دمشق وما زال حتى جعل جميع من بقي من المحكام الايوبيين في الامارات الصغيرة خاضعين لسلطانه وفي جملتهم ابن اخيه الظاهر ملك حلب فعادت مملكة صلاح الدين بعد ان انقسمت حصصاً الى مملكة واحدة تحت سلطان واحد . وفي سنة ٥٩٨ هـ ارسل ابنه ابا الفتح موسى الملقب بالملك الاشرف مظفر الدين الى الرها فتملكها ثم اضيفت اليه حران وكان الاشرف رجلاً محبوباً من الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب . وفي سنة ٦٠٠ هـ حصلت بينه وبين نورالدين ارسلان شاه صاحب الموصل موقعة حربية عظيمة وكان النصر له

وكان الصليبيون عند انقسام الدولة الايوبية قد اغتصموا الفرصة لاعداء سلطنتهم فاكثروا من الجند وجاهروا بطلب الفتح فسار اليهم العادل وعسكر على جبل طابور امامهم وكانوا قد استمدوا اوربا على امل ان تأتيهم الامدادات واملاك المسلمين منقسمة وكلمتهم متفرقة فيسهل قهرهم لكنها لم تصل اليهم الا بعد ان اتحد المسلمون واصبحت بلادهم مملكة واحدة تحت سلطان واحد هو السلطان الملك العادل سيف الدين فحاربهم فعادوا على اعتناهم وقد حبط مسعاهم فتعقبهم نحواً من شهر فجماعه مخبر بخبره بمحصول زلزلة عظيمة في مصر شعر بها اهل سوريا وقبرص واسيا الصغرى حتى العراق وما بين النهرين وهذه هي الزلزلة التي هدمت اسوار صور وكان ذلك سنة ٦٠٠ هـ . وكانت تهدد مصر

زلزلة اخرى سياسية وهي عمارة صليبية عظيمة احلثت سواحلها واخترقتها حتى بلغت فوه على فرع رشيد فاستولت عليها بعد ان نهبتها وذبحت اهلها فاضطرب لهدين الخبرين المخيفين فاسرع للملافاة الامر فتحارب مع قواد الصليبيين وعندوا معاهدة تقضي بانحسارهم من مصر على ان يتنازل لهم بمقابلة ذلك عن مدينة ياقا ويستحب من كان في اللد والرملة من المسلمين فانحسب الصليبيون من مصر لكنهم لم ينفكوا عن الحاربة في سوريا وهم لم يقبلوا بتلك المعاهدة الا ليشغلوا السلطان العادل في مصر ويسيروا الى فتح حماه والاستيلاء على ما يظريهم اليها من الاراضي . فاتصل ذلك بالسلطان العادل فبارح مصر في جيش للمدافعة عن حماه فحصلت بينه وبينهم مواقع دموية كثيرة وبينما هم في ذلك اخبر المخبرون بقدوم المدد الى الصليبيين وهي الحملة العظيمة التي ارسلها البابا الثالث وحطت رحالها عند عكا وغيرها فخرج الملك العادل الى نابلس ليقوم فيها حصناً فطرده منها فرجع الى سهل صفر . فقطع الصليبيون جميع المخابرات مع مصر حتى جاؤا على نهاية المذامح الصليبية في سوريا فحاولوا اغتصابها الى مصر فجاؤا اليها بحراً وحاصروا دمياط في يوم الثلاثاء في ٤ ربيع اول سنة ٦١٥ هـ وهم نحو ٧٠ الف فارس و ٤٠ الف راجل فحجسوا تجاه دمياط في البر الغربي وحضروا على معسكرهم خندقاً واقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجاً منيعاً في سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتتبع المراكب الواصلة في البحر المالح من الدخول الى ديار مصر في النيل وكان البر الذي نزل عليه الصليبيون جزيرة محاطة بالنيل من جهة وبالبحر المالح من الاخرى يقال لها جزيرة دمياط وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصاراً منيعاً من البحر والبر والسلسلة ممتدة بين البرج والسور فحاول الصليبيون امتلاك ذلك البرج لانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة وكان هذا البرج مشحوناً بالمقاتلين

تأتي إليه المؤمن من ديباط على جسر خشبي منصوب في عرض النيل  
وبعد مدة انكسر ذلك الجسر فاغتنم الصليبيون تلك الفرصة واصطنعوا  
برجاً خشبياً نصبوه على مركبين موسوقين قيوداً وانزلوا اليه اقوى رجالهم  
واحسن عدتهم وساروا في النيل لهاجمة برج المسلمين . فلما رأى المسلمون  
ذلك تجهروا من البرج والسور واخذوا برمي السهام والحرايب والمجارة  
والمخبيق على برج الصليبيين فلعبت النار به فخاف الذين فيه ثم انطأ  
حالا ونشدد الصليبيون حتى استولوا على برج المسلمين . فبلغ قدوم  
الصليبيين الملك الكامل وكان يخلف اباؤه الملك العادل على ديار مصر  
فخرج بمن معه في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الافرنج وامر  
والي الغربية بجمع العربان وسار هو في جمع كبير ونزل بمن معه من  
العساكر بمنزلة العادلية قرب ديباط وامتدت عساكره الى ديباط لتتبع  
الافرنج من السور والقتال مستمر اربعة اشهر والعادل يسير العساكر من  
البلاد الشامية شيئاً بعد شيء حتى تكاملت عنده واشتد خوفه من نزول  
الفرنج على ديباط فرحل من مرج الصفر الى عالفين فتزل به المرض  
ومات في جمادى الآخرة فكنم الملك المعظم عيسى مؤنة وحمله في محنة  
وجعل عنده خادماً وطيباً راكباً الى جانب المحنة والشرابدار يصلح الشراب  
ويحمله الى الخادم فيشربه ويوم الناس ان السلطان شربه الى ان دخلوا  
به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فاعلن بموته وتسلم ابنة  
الملك المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة العادلية  
بدمشق



وترى في الاشكال ٥٢  
و٥٣ و٥٤ صور النقود التي  
ضربت في عهد الملك العادل

ش ٥٢ نقود الملك العادل وعليها اسم الخليفة الناصر



ابن ايوب فالاولى والثانية  
عليها اسم الملك العادل من  
الجهة الواحدة والخليفة الناصر  
لدين الله من الجهة الأخرى

ش ٥٣ نقود الملك العادل وعليها اسم الخليفة الناصر



والثالثة لا يظهر عليها إلا اسم  
الملك العادل فقط

ش ٥٤ نقود نحاسية للملك العادل

### سلطنة الملك الكامل بن العادل

من سنة ٦١٥ - ٦٢٥ هـ أو من ١٢١٨ - ١٢٢٨ م

وبلغ الملك الكامل موت ابيه وهو بمنزلة العادلية فاستلم زمام الاحكام  
اما الصليبيون فاحموا في القتال ولا سيما عند ماعلموا بموت الملك العادل  
وقطعوا السلاسل التي كانت تتصل بالبرج لتجوز مراكبهم في بحر النيل  
ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسراً عظيماً  
في عرض النيل فقاتل الصايبيون قتالاً شديداً الى ان قطعوه وكان قد  
انفق عليه وعلى المبرج ما يتف على سبعين الف دينار

وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط  
لتنقد الاحوال واعمال المحبلة في مكابدة الاعداء فامر ان تفرق المراكب  
في النيل لتمنع الصليبيين من سلوكهم فيه فعمد هؤلاء الى خليج هناك يعرف  
بالازرق كان النيل يجري فيه قدماً فحفره وعمقوا حفرة واجروا فيه الماء

الى البحر الساحل واصعدوا مراكزهم فيه الى بورة على ارض جزيرة دمياط  
مقابل المنزلة التي فيها السلطان ليقاثلوه من هناك فلما صاروا في البورة  
قاتلوه في الماء وزحفوا اليه مراراً فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على  
اهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين  
عدوهم وباب المدينة مفتوحة ليس عليها من المحصر ضيق ولا ضرر وكانت  
العربان تخطف الافرنج في كل ليلة حتى منعوم من الرقاد خوفاً من  
غاراتهم فتوي طمع العرب في الافرنج حتى صاروا يحطفونهم نهاراً  
ويأخذون الخيم بمن فيها فكم لم الافرنج عدة كمناء وقتلوا منهم خلفاً كثيراً  
فكفوا عن ذلك . ثم ادرك الناس الشتاء وهاج البحر على مخيم المسلمين  
واغرقتهم فعظم البلاء وتزايد الغم والحج الافرنج في التنازل حتى كادوا يهلكون .  
كل ذلك والملك الكامل يرسل الرسل الى الجهات ينادي باخوته مدداً  
ويستجد اهل الاسلام على النصارى ويخوفهم من غلبة الافرنج ولا من يجب  
وفي اثناء ذلك ظهر في رجال الملك الكامل ثورة تحت قيادة زعيمها  
عماد الدين احمد بن المنشوب احد كبراء رجاله على ان لا يقبلوا  
الملك عليهم سلطاناً بعد ابيه وكان ذلك باتفاق مع اخيه الملك الفاتر فوقع  
الملك الكامل في حبس يوصى واوجس خيفة من مركزه ولم ير من ينجده  
فسار من العادلية الى قرية تدعى اشمون طناس (اشموم طناس) فاصح العسكر  
بغير سلطان فركب كل انسان منهم هواه ولحقوا بالملك ولم يفتنوا الى  
اخذ شيء من خيامهم وزخائرهم واموالهم واسلحتهم

كل ذلك والصليبيون في البر الثاني لا يدرون . وفي اذي التعدة  
سنة ٥٦١٥ بلغهم ما كان من امر المسلمين فعبروا النيل الى بر دمياط  
( البر الشرقي ) امنين بغير منازع وغنموا ما في عسكر المسلمين ما تركوه من  
امتعتهم وغيرها خارج المدينة وكان شيئاً لا يحيط به الوصف . فلما بلغ  
السلطان الكامل ذلك داخله وهم عظيم وكاد ان يفارق البلاد لانه لم

بعد يثق بنفسه ولا يهن حوله . اما مدينة دمياط فبقيت محاصرة وقد شدّد الصليبيون عليها المحصار برّاً وبحراً وكانت تلك السنة ليس اشد منها وطأة على المسلمين وقد اخذ البأس منهم مأخذاً عظيماً . فنيما هم في ذلك الشأن وفدت عليهم نجدة من الشام تحت قيادة الملك المعظم عيسى اخي الملك الكامل وكان قد تولى على دمشق بعد ابيه العادل فلما علم بما حصل لجيوش ابيه بعد وفاته اتى في عدة من رجال الشام فاطلعه الكامل على صورة الحال سرّاً وأسرّ اليه ان رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاء الملك المعظم يوماً على غفلة الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه فخرج اليه فقال له اريد ان اتحدث معك سرّاً في خلوة وسار معه وقد جرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق بهم وقال لهم اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيء الى شيء حتى ابعد عن المعسكر ثم قال له « يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتهي ان تمهبا لنا » ثم اعطاه شيئاً من النفقة وقال لاولئك المجردين تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه الا امتثال الامر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة في تلك الحال . ثم عاد المعظم الى اخيه الكامل وعرفه صورة ما جرى ثم جهز اخاه الملك الناصر المذكور الى الموصل لاحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فات بسبخار وكان ذلك خدبة لاخر اجه من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من المعسكر تخللت عزائم من بقي من الامراء الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرها لا طوعاً

وبعد يسير عاد الملك المعظم الى دمشق لينظر في احوال رعيته ثم خشي من الصليبيين ان يمتلكوا دمياط ان يمدوا يدهم الى اورشليم فتفوى سلطانهم فأمر بهدم اسوارها حتى اذا ملكوها لا تزيد قوتهم شيئاً يستحق الاعتبار . هذا والصليبيون قد ضيقوا على دمياط ومنعوا القوت من الوصول اليها وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقاً وبنوا عليه سوراً

واهل دمياط بفنائلتهم اغد القتال وبمانعوتهم وقد غلت الاسعار  
 لقله الاقوات . والمملك الكامل كان لا يزال في اثمون ناظرًا الى دمياط  
 وهي محصورة ولا يقدر ان يصل اليها وخشي اخيراً ان يبأس اهلها من  
 المساعدة فيسلموا المدينة فانتدب احد المجاندارية المدعو شمائل للدخول  
 الى دمياط لينشط من فيها وبعدهم بالانفاذ فكان يسبح في النيل الى ان  
 يصل الى اهل دمياط فيوصل اليهم الاخبار ويطمئنهم ويعود وبني على  
 ذلك مدة فحظي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى جعله والياً على القاهرة  
 واليه تنسب خزانه شمائل بالقاهرة . وفي اثناء حصار دمياط قاسى المسيحيون  
 في داخلية البلاد اضطهاداً شديداً وكان في الاسكدرية كيسة قديمة البناء  
 على اسم القديس مرقس فهدمها المسلمون خيفة ان يباغت الصليبيون  
 الاسكدرية من اجلها فيخذونها حصناً لانها كانت حصينة البناء كثيرة  
 الاعمدة وجعلوها بعد ذلك جامعاً ولا تزال آثارها الى هذا العهد بقرب  
 باب القباري

ثم دخلت سنة ٦١٦ هـ وقد غلت الاسعار في دمياط بما هو فوق  
 الحد فبلغت اليضة عدة دنانير وكان رجال الملك الكامل يبنفون  
 الاقوات الى اهل دمياط بحمل مخزنة مثل ان يأنوا بحمل ويشقوا جوفة  
 ويملاؤهم فرائخاً وفاكهة وبقلاً وغير ذلك ثم يحيطون عليه ويرمونه في النيل  
 فيسير مخدراً مع الخجري فاذا جاء امام دمياط نزل من فيها اليه واخذوه  
 واقتاتوا على ما في جوفه . وكان الافرنج احياناً يظفرون بهذه الحيلة  
 فيأخذون تلك المون . وفي آخر الامر زاد الضيق في المدينة وكثرت  
 الموتى جوعاً وامتلات مساكنهم وطرفات البلد منهم وهدمت الاقوات  
 حتى لم يبق عندهم الا بعض القمح والشعير

وفي يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ٦١٦ هـ هجم الصليبيون على دمياط  
 فاستولوا عليها وكانت مدة الحصار جميعها ١٦ شهراً و ٢٢ يوماً فدخلوها

واحكموا السيف فيمن بقي فيها من الاحياء الى ان تجاوزوا الحد في القتل  
وكانت الابخرة الفاسدة تنساعد عن جثث الموتى ما يلحق الاحياء بهم  
وكانت تلك الجثث متراكمة في الاسواق والبيوت وعلى الاسرة فكان  
يموت الابن جوعاً وليس من يسعى الى دفنه فيبقي في مكانه فيلحقه الاخ ثم الام  
ثم الاب وهكذا

وانصل ذلك بالسلطان الملك الكامل فرحل بعد سقوط دمياط  
بيومين ونزل قبالة طلخا على رأس بحر اشموم ورأس بحر دمياط ليمنع  
الافرنج من المسير الى داخلية القنطرة بجزراً وحيز في محلة المنزلة واقام  
معسكره هناك . اما الافرنج فحصبوا دمياط وجعلوا جامعها كنيسة على اسم  
القديسة مريم وبثوا رجالهم في القرى يقتلون وينهبون وبأسرون وبعثوا  
جميع من اسروا من المسلمين الى عكا بجزراً . اما الملك الكامل فاخذ في  
تحصين معسكره في المنزلة فامر ببناء الدور والفتادق والحمامات والاسواق  
وصارت تدعى بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الى انتصاره على الصليبيين  
هناك وكتب الى المسلمين في سوريا يستحثهم على محاربة الافرنج واخراجهم  
من ديار المسلمين . اما الصليبيون فتركوا امتعتهم وموئنتهم في دمياط بعد  
ان اقاموا فيها حامية كافية وساروا الى ان وصلوا تجاه المنصورة في ما هو  
امام سراي المنصورة الآن وعسكروا هناك وكان عدد الصليبيين اذ ذلك  
نحو مائتي الف راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانبهم امام  
المنصورة وعدتها مائة قطعة فاصبح المسلمون في ضيق . فامر الملك الكامل  
ان ينادى بالمسلمين للجهاد من سائر القنطرة فاجتمع الناس من سائر النواحي  
من اصوان الى القاهرة ونودي بالنفير العام ايضاً فيما بين القاهرة الى آخر  
الحوف الشرقي فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر وانزل السلطان على ناحية  
شارمساح الف فارس في آلاف من العربان ليحولوا بين الافرنج ودمياط  
وسارت الشواني ومعها حرافة كبيرة على رأس بحر الحلة وعليها الامير بدر

الدين بن حسون فانتظعت الميرة عن الافرنج من البر والبحر  
وفي اثناء ذلك انت التجذات للملك الكامل من الشام والشرق  
بتقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقنها الملك المعظم عيسى  
فتلقاهم الملك الكامل وانزلهم عنده بالمنصورة في ١٢ جمادى الآخرة وتنازع  
مجيء الملوك حتى بلغت عدة جيوش المسلمين نحو اربعين الف فارس  
فحاربوا الصليبيين في البحر والبر واخذوا منهم ست شواني واسروا منهم  
الفين وبنف فتضعع الافرنج وضاق بهم المقام فحاربهم الملك الكامل  
بامر الصلح ليخرجهم من بلاده فعرض عليهم ان يعطيهم بيت المقدس  
وعسقلان وطبرية وجبله واللاذقية وسائر الاماكن التي فتحها السلطان  
صلاح الدين الاكبر والشوبك والكرك لانها اصبحنا ملكاً خاصاً لهما فانها بالارث  
من السلطان صلاح الدين وطلب اليهم في مقابل ذلك ان يرثوا له دمياط  
ويتسحبوا من الفطر المصري

فاصر الصليبيون على طلب تينك المدينتين ومبلغ ٢٠٠ الف دينار  
نعويضاً لما سببه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بهدم اسوار بيت  
المقدس فامتنع المسلمون عن التسليم لهم بذلك ثم بعثوا سرية من رجالهم  
لتسير سرا من وراء معسكر الافرنج ونحرق سد ترعة المحلة وكان النيل  
في معظم ارتفاعه فطافت مياه الترعة حتى اغرقت جميع الاراضي التي  
تنصل جيش الصليبيين من دمياط فاصبحوا على مثل الجزيرة وقد حال  
الماء بينهم وبين نجدة اصحابهم فحافوا سو المصير وبنوا يشكون من قلة  
الطعام وكثرة المياه ولم يكن باقياً بينهم وبين دمياط الا طريق ضيق  
فامر السلطان بنصب الجسور عند اثمنون طنح فعبرت العساكر عليها  
وملكت تلك الطريق فاضطرب الافرنج وضاعت عليهم الارض  
وانفق مجيء مرمة عظيمة مدداً للصليبيين حولها عدة حراقات وقد  
ملئت كلها بالميرة والاسلحة فقاتلتها شواني المسلمين حتى ظفروا بها فانصل

ذلك بالافرنج فزاد خوفهم وندموا على رفضهم المعاهدة كما طلبت اليهم .  
 فطلبوا الامان على ان ينسحبوا من القنطر المصري جميعه ولا يطلبون  
 لذلك مقابلاً فقبل السلطان الكامل في ٧ رجب سنة ٦١٨ هـ بان يعطي  
 كل من الفريقين رهائن فاعطى الافرنج ملك عكا ونائب البابا رهناً  
 واعطى الملك الكامل ابنه الملك الصالح وكان سنة ١٥ سنة وجماعة من  
 الامراء . فسار الافرنج الى دمياط واصلوها الى المسلمين في ١٩ رجب بعد  
 ان كانوا قد اجهدوا أنفسهم في تحصينها وخرجوا من القنطر وبعد خروجهم  
 بقليل جاءت نجدة عظيمة في البحر الى الافرنج فشكر المسلمون الله لتأخرها  
 الى ذلك الحين . ولما بلغ الافرنج مكانهم ارسلوا الملك الصالح ومن معه  
 الى ابيو فارس لم رهنهم وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل  
 دمياط باخوته وعساكره وكان ليوم دخوله اليها احتفال عظيم  
 ثم عاد الى المنصورة وجلس في قصره فيها وبين يديه اخواه الملك  
 المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق  
 وغيرها من اهلها وخواصه وهم في سرور واحتفال وبين يديهم المغنون  
 فامر الملك الاشرف جاريتة فغنت على عودها  
 ولما طغى فرعون عكا وقومه وجاء الى مصر ليفسد في الارض  
 اتى نوح موسى وفي يده العصا فاغرقهم في البحر بعضاً على بعض  
 فطرب الاشرف وقال لها بالله كرري فثنى ذلك على الملك الكامل  
 واسكنها وقال لجاريتة غني انت فاخذت العود وغنت  
 ايا اهل دين الكفر قوموا لتنظروا لما قد جرى في وقتنا ونجددا  
 اعباد عيسى ان عيسى وحزبه وموسى جميعاً بصران محمدا  
 وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن حبارة اولها ( ابي الوجد  
 الا ان ابيت مسهدا ) فاعجب ذلك الملك الكامل وامر لكل من  
 الجاريتين بجائزة

ثم نهض القاضي الرئيس هبة الله بن محاسن قاضي غزوة وكان من جملة المجلساء وقال

هنيئاً فان السعد جاء محمداً وقد انجز الرحمن بالنصر موعداً  
 حباناً إله الخلق فتحاً لنا بداً مبيئاً وانعاماً وعزاً مؤبداً  
 تهلل وجه الارض بعد قطوبه واصبح وجه الشرك بالظلم اسودا  
 ولما طغى البحر الخضم باهله الطفاة واضحى بالمراكب مزبداً  
 اقام لهذا الدين من سل عزمة صبيلاً كما سل الحسام المهندا  
 فلم ينج الآكل شلو مجدل ثوى منهم او من تراه مقبداً  
 ونادى لسان الكون في الارض رافعاً عقبرته في الخافقين ومنشداً  
 اعباد عيسى ان عيسى وحزبه وموسى جميعاً بنصران محمداً

فكانت هذه الليلة بالمنصورة من احسن الليالي التي مرت لمالك من الملوك. ثم عاد السلطان الى مقر ملكه في القاهرة وانتقل من دار الوزارة التي كانت الى ذلك العهد منزلاً للخلفاء وسكن في قلعة الجبل واطلق جميع من كان في مصر من الاسرى وكان منهم من له من ايام السلطان صلاح الدين. وكانت مدة نزول الافرنج على دمياط الى ان اقلعوا عنها ثلاث سنين واربعة اشهر و ١٩ يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرون يوماً

ولما استتب للملك الكامل المقام على سلطنة مصر اخرج زعماء الثورة منها وظهر البلاد منهم حتى لم يعد لدبه من ينازعه في الملك. ثم عمد الى الصليبيين مقتناً فرصة ضعفهم وعقد معهم معاهدة على كيفية تمكنه من الاغتيال باخويه الذين لولاها لم تقم له قائمة في مصر فاغرى الامبراطور فريدريك ملك الصليبيين على الاغتيال باخويه الملك المعظم واستخراج دمشق من يده فقدم هذا الامبراطور الى عكا فانصل به خبر وفاة الملك المعظم سلطان دمشق وتصيب ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود

مكانة فاستبشر الملك الكامل ووضع يده على الشوبك وبيت المقدس وغيرها ما هو من مملكة دمشق فشق ذلك على الملك الناصر فاستنجد عمه الأشرف وكان منسلطاً على بلاد المشرق وما بين النهرين فجاءه حالاً في جيش كبير ولكن بدلاً من ان يدافع عنه ضد الملك الكامل جاء بعكس الامر

اما فريدريك فسار نوا من عكا لافتتاح مملكة دمشق ففتح اولاً صور وسار فالتقى بالملك الأشرف فتخاصما على الفريسة تخاصماً انتهى بموت الملك الأشرف فخلع الجول ملك الكامل واصبح الوارث لكلا الملكين فاتي سور بالهذه الغاية فوصل دمشق ومات فيها في رجب سنة ٦٢٥ هـ ودفن في قلعتها. وكان محباً للعظمة والافتخار متمسكاً بالسنة النبوية محباً للعلماء حسن الاعتقاد معاشراً الارباب النضائل حازماً في اموره لا يضع الشيء الا في موضعه من غير اسراف ولا افتار وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من النضلاء ويشاركهم في مباحثاتهم كواحد منهم ولما تولى سلطنة مصر خنض ضرائبها نحو الثلث واقام فيها الزينة

وترى في الشكليات ٥٥ و٥٦ صور النقود التي ضربت في ايام الملك الكامل بن العادل على احد وجهيها اسم الملك الكامل وعلى الآخر اسم الامام المستنصر



ش ٥٥ نقود الملك الكامل وعليها اسم المستنصر



ش ٥٦ نقود الملك الكامل

بالله الخليفة السادس والثلاثين من بني العباس فالأولى نقود ذهبية ضربت في القاهرة سنة ٦٢٧ هـ والثانية نحاسية ضربت في حلب

## سلطنة الملك العادل بن الكامل

من سنة ٦٤٥ - ٦٤٧ هـ أو من ١٢٢٨ - ١٢٤٠ م

ولما علم المصريون بوفاة الملك الكامل بايعوا ابنة سيف الدين ابا بكر الملقب بالملك العادل (الثاني) وكان قد استخلفه ابيه على مصر عند ما سار الى سوريا . واقاموا الامير بونس الملقب بالملك الجواد اميراً على سوريا تابعاً للملكة مصر الا ان امارته هذه لم تطل لانه اتفق في السنة التالية مع الملك الصالح نجم الدين ايوب شقيق سلطان مصر وكان اميراً على ما بين النهرين على ان يتبادلا الامارات فاتي الملك الصالح الى سوريا وسار الامير بونس الى ما بين النهرين . وكان غرض الملك الصالح من هذه المبادلة الاقتراب من مصر والسعي لاختلاس الملك من اخيه فتنبأ الملك العادل بذلك واوجس خيفة فسار بجوشه الى بليس ليوقف سير اخيه اذا حاول المجيء الى مصر فلما وصل بليس نزل فيها وما اصبح الا وهو في قبضة امرائه مفيداً وذلك يوم الجمعة في ٨ ذي الحجة سنة ٦٤٧ هـ وفي الحال خلعوه واستقدموا اخاه الملك الصالح وبايعوه على مصر فدخل القاهرة في موكب حافل واصوات الترحاب والدعاء مألثة الجوف فانتهت سلطنة الملك العادل الثاني وكانت مدتها نحو سنتين

## سلطنة الملك الصالح بن الكامل

من سنة ٦٤٧ - ٦٤٧ هـ أو من ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م

ولما استوى الملك الصالح على سلطنة مصر اخذ في تمكين قدمه فيها فامر في السنة التالية بالقبض على الامراء والمماليك الذين ساعدوه

على خلع اخيه وباعوه مكانه وقتلهم جميعاً وولى مكانهم من اخبر امانتهم نحوه . ثم عزل الملك الجواد يونس من امارته وحظر عليه القدوم الى مصر فاغناظ هذه المعاملة فالتجأ الى الصليبيين في عكا فقبلوه من اجل ثروته راجين التقرب بواسطته من اسماعيل امير دمشق وقد كانت تلك فرصة ثينة لم فتحنا لواء مع امير دمشق والملك المنصور ابراهيم امير حمص وامير الكرك وتعمدوا لم بحاربة مصر وقهرها على ان ياخذوا في مقابل ذلك مدن الصعيد والشقيف وطبرية وعسقلان واورشليم ولما تم التحالف المذكور احتل الصليبيون تلك الاماكن واخذوا في ترميم حصون طبرية وعسقلان ثم اخذوا يهتمون بحاربة مصر

وفي خلال ذلك نشأ في شرقي سوريا مغاوف كثير سببها ان قبيلة الخوارزميين لما طردهم جنكيزخان من شرقي اسيا اثناء فتوحاته هناك جاؤا سوريا الشرقية ونزلوا على حدودها فانفذ اليهم الملك الصالح سلطان مصر رسلاً اعتقدوا معهم صلحاً وعاهدوهم على محاربة الافرنج وامراء سوريا الذين على دعوتهم . فجنّد الخوارزميون واخترقوا سوريا الى ان بلغوا غزة فحاربوا الافرنج عند اسوارها وانجدهم سلطان مصر من الجهة الثانية فانهمزم الافرنج فنتبعوهم حتى استولوا على غزة وبيت المقدس باسم الملك الصالح . فارسل هذا الى مصر شيئاً كثيراً من الاسرى ورؤوس القتلى . ثم جمع مدداً وسار الى اسماعيل امير دمشق والى امير حمص وحاصرها وحارب معاربات اخرى شغلته من سنة ٦٤٥ الى ٦٤٧ هـ وشنت عن خضوع دمشق اما حمص فكانت لا تزال تدافع الى ذلك العهد فصبر من طول هذه المعاربات فسار بنفسه لقيادة جندها ففاجأه مرض ثقیل وهو نورم في ما بضو تكوّن منه ناصور ففجع وعسر برؤه وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش في دمشق . فجماعه مني بخبره بعزم الصليبيين على مهاجمة مصر واخذها وقد اكثروا من التجديد ووردت

اليهم النجيدات من اخوانهم في اوربا وكانت هذه التجربة الصليبية السابعة على الاسلام . وكان في بهولاء الافرنج قد تجملوا لكثرة انكسار انهم امام جيش الاسلام بعد ان جردوا اليهم اولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً فافترقوا المرة السابعة على تجريد قوة عظيمة برأسها ملك فرنسا لويس التاسع وهي مؤلفة من خمسين الف مقاتل ومعهم من العدة والسلاح شيء كثير وعدد عديد من المراكب المذخرة وضباطها منتخبون من اشد رجال اوربا الآن ان التعصب غشي ابصارهم فجاؤا يتعملون المشاق والاسفار لخاربة ابناء جلدتهم واهراق دماء العباد انتصاراً لمن هو في غنى عن نصرتهم

فلما علم الملك الصالح بقدوم الافرنج وهو فيما تقدم من المرض لم يسعه الأ مبارحة دمشق فسار في محفّة ونزل اشمون طنح في اول سنة ٦٤٧ هـ وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة وآلات القتال شيئاً كثيراً خوفاً من ان يجري على دمياط ما جرى في ايام ابيه وجهز اسطولا من صناعة مصر وجعل فيه سائر ما يحتاج اليه الجند وسيره شيئاً فشيئاً وضم الى جنده كثيراً من العربان واكثرهم من بني كنانة جعلهم وراءه متاريس دمياط وعهد قيادة حامية هذه المدينة الى الامير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ . ففي صباح يوم الجمعة في ٢٠ صفر من تلك السنة وردت مراكب الصليبيين الى دمياط وفيها جموعهم وحال وصولهم بعث ملكهم لويس التاسع الى الملك الصالح كتاباً ونصه

« اما بعد فانه لم يخف عليك اني امين الامة العيسوية كما انه لا يخفي علي انك امين الامة المحمدية وغير خاف عليك ان عندنا اهل جزائر الاندلس وما يحملونه الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونخلي منهم الدبار وانا قد اهديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان وادخلت علي الاقساء والرهبان وحملت قدامي

الشمع طاعة للصليبان لكنت واصلاً اليك وفاتلك في اعزّ البقاع اليك  
فاما ان تكون البلاد لي فيها هدية حصلت في يدي واما ان تكون البلاد  
لك والغلبة عليّ فيدك العليا ممتدة اليّ وقد عرفتك وحذرتك من  
عساكر حضرت في طاعتي نلأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم  
مرسلون اليك باسياف النضاء»

فلما قرئ الكتاب على السلطان الملك الصالح وقد اشتدّ به  
المرض بكى واسترجع فكتب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب .  
« بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله  
وصحبه اجمعين . اما بعد فانه وصل كتابك وانت تهتد فيه بكثرة  
جيشك وعدد ابطالك ففحن ارباب السيوف وما قتل منا فرداً الا  
جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ولو رأيت عينك ايها المغرور  
حدّ سيفنا وعظم حروبنا وفحنا منكم الحصون والسواحل ونخر بينا ديار  
الواخر منكم والاولى لكان لك ان نعصّ على اناملك بالندم ولا بد  
ان تزلّ بك القدم في يوم اوله لنا وآخره عليك فهناك نسي الظنون  
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه  
على اول سورة النحل أتى امر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة  
(ص) وتعلنّ نبأه بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو اصدق  
القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين  
وقول الحكماء ان الباغي له مصرع وبغيك بصرعك والى البلاء بتلك والسلام»  
وفي اليوم التالي حصلت بين النريبيين مناوشات قتل فيها  
بعض امراء المسلمين وفي المساء قرأ الامير فخر الدين لغير داع فتبعته  
بني كنانة وخرجوا من المدينة فتبعهم الاهالي في الليل على وجوههم  
لا يلتفتون الى شيء ولحقوا بالعسكر في اشمون فحلت المدينة للصليبيين  
فدخلوها بأمان في ٢٢ صفر واستولوا على جميع ما فيها من المؤن

والزخائر والأسلحة وعدة الحرب فحسر سلطان مصر بذلك خسارة  
 لا تُعوّض . فاستشاط الملك الصالح غيظاً لذلك وجمع اليه بني كنانة  
 وعنفهم لانهم زامهم على حين لم يكن داع للهزيمة فقالوا نحن لم نفعل ذلك  
 الأبعد ان رأينا الامير فخر الدين فاراً ومن ورائه رجاله فامر  
 الملك الصالح باعدام ٥٤ من امرائهم لانهم خرجوا من دمياط بغير اذنه  
 وفي ٢٤ صفر عسكر في المنصورة وحصنها الا انه لم يعش بعد ذلك  
 كثيراً فنوفاه الله في ١٤ شعبان سنة اربعون سنة وكان رجلاً مهيباً  
 قليل التكلم بهابة من يجلس في مجلسه وكان عنده عدد من المماليك لم  
 يسبقه احد قبلة ولم يوص قبل موته من يأخذ السلطان بعده ولم يكن  
 له من البنين الا غياث الدين طوران شاه وكان قد تركه في سوريا . وكان  
 من جملة جوارى الملك الصالح جارية تدعى شجرة الدر وهي والدة غياث  
 الدين فتواطأت مع الامير فخر الدين ورئيس الخصي جمال الدين محسن  
 على مبايعة ابنتها وكانت عارفة بامور الحكومة وسياستها ويقال ان الملك  
 الصالح كثيراً ما عهد اليها ادارة الاحكام اثناء غيابه عنها في حملاته  
 الحربية . فلما توفي الملك الصالح كتبت امر موته ووقفت في جمهور  
 الامراء والاعيان قائلة « ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك  
 المعظم غياث الدين طوران شاه وقد عين الامير فخر الدين اتابكاً لادارة  
 الاحكام » فبايع جميع الامراء . ثم ارسلت هذه الاوامر الى القاهرة فبايع  
 جميع من فيها من القواد واعيان السلطنة وبعثت بالرسائل في ذلك  
 مخنومة بختم السلطان الملك الصالح الى جميع اتحاء المملكة وكان الجميع  
 يظنون ان الملك الصالح لا يزال حياً لكنهم عند ما علموا باستقدام  
 الملك المعظم بسرعة الى القاهرة داخلهم الريب

اما الافرنج فكانوا في خلال ذلك قد تقدموا قاصدين المنصورة  
 وحاربوا اثناء الطريق محاربات طفيفة ولما بلغوا المنصورة حاربوها

معاربة قوية وكان الجيش الاسلامي تحت قيادة الامير فخر الدين فحارب  
بمسالة كلية . كل ذلك وبين الجيشين بحر اشمون ولم يستطع الصليبيون  
العبور الى المنصورة ولم يكونوا يعلمون طريقاً اليها غير النيل . فاتي  
اليهم بعض من غدروا من المسلمين واخبروهم عن طريق يمكنهم سلكها بسهولة  
فسارت سرية من فرسانهم وهاجمت المنصورة بغتة وكان الامير فخر  
الدين في الحمام فانتة الاخبار بهجوم الافرنج على الحلة فانبعث ونادى في  
رجالو وخرج للدفاع فادركه بعضهم فقتله وكادت الدائرة تدور على  
المسلمين لولا مالِك الملك الصالح فانهم دافعوا دفاعاً شديداً وانتهت  
الموقعة وقد اعيب الفريقين التعب ولم يكن احدهما يجسر على تجديد  
القتال لعظم ما قاسيا من الخسائر . وفي اثناء ذلك وصل الملك  
المعظم الى المنصورة قادماً من سوريا فاشتد عزم المسلمين به وهاجموا  
النصارى في البر والبحر فاسروا منهم ٢٢ مركباً . فلما راي الصليبيون  
ما كان من ضعفهم طلبوا المصالحة على ان يأخذوا بيت المقدس وضواحيه  
ويستحبوا من مصر بعد اخلاء دمياط فلم يقبل المصريون فاقاموا في  
المنصورة حتى نفذ زادهم وقد انقطعت السابلة بينهم وبين دمياط .  
وفي ٢ محرم سنة ٦٤٨ هـ عزموا على التفتخر فتعقبهم المصريون حتى  
ادركوهم غربي فرسكور فاستلحموهم وانحنوا في قتلهم ويقال انهم قتلوا  
منهم ٢٠ ألفاً واسروا الملك لويس التاسع وكثيراً من ضباطه وكبار جيشه  
وكانوا قبل ان قبض عليهم قد فرّوا الى مينة ابي عبد الله فاسروهم هناك

### سلطنة الملك المعظم بن الصالح

من سنة ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ او من ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م

فلما تأكد النور للمصريين اشهرقوا امر وفاة الملك الصالح ومبايعة

الملك المعظم طوران شاه فاقام الهلك المذكور في فرسكور احثناً  
 لمبايعته وانتصاره معاً . ثم عزل كل من كان في يده ازمة الحكومة  
 من المصريين وولى مكانهم رجالاً ممن جاؤا معه من بين النهرين لانه  
 كان اشد ثقة فيهم فشغب الناس وتحدثوا في ذلك كثيراً . وفي غايه  
 محرم ثار عليه المماليك وهوا الى قتله وفي جملتهم مملوك يدعى بيبرس  
 ففر الملك المعظم والتجأ الى برج من الخشب كان قد اقامه للحصار  
 في فرسكور فاحرقوا البرج فالتقى بنفسه الى النيل لعله يجد قارباً بركبه  
 فينجو بحياته فادركه المماليك وقطعوه ارباً ارباً

وهكذا كانت نهاية الحملة الصليبية السابعة وموت السلطان  
 الملك المعظم غياث الدين طوران شاه وهو آخر من ملك من العائلة  
 الابوية وبموته انقضت دولتهم وقامت دولة المماليك الاولى

ثم الجزء الاول

# فهرس الجزء الاول من تاريخ مصر الحديث

## المقدمة

صفحة

١

فاتحة الكتاب

٩

اقسام تاريخ مصر العام

١٢

مصادر تاريخ مصر القديم

١٢

حل الكتابة المبروغليبية

١٦

جغرافية مصر القديمة

٢٠

ديانة المصريين القدماء

## تاريخ مصر القديم

٢٦

الدولة الملكية القديمة من عائلة ١ - ١٠

٢٤

» » الوسطى » ١١ - ١٧

٤٤

» » الاخيرة » ١٨ - ٢١

٧٢

» اليونانية » ٢٢ - ٢٣

٨١

» الرومانية وهي العائلة ٢٤

## تاريخ مصر الحديث

٨٥

مصادر تاريخ مصر الحديث

٨٩

جغرافية مصر الحديثة

## دولة الخلفاء الراشدين

٩٣

خلافة عمر بن الخطاب

١٢٣

» عثمان بن عفان

١٢٠

» علي بن ابي طالب

## الدولة الاموية

صفحة

١٤٠. خلافة معاوية بن ابي سفيان  
 ١٤٢ » يزيد بن معاوية  
 ١٤٤ » معاوية بن يزيد  
 ١٤٧ » خلافة عبد الملك بن مروان  
 ١٤٨ » الوليد بن عبد الملك  
 ١٥٠ » سيان بن عبد الملك  
 ١٥١ » عمر بن عبد العزيز  
 ١٥٢ » يزيد بن عبد الملك  
 ١٥٢ » هشام بن عبد الملك  
 ١٥٤ » الوليد بن يزيد  
 ١٥٥ » يزيد بن الوليد  
 ١٥٥ » ابراهيم بن الوليد  
 ١٥٦ » مروان بن محمد

## الدولة العباسية

- ١٥٩ خلافة ابي العباس بن محمد  
 ١٦٠ » المنصور بن محمد  
 ١٦٢ » محمد المهدي  
 ١٦٥ » موسى الهادي  
 ١٦٥ » هارون الرشيد  
 ١٦٩ » محمد الامين  
 ١٧١ » عبدالله المأمون  
 ١٧٧ » محمد المعتصم

صفحة

١٨١	خلافة الواثق بن المعتصم
١٨١	» المتوكل بن المعتصم
١٨٤	» المنتصر بن المتوكل
١٨٥	» المستعين بن محمد
١٨٧	» معتز بن المتوكل
١٩١	» المهدي بن الواثق
١٩١	» المعتمد بن المتوكل

## الدولة الطولونية

١٩٤	حكم احمد بن طولون
٢١٨	» خمارويه بن احمد
٢٢٥	» جيش ثم هارون ابني خمارويه
٢٢٨	» شبان بن احمد

## الدولة العباسية الثانية

٢٢٢	خلافة المكنفي ثم المنتدر ابني المعتضد
٢٢٢	» القاهر بن المعتضد
٢٢٥	» الراضي بن المنتدر

## الدولة الاخشيدية

٢٢٧	حكم محمد الاخشيد
٢٤٢	» انوجور بن الاخشيد
٢٤٤	» ابي الحسن علي بن الاخشيد
٢٤٥	» كافور الاخشيدي
٢٤٥	» ابي النوارس بن علي

## الدولة الفاطمية

صفحة

٢٤٦	خلافة المعز بن المنصور
٢٥٤	» العزيز بن المعز
٢٥٨	» الحاكم بأمر الله
٢٦٣	» خلافة الظاهر بن الحاكم
٢٨٤	» المستنصر بن الظاهر
٢٨٩	» المستعلي بن المستنصر
٢٩٢	» الأمر بن المستعلي
٢٩٢	» الحافظ بن محمد
٢٩٥	» الظافر بن الحافظ
٢٩٦	» الفائز بن الظافر
٢٩٨	» العاضد بن يوسف

## الدولة الايوبية

٢١٥	سلطنة صلاح الدين يوسف
٢٢٤	» الملك العزيز بن يوسف
٢٢٧	» المنصور بن العزيز
٢٢٨	» العادل بن ايوب
٢٤١	» الكامل بن العادل
٢٥٠	» العادل بن الكامل
٢٥٠	» الصالح بن الكامل
٢٥٥	» المعظم بن الصالح

اصلاح خطأ . صفحة ٩٠ سطر ٢١ اسكندرية صوابها والاسكندرية ورشيد

كتاب  
تاريخ مصر الحديث

مع  
فذلكة في تاريخ مصر القديم



تأليف

جرجي زيدان

الجزء الثاني ٧.٢

طبع بالرخصة الرسمية (نمرة ٦٢)

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة المنتطف بمصر سنة ١٢٠٦ هجرية أو ١٨٨٩ مسيحية



# المتوسط

# البحر

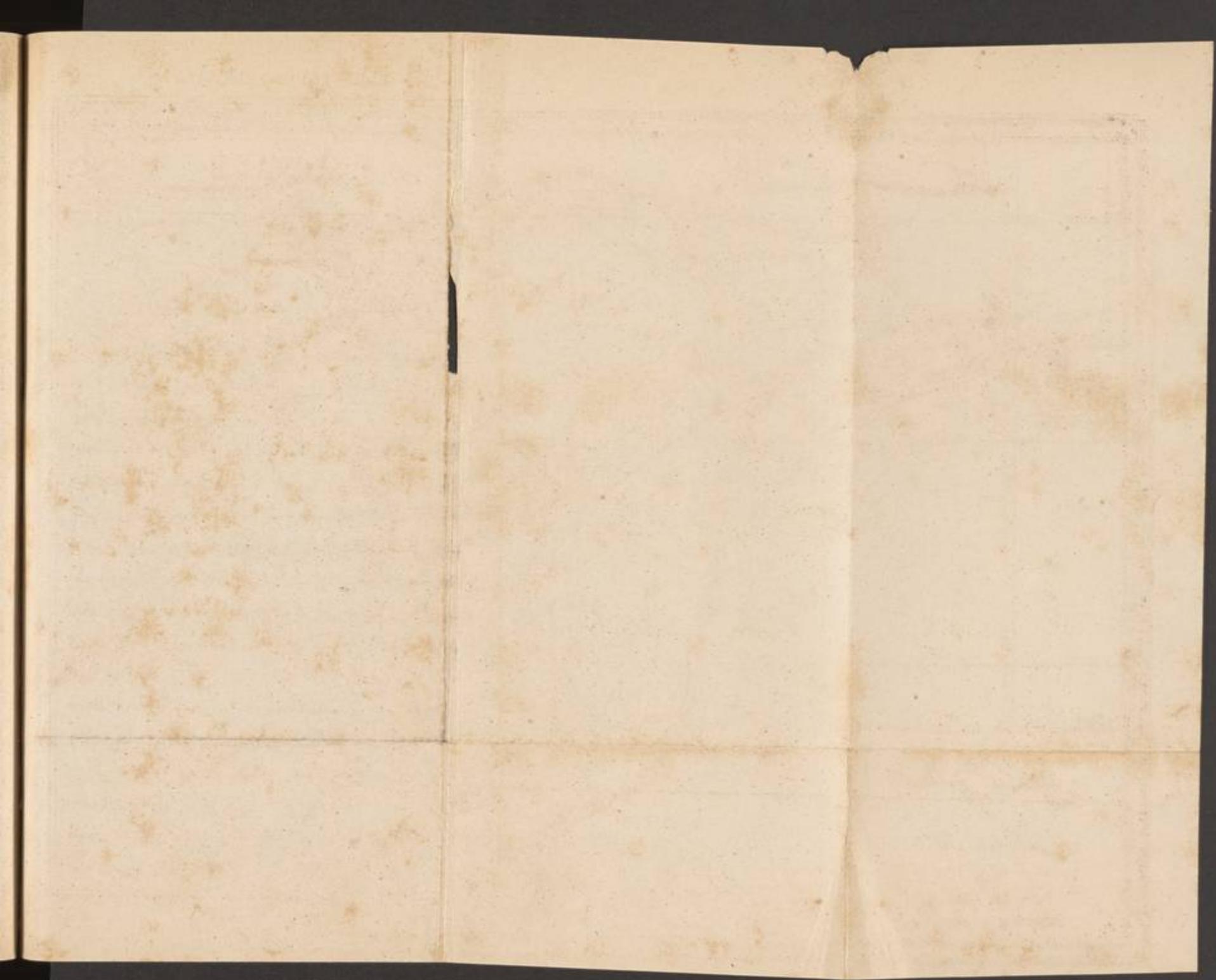


## مصر القبطية

سلم المقاس بامتداد الميل  
 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

تاريخ مصر الحديث  
 سنة ١٨٨٩ مسيحية

طول شريط ٢٠٢٠ من غرغوليس



## دولة المماليك الاولى

من سنة ٦٤٨ - ٥٧٨٤ هـ او من ١٢٥٠ - ١٢٨٢ م

## منشأ المماليك ومبدأ أمرهم في السلطنة

منشأ المماليك في قنجاك من شمالي اسيا وكانت من المستعمرات الاسلامية فكانوا يجعلون عليها ولاة من امراء السلاف الذين كانوا من حكام روسيا فلما غزا المغولون تلك الاصقاع تحت قيادة باتوخان حفيد جنكيز خان اخرجوا منها سكان الولايات النسيينية والقوقاسية فنشنت قبائلهم وتفرقوا في القارة فالحوارزميون نزحوا اعالي سوريا وما بين النهرين وحطوا رحالم هناك اما ما بقي من تلك القبائل النائمة فلم يجدوا لهم مقرا بقيمون فيه فجعلوا يطوفون البلاد باولادهم ونسائهم لا يستقروا على حال . وكانت تجارة الرقيق في ابانها فاغنيتم تجارها فرصة ثينة وجعلوا يتفقون من ابناء اولئك المساكين اجملهم صورة واقوام بنية وانورم عنلا وبيعتهم بيع السلع اما الضعفاء وقبيح الصورة فكانوا يذبحونهم فاكثر امراء سوريا وملوكها من اقتناء اولئك الارقاء البيض ودعومهم بالمماليك . فالملك الصالح كان قد ابتاع منهم نحو الالف حتى جعل منهم امراء دولته وخاصة بطانتوه والمحبطين بدهليزه ودعاهم بالحلقة اشارة الى انه لا يبرح محاطا بهم كيفما توجه وكانت ممالك الملك الصالح صنوقا يميز كل منها بعلامات خصوصية يجعلونها على ثيابهم او اسلحتهم فكانت علامة بعضهم الورد وعلامة البعض اشكال الطيور وكانوا يمتطون بمناطق جميلة مختلفة الالوان فتألف منهم جيش مخصوص بسبب عنه قلاقل في سائر المملكة المصرية

وقد كانوا بالواقع مبالين الى الاستقلال بالحكم لا يمكنهم الرضوخ لسلطان من السلاطين باختيارهم لانهم كانوا كثيري العدد والعديد وكانت ام مصالح الدولة في ايديهم وامنع حصون البلاد في قبضتهم قد اتخذوها مستقراً لهم حتى اذا ضاقت ذرعاً عن الاحاطة بهم ايتنوا بامر الملك الصالح قصوراً عظيمة متفنة البناء منيعة الجانب في جزيرة الروضة قرب المقياس وقد زادها مركزها الطبيعي مناعةً وجمالاً لان النيل يتفرع هناك الى فرعين وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر لعظم اتساعه فسمي هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية ومنها اسم دولتهم تمييزاً لها من دولة اخرى سبأتي بعدها وتدعى بدولة المماليك الشراكسة

وكانت سطوة المماليك البحرية تنتشر يوماً فيوم الى انهم طمعوا بخلع السلطان وتولي الملك مكانه . فلما تولى الملك المعظم وكان على ما كان عليه من الاستبداد انتفت نفوسهم من اعماله فسعوا بما سعوا الى ان قتلوه على ما تقدم . وكان الملك لويس التاسع والذين معه لا يزالون اسرى في البرج الخشبي الذي النجا اليه الملك المعظم قبل قتلوه . ولما لعبت النار بالبرج فرّ الملك لويس ومن معه ومروا بين المصريين وهم يقتلون ملكهم ثم نزلوا على مراكب كانت في انتظارهم واقبلوا بعد ان شاهدوا مقتل الملك المعظم ثم جاءهم رجل من المصريين يدعى الفارس اقطاعي حاملاً قلب الملك المعظم واعطاه لملك لويس وطلب اليه ان يكافئه على قتل عدوه . وقال بعض المؤرخين ولا اراه في مكان الثقة ان الامراء المصريين بعد قتلهم ملكهم طلبوا الى لويس المذكور ان يتولى زمام الاحكام مكانه فرفض

## سلطنة شجرة الدر

سنة ٦٤٨ هـ أو ١١٥٠ م

فلما قتل الملك المعظم اخلفت الاحزاب على من يبايعون بعده  
وكانت كل فئة منهم تحاول استبقاء الحكم في يدها وعلا الخصام حتى كاد  
ينفضي الى الحرب فتداركت الامر شجرة الدر ام الملك المعظم (وعلى قول  
بعضهم مريته) بعد ان رأت ما حل بابنتها تاركة الحنو الوالدي جانباً  
وتبصرت في امر من يجب ان يخلئه فرأت حزب الماليك اعز جانباً من  
الجميع . ونظراً لكونها من ابناء جلدتهم وافقتهم على رأيهم وكانت قبل  
ذلك قد تمكنت بطريفة غريبة لم يسبق لها مثيل في الاسلام ان تستلم زمام  
الاحكام باقرار الجميع . وكيفية ذلك انها تواطأت مع ابيك عز الدين  
وكان من اعظم الامراء الماليك واقوام نفوذاً وكان بينهما علاقات ودية  
منذ ايام الملك الصالح ويقال انه من قتلة الملك المعظم فتمكنت بذلك  
التواطى من مبايعة جميع الاعيان لها ولقبت بعصمة الدين ام خليل في ١٠  
صفر وكانت توقع بما مثاله « والد خليل » ونقشت اسمها على النقود بما هو  
« المستعصمة الصالحة ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة امير  
المؤمنين » وعينت عز الدين اتابكاً عندها . ثم اخذت في التقرب من  
ارباب الدولة ووجهاء البلاد فجمعت تخلع عليهم الخلع الثمينة ونختم المناصب  
والرتب وتخفص الضرائب الا ان جميع هذه المساعي لم تأت بها بفائدة لان الناس  
لم يرتاحوا الى طاعتها فانفذ السور يون الى الخليفة العباسي في بغداد يستتونه  
في امر هذه الملكة فكتب اليهم ما مفاده « اذا لم يكن بينكم من يصلح للسلطنة  
ا قدم اليكم فاقم عليهم من يحكم فيكم اما قرأتم ما قاله النبي ( صلعم ) عليهم »  
فاستمسك ماليك مصر بهذه الفتوى وثار رفاقهم في دمشق واخلعوا طاعة

شجرة الدر وبابعدوا سلطان حلب الملك الناصر يوسف الابوي في ٨ ربيع  
اول وقتلوا كل من كان في دمشق من الماليك على دعوة شجرة الدر  
ومثل ذلك فعل اهل بعلبك وشميس وعجلون فنشأ بسبب ذلك خصام  
بين ماليك سوريا وماليك مصر آل الى مواقع حريرة فتمكن عز الدين  
ايبك في هذه الانقسامات من الاستقلال عن صديقتيه وإلجأ الامراء شجرة  
الدر على الاستقالة فاستقالت

### سلطنة ايبك الجاشنكير

سنة ٦٤٨ هـ او ١٢٥٠ م

وفي سنة ٦٤٨ هـ بوبع عز الدين ايبك على مصر ولقب بالملك  
المعز الجاشنكير التركي الصالح وتزوج بشجرة الدر فانضم حزبا الى  
حزبه . وبعد قليل انقسم الماليك الى قسمين عظيمين عرفا بالمعزيين  
نسبة الى الملك المعز ايبك والصالحيين نسبة الى الملك الصالح نجم  
الدين وتنازعا النفوذ فناز الصالحيون

### سلطنة الملك الاشرف بن يوسف

من سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ او من ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

فاجبروا ايبك ان يقبل بمبايعة شاب من العائلة الابوية لم يبلغ الثامنة  
من العمر وكان في اليمن واسمه موسى مظفر الدين بن يوسف اتسز ملك اليمن  
فبايعة في ٥ جمادى الاولى وبايعة الناس ولقبوه بالملك الاشرف وتعين عز  
الدين انا بكا له غير ان ازمة الاحكام ما برحت في يده ولم يكن الاشرف الا  
اسما بلا رسم ومن الغريب تألف هذه السلطة المزدوجة من احد سلالة العائلة  
الابوية واحد ماليكها والاغرب من ذلك ان يُحطَب لها معا

وفي خلال ذلك نهض سلطان دمشق الجديد ناصر الدين يوسف الأيوبي للأخذ بشار الملك المعظم فدعى إليه أقرباه أمراء العائلة الأيوبية للتعاقد على ذلك وتأكيدها بنجاح مسعاه استمد لويس التاسع ملك فرنسا وكان إذ ذاك في عكا على أن يعيد له مقابلته لذلك يمت المقدس فأرسل ملك فرنسا إلى ناصر الدين راهباً لعقد المعاهدة وإنفذ إلى المماليك في مصر مندوباً يطلب إليهم التعويض على نكث المعاهدة التي عقدوها مع الصليبيين وكان من صالحهم الاتفاق مع الصليبيين على سلطان دمشق فاجابوا مطالبته وأطلقوا عدداً كبيراً من الأسرى المسيحيين بعثوا بهم إلى عكا وأرغمهم بمندوبين لتجديد المعاهدة فاقترح لويس التاسع أن يضاف إليها البنود الثلاثة الآتي ذكرها وهي

أولاً . إرجاع رؤوس الصليبيين التي كانت مفروسة على متاريس القاهرة  
ثانياً . إرجاع جميع الأولاد الذين كانوا قد أُجبروا على الإسلام  
ثالثاً . التنازل عن المائتي ألف دينار التي تعهد الصليبيون بدفعها  
بمقتضى معاهدة المنصورة

فرضي المماليك بجميع ذلك وأهدوه فوقها قبلاً جميلاً وكان هذا أول قيل أرسل إلى فرنسا وتبرعوا أن يعيدوا إليه بيت المقدس إذا تغلبوا على سلطان دمشق . فأنصل أمر تلك المغايرات بسلطان دمشق فأنفذ فرقة من عشرين ألف مقاتل تحول دون اتحاد الجيشين فعثروا بالمصريين في غزة فهاضمهم حتى أرجعهم إلى الصحابة فالتجدم النارس اقطاي فاعادوا السوربيين على اعقابهم إلى سوريا ثم تشدد السوريون وعادوا بمدد كبير تحت قيادة شمس الدين لولو حاكم مملكة دمشق ومعهم سلطان دمشق نفسه فالتفوا بالمماليك تحت قيادة أيبك والنارس اقطاي يوم الخميس ١٠ ذي القعدة سنة ٦٤٩ هـ في العباسية وتقاتلا فانكسر المصريون أولاً فتنهبهم السوريون فجعل أيبك والنارس اقطاي انهزما نحو سوريا ومعها

جماعة من الفرسان فالتفيا بشمس الدين لولو في شردمة من رجاله فقتلوه  
 وشنتا رجاله فاشتد ازرها فعادا لمهاجمة سلطان دمشق وكان في معسكره  
 مع شردمة قليلة من الجند . اما باقي الجيش فكانوا يتعقبون الجيوش  
 المصرية المنهزمة فاضطر السلطان الى الفرار بنفسه فتبعاه فلم يدركاه  
 فعادا الى مصر فرأيا الجيوش السورية قد دخلت القاهرة وخاف اهلها  
 ظناً منهم ان النصر لناصر الدين فبايعوه وخطبوا له . الا ان الائمة لم  
 يوافقوا على تلك المبايعة شخصياً على انهم لم يجزوا من انتقام ابيك . فلما  
 علم المصريون ان النصر لم فرحو جداً وابطلوا مبايعة ناصر الدين اما  
 هذا لما رأى امر انكساره على ما تقدم لم يعد يمكنه اعادة الحرب ثانية  
 فصالح المصريين على ان يتخلى لهم عن مصر وغزة واورشليم وقد رجع من  
 الجهة الثانية ما كان يرومه من فساد المعاهدة بين المصريين والصليبيين  
 فاتفق مع المماليك على محاربة الصليبيين

ثم اتفق المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفاً من مسير  
 الافرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفتلة فوقع الهدم  
 في اسوارها يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ٦٤٨ هـ ومجيت آثارها ولم يبق  
 منها سوى الجامع ويعرف بجامع النفع واخصاص ابتناها بعض الفقراء  
 للسكن في قلبها ودعوا ذلك المكان المنشية اما دمياط الباقية الى هذا  
 العهد فابتليت على انقاض تلك فبلغت جمالاً فائقاً وقد ساعدها على ذلك  
 حسن مركزها الطبيعي واهميتها للتجارة وقد بالغ المقرئ في وصفها لانها  
 كانت في ايامه (في القرن التاسع للهجرة) ازهى واعمر مما هي الآن فنظم  
 في مدحها قصيدة ٢٢ بيتاً اقتطعت منها هذه الايات

سقى عهد دمياط وحياء من عهد  
 وبشنيها الريان يحكي ميمياً  
 ففد زادني ذكراه وجداً على وجد  
 تبدل من وصل الاحبة بالصد  
 فقام على رجليه في الدمع غارقاً  
 براعي نجوم الليل من وحشة النقد

وظل على الاقدام تحسب انه لطول انتظار من حبيب على وعد  
 كان النقاء النيل بالبحر اذ غدا ملى كان سارا في الخجافل من جندي  
 وقد نزلا للحرب واحندم اللقا ولا طعن الا بالثقة الملد  
 وعظم النارس اقطاي في عيون المصريين لما اظهروه من البسالة  
 والاقدام في الحروب الاخيرة فلغبة احزابه بالملك وتزوج اخت المنصور  
 سلطان حماه واسكنها في القلعة لاتصال حبل قريباها بالعائلة الملوكية  
 فاجس ابيك شرا من انتشار نود النارس المذكور حتى خشي مناظرته  
 في الملك فاخذ يسعى للتخلص منه وكان النارس زعيما لحزب من المايك  
 الصالحين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما  
 زالوا حتى نالوا مطوهم فرقى كثيرين منهم وفي جملتهم سيف الدين قطوز  
 الذي صار بعد ذلك ملكا اما النارس اقطاي فتتله ابيك وهو داخل  
 بسراي القلعة ثم خشي الوقوع في شرا اعماله فامر بنقل ابواب القلعة وابواب  
 المدينة وليت يتوقع الحوادث فلم يضي برهة حتى جاء الامراء الصالحون  
 برأسهم يهرس ونجمهروا على ابواب القلعة وطلبوا النارس اقطاي ظنا منهم  
 انه كان مأسورا فرمى اليهم برأسه من على السور فلما علموا بقتله ارتاعت  
 قلوبهم فعدوا الى الفرار قاصدين باب القراطين ففتحوه وساروا قاصدين  
 سوريا وبقي منهم شرذمة قبض عليهم وأودعوا السجن

فلما تخلص الملك المعز ابيك من طائفة الصالحين قبض على الملك  
 الاشرف والقاء في سجن مظلم فمات فيه تبيسا بعد ان حكم سنة وشهرا



وترى في الشكل السابع والخمسين  
 صورة النود التي ضربت على عهد  
 الملك الاشرف بن يوسف وعليها  
 اسمه واسم الامام المستعصم بالله

العباسي . والاشرف آخر من ملك ش ٥٧ نود الملك الاشرف

في مصر من الايوبيين . وحكم بعض افراد هذه العائلة في دمشق وحلب  
وحمص وميافرقين الا ان هولاء لم نمض عليهم عشر سنين حتى انقضوا  
ولم يبق منهم الا فرع واحد في حماه بقي حاكماً فيها قرناً بعد انقراض  
جميع الدولة وكانت سلطنة ضعيفة لانحصارها في تلك الامارة الصغيرة  
وقد جاء من نسله ابو الفدا المورخ المشهور سنة ٧١٨ هـ . وقد نسي  
كثيرون منا ذكر الدولة الايوبية وفتوحاتها العظيمة ولكننا لم ننس  
ابا الفدا لانه ترك لنا ذكر الاممى بتاليفه المشهور

واستوزر ابيك شخصاً من نظار الدواوين يدعى شرف الدين هبة الله  
ابن صاعد النائزي احد كتاب الاقباط وكان قد اظهر الاسلام من ايام  
الملك الكامل وترقى في خدمة الكتابة وكان طبيباً للسلطان الايوبي  
الخامس مشهوراً بالطب والسياسة فلما صار وزيراً قرر على التجار  
وذوي اليسار وارباب العقاقير اموالاً ورتب مكوساً وضمانات سموها  
حنوقاً ومعاملات وهو اول قبضي وني الوزارة

ولما استتب المقام لايبك وتخلص من المماليك الصالحيين وغيرهم  
من كانوا ينازعونه الملك حسب الجوقد خلا له وما درى ان شجرة الدر  
لا تزال واقفة له بالهرصاد بعد ان صارت له زوجة فكانت تحول دون  
كثير من مقاصده ولم يكن يجسر على مقاومتها مع علو باستقلالها من مهام  
الملك على انه لم يستطع احتمال هذا التقيد والسلطان في يده فجعل يبعث  
عن طريقة تنفذ من هذه التبود مع علو ان مكابذ النساء اشد وطأة من  
ملافة ابطال الرجال . فادعى انها عقيمة لا يرجو منها نسلاً فاقنتى عليها  
سراري اخريات فولدت له احداً ولداً دعاه نور الدين علي ثم بلغها  
انه ساع الى التزوج بابنة بدر الدين لولوملك الموصل وكان قد امسك  
عن زيارتها فاشتعلت حسداً لعلها ان هذه الزوجة الاخيرة من بنات  
الملوك فخافت ان تحل محلها من العظمة فاقرت على الكيد به

فبينما كان ماراً في ٢٢ ربيع اول سنة ٦٥٥ هـ في الدهليز السري الى دار الحرم وثب عليه خمسة خصيان بيض كانوا قد كمنوا له هناك وخنقوه بعامته وكان ذلك بدسيسة شجرة الدر فاشاعت انه مات مصروعاً وكان ابيك ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء

ولم تجسر شجرة الدر تعاطي الاحكام بنسبها خوفاً من الايقاع بها فاجأت بخاتم الملك الى اميرين من كبار الامراء وهما جمال الدين عضو غدي وعز الدين الحلبي وطلبت اليهما امام جثة زوجها ان يستلما زمام الاحكام فايما . وكان قتل ابيك في داخل السراي ليلاً ولم يشع الخبر في القاهرة حتى الصباح التالي فلما علم اصحابه من المماليك بما حل به اضرموا على الانتقام وكان سن ابنه نور الدين علي ١٥ سنة فبايعوه ولقبوه بالملك المنصور وكانت مدة ابيك في الاحكام عشر سنوات واحدى عشر شهراً شاد في خلالها بنايات عظيمة وفي جملتها مدرسة دعاها المدرسة المعزية نسبة اليه بناها على ضفة النيل في مصر القديمة وربط لها دخلاً مخصوصاً للنفقة عليها . وهو اول من اقام من ملوك الترك بقعة الجبل

### سلطنة نور الدين علي بن ابيك

من سنة ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ او من ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م

فالمملك المنصور حالما بويع قبض على قاتله ابيه وعهد بها الى نساء بيته فامانوها ضرباً بالقباقيب على رأسها وطرحوا جثتها في خندق القلعة فأكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقي قرب مدفن السيدة نفيسة . فانتهت حياة هذين الخادعين شجرة الدر وابيك كما رأيت فحجوزي كل منهما بما فعل لانهما قتلا الملك المعظم

أما نور الدين علي فلم يحكم الأمدّة قصيرة تحت مناظرة وصيه شرف الدين هبة الله المتقدم ذكره . ولم يلبث حتى استبدله بسيف الدين قطوز مع لقب اتابك ابي وصي الملك ونائبه ولما تولّى سيف الدين هذا المنصب استقدم اليه المماليك الصالحين من سوريا وعند معهم مجلساً اقرؤا فيه على عدم لياقة نور الدين للاحكام نظراً لصغر سنه واذا على ذلك فانزلوا نور الدين في ٤ ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ بعد ان حكم سنتين وبابعدوا سيف الدين قطوز

### سلطنة المظفر سيف الدين قطوز

من سنة ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ او من ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م

وسيف الدين هذا شريف الاصل من عائلة ملوكية خلافاً لسلفه فهو ابن مودود شاه ابن أخ ملك خراسان فبح خراسان فبح التتر بلاده فنشنت عائلته ولما تولّى سلطنة مصر لقب بالملك المظفر وحالها استوى على السلطنة قبض على نور الدين وامر بقتله فحاول العلامة شرف الدين المدافعة عنه فصلبه على باب القلعة

ثم لاح له ان دمياط بعد ان دكّت اسوارها لم يعد ثم ما يعبرى مراكب العدو عن المرور في النيل فامر بردم مصب النيل هناك وبعث بفرقة من الحجارين فمضوا وقطعوا كثيراً من الحجارة والنواها فيه حتى ضاق وتعدّ سير المراكب منه الى دمياط وهو على ذلك الى اليوم فان المراكب الكبيرة لا تستطيع المرور فيه فتنتقل البضائع منها الى الجروم والمتواتر على السنة البعض ان سبب ذلك وجود جبل او رمل متجمع هناك وفي خلال ذلك جاء القاهرة قائد تيري ناقلاً منشوراً من هولاء

ملك المغول حنيد جنكيزخان وكان التتر قد انتشروا في جميع اسيا الشمالية والشرقية وكان هولاكو قد غزا العراقيين بجيش عظيم واستولى على مدينتي الموصل وحلب وفتح بغداد عنوة سنة ٦٥٦ هـ وقتل الخليفة المستعصم بالله ويقتله سقطت الدولة العباسية وبعد هذه الفتوحات نزل هولاكو الى سوريا ففتح دمشق وجميع السواحل البحرية حتى قدم مصر فبعث اليها منشوراً ونصه « من ملك الملوك الحاكم من الغرب الى الشرق اعظم الخانات هولاكو خان فاتح الفتوحات الغربية صاحب الجيوش العديدة الى اهل مصر. فيها اهل مصر لا تخاطروا بانفسكم في محاربي لانكم ان فعلتم اذا انتم مخذولون فاقتلوا بغيركم من سكان حلب والموصل »

فلما قرأ قطوز ذلك المنشور وعلم ما كان من امر فتوحات هذا التتري وما هو عليه من القوة والمنعة اوجس خيفة غير ان جيوشه كانوا قد حاربوا الجيوش الصليبية وانتصروا عليها ولم يزل في تنوهم عزة الظفر واثانة النصر فاستخفوا بقول هولاكو واصروا على القتال فحشد قطوز وجهزهم بما يلزم من العدة والسلاح واستقدم اليه قبائل العربان وفرق فيهم وفي سائر جيشه نحواً من ستماية الف دينار جمعها من الضرائب التي اقامها على المصريين مما دعاه تصفيح الاملاك وزكاتها واحداث على كل انسان ديناراً يوخذ منه واخذ تلك التراكات الاهلية فكان يجمع منها ٦٠٠٠٠ ديناراً سنوياً. ثم سار من القاهرة لملاقاة التتر في غاية شعبان سنة ٦٥٨ هـ وما كاد الجيشان يلتقيان حتى اتصل بهولاكو خبير موت ابيه منجوخان ملك التتر فاضطر الى العود حالاً ليطالب بحق الوراثه فعاد ناركاً في سوريا نحواً من عشرة الآف من نخبة فرسانه تحت قيادة نسيبه ونائبه كتبوغا لمحاربة قطوز فالتقيا في فلسطين في عين الجالوت فالتحم الجيشان وحصلت بينهما موقعة كبيرة شنت عن هلاك كتبوغا وكل رجاله والقبض على ابنه . وغنم المصريون غنيمة كبيرة تكفي لاغناء كل المشرق لانها تحوي على اثمن

ما يهبة هولاء كومن اغنى المدن اثناء فتوحاته . فعاد الملك المظفر الى القاهرة  
ظافراً ولم نتم سعادته لان المنية كانت في انتظاره على الطريق فقتله بعض  
رجالو الذين كانوا يتربصون فرصة لقتله فتمكنوا من ذلك يوم السبت في ١٧  
ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ بعد ان حكم ١١ شهراً و ١٢ يوماً

وتنصّل ذلك انه بينما كان عائداً بجيشه الى القاهرة مرّ من امامه  
ارنب برّي وكان مولعاً بالصيد فسار على اثره في عرض الصحراء حتى  
امعن فيها ثم عاد وحده ولا صيد معه فتقدم لملاقاته احد امرائه المدعى  
ركن الدين بيبرس البندقداري فلما دنا منه قم الى يده كانه يريد نقييلها  
فامسكها باحدى يديه وطعنه بالآخرى في قلبه فسقط صريعاً بحيث  
الارض فجاء باقي الامراء وكانوا متواطئين معه على هذه النعلة فرفعوا جثة  
سلطانهم ودفنوها في قبر صغير قرب قبر خلف فحشي ذوو النفيد ان  
تبلغ الموسى لحام فتفرقوا في مصر السفلى لا يظهرون على احد وكان  
الاتابك اذ ذاك في الصحاية مع السواد الاعظم من الجيش فسار اليه قتل  
قطوز واخبروه بما فعلوا فقال لهم « من منكم ضربة الضربة الاولى »  
فاجاب بيبرس انا هو فقال له احكم اذا مكانه

فبوع بيبرس للحال ولقب بالملك الفاهر ثم تشاءم من هذا اللقب  
فابذله بالملك الظاهر وازاف اليه ابا النوح وكان بلقب ايضاً بالعلوي  
وبالبندقداري نسبة الى سيده الذي كان يدعى علاء الدين بندقدار

### سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري

من سنة ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ او من ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

ولما تم ليبرس امر السلطنة سار الى القاهرة وجعل بهاء الدين وزيراً

ويبلي بك وهو من اعزاصدقائه من المماليك خزنداراً واستقدم من بقي  
من عاتمة قطوز فأمنهم وضمهم اليه واطلق من في السجن جميعاً بغير استثناء  
وأكثر من العطايا لرجالو واطل كثيراً من الضرائب التي كان قد  
ضربها سلطه كمنصيع الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية  
دينار من كل انسان وغير ذلك وعلن امره هذا على لسان الخطباء في  
المنابر

على انه مع ذلك لم ينل رضا كل الرعية لاسيما السوربون فانهم  
شقوا عصا الطاعة وابعى الامير سنقر حاكم حلب ولقبوه بالملك المجاهد  
وعضد على ذلك التتر تحت قيادة هولاكوفسار بيبرس حالاً الى دمشق  
لاخماد الثورة فخارب التتر وتغلب عليهم في ٢ مواقع متوالية فقط  
الدمشقيون من المساعدة فسلموا المدينة فدخلها وانتم منها اشر الانتقام  
وما زال حتى اخضع سائر بلاد الشام . ولما عاد الى القاهرة اخذ في  
اصلاح الداخلية

وفي سنة ٦٦٠ هـ قدم اليه من بقي من الدولة العباسية مهزومين من  
وجه التتر بعد ان وقعت بغداد في يدهم فالتجأ اليه وفي حملتهم ابن الخليفة  
الظاهر بأمر الله الذي ذبحه التتر فاكرم وفادته ولم يجسه شيئاً من حقوق  
الخلافة بل اقامه خليفة في القاهرة ولقبه بالمستنصر بالله فاصبحت القاهرة  
من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلطتهم لم تكن تعتبر الا من  
وجهها الديني فقط وكانوا يلقبون بالائمة . وقد رافق نزول العباسيين  
في القاهرة قحط عم سائر الفطرتشاءم الناس مجلوم . اما بيبرس فلم يأل  
جهداً في استجلاب الاقوات من سائر جهات سوريا وغيرها وتفريقها في  
الناس فانفذ بلاده من ضيق عظيم

ثم اراد بيبرس ان يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين فانذ مع الخليفة  
المستنصر بالله جنداً كبيراً لاجراخ التتر منها وتسليمها للخليفة المستنصر

فلاقام النتر في الطريق فحاربوم وشتنوا شملهم وقتلوا الخليفة ولم يجلس على كرسي الخلافة الا خمسة اشهر وعشرين يوماً فبايعوا في القاهرة الخليفة الحاكم بامر الله . ثم أُلحى بيبرس الى تجريدة اخرى انتقاماً من فسخ الدين رئيس قلعة الكرك . وسبب ذلك ان بيبرس قبل توليه سلطنة مصر كان قد ترك امرأته عند فسخ الدين وقاية لها مما كان يقاسيه من الاسفار والعذاب وعهد اليه رعايتها فلم يحترم هذا حرمة الدين والشرف فنتك بها بغير وجه الحق فانصل ذلك ببيبرس وكان قد تولى امور مصر فنار فيه حب الانتقام فجرد الى الكرك وحاصر قلعتها وكانت منيعة الجانب طالما امتنعت على كبار الناطحين ومنهم السلطان صلاح الدين . ثم تمكن بيبرس من القبض على فسخ الدين احثيالاً وسلمه الى امرأته فقتلته على مثل ما قُتلت عليه شجرة الدر فامست الكرك بغير رئيس فسلمت وصارت جزءاً من مملكة مصر

ولما عاد بيبرس الى القاهرة حشد جيشاً كبيراً لمناهضة الصليبيين وكانوا لا يزالون حاكبين في اماكن كثيرة من فلسطين وما زالت الحرب بينهما سجالاتاً مدة سنتين ( سنة ٦٦٢ و ٦٦٤ ) وانتهت باستيلاء بيبرس على قيصرية . وفيها هو محاصر عكا الحبيء الى المسير لمحاربة النتر وكانوا قد استولوا على دمشق بمساعدة اهل ارمينيا ونهدوا سائر سوريا فاغفل حصار عكا وسار فلما وصل الى دمشق لم يجد عدواً لان هولاكو كان قد مات ونشنت جيوشه فسار بيبرس الى ارمينيا وكان عليها ملك مسيحي يقال له هيتون فاستولى على عاصمتها سبس وعلى سائر مدنها وتابع فتوحاته الى الاناضول فهاجمه ريكنا خان بن هولاكو وولي عهده فاعاده على اعقابه فرجع الى سوريا وفتح صند وذبح اهلها . ثم رجع الى عاصمته بعد ان فتح ايلة على البحر الاحمر

وقضى بيبرس سنة ٦٥٦ هـ في القاهرة يستعد لحرب جديدة وينظم

داخلية فابطل ضمان المزروعيه وامر باراقه الخمر وابطال المنكرات  
وتعنية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطي بجميع اقطار مملكة  
مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع وعادت البلاد الى الهدوء والرغد  
فقال احد الشعراء المعاصرين

ليس لابليس عندنا رب غير بلاد الامير ما واه

حرفته الخمر والحشيش معاً حرمتا ما واه ومرعاه

ثم رأى ان بعض الرعية لا يزالون على ما كانوا قد اعتادوا من  
الفواحش فامر بمنع النساء الخواطي من التعرض للبقاع ونهب الخانات  
التي كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبس  
النساء حتى يتزوجن وكتب بجميع ذلك توقيفاً قرئ في المنابر . وعلم  
بعد ذلك ان الطوائف شجاع الدين عنبر المعروف بصدر البازائه يشرب  
المسكر فشنقه تحت قلعة الجبل . ولا شك ان الملك الظاهر لم يشدد في  
ابطال جميع هذه المنكرات الا لعله يقيناً ان استعمالها يورث الفقر والنذل  
ويجهد الهمة ويضعف عز النفس ويغضب الله

وفي سنة ٦٦٢ هـ بنى الملك الظاهر دار العدل القديمة تحت القلعة  
وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس وكان ينظر في  
امر المتظلمين بنفسه فاذا كان لاحد مظلمة يأتي رأساً ويشكوها للسلطان  
وهو يأمر بالحال بصرفها بوجه الحق

وفي سنة ٦٦٦ هـ استأنف الحرب مع فلسطين فاستولى على يافا  
والشقيف وطبرية وارصوف وانطاكية وبقراس والقربن وصافينا ومرقية  
وايباس وختم ذلك بنجح بغداد ثم احب بطريقه الى مصر ان يمر بالبحر الى  
مكة مع ابنيه بركة خان فمر بحلب فطرد التتر منها ثم زار قبر ابراهيم في  
حبرون وسار لزيارة بيت المقدس ثم عاد الى مصر وقد اتم سياحته  
الجهادية والدينية معاً

وقد كانت طريق الحج من مصر الى مكة المشرفة عن طريق صحراء  
 عيذاب يركبون النبل من ساحل النساط الى قوص بمصر العليا ثم  
 يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب الى البحر الاحمر حيث  
 ينزلون فيه الى جدة ساحل مكة وهكذا يعودون الى مصر . وكانت قوافل  
 التجار من الهند واليمن والحبيشة تأتي مصر على هذا الطريق ايضاً وكانت  
 صحراء عيذاب اذ ذاك آهلة بالسكان امينة المسلك . وبقيت طريق الحج  
 على مثل ذلك الى السنة التي زار فيها السلطان الملك الظاهر مكة  
 المشرفة وكساها وعمل لها منقحاً فصارت طريق الحج براً من ذلك الحين  
 اما التجار فما زالوا يقدمون مصر عن طريق الصحراء الى سنة ٥٧٦٠ ومن  
 ذلك الحين قلت اهمية مدينة قوص فصارت في حالة تشبه حالتها في الوقت  
 الحاضر بعد ان كانت مدينة زاهرة بالتجارة والعمارة

وفي سنة ٦٧٠ هـ سار يبيرس لمحاربة من بقي من طائفة الباطنيين  
 وكان هولاء قد اهلك السواد الاعظم منهم في جهات العراق فافتتح  
 يبيرس قلعة الاكراد وقتل من فيها من الباطنيين فنفرت جموعهم وهكذا  
 كان انقراض دولتهم

وفي خلال ذلك عاد التتر الى سوريا وحاصروا يبرا فجنده اليهم  
 يبيرس وسارت معه فرقة تحت قيادة الامير قلاون الالبي فالتقى الجيشان  
 عند يبرا واشتدت الحرب بين المسلمين والتتر وانتهت بانتصار المسلمين  
 فاستولوا على يبرا . ثم ساروا الى ارمينيا فتحوها وغنموا منها غنائم كثيرة .  
 ثم عاد يبيرس الى مصر ففرشوا له القاهرة بالسط والسجاد الثمين احتفالاً  
 بعوده ظافراً وقد قرض الباطنيين وغلب التتر

ثم ان اباكا خان بن هولاءكو خان قدم سوريا وحاصر يبرا ثانية  
 فلاقاه الامير قلاون بفرقة من الجيوش المصرية وارجمه على اعقابهم فسر  
 يبيرس من بسالته واتخذ ابنته زوجة لابنه ليكون ابنه في المستقبل آمناً

في حى حميو . فأمنت سوريا بعد هذه الانتصارات ولم تعد نخشى اغتيالاً  
فانفذ بيبرس الامير اق سنفر الفرغني سنة ٦٧٤ هـ لافتح نوبيا فافتتح  
اصوان بعد ان استولى على جميع مصر العليا . وفي هذه السنة حارب  
بيبرس برقة وافتتحها وعاد النتر على اثر هذه الفتوحات لافتح سوريا  
العليا فسار بيبرس الى حمص يريد دفعهم بنفسه فانتفى خسوف القمر  
خسوفاً تاماً ففشا هم بعض الذين يصدقون الخرافات وقالوا ان ذلك  
دليل على موت امير كبير وكان بيبرس يعتقد مثل اعتقادهم فلاح له  
ان هذا التشاؤم يصح عليه ولكنه قال بنفسه « يجب عليّ قبل موتي ان  
اميت من اخشى ان يتولى الحكم بعدي ممن ليسوا على دعواي » فلم يجد الا  
الامير داود ناصر الدين بن طوران شاه آخر سلالة الايوبيين فامر  
باحضاره ولما حضر اعطاه كأساً فيه سمّ وامره ان يشرب فشرب بعضه  
واعطى الكأس لبيبرس فلأهه وشرب هو ايضاً فمات معاً قتيل الخرافات  
فبجها الله ما اضعف مجتها وما اشد وطأها

وكانت وفاة الملك الظاهر بيبرس في ٢٧ محرم سنة ٦٧٦ هـ بعد ان  
حكم ١٧ سنة وشهرين وعشرة ايام . وكان ملكاً جليلاً عجولاً كثير  
المصادرات لرعيته ودواوينه طويل القامة ملج الشكل سريع الحركة  
فارساً مقداماً . وترك من الذكور ثلاثة وهم السعيد محمد برقة خان وقد  
ملك بعداً وسلامش وهذا ملك بعداً ايضاً والمسعود خضر . وترك من  
البنات سبعة . وما فجع الله على بدء من ابدي الصليبيين قيسارية وارصوف  
وصغد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية وبقرص والنصير وحصن  
الاکراد والقرين وحصن عكا وصافينا ومرقبة وحلب وقد ناصهم على  
المرقب وبناس وترسوس وادنة والمصبصة وغيرها من المدن في  
بر الاناضول وصار الى بدء ما كان في يد المسلمين دمشق وبعاليك  
وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحصن وتدمر والرحبة وتل ناشر

وصهبون وبلاطس وقلعة الكهف والقدموس والعليقة والخواني والرصافة  
 ومصيف والقلعة والكرك والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة . ومن أعماله  
 الأثورة انه عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في اوقاف  
 الخليل وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم  
 فم بحر ديباط ووعر طريفة وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلع الصبية  
 وبعليك والصلت وصرخد وعجلون وبصرى وشبرز وحصص وعمر المدرسة  
 بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية وقد جعله الفرنساويون  
 عند مجيئهم الى مصر قلعة وهو البناء القديم في سكة الظاهر جعلته الحكومة  
 مخازن للاقوات . وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشرة بنفسه وبني هناك  
 قرية سماها الظاهرية وحفر بحر اشمون طناح وجدد الجامع الازهر  
 بالقاهرة واعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بمصر وبني  
 القصر الابلق في دمشق . ومن آثاره في القاهرة ايضاً قناطر السباع وهي  
 عبارة عن سلسلة من قناطر ممتدة عرضاً من جوار فم الخليج الى قلعة الجبل  
 ولا بد للتوجه من القاهرة الى مصر القديمة من ان يقطعها هذا اذا لم يمر  
 عند فم الخليج فانه اذ ذاك يمر بجانب منشأها . وهي تنتهي من طرفها الغربي  
 بالسبع سقايات بجانب فم الخليج . والسبع سقايات بناه قدم فيوسع  
 دوليب (سواقي) لرفع المياه من النيل وتحويلها الى قناة على ظهر هذه  
 القناطر ليجري الماء فيه الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعاً من الحجارة  
 ولذلك قيل لها قناطر السباع والقناطر المذكورة بعضها مهدوم وبعضها  
 باق وفي الحالين لا فائدة منها لانها لا تستخدم لشيء . وكان محباً لركوب  
 الخيل الجياد ورجي النبال فانشأ ميداناً دعاه ميدان القبق ويقال له  
 ايضاً الميدان الاسود وميدان العبد والميدان الاخضر وميدان السباق  
 وكان شاعراً بقعة من الارض تمتد بين الفترة التي ينزل اليها من قلعة  
 الجبل وبين قبة النصر التي هي تحت الجبل الاحمر وبني فيو مصطبة

سنة ٦٦٦ هـ للاحتفال برمي النشاب والتمرين على المحركات العسكرية .  
 وكان يحث الناس على لعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك فكان يتزل  
 كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء وهو برمي  
 ويحرض الناس على الرمي والنضال والرهان فما بقي امير ولا مملوك الا  
 وهذا شغله وما يرح من بعده اولاده ومن بعدهم يمارسون هذا الميدان  
 بجميع انواع الالعاب الحربية

وكان يقوم بنفقات جميع هذه الاعمال بدون ان يسلب الاهالي درهما

واحدًا فوق ما اعتادوا

دفعه من الضرائب لان

الغنائم التي كان يكسبها

من اعدائهم كانت

تساعده كثيرًا في

النفقات

هذه هي اعمال

الملك الظاهر بيبرس

قد تركت له اثرًا يبنى

ذكره دهورًا طويلاً

وترى في الشكل

الثامن والخمسين صور

نقود الملك الظاهر

بيبرس وعليها صورة

اسد



ش ٥٨ نقود الملك الظاهر بيبرس

## سلطنة برقة خان بن بيبرس

من سنة ٦٧٦ - ٦٧٨ هـ او من ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

فلما توفي بيبرس اقر الامراء على مبايعة ابنه البكر محمد ناصر الدين برقة خان . ولكنهم كانوا قد اجمعوا بعد المشورة طويلاً على ان يكتبوا وفاة بيبرس لثلاث طمع فيهم العدو فارسلوا جيشه سرّاً الى دمشق واشاعوا هناك انه مريض فنقلوه الى القاهرة في هودج ثم استقدموا الجيوش جميعها الى مصر فقدمت وحالما ادخلوا الجيئة الى القلعة بايعوا ابنه البكر برقة خان واقبوه بالملك السعيد . واقاموا الامير بلباي ( بيبي بك ) انايكا وكان بلباي في الاصل مملوكاً ابتاعه بيبرس بشن بنحس الا انه ارتقى في خدمته حتى صار امين خزائنه . ثم استحق بعد طول الخدمة الصداقة الامينة ان يكون وصياً على ابنه في مهام السلطنة وكان للملك السعيد ثقة كبرى في بلباي حتى انه اتى اليه كل مهام الدولة فسعدت مصر في بادئ الرأي الا انها ما لبثت حتى تعكر كأس صفائها بوفاة ذلك الوصي الامين الحكيم ولم يكن الملك السعيد وانفاً باحد من امرائه ليعهد اليه مهام الامة لانه كان يظن انهم هم الذين سعيوا الى قتل وصيه ولكنه لم يتأكد ذلك فنفر منهم فوقع اختياره على اق سنفر فاتح نوبيا فولاه الانابكية وبعد يسير خنقه في احد ابراج الاسكندرية فتباعد الامراء عن هذا المنصب وارادوا بالسلطان سوما لكنهم شغلوا عنه بثورة الدمشقيين . وذلك ان شرف الدين سنفر الملقب بالاشقر كان والياً على دمشق تحت رعاية برقة خان فادعى الملك لنفسه فبايعة اهلها واقبوه بالملك الكامل فاسرع برقة خان الى دمشق ونزل بجيشه في الفصر الابلق الذي كان قد بناه ابيه وبعد الفجري عن اسباب تلك الثورة علم انها

ديسة من امرائه . فلما علم هؤلاء بانكشاف امرهم عادوا بمن كان على دعوتهم من المالك الى القاهرة وتحصنوا فيها فقتلهم بركة خان فامتنعوا عليه وعجز عن قهرهم لكثرتهم فالتجأ الى قلعة الجبل فحاصروه فيها وشددوا عليه الحصار فلم فاتحط اعنبارهُ عندهم وهموا بقتله فمنعهم الخليفة الحاكم بامر الله العباسي لكنهم اصرروا على خلعهِ فخلعوه في ربيع اول سنة ٦٧٨ هـ بعد ان حكم سنتين وثلاثة اشهر فبعثوه الى قلعة الكرك منفياً وحبسوه فيها ثم عادوا الى قتله فانفذوا اليه من يقتلوه ثم بلغهم انه سقط عن جواده ومات

### سلطنة سلامش بن بيبرس

من سنة ٦٧٨ - ٦٧٨ هـ او من ١٢٧٩ - ١٢٧٩ م

فبايعوا اخاه بدر الدين سلامش وسنة سبع سنوات وبضعة اشهر ولقبوه بالملك العادل واقاموا الامير سيف الدين قلاون الالفي وصياً عليه ولم يكن ثم هذا الوصي الا خلع ذلك السلطان الرضيع . وفي رجب من تلك السنة تمكن من مراده فبعثه الى قلعة الكرك منفياً واستلم هو زمام الاحكام وطلب المبايعة فبايعة الناس ولقبوه بالملك المنصور وهو لقب ثاني سلاطين هذه الدولة

### سلطنة الملك المنصور قلاون

من سنة ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ او من ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م

ولما استولى قلاون على كرسي السلطنة استوزر فخر الدين وكان كاتب سره المخصوصي وبعث الامير طرطباي الى دمشق لاختياد ثورة

اهلها . فسار في فرقة من الجند فلاقاه الملك الكامل ودافع دفاعاً حسناً  
ولكنه المحي في سنة ٦٨٠ هـ الى التسليم فقبضوا عليه وجأوا به الى القاهرة  
وادعوه سجيناً مظلماً وولوا على دمشق وسائر الشام الامير حسام الدين لاجين  
وفي سنة ٦٨١ هـ عاد التتر الى الشام بجيشين الواحد تحت قيادة  
اباكه خان والآخر مؤلف من ثمانين الف فارس تحت قيادة اخيه منجوق  
تيمور فحاربهم المصريون وفازوا بهم وقتلوا منجوق تيمور وفر اباكه خان  
الى حمدان فاسمه اخوه الثالث نيكودار اوغلان وتولى الحكم بعده  
ثم اعتنق الاسلام ولقب باحمد خان وكان اسلامه وسيلة لحسن  
الدماء لانه تخار مع قلاون مخابرة سلمية وتعهدا على حفظ الولاة . وما  
زال ذلك مرعباً حتى بعد قتل احمد خان وتولية ارغون مكانه . فكانت  
مصر في خلال ذلك مطبئة في خارجيتها فنشأت الفلائل في داخلها  
بسبب تمرد المماليك فانهم نبذوا الطاعة فغضب السلطان غضباً اعمى بصراً  
حتى لم يعد يميز المحرم من البري فساق الجميع بعضا واحداً واعمل فيهم  
السيف ثلاثة ايام متوالية حتى غصت الاسواق بجثثهم رجالاً ونساءً  
واولاداً . فجاء العلماء الى السلطان واخذوا يخنفون من غضبه ويبينون له  
وجه عسفه فاتبه لما جاءه من الاستبداد الفاحش فندم ندماً لا مزيد عليه  
وتكفيراً لذلك امر ببناء البنايات والتكايا رحمة بالساكنين وذوي الاسقام  
ومن اجل ذلك ايضاً بنى ابنه الملك الناصر المستنفي الشهير المعروف  
بالبيارستان . وكان المماليك الى ذلك الحين يلبسون لباس الزينة بما  
يناسب جمالهم . ففي سنة ٦٨٢ هـ امر قلاون ان يغير المماليك ملابسهم  
فنعهم من استعمال الوشي والزينة بالذهب وعن الضفائر الطويلة التي كانوا  
يحملونها في اقباس من حرير وجعل حالتهم من اللباس وغيره كما تقتضيه  
حالة رجال الحرب . ثم سار الى حصن مرفد فحاصره ٢٢ يوماً فسلم . وفي  
سنة ٦٨٤ هـ افتتح قلعة الكرك وقبض على سلامش لانه كان يحاول

الاستقلال عن مصر فقاده الى القاهرة واودعه سجناً مظلماً مكث فيه الى ما بعد وفاة قلاون

ولما اطمان باله في داخلية عكف على تنظيم الوزارة وما زال يعزل ويؤبى حتى اقر على وزارة شمس الدين سنة ٦٨٥ هـ فبقي على دسنتها زمناً طويلاً . ثم اوصى قلاون بولاية العهد لابنه علي ولقبه بالملك الصالح ( الثالث ) واخذ منذ ذلك الحين في تدريره على الاحكام وادارتها على نية ان يستخلفه عليها اذا طرأ عليه ما يستدعي غيابه عن مصر في حرب او غيرها فلم يصح ندمه لان علياً اُصيب بحمى شديدة ذهبت بجوانه سنة ٦٨٧ هـ فحزن قلاون حزناً شديداً وكثرت هواجسه حتى كره الاحكام ثم رأى ان يجرّد حملة لافتتاح طرابلس الشام تسلياً له عن هواجسه وكانت في حوزة الصليبيين منذ مائة وثمانين سنة لم ينازعه احد عليها فسار اليها قلاون وافتتحها وذبح من فيها واخرها ثم أعاد بناءها وجعل عليها حامية

ولما عاد الى القاهرة جاءه وفد من قبل ملك ارغون الفونس عقدوا معه معاهدة في ١٣ ربيع اول . غير ان كل ذلك لم يكن لبغلة عن احزانه وما زال كئيباً حتى قضى يوم السبت في ٦ ذي القعدة فاحتمل بجنازته احتمالاً حضره جمعٌ غفير من جهادية وملكية وشيعوية الى البيارستان حيث واروه التراب ولا يزال مقامه هناك الى هذا العهد وكانت مدة حكمه ١١ سنة و٢ اشهر و٦ ايام

ومن آثاره الباقية الى هذا اليوم جامع الشهير ومقامه وكلاهما داخلان في بناء البيارستان الذي يشاهد المار في شارع الثعابين شمالاً بعد ان يتجاوز خان الخليل ولا تزال هذه الابنية رثماً عن تكرار السنين قومية العماد تجلّى فيها العظمة والقوة الا البيارستان فانه اصبح اقرب الى الاثر من العين . وقد زرتُ مقام هذا السلطان فرأيت فيه كما رأيت في غيره من مثلوجاعات من النساء والاطفال م في الغالب من ذوي الامراض قد جاؤا يطلبون

الشفاء وهم يأتون غالباً في أيام السبوت ولم في ذلك اساليب مختلفة فرأيت بعضهم يضع الطفل المريض تحت المهراب ويجلس مصياً متضرعاً وآخر يأتي بشيء من الليمون الحامض يرح به جدار المهراب او ما يقاربه ثم يلحسه بلسانه طلباً للشفاء ورأيت آخرين يفعلون غير ذلك

ومن اعماله ميدانه الذي عرف بالميدان السلطاني جعله في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وكان يتردد اليه كثيراً ولا يمر عليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال لمن حوله اني عند ما اركب الى الميدان وأمر بهذه القناطر ينال ظهري من علوها واشاع بعضهم انه اراد بالحقيقة نزع آثار من كان قبلة ليقى الفخر له فامر بهدمها جميعها وبنائها ثانية فبنيت ولكن السباع لم توضع عليها فعندما رأى السلطان ذلك امر باعادتها فاعيدت السباع الى اماكنها وما يحكى عنه انه كان يجعل في بناياته اماكن مخصوصة يضع فيها الحبوب طعاماً لطيور السماء

وقد كان قلاون سبياً لاخراج السلطنة من يد نسله كما كان الملك الصالح الايوبي باستكثاره من المالك الشراكسة حتى جمع منهم نحواً من ١٢ ألفاً جعل منهم بطانته وكان يلقب بعضهم بالاناني اي المبتاع بالف دينار وبعضهم بابي المعالي وغير ذلك

وترى في شكل ٥٩ صورة نقود

الملك المنصور قلاون مضروبة

في حلب



ش ٥٩ نقود الملك المنصور قلاون

## سلطنة خليل بن قلاون ثم الملك القاهر بيدرا

من سنة ٦٨٩ - ٦٩٢ هـ او من ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م

وتولى بعده على سلطنة مصر ابنه البكر صلاح الدين خليل ولقب  
بالمملك الاشرف فاستوزر بدر الدين وجرّ للمجاهد على الصليبيين فسار في  
سنة ٦٩٠ هـ حتى اتى عكا فحاصرها وكانت الحصن الوحيد الذي بقي للصليبيين  
فحصنوه تحصين اليأس لكنه لم يمتنع على جيوش الاسلام فهدموه ودخلوا  
المدينة وامعنوا فيها قتلاً ونهباً . وفي سنة ٦٩١ هـ عاد الى القاهرة واخرج  
سلامش منبياً الى القسطنطينية لانه كان سبياً للقلقل . ثم سار الى ارمينيا  
ففجع ارضروم فذاع صيته حتى ارهب اعداءه فعاد الى القاهرة ليستريح من  
الاسفار ففاجأته المنية على فراشه . وسبب موته ان احدى نساؤه تواطأت  
مع مملوك لهُ يدعى بيدرا فقتله بخنجر في جوفه في شهر محرم سنة ٦٩٢ هـ  
بعد ان حكم ثلاث سنوات وشهرين واربعة ايام . واليه ينسب الخان  
المشهور بخان الخليل او الخان الخليلي في السكة الجديدة في القاهرة وكان  
في مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبني على انقاضها وازاد  
الغوري الى بنائه في القسم العلوي كما يفهم ذلك مما هو مكتوب فوق مدخله  
وفي هذا الخان تباع الآن جميع انواع الامتشة السوربة والهندية وما شاكل  
من طنائس ومطرزات واولاني نحاسية وغيرها

وبويع بيدرا ولقب بالمملك القاهر الا انه لم يحكم الا يوماً واحداً ثم  
قتله المالك اخذاً بثار سلطانهم السابق وبايعوا اخاه الملك الاشرف  
المدعو محمد بن قلاون وسنة ٩ سنوات ولقب بالملك الناصر

## سلطنة الملك الناصر بن قلاون (اولاً)

من سنة ٦٩٢ - ٦٩٤ هـ او من ١٢٩٢ - ١٢٩٤ م

وسلطنة هذا الملك اكثر اهمية من سلطنات سلفائه لكثرة ما حصل فيها من التقلبات السياسية والثورات المتعددة المتوالية . ونظراً لصغر سن هذا الملك اقاموا له وصياً يدعى زين الدين كتبوغا الملقب بالمتصوري لانه كان من مماليك الملك المنصور قلاون فما استتببت له الوصاية حتى تاقنت نفسه الى السلطة وكان معه وزير آخر يقال له علم الدين سنقر وكانت تحذره نفسه بمثل ذلك ايضاً فاختلفاً ونحاصماً وانتهت المحاصمة بقتل سنقر ولما خلا الجو لكتبوغا ولم يعد من ينازعه عمده الى الملك الناصر فخلعه وتولى مكانه سلطاناً على مصر ونفاه الى الكرك ولم يكن حكمه هذه المرة الا سنة واحدة

## سلطنة الملك العادل كتبوغا

من سنة ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ او من ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م

وفي شهر محرم سنة ٦٩٤ هـ بويغ كتبوغا ولقب بالملك العادل وهو اللقب الذي لقب به قبلة سلامش بن بيبرس الاول واستوزر فخر الدين وزير قلاون . ولم يكن هذا الاختلاس الا داعياً لتراكم المصائب على مصر وتداخل الاجانب فيها فدهمها الطاعون ثم القحط فاهلك جزء كبيراً من اهلها ثم جاء الحرب تمة لهذه الضربات وذلك ان قبيلة المغل (المغول) التي كانت تحت قيادة بيدو بن طرغاي بن هولاكوا أصبحت بعد وفاته تحت قيادة الملك غازان محمود بن خربنده

ابن ابغاني فتخوفت منه طائفة من رجاله عرفوا تحت اسم الاوبرانية وقرؤا  
 عن بلاده الى نواحي بغداد فتلوا هناك مع كبيرهم طرغاي وجرت لهم  
 خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هنالك وبعثوا الى نائب  
 حلب يستأذنونهم في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعبروا  
 الفرات الى مدينة بهنسا فاكرمهم نائيبها وقام لهم بما ينبغي من العلوفات  
 والضيافات فانصل ذلك بالملك العادل زين الدين كتبوغا فاستشار  
 الامراء فيما يفعل بهم فاتفق الرأي على استقدام اكارهم الى الديار المصرية  
 وتفرق باقهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام فجيء بثلاثمائة من  
 اكارهم الى القاهرة وفرقوا بالبقاع العزيزية (لبنان) وبيلا  
 الساحل ولما قرب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لغاتهم  
 واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضاء للفرجة عليهم فكان لدخولهم  
 يوم عظيم فساروا الى قلعة الجبل فانعم السلطان على مقدمهم طرغاي  
 بامرقة طليخانة واجرى عليهم الرواتب وانزلهم بالحسينية وكانوا على غير الملة  
 الاسلامية فشق ذلك على الناس وطلبوا مع ذلك منهم بانواع البلاء لسوء  
 اخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك في مصر والقاهرة غلاة  
 عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك شمس  
 الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف العذاب عنا فاناً قد نلنا في الدولة المغلية  
 جاءنا المغل والغلا فانصلقنا وانطبخنا في الدولة المغلية  
 وفي اول رمضان سنة ٦٩٥ هـ لم يصم احد من الاوبرانية فأعلن  
 السلطان بذلك فابي ان يكرمهم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى ان  
 يشوش عليهم احد. وكان مراده ان يجعلهم عوناً له فبالغ في اكرامهم فشق  
 ذلك على امراء الدولة وخشوا ابقاعهم بهم لان الاوبرانية كانوا من  
 مواطني كتبوغا وكانوا مع ذلك جملي الصورة فافتتن بهم الامراء وتنافسوا

فيهم وبالغوا في نفرهم حتى بعثوا الى البلاد الشامية استجلبوا طائفة كبيرة منهم فتكاثروا نسلهم في القاهرة واشتد الخاسد والتشاجر بسببهم بين اهل الدولة الى ان آل الامر بسببهم وباسباب اخرى الى خلع السلطان الملك العادل كتبوغا وذلك في صفر سنة ٦٩٦ هـ

### سلطنة الملك المنصور لاجين

من سنة ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ او من ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م

وبويع حسام الدين لاجين المنصوري ولقب بالملك المنصور كما كان لقب سيده قلاون فاذن لكتبوغا ان ينسحب الى صرخد في سوريا وقبض على طرغاي مقدم الاوبرانية وعلى جماعة من اكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فجنهم بها . ثم قتلهم وفرق جميع الاوبرانية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار اهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن وما يرحوا ايضاً يوصفون بالزراعة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان وكانوا يعانون لباس الفتوة وحمل السلاح وبوثر عنهم حكايات كثيرة وكانت الحسينية قد فاقت عمارتها على سائر اخطاط مصر والقاهرة

وكانت ارض مصر ٢٤ فيراطاً يخضع السلطان منها باربعة والاجناد بعشرة والامراء بعشرة وكان الامراء يأخذون كثيراً من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء وكان يصير ذلك الاقطاع في دواوين الامراء ويضمي بها قطاع الطريق وثور بها الفتن وتنتع منها الخوق الديوانية وتصبح طعمة لاعوان الامراء وتستخدمهم ومضرة على اهل البلاد التي تجاورها . فعندما تولى الملك المنصور لاجين رآك البلاد ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها بأسرها من دواوين

الامراء وجعل للامراء والاجناد احد عشر قيراطاً وافرد تسعة قراريط  
ليخدم بها العسكر او ينقطعهم اياها . ثم رتب اوراقاً بتكفية الامراء والاجناد  
بعشرة قراريط ووقر قيراطاً لزيادة ما عساه يطلب زيادة لقله مخصل  
اقطاعه وافرد لبطاتيه عدة اعمال جليلة . فتشكرت قلوب الامراء وحقدوا  
عليه وما انفكوا حتى قتلوه في ١١ ربيع آخر سنة ٦٩٨ هـ فبقيت كرسي  
السلطنة خالية ٤١ يوماً تمكن في خلالها الامير سيف الدين طنجي من  
دعوة الناس الى حزيه فالتف عليه جماعة كبيرة فبايعوه ولقبوه الملك  
الفاهر كما لقب بيدرا قبله وكان حظه من الملك كحظ سبيه فلم يحكم الا  
يوماً واحداً ثم ذبحه المماليك

### سلطنة الملك الناصر بن قلاوون ثانية

من سنة ٦٩٨ - ٨٠٧ هـ ومن ١٢٩٩ - ١٣٠٨ م

فكر المماليك في انتخاب سلطان يحكم فيهم فافرروا على استفدام  
الملك الناصر بن قلاوون من منفاه وقد بلغ الخامسة عشرة من العمر  
لبيايعوه فبعثوا اليه وقد يبلغ ذلك الفرار فقدموا اليه في الكرك . وكانت  
والدنة عنده فلم تسخ بسفره معهم لئلا يكون تحت اقوالهم هذه مقاصد  
خطرة فالحوا عليها واكدوا لها صدقهم ثم جعلوا امام الملك الناصر وبايعوه  
فناكدت اخلاصهم فسخت بمسيرهم فساروا حتى اتوا القاهرة فحاول  
بعض دعاة لاجين الايقاع بحياة الملك الناصر لكنهم تهددوا فبايعوه  
وكان غازان خان ملك التتر قد عاد ثانية الى افتتاح سوريا فجرد اليه  
الملك الناصر سنة ٧٠٠ هـ جيشاً جراراً واسرع حتى التقى به في حمص  
فتنهز الناصر ثم جمع رجاله وامدم بالعنة والرجال واستأنف الحرب .

وكان التتر قد حسبوا ان الفوز قد نقرر لم فوضعوا يدهم على سوريا  
 وضربوا عليها الضرائب واخذوا في ادارة احكامها . وبينما هم في ذلك  
 وصل الملك الناصر في جيشه الى مرج الصفر بقرب دمشق فخرج اليهم  
 التتر وانتشب القتال بين الفريقين فانغلب المصريون في بادئ الامر ثم  
 ارتدوا على صفوف التتر كالسيل الهائل بعزم اشد من الجبال ففرقوا  
 جمعهم واتخذوا فيهم ضرباً بالسيف حتى نظهرت الشام منهم فعاد الملك  
 الناصر الى القاهرة ظافراً ودخلها من باب النصر باحتفال عظيم  
 ولما لم يعد ما يشغله في سوريا عكف على اخضاع قبائل العربان  
 الذين شقوا عصا الطاعة في مصر العليا فجرد اليهم فدانوا له واغتنم منهم  
 خمسة آلاف فرس ومائة الف رأس غنم وثلاثين الف من المواشي الكبيرة  
 كالبقرة والجاموس وعدداً وافراً من الاسلحة . فلما كانت سنة ٧٠٢ هـ  
 داهمت الشرق زلزلة قوية اخربت قسماً عظيماً من سوريا ومصر واخرجت  
 المياه من الابار الى سطح الارض وطافت الابحر على اليابسة فاغرقت خلقاً  
 كثيراً . والظاهر ان هذا الحادث الطبيعي اثر في اخلاق المصريين  
 فانقسموا احزاباً يضاد بعضها بعضاً ثم عادوا فاتحدوا على خلع الناصر  
 فرأى انه لا يقوى على دفعهم وخاف على حياته فترك القاهرة مظهراً للحج  
 وسار مع بطانته الى الكرك وكان له فيها ثروة تبلغ ٢٧ الف دينار  
 ومليون وسبعماية الف درهم فاستولى عليها وحصن المدينة ثم بعث بالخطم  
 السلطاني الى المماليك مصرحاً بتنازله ومنوذاً لهم تولية من ارادوا

### سلطة بيبرس الجاشنكير

من سنة ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ او من ١٢٠٨ - ١٢٠٩ م  
 فوصل كتابة اليهم في ٢٥ رمضان سنة ٧٠٨ هـ فبايعوا الامير ركن



الدين بيبرس الجاشنكير (بيبرس الثاني) ولقبوه  
بالمملك المظفر وهو من ممالك الملك المنصور  
فلاون وما يؤكد ذلك انهم وجدوا بين  
اسمائه سيفاً منقوشاً عليه اسمه مشفوعاً بقلب  
« المنصوري والسيفي » كما ترى في الشكل الستين  
وفي اواخر هذه السنة قدم الافرنج بموافقة  
صاحب قبرص لغزو دمياط بحراً فانفق الامراء

ش ٦٠ اسم السلطان بيبرس الثاني على سيفه  
في القاهرة على انشاء جسر يمتد من القاهرة الى دمياط خوفاً من قدوم الافرنج  
بحراً في ايام الفيضان فيتعذر الوصول الى دمياط فكتبوا بذلك الى الاعمال  
ان يخرجوا بالرجال والابنار لانعام ذلك فاجتمع ستماية رأس بقر و ٢٠  
الف رجل و باشروا العمل و انهم في شهر واحد فكان طوله من دمياط  
الى قلوب وعرضه اربع قصبات من اعلاه وست قصبات من اسفله ومشي  
عليه ستة رؤوس من الخيل صفاً واحداً ومن آثاره في القاهرة جامعة  
المعروف بجامع جاشنكير في الجميلية مبني على مثال جامع السلطان حسن  
ولا يزال مسجداً الى هذه الغاية

ثم ندم الملك الناصر لاستقلاله وتخليه عن مقاليد الاعمال لاحد  
ماليكه فجعل يترقب فرصة لتسليق العرش ثالثة . وفي شهر شعبان من  
سنة ٦٧٠ هـ بارح الكرك مستخفاً عليها ارغون احد ماليكه المنقرين وجاء  
دمشق فبايعه امراؤها فجنده الى مصر ومعه رجال عديدون وكان الامير  
برك احد زعماء الممالك قد نبذ طاعة بيبرس ومعه كثيرون من نخبة  
رجالهم فنتشع الناصر وقدم القاهرة . اما بيبرس فخاف ولم ير سبيلاً  
لنجاة الا بالتنازل فاستقال في الليلة الاولى من شهر شوال بعد ان  
ضم اليه مبلغاً مقداره ٢٠٠ الف دينار وكثيراً من الجمال والخيل وم

الى مصر العليا طامعاً في الاستيلاء عليها فلاقاه خارج القاهرة سرب من الاسافل اوسعوه شتاً ورجماً فرشقهم بما كان معه من النفود وسار حتى جاء اخميم فقتل فيها

### سلطنة الملك الناصر بن قلاوون الثالثة

من سنة ٧٠٩ - ٥٧٤١ او من ١٢٠٩ - ١٢٤١ م

وفي غد مبارحة يبهرس القاهرة دخلها الملك الناصر باحتفال عظيم وهي المرة الثالثة لتوليهِ وكان ذلك يوم عيد رمضان فزاد العيد بهجة . فاستنبح الهاربين وقبض عليهم وجردهم ما اخذوه وقتل يبهرس وكان سن الملك الناصر اذ ذاك ٢٥ سنة صرف ٦ منها في مفاصة الاهوال حتى عرف كيف توكل الكنف وكيف يجب ان ترسخ قدمه في الملك فكان ذلك بمثابة الامثولة له فمكك على دست السلطنة هذه المرة حتى توفي اي مدة ٢٢ سنة وكان النصارى الى ايام هذا الملك يقيمون احتفالاً سنوياً في ٨ بشنس في ناحية شبرا من ضواحي النيل بسمونة احتفال عيد الشهيد زعماء منهم ان النيل لا يفي الا اذا القوا فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من اصابع اباثمم المائتين فكانوا يجتمعون من سائر القرى افواجاً على اختلاف الدرجات والترعات ويكثرون بسبب ذلك من الغناء وشرب المسكر فكانوا ينفقون مبالغ فاحشة في هذا السبيل وكان فلاحو شبرا يركنون في وفاء المخرج على ما يبيعونه من الخمر في ذلك العيد فامر الملك الناصر بابطال هذه العادة كلياً . وابطل كثيراً من الضرائب الظالمة كزكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله ابداً ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وابطل ما كان يُجبي من اهل القاهرة وضواحيها اذا حضر مبشراً بفتح حصن او نحو فاتهم كانوا يأخذون من الناس كل واحد على

قدر طاقته وكان يجتمع من ذلك مال كثير . وابطل ما كان يجبي من اهل  
الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وكانت  
العادة اذا كان وفاء النيل ان يجبوا من التجار والباعة ديناراً من كل  
واحد قياماً باحتفال كانوا يقيمونه عند المقياس يكثرون فيه من الشوى  
والحوى والناكهة فابطل الجباية وامر بصرف ذلك من بيت المال

اما اعماله فاكثرها بناء وترميم فقد بنى في سنة ٥٧١٧ جسراً بين  
بولاق وميت شيرج لمحجز مياه النيل عند النيضان وكانت الارض واطية  
ولم يكن فيها شيء من البناء فاذا ارتفع النيل جرى على مسافة قصيرة من  
المنس ( ثمن الازبكية ) فلما بنى الجسر كنت الماء الا يسيراً فتكون هناك  
جزيرة دعواها جزيرة بولاق فاقامت فيها المساكن ثم انصلت بالبر الحقيقي  
فاصبحت جزءاً منه فاتخذوها مرسى للسفن الواردة الى مصر ولا تزال كذلك  
الى هذا اليوم وهذا ما يعبر عنه الآن بثن بولاق

وفي سنة ٥٧١٨ هـ ابني جامعاً في القلعة دعاه الجامع الناصري وكان  
هو الجامع الملوكي الذي يصلي فيه السلطان وحاشيته ولما بنى جامع محمد  
على بجانبه صار يدعى الجامع العتيق . وقد جعلته الحكومة المصرية مؤخراً  
مخزناً للمهمات العسكرية اما الآن فقد اخلي من المهمات وعرض للفرجة وهو  
قائم على يسار المنبل على جامع محمد علي في القلعة

وكانت مدة حكم الناصر هذه المرة كلها سكينه وسلاماً خارجاً وداخلاً  
ولم يخرج من مصر كل هذه المدة الا مرتين لزيارة الحرمين ولم يتخبر مع  
دولة اخرى الا التتر وذلك بشأن تزوجه بابنة اربك خان سنة ٥٧٢٠ هـ  
فكان منعكفاً بكلينو الى ترقية شأن البلاد فاقام فيها ولا سيما في القاهرة  
مشروعات كلية الاهمية منها نزع الخلج المدعو باسمه ( الخلج الناصري )  
سنة ٥٧٢٧ هـ . وقد انشأ سنة ٥٧٢٨ هـ سبعة جسور وفي السنة التالية انشأ  
مرصدًا في الميدان وشاد قصرًا على انقاض قصر الاشرف فانهى منه في

سنة ٧٢٤ هـ وأقام جسور شيبين سنة ٧٢٥ هـ. وأبني عدا عن الجامع  
 الناصري المتقدم ذكره جامعاً آخر بجانب جامع أبيه في شارع النحاسين  
 يشاهد فيه عند الدخول اليو اعمدة ملنفة يقال ان الملك الاشرف بن  
 قلاوون جاء بها من عكا تذكاراً للظفر وهناك كتابة يقول فيها ان الذي  
 بنى ذلك المشهد هو السلطان محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى  
 سنة ٦٩٨ هـ والمفرزي يقول ان بناءه تم سنة ٧٠٣ هـ وان الملك العادل  
 كتبوا هو الذي وضع اساسه ايام السلطنة. وشاد الناصر داراً كبيرة دعاها  
 دار العدل وانشأ عيوناً كثيرة ومدارس عالية متعددة واتم بناء البيمارستان  
 الذي شرع ابيه في بنائه وزاد فيه كثيراً وخصص مالا معلوماً للنفقة عليه  
 ومن اعماله الحميدة انه ابطال جميع الضرائب الظالمة التي كانت  
 تؤخذ على كل ما يباع ويشترى من حيوان ونبات وعقار فاحتبه الرعية  
 واجمعوا على طاعته. فاستتبت الراحة وعمر الصعيد على وجه خاص.  
 ولم يشب الراحة الا تنازع الوزراء على منصب الوزارة فالغاء حسماً للمشاكل  
 وفي سنة ٧٢٨ هـ توفي ابنه انوق فحزن عليه حزناً شديداً اورثه مرضاً  
 رافقه حتى الموت فتوفي الناصر في ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ وسنة ٥٧ سنة  
 ومنه حكمه ٤٤ سنة وبضعة اشهر عن ثمانية اولاد ذكور تناوبوا الملك  
 بعده الواحد بعد الآخر الا ان نصبهم وخلعهم كانا منوطين باحزاب  
 متضادة لا يستقرون على حال فكانت مدات حكمهم قصيرة جداً

وترى في الشكل الحادي

والستين صورة نفود الملك الناصر  
 ابن قلاوون النحاسية



ش ٦١ نفود الملك الناصر بن قلاوون

سلطنة اولاد الناصر وهم ابو بكر وقوجوق واحمد واسماعيل

وشعبان وحاجي وحسن وصلاح الدين

من سنة ٧٤١ - ٧٥٢ هـ او من ١٢٤١ - ١٢٥١ م

قاول من تولى بعد الملك الناصر ابنه البكر سيف الدين ابو بكر  
ولقب بالملك المنصور (الرابع) وبعد اربعين يوماً عزل وتقي الى قوص  
في مصر العليا وتوفي سنة ٧٤٢ هـ وفي يوم خلعه سطا المماليك على نساء  
ابيه واهانوهن ونهبوا متاعهن . فبُوع أخوه علاء الدين قوجوق ولة  
من العمر ست سنوات فقط ولقب بالملك الاشرف

وبعد خمسة اشهر اي في رمضان من تلك السنة خلع الاشرف وسجن  
في قلعة القاهرة فتوفي هناك . فبُوع اخوه شهاب الدين احمد وكان  
منقباً في الكرك فاستقدم وبُوع ولقب بالملك الناصر (الثاني) وفي ١٢  
محرم سنة ٧٤٣ هـ اعيد الى الكرك منفاً الاول . فبُوع اخوه عماد الدين  
اسماعيل ولقب بالملك الصالح وهذا بقي على كرسي السلطنة أكثر قليلاً  
من اخوته السابقين اي ثلاث سنوات وشهرين وبضعة ايام . وام ما  
حصل في ايامه انه اعاد منصب الوزارة الى حكمه سنة ٧٤٤ هـ وكان قد  
الغاه ابنه كما رأيت وانه قتل اخاه شهاب الدين احمد سنة ٧٤٥ هـ وكان  
منقباً في الكرك ثم انتهت سلطنته بموته في ٤ ربيع آخر سنة ٧٤٦ هـ . فبُوع  
اخوه الخامس زين الدين شعبان ولقب بالملك الكامل ولكنه لم يكن اسماً  
على مسي فابغضته الرعية وهجاه الشعراء . ومك حاكماً سنة وبضعة  
اشهر وفي جمادى الاولى سنة ٧٤٧ هـ عزل . فبُوع اخوه السادس  
زين الدين حاجي ولقب بالملك المظفر (الثالث) وكان أكثر استبداداً

من سلفه فلم تطل مدة حكمه أكثر من سنة وثلاثة اشهر فذبح في ١٢  
 رمضان سنة ٧٤٨ هـ . فبويغ اخوه السابع ناصر الدين حسن ولقب  
 بالملك الناصر ( الثالث ) وقد كان من سيره في الملك ما كان لا يبو  
 فحكم ثلاث سنوات وعشرة اشهر بمساعدة نائيه الامير الطمش وخلع في غرة  
 رجب سنة ٧٥٢ هـ وسجن في قلعة القاهرة . فبويغ اخوه الثامن  
 صالح صلاح الدين ولقب بالملك الصالح ( الثاني ) وكان على وزارته  
 الامير شيخو العمري والى هذا الامير ينسب الجامع المعروف بجامع شيخون  
 او شيخو في الصليبية غربي الرملة اوها جامعان واحد على كل من جانبي  
 الطريق وكلاهما يعرفان بهذا الاسم . وبقي الصالح على دست السلطنة  
 ثلاث سنوات وثلاثة اشهر و١٤ يوماً

وفي سنة ٧٥٤ هـ دم القنطرة طاعون وانتشر حتى عم البلاد واخنطف  
 الامام الحاكم بامر الله ( الثاني ) وصي الخلافة فبويغ عمه المعتضد بالله  
 وفي اوائل سنة ٧٥٥ هـ رفع المسلمون الى الملك الصالح تقارير مفصلة  
 بما للنصارى من الاملاك الموقوفة للاديرة فاحبلت هذه التقارير الى ديوان  
 الاحباس فوجد ان للنصارى اوقافاً تبلغ ٢٥ الف فداناً من الطين كلها  
 موقوفة للكنائس والاديرة فعرضت على الامير شيخو والامير صرغتمش  
 والامير طاز وكانوا قائمين بتدير الدولة ففرروا ان ينعم بذلك على الامراء  
 زيادة على اقطاعهم وهدموا للنصارى عدة كنائس . وفي اوخر رجب  
 من هذه السنة خرج الحاجب والامير علاء الدين علي بن الكوراني وكان  
 والياً على القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر فهدم كنيسته  
 للنصارى واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضره الى الملك الصالح  
 فأحرق بين يديه في الميدان وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذ النصارى  
 فبطل عيد الشهيد من يومئذ كلياً . وكان بين المترشحين للوزارة وزبران  
 قبطيان مرتدان هما موفق الدين وعلم الدين فتنازعا عليها وانضم الى كل

منها احزاب فانهى الخصام بمخلع الملك الصالح في ٢٢ شوال سنة ٥٧٥٥ هـ وكان منشأ هذا النزاع دسيمة من اخيه الملك الناصر حسن باتفاق مع الامير تاج الدين وكان الناصر مجنوناً ففاز بمراده وخلع اخاه فأخرج من السجن وبويع وبقي الملك الناصر حسن على دست السلطنة هذه المرة ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام بمساعدة الامير تاج الدين فولاه الوزارة مكافأة لمسعاة . وفي ٩ جمادى الاولى سنة ٥٧٦٢ هـ قتل بمكيدة من كبار امرائه

ومن مآثره الباقية الى هذا العهد جامعة في الرملة مقابل قلعة الجبل في القاهرة وهو المعروف بجامع السلطان حسن او بجامع الحسينية وهو من اجمل جوامع القاهرة وانتهى اقتضى لبنائه ٢ سنوات أنفق عليه في خلالها ما يساوي ستماية جنيناً كل يوم وقد جاء بالحجارة الكبيرة من انقاض الاهرام ونقش عليه الكتابات الكوفية والعربية فزادته رونقاً وجمالاً وقد اصبح الآن وعلى وجهه ملامح الشجوخة لكنها لم ترده الا عظمة ووقاراً



وترى في الشكل الثاني والستين صورة النفود الذهبية للملك الناصر ناصر الدين حسن

ش ٦٢ نفود الملك ناصر الدين حسن

### سلطنة محمد بن حاجي

من سنة ٧٦٢ - ٥٧٦٤ هـ او من ١٢٦٠ - ١٢٦٢ م

ولما قتل السلطان حسن بويع ابن اخيه محمد بن الملك المظفر حاجي وسنة ١٤ سنة ولقب بالملك المنصور (الخامس) وفي منتصف شعبان



قتل السلطان فهاجموه فدفعهم ورؤسهم وقتل منهم جمعا كبيرا وتبعهم  
رجالهم حتى اغرقوهم في النيل . ولم يكذب بطمان من هذا القبيل حتى اجتمع  
عليه اعداد يريدون قتله فتربصوا ينتظرون فرصة حتى اذا كان عائنا  
من زيارة الحرمين كمنواله في مضيق العقبة فقتلوا من معه من الحاشية ولم  
يقنوا للسلطان على اثر فظنوا انه قتل فعادوا الى القاهرة وعهدوا الى  
الخليفة المتوكل بالله العباسي وكان قد تولى الخلافة بعد المعتضد بالله  
سنة ٧٦٢ هـ ان يبايع من يشاء . فكتب اليهم « اخناروا من بينكم من  
تساؤن وانا اصادق على بيعته » ثم علم الامراء ان الاشرف لا يزال حيا  
مخبئاً في القاهرة فقبضوا عليه وخنقوه في ١٥ ذي الحجة سنة ٧٧٨ هـ



وترى في الشكل الرابع والستين نقود

الملك الاشرف شعبان

ش ٦٤ نقود الملك الاشرف شعبان

### سلطنة علي بن شعبان

من سنة ٧٧٨ - ٧٨٢ هـ او من ١٢٧٦ - ١٢٨١ م

وبايعوا ابنة علاء الدين علي وسنة ٧ سنوات فسر بذلك المنصب  
لصغر سنه ولم يعلم انه مدفن ابيه ولا يلبث حتى يلحق به . فلقبوه بالملك  
المنصور (السادس) واقاموا له الامير لابن بك وصييا . ثم ابدل لابن  
بالامير قرطاي ثم ابدل هذا بالامير برقوق . وهو الذي سياتي على ختام  
هذه الدولة وتأسيس دولة جديدة . وقد كانت هذه مقاصد منذ ولي الوصاية  
لكنه بقي محافظاً على ولاء مولاه الى ان توفاه الله في شهر ربيع اول  
سنة ٧٨٢ هـ وكانت مدة حكمه اربع سنوات واربعة اشهر

## سلطنة حاجي بن شعبان

من سنة ٧٨٣ - ٧٨٤ هـ او من ١٢٨١ - ١٢٨٢ م

فبويغ اخوه زين الدين حاجي وسنة ست سنوات ولقب بالملك الصالح (الثالث) ولم تمر على مبايعته سنة ونصف حتى مل برقوق من اخفاء مقاصده فخلعة ونفاه في ١٦ رمضان سنة ٧٨٤ هـ واستلم مقاليد الملك . وكان الملك المنصور هذا آخر من حكم من دولة المالك الاولي سلالة فلاون المسماة بالبحرية او التركانية فانقضت دولتهم بعد ان حكمت نحواً من مائة وست وثلاثين سنة اولها امرأة واخرها صبي وقامت دولة المالك الثانية او الشراكية

## دولة المالك الثانية

من سنة ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ او من ١٢٨٢ - ١٥١٧ م

## منشأ المالك الشراكية

وقد دعيت هذه الدولة بدولة المالك الشراكية نسبة الى منشأ سلاطينها فانهم من الشعب الشركي ويدعى ايضاً كركس او جركس او كرزوم لم ينشأوا في اسيا العليا انما جاؤا اليها من سيبيريا ونواحي بحيرة بيكال منذ الجيل السادس لليلاد ثم هاجروا الى غربي بحر قسبين فاستوطنوا هناك ودعيت تلك البلاد شركاسيا . وكان المالك الشراكية يحملون من بلادهم للتجار بهم في جهات العالم فاقتنى منهم سلطان المالك

البحرية الاخير عدداً وافراً فضلاً عن المالك البحرية اقتداءً باسلافه .  
 وكانوا يستخدمونهم في مصالح الدولة فارتقوا فيها تبعاً لما خصّتهم به الطبيعة من  
 الجبال والذكاء . حتى صارت اليهم حماية الحصون والقلاع فجمعوا سكانهم في  
 الابراج فلقبوا بالبرجية وما زالوا يزدادون عدداً وقوةً ومنعة حتى نافت  
 نفوسهم الى نسلق كرسي الملك يجعلونها ارثاً لنسبهم . وقد رأينا انهم تمكنوا  
 ما ارادوا فخلعوا حاجي بن شعبان وابعوا برفوق

اما برفوق فهو ابن مرتدي شرکسي اسمه أنس من قبيلة كسا استملك  
 في شركاسيا وقيد الى النرم فاشتراه رجل مسلم يقال له عثمان وجاء به  
 الى مصر سنة ٥٧٦٢ هـ وباعه للامير بلبغا فجعله في عداد مماليكه الا ان  
 نباهة برفوق وجماله ومهابة استلفتت انتباه سيده فبالغ في اكرامه وترقيته  
 حتى ادخله في بطائه ولقبه بالشيخ اشارة الى براعته بالفقه وسائر العلوم  
 الاسلامية وجعله في مصاف الامراء وكان يلقب ايضاً بالعثماني والبلبغاوي  
 وما زال في خدمته الى ان قضى الله على بلبغا بما قضى ونشنت مماليكه فبقي  
 برفوق وامير آخر يقال له بركة لانها كانا في السجن ثم اطلقا فدخلوا في  
 خدمة منجك حاكم دمشق . ثم عاد الى مصر بطلب من الملك الاشرف  
 شعبان فتمكن برفوق بوسائط مختلفة من الحصول على رتبة باش امير ياخور  
 وقيادة الف رجل فاصبح من الذين يعطون في نيابة الملك فتولاها ولقب  
 بانابك الجيوش . وتولى رفيقه بركة رئاسة حكومات الاعمال (المديريات)  
 وما زالت الحال كذلك حتى خلع الملك الصالح حاجي فتمكن برفوق  
 بمساعدة احزابه ان يتسلق كرسي الملك في ١٩ رمضان سنة ٥٧٨٤ هـ كما رأيت

## سلطنة الملك الظاهر برقوق

من سنة ٧٨٤ - ٨٠١ هـ او من ١٢٨٢ - ١٢٩٨ م

فاقر الخليفة المتوكل بالله على تولية برقوق وبايعه جميع النضاة  
والمشايخ والعلماء والامراء ولقبوه بالملك الظاهر وهو لقب اعظم من  
حكم مصر من دولة المماليك الاولى نعني به ركن الدين بيبرس البندقداري  
وكان يهور لك الشهور اذ ذاك قد ملأ الارض بافتتاحاته حتى سمع  
دويها في سوريا اذ جاء بتهدد حدودها فنهض اليه برقوق في جيش  
عظيم فارقته عند حده لكنه لم يكده يغفل من ذلك العدو التتري حتى  
ظهر له عدو في بيته نعني به الخليفة المتوكل بالله فانه دعا الى خلع برقوق  
فالتفت حوله دعاه عديدون فاجتمع برقوق بالمشايخ والائمة والعلماء واجمع  
معهم على خلع الخليفة فخلعه وحسبه في القلعة سنة ٧٨٧ هـ ونصب عمرا اخا  
ابراهيم ولقبه بالواثق بالله ثم توفي الواثق في ١٩ شوال سنة ٧٨٨ هـ فنصب  
ابا بجي زكربا عمرا ابن الخليفة المستنصر بالله وهذا لم يلبث طويلا لانه  
اساء السلطان برقوق فخلعه في جمادى الاولى سنة ٧٩١ هـ واعاد المتوكل  
بالله لكنه ندم بعد ذلك لما رأى من سعيه الى خلعه فحاول تنزيله  
ثانية فلم يستطع لان المتوكل كان قد نواطأ مع احد الامراء المسمى  
منطاش على خلعه ووافقها سائر الامراء ورجال الدولة فخلعوه بعد ان حكم  
ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام وارسلوه منفيا الى قلعة الكرك منى  
السلاطين في تلك الايام واستقدموا السلطان حاجي آخر سلاطين دولة  
المماليك البحرية وهو الذي خلعه برقوق فبايعوه في ٦ جمادى الآخرة  
سنة ٧٩١ هـ وكان يلقب بالملك الصالح فابده بالملك المنصور لكنه  
لم يهنأ بهذه التولية الثانية لان المتوكل ومنطاش بعد ان سعيوا الى توليته

ندما فازت لاه واعادا برقوق في ٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ فتعلم برقوق هذه الهرة كيف يستبقي الملك في يد فيبادر حالاً الى الملك المنصور حاجب وامانة وكل من كان على دعوتيه منعاً لدسانهم . ثم عمد الى الخارجية فوطد الامن في انحاءها ولم يكن يثق بمقاصد احزاب الخلفاء فجعل يتداخل في احوالهم فينخد تارة مع هولاء وطوراً مع هولاء لاستدامة الشقاق بينهم فلا يتقون على خلعه

وفي سنة ٧٩٤ هـ اهداهُ قرا يوسف امير الدولة الهادية مدينة تبريز فبعث اليه برقوق خلعة وفوض اليه ان يفتح ما استطاع من المدن على ان يكون والياً عليها . لكنه لم يلبث حتى اتى القاهرة في السنة التالية مع احد محالبيه احمد بن عويس فارب من وجه نيمورلنك وكانا قد التجأ الى منوبل امبراطور القسطنطينية فلم يؤمنها لانه كان في ريبه من امره مع دولة جديدة قارب صحبها من الانفجار وهي الدولة التي لفت بعد ذلك بالدولة العثمانية نسبة الى عثمان الغازي اول سلاطينها . وكان ذلك في عهد بيازيد بن مراد رابع سلاطين هذه العائلة الظاهرة وكان قد غزا معظم ايلات المملكة الرومانية الشرقية واعظماها حتى تهدد القسطنطينية فجهاهُ التتري من ورائه تحت قيادة نيمورلنك فارقنوه عن مقصد واصبحت قارة اسيا بين مناظرين عظيمين يتنازعاها وكل منها ذوباً شديداً وهما نيمورلنك التتري وبيازيد التتري فتلاطمت الزوبعتان فأرجفت لهما افرقيا واضطربت مصر من دونهما

وطمحت انظار هذين التناحين الى مصر فبعث كل منهما وفداً الى القاهرة فطلب وفد بيازيد الى برقوق ان يعاهدهم على السلم والى الخليفة المنيم في القاهرة ان يترهم رسماً على سلطنة الاناضول فاجابهم الى ما طلبوا اما وفد نيمورلنك فاتخذوا خطة اخرى في ما موربتهم لانهم استهوا الحشونة والنظافة في اقوالهم ومطالبهم وطلبوا اليه ان يسلم لهم قرا يوسف

وأحمد بن عويس الذين قد النجماً اليو . فطيب برفوق خاطرهم واخذهم  
 بالملاينة فازدادوا فجوراً فأمر بقتلهم فشق ذلك على نيمورلنك فساق  
 جيشه وقدم للانتقام فمر بالرها فافتتحها وقتل من فيها ثم جاء حلب  
 فأنكى فيها ثم توقف نيمورلنك عن مسيره لغرض في نفسه ليسهل  
 عليه افتتاح مصر . فلم يغفل برفوق عن ذلك فأكثر من الجند والسلاح  
 وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكسد يتم هذه التأهبات حتى أدركنه  
 الوفاة بدهاء الصرع في يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٥٨٠١ وسنة ستون  
 سنة فأسف عليه الناس أسفاً شديداً لما كان من عدله وبقظته ورفقه  
 برعيته . ومن أدلة ذلك أنه خفف عوائد المحبوب وأبطل العوائد التي  
 كانت تؤخذ على الأثام والنواكح الواردة عن طريق بولاق وكان كثير  
 التصديق على الفقراء محباً للعلم والعلماء فبنى مدرسة دعاها المدرسة  
 الظاهرية نسبة اليو . وابنتى جامعاً لا يزال الى الان معروفاً باسم جامع  
 السلطان برفوق واقعاً بجانب جامع الملك الناصر المتقدم ذكره في  
 شارع النحاسين . وكان له ولع خاص في اقتناء الأسلحة والمخبول الجياد  
 والاستكثار من الممالك الشراكسة أبناء جلدته فنظم منهم فرقة بركن  
 اليها عند الحاجة . وجعل في مصالح الدولة مراتب هذه أهمها

- ( ١ ) اتابك العساكر
- ( ٢ ) رأس نوبة الامراء
- ( ٣ ) امير السلاح
- ( ٤ ) امير المجلس
- ( ٥ ) امير البياخور
- ( ٦ ) ديوار
- ( ٧ ) رأس النوبة الثاني
- ( ٨ ) حاجب الحجاب

( ٦ ) النائب

وكانت مقاليد الحل والربط بيد هؤلاء التسعة فإذا اجتمعوا على امر  
انفذوه ولا مرد لفضائهم

## سلطنة فرج بن برقوق ( اولاً )

من سنة ٨٠١ - ٨٠٨ هـ او من ١٢٦٨ - ١٤٠٥ م

فلما توفي السلطان برقوق بايعوا بكر ابنائه فرج زين الدين الملقب  
بالي السعادات وسنة ست وعشرون سنة ولقبوه بالملك الناصر. وفي اول  
حكمه ثار الانابك يطمش وتمم الفرساني حاكم سور يافتوا طأ هذا الاخير مع  
بليغا السالي حاكم حلب فاستولى على مضائق فلسطين على تبة الاستيلاء على  
سائر مدنها الا ان حرسه لم يتحقق فأخذت منه المضائق وضويق عليه  
حتى قيد اسيراً وقتل هو وكل دعائه. ولم تكد تنجو مصر من هذه النازلة  
حتى داهمتها نازلة اشد وطأة واصعب مراساً. فان تيمورلنك بعد ان  
انتهى حروبه في الهند وبغداد وسيواس وملاطية سنة ٨٠٢ هـ امعن في  
سوريا فاستولى على حلب وحصص بعد حرب شديدة وفر فرج الى  
مصر رغماً عنه فجمع اليه رجاله وتأهب للدفاع ثم بلغه ان عدوه انشغل  
عنه بجاربة بيازيد في الاناضول فسكن روعه ثم جاءه الانباء بنور تيمور  
وانكسار بيازيد واسره سنة ٨٠٤ هـ في وقعة انقرة فخارت قواه وقنط  
من الفرج فبعث اليه تيمورلنك ان يسلم بسلطنة التتر ويبعث اليهم  
باحمد وقرا يوسف حالاً وبعث اليه فيلاً هندياً. فلم يسع فرج الا الاذعان  
لفضاء الله. فاجابه الى طلبه صاغراً واهداه زرافة حبشية معترفاً بسيادة  
التتر على مصر وقيامه باحكامها بالنيابة عنهم. اما احمد وقرا يوسف فقال  
انها احتبياً به وحقوق الضيافة تمنعه من تسليمها فيكون هو المجاني عليها

لكنه وعد ان يجنحها عنده فاستقرت سيادة نيمور على مصر . وفي سنة ٥٨٠٦ هـ شرقت مصر بقصور النيل فدعي اهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات في مدينة قوص وحدها ١٧ الف انسان ومات في مدينة اسبوط ١١ الفاً ونحو ذلك من مدن اخرى . وفي ١٧ شعبان من السنة التالية ادرك نيمور القضاء المهيم في اوترار وتخاصم ابناؤه على الملك فاعنم فرج تلك الفرصة للتخلص من سلطة التتر والافراج عن احمد وقرا يوسف فافرج عنها فسارا الى بلادها

ثم اخذ بالتأهب لاسترجاع سوريا بنفسه فلم يكذبهم الاستعداد حتى ضوبق عايه في قصره . وسبب ذلك ان المصريين لما رأوا اذعانه لنيمور لنك وتسليمه بسيادته على بلادهم حسبوا ذلك خيانة وضعفاً وايقنوا انه لا يصلح لادارة الاعمال فافرقوا على خلعه وتولية اخيه عز الدين عبد العزيز وكان اعظم في عيونهم منه فاجتمعوا تحت لوائه وساروا لمحاصرة اخيه في قصره في ١٦ ربيع اول سنة ٥٨٠٨ هـ وما زالوا ينهدونته حتى تنازل حنظلاً لحياته وقد حكم ست سنوات وخمسة اشهر و ١١ يوماً

### سلطنة عبد العزيز بن برقوق

من سنة ٨٠٨ - ٥٨٠٨ هـ او من ١٤٠٥ - ١٤٠٥ م

ثم خرج من قصره واخفى في مكان غير معلوم فظن الناس انه قتل من الضوضاء والازدحام فبايعوا اخاه ولقبوه بالملك المنصور . ولم يمض شهران من توليته حتى تحققت خيبة ظنهم به فملوا من طاعته ومالوا بكليتهم الى سلفه فانصل ذلك بفرج فخرج من خبائه فتقدم اليه الناس ورجال الدولة ان يعود الى منصبه فعاد في جمادى الآخرة ونفى اخاه عز الدين الى الاسكندرية فعاش فيها اشهرًا قليلة وتوفي في ٧ ربيع آخر سنة ٥٨٠٩ هـ

## سلطنة فرج بن برقوق ثانية

من سنة ٨٠٨ - ٨١٥ هـ او من ١٤٠٥ - ١٤١٢ م

فلما عاد فرج الى منصبه وجه انتباهه خصوصاً الى استرجاع ثمة الاهلين فيه فغزا دمشق وافتتحها ثم فزع غيرها من مدن سوريا واهتم في راحة الرعية فساد الامن وسكنت القلوب . فاذا كانت سنة ٨١٢ هـ ظهرت في القاهرة ثورة دينية ذهبت بجيانه . وتنصل ذلك ان احد امراء المالك المدعو ابا نصر الملقب بالشيخ الحمودي الظاهري نسبة الى سيد الامير محمود احد امراء الملك الظاهر برقوق . وكان الملك الظاهر قد عنقه ووعدته بالخدمات الحربية فطمعت ابصاره الى السلطنة فاستخدم لهذه الغاية الخليفة المستعين بالله وكان قد ولى الخلافة بدلاً من الخليفة المتوكل بالله منذ خمس سنوات . وقد كان الخلفاء العباسيون منذ استئصال شوكتهم من بغداد واقامة فرعها في القاهرة لا يخرجون في اعتبار الاهالي عن حد السلطة الدينية وكانوا يلقبونها بالائمة . فاسر الشيخ الحمودي الى المستعين بالله انه يمكنه اعادة السلطة السياسية اليه كما كانت لاسلافه وقال له « ان الناس ميالون الى ذلك بكليتهم وهم مستعدون لمبايعتكم وتنفيذ اوامركم » فنار في قلب الخليفة حب السيادة فوافق الشيخ الحمودي وكان فرج اذ ذاك في دمشق فانفق على استقدامه فأنفذ اليه اولاً ان يتنازل عن الملك فاجاب ان جوابه الوحيد على ذلك انما هو السيف واخذ في اعداد مهمات الحرب ومثل ذلك فعل الخليفة والشيخ الحمودي وتقدم الجيشان لكنهما لم يتلاحما حتى اصدر الخليفة خطاً شريفاً بتوقيعه فجاه بما لا يجي به السيف ونصه « من الامام ابي الفضل العباسي المستعين بالله امير المؤمنين الى اهل مصر . اتنا نصرح بخلع فرج بن برقوق عن سلطنة

مصر وسوريا لان السلطان الحقيقي عليها انما هو الخليفة سلالة النبي  
 (صلم) ونائبه . فطوبى لمن اذعن له ووبل لمن اعرض عنه والسلام»  
 فلما دار ذلك بين الجيوش اعرضوا عن فرج ولم يبق له نصير فحاول  
 الفرار فلم ينج فقبض عليه وقيد الى الخليفة فاتخذ له ذنباً يستوجب عليه  
 المحاكمة . وهو انه كان قد اضطر لكثرة ما انفق في محاربة التتر ان يفرض  
 على الاهالي ضرائب فوق العادة فرفعت عليه عرائض التشكي الى مجلس  
 الائمة والفقهاء انه اخنلس الاهالي وخرب البلاد وانه تمرد على الخليفة ظل  
 الله على الارض فاتخذ الخليفة هذه التشكيات ذريعة للحكم على فرج  
 بالاعدام فقتلوه في ٢٥ محرم سنة ٥٨١٥ هـ خارج اسوار دمشق وتركوا جثته  
 ملقاة على دمنة هناك

### سلطنة الامام المستعين بالله

من سنة ٨١٥ - ٥٨١٥ هـ او من ١٤١٢ - ١٤١٢ م

فاصبحت السلطة الروحية والسياسية بيد المستعين بالله فبايعة الامراء  
 وقواد الجند ولقبوه بالملك العادل فاستلم مقاليد الاحكام وجعل الشيخ  
 المحمودي رئيساً لشوراه . واخذ في اصلاح الاحوال وتنظيم الاحكام  
 ووجه اتباهه الى ما يكتسب به ثقة الرعية فاعاد الامن الى البلاد بمفاضة  
 المعتدين واظهر لياقته لما عهد اليه فشرع في اصلاح امور الاحكام  
 وانصاف المظلومين وبذل العطاء فاحبته الاهالي . اما الشيخ المحمودي  
 فقد كان في باله انه اقام هذه الثورة خدمة لاغراضه وليس للخليفة فرأى  
 انه اصبح بعدها آله بيد ذلك السلطان الجديد فاضمر له شراً ونوى على  
 خلعو لكنه استخدم الحرم والثأني واغتنام الفرص المناسبة خوفاً من الوقوع  
 في شر اعدائه فعمل على توطيد العلاقات الودية بينه وبين امراء الممالك

والنفر منهنم واقناعهم تحت طي البساطة والاخلاص ان في هذا الخليفة شيئاً من ضعف الرأي والحمول فضلاً عن كونه اجنبياً عنهم فاستمال قلوبهم واشتد ازراءهم فاخذ يشكو من منصبه فولاه الخليفة نيابة الملك في ٨ ربيع اول من تلك السنة فصار اقدر على تنفيذ ما ربه وما زال ساعياً الى مطمح انظاره حتى كثرت احزابه واصبحت ازمة البلاد في يده فاجبر الخليفة على مشاركته في السلطنة فاجابه لقبه بالملك المؤيد وبعد يسير خطا خطوة اخرى فخلع الخليفة وحسبه في بعض غرف القصر

### سلطنة الشيخ المحمودي

من سنة ٨١٥ - ٨٢٤ هـ او من ١٤١٢ - ١٤٢١ م

فلم يستطع المستعين بالله ادنى مقاومة لكنه كتب سرا الى نوروز احد اصدقائه القدماء وكان قد ولاه سوريا يستجده فقدم نوروز مسرعاً الى القاهرة في جيش فرأى انه يقصر عن مناورة المحمودي فاعزز الى الخليفة ان يستخدم الوسائط الدينية كما فعل المنق الماضية وكان الشيخ المحمودي في دمشق فاصدر منشوراً بجرمانه فاغتنم المشايخ والامراء فرصة غيابه وجاھروا بخلعه . وبلغ ذلك الشيخ المحمودي فاسرع الى القاهرة فخاف المشايخ والعلماء وانكروا مجاهرته بجرمانه وقالوا ان الخليفة اولى بذلك الحرمان والحرج على معاقبته لانه تورد على سلطانهم فخلعوه من السلطنة والخلافة ومجنوه ثم نفوه الى الاسكندرية سنة ٨١٨ هـ واقاموا اخاه داود خليفة مكانه لقبوه بالامام المعتضد بالله فعاد الشيخ المحمودي على كرسي السلطنة واخذ يسعى الى اكتساب ثقة الاهلين فاتبع خطة الخليفة المستعين فانصف ورفع فأمنت الرعية وسعدت البلاد وما زالت الحال كذلك ثماني سنوات وخمسة اشهر وفي ٩ محرم سنة ٨٢٤ هـ توفي السلطان الشيخ المحمودي وكان

محبباً للعلماء بكرم مثوام . وله بنايات جميلة من حملتها الجامع المسمى جامع المؤيد بالقرب من باب زويلة وقد جدد بناؤه وهو كثير النفوس ولم يبق من البناء القديم إلا ليوان القبلة . وبعد وفاته عادت الامور الى مجراها الاول من الفلاقل فتولى على السلطنة بعده ثلاثة سلاطين لم يحكموا الا مدة قصيرة

سلطنة احمد بن المحمودي ثم سيف الدين تر ثم محمد بن تر  
من سنة ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ او من ١٤٢١ - ١٤٢٢ م

اولم ولده شهاب الدين احمد الملقب بالملك المظفر وفي شوال من تلك السنة تخلى عن الملك لوصيه وحميه سيف الدين تر الملقب بالملك الظاهر وهذا توفي في ذي الحجة من السنة المذكورة فبويغ ابنه ناصر الدين محمد ولقب بالملك الصالح وبعد اربعة اشهر خلعه وصيه سيف الدين برس باي ففضى باقى حياته في الشقاء

### سلطنة الملك الاشرف برس باي

من سنة ٨٢٥ - ٨٤١ هـ او من ١٤٢٢ - ١٤٢٧ م

وبعد خلعه اختلف الامراء على من يخلعه فتخلى برس باي حتى اهلك الاحزاب بعضها بعضاً فتسلق السلطنة غنيمه باردة . فبويغ في ٨ ربيع آخر سنة ٨٢٥ هـ ولقب بالملك الاشرف وقد كان برس باي مملوكا احبه سيده الملك الظاهر تر فاعتنه ورقاه حتى جعله وصياً على ابنه . وفي اول حكمه تزايد وقاه النيل حتى غمر الارض بالخيرات فكثرت المحبوب وشيع الفقراء . وكان برس باي كالشيخ المحمودي حكماً ورفقاً وقد رم عدة مدن وشاد في القاهرة عدة بنايات منها الجامع المعروف بجامع

الاشرفية تجاه سوق العطارين ابتداءً في بنائهم سنة ١٢٦٦ هـ . وقد تمكن  
 برس باي لحسن سياسته وحزمه من استبقاء السلطنة بيده مدة طويلة  
 والبلاد في سكينه الا في سنة ١٢٧٧ هـ اذ ثار الامير بنبق النجاشي وكان قد  
 ولأه حكومة دمشق . غير ان تلك الثورة ما لبثت ان ظهرت حتى اضعفت  
 وعوقب الناثرون بمساعدة امير زنجي يقال له عبد الرحمن فولأه برس باي  
 على سوريا بدلاً من النجاشي وكانت هذه الثورة اول الفلاقل واخرها في  
 ايامه . اما محارباته مع الدول الاخرى فمجدية بالاعتبار لانه جرّد على  
 الافرنج عدة تجريدات ونغلب عليهم فاضع جزيرة قبرص وحمل الملك  
 جان لوسينيان الثالث على الاعتراف بسلطانه وفرض عليه الجزية وقد  
 عقد مع ملوك الافرنج وسلطان آل عثمان اذ ذاك مراد بن محمد عدة  
 معاهدات سلمية تدل على عظيم شوكونه . فكانت مصر في ايامه سعيده  
 داخلاً وخارجاً . وقد قال بعض المؤرخين ان الملك الاشرف برس باي  
 اجدر الملوك الشراكسة بالمدح لانه كان ارفعهم همة واشدهم عزيمه واكثرهم  
 تدرباً في الاحكام وما يمتدح عليه انه ابدل جميع التذليلات التي كانت  
 تقدم للملوك قبله بتفصيل اليد فقط . وبعد ان حكم ١٧ سنة و١٨ اشهر و٦  
 ايام قضى يوم السبت في ١٢ ذي الحجة سنة ١٢٤١ هـ وسنة ستون سنة

### سلطنة يوسف بن برس باي

من سنة ١٢٤١ - ١٢٤٢ هـ او من ١٢٢٧ - ١٢٢٨ م

فبويغ ابنة جمال الدين يوسف الملقب بابي المحاسن ولقب بالملك  
 العزيز وبعد ثلاثة اشهر من مبايعته تخاصم مالمكة وسيف الدين جتمق  
 اتابك جيشه خصاماً انتهى بعزله ومبايعه جتمق في ١٩ ربيع اول سنة ١٢٤٢ هـ

## سلطنة الملك الظاهر جقمق

من سنة ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ أو من ١٤٢٨ - ١٤٥٢ م

وكان من جقمق اذ ذلك ٦٩ سنة ولقب بالملك الظاهر وبعد سنتين من حكمه اصبحت مصر بطاعون انتشر في سائر انحاءها . وفي سنة ٨٤٦ هـ توفي الامام المعتضد بالله وكان باراً نبياً واوصى بالخلافة بعده الى اخيه بالرحم فبايعوه ولقبوه بالمستكفي بالله وكان صديقاً للسلطان جقمق وبعد ثماني سنوات من خلافته توفي سنة ٨٥٤ هـ وكان كاخيه نفاً وبراً حتى تخاصم الاعيان والكبراء نساباً الى حمل نعتيه وقت الجنازة حتى السلطان جقمق فانه حمل به على منكبيه . فبويع اخوه ولقب بالقائم بامر الله . وكان سير هذا الخليفة مغايراً لسير سابقيه فابغضه السلطان وخشي من دسائسه وكان قد تجاوز الثمانين من سنه ولم تعد فيه عزيمة على مقاومة الدسائس فتنازل عن السلطنة لابنه فخر الدين عثمان وتوفي في ٢٩ صفر سنة ٨٥٧ هـ وهي السنة التي فتح فيها السلطان محمد بن مراد القسطنطينية وباد مملكة الرومان

## سلطنة عثمان بن جقمق

من سنة ٨٥٧ - ٨٥٧ هـ او من ١٤٥٢ - ١٤٥٢ م

وبويع فخر الدين عثمان ولقب بالملك المنصور اما الخليفة فلم ينفك عن دسائسه طمعاً بالسلطة فدعا اليه زمرة من الامراء وحملهم على نبذ طاعة الخليفة على امل ان ينال بذلك ما ناله المستعين بالله فانتشبت الثورة وخلع الملك المنصور عثمان في غرة شهر ربيع آخر من تلك السنة بعد ان حكم شهراً ويوماً . اما الخليفة فخاب انتظاره وحبطت مساعيه فقادرت

الاحزاب وبايعوا مملوكاً سناً اسمه ابو النصر ينال ولقبوه بالملك الاشرف

### سلطنة الملك الاشرف ينال

من سنة ٨٥٧ - ٨٦٥ هـ او من ١٤٥٢ - ١٤٦٠ م

فقال الخليفة في نفسه ان هذا السلطان شيخ فلننتظر وفاته انه لا يلبث ان يصيب حنة . فانتظر ست سنوات فلم يمت فعمد الى الدبسة فانصل ذلك بالوزير بلجوني فاعلم السلطان بامرهم فاستحضر الخليفة وقرعه ثم امر بخلعهم عن الخلافة . فقال الخليفة « من ابن لك ان تخلع الخلفاء ولم وحدهم ان يولوا ويعزلوا » فلم يجبه الا بالنفي الى الاسكندرية فبقي فيها مدة ثم مات . فبايعوا يوسف اخا المعتضد بالله ولقبوه بالمستجد بالله وكان حكماً معتدلاً وعاش السلطان ينال بعد ذلك ستين ولّى وعزل اثناءها كثير من الوزراء ثم توفي يوم الخميس ١٥ جمادى الاولى سنة ٨٦٥ هـ بعد ان حكم ٨ سنوات وشهرين وستة عشر يوماً

### سلطنة احمد بن ينال

من سنة ٨٦٥ - ٨٦٥ هـ او من ١٤٦٠ - ١٤٦١ م

فتولى بعده ابنة شهاب الدين احمد الملقب بابي الفخ وكان قد تعاطى



الاحكام في آخر ايام ابيه . وترى في شكل

٦٥ صورة نقود مضروبة في عهد شهاب الدين

احمد يوم كان يتعاطى الاحكام في حياة ابيه

فما يبيع لقب بالملك المؤيد ش ٦٥ نقود ابي الفخ والاشرف

ولكنه لم يحكم الا اربعة اشهر فعزل في ١٨ رمضان من تلك السنة وبويع

سيف الدين خوش قدم ولقب بالملك الظاهر

## سلطنة الظاهر خوش قدم

من سنة ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ او من ١٤٦١ - ١٤٦٧ م

ويعرف خوش قدم هذا بالرومي لانه يوناني الاصل وبالناصرى لانه كان من ممالك الملك الناصر وكان محباً للاداب اليونانية محافظاً عليها وكان حكيمًا بارًا حليماً محباً لرعيته ساهراً على راحتهم ولم يكن يستوزر الا الذين اختبر تراثهم ونشاطهم فاحبته الرعية واجمعوا على طاعته والاحلاص له . ويقال بالجملة ان هذا السلطان من افضل سلاطين مصر وقد اقتدى به رجال دولته فساد الامن . اما الخليفة فلم يكن يتجاوز سلطنة الدينية فتحكم خوش قدم ست سنوات ونصف كلها سلام ونعيم ونوفي في ١٠ ربيع اول سنة ٨٧٢ هـ وستة ستون سنة فاسف عليه الناس كثيراً

## سلطنة الملك الظاهر بلباي ثم الظاهر تماربوغا

من سنة ٨٧٢ - ٨٧٢ هـ او من ١٤٦٧ - ١٤٦٧ م

فبايعوا ابا سعيد بلباي ولقبوه بالملك الظاهر فكان سميًا لسابقه بالاسم لا بالنعل فجماء من السببثات اكثر مما جاء ذلك من الحسنات لانه كان مستبدا عاتياً لا يغادر كبيراً ولا صغيراً فكرهته الناس . ولم يمض ٦٦ يوماً من توليته حتى خلعه وذلك في ١٧ جمادى الاولى من تلك السنة وبايعوا الامير ابا سعيد تماربوغا الملقب بالظاهري ولقبوه بالملك الظاهر ايضاً فكان حظه من الملك كحظ سلفه لانه خلع بعد شهرين من توليته وبايعوا الامير قايت باي الملقب بالمحمودي والظاهري ولقبوه بالملك الاشرف

## سلطنة الملك الاشرف قايت باي

من سنة ٨٧٢ - ٩٠١ هـ او من ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م

فتوالى على مصر في سنة ٨٧٢ هـ اربعة سلاطين . اما السلطان الاخير فكنت على سرير السلطنة مدة طويلة رغماً عما كانت عليه البلاد اذ ذلك من الاضطراب . وكان قايت باي مملوكاً محرراً من مالبيك جتقق وكان لعلوه همتي وحسن سجاياه قابضاً على ازمة الاحزاب فكانت البلاد آمنة مطمئنة الا انها اضطربت بخبر انتصار محمد الثاني العثماني على اوزون حسن ملك الفرس . وكان بين الفرس والمصريين تحالف فتنبأ قايت باي ان ذلك التحالف سيكون سبباً لعزم العثمانيين على فتح سوريا . فارسل حامية كبيرة الى الحدود فاجل العثمانيون عزمهم لانشغالهم اذ ذلك بنفخ البلاد النصرانية . اما قايت باي فخاف سوء العقبى ولم ير سبيلاً لرفع المسئولية عنه الا بالتنازل عن الملك فادرك الامراء شدة احتياجهم اليه في مثل تلك الاحوال الصعبة فاجبروه على قبول السلطنة ولم يكذبوا معلوها حتى جاءت الابناء بانتصار محمد الثاني على الافرنج وعزموه على فتح سوريا وذلك سنة ٨٨٥ هـ . لكنه لم يخرج من بر الاناضول حتى داهمته المنية في مدينة طينور جابر . وتخاصم ابنه بيازيد وجم (اوزبزم) على الملك فانشغلا عن النفع فاغتم قايت باي تلك الفرصة للاستحباب فعاد بجيشه الى مصر وما زال الخصام يتعاظم بين ابني محمد حتى كانت بينهما واقعة بين شهر فابنهم جم حتى اتى مصر فالتجأ الى قايت باي فاكرم وفادته ثم علم ان ذلك الاكرام بهيج حاسة الانتقام في بيازيد . فقال في نفسه « اذا كان لا بد لنا من محاربة العثمانيين فلنكن مهاجمين اولي من ان نكون مدافعين » فجعل بناوي الاتراك ويقطع السبل على قوافلهم الناقلة الحجاج الى الحرمين

حتى قبض على وفد هندي مرسل في مهمة سياسية الى يازيد واستولى على ادنه وترسوس وكاتنا في حوزة العثمانيين . اما يازيد فكان واقفاً بالمرصاد يتخل حجة لهاجمة المصريين فجاءت تلك الاجراءات طينة على عجيبة الا انه رأى ان يأتيهم من باب الحزم فانفذ اليهم رسلاً في طلب التعويض عما سببوه من الخسائر والاضرار فارجع قايت باي الرسل وبعث بهاجم الجيوش العثمانية فقاومتها اشد مقاومة وارجعت جيشه الى ملاطية فانجدهم قايت باي بمخسة آلاف رجل فعادوا الى العثمانيين وهم في مضائق الجبال فهجموا عليهم بغتة وذبحوا منهم عدداً كبيراً وفرّ الباقون وتحصنوا في ترسوس وادنه . فانصل ذلك بقايت باي فارسل الامير الازبكي في نجدة لاجراج العثمانيين من تينك المدبنتين فسار وحارب وفاز فشق ذلك على السلطان يازيد وآلى على نفسه الا ان يسترجع ترسوس وادنه فانفذ جيشاً كبيراً تحت قيادة صهره احمد وهو ابن امير بوسنا ولد في البانيا ثم اعتنق الاسلامية واخذ يرتقي في اعمال الدولة حسب استحقاقه حتى تمكن مع صغر سنه وكونه غير مولود في الاسلام من قيادة هذه الحملة لمحاربة الجيوش المصرية . فلما وصل الى معسكر الازبكي اقتتل الجيشان فهجم احمد هجمة قوية الا ان رجاله لم يستطيعوا الثبات ففازت الجيوش المصرية وأسر احمد بعد ان جاهد جهاداً حسناً فعاد الازبكي بمأسوره الى مصر ظافراً فبنى جامعة المشهور المعروف بجامع الازبكية واليه ينسب ثمن الازبكية وحديقة الازبكية وكانت في ابامو بركة يتجمع اليها الماء في ايام الفيضان وسأني كينية تحولها الى ما هي عليه الان

فلما بلغ يازيد ما كان من انكسار جيوشه استشاط غضباً وجند جنداً كبيراً جعله تحت قيادة علي باشا لمحاربة المصريين فسارت تلك الحملة من الستانة فعبرت البوسفور في ٢ ربيع آخر سنة ١٦٢ هـ ونزلت في فرمان فانصل خبرها بقايت باي فاوحس خيفة فعمد الى جانب المصالحة

فانفذ الى بيازيد صهره احمد واسطة لعقد شروط المصالحة فرفض  
 بيازيد ذلك رفضاً كلياً وسار حتى النقي بالمصريين في ادنه وترسوس  
 فحاربهم وفاز عليهم واسترجع المدينتين الواحدة بعد الاخرى بعد ان  
 اهرق دماء غزيرة ثم سار الى ارمينيا الصغرى واخضعها وحاصر عاصمتها  
 فافتتحها بعد ان دافعت دفاعاً قوياً واسر حاكمها وارسله بعد ذلك الى  
 مصر بدلاً من الامير احمد . فبعث قايت باي الازبكي ثانية لدفع العثمانيين  
 فواقعهم في ترسوس فغلبوه اولاً ثم عاد اليهم وفاز بهم واعادهم النهى وعاد  
 الى القاهرة ظافراً فخلع عليه قايت باي . ثم رأى ان يفتم كونه ظافراً  
 لمصالحة العثمانيين فبعث الى بيازيد في ذلك فاجابه منهدداً وطلب اليه ان  
 يتنازل له عن ترسوس وادنه وانه اذا لم يفعل يدعو الناس الى الجهاد فيجتمع  
 تحت لوائه كل من يدعو لآل عثمان فيجى مصر وينفتحها فتحاً ميبناً . فخاف  
 قايت باي وتنازل عن المدينتين ارضاء باهون الشرين وكان ذلك سنة ٨٩٦ هـ  
 وعاش قايت باي بعد مصالحة الدولة العثمانية خمس سنوات وتوفي  
 في ٢٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ هـ بعد ان حكم ٢٩ سنة واربعة اشهر وعشرين  
 يوماً فبكاها الناس . ومن آثاره جامعة المعروف باسمه الى هذا العهد في  
 القرافة خارج القاهرة . وفيه مقام قايت باي وهو مثال لما بقي من مدافن  
 المالك في تلك الجهة . وبنى قايت باي جامعاً في جزيرة الروضة لا يزال  
 يشاهد هناك الى هذا اليوم

سلطنة محمد بن قايت باي ثم قنسو خمسمية ثم قنسو ابي سعيد  
 ثم قنسو جان بلد ثم الملك العادل طومان باي  
 من سنة ٩٠١ - ٩٠٦ هـ او من ١٤٩٥ - ١٥٠١ م  
 وتولى بعد قايت باي ابنة ابوالسعادة محمد ولقب بالملك الناصر

ولم يجلس على سلطنة مصر رجل اقل لياقة لها منه فانه كان احق جيصاً وحشياً لا دهن له الا الانعاس في الم لذات الحيوانية ولو كفته ذلك ارتكاب اشر الآثام. وقد زادت فحنته حتى سلخ جلد احد ما ليكه حياً فنار عليه المالميك وخلعوه بعد ان حكم ستة اشهر وبايعوا الامير قنسو الملقب بمجسمية لانه ايتبع بالاصل بمجسماية دينار ولقبوا بالملك الاشرف وبعد خمسة اشهر تنازل عن الملك عمجراً فاعادوا الملك الناصر محمد ثانية لكنه لم يبق الا ١٨ شهراً ونصف فذبحه المالميك في ١٦ ربيع اول سنة ٤٠٤ هـ وبايعوا عم قنسو واسمه قنسو الثاني الملقب بابي سعيد ولقبوه بالملك الظاهر ولم يقبل هذا المنصب الا خطر الأرخاً عنه وبعد عشرين شهراً وبضعة ايام عزله وبايعوا قنسو الثالث جان بلد ولقبوه بالملك الاشرف ولم يحكم الا سبعة اشهر ثم خلع في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٤٠٦ هـ فاقام امراء دمشق الامير سيف الدين طومان باي وكان من مالميك قايت باي ولقبوه بالملك العادل . فوافقهم امراء القاهرة على ذلك . وبعد ثلاثة اشهر اضمر له المالميك مكيبة يقتلون بها فعلم هو بذلك ففر طلباً للنجاة فأوى الى مكان ظنه ملجأ حصيناً مكث فيه اربعين يوماً ثم اكتشف عليه المالميك وقتلوه في ذي القعدة سنة ٤٠٦ هـ ثم اجتمع المالميك والاعيان وارباب الدولة وتداولوا فيمن يجب ان يختاروا ليحكم فيهم من اهل اللياقة فاقروا على الامير قنسو الرابع الملقب بالغوري وكان هو ايضاً من مالميك قايت باي وكان رجلاً نقياً مخلصاً محترماً من الناس عفيفاً غير عالم بما كان يتخاصم عليه الامراء وما كانوا يدسونه من الدسائس . فلما بلغه امر مبايعته انذهل ورفض قائلاً للذين انتخبوه « اني لا اخالف لكم امراً انما اراني غير لائق بهذا المنصب لاني لم اعتمد معاناة الاحكام والامر والنهي » فاجابوه ان صدق نيتو واخلاصة وثقة الناس فيه كافية لاستحقاقه هذا المنصب . فلم يبر بدأ من القبول لكنه قال لم « اكون في غاية السرور اذا جئتموني

يوماً تبتوني بالاقالة من هذا المنصب فارجع الى ما اعندينه من معيشة  
السكينة « فولوه في غرة شوال من تلك السنة ولقبوه بالملك الاشرف ايضاً

### سلطنة قنسو الغوري

من سنة ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ او من ١٥٠١ - ١٥١٦ م

فاستلم الغوري مقاليد الاحكام واخص في الحكم فاطمّنت البلاد  
وسكن حالها فاخذ في اصلاح شأنها فابنى في القاهرة جامعاً ومدرسةً ينسبان  
اليه وهما مدرسة الغورية وجامع الغورية في اول شارع الغورية في السكة  
الجديدة كلٌ منها الى جانب من الطريق. فالى الشرق البناية التي كانت  
فيها المدرسة ويليها الى الجنوب مدفن فيه مقام بعض اعضاء عائلته.  
والى الغرب الجامع ويظهر للناظر عندما يشرف عليه انه هائل وهو  
مبني على مثال جامع قايت باي وعلى القبة كتابة كوفية. وقد رمم بمساعي  
جمعية حفظ الآثار والى الشمال سبيل جميل. ثم كانت الحوادث السياسية  
فتوقف الغوري عن اتمام ما كان يفصده من البناء والتحصين فان البرتغاليين  
لما استولوا على بعض بلاد الهند أنقلوا على العلاقات التجارية بينها وبين  
مصر فجهز قنسو الغوري الى محاربتهم حملة عظيمة ذهبت غنيمة باردة  
لجوش الافرنج في البحر الاحمر

وفي سنة ٩١٨ هـ جاء كركود اخو السلطان سليم بن بيازيد (سليم  
الاول) الى مصر ملتحماً اليها بعد ان تخاصم مع اخيه على الملك كما حصل  
بجهم وبيازيد المتقدم ذكرهما. فترحب به قنسو الغوري ترحاباً عظيماً ووجهه  
بعشرين بارجة بحرية لافتتاح القسطنطينية فذهبت هذه العمارة ايضاً  
غنيمة لمرآكب اورشليم في البحر المتوسط ولم تكن النتيجة الا اثاره غضب  
السلطان سليم على مصر فجهز اليها وابتدأ بافتتاح الحدود السورية

وارسل الى مصر رسائل التهديد . فاتخذ الغوري مع ملك الفرس اسماعيل شاه على قبر العثمانيين وكان الفرس في حرب معهم الا ان الجيوش العثمانية لم تبال بكثرة العدد فشنت الجيوش واي نشيت . فعد قنسو الغوري الى محاربة العثمانيين بامر الصلح على اي وجه كان وبعث الى السلطان سليم بذلك فسارت الرسل حتى اتوا السلطان سليم فحرقوا سجداً وخاطبوه بامر الصلح فقال لهم وقد استشاط غيظاً « لقد فات الاوان انهضوا وارجعوا الى سلطانكم وقولوا له ان الرجل لا تعثر بحجر واحد اكثر من مرة واحدة . وها انا ذاهب الى القاهرة فليستعد للدفاع ان كان له اهلاً » فعادوا واخبروا بما كان فجمع اليو رجاله وسار لملاقاة الجيوش العثمانية فالتقى بها في مرج دابق قرب حلب فانتشبت الحرب هناك واظهر الغوري بسالة واقداماً عظيمين حتى اوشكت رجاله من الاستظهار فمنعتها مدافع العثمانيين من ذلك ولم يكن سلاح المصريين الا الرماح والحراب والسيوف فنشوش نظامهم ووقع الرعب في قلوبهم وانحاز قائدا جناحهم الى العثمانيين وكان الغوري قائداً لقلب الجيش فاضطر الى الفرار فحوّل شكيمه جواده فسقط عنه لشدة الازدحام وذهب قتيلاً تحت ارجل الخيل في ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ هـ بعد ان حكم مدة ١٥ سنة وتسعة اشهر و ٢٥ يوماً

### سلطنة الملك الاشرف طومان باي

من سنة ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ او من ١٥١٦ - ١٥١٧

وكان السلطان قنسو الغوري قبل مبارحته القاهرة هذه المرة قد استخلف عليها ابن اخيه طومان باي (الثاني) فلما اتصل خبر تلك الموقعة بالامراء بابعوا طومان باي ولقبوه ايضاً بالملك الاشرف وكان حازماً باسلاً . فلما وصلت بنية الجيوش المنهزمة الى القاهرة امر باعداد حملة

اخرى لمحاربة العثمانيين . وكان العثمانيون في سوريا قد توفقوا للاستراحة  
 فظن طومان باي ان الرمال المتراكمة بين سوريا ومصر تحول بين  
 العثمانيين وما يريدون . الا ان الامر لم يكن كما ظن لانه لم يكذبهم  
 اعداؤهم حتى اتاه كتاب السلطان سليم الى القاهرة ونصه

« من السلطان سليم خان ابن السلطان بي يزيد خان سلطان البرين

وخاقان البحرين السلطان الخ . الى طومان باي الشركسي

الحمد لله . اما بعد فقد تمت ارادتنا الشاهانية وباد اساعيل شاه  
 المرطوتي . اما نسو الكافر الذي حملته الفحة على مناواة الحجاج فقد نال  
 جزاءه منّا ولم يعد لدينا الا ان تغلص منك فانك جارّ معادي والله سبحانه  
 ونعالي يساعدنا على معاقبتك فاذا اردت اكتساب رحمتنا الملوكانية  
 اخطب لنا واضرب النفود باسمنا ونعال الى اعنابنا واقسم على طاعتنا  
 والاخلاص لنا والاولا . . . . . »

فلما قرأ طومان باي الكتاب وما في ذيله من التهديد المستر اسنشاط  
 غيظاً واصراً على المقاتلة وكان عالماً بعجزه لكنه فضل الموت في ساحة  
 الحرب على التسليم . فزاد في حصون دمياط وغيرها من الحدود السورية  
 وجمع كل ما امكته جمعة من الرجال وسار للملاقاة العثمانيين حتى اتى  
 الصالحية فعسكر هناك . اما السلطان سليم فسار من مرج دابق وافتتح  
 غزة والعريش والنطبعة . ثم علم بمقر الجيوش المصرية في الصالحية وما هم فيه  
 من العزم على المدافعة لشدة اليأس فخرج بجيشه تاركاً الصالحية عن يمينه  
 وسار حتى اتى الخانكاه على بضع ساعات من القاهرة . فلما بلغ طومان باي  
 تقدم العثمانيين الى هذا القدر عاد بجيشه لمهاجمتهم من الورا فالتقى الجيشان  
 في سهل قرب بركة الحج يوم الجمعة في ٢٦ ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ  
 واقتتلا طويلاً والمصريون يماربون ببسالة شديدة لكنهم لم يكونوا يعرفون  
 البارود ولا المدافع كما قدمنا فكانت الغلبة للعثمانيين ففرّ المصريون

الى القاهرة وعسكر العثمانيون في الروضة . فجمع اليه طومان باي عدداً كبيراً من العربان بعد ان ارضاهم بالمال وهجم على معسكر السلطان سليم هجمة اليأس فلم يبل هذه المرة غير ما نال في المرات الماضية فعاد الى القاهرة على نية الحصار فزاد في حصونها واستحكاماتها وحسن القلعة تحصيناً عظيماً واقام في كل شارع وفي كل بيت طائفة وحمل السلاح كل من يستطيع حملة للدفاع عن الوطن . ولكن رغماً عن كل هذه الاعدادات وعما اظهره طومان باي من البسالة والاقدام وما سعى اليه امرأته لم تفتح القاهرة من يد العثمانيين فانهم دخلوها عنوةً وامعنوا فيها قتلاً ونهباً وحرقةً واستلموا القلعة . اما طومان باي فتمكن من الفرار على معدية قطع بها الى الجيزة ثم سار منها قاصداً الاسكندرية فقبض عليه بعض العربان الرجل وباعوه للعثمانيين . فاستخضره السلطان سليم مغلولاً ونظر اليه فاذا هو في حالة الكدر وقد علا وجهه الفئوس لما حلَّ به لاده من النذل والدمار فخركت عواطف السلطان سليم فامر بان تحلَّ قيوده وأن يؤذن له بالحضور في مؤتمرات كان يعقدها السلطان سليم لاجل المداولة في امر البلاد فكان بسالة مسائل كثيرة تتعلق بحصولات البلاد وخراجها وادارتها وبقي الحال كذلك نحو عشرة ايام وفي اليوم العاشر رأى السلطان سليم انه لم يعد في احتياج الى مشورة طومان باي فامر بشنقه وذلك في ١٩ ربيع اول سنة ٩٢٤ هـ فعلقوه تحت رواق باب زويلة بكلاّب من حديد كان باقياً هناك الى عهد قريب

وبقتل طومان باي انتهت دولة المماليك الشراكمة او البرجية بعد ان تسلطوا نحو ١٢٩ سنة ومن ذلك الحين اصبحت مصر احدى الايالات العثمانية الكبيرة . وبقيت جثة طومان باي ثمانية ايام معلنة ليراها الناس

## الدولة العثمانية

١٧٩٨

من سنة ٩٢٢ - ١٢١٢ هـ او من ١٥١٧ - ١٧٨٩ م

وقد كانت دولة المماليك الثانية التي بادت بقتل طومان باي اكثر  
عربنة واقل اشتهاً بالاعمال الحربية من الاولى لكنها ذهبت شهيدة  
الشرف بالمدافعة عن بلادها ورعاياها كالابويبين . اما مصر فاستعاضت  
بدولة آل عثمان الذين لم يخسوها حقها ولم يألو جهداً في اعادة الامن  
اليها والتعويض عما خسرت من المال والرجال

## سلطنة سليم بن بي يزيد

من سنة ٩٢٢ - ٩٦٦ هـ او من ١٥١٧ - ١٥٢٠ م

وامر السلطان سليم بدفن طومان باي قرب قبر قنسو الغوري وبعد  
دفيه بثلاثة ايام دخل السلطان سليم عاصمة الديار المصرية ظافراً في  
غاية ربيع اول سنة ٩٢٢ هـ . وبعد يسير نزل الى الاسكندرية في فرقة  
من جيوشه لوضع الحماية عليها . ثم عاد الى القاهرة ومكث فيها الى ٢٠  
شعبان من تلك السنة فبارحها قاصداً الرومي . ويقال انه نقل معه الف  
جمل محملة ذهباً وفضة فضلاً عن اسلاب اخرى وهدايا قدمت له . وقبل  
مبارحته اياها جعل فيها حكومة منظمة فاصبحت مصر اىالة عثمانية  
سياً ودينياً

وكان فيها من الخلفاء العباسيين اذ ذاك محمد المتوكل على الله (الثالث)  
الخليفة الثامن عشر من الدولة العباسية الثانية . وكيفية توصل الخلافة  
اليه ان الامام المستجد بالله الخليفة الخامس عشر الذي تولى الخلافة في

أيام بنال سنة ٨٥٩ هـ كما تقدم توفي في ٢٤ محرم سنة ٨٨٤ هـ بعد ان تولّاها ٢٥ سنة ووُلّي مكانه الخليفة عبد العزيز بن يعقوب حفيد الخليفة العاشر المتوكل على الله ولقب بلقب جدّه . ثم توفي يوم الجمعة في ٢ صفر سنة ٩٠٢ هـ فخلفه الخليفة ابو صابر يعقوب الملقب بالمستمسك بالله ثم خلف هذا نحو التتويج العثماني الخليفة محمد المتوكل على الله المنقدم ذكره . فلما فتح العثمانيون مصر رأى السلطان سليم الفاتح ان نصره لا يؤيد الا اذا قبض على الازمة الدينية . فاستخرجها من ايدي الخلفاء العباسيين فصارت الخلافة الاسلامية الى العثمانيين وأول خلفائهم السلطان سليم . واما الخليفة العباسي فقيّد الى الاستانة وخصّص له راتب معين لنفقائه وقبل وفاة السلطان سليم ييسر عاد المتوكل الى مصر وعاش فيها منفرداً الى ان توفاه الله سنة ٩٤٥ هـ وهو آخر الخلفاء العباسيين

واخذ السلطان سليم في تأييد سلطته في مصر ليأمن من تمردها وتلاعب ذوي الاغراض فيها وكان قد جعل عليها حاكماً بلقب بالباشا اليه مرجع المحل والعقد . وكان من جملة الذين انحازوا الى العثمانيين في وقعة مرج دابق امير يقال له خير بك وكان من كبار رجال قنسو . فلما فتح الله على العثمانيين ولأه السلطان سليم على مصر بلقب باشا . ثم خشي ان تفرد هذا الحاكم بالامر مع بعد مصر عن الاستانة ربما يكونان داعياً لعصيانه فعمل الفكرة فيما يكفيه مؤنة هذا الخطر فاهتدى الى طريقة تضمن له ذلك . وهي ان يجعل في مصر ثلاث ادارات كل منها تراقب اعمال الاخرين فلا يخشى من اتحادها وتمردها . فالقوة الاولى « الباشا » وهم واجباؤه ابلاغ الاوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب ومراقبة تنفيذها والقوة الثانية « الوجاقات » فانه اقام في القاهرة وفي المراكز الرئيسية من القطر ستة آلاف فارس وستة آلاف ماش بالبنادق جعلها ستة وجاقات « فرق » تحت قيادة وامر خير الدين احد قواد العثمانيين العظام وامره

ان يقيم في الفلعة ولا يخرج منها لاي سبب كان وواجبات هذه الوجاقات  
حفظ النظام في القطر المصري والدفاع عنه وجباية الخراج . وقد رتبها  
على الوجه الآتي

- (١) وجاق المتفرقة . وهو مؤلف من نخبة المحرس السلطاني
- (٢) وجاق الجاوشية . وهو مؤلف في الاصل من صف ضابطان  
جيش السلطان سليم فعهد اليهم جباية الخراج
- (٣) وجاق العجانة
- (٤) وجاق التنقيجة . وهم ناقلو البنادق
- (٥) وجاق الانكشارية . وهم اخلاط من نخبة القبائل الخاضعة  
للدولة العثمانية وكانوا يعرفون ايضاً بالمستخفيين لاناطة  
محافظة البلاد بهم
- (٦) وجاق العزب

وكان كل من هذه الوجاقات مؤلفاً من افراد يقال لهم «وجاقلية» واحدم  
«وجاقلي» على كل وجاق منها ضابط يلقب بالآغا بصحبة الكتيا والباش  
اختيار والدفتردار والخزندار والروزنامجي . ومن اجتمع هؤلاء الضباط  
من سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضي امرآ الا  
بمصادقتهم . اما هم فلم ان يوقفوه عن الاجراء وان يستأنفوا الى ديوان  
الاستانة عند الاقتضاء . ولم ايضاً ان يطلبوا عزله حالما يشتهون بمقاصده  
اما القوة الثالثة فالماليك . وهم بقايا الدولتين السالفتين والفائدة منهم  
حفظ الموازنة بين الباشا والوجاقات لانهم في الاصل اعداء لكلا الفريقين  
ومن غرضهم الانتصار للفريق الاضعف ليمنعوا التوي من الاستبداد .  
وقد كان القطر المصري منقسماً الى ١٢ «سجقلية» (مدبرية) يحكم كلآ منها  
حاكم يقال له «سجق» او «بك» يعينه الديوان (وهو مجلس شورى الباشا)  
من امراء الماليك . ولا غرو ان تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها

مع تعداد الأمرين مما يقود الى الفلاقل والمتاعب اما الدولة العثمانية فقد  
اجتنت راحة من هذا التعب لانها كانت على ثقة من استبقاء الديار  
المصرية في حوزتها

وبقي خير بك باشا والياً على مصر الى ان داركنه الوفاة بمرض  
جلدي سنة ٩٢٨ هـ ودفن في المدرسة التي تدعى الخيرية بكية التي كان قد بناها  
في القاهرة في شارع درب الوزير تحت القلعة . وبعد وفاته لهجت الالسة  
بذمه لعظم استبداده فكانوا يقولون انه كان ينهض من لحدّه ليلاً ويستغفر  
الله على ما اتاه من الشرور في حياته . ومن آثاره في القاهرة جامع يعرف  
بجامع خير بك في درب الوزير

### سلطنة سليمان بن سليم

من سنة ٩٢٦ - ٩٢٤ هـ او من ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م

وقبل وفاة خير بك باشا يستين توفي السلطان سليم وخلفه ابنة  
السلطان سليمان سنة ٩٢٦ هـ وسنة ٢٦ سنة فنكث على كرسي الخلافة  
نحواً من نصف قرن وقد أكثر من اهتمامه بمصر وتنظيمها . وكان ابوه قبل  
وفاته قد رسم الخطة التي يجب ان تسير عليها مصر في حكومتها وادارتها  
لكنه توفي قبل ان يبرزها الى حيز الفعل فلما تولى السلطان سليمان جعل  
اهتمامه انمام مشروع ابيه

وكان من رأي السلطان سليم ان ينشئ ديواناً تحت رئاسة الباشا  
حفظاً للموازنة . اما السلطان سليمان فاتفق الموازنة بإنشاء ديوانين عرفا  
بالديوان الكبير والديوان الصغير «او الديوان فقط» واناط رئاستها بالباشا  
الذي عليه ان يجلس عند انعقاد الجلسة وراء ستار المنبر . وعلى الكتبا  
والدفتردار استئذانه قبل المفاوضة ومتى اقرّ الديوان على امر ابلاغه

ذلك الفرار وليس له الا المصادقة والامر بالتنفيذ . وجعل اقامة هذا  
الباشا بالقلعة تحت ملاحظة الآغا الذي هو قومندانها ويجدد تعيين الباشا  
في كل سنة

اما واجبات الديوان الكبير فهي المفاوضة والافرار على ما يتعلق  
بالاشغال العمومية التي لا تتعلق ادارتها بالباب العالي نسو . اما اعضاء  
هذا الديوان فهم اغوات الوجاقات الستة ودفترداريوها وروزنامجيوها .  
ونواب من جميع فرق الجيوش وامير الحج والقاضي الاكبر واعيان المشايخ  
والاشراف والمنقبون الاربعة والائمة الاربعة والعلماء . اما المخاطبات  
التي ترد الى هذا الديوان فتعنون باسم الديوان الكبير لكنها تسلم للباشا  
وله وحده الحق ان يامر بعقد جلساته التي لم تكن كثيرة . اما جلسات  
الديوان الاصغر فكانت تعقد يومياً في قصره واعضاء هذا الديوان هم  
كخبا الباشا ودفترداره وروزنامجيه ونائب من كل من الوجاقات والآغا  
وكبار ضباط وچاق المتفرقة . ومن واجبات هذا الديوان النظر في  
الحوادث اليومية ومن اختصاصاته البحث في الادارات الثانوية

وانشأ السلطان سليمان فضلاً عن الستة وجاقات التي كان قد  
انشأها ابوه وجاقاً سابعاً دعاه وچاق الشراكة وهم بقية دولة المالك .  
ومن هذه الوجاقات السبعة تتألف حكومة مصر وجامينها . اما نفقاتها فمن  
مخصّصات يتولى ضبطها وتفريقها « افندي » من كل وچاق . وجعل لكل  
وچاق مجلساً مولناً من ضباط ذلك الوجود وبعض صف ضابطان لهاسبة  
الافندية والنظر في الدعاوي الخصوصية وعرض الترقيات للباشا للمصادقة  
عليها ومقامهم في القاهرة ولكل منهم لباس خاص برتبته وعلوه علاماته .  
ومجموع رجال الوجاقات معاً عشرون ألفاً وقد يزيد او ينقص حسب  
الافتضاء . اما مقرهم في القاهرة على انهم كثيراً ما كانوا يخرجون منها لمهمات  
في المدريات . وكان لوجاق الانكشارية امتيازات على سائر الوجاقات

وكان قائدهُ (الآغا) منفلاً على سائر القواد وله نفوذ عليهم  
 وجعل السلطان سليمان للبكوات المالك الذين اقامهم السلطان سليم  
 امتيازات خصوصية وحقاً بالارتقاء الى رتبة الباشوية . وازاد اليهم ١٢  
 بيكاً آخرين للموريات فوق العادة . وهاك اسماء الموظفين الذين يتخبون  
 من البكوات المالك وهم الكخيا او نائب الباشا والقباطين الثلاثة وهم  
 قومندان نفور السويس ودمياط والاسكندرية ويسمى واحدهم قبطان  
 بك والدفتردار وامير المحج وامير الخزنة وحكمدار بواو مدير بواو المدير بواو  
 الخمس الآتي ذكرها وهي جرجا والجيزة والمنوفية والغربية والشرقية . ولم يكن  
 لغير الكخيا والدفتردار وامير المحج الحق في دخول الديوان فالدفتردار  
 كان عليه ضبط الحسابات وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ امرٌ ببيع  
 عتار الا بعد توقيعه عليه اشارة الى تسجيله في دفاتره . وامير المحج يحمل  
 الهدايا والصدقات التي كانت ترسل من السلطان سنوياً الى مكة ان  
 المدينة وعليه حماية قافلة المحج ذهاباً واياباً . واما امير الخزنة فيحمل النسم  
 المخصص بالقسطنطينية من حاصلات مصر براً وعليه حماية

وكانت مديريات القليوبية والمنصورة والجيزة والنيوم في عهده  
 كشاف لا فرق بينهم وبين البكوات في النفوذ . ولا يعمل باقرار احدهم  
 الا بعد مصادقة الشريحية وغيرهم من الوجاقليين الذين يتألف منهم ديوان  
 خاص في كل مديرية

ثم ان تعيين كخيا الباشا وقباطين السويس ودمياط والاسكندرية  
 متعلق رأساً بجمالة السلطان فيرسلون من الاستانة ويستدعون اليها  
 في آخر كل سنة . اما البكوات الآخريين فيعينهم الديوان ويولهم الباشا  
 ويشتمهم الباب العالي ومراكزهم ثابتة الا ان واجابهم تغيير الا الدفتردار .  
 وقد يتخب البكوات من وجاق المنفرقة ومتى اتخبوا لا يعودون تابعين لذلك  
 الوجاق . وكان من ثم الباب العالي الانتباه الى السويس ودمياط

والاسكندرية على الخصوص لانها الابواب التي يدخل منها الى مصر فكان يرسل حاميتها رأساً من الاستانة تحت قيادة القباطين ويحددها كل سنة وهؤلاء القباطين لم يكونوا يحسبون من جيوش مصر الا باعتبار اقامتهم فيها وبما ينالونه من الامدادات المالية لنفقاتهم . اما فيما خلا ذلك فكانوا يحسبون اجانب في اعتبار الباشا وديوان مصر ولم يكونوا تحت اوامر البلاد في شيء فاول امرهم كانت ترد اليهم رأساً من ديوان الاستانة

هذا من قبيل الادارة . اما من قبيل محصولات البلاد فان السلطان سليمان صرح بانة المالك الحر لجميع ارض مصر فكانت له ملكاً وكان يفرقها اقطاعات على مزارعين كان يدعوم «الملتزمين» . على انه لم يكن له ان يمنع اقطاعاتها او يوقفه فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الاقطاعات والمملك الحقيقي . والفلاحون الذين كانوا يجرثون تلك الاراضي كانوا يتمتعون بنصيبهم منها ويورثونها لاعقابهم ولكنهم كانوا مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها وعليهم خراج لا مناص من دفعه للملتزمين فاذا توفي فلاح عن غير وريث تعطى ارضه للملتزم وهو يعهد حرانيتها الى من يشاء واذا مات الملتزم عن غير وريث تعود الارض للسلطان . وكان على كل من الملتزمين والفلاحين خراج يدفعونه اما نقداً واما عيناً فاذا تأخر الفلاح عن الدفع يمنع من نوال نصيبه واذا تأخر الملتزم تؤخذ الارض منه . ونظراً لاتساع ارض مصر لم يكن ممكناً حصر املاك كل من الملتزمين فلم يكن ممكناً تعيين مقدار خراجها فارسل السلطان سليمان مساحين مسحوا الاراضي المصرية فقسموها المديرية الى اقسام دعوها بالقراريط ومسحوا كلاً منها على حدة وحددوه

كل هذه النظامات الادارية والمالية اجراها السلطان سليمان بالتتابع بواسطة الباشوات الذين اقامهم على مصر مدة حكمه وعدددهم ١٤ . اولهم مصطفى باشا تولى بعد وفاة خيربك باشا في ذي الحجة سنة ١٢٦٦ هـ وبعد

تسعة اشهر و ٢٥ يوماً ابدل باحمد باشا وكان عدواً للصدر الاعظم ابراهيم  
 باشا فاسر الصدر سنة ١٢٣٠ هـ الى امراء القاهرة ان يقتلوه فعلم هو بذلك  
 فقبض على الثعابر قبل ان تصل الى اصحابها ثم استدعاهم واعلمهم انها اوامر  
 واردة من جلالة السلطان يقتلهم ولم يطلعهم عليها فابوا الاذعان الا ان  
 اياهم لم يمنع قتلهم . ولما تاكد انه صار في مأمن من المقاومين صرح  
 باستقلاله وامران يخطف لهُ وان تضرب النفود باسمه وبالغ بالعسف  
 والتجور فاخذ من ممتلكات البعض وحبس البعض فنارت الافكار عليه  
 حتى اصحبت حياته في خطر . وبينما كان ذات يوم في الحمام فاجاه اميران  
 من امرائه كان قد امر بسجنها وهما جهم الحمزاوي ومحمود بك فكسرا باب  
 السجن وخرجا رافعين العلم الشاهاني يستنصران الناس حتى اتيا الحمام فعلم  
 الباشا بذلك ففر من السطح والتجأ الى احد مشايخ عربان الشرقية واسمه  
 ابن بقر فتعبدت اعداؤه حتى ادركوه وقطعوا رأسه وعلقوه على باب زويلة  
 ثم نقل الى الاستانة سنة ١٢٤١ هـ . فارسل السلطان عوضاً عنه قاسم باشا  
 مصعباً على نصير مدة هولاة الولاية لئلا يثور في خواطرم حب الاستقلال  
 فبعد تسعة اشهر و ١٤ يوماً استبدله ابراهيم باشا وكان نشيطاً محباً  
 للإصلاح والنظام الا ان قصر مدته لم تمكنه من انمام ما كان شارعاً فيه من  
 تنظيم الضابطة فعزل واقبم بدلامنة سليمان باشا سنة ١٢٤٢ هـ . وكان السلطان  
 راضياً عن هذا الباشا واثقاً فيه فابقاه في الحكم مدة تسع سنوات و ١١ شهراً  
 وفي سنة ١٢٤١ هـ استقدمه الى الاستانة لیسلمه قيادة حملة اعددها لمحاربة الفرس  
 والهند . وقد اقام في مدة حكمه بنايات كثيرة من جعلتها جامع سارية او  
 شاربة في القلعة . وناب عنه في مدة غيابه خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر  
 فعاد سليمان باشا الى مصر وبقي عليها بعد ذلك نحو سنة وخمسة اشهر  
 وفي سنة ١٢٤٥ هـ عهدت باشوية مصر الى داود باشا فبقي عليها ١١  
 سنة و ١ اشهر وكان رجلاً مستقيماً كريم الاخلاق محباً للعلماء آخذاً بناصرهم

كفلاً بالمطالعة وعلى نوع خاص مطالعة المؤلفات العربية فجمع منها عدداً وافراً واستنسخ كل ما ظن به من الكتب غير المطبوعة فجمع مكتبة جميلة جداً . وكانت الاهالي في مدة حكمه في مجبوحه السعادة والامن وتوفي في القاهرة سنة ٩٥٦ هـ فتولى مكانه على باشا وهذا رموم وبني عدة بنايات عمومية في القاهرة وفي فوه ورشيد واقندى بو غيره من بكوات مصر فجعلوا يشيدون الجوامع منها الجامع الذي ابتناه عيسى بك في دبروط . وكان علي باشا محبوباً مكرماً من المصريين يعتبرونه بمنزلة الاب لكنه رغباً عن ذلك لم يحكم الا اربع سنوات وستة اشهر . ففي سنة ٩٦١ هـ تولى باشوية مصر محمد باشا وكان مبغوضاً من الناس فلم يحكم الا ثلاث سنوات ولما زاد التشكي منه عزل واستقدم الى الاستانة للحاكمه فحكم عليه بالقتل سنة ٩٦٢ هـ

وبعد محمد باشا تولى اسكندر باشا فحكم ٢ سنوات و ٢ اشهر ونصف وفي سنة ٩٦٨ هـ تولى علي باشا الخادم . وبعد ١٧ شهراً تولى مكانه مصطفى باشا ( الثاني ) في سنة ٩٦٩ هـ ثم في سنة ٩٧١ هـ تولاها علي باشا الصوفي مدة سنتين و ٢ اشهر . وكان علي الصوفي قبلاً حاكماً في بغداد مشهوراً فيها باعوجاج الاحكام والخيانة فلما تولى مصر كثرت فيها السرقات والتعديات حتى غصت ضواحي القاهرة باللصوص واخرقت فئة منهم المدينة حتى الجامع الابيض فاضطرت الحكومة ان تقيم سوراً من قنطرة الحاجب الى هذا الجامع منعاً لمثل ذلك

وفي شوال سنة ٩٧٢ هـ استبدل علي باشا الصوفي بمحمود باشا وهو آخر من تولى مصر في ايام السلطان سليمان فجاه من الاستانة بموكب عظيم فأهدي اليه اثناء مروره من الاسكندرية الى القاهرة هدايا عظيمة . فلما وصل القاهرة لاقاه الأمير محمد بن عمر متولي الصعيد على قارب فيو جميع انواع الهدايا وخمسون الف دينار فأخذ الباشا الهدايا منه وأمر بخنقه حال خروجه من مجلسه وأمر ايضاً بخنق القاضي يوسف العبادي لانه

لم يأت ملاقاته ولم يهدئ شيئاً واستمر على هذا الاستبداد حتى قتل معظم  
اعيان القاهرة فكان لا يمر إلا مصحوباً بالشوباشي (رئيس الجلادين)  
فاذا مرّ بأحدٍ وإراد قتله أشار بيده إلى الشوباشي فيعد حالاً إلى ذلك  
السبي الطالع فيعدمه الحياة بأسرع من ملح البصر

وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤ هـ توفي الأمير ابراهيم الدفتردار وكان أميراً  
للبحر فاستولى محمود باشا على كل ما ترك من المال والمالِك والجواري  
وجملة ذلك مائة الف دينار ضمها إلى المال الذي يرسل إلى الأستانة  
سنوياً وبعث معها هدايا غنية للسلطان ووزرائه استجاباً لخطبهم لكنه  
لم يتفجع من ذلك قبل ان قتل في يوم الأربعاء غايه جمادى الأولى  
سنة ٩٧٥ هـ بينما كان ماراً في موكبه الاعبيادي بين البساتين ولم تنف  
الحكومة على القائل فانهمت اثنين من النلاحين وقتلتهما ظلماً لانهما وجدا  
بقرب مكان القتل . وكان السلطان سليمان الثاني قد توفي قبل ذلك  
بسنة ( صفر سنة ٩٧٤ هـ ) وسنة ٧٤ سنة ومدة حكمه ٤٨ فتولى بعده ابنة  
سليم شاه ( سليم الثاني ) في ٩ ربيع اول من تلك السنة

وترى في الشكل ٦٦ نفود السلطان سليمان الثاني ضربت في القسطنطينية



سنة ٩٢٦ هـ . وما يحسن التنبه اليه  
ان سلاطين آل عثمان لا يؤرخون  
نفودهم إلا بسنة جلوسهم على السلطنة

وليس بسنة ضربها ش ٦٦ نفود السلطان سليمان الثاني

### سلطنة سليم بن سليمان

من سنة ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ او من ١٥٦٦ - ١٥٧٤ م

فما بلغ السلطان سليم شاه موت محمود باشا امر بنقل سنان باشا

من باشوية حلب الى باشوية مصر وبعد وصوله اليها بتسعة اشهر انفذ  
 لمحاربة اليمن فسار سنان من مصر في ٤ شوال سنة ٩٧٦ هـ مصحوباً بجمعة  
 بك ومماي بك وغيرها من امراء مصر واستخلف على مصر اسكندر باشا  
 الشركسي ومكث سنان باشا في تلك الحملة ستين و٤ اشهر ففتح اليمن  
 وعاد ظافراً الى مصر فرأى الاحوال هادئة والنظام مستتباً بدراية اسكندر  
 باشا المذكور لانه كان حكيماً محبباً للرعية فرفع الضرائب عن الفقراء  
 والعاجزين والنعم الاعظم من طلبية العلم لانه كان شديد التعلق بالعلم  
 وذويه فلما عاد سينان باشا الى مصر ( اول صفر سنة ٩٧٦ هـ ) عادت  
 احكامها اليه فاهتم بتأييد النظام وحفظ رونق البلاد فاعاد حفر  
 نرعة الاسكندرية ورمم وبني فيها جامعاً وشارعاً وعدة حمامات . وبني في  
 بولاق بمصر شارعاً ووكالات وجامعاً لا يزال معروفًا باسمه . وما زال  
 على مصر الى ذي الحجة سنة ٩٨٠ هـ فخلفه حسين باشا وكان على جانب  
 من اللطف والدعة وحب العلم والادب ولا يعاب الا لكثرة حمله الامر  
 الذي آل الى تكاثر اللصوص في ايامه ولم يحكم الا سنة وتسعة اشهر . وفي  
 ايامه توفي السلطان سليم شاه ( سليم الثاني ) في ٢٨ شعبان سنة ٩٨٢ هـ  
 بعد ان حكم ثمانين وخمسة اشهر و١٩ يوماً

وترى في الشكل ٦٧ صورة نقود

السلطان سليم الثاني مضروبة في  
 حلب بتاريخ سنة ٩٧٤ هـ



ش ٦٧ نقود السلطان سليم الثاني

## سلطنة مراد بن سليم

من سنة ٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ او من ١٥٧٤ - ١٥٩٤ م

وفي ١٠ رمضان يوبع ابنه مراد خان (مراد الثالث) وحال جلوسه على كرسي السلطنة ولّى على مصر بدلاً من حسين باشا مسج باشا وكان خزنداراً عند السلطان سليم الثاني فحكم في مصر خمس سنوات وخمسة اشهر ونصف ووجه اهتمامه خصوصاً الى ابطال السرقات والتعديبات فكان يقبض على اللصوص ويقتلهم بدون شفنة حتى بلغ عدد من قتل من اللصوص عشرة الآف فارتاحت البلاد من شرورهم . ثم عكف على اصلاح شؤون الرعية وكان تزيهاً لا يقبل الرشوة ولا الهدية . ومن آثاره مسجد عظيم في ضواحي القرافة لا يزال يعرف باسمه . وقد بناه على اسم الشيخ نور الدين القرافي وجعله له ولسلو ملكاً حراً وخصص دخلاً معلوماً للشفقة عليه . وامر مسج باشا ان تسهل الاوامر والكتابات الرسمية والاحكام بهذه العبارة « الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا وآله وصحبه ان المؤمنين اخوة فاحفظوا السلام بين اخوتكم واتقوا الله »

وفي سنة ٩٨٨ هـ ولّى مصر حسن باشا الخادم خزندار السلطان مراد الثالث فلم يكن فمه الا جمع الاموال باي وسيلة كانت واعادة ما كان حظرة سابقه من الرشوة والهدايا . فبقي على ولاية مصر سنتين وعشرة اشهر ولما عزل عنها سار من القاهرة خفية وطلع من باب المنابر لئلا يتتقم منه الاهالي . وفي سنة ٩٩١ هـ ولّى مكانه ابراهيم باشا فاخذ يستطلع ويغري ما اناه سابقه من الاخلاص فجعل في جامع السلطان فرج بن برقوق مأوراً خصوصاً لاستماع تشكيات المتظلمين على الوالي السابق من ١٠ رجب من تلك السنة الى غاية رمضان فاطلع على مظالم لا تحصى من

جملتها ١٠٠٤٤٢ اردب قمع من الشون العمومية باعها حسن باشا واستولى على قيمتها فرفع ابراهيم باشا تقريراً مدققاً بشأن ذلك الى السلطان فامر بقتله خنقاً . ثم طاف ابراهيم باشا بنفسه يتفقد احوال المديرية ويتحقق حالتها وزار ايضاً آبار امروء في الصحراء ورسم بعضها . وفي عودته الى القاهرة استقال من منصبه سنة ١٩٩٢ هـ وتولى مكانه سنان باشا الثاني وكان دفتداراً وبعد سنة اشهر وعشرين يوماً بارح مصر هارباً وسبب ذلك انه ساء التصرف فاشتكاها الناس الى الاستانة فجاه عويس باشا الى مصر ليتعري امر تلك النشكيات فحالما علم سنان بجي عويس فرّ هارباً

فتولى عويس<sup>(١)</sup> حكومة مصر سنة ١٩٩٤ هـ وكان رجلاً صارماً في الاحكام وكان في اول امره قاضياً ثم صار دفتداراً في الرومي ثم نقل الى باشوية مصر كما تقدم وبقي عليها خمس سنوات وخمسة اشهر وعشرة ايام واراد ان يعيد تعليم الجنود فعصوه وهجموا عليه في الديوان في ٢٨ شوال سنة ١٩٩٧ هـ واهانوه ونهبوا بيته وفي جملة ما نهبوا منه ساعة كبيرة تعرف منها الايام . ثم دججوا الامير عثمان قائد وجاه الجاوشية واخربوا بيت قاضي العسكر وقتلوا قاضيين من قضاة مصر ثم همدوا الى الحوانيت فنهبوها كل ذلك والامراء لا يستطيعون منعهم والاضطراب يزداد اشكالاً والناثرون تمرداً وقد حاول الدفتدار ايقافهم عند حدم فذهب سبعة باطلاً . ثم ظن عويس باشا انه اذا جاءهم بالحسني ربما يلبثون . فبعث الى القضاة ان لا يخالفوا لهم امراً فلم يزدحم ذلك الاعتاداً وفجوراً حتى انهم قبضوا على اولاد الباشا رهناً لما يريدون فاضطر الباشا الى الاذعان لكل ما ارادوه واعطاهم كلها طلبوه واستقال من تلك الولاية بعد ان مل من خيبة مساعيه المحيية فيها . فتولى مكانه حافظ احمد باشا الملقب بالخدام سنة ١٩٩٩ هـ وكان حاكماً في قبرص وعلى جانب عظيم من حب

في سائر انحاء النظر المصري . ثم اجتمع العصاة الى القاهرة وكان السيد محمد باشا اذ ذاك في منزله في بركة الجيزة فعاد الى القاهرة تحف به السناجق وزمرة من الغفر فلم يبال العصاة بذلك بل اطلقوا عليه النار ولم يتخلص من ايديهم الا بعد شق الانفس . فسار الى احد منازلهم فتبعوه وحاصروه هناك ليلاً ونهاراً والحوا عليه ان يسلمهم بعضاً من ضباطه وفي جملتهم دالي محمد احد كبار الامراء والامير جلاد الشوباسي والامير خضر كاشف المنصورة فطلب اليهم ان يعطوه مهلة ثلاثة ايام . فلما جاءهم رسولة قالوا له « سيحكم الله بيننا وبين سيدك » وتفرقوا في المدينة فظفروا بقاضي العسكر عبد الرؤف عزب الزاد بن فاجبروه على القيام بمطالبتهم . اما الباشا فاغتنم فرصة اشتغالهم بذلك الشأن وفر من منزله ودخل القلعة وقفل ابوابها وراه ملتجئاً الى حسن باشا السكراني قائد عموم الجيش ويبري بك امير الحج فحاولوا تسكين الثورة فذهب سعيها عبثاً . ثم علما ان العصاة قتلوا الامير محمد بك والدالي محمد وعلقوا رأسها على باب زويلة ونهبوا بيوتها واخذوا في الناس قتلاً ونهباً

وفي ١٧ اذي الحجة سنة ١٠٠٦ هـ ابدل السيد محمد باشا بخضر باشا فتحكم ثلاث سنوات و١٢ يوماً وقد اغضب الاهالي منذ وصوله القاهرة لانه امر بقطع جميع العطايات التي كانت توزع على العلماء والفقراء من الخنطة ولم يقتصر على الاتباع بهؤلاء الضعفاء فقط بل تجاوزهم الى الضابطة فاحرمهم من زادم فجمعهم ورا في ٢٠ رمضان سنة ١٠٠٩ هـ وساروا الى قاضي العسكر . ثم اتحدوا جميعاً والقاضي في مقدمتهم وتوجهوا الى الديوان يريدون الانتقام فقتلوا كتحيا الباشا وامراء آخرين فحاف الباشا فسلم لهم بكل ما كانوا يطلبون واعاد لهم العطايات كما شاءوا فحمدت الثورة وعادت المياه الى مجاريها . الا ان الباشا لم يلبث هنيئة حتى جاءه الامر بالاقالة فاستقال وولي مكانة الوزير علي باشا السلحدار وكان شجاعاً محباً للحرب

العلم وطالبه حاذقاً مدرباً في امور الاحكام . وكان رفوقاً بالاھالي ففرق  
الحسنات على الحجاج الفقراء . وابتنى في  
بولاق وكالنين وعدة قيسريات وعدة  
بيوت وخصص ربع دخلها لعمل الخبز وبقي



حاكماً في مصر ٤ سنوات ش ٦٨ نقود السلطان مراد بن سليم



وترى في الشككين ٦٨ و٦٩ صورة  
نقود السلطان مراد بن سليم مضروبة  
في القاهرة بتاريخ سنة ٩٨٣ هـ

ش ٦٩ نقود السلطان مراد بن سليم

### سلطنة محمد بن مراد

من سنة ١٠٠٢ - ١٠١٢ هـ او من ١٥٩٤ - ١٦٠٢ م

وفي ١٧ رمضان سنة ١٠٠٢ هـ تولى الخلافة في الاستانة السلطان

محمد بن مراد (محمد الثالث) عوضاً عن ابيه مراد الثالث

فولى على مصر قورط باشا فلم يبقَ فيها الا سنة وثمانية ايام

وكان محبوباً من الاهالي نظراً للطفه ودعوه وتنشيطه لطالبي الادب

ومساعدته للفقراء ولكل من يلتمس اليه . وفي شوال سنة ١٠٠٤ هـ أُبدل

بالسيد محمد باشا وبقي على الحكومة سنتين اتبع اثناءها خطة اسلافه في

في محبة العلم والادب وتنشيطها فاعاد بناء الجامع الازهر وجعل فيه

توزيعاً يومية من العدس المطبوخ على الطلبة الفقراء ورم ايضاً المشهد

الحسيني . ومع كل ما كان يتوخاه من السعي في حفظ النظام بين الاهالي

لم يمكنه اكفائه شر ثورة عسكرية اتشبت في غرة رجب سنة ١٠٠٦ هـ

ولذلك كان بكرم الجند على الخصوص إلا أنه كان سفاكاً للدماء فنظّم  
 الأهالي من قساوته. ولم يكن يخرج في موكبه إلى المدينة أو ضواحيها إلا  
 ويمت على الأقل عشرة أشخاص تحت أقدام جواده فكان الناس يرتعدون  
 خوفاً عند ذكر اسمه ورافق كل ذلك جوع عظيم فكثرت الوفيات وعمّ  
 الحراب فازداد الرعب حتى أمر الباشا أن تدفن الموتى سرّاً أما هو فترك  
 القاهرة فراراً من تلك العائلة مستخفاً عليها يبري بك وبعد يسير توفي  
 هذا فانتخب السناجق الأمير عثمان بك ليفوم مقامه وبقي هذا حتى عين  
 الباب العالي بدلاً من علي باشا وكان



ذلك التغيير بسبب وفاة السلطان  
 محمد الثالث في ١٦ رجب سنة  
 ١٠١٢ هـ وترى في الشككين ٧١ و٧٠

ش ٧٠ نفود السلطان محمد بن مراد ضربت في القاهرة



صورة نفود السلطان محمد بن مراد  
 الأولى مضروبة في القاهرة والثانية  
 في دمشق

ش ٧١ نفود السلطان محمد بن مراد مضروبة في دمشق

سلطنة أحمد بن محمد

من سنة ١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ أو من ١٦٠٢ - ١٦١٧ م

فانصب ابنة أحمد بن محمد (أحمد الأول) فولّى على مصر إبراهيم  
 باشا. فحكم فيها مدة قصيرة انتهت بخطب جسم وذلك أنه منذ وصوله إليها  
 نوى على ابطال طلبات الجند ولما سعى إلى انفاذ ما نواه زادت الجنود  
 تمرداً وعصباناً. وفي ٢٦ ربيع آخر سنة ١٠١٢ هـ علموا أن الباشا

خرج من القاهرة في زمرة من رجاله وركب في الليل الى بولاق قاصداً  
 شورا قرب جسر ابي المنجا . فاجتمعوا في ضواحي القرافة وتحالفوا بالايمان  
 العظيمة على قتله . وفي الصباح التالي جاؤا وعسكروا في بولاق  
 منتظرين عوده . ثم قاموا من هناك على نية مهاجمة في قلعة الدولاب  
 وكانوا قد علموا بالتجاؤ اليها . فلما عرف هو ومن معه من السناجق بقدم  
 تلك العصابة تشاوروا فيما بينهم فنصح له السناجق ان يسافر بجرأ قبل  
 ان يصل اليه ضيم فلم يصغ لهم لانه تشدد بمن معه من الجاوشية والمتفرقة  
 ثم جاءت الجنود النائرة واحاطوا بالقلعة ثم بعثوا من بينهم ١٥  
 شخصاً ليأتوا برأس الباشا فدخل هؤلاء القلعة والسيوف في ايديهم الى ان  
 جاءوا بمجلسه فانتبههم قائلاً « ماذا تريدون مني الم تستولوا على  
 مرتباتكم والانعام التي تعطى اعنيادياً عند اول تولية الحكم عليكم فإذا  
 تطلبون اذاً » فاجابوه « لا نطلب منك شيئاً الا رأسك » قالوا هذا  
 وضربة احدثهم صنعاً على وجهه وادركه الباقون بالظعن مراراً .  
 ثم عمد احدثهم الى رأسه فقطعه فناداه الامير محمد بن خسرو منتهراً  
 وموتجاً على ما جاءوا به من القحة فلم يجيبوه الا بما اجابوا ذاك واخذوا راسي  
 الاثنين وعادوا بهما الى ارفاقهما حول القلعة . ثم حملوها جميعاً وداروا بهما  
 في شوارع المدينة ثم علقوها على باب زويلة الذي كان قد تعود مثل  
 هذه الاكاليل . وفي ذلك اليوم وثوا عليهم عثمان بك فلم يقبل قولوا  
 قاضي العسكر مصطفى افندي . فلما علم ديوان الاستانة بقتل ابراهيم باشا  
 ارسل عوضاً عنه الوزير محمد باشا الكورجي الملقب بالخادم . وحال  
 وصوله القاهرة وردت الاوامر الصارمة من الباب العالي موجهة الى جميع  
 السناجق بان يستطلعوا اصل الثورة واسبابها ويقبضوا على زعمائها .  
 فاجتمع في الحال السناجق والنسم الاعظم من الجيش في قرا ميدان وكان  
 الباشا في القلعة فبعث يستقدم السناجق اليه ليلبغهم هذه الاوامر رسمياً

فرفضوا المثل بين يديه فتواسط الامراء ووعدوا السناجق انهم اذا سلموا  
 القائلين بنجون هم وبنالون العفو العام فقبلوا وسلموا القائلين الى الباشا  
 فامر بقطع اعناقهم بين يديه حالاً واطلق السناجق . فهاب الثائرون  
 وضعف عزيمهم ولا سيما لما رأوا من محمد باشا الانتباه الكلي لحفظ النظام  
 ومعاقبة المعتدين المعاقبة الصارمة حتى قتل منهم نحواً من مائتي رجل في  
 مدة حكمه القصيرة التي لم تدم اكثر من سبعة اشهر وتسعة ايام

فتولى بعده الوزير حسن باشا وكان اقل صرامة من سلفه وكان  
 يعامل الجند بالحسنى وكان ابنة فيهم برتبة ييلربك وكانت الاحوال  
 هادئة جداً في اثناء حكمه . ثم تولى بعده الوزير محمد باشا وذلك في ٧  
 صفر سنة ١٠١٦ هـ وبقي على حكومة مصر اربع سنوات واربعة اشهر  
 و ١٢ يوماً وكان رجلاً حكيماً حازماً اخذ منذ وصوله القاهرة في المحافظة  
 على السلام فنجس الاهالي من كل ما كان يكدر راحتهم فاكسب ثقتهم  
 ومحبتهم الا انه لم ينح من الحساد وذوي الاغراض

وفي اواخر شوال من السنة التالية ثارت عليه الجيوش واجتمعوا  
 في برج سيد احمد البدوي وتحالفوا ان لا يوافقوه على الغاء الضرائب  
 غير العادلة التي كانت مضروبة على النظر الى ذلك العهد . ثم اخناروا  
 من بينهم رئيساً ولوه عليهم سلطاناً بايعاز الوزراء ونفاسموا مصر الى اقسام  
 تولى كل واحد منهم اثاره الشعب والنهب في قسم منها فانتشرت تعدياتهم  
 في جميع الدلتا . فلما علم محمد باشا بذلك جمع السناجق والجاوشية  
 والمتفرقة وسار بها تحت قيادته لردع العصاة في ٩ ذي الحجة سنة ١٠١٧ هـ  
 واخذ معه ستة مدافع وانضم اليه عدة من مشايخ قبائل العرب وفي الليلة  
 التالية عسكر الجميع في بركة الحج . وفي الصباح التالي هاجموا العصاة في  
 الخانكاة فضيبوا عليهم بالنيران فاضطر اولئك الى التسليم فاخذ عليهم  
 الباشا عهداً اولها ان يسلموا اليه سلطانهم وكبار روسانهم ووعدهم بمقابلة

لذلك بالتأمين على حياتهم فقبلوا وسلموا الروساء وعدادم نحو ٧٧ فامر  
 وقتلهم محالاً . ثم جرد الباقين من سلاحهم ففرقوا فتعنتهم رجال الباشا  
 وقتلوا كل من ظفروا به منهم . فلما رأى قاضي العسكر محمد افندي  
 الملفب بجنتي زادة ما كان يحصل من مثل هذه المذابح يوماً نصح للباشا ان  
 ينفي كل من يقبض عليه من بعد ذلك الى اليمن ففعل وكانت النتيجة  
 حسنة وبطلت التعديات

ولما ارتاح محمد باشا من تلك الثورات أخذ في اصلاح الادارة المالية  
 فتفحص بنفسه النفقات التي كانت تدفع من الخزينه وبطل منها على سبيل  
 الوفرة كلها لم يكن ضرورياً ثم نظر الى الضرائب فمنع اتباع طريقة المالك  
 الشراكية فيها واتبع القوانين التي صدرت سنة ٩٢٢ هـ تحت سلطة السلطان  
 سليمان ثم نظم المكوس وعدلها ولم يكن يكلف نفساً الاوسعها فاذا رأى  
 ارضاً لا تقوى على القيام بما فرض عليها من المكوس تنازل لها عنه  
 وساعدها في احياء خصبها . ولما بارح مصر نال من المكافات والانعامات  
 ما لم ينله احد من اسلافه في مصر . وتولى بعده محمد باشا الملفب بالصوفي  
 وكان يحب العلماء ورجال الفضيلة وكان ورعاً حليماً عتيقاً لم يقبل رشوة  
 ولم يأت ظلماً الا انه كان ملوماً لزيادة ضعفه بما يتعلق بحبوه يوسف  
 الذي كثيراً ما تعدى حدوده

وفي سنة ١٠٢٢ هـ ارسل الصدر الاعظم عشرة آلاف جندي الى  
 اليمن لاجتقاد ما كان نائراً من الشعب هناك وارسلت الفرقة المذكورة  
 عن طريق مصر مرفوقة بامر سام الى الباشا بدفع النفود اللازمة لها  
 ونشيع الحملة الى اليمن فلما وصلت الجيوش الى مصر وعلموا بما ورد من  
 الاوامر بشانهم ادعوا انهم انما جاؤا ليقبوا في مصر ولم يدعوا لوامر  
 الباشا بالسفر فاتخذوا لهم منازل في محازن باب النصر وبعض بيوت  
 الاهالي بعد ان طردوا اصحابها منها فاجتهد الباشا ان يحلمهم على التسليم

بالاوامر الواردة اليو بشأنهم فذهب سعيه باطلاً واقاموا لهم مناريس في ابواب الحارة وقللوا باب النصر واقاموا المدافع في برجيه فاضطر الباشا لمحاصرتهم بكل ما لديه من الوجاقات والمدافع فتمكن الامير عابدين بك من الدخول الى حصنهم من مدخل في المدرسة المدعوة بالجانبلاطية فخاف العصاة وسلموا ففرق فيهم الباشا نحو ثمانين كيساً وسافروا من المدينة وبعد سير عزل محمد باشا الصوفي فاعتزل في قبة العدالة ولم يبارحها الا بعد ان علم بوصول خلفه احمد باشا دفتردار مصر سابقاً الى الاسكندرية ثم جاء القاهرة ودخلها بموكب حافل وبينما هو مجفول في المدينة رماه احد الناس بحجر من على سطح احد البيوت فكسر الهلال الذي كان فوق عمامته ولم يضر به فأمسك الناعل فاعترف بذنبه فقتل في المكان عينه وفي محرم سنة ١٠٢٥ هـ ورد الى الباشا المذكور امر من الاستانة ان يرسل النائم جنود مصر لتنضم الى الجيش العثماني للذهاب لمحاربة الفرس فارسلهم تحت قيادة صالح بك امير الحج فساروا على اتم نظام ومرؤا بالمديريات ولم يشعر الاهالي بمرورهم مع انه لم يكن يتيسر قبل ذلك مرور مائة رجل بمقاطعة واحدة ما لم ينهبوها . وذلك لما كان لهذا الباشا من النفوذ وما اقام في مصر من النظام واعطاء الجيوش حقهم من المرتبات . فالتفت هذه الفرقة بالجيش العثماني في الخانكاه وانضمت اليه وعند ما ودع الباشا عساكره فرق فيهم المال فاصاب الواحد منهم ٢٠ ديناراً على الاقل وكانت مدة حكم احمد باشا سنتين وعشرة اشهر واثنا عشر يوماً لم يقتل اثناءها اكثر من عشرة اشخاص جاؤا اموراً استوجبوا من اجلها القتل ولم يكن يحكم على احد الا بعد التحري الدقيق واستماع تقارير الدعوى من الطرفين

سلطنة مصطفى بن محمد ثم عثمان بن احمد ثم مصطفى

بن محمد ثانية

من سنة ١٠٢٦ - ١٠٢٢ هـ او من ١٦١٧ - ١٦٢٢ م

وفي يوم الاربعاء في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ هـ توفي السلطان احمد الاول وتولى بعده اخوه السلطان مصطفى الاول وعند توليته استبدل احمد باشا بمصطفى باشا لنفلي الا ان السلطان مصطفى لم يمكث على كرسي السلطنة الا ثلاثة اشهر وثمانية ايام . وفي يوم الاربعاء ٢ ربيع اول سنة ١٠٢٧ هـ عزل السلطان مصطفى وولى مكانه بالانتخاب ابن اخيه ابن النصر عثمان . اما الوزير مصطفى باشا فلم يبق على مصر بعد خلع السلطان الذي ولاه الا بضعة اشهر لانه جعل سيلاً لنفوذ ذويه في الاحكام فنشأت ثورة عسكرية في ٧ شوال سنة ١٠٢٧ هـ فقتل الثائرون عدد كبيراً من الامراء والاغوات وغيرهم من كبار المأمورين واضطر الباقون الى الفرار ولم يسكن الاضطراب الا بعزل مصطفى باشا بامر السلطان عثمان فتولى مكانه الوزير جعفر باشا وهذا لم تدم حكومته اكثر من خمسة اشهر ونصف وكان محباً للعلم والعلماء وكان يجمع اليه رجال الادب ويكرم مشوام ولم يهتم كل تلك المدة الا بما فيه صالح البلاد وراحة العباد وحصل في ايامه وبالا انتشر في مصر وفنك باهاتها فتكاً ذريعاً من غاية ربيع اول سنة ١٠٢٨ هـ الى غاية جمادى الثانية من السنة المذكورة وقد لوحظ ان معظم من مات بهذا الوباء كانوا بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر وبلغت جملة من توفي بسببه ٦٢٥٠٠٠ نفس وتولى بعد جعفر باشا مصطفى باشا فقبض على مصطفى بك الملقب بالبكيجي زعيم الثورة التي نشأت في ايام مصطفى باشا لنفلي وحكم عليه

بالاعدام فسرّ الاهالي لذلك لان مصطفى بك المذكور كان مصدرًا  
لمتاعهم . الا ان ذلك السرور لم يلبث ان ظهر حتى اُبدل بالكدر لان  
مصطفى باشا حاكمهم الجديد اضهد تجارهم اضطهادًا عنيفًا وضيق عليهم  
مسالك رزقهم . فرفعوا نظلماتهم الى السلطان فنظر في دعواهم وانصفهم بعزل  
ذلك الباشا وتولية حسين باشا . فبادر هذا الى ابطال جميع الضرائب غير  
الاصولية التي كان قد ضربها سلفه . وفي ايامه ارتفع النبل ارتفاعا غير اعنيادي  
فطاف على الارض بكثرة حتى يشس الناس من البقاء لنهاية ذلك الفيضان  
فحصل بسبب ذلك ضيق عظيم غنبة طاعون شديد . ثم عُزل حسين باشا  
واستُقدم الى الاستانة وقبل وصوله اليها خلع السلطان عثمان الثاني يوم  
الخميس في ٨ رجب سنة ١٠٢١ هـ . ويوم مصطفى الاول الذي كان قبلة  
اما الباشا المعزول فوصل الى الاستانة في اسعد الاوقات له لان  
اعراض السلطان السابق عنه كان داعيًا لرغبة السلطان الجديد في تفريره  
منه فاتنقت الاحزاب هناك فولقوا الصدارة العظمى . وكان عثمان الثاني  
قبل فاته قد بعث الى مصر محمد باشا بدلًا من حسين باشا لكنه لم يصل  
مصر الا بعد ان انبى اهله بما كان يأتيه في الرومي يوم كان واليًا عليها  
ما جعلهم ينفرون منه ويخشون من تصرفه ولحسن حظهم لم يبق بينهم الا  
شهرين ونصف فلما تولى حسين باشا الصدارة العظمى عزله بامر السلطان  
مصطفى الاول وولى ابراهيم باشا . وبقي هذا على مصر سنة وقد تمكن  
بحسن سياسته وتدييره من استجلاب رضى الاهالي وثقتهم الا انه حصل في  
ايامه ضيق عيش وغلت اسعار المأكولات جدًا

ولما عزل ابراهيم باشا سافر الى الاسكندرية بمجرد اخلافه لما كانت  
العادة عند من سبقوه على حكومة مصر فانهم كانوا اذا عزلوا من مناصبهم  
سافروا برًا . وتولى مكانه مصطفى باشا واستلم زمام الاحكام في ٢٢ رمضان  
سنة ١٠٢٢ هـ فانه كتب الدبوان يشككون من تصرف سلفه وقالوا انه

مديون للخزينة بمبلغ وافر فارسل في اثره بعض الجاويشية فالتقوا به  
فتهددهم بالقتل اذا لم يعودوا عنه فحاقوا وعادوا الى القاهرة فارسل الامير  
صالح بك فادركه وقد نزل البحر عند الاسكندرية فاستدعاه ان يقف  
فاجاب انه متوجه الى الاستانة فاذا كان عليه شيء يدفعه هناك الى  
السلطان نفسه . قال ذلك ونشر الشراع فخمرت به السفينة فاطلقوا عليه  
من طابية منارة الاسكندرية بعض الطلقات المدفعية فلم يبال بها

### سلطنة مراد بن احمد

من سنة ١٠٢٢ - ١٠٤٩ هـ او من ١٦٢٢ - ١٦٤٠ م

وما زال حتى بلغ الاستانة فاذا بالسلطان مصطفى الاول قد خلع  
وتولّى مكانه السلطان مراد الرابع بن احمد ولذلك لم يتعرض احد لبراهيم  
باشا ولم يهتم احد بقضيتو وبعد تولية مصطفى باشا بثلاثة اشهر . اي في  
١٥ ذي الحجة ورد الى القاهرة خبير عزله وتولية علي باشا مكانه . فاجتمعت  
الاجناد وساروا الى القانمقام عيسى بك يطلبون الاعطاءات التي توزع  
عند تولية كل وال جديد فانتهروهم عيسى بك قائلاً « اني كل ثلاثة اشهر  
تجددون هذه الطلبات » فاجابوه « وما المانع الم بغير مولانا السلطان  
كل ثلاثة اشهر والبا علينا ألا يضر ذلك بصالح البلاد فاذا أراد ان  
يولي كل يوم والبا نحن ايضاً كل يوم نطلب الاعطاءات الاعيادية التي  
لنا » . فحاول القانمقام اقناعهم فلم يسمع ولم يزد من ذلك الاعناداً ونهدينياً  
وصرخوا جميعهم بصوت واحد « نحن لا نرضى حاكماً آخر غير مصطفى  
باشا وليرجع هذا الى حيث اتى » ثم قرأوا النائحة على محافظتهم لما  
قالوه وان لا يبحث احد منهم بذلك وبناء عليه أعيد مصطفى باشا  
الى مركزه .

فلما رأى ان الحزب العسكري كلة معه حرّر الى السلطان يطلب  
 تثبيتته وارفق الكتاب برسائل عديدة ممضية من علماء القاهرة ومشائخها  
 وقضاتها وجميعهم يطلبون تثبيتته بصوت واحد . ثم بلغهم وصول علي باشا  
 الى الاسكندرية فبعثوا اليه وقد يبلغونه ان الجند والاهالي متفقون على  
 رفضه فجمع اليه الوفد والتقى اليهم كتباً كلها مدح واطناب للامراء  
 والجيوش فلما نليت تلك الرسائل على الجند لم يكن جوابهم الا اعادة ذلك  
 الوفد ثانية يعيدون مطالبهم الاولى فلما رأى ما كان من اصرارهم استشاط  
 غضباً وامر قبض على ذلك الوفد وقيدوا الى سجن قلعة الاسكندرية  
 مغلولين فتأمروا مع جند الاسكندرية وكانوا من حزبهم فحلوا وثاقهم  
 وهجموا جميعاً على علي باشا وهدموا خيمته واجبروه على مبارحة الاسكندرية  
 فوراً فانزلوه في قارب مخصوص واخرجوه من المينا وكان الريح ضده  
 فاعاده اليها ثانية فاطلق عليه الامير مصطفى من قلعة المنارة عدة طلقات  
 ثقت مركبة ثقوباً لم تفرقها لكنها اخرجتها من المينا ولقب الامير مصطفى  
 من ذلك المحين بالطيحي

وفي ٢٠ ربيع آخر سنة ١٠٢٢ هـ جاء القاهرة كتاب محمود على  
 حماسة يفيد قرب وصول مندوب عثماني ناقل لبعض الاوامر السلطانية .  
 وبعد ايام وصل ذلك المندوب ودخل القاهرة وجمع اليه السناجق  
 والامراء وكبار المأمورين في الديونان وألبس مصطفى باشا الخلعة المرسله  
 اليه من السلطان . ثم تلا عليهم الفرمان بتثيته على مصر  
 وفي السنة التالية زاد النيل زيادة غير اعنيادية فبلغ ٢٤ ذراعاً  
 فخشى الاهالي ان لا تخفض المياه عن اراضيهم في زمن يمكنهم فيه زراعتها .  
 لكنه اخذ في الهبوط بسرعة فانكشفت الارض وزاد خصيبها ولم تك مصر  
 نجو من الجوع حتى داهما ما هو اصعب مراساً منه وهو الوباء فانه ظهر فيها  
 في اوائل ربيع اول سنة ١٠٢٥ هـ واخذ ينتشر في جميع اتحائها بسرعة

وفي شعبان من تلك السنة اخذ بالناقص ولم يتقص الآ في اوائل رمضان . قال بعضهم ان عدد الذين ماتوا بسبب هذا الوباء ثلاثمائة الف نفس . فاعنتم الباشا من هذه الضربات فرصة لاختلاس اموال الناس فجعل نفسه وريثاً لكل من مات بالوباء من الاغنياء فاستولى على تركاتهم فنظّم الوراثة الاصليون منه الى الاستانة . ولا يخفى ان هذا الباشا لم يتوًى مصر الآ رغماً عن ارادة الباب العالي فاعنتم هذه الفرصة فعزله ووًى بيرام باشاً . وهذا حاكم مصطفى باشا وحكم عليه بدفع الاموال التي اخناسها فباع كل ماله من المتاع والمقتنيات ودفع ما عليه . ولما عاد الى الاستانة ( سنة ١٠٢٧ هـ ) حكم عليه بالاعدام

ولا يخفى ان محاولة الجيوش والامراء عزل وتولية باشوات مصر بمجرد ارادتهم مخالف للنظام العمومي ولما وضعه السلطان سليم الناتج وما جعله لكل فئة من فئات مصر الحاكمة من الحدود . وقد اعتبرت موافقة الباب العالي على مطالب الامراء خرقاً للحدود السابقة . وعلى ما تقدم حصل ما حصل من التحويل في القواعد الاساسية التي سنّها السلطان سليم الاول منذ نحو قرن

وكان بيرام باشاً محباً للعلم والعلماء لكنه كان اكثر حبا لاحتراز المال واقامة المشروعات المفيضة وتنشيط التجارة على انواعها لكنه اكثر من الضرائب عليها حتى على الصابون . واما فيما خلا ذلك فكان حازماً لم يترك للجند فرصة للتمرد فهذأت مصر في ايامه . ثم استدعي الى الاستانة وعيّن وزيراً في ديوانها وهذه هي المرة الثالثة لتعيينه في ذلك المنصب . فتوًى بعده الوزير محمد باشا فساس الامور بحكمة ودراية وكان محباً للحياة الانفرادية فلم يظهر في طرق القاهرة اثناء مدة حكمه التي هي نحو سنتين الآست مرات . وانصل به ما حصل في اليمن من الشعب الناتج عن سوء السياسة مع القبائل البدوية فعرض على السلطان اخضاعها وتعهد

بأرسال فرقة من رجاله تحت قيادة قنسوبك امير الحج لهذه الغاية فاجابه  
 السلطان الى ما طلب وولى قنسوبك على اليمن مع رتبة باشا وجعله  
 ييلر بك على الجيش . فانشأ قنسوبك جيشاً من ثلاثين الف مقاتل  
 وقبض مبلغاً كبيراً ليدفع منه نفقات الحملة الا انه بعد ان قبضه توقف  
 عن السفر وترك جيشه نعمة لمصر يسلبون وينهبون ويقتلون فنكأ في  
 الاهالي ونعريضاً للمسافرين في طريقهم . ولحسن الحظ كان بين تلك  
 الجيوش الف رجل من الرومي جاءوا للمشاركة في تلك الحملة تحت قيادة  
 الامير جعفر آغا فاخذوا تلك الثورة والزموا قنسوبك على المسير بهم  
 الى اليمن في محرم سنة ١٠٢٩ هـ فسار وحارب وغاز وبعد سبعة  
 اشهر من سفر تلك الحملة (في ١٩ شعبان) مرّ في مكة تيار من الماء  
 فاغرق النسم الاعظم من ارضها حتى مقام الكعبة فهدم جميع بناعها ولم  
 يبق من جدرانها الا اليمين . فانصل ذلك بوالى مصر فاوصله للسلطان  
 مراد الرابع فانفذ السلطان الى محمد باشا يعهد اليه ترميمها ففعل . فبلغت  
 جميع النفقات على ما قاله بعضهم نحواً من مئة الف قرش (القرش يساوي  
 اربع فرنكات تقريباً)

وفي سنة ١٠٤٠ هـ كان ارتفاع النيل قليلاً فجاء شهر نوت ولم يبلغ ١٦  
 ذراعاً ولكن رغماً عن ذلك نقص فح الخليج وسبقت المياه قليلة الى الاراضي  
 ولكن البلاد امنت من الجوع بتدبير محمد باشا . وفي هذه السنة  
 استدعي محمد باشا الى الاستانة وقلده السلطان منصب الوزارة في الديوان  
 الشاهاني مكافأة لحسن سياسته ودرابته . وتولّى مكانه في مصر الوزير  
 موسى باشا وكان للاهلين في باديه الرأي ثقة تامة فيه وكانوا  
 يحبونه ويعتبرونه فانهم ساروا لملاقاته في شورا الا انه لم يكذبكمن قدمة  
 حتى اتى بنفسه الى هوى النفس من المطامع فاخذ في الاخلاص ظاهراً  
 والاستبداد بانفس العباد فامر بقتل اكبر رجال مصر بغير وجه حق

وجعل براقب سير اغنيائها ويترصده تصرفاتهم لعله يأتي على طريقة  
للاستيلاء على ثرواتهم

وفي شعبان من تلك السنة بعث السلطان يطلب اليه اعداد حملة  
من جنده لمحاربة الفرس فجمعهم وجعل قيادتهم في عهدة قيطاس بك  
وضرب على البلاد ضرائب فاحشة تحت اسم اعانة حرية . ولما وصلت  
تلك المبالغ الى يده اوعز الى قيطاس بك ان مصر لا يمكنها تجريد مثل  
هذه الحملة لان ماليتها لا تسمح لها بدفع النفقات اللازمة فنصح له  
قيطاس ان يتبع الاستقامة فهي افضل له فذهبت جميع اقواله عتبا . ثم  
اوجس موسى باشا خيفة من قيطاس بك لانه اطلع على اعماله فاستدعاه  
الى القلعة في عيد الاضحى يوم الاربعاء في ٩ ذي الحجة وامر اربعين من  
رجالو ان يقتلوه ففعلوا . فلما رأى ذلك الاميران كنعان بك وعلي بك  
وقع الخوف في قلوبهم واسرعوا الى الجيوش فاعلموهم بما كان من امر قيطاس  
بك مع موسى باشا فاجتمعت العساكر حالا في الرميثة . واما السناجق  
والامراء والقضاة وكبار المأمورين فاجتمعوا في جامع السلطان حسن  
وتفاوضوا في الامر فافترسوا على عزل موسى باشا وتولية من يقوم مقامه وقتيا  
لينا يأتي امر الباب العالي بشأنه فخلعوه واقاموا حسن بك مكانة .  
فكتب موسى باشا الى السلطان يعلمه بما كان من تلك الثورة . اما  
رؤساؤها فكانوا قد رفعوا الى ديوان الاستانة كتابين الواحد بالتركية  
مضى من السناجق والاغوات وكبار ضباط العسكرية والآخر بالعربية  
مضى من القضاة والمشايخ والعلماء يطلبون بصوت واحد خلع موسى باشا  
فاجابهم السلطان الى طلبهم فوئى عليهم خليل باشا

وفي ربيع اول سنة ١٠٤١ هـ وصل خليل باشا الى مصر واستلم  
ارمتها . وبعد بسير بلغة ان جماعة من اللصوص ثاروا تحت رئاسة احد  
الاشراف المدعونامي ونهبوا مكة فجمع جند القاهرة وارسلهم تحت قيادة

الامير قاسم بك لاختداد تلك الثورة فساروا وحاربوه وقتلوا زعماءهم وفي  
صفر سنة ١٠٤٢ هـ عاد قاسم بك بجيشه الى القاهرة ظافراً. واقبلت  
محصولات مصر تلك السنة وزاد خصبها ونضاعف ريعها ونزلت اسعار  
الحنطة من ثمانية غروش الاردب الى عشرين

وفي سنة ١٠٤٢ هـ استقال خليل باشا من حكومة مصر فخرج منها  
والناس يشنون عليه ثناء طيباً لانه كان عادلاً مع رفق فلم يكن يصدر حكماً  
الأبعد التروي بما يقوله الطرفان. وما يحكى عنه انه جى اليه يوماً بثلاثة  
لصوص قبض عليهم في حال اجراء الجناية فأمر أن يحاكموا فقال احد  
رجال ديوانه ان مثل هذه الحادثة لا تحتاج الى محاكمة لثبوت الجناية فعلاً  
فيجب اصدار الحكم رأساً بالاعدام. فلم يكن جواب الباشا إلا الامر بهدم  
بيت ذلك الناصح فاستغرب الرجل ذلك وطلب السبب الموجب له فاجابه  
الباشا قائلاً «كيف يجنى لك الاعتراض علي اذا امرت بهدم بيتك المبنى  
من حطام الدنيا ولا يجنى لذلك الباني العظيم معارضتنا اذا هدمنا بنايته  
بغير وجه شرعي» ثم ابطل الامر بالهدم وامر باطلاق اللصوص. قال ابن  
ابي السرور ناقل هذه الحكاية ان اللصوص قتلوا بعد تلك الحادثة  
اهابة للباشا

وبعد استقالة خليل باشا من مصر عين على الرومي وولي على مصر  
الوزير احمد باشا الملقب بالكورجي وكان قبلاً امير باخور. وفي صفر  
سنة ١٠٤٣ هـ وردت له الاوامر الشاهانية ان يبعث الفين من العساكر  
المصرية الى سوريا مساعدة للحملة العثمانية على دروز لبنان مع خمسة  
آلاف قنطار من البسماط واربعة آلاف قنطار من البارود. ثم وردت  
اوامر اخرى بطلب الف رجل آخرين وثلاثة آلاف قنطار من البارود  
لمحاربة الفرس. فرأى احمد باشا ان مصر لا تقوم بهذه الطلبات فاعتذر  
الى السلطان فبعث اليه ١٢ الف قنطار من الخاس ليسكبها نفوداً وطلب

اليه ان يبعث عوضاً عنها الى الاستانة ثلاثمائة الف محبوب<sup>(١)</sup> فاخذ في  
سكب النحاس واعد لذلك عمالاً ومعامل . ثم رأى بعد حين ان جميع  
هذه الاجراءات ذاهبة عبثاً لان الفعلة ملوا من العمل ومات منهم كثيرون  
من الحر والجهد فجمع اليه ذوي شوره من الامراء وقضاة الاقسام والقرى  
واستشارهم . وكان من رأيه ان يدفع مطالب السultan من مالو الخاص  
ثم يجعل النحاس سبائك صغيرة لتباع في بلاد السودان بين تكرر وبلاد  
الزنج . فارتأى احد القضاة رأياً آخر وهو ان يُجبر اهالي القاهرة على  
استلام هذا النحاس ودفع المبالغ المطلوبة . وان يفرق النحاس عليهم  
مقادير متناسبة لما يدفعون فوافق الجميع على ذلك واخذوا في تنفيذه في  
١٦ ذي الحجة سنة ٤٢٠هـ وتموه في آخر شعبان من السنة التالية .  
وكان ذلك ثقلًا عظيمًا على كاهل المصريين لانه لم ينج من هذه الضريبة  
غني ولا فقير فقلت النقود وغلت المحبوب وسائر المأكولات غلاء فاحشاً  
وزاد في الطنبور نعمة ان النيل في السنة التالية لم يكن وفاقه حسناً غير  
ان ذلك لم يمنع استغلال الارض غلة متوسطة

وبعد يسير استدعي احمد باشا الى الاستانة فسار وقد توقف عن  
دفع المبالغ التي جمعت للخزينة فرفع المصريون التقارير اللازمة بشأن  
ذلك متظلمين فلما وصل الى الاستانة حكم عليه بالاعدام . وتولى مكانه  
الوزير حسين باشا فجاء مصر في زمرة من رجاله الدرود قد التقطهم من  
كل ناد وكانوا من قاطعي السبل فجعلوا يسومون المصريين انواع

(١) كان من النقود الذهبية في مصر زرمحوب او محبوب ويقال  
له ايضاً سكوين وهو عبارة عن قطعة من المعاملة تساوي ٤٥ غرشاً مبرياً  
مصرياً او اقل قليلاً من اثنا عشر فرنكاً . نصفها يدعى نصف محبوب ان  
نصف وربها يدعى ربع محبوب او ربع

العذاب نهياً وقتلاً فاضطربت الاحوال وقفلت الحوانيت ووقفت حركة الاعمال . وهذا اصل استقباح المصريين لكلمة « درزي » على ما يظن  
 واطل حسين باشا حقوق الوراثة فكان اذا مات احد الاهالي استولى هو على تركته واحرم منها الذين تركهم النفيد من الايتام والارامل او الثكالي واذا اراد احد الانتقام من عدوه لا يجتاز الى اكثر من الوشاية به الى حسين باشا بانه غني وابن غني فيجعل له الباشا في السجن فلا يخرج منه الا بالبذل الكثير . ولم يكن يمر يوم لا يطوف فيه حسين باشا في المدينة راكباً وقلما تغيب الشمس قبل ان يقتل رجلاً او رجلين او اكثر وكان يخاطر له احياً ان يقتل كل من لاقاه في طريقه انساناً كان او حيواناً .  
 وقد حسب عدد الذين ذهبوا فريسة عنو هذا الغاشم في مدة حكمه التي لم تتجاوز سنة و ١١ شهراً فبلغوا نحواً من الف ومائتي نفس فضلاً عن  
 كان يقتلهم بيده . وقد كان له هيبة في قلوب رجاله فاحب يوماً ان لا يشاركوه بالقتل والنهب فحظر عليهم ذلك فلم يعودوا يجسروا على اقل المخالفات فلم يعد يسمع بشيء من تعدياتهم

ثم عزل وتولى مكانة الوزير محمد باشا ابن احمد باشا وابن ابنة السلطان سليم الثاني . وفي شوال من سنة ١٠٤٧ هـ وردت اليه الاوامر ان يرسل الف وخمسمائة مقاتل لمساعدة الحملة العثمانية الى بغداد فارسل تلك الفرقة تحت قيادة امير الحج قنصوبك في محرم سنة ١٠٤٨ هـ فسارت ولم ترجع الى مصر الا بعد الاستيلاء على تلك المدينة في صفر سنة ١٠٤٩ هـ

وانبع هذا الباشا خطوات سلفه بالاختلاس والنهب فجمع ثروة عظيمة من تركات الامراء والعلماء المشهورين فنام عليه الورثة وبعد الاجتهاد تمكنوا من تحصيل نصف الاموال . وازداد ظلماً وعنقاً حتى منع الصدقات التي كانت تدفع الى الارامل والايتام واخذها لنفسه فكثرت التظلمات

وتعددت العائلات المعسرة . وفي يوم الخميس ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هـ  
توفي السلطان مراد الرابع

وترى في شكل ٧٢ صورة



النقود الذهبية للسلطان مراد الرابع  
ضربت في القاهرة سنة ١٠٢٢ هـ  
وهي سنة توليه

ش ٧٢ نقود السلطان مراد الرابع بن احمد

### سلطنة ابراهيم بن احمد

من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ أو من ١٦٤٠ - ١٦٤٨ م

فظن المصريون ان في تغيير السلطان منجاة لهم ما كانوا يكابدونه .  
فبوع اخوة السلطان ابراهيم بن احمد وامر حالاً باستبدال محمد باشا  
واحرمة من العطية التي كانت تعطى اعتيادياً لحاكم مصر عند ما يستقبل  
من منصوب . لكنه امر بعد ذلك بابقائه فعاد الى اعماله وازداد ظلماً  
وعتواً ففتك بالناس فتكاً ذريعاً لم يبق ولم يذر

ثم استبدل محمد باشا بمصطفى باشا الملقب بالبستانجي<sup>(١)</sup> وكان ابي  
النس على نوع ما الا ان كاتبة احمد افندي كان عاتياً غشوماً وكانت  
بيده ازمة الاحكام فاستبد بها ما كرهه المصريون بالحياة وانتق في ايامه  
تصير النيل فازدادت الاثقال بغلاء المحبوب . ولم يكن الباشا يتداخل  
في الاحكام على الاطلاق فكثرت السرقات حتى لم ينجح من احياء القاهرة  
من النهب واضطر معظم الاهالي الى مهاجرة بيوتهم وكان رئيس الضابطة

(١) هو لقب لفرقة عظيمة من الجنود العثمانية برأسها رئيس يعرف  
بالبستانجي باشي وهو من اعظم وزراء الدولة

اذا حجي اليه ببعض اللصوص لا تغيب عليهم الشمس في السجن ومثل ذلك كان يفعل الكشاف (حكام الاقاليم) فتواترت الشكايات الى الباشا فاضطر الى عزل رئيس الضابطة وتولية آخر اسمه كنعان بك فاهتم هذا بالقبض على اللصوص فبحن عدداً كبيراً منهم

وفي شوال سنة ١٠٥١ هـ ثارت المهادية وجاهر الجاويشيون على رئيسهم الامير علي بدعوى انه لا يفرق الاعطيات الا على كنبته فاضطر الباشا الى عزله وتولية عابدين بك في مكانه . فلما رأى باقي الجيش ما كان من فوز الفتنه الثائرة ثاروا جميعاً وادعوا ان مخازن الحبوب فارغة وطلبوا معاشاتهم المتأخرة منذ سنة . فعين لهم محمد افندي قاضي العسكر لغري دعواهم فننقذ مخازن الحبوب فرأها حقيقة فارغة وان ما كان فيها قد باعه الكاتب واخفى ثمنه فاضطر الباشا مراعاة لطلب الجمهور ان يتخلى عن كانبه رغماً عن حوله فاستجد الجاويشية فانجدوه واعادوه الى مركزه فازداد تمرداً وبالغ في الانتقام . ثم استقال مصطفى باشا وتولى الوزير مقصود باشا وكان والياً على ديار بكر قديماً فلما استلم مقاليد الاحكام بحث عن تصرفات سلفه فاطلع على اعماله فقبض على كانبه والكحيا وجلدتها واجبرها على ارجاع مائتي كيس من النقود الى الخزينة . اما مصطفى باشا فأرسل الى الاسنانة وهناك أخذ منه مائتا كيس سلمت للخزينة الشاهانية واصبح في جملة الوزراء السبعة العظام في الرومي

وفي ايام مقصود باشا قاست مصرامر العذاب من وباء وقد عليها وكان اصعب مراسم الوباء الذي وفد في ايام علي باشا وجعفر باشا لانه كان عاملاً لم يخ من اصابتهم الشيوخ ولا الشبان فكان يصيب من الشيوخ واحداً في الثانية . ظهر هذا الوباء اولاً في بولاق في اوائل شعبان سنة ١٠٥٢ هـ وبعد ذلك بشهرين ظهر في القاهرة وما زال على معظمه من ابتداء ذي القعدة من تلك السنة الى غايه صفر من سنة ١٠٥٣ هـ ثم اخذ

بالتناقص شيئاً فشيئاً ولم ينفذ حتى انقضى الشهر الثاني ولم يكن يُسمع  
 إلا بالوفيات المتتابعة في كل ساعة وكانت تنقل الجثث بالعشرات دفعة  
 واحدة فكان يشاهد في الشارع الواحد أحياناً ثلاثون أو أربعون جنازة  
 وقد روى ابن أبي السرور وهو من المؤرخين المعاصرين ان جملة من  
 صُلي عليهم من المتوفين في الجوامع الخمسة الرئيسية في القاهرة في مدة ثلاثة  
 اشهر النان وتسعمائة وستون وقد كانوا في آخر الامر يدفنون موتاهم بغير  
 صلاة وعدد هؤلاء لا يقل عن عدد الذين صُلي عليهم . اما خارج القاهرة  
 فلم يكن الوباء اقل فتكاً ويقال ان ٢٢٠ قرية اصحبت خراباً لاصابة كل  
 اهلها بذلك الداء

فلا رأى مقصود باشا ما لم يهصر من الدمار جعل يسعى الى اصلاح  
 الاحوال جهده فاستعمل الرفق فالغى جميع الضرائب التي وضعها اسلافه  
 بغير الحق وجعل حقوق الوراثة الى الاقرباء الشرعيين مع دفع شيء من  
 التركة الى الحكومة وجعل يخزى التعديات تحريماً شديداً وشدد في القبض  
 على اللصوص فقبض على كثيرين منهم فقتل بعضاً وبجن بعضاً وقاصص  
 آخرين بحسب ذنوبهم متخذاً الصرامة ديدناً فاستنكت الناس وطابت  
 قلوبهم نوعاً . وبينما كان هذا الباشا ساعياً فيما تقدم ظهرت في الاسكندرية  
 في ٢٠ ذي القعدة من تلك السنة ثورة كدرت اعماله وذلك ان نحواً من  
 ستمائة من المسيحيين كانوا تحت طائلة النصاص مغلولين في سجون  
 الاسكندرية ففي اليوم المذكور فتقوا السجون بغنة والمسلمون في الجوامع  
 يصلون وطفقوا يهيبون الحوانيت والمحازن والبيوت ولم يقولوا ولم يذروا  
 ولما ملأوا جعبة مطامعهم نزلوا الى مركب كان بانتظارهم في البحر واقلعوا  
 يطلبون الفرار . ولم يكن ذلك كل ما مهدد مقصود باشا وحال دون  
 مشروعاته انما هناك ما هو ادهى وامرٌ وذلك ان جماعة السناجق تأمروا  
 عليه وتواطأوا على عزله في يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٠٥٤ هـ باجماع

عقدوه في بيت الامير رضوان بك الملقب بابي الشوارب . وسبب ذلك ان مقصود باشا كان قد طلب اليهم حياً بتسديد رواتب الجيش عن شهر رمضان ان يدفعوا الثلث الاول من المال الذي يطلب منهم للخرينة عن الاقطاعات المحرقة التي كانت في يدهم فرفضوا ذلك بالاجماع وطلبوا عزل بعض المأمورين الذين كانوا ينظرون اليهم كأكبر نصير للباشا في ارادته . فلم لم الباشا بما ارادوا اما هم فلم يفعلوا بذلك فخرروا الى الاستانة يشكون من سوء تصرفه بموافقة كثيرين من الاعيان فكتب اليه الباب العالي رأساً ما مفاده « ان الحضرة الشاهانية لم تعلم اسباب الثورة الجهادية التي حصلت في مصر وتعجب كيف ان الباشا لم يبلغ الباب العالي عنها » فاجاب الباشا انه لم يحصل لديه ما يدعى ثورة وانما هناك بعض الشكيات وبعض الاختلافات التي برجوا اصلاحها بالتي هي احسن ولذلك لم يكن ثم حاجة لابلاغ الباب العالي . فطلب اليه الباب العالي ان يتحرى الخريبات اللازمة ويعاقب المعتدين ويصرف الامر بما يتراءى له . الا انه رغماً عن كل ذلك اضطر الى الاذعان لكنه اراد التمسك بالامير على بك والامير مامي بك والدفتدار شعبان بك لعلهم انهم زعماء تلك الثورة فاعد لهم كميناً واقام لهم رصداً ليقتلوه في الديون وعين لذلك يوم الاثنين في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٠٥٤ هـ الا ان الصدفة لم تسع له بما اراد فان الدفتدار نزل الى الديون وحده في ذلك اليوم فشاور الباشا عقله بين ان يتك به وحده او ان يخفي ما في ضميره ليمنه يتك بالثلاثة معاً فاقر اخيراً على ارجاء ذلك العمل الى يوم آخر

وفي اليوم الثاني جاء الفرمان بعزله وتولية الدفتدار شعبان بك بصفة قائم مقام يتعاطى الاحكام وقتياً فشق ذلك على الباشا لكنه اذعن وسلم مفاليد الاحكام لشعبان بك فرفع الساجق الى الباب العالي يطالعونه على حقيقة ما حصل في ايام الباشا السابق ويطلبون اليه الاسراع في ارسال

من يخلفه فانفذ اليهم ايوب باشا . وكان قبل ذلك الحين من مأموري السراي الشاهانية . فلما عهدت اليه هذه الولاية تردد في قبولها لما رأى من الاخطار المحذقة بها الا أنه اضطر اخيراً الى قبولها . وقد كان رجلاً حازماً مستقيماً استعان بمأموريه على ادارة الاعمال فلم تمض سنتان على حكمه حتى استتب النظام وسادت الراحة . ثم استقال من ذلك المنصب بعد ان صار وزيراً وعكف على العبادة معتزلاً بالسياسة ومتمثلاً بال دراويش فتنازل عن ممتلكاته في الاستانة للدائرة الخاصة الهابونية وانفرد في احد المعابد في الرومي . فولّى مكانه الوزير محمد باشا بن حيدر سنتين ونصف ولم يحسن الادارة فارتبكت الاحوال

وفي ١٠ رجب سنة ١٠٥٧ هـ ثارت فجة من الانتكارية في مصر القديمة فهتددم والى الشرطة فازدادوا تمرداً فساروا الى الباشا وطلبوا قتل ذلك الوالي ولم يكن ذنبه الا أنه قام بواجباته فوافقهم الباشا على ما ارادوا . اما الوالي فكان من وفاق الجاويشية . فلما علم هؤلاء بعزم الباشا قاموا بصوت واحد يشكون من سوء تصرفه فخاف ان تبلغ هذه التشكيات مسامع الباب العالي فتعود العاقبة عليه وبالآ فاجتمع بقتسوك واستشاره بماذا يفعل وكان هذا من لا يشيرون الا بها يعود عليهم بالمنفعة الشخصية فاشار على الباشا ان يرفع الى الاستانة تقريراً سرياً يشرح فيه كل ما حصل من الارتباكات وينسبها جميعها الى الامير بن رضوان بك وعلي بك وينسب اليهما ايضاً اختلاس مال الخزينة المصرية وانهما سلباه منصب امير الحج وحكومة جرجا كل ذلك لكي يرجع قنسوك وبماماي بك الى مناصبيهما

فباشر الباشا بكتابة ذلك التقرير وطلب الى بعض الاعيان ان يوقعوا عليه فبلغ ذلك مسامع رضوان بك فاسرع الى كتابة تقرير مناقض لتقرير الباشا وبعث به الى الاستانة فوصل قبل تقرير الباشا وفيه ما فيه

من التشكيكات ضد قنسو بك وماماي بك فورد الجواب من الاستانة  
 منوفاً الى رضوان بك وعلي بك امر النظر في تلك القضية وفي ٢١  
 جمادى الاولى سنة ١٠٥٧ هـ ورد الى الباشا الفرمان بذلك وفي ٢٧ منة  
 استدعاهما الباشا الى القلعة فاستدعيا قنسو بك وماماي بك وامرا بقتلها  
 وقتل امراء آخرين كانوا على دعوتها . ولم تكذب تخلص مصر من دسائس  
 هؤلاء حتى ظهرت دسائس مصطفى كنجيا الملقب بالشششير وسبب ذلك انه  
 لم يسم سخيلاً عوضاً من قنسو بك . وفي ٨ رمضان من تلك السنة وردت  
 الاوامر الى علي بك ان يترك القاهرة ويتوجه حالاً الى حكومتو في جرجا .  
 وبعد ذلك بثلاثة ايام استدعي رضوان بك الى وليمة في القلعة بامر الباشا  
 فخاف من دسيسته فاني الحضور فغضب عليه الباشا وجرده من اماره الحج  
 فسار رضوان بك من القاهرة في نحو مائتين من رجاله وفيهم عدة من  
 الامراء والكشاف وتخدم علي بك فبعث الباشا على ائرها الذين من جنوده  
 ونحو خمسمائة من الاكشارية فاجتمع الجند في الرملة واقرؤوا على اغتيال  
 اوامر الباشا . ثم وردت الاوامر من الاستانة بتثبيت رضوان بك وعلي بك  
 في منصبهما . فاضطر الباشا الى استقدام الامير بن فندما الى القاهرة في ١٩  
 رمضان بما لها من الرتب والحقوق فسعى الى مصالحتها مع مصطفى كنجيا  
 وفي ٦ ذي الحجة من تلك السنة شاع في القاهرة ان الوزير مصطفى  
 باشا قد سبي على مصر عوضاً من محمد باشا بن حيدر . وفي ٢٦ منة  
 وردت الاوامر قاضية باعادة محمد باشا الى منصبه . وفي ١٧ رجب سنة  
 ١٠٥٨ هـ توفي السلطان ابراهيم ونولى مكانه السلطان محمد الرابع

وترى في شكل ٧٢ صورة النقود النضبية



للسلطان ابراهيم بن احمد ضربت في القاهرة

سنة ١٠٤٩ هـ

ش ٧٢ نقود السلطان ابراهيم بن احمد

## سلطنة محمد بن ابراهيم

من سنة ١٠٥٨ - ١٠٩٩ هـ او من ١٦٤٨ - ١٦٨٧ م

ويبلغ ذلك التغيير مصر في اوائل رمضان مصحوباً بعزل محمد باشا وتولية الوزير احمد باشا فاستلم هذا زمام الاحكام مدة سنتين كلهما اضطراب وقلقل

واول تلك الفلاقل كانت سنة ١٠٦٠ هـ بسبب تقصير النيل فانه لم يرتفع تلك السنة اكثر من ١٦ ذراعاً فلم يرتو من ارض الصعيد الا الثلث اما الوجه البحري فلم يرتو منه شيء تقريباً. فغلت الاسعار حتى خيف من المجاعة

اما الباشا فلم يكن بهمة الا تكثير الضرائب مع انه لم يكن يرسل منها الى الاستانة الا الثلثين وكان لسوء نيته يرسل تلك المبالغ الى الاستانة في عهدة الامير رضوان بك ليحعل الباب العالي على الشك باماتيه فيتغير خاطر السلطان عليه وكان انما ملكيدته يكتب للباب العالي على التتابع يشكو من تصرف رضوان بك ويطلب تجريدته من امارة الحج وتقليدها لعالي بك. وكان هذا على ما دلت من الصداقة مع رضوان لكنه لم يكن يعلم دساتر الباشا. اما الباشا فكان في نيته ان يوقع الضغائن بين الاميرين فيعمل عري اتحادها لكنه لم يتم مقصده حتى اتى الامر العالي بعزله يوم السبت ٦ صفر سنة ١٠٦١ هـ ورضوان بك لم يرجع الى القاهرة بعد. ولم تكن نتيجة مساعي احمد باشا الا زيادة تألف قلبي ذينك الاميرين وكان من كرم اخلاقها ان كلاً منها كان يتنازل للآخر عن امارة الحج فاعجبت هذه الشهامة المصريين فمالوا بكليتهم الى محبتها وبالغوا في اعتبارها حتى انهم اقاموا لها دعاه عمومياً في الرميطة. والباشا اذ ذاك

محبوس في القلعة ولم يُفرج عنه حتى دفع للخرينة مبالغ وافرة . فتوَلَّى مكانه  
الوزير عبد الرحمن باشا وما زال الى اول شوال سنة ١٠٦٢ هـ . وقد  
قاسى ما قاساه سلفه من السجن والاهانة لانه سار على خطواته . فاختر  
الباب العالي الوزير محمد باشا ليقوم مقامه في ٥ شوال من تلك السنة  
ولكنه لم يدخل القاهرة الا يوم الثلاثاء في ٨ محرم سنة ١٠٦٣ هـ .

وما زالت الولاية تنوالى على مصر ولا شيء من اعماله واحواله يستحق  
الذكر . وفي آخر الامر تحوّل النفوذ كله من ايديهم الى ايدي البكوات  
الماليك . اما الباشوات فكانوا يولون مصر فاذا اتوها لا يكون ديدنهم  
الا اكتساب الثروة باي طريقة كانت ليعلم كل منهم انه لن يعتم حتى  
يأتيه الامر بالعزل وقتلا انعزل احدهم ولم يكن السجن مأواه

### السلاطين سليمان بن ابراهيم واحمد بن ابراهيم

ومصطفى بن محمد

من سنة ١٠٩٩ - ١١١٤ هـ او من ١٦٨٧ - ١٧٠٢ م

فالسلطان محمد الرابع أُقبل من السلطنة في ٣ محرم سنة ١٠٩٩ هـ  
وادع السجن حتى مات ( سنة ١١٠٥ ) وبويع السلطان سليمان الثالث  
وبعد ٢ سنوات توفي ( في ٢٠ رمضان سنة ١١٠٢ هـ ) فبويع السلطان  
احمد خان ويدعى ايضاً احمد الثاني وبعد ثلاث سنوات ونصف توفي  
( سنة ١١٠٦ هـ ) فبويع ابن اخيه السلطان مصطفى خان وهو مصطفى  
الثاني ابن السلطان محمد الرابع . وبعد تسع سنوات تقريباً ( في جمادى  
الاولى سنة ١١١٤ هـ ) أُقبل ونوفي في السجن في محرم سنة ١١١٩ هـ .

## سلطنة احمد بن محمد

من سنة ١١١٤ - ١١٤٢ هـ او من ١٧٠٢ - ١٧٣٠ م

وبويع اخوه احمد خان وهو احمد الثالث وكانت مدة حكمه على المملكة العثمانية نحواً من عشرين سنة . وفي ايامه حصلت ثورات عديدة انتهت بفحول سلطة الباشوات ونزوحهم الى البكوات المالِك وهذه قلعة الجبل قد كانت سجناً للباشوات الذين كانوا يتولون الاحكام ولا يهمهم منها الا الكسب الشخصي

وقد تولى على مصر من سنة ١٠٦٣ هـ الى ١١١٩ هـ اثنان وعشرون والياً اغضينا عن ذكرهم لعدم اهميتهم . وفي سنة ١١١٩ هـ في ايام السلطان احمد خان تولى مصر حسن باشا وكان على القاهرة قاسم عيواظ بك بصفة شيخ بلد

وقد كانت المالِك في مصر على حزينين كبيرين يعرفان بالمالِك الفاسميَّة والفئاريَّة وكان هذان الحزبان لا يتفكان بضاد احدهما الآخر ويحاول كل منهما اكتساب النفوذ له واذلال الآخر . اما اصل هذين الحزين ففيه اقاويل منها انها ينسبان الى اخوين هما قاسم وذو الفقار ولذي سودون احد امراء المالِك في عهد السلطان سليم الفاتح وان السلطان سليم هو الذي نشطها ونشط احزابها وقد ذكر الجبرتي لذلك قصة طويلة لا حاجة بنا الى ذكرها . وبعضهم يقول ان هذين الحزين ينسبان الى قاسم بك الدفتردار وذو الفقار بك الكبير سنة ١٠٥٠ هـ . وكان قاسم عيواظ بك رئيس الطائفة الفاسميَّة وذو الفقار بك رئيس الفئاريَّة . وكان لكل من هاتين الطائفتين صنات مخصصة بها فالفئاريَّة كانت توصف بالكثرة والعزم والفاسميَّة بكثرة المال والجبل . وعلامة الفئاريَّة علم ابيض

ومزاريفه برمانه والقاسمية علم احمر ومزاريفه مجلية

وقد كانت هاتان الثنتان قبل تولي حسن باشا في وفاق تام فلما جاء  
خشي من اتحادهما فعمد الى الدسائس فالتى بينهما الشقاق فحصلت بين  
الطائفتين مواقع دامت ثمانين يوماً فكانوا يخرجون من القاهرة الى مكان  
يعرف بقبة العرب يوماً وبأخذون بالكفاح من شروق الشمس الى غروبها  
ثم يعودون الى القاهرة فيصرفون الليل بسلام في بيوتهم بين نساءهم واولادهم  
ثم يعودون في الصباح التالي الى المحاربة ومن الغريب ان هذه المحاربات  
لم تؤثر في الراحة العمومية مطلقاً فما برحت الاشغال جارية في مجراها  
والحواسن والحازن تنفع وتنفق كالعادة

وانتهت تلك المواقع بوفاة قاسم عيواظ بك فاسف عليه الناس وبكوه  
بكاهم على حاكم عادل او اب حنون بار ولم يبق صديق ولا عدو حتى  
بكاه لانه كان فضلاً عن حكمته وعدله ودعته شجاعاً باسلاً ايّ النفس .  
فاقاموا بعده ابنه اسماعيل بك مكانه شيخ بلد وصادق الباشا على ذلك  
لظنه ان اسماعيل لصغر سنه يكون آله يديه يدبرها كيف شاء فزاد لذلك  
كدر ذي الفئار بك واشتد انتقامه لانه كان يتظر ان يولى هو ذلك  
المنصب . وكان اسماعيل رجلاً عاقلاً حكيماً كوالده عارفاً وجه الريح  
والحق فسعى الى الوفاق مع طائفة النقارية فاتحدت الطائفتان جميعاً على  
الباشا . وقد كان اسماعيل بك من الجهة الاخرى يظهر الطاعة والرضوخ  
لاحكام الباشا بصفة كونه رئيساً عليه لكنه لم ينفك ساعياً سراً الى خلعه  
فكتب عنه الى الاسنانة فجاز بعزله فجاء غيره ثم ابدل باخر فاخر  
واسماعيل بك في منصبه مكتسباً ثقة الرعية فكانوا يجيئون الى ما يشبه العبادة  
وما يحكي عنه ان احد تجار القاهرة في ايامه وكان يدعى عثمان باع  
لاحد النيجية (نسب يعطى للعريس السلطاني) وكان قد اتى القاهرة بما موربة  
مهمة ثلاثمائة قنة بن الى اجل مسمى وكتب عليه بذلك كتاباً فني اثناء مدة

الاستغناء جاء من الاستانة اعلان بخيانة القبطي والحكم عليه بالاعدام حالاً فجيء به الى الباشا وقتله ووضع يده على تركته وفيها البن كما هو . فعلم عثمان التاجر بذلك فعرض لاسماعيل بك بصفة كونه شيخ البلد ما كان من امر البن فاجبر الباشا ان يرجع البن لصاحبه قبل كل شيء . فعلم فاصبح عليه في حال من المنونية لذلك الرجل لا يعرف كيف بيئتها فلاح له ان يهديه علبه مرصعة وبعض الفناطير من السكر التي فرغض اسماعيل بك تلك الهدية وخطب عثمان التاجر قائلاً « اذا كان المال الذي حصلت عليه بواسطتي مالك ولك الحق به فاكون قد فعلت واجباتي والله بكافني فاذا قبلت هديتك اظلم نفسي . اما اذا كان هذا المال ليس لك وانما حصلت عليه بالحيلة فقبولي هديتك بعد مشاركة لك بالخيانة لكي مع ذلك اقبل السكر الذي حملته الي على شرط ان تقبل ثمنه من وكيلي لاني سأمره ان يدفعه اليك »

ويحكى عنه ايضاً انه كان يأدب في ليالي رمضان ما أدبات ليلية يجتمع اليها العلماء والفقهاء والمشايخ وقرآء القرآن ولم يكن يسبح لغير هولاء الحضور فيها . فرأى ذات ليلة بين الحضور رجلاً عليه ملاح الكآبة والياس فاوصى بعض الخدم انهم متى ارفض الاجتماع يأتون بهذا الرجل اليه ففعلوا فلما حضر بين يديه اعطاه قرآناً وامره ان يتلو عليه منه سورة فتوقف الرجل مرتجئاً ثم ترامى على قدمي البك متضرعاً وقال « بعض سيدي البك اني رجل نجار لا اعرف القراءة وانما اتيت الى هنا المأذبة متلبساً بلباس الفقهاء لاملأ جوفي من الطعام فاني في حالة من النافة شديدة » فانصفه ولم يكتف بالاعضاء عن ذنبه هذا لكنه جعله في عداد خدمته وجعل لعائلته راتباً معيناً وصار هذا النجار بعد ذلك من اصدق الخدمه وأكثرهم غيرة وهمه

وما زال اسماعيل بك في منصبه هذا مدة ست عشرة سنة تغلب اثناءها

على مصر عدة باشوات لم يكونوا إلا أسماء بلا رسم . وكان لحسن سياسته موقفاً الفقار بين عن كل حركة لتظاهره انه على وفاق معهم فلم يجعل لهم فرصة يتحدون بها عليه إلا انه ارتكب خطأ واحداً آل الى قتله . وذلك ان احد المالك النفارية واسمه ذو الفقار كان له عقار كافٍ للقيام بنفقات عائلته فاخذ منه احد المالك القاسمية وهم ماليك اسماعيل بك فرجع ذو الفقار دعواه الى شيخ البلد ( اسماعيل بك ) فلم يصع لطلبه واقراً على العقار لمملوكه فشق ذلك على ذي الفقار فرجع دعواه الى زعيم النفارية ويقال له شركس بك وكان خصماً لاسماعيل بك بالنظرة فسار الى الباشا وتخابر معه بشأن نصرف اسماعيل بك وكان في قلب الباشا حزازات من الحسد فوافقه على الايقاع به ثم قال له « ليس لك وسيلة افضل من ان تبعث احد ماليكك وتأمرة ان يقتل هذا الرجل وانا اعدّه ان يكون له جميع ما يتركه من المال والنساء مكافأة لانعائه »

فوافقه على رأيه وعين لتلك النعلة اول يوم يجتمع فيه الديوان وامر مملوكه ذا الفقار ان يستعد لاجرائها فقبل اعتماداً على وعد الباشا ففي اليوم المعين سار ذو الفقار ودخل الديوان وفيه اسماعيل بك فتقدم اليه وقبل يده قائلاً « ارجوك ان تأمر بارجاع عقاري اليّ » فاجابه اسماعيل بك منتهراً « سننظر في طلبك هذا » فاتح عليه فانهره فاستل خنجرًا ماضيًا بقر به بطنه فتدفقت امعاؤه ومات لساعته في وسط الديوان فهجمت رجال الباشا وقتلوا كل من كان هناك من رجال اسماعيل ولم ينج منهم الا سربع العدو . هكذا كان انتهاء حكم اسماعيل بك سنة ١١٢٦ هـ فنقلت جثته الى بيته ثم دفنت بجانب جثة ابيه بجوار باب اللوق

فنولى مشيخة البلد شركس بك واستولى ذو الفقار على جميع ممتلكات اسماعيل بك ونسائه كما كان موعوداً من الباشا فاصبح رجلاً عظيمًا يشار اليه بالبنان وفي خدمته مئات من المالك فحافه شركس بك واخذ يسعى

الى اذاقته ما اذاقه لاسماعيل بك فعلم ذو الفقار بتلك الدسائس فجمع اليه رجاله وفيهم عدة من الرجال العثمانيين وهمج على شركس بك فحصلت بينهم موقعة لم يستطع رجال شركس الثبات فيها اكثر من ربع ساعة فقتل معظمهم وفرّ الباقون ومعهم زعيمهم يطلبون الصعيد وهو الملقب بالوحيد للبكوات المغضوب عليهم

فوقى ذو الفقار مكانه مع لقب بك بعد ان اقرّ الباشا على ذلك فاصبح ذو الفقار بعد قليل عدواً للدلكل اترابه البكوات وعلى الخصوص لابي دفة (سي بذلك لانه كان يتشح برداء كبير يقال له دفة) ثم ابي ذو الفقار بك ان ابا دفة ساع الى اهلاكه وقد حاول ذلك مراراً ولم ينجح . ثم ان شركس بك جمع اليه دعانة في الصعيد وسار بهم نحو القاهرة فارسل ذو الفقار بك عثمان كاشف احد كبار قواده في فرقة من المالك لمحاربتهم فتم قتل شركس بك ورجاله مراراً حتى لحق به بلاد البربر . فسكر ذو الفقار من خيرة النصر واخذ في الانتقام من البكوات الذين في القاهرة فكان يقتل منهم كل من يظن فيه الانتماء الى شركس بك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً فاتحد من بقي حياً منهم مع رئيس الشرطة والاعا رئيس الانكشارية وبعثوا الى شركس بك بما كان من فعلة ذي الفقار ونعاهدوا جميعاً على محاربتهم وانضم اليهم مصطفى الفرد وكان من اعداء ذي الفقار ومعه جماعة من الرجال الاشداء فقدم شركس بك الى القنطرة المصرية فعلم ذو الفقار بذلك فجمع اليه العلماء والمشايخ وشاورهم في الامر فاجمعوا على عدم مناسبة الهجوم في تلك الحال الا اذا تاكد الفوز فلم يصغ لمشورتهم فارسل عثمان بك احد قواده لمحاربة شركس بك فحصلت بينها قتل فيها مصطفى الفرد وغرق موقعة شركس بك في النيل وهو يحاول الفرار فبعث عثمان بك برأسها الى ذي الفقار . اما هذا فلم يهنأ بذلك النصر لانه قتل بعد قتل عدوه شركس بيومين بمكبدة اعدت له بمساعي البكوات

في القاهرة وذلك انهم البسوا واحداً منهم دفية وجاؤا به الى بين يدي  
ذي النقار وقالوا له هذا ابو دفية قد جعله الله في ايدينا وكانوا قد جعلوا  
تحت دفتيه عيارين نارين فلما وقف بين يديه اطلقها عليه دفعة واحدة  
فسقط ذوالنقار مضرّجاً بدمائه في وسط ديوانه سنة ١١٤٢ هـ فعلم عثمان  
بك بما اصاب رئيسه فهرع الى الاخذ بناأره فدخل القاهرة وجعل ينتك  
بكل من يصادفه في طريقه فخافه الجميع

ثم ان محمد بك احد البكوات الذين كان يترقبهم عثمان بك رأى  
منصب شيخه البلد خالياً فطعم فيه فتعاهد مع صالح كاشف صديقه على ان  
يقتلوا كل من بقي من زملائه البكوات بمكيدة ينصبها لهم فأدب محمد بك  
مأدبة فاخرة دعاهم اليها فلبوا دعونه ثم علموا بمكيدته فقاوموه مقاومة شديدة  
ومكّنوا من قتلوه فينس صالح كاشف من مرافقه الى القسطنطينية بعد  
ان شاهد رؤوس البكوات ملقاة على الطريق امام جامع الحسينين . ثم  
غضب هذه الفلأقل ضربة اشد وطأة وهي الوباء الذي اصاب مصر في  
تلك السنة وبدعى طاعون الكبي فانه انتشر في البلاد انتشاراً سريعاً  
وفتلك بالعباد فتكاً ذريعاً . ورافق كل هذه الضربات عزل السلطان

احمد الثالث في جمادى الاولى

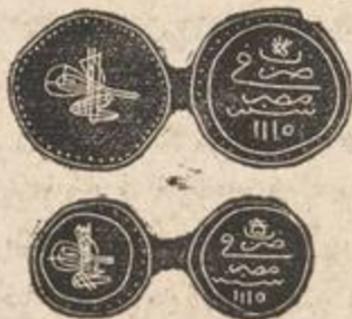
سنة ١١٤٢ هـ

وترى في شكل ٧٤ صورة

النقود الذهبية للسلطان احمد بن

محمد مضروبة في القاهرة بتاريخ

سنة ١١١٥ هـ



ش ٧٤ نقود السلطان احمد بن محمد

## سلطنة محمود بن مصطفى

من سنة ١١٤٢ - ١١٦٨ هـ او من ١٧٢٠ - ١٧٥٤ م

وبعد عزل السلطان احمد يوبع ابن اخيه محمود بن مصطفى خان وهو السلطان الرابع والعشرون من بني عثمان وبدعوه بعضهم محمود الاول وبقي هذا على كرسي السلطنة خمس وعشرين سنة . اما الباشوات الذين كانوا يتولون مصر في ايامه فلم يكونوا اكثر اهلية من اسلافهم وكانت الاحكام قائمة بمشاخ البلد وفي بدم الحل والعقد لا يستطيع الباشوات معارضتهم في شيء

فبعد قتل ذي الفقار بك تولي مكانه عثمان بك المتقدم ذكره فرقى كثيرين من مماليكه الى رتبة البكوية ليقوموا مقام الذين هلكوا بالحوادث الاخيرة . وكان عثمان بك عادلاً حازماً ولكنه كان صارماً لا براعي في تنفيذ العدل جانباً فعلم مرة ان احد بكواته سعى في اقليمه ظلماً فاستدعاه اليه واذ تحققت ارتكابه قطع رأسه . وبجكي عن عثمان بك حوادث كثيرة تشير الى حزمه واستقامته وقسطه لا بأس من ذكر بعضها على سبيل النموذج

بجكي ان حمارة من حماري القاهرة اراد ترميم مزود حماره وبينما كان يرصمه عثر في احد جدران البيت على وعاء مملوء ذهباً ففرح جداً واخذ الوعاء برمته وسلمه الى امرأته واوصاها ان تكتم الامر لئلا يتكشف للحكومة فتأخذ المال منه لان لها وحدها الحق بالاستيلاء على مخزونات الارض . فلم يسع الامراة الا انها طلبت من زوجها ان يبتاع لها مصاعاً وثياباً فاخره لتنتع بتلك الهبة فابي زوجها اجابة طلبها خيفة ان يفود ذلك الى كشف الحقيقة فاغناظت الامراة واسرعت لساعتها ووشمت بزوجها الى عثمان بك

فاستدعى الحبار وبعد ان سمع حفيظة الحال صرفه قائلاً « احفظ ما وهبك الله وطلق امرأتك وعش بسلام »

ولما جاء الوباء الى مصر كان عثمان بك في اول حكمه قرأى الجوع الذي عذب الوباء ففتح مغازنه وخزائنه وفرق الاقوات والاموال في الناس الا انه مع ذلك لم يستطع النجاة من مكابد ذوي المطامع وفي مقدمتهم انزاهيم واسماعيل رضوان الاول كنجيا " الانكشارية والآخر كنجيا العزب وكان كلاهما من المالك الواحد من طائفة التزدغلية والاخر من طائفة الجلنية . واصل الطائفة الاولى مملوك يقال له التزدغلي كان سرورجيا واصل الطائفة الثانية احمد الجلني كان في بادئ امره شبالا واعناه الله بطريفة في غاية الغرابة ولا بأس من ذكرها وهي

جاء احد المالك الى بعض معاصر الزيت ليبنتاع منها ما يتوم بموتة بينه من السنة وكان احمد الجلني شبالا في تلك المعصرة فابتاع المملوك الزيت واستأجر احمد لحميله فحمله وسار معه وما زال حتى بلغا بيته فانزل الحمل ووقف ينتظر اجرته فجاءه المملوك وطلب اليه ان يساعده في اخفاء مبلغ من النود في احد جدران البيت والح عليه ان يكتم الامر سرا واعطاه بضعة دراهم مكافاة لذلك فساعده واخذ الدرهم وسار في سبيله حامدا شاكرآ . وبعد مضي ثلاثين يوما اتفق له المرور بالقرب من ذلك البيت فشاهد ثم جماهير مجتمعة . ثم علم ان ذلك المملوك توفي وقد عرضت تركته للبيع . فتقدم احمد وابتاع البيت الذي فيه الحنابة وبعد ارفضاض الجميع استخرج النود وسار بها الى قريته ( جلف ) في مصر العليا وامتلك ممتلكات كثيرة ثم انسعت ثروته وما زال حتى اصبح زعيما لعصابة كبيرة نسبت اليه

( ١ ) ويكتب ايضا كغدا وكان لكل وجاق كنجيا وفي عهدته ملاحظة شرطة ذلك الوجاق وقفاياه

وقد كان ابراهيم واسماعيل رضوان في بادئ الرأي على نيايت كلي  
بالادييات والمادييات فكان ابراهيم في ضيق من المعاش مع اقدام وبسالة  
ومطامح كبيرة . اما اسماعيل فكان غنياً بليداً لا يهيمه الا التمتع بالملذات  
والشهوات . فكان ابراهيم في احتياج الى اسماعيل ولذلك كان يتفرب  
منه . ثم تزوج ابراهيم ابنة محمد البارودي احد التجار الاغنياء واخذ  
معها مالا كثيراً فتمكن بذلك من التداخل في بيت شيخ البلد والقاه  
المفاسد فيه بواسطة عدة من المماليك والاتراك وغيرهم من ذوي الرتب  
الذين كان يستعملهم آله بيده لتنفيذ ما ربه . ثم تأتي له الارتفاع الى رتبة  
البكوية مع صديقه اسماعيل رضوان واتخذ الاثنان معاً على السراة والضراء  
وحدوا ممتلكاتهما واجتروا بالسواء من محصولاتها

فاوجس عثمان بك خيفة من سرعة نمو ثروتها وملافة لما كان  
يخشى حدوثه من طموح انظارهما جمع اليه ثلاثة احزاب احدها حزب  
ابراهيم بك القطامش وفيه ثلاثة بكوات . والثاني حزب علي بك الدماطي  
وفيه بكان . والثالث حزب علي كنجيا الطويل وشاورهم في الامر فافروا على  
وجوب قتل ابراهيم بك وكان اذ ذاك كنجيا الانكشارية ورضوان بك .  
فوافقوه على ما اراد الا ان احمد السكري وكيله وكان من مماليك ابراهيم  
بك فلم يتمكن كتمان ذلك عنه فجاء اليه واخبره بجميع ما كان من  
التواطؤ على قتله وقتل رفيقه فسار للحال الى رضوان بك واخبره ونشاوروا  
بشأن ذلك ففروا اعداد مكيئة يقتلان بها عثمان بك فبعنا له جواسيس  
يترصدونه في طريقه الى القلعة فمر فوثبوا عليه ففر بجواده حتى دخل القلعة  
ولم يظفروا به فلاقاه وكيله وقد اضمر له الشر فسأله عما ألم به فاخبره  
بما كان فكلمه بلسان الثعلب ناصحاً له ان يبارح المدينة حالاً لان الناس  
قد ثاروا جميعاً يطلبون قتله وما زال حتى اقتعه ففر الى سوريا وسار هو  
برفقته حتى اذا دنوا من غرق نعي احمد عن الطريق واخنياً في قرية يقال

لما الاشرية بدعوى انه يريد استطلاع الاحوال لحماية لعثمان بك فترص  
 هناك مدة ثم عاد الى القاهرة بمن معه من المالك وسار الى ابراهيم بك  
 واعلمه بما فعل فكافاه على تلك الخيانة برتبة البكوية . وم الاهالي الى  
 بيت عثمان بك فاحرقوه واقتسموا تركته اما هو فوصل سوريا وحده  
 وسار منها الى الاسنانة فولي بروضة وليت فيها حتى توفاه الله . وجميع هذه  
 الحوادث توالى في مصر اثناء سنة ١١٥٦ هـ

فبعد اخراج عثمان بك من مصر صعد الجوال ابراهيم كحيا ورضوان  
 بك فعلا على اباداة الاحزاب التي كانت متآمرة عليها فاخذ رضوان بك  
 على نفسه اهلاك علي كحيا الطويل فامر احد مالكيه ان يقتله بالرصاص  
 في وليمه حافلة فلبى المملوك الامر لكنه اخطأ الرمي وعضا من ان يصب  
 عليا اصاب مملوكه الذي كان يجانبه فقبض عليه وقتل للحال . اما ابراهيم  
 كحيا فتعهد باهلاك من بقي من الاحزاب وقد كان على ولاية مصر اذ ذلك  
 كيور احمد باشا فطلب اليه ابراهيم ان يوافق على اباداة البكوات فوافق  
 وربما كان ذلك لخوفه منه اولان ذلك يعود عليه بالنفع الشخصي واستعانوا  
 بالنفود فيندلوا فسهلت مشروعهم حتى انهم قتلوا علي بك الدمياطي بيد  
 وكيله سليمان في وسط الدبوان وقد وعدم هذا بتسليم رؤوس البكوات  
 الاخر من احزابو . فامر ابراهيم كحيا ورضوان بك ان تنقل جميع منافذ  
 القلعة على من فيها من البكوات المنوي قتلهم وجعلوا على بابي الانكشارية  
 والعزب جندا . وحافظ سليمان على وعده فبوشر بالمذبحة واول من قتل  
 فيها خليل بك من دعاة الدمياطي ومحمد بك من دعاة القظامش وكثيرون  
 غيرهم وحاول علي بك وعمر بك البلاط الفرار فقبعها الباشا بنفسه ثم لاقها  
 ابراهيم ورضوان وقتلها عند باب القلعة ولم يدفن من القتل الا محمد بك  
 و خليل بك

ولم يبق من مناظري ابراهيم كحيا ورضوان بك الا ابراهيم القظامش

وعلي كنجيا الطويل فالاول مات من الحزن بعد مدة قصيرة والثاني هاجر من تلقاء نفسه ناركا الدار ومن بناها . فصفا الجوا ل ابراهيم كنجيا فتولى مشيخة البلد وسى رضوان بك اميراً للبحر . ثم جعلاً بتبادلان هاتين الوظائفيتين كل سنة وعاد كل منهما الى ميله الطبيعي ابراهيم الى مطامعه ورضوان الى ملاهيه . فاخذ ابراهيم كنجيا بمنهن الاحكام ويستخدمها لاسترجاع ما بذله للحصول عليها فلم يغادر وسيلة الا استخدمها في سبيل مطامعه من قتل وقتك فابتداً بسليمان قاتل علي بك الدميحي فحجر عليه في القلعة ولم يفرج عنه حتى استرجع منه كلما كان اعطاه من النقود . ثم باغت من بقي من الاغنياء في القاهرة ووضع يده على ممتلكاتهم بعد ما قتل بعضاً منهم ونفى البعض الآخر . فاستولى في يوم واحد على اموال نحو من ثمانين بيتاً من بيوت القاهرة ووضع يده على جميع محصولات البلاد والكارك والقرى والمخازن حتى الحوانيت الصغيرة ويقال بالاجمال انه لم يبق ولم يذر

وكان كبير احمد باشا قد استدعي الى الاستانة وولي حكومة قبرص فاقبم مقامه في القاهرة باشا آخر سنة ١١٥٦هـ فعامله ابراهيم كنجيا بالاحقار فخذ عليه . ثم اتفق غياب ابراهيم في قافلة الحج الى مكة فاعنتم الباشا فرصة غيابه وتواطأ مع حسين بك الخشاب على مكيدة يعدونها ل ابراهيم فانفقا على ان يقوم الخشاب بما يلزم لقتل ابراهيم ورفيقه رضوان وان يكافئه الباشا على ذلك بمشيخة البلد . فلما رجع ابراهيم سعى الخشاب الى اتمام وعده ففاز بالقبض على الاثنين فمجنهما في القلعة فولاه الباشا مشيخة البلد الا انه لم يهنأ بها لان دعاه ابراهيم كنجيا اتحدوا وهجموا دفعة على حسين بك والباشا واخرجوا المسجونين ففر الخشاب الى مصر العليا واخناً في ابريم من نوبيا . اما الباشا فاستدعي الى الاستانة فعاقبه السلطان عقاباً انتهى بالموت

وكان يملك ابراهيم كنجيا على اكثر من التي مملوك وفي جملتهم علي  
الذي سيلقب بعلي بك الكبير ويكون له شأن عظيم بهذا التاريخ وسترى  
في سيرته انه من افراد الدهر حزمًا وبطشًا وحكمة. وكان علي بك بين ماليك  
ابراهيم كنجيا بصفة لسخدار آغا وكان ابراهيم كنجيا يحبه كثيرًا ويعتبره حتى  
جعله ناقل سيفه. وما زاده اعتبارًا له انه استصعبه مرة في مسيره الى الحرمين  
في قافلة وكان برتبة كاشف وقد سار قائدًا لتلك القافلة فلاقاه في  
الطريق سرب من اللصوص فدفعهم علي بقلب لا يهاب الموت فلقبوه  
بالنجي. ولما رجع ابراهيم كنجيا الى القاهرة نوى على مكافئة علي بقلب بك  
إلا ان صغر سنه ودسيسة الخشاب حالًا دون ذلك. ثم عقب ذلك  
شاغل آخر اكثر اهمية زاد الامر تأخيرًا وذلك انه جاء القاهرة خبير  
وصول باشا جديد الى الاسكندرية بدلًا من الباشا الذي أخرج منها. وكان  
من عادة الحكومة في مصر اذا علموا بمجيء باشا جديد بعثوا وفدًا بلاقونه  
في الاسكندرية وفيهم العيون والجواسيس فيحيطون به يستطلعون  
مقاصده ونواياه وما في يده من الاوامر السلطانية فاذا رأوا تلك الاوامر  
سلمية ومقاصده حسنة تأهلوا به وفخوا له الطريق حتى يصل بولاق  
فيحتمل الامراء بلقائه. اما اذا استطلعوا من احواله غير ذلك بلغوا الامراء  
بالقاهرة فيجتمعون ويقررون اعلانه ان يقف حيث هو ويمجرون الي  
ديوان الاستانة بعدم مناسبة ذلك الباشا الجديد وان بقاءه في مصر مخل  
بالنظام العمومي او ربما حمل الاهالي على الثورة. ثم يطلبون استبداله  
بآخر اكثر مناسبة للبلاد منه

فلما اتصل بهم خبير قدوم هذا الباشا واسمه راغب محمد باشا سار شيخ البلد  
بنسوه لاستقباله ومعه البكوات ثم اجتمعوا جميعًا بجلاسة رسمية واقسموا على  
الطاعة والاخلاص لامير المؤمنين وكان قد خلع على كل منهم خلعة كالمتعاد.  
واحب الامراء راغب باشا محبة عظيمة لانه عرف كيف يعامل شيخ البلد

فاحبته الرعية ومالوا بكلينهم اليه فصرف بين ظهرانيهم سنتين كهما سلام  
وطائفة حتى اجمع البكوات على استبقائه بينهم طويلاً  
وبيناهم في مثل ذلك ورد الى الباشا خط شريف (١) ان يسعي  
جهده الى قطع دابر البكوات وفي حملتهم شيخ البلد وكل من يلوذ به  
فاستخج الباشا من نص ذلك الخط ان ديوان الاستانة مشبهة بتصرفه في  
مصر وانه قد وثي به الى جلالة السلطان ان اتفاقه مع بكوات مصر ليس  
الامن قبيل عزمه على استخدامهم في مآربه بالاستقلال بحكومة مصر  
واخراجها من طاعة الدولة العلية . فوقع في حيص ويص وتردد بين ان  
ينفذ الاوامر الشاهانية جهاراً معاً في ذلك من الخطر وما يحول دونه من  
المصاعب او ان يعصاها او يؤخرها فيعرض حبانة للخطر ويؤيد  
التشكيات التي تقدمت بجنوه . وبعد ان نظر في المسألة من سائر وجوهها  
قرّر في ذهنه افضلية التمسك باصدقائه البكوات فتراطاً مع زمرة من رجاله  
انه متى اجتمع البكوات في مجلسه فليكونوا على استعداد للهجوم عليهم دفعة  
عند اول اشارة ففعلوا ما امرهم به لكنهم لم ينوزوا كل النوزلان ثلاثة من  
البكوات تمكنوا من النجاة وفي مقدمتهم شيخ البلد بعد ان جاهدوا الجهاد  
الحسن واوسعوا الباشا ثريباً على فعلته هذه التي لم يكونوا يتظنونها منه  
بعد ان اظهروا نحوه من اللطف والصدقة والاخلاص ما قدر رأيت . فبرأ  
ساحته باطلاعهم على الفرمان السري الوارد له بهذا الصدد فكثفوا عن  
الاتقام منه لكنهم عزلوه وحرروا الى الاستانة يطلبون من يقوم مقامه .  
وفي الحال عينوا ثلاثة بكوات في مكان الثلاثة الذين قتلوا بتلك المكيمة .  
واستغنم ابراهيم كجيا هذه الفرصة لترقية علي كاشف فرقاءه الى رتبة بك فساء

(١) يقصدون بالخط الشريف الاوامر الصادرة من جلالة

ذلك الترتي أحد البكوات المدعو ابراهيم بك وكان شركسي المولد ولذلك كان يعرف باسم ابراهيم بك الشركسي وكان من دعاة ابراهيم كنجيا لكنه عند ذلك تظاهر بعدا وتوثقت بينهما الضغائن التي لم تنته الا بقتل ابراهيم كنجيا بعد ذلك الحين بخمس سنوات بيد ابراهيم بك الشركسي المذكور سنة ١١٦٨ هـ . وفي تلك السنة توفي السلطان محمود بن مصطفى

وترى في شكل ٧٥ صور

نفود السلطان محمود بن مصطفى  
مضروبة في القاهرة بتاريخ سنة  
١١٤٢ هـ فالاولى منها ذهبية وهي  
صورة النطعة المعروفة باسم  
زر محبوب او سكوبن والثانية ذهبية  
ايضا وهي نصف سكوبن او نصفية  
والثالثة صورة النطعة النحاسية  
المعروفة بالمجديد



ش ٧٥ نفود السلطان محمود بن مصطفى

### سلطنة عثمان بن مصطفى

من سنة ١١٦٨ - ١١٧١ هـ او من ١٧٥٤ - ١٧٥٧ م

فيوبع اخوه السلطان عثمان بن مصطفى وبدعوه بعض مؤرخي المغرب عثمان الثاني وهو بالحقيقة عثمان الثالث وبني على كرسي الخلافة ثلاث سنوات فقط . فنفى ابراهيم بك الشركسي غليله بقتل ابراهيم كنجيا لكنه لم يرو مطامعة لان مشيخة البلد انتقلت الى رضوان بك صديقي

ابراهيم كنجيا . ثم ظهر له مناظر آخر من زعماء حزب ابراهيم كنجيا يقال له  
 حسين بك اصبح بعد قتل الكنجيا اكبر زعماء ذلك الحزب فادعى لنفسه  
 الاولوية بمشيخة البلد فلم تقبل دعواه فجمع اليه عدداً من دعائه المالك  
 وصعد الى قلعة القاهرة واستولى على بطارية من المدافع تشرف على بركة  
 النيل حيث ينيم رضوان بك فاطلق عليها قنابل خرقت جدرانها فتداعت  
 اركانها

وكان رضوان بك اذ ذاك مشغولاً بحلقة لجنته . فلما احسن بالامر  
 امنطى جواده لكنه لم يعل ظهره حتى اصيب برصاصة كسرت فخذهُ الا انه  
 تمكن من الفرار معه بعض المالك الى قرية الشيخ عثمان وهناك توقف  
 عن المسيرازيادة الالم وبرفقته رئيس الضابطة وكان مجروحاً ثم توفي  
 الاثنان ودفنا معاً . فسمي حسين بك من ذلك الحين شيخ البلد وجعل  
 يتقرب من اترابه البكوات لكنهم كانوا لا يزيدون منه الا نفوراً ولم  
 تمض بضعة اشهر من توليته حتى كمنوا له في مكان مصاطب الشباب في  
 السهل الواقع بين القاهرة وارضى ابراهيم بك وقد كان هناك مشغلاً  
 بعرض جنوده المالك فمهاوىه وذبحوه ثم قطعوه ارباباً ومن ذلك الحين  
 صار يعرف بحسين بك المقتول . فتولى مكانه خليل بك واشتهر بحب  
 القتل وكان متظاهراً بالعداوة والحسد لعلي بك على الخصوص لانه علم  
 انه اشد اعدائه عزماً

### سلطنة مصطفى بن احمد

من سنة ١١٧١ - ١١٨٧ هـ او من ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م

وفي سنة ١١٧١ هـ تولى الخلافة العثمانية مصطفى بن احمد وهو  
 مصطفى الثالث . وبالحنيفة ان علي بك كان لشدة اخلاصه لابراهيم كنجيا

لا ينفك ساعياً الى الانتقام له ولكنه كان واضعاً امام عينيه ان السبيل  
 الاقرب والاسهل لبلوغ مرامه انما هو القوة . فاخفى ما في ضميره مدة ثلثي  
 سنوات كان اثناءها منشغلاً بجمع القوة فابتاع عدداً وافراً من المالك  
 وتداخل مع البكوات الآخرين واكتسب ثقتهم بما كان يظهره من الغيرة  
 عليهم والاخلاص لهم وما كان يكرمهم به من الهدايا وما زال يخطو  
 خطوة بعد اخرى حتى اقترب من النقطة المطلوبة فاجس خليل بك  
 خيفة منه وجعل يتبعه بالارصاد والعيون وبعد له المكابد في شوارع  
 القاهرة في ذات يوم هجم عليه حسين بك كشكش بامر خليل بك  
 وبعد موقعة هائلة اضطر علي بك ان يفر الى الصعيد في جملة من اصدقائه  
 البكوات يستعد للانتقام انتقاماً مضاعفاً

فصرح خليل بك ان علي بك ومن تابعه من البكوات مجردون من  
 رتبهم وحتوقهم وولّى بمناصبهم بكوات من ذويه وقتل كل من ظفر به في  
 القاهرة من اصدقاء علي بك او المنتمين اليه . اما علي بك فلاقي في  
 الصعيد احد ماليك مصطفى الفرد يدعى صالح بك كان منياً الى هناك  
 وفي قلبه من خليل بك حزازات فاتحد الاثنان ورجالهما وزحنا الى القاهرة .  
 فخرج خليل بك وحسين بك كشكش لمقاتلتها فدارت رحى الحرب فكان  
 الفوز لعلي بك ورفيقه فتبعوا خليل بك ورجاله حتى قطعوا بهم مدبرية  
 الفليوية واصلوهم الى المسجد الاخضر على ضفاف النيل واشتد الكفاح  
 هناك فاضطر خليل بك ورجاله الى الانجاء الى طنطا فبعث علي بك  
 كاشفة محمد الملقب بابي الذهب ليهاجمهم فهاجمهم واستلم طنطا بعد ان قتل  
 حسين كشكش . اما خليل بك فاخنياً بالمسجد وبقي فيه وقد داهمه الجوع  
 ثم قبض عليه ونفي الى الاسكندرية ثم خنت هناك . اما رؤوس القتلى  
 فنقلوها الى القاهرة وطافوا بها في اسواقها

## علي بك الكبير

من سنة ١١٧٧ - ١١٨٢ هـ أو من ١٧٦٣ - ١٧٧٤ م

فتمكن علي بك بهذا الانتصار من استلام مشيخة البلد في القاهرة وذلك سنة ١١٧٧ هـ وأول أمر بإشرفه قتل ابراهيم الشركسي الذي قتل سيده فثار عليه احزابه يطلبون الانتقام وكانوا عديدين فخاف علي بك على حياته ففر من القاهرة حالاً طالباً سوريا فالتجأ الى منسلّم (حاكم) بيت المقدس وكانت بينها صداقة قديمة الا ان هذا المنجّل لم يحمه الا مدة شهرين لان اعداءه البكوات لما علموا بمفره شكوه للسلطان مصطفى واخبروه بمفره فانفذ الى منسلّم المقدس فرماناً يأمره بان يرسل علي بك تحت الحجز الى الباب العالي . فعلم علي بك بذلك ففر الى عكا وهناك اكتسب صداقة الشيخ ضاهر بن عمر امير تلك المدينة المحصنة فآكرم وفادته وسعى الى تبرئته امام الباب العالي وبمساعدة نصرائه من اصدقاء ابراهيم كحيا تمكن من نوال العفو عنه من لدن الحضرة الشاهانية فانغيت الاوامر بالنقض عليه واعيد الى القاهرة في منصبه الاول وفي سنة ١١٧٩ هـ اي بعد ذلك الحين بستين هُدد علي بك بالاقالة من ذلك المنصب . وكيفية ذلك ان محمد راغب باشا الذي كان علي مصر وعزل منها على ما مر بك كان لا يفتقر عن تذكار كرم اخلاق علي مذ كان كاشفاً . فبعد استقالته من مصر ولي بر الاناضول وبعد تسع سنوات ارتقى الى رتبة صدر اعظم بامر السلطان مصطفى الثالث وما انك مع ذلك متذكراً صداقة علي بك لا يفتقر عن معاضدته وتسهيل مشروعاته سرا وجهراً . ففي سنة ١١٧٩ هـ توفي الوزير راغب محمد باشا فاصح علي بك في احتياج لمن يعضده . فاغتنم اعداؤه هذه الفرصة ووشلوه الى

الاستانة فاضطر علي بك ان يفرّ الى اليمن لكنه لم تأت سنة ١١٨٠ هـ حتى عاد الى القاهرة واسترجع منصبه بمساعدة احزايو وموت اربعة من دعاة ابراهيم الشركسي . ثم تراءى له ان صديقه صالح بك قد حدثه نفسه بجرق حرمة الصداقة واتباع داعي المطامع الشخصية فوكل امرقلوه الى احد اتباعه المدعو ابراهيم كاشف فقتله طعنًا وسترى ان ابراهيم هذا سيربني حتى يتولى مشيخة البلد

ثم رأى علي بك ايضا ان قبائل العربان في مصر السفلى قد شقت عصا الطاعة فانذ اليها احد ماليكه المدعو احمد في فرقة من الرجال فحارب اولئك العربان وامعن في قتلهم حتى لقبوه بالجزار وهو الذي نولى عكا بعدئذ واشتهر هذا الاسم هناك بالعسف والجور . اما من بقي من اعداء علي بك فاضطربوا خوفاً ولزموا السكوت والطاعة فارتاح وتحقق تخلصه من النفاق والمفاسد والمقاومات . الا انه رأى من باب الاحتيال والحرص ان يرقي ثمانية عشر مملوكاً من اتباعه الى رتبة البكوية يكونون له نصراء وقت الحاجة وهذه اسماؤهم

- |      |                |           |
|------|----------------|-----------|
| (١)  | رضوان ابن اخيه | من جورجيا |
| (٢)  | علي الطنطاوي   | » »       |
| (٣)  | اسماعيل        | » »       |
| (٤)  | خليل           | » »       |
| (٥)  | عبد الرحمن     | » »       |
| (٦)  | حسن            | » »       |
| (٧)  | يوسف           | » »       |
| (٨)  | ذوالنقار       | » »       |
| (٩)  | عجيب           | » »       |
| (١٠) | مصطفى          | » »       |

١٦١ صورة ختم سليمان بك  
ب



من اماسيا	(١١) احمد الجزار
انكشاري	(١٢) سليم آغا
»	(١٣) سليمان كجيا
شركسي	(١٤) لطيف
»	(١٥) عثمان
»	(١٦) ابراهيم
»	(١٧) مراد

ولهذين الاخيرين شأن في هذا التاريخ لانهما ستهنازعان السلطة في مصر  
(١٨) محمد

وكان بعزّه أكثر من الجميع وستراه رجلاً عتوقاً ناكراً للجميل . فلما تقلد  
محمد هذا البكوية ولم يكن قبل ذلك الا كاشفاً لقب باي الذهب فاحب  
ان يجعل هذا اللقب اسماً على مسمى فجعل يتظاهر بالكرم المفرط فكان  
بدلاً من ان يفرق العطايا بالبارات يفرقها بالارباع

اما علي بك فكان ساهراً على مصلحة البلاد سهرًا تاماً وكان مخلصاً  
في كل اعماله فطهر البلاد من اللصوص وسعى كل ما في جهده لاصلاح  
شؤونها فساد الأمن فيها بعد ان كانت معرضاً للفلاقل والمناسد . ولم  
يكن ذلك كل مطامع علي بك فانه رأى من تحامل الواشين بينه وبين  
ديوان الاستانة وايقاع ذوي الاغراض به وبسلطنته ما حمله على السعي  
الى الاستقلال بمصر وتجريدها من حماية الدولة العثمانية كية لكنه كتم  
مقاصده هذ وجعل يسعى الى تنفيذها تحت طي الخناء واول خطوة  
خطاها نحو هذ الغاية انه اشغل اسباباً مختلفة بنى عليها عزل اوابعاد  
جميع مستخدمي الملكية والجهادية ورؤساء الوجاقات واستبدالم بهم  
على دعوتهم الا وفاق الانكشارية فانه لم يسه ذلك بعد ان تمكن من  
استبقائه تحت حمايته وسد جميع السبل التي يمكنه به التطرق الى مقاومته

واخر دفع مرتبات الوجاقات الاخرى عمداً فكان يدفع لهم اقساطاً عملة ورق بول وكانت تخسر الماية من هذا الورق تسعين فكان يربح علي بك ارباحاً عظيمة باسترجاع الورق بالاثمان البخسة وصرفه ثانية بثمنه الاصلي . فلما رأَت الوجاقات انهم لا يستولون من ماهياتهم الا على العشر كرهوا الاستخدام بالعسكرية وجعلوا يستقبلون منها شيئاً فشيئاً ويتعاطون اشغالاً اخرى اكثر فائدة لهم

ثم سعى علي بك الى تقليد العساكر العثمانية وتكثير المالك من دعائه . فيقال انه جعل عددهم نحواً من ستة الاف وحظر على سائر البكوات والكشاف الذين يخشى من تغيرهم عليه ان يقتني احدهم اكثر من مملوك او مملوكين . وكان علي ولاية مصر اذ ذاك محمد باشا فازعجته اجراءات علي بك وخشي عاقبتها فنصح اليه ان يقف عند حده فلم يكثرث بقوله . فاقرب الباشا على مقاومته بدعوى ان هذه الاجراءات مضادة لمصالح الباب العالي ولكنه لم يكن يستطيع المجاهرة بمقاصده هذه فجعل يدسها سرا واتحد مع من بقي من دعاة ابراهيم الشركسي واقروا على الانتقام من علي بك ثم جعلوا يسمعون فساداً بين احزابه حتى استجلبوا بعضاً منهم الى جانبهم بالمواعيد المبنية على الحسد والطمع . وفي جملة هؤلاء محمد بك ابو الذهب الذي طهره علي بك بفضله حتى ازوجه ابنته وكان يناديه كا ينادي اولاده . ولما لم يكونوا يستطيعون تنفيذ ما ربهم جهاراً اغروا صهره محمد بك المذكور بمبالغ وافرة ووعده انه اذا قتل علي بك يتولى المشيخة مكانه فقبل لكنه علم بعدئذ انه يقصر باعاً عن مناوأة علي بك واستعظم الجناية فعدل عنها الى جنابة اعظم منها . وذلك انه شكى الى علي بك من معاملة الباشا له فاسرع علي بك الى انقاذه منه وما انفك عن الباشا حتى اخرجه من مصر فعاد الى الاستانة . ولم يزد علي بك في محمد بك ابي الذهب الا ثننه واخلاصاً رغماً عما كان يُنقل اليه عنه من السعي الى الايقاع به

وفي سنة ١١٨٢ هـ انتشرت حرب بين الروسية والدولة العلية فبعثت هذه  
 الاخيرة الى مصر ان تبعك اليها مدداً من اثني عشر ألفاً فوصلت الاوامر  
 لعلي بك بهذا الصدد ومشروعه لم ينضج بعد فلم يسعه الا مباشرة ما امر  
 به فابتدأ بجمع الجنود . اما اعداؤه فاعتنقوا تلك الفرصة اللوئي به  
 فاستجابوا اليهم بكل سهولة الباشا الجديد الذي كان قد ارسل من  
 القسطنطينية بدلاً من الباشا الذي اخرجه علي بك وانتقلوا جميعاً على  
 كتابة تقرير ممضي من الباشا وسائر البكوات اعداء علي بوشون به الى  
 الديوان الشاهاني بدعوى انه انما اراد بما يجمعه من الجيوش معاضدة روسيا  
 لتحرير مصر فانفذ الديوان الشاهاني الى الباشا امرأً مشدداً ان يقتل  
 علي بك ويرسل رأسه الى اعنابه . فانصل ذلك بعلي سرّاً بواسطة  
 اصدقائه بالاستانة فبعث علي بك الطنطاوي احد دعائه في عشرة من  
 اتباعه المماليك متكرين بلباس بدوي يكتمون في مكان على مسافة قصيرة  
 من القاهرة حيث لا بد للفايجي باشي حامل ذلك الفرمان من المرور  
 به فمكثوا هناك ثلاثة ايام متوالية وفي اليوم الرابع بان لهم الفايجي ومعه  
 اربعة نفر فقط فوثبوا عليهم وقتلوه جميعاً وطمروهم في الرمل بعد ان  
 اخذوا ملابسهم والفرمان وساروا به الى علي فقرأه ثم جمع اليه ديوان  
 البكوات العمومي واطلعه عليهم عليه واقنعهم ان ذلك الامر ليس فقط لقتله وحده  
 وانما لقتلهم جميعاً على اثره ثم خاطبهم قائلاً « دافعوا اذا عن حياتكم  
 وحقوقكم واعلموا ان مصر ما برحت منذ القدم محكومة بدول من المماليك  
 وقد كانوا سلاطين اشداء تفاخر بهم الارض السماء فاعينوها اليهم . وهذا  
 فرصة ثمينة لا تضيعوها فانكم لن تعثروا عمركم على فرصة مثلها هلم اذا نسعى  
 الى الاستقلال فان فيو حياتنا وحررتنا »

فثار البكوات بمحبتهم متأثرين من فصاحة علي وبلاغته وكانوا  
 ثمانية عشر جميعهم على دعوته فعاهدوه ان يدافعوا عنه ما استطاعوا . اما

من بقي من الامراء المماليك الذين كانوا من اعدائه فحاقوا العاقبة ولزموا  
 السكوت . فكتب ديوان علي بك امراً الى الباشا ان يباح الاراضي  
 المصرية في مدة ثمان واربعين ساعة وانه اذا لم يفعل يقتل وان مصر قد  
 اصبحت مستقلة . وبعث علي الى الشيخ ظاهر امير عكا يعلنه رسمياً  
 استقلال مصر ويدعوه للمساعدة في ذلك فاجابه الشيخ ظاهر مسروراً  
 وجمع اليه رجاله ورجال بنيهِ السبعة وصهره وانضم الجميع الى جنود علي  
 وكان قد اضاف الى الستة آلاف التي عنده من المماليك الاثني  
 عشر الف التي جمعت لمدد العثمانيين واضاف الى هذه ايضاً رجال  
 اصدقائه البكوات حتى رجال اعدائه لانهم لم يعد يسعهم الاطاعته .  
 فانصل ذلك بالاستانة فارسل الباب العالي امراً الى والي دمشق ان  
 يسير في خمسة وعشرين الفاً لمنع جنود عكا من معاضدة علي فسار  
 الوالي في ذلك العدد من الرجال فلاقاه الشيخ ظاهر في ستة آلاف فيما  
 بين جبل لبنان وبحيرة طبرية وردّه على اعقابه سنة ١١٨٢ هـ . وكانت  
 هذه الموقعة آخر المواقع لان الباب العالي امسك بعد ذلك عن ارسال  
 الجند وكانه نسي علاقته مع سوريا ومصر بالكلية

اما علي فاغتنم فرصة انشغال الدولة العلية بالمحاربة مع روسيا  
 وصرف اعنائه نحو تنظيم مملكته الجديدة واصلاح ما داخلها من الخلل  
 فخفض الضرائب وجعل على المالية مدير الكمرك القديم المعلم ميخائيل  
 فرحات القبطي بدلاً من يوسف بن لاوي الاسرائيلي الذي قتل جزءاً  
 خبيثاً . ونظّم التجارة الخارجية والمخابرات واعد العربان الى الصحراء فساد  
 الامن وانتشر الاصلاح في النظر فزادوا على القاب علي لقب بلوط قبان  
 (ميد اللصوص) . وكان في جملة القبائل النائرة على مصر قبيلة الهوارة  
 وكانت اشدهن باساً واطول باعاً جاءت في الاصل من ضواحي تونس  
 الغرب واستقرت فيما بين جرجا وفرشوط في بقعة من الارض لم تكن تصلح

للزراعة فاعنوا فيها حتى ابتنوا فيها عدة قرى وما زالوا ينشرون سطونهم حتى احنلوا جميع الاراضي بين هو وكفر الشيخ سليم . ثم اغنم الشيخ هامان (شيخ الموارة) فرصة انشغال مصر بما تقدم ووضع يده على كل البلاد من اسبوط الى اصوان وجمع اليه محصولاتها . وكان قد حارب هذه القبيلة كثيرين ممن تولوا مصر قبل علي وفرضوا عليها ضريبة مقدارها ٢٥٠ الف اردب من الخنطة نوردها سنويا الى مصر

ففي سنة ١١٨٢ هـ ارسل علي بك صديقه محمد بك ابا الذهب لمحاربة الشيخ هامان وقيلائه فحاربهم ونغلب عليهم في او اخر تلك السنة فاضطر ابناء الشيخ ان يتناعوا حياتهم بكل ما كان لديهم من ثروة ابيهم . فرجح ابو الذهب من هذه الموقعة ثروة كبيرة ثم اسرع الى القاهرة لما علمه من الدسائس التي كان ساعيا بها رفيقه احمد بك الجزار على علي بك وكانه لم يكن يريد ان يشاركه احد بالدسائس على سيده . وكان احمد الجزار ينظر الى محمد ابي الذهب نظره الى عدو يناظره في ارتكاب الدنيا فسعى الى قتله فلم ينجح . وكان لاحمد الجزار سيف مشهور بطيب فولاده وانقان صغره فانفق يوماً انه اجتمع بمحمد ابي الذهب فقال له محمد «ارني حسامك لاجربن فرند» فاجابه احمد «لا يستل حسامي سواي ولا اغنم حتى يستباح قبيل» ثم نهض للحال وغادر القاهرة قاصداً القسطنطينية فوصلها ثم عهدت اليه ولاية عكا بعد ذلك وما زال فيها حتى توفاه الله اما علي بك فبعد ان تغلب على الصعيد ثار في خاطره حب الافتتاح فجرد الى اليمن تحت قيادة محمد ابي الذهب فسار في عشرين الف مقاتل فقطع برزخ السويس ومضيق العقبة ولم يبق على احد من القبائل التي حاولت الوقوف في طريقه وما زال حتى اتى اليمن وافتتحها . وامر علي فسار اسماعيل بك في ثمانية آلاف لافتتاح السواحل الشرقية للبحر الاحمر وحسن بك لافتتاح جدة ولقب بالمجداوي اشارة الى انتصاره على تلك

المدينة وما زال يعرف بهذا اللقب من ذلك الحين . ولم تـُصِ ستة اشهر حتى افتتحت شبه جزيرة العرب وفي جملتها مكة المشرفة التي لحق بها نهبٌ شديد وأُنزل شريفها وأقيم مقامه ابن عمه الامير عبدالله فثبت علياً في سلطنته ببراءة رسمية ولقبه بسلطان مصر وخاقان المجرين . فلما حصل علي بك على هذا التثبيت من شريف مكة اخذ يتمتع بكل حقوق السلطنة فامر ان يُخطب باسمه في الصلوات العمومية ايام الجمعة وضرب النقود سنة ١١٨٥ هـ في القاهرة باسمه كما سترى

وفي هذه السنة سعى علي بك الى امير سيق يه الى حنفه وذلك انه عهد الى محمد بك ابي الذهب ان يسير في ثلاثين الفاً لاختضاع بلاد الشام لانه كان يعتبر هذه الولاية بعد ان خرج هو من طاعة الدولة العلية جازاً عدواً يخشى منه ليس فقط على نفسه ولكن على الشيخ ضاهر صديقه ومحالته ايضاً . وكان ينظر الى سوريا كأنها مجعولة من طبيعتها جزءاً من مملكة مصر وقد كانت بالواقع قسماً منها في سائر الازمنة التي كانت فيها مصر مستقلة كما رأيت في ايام الدول الطولونية والابوية والمماليك وغيرها . وسعى علي بك في الوقت نفسه الى التحالف مع دول بينها وبين الاستانة عداوة طبيعية . فاستخدم احد التجار الايطاليين المدعو روستي فعقد له معاهدة سلمية مع النمسيين على ان يكونوا اصدقاء معضدين له . ثم عهد الى رجل ارميني يدعى يعقوب ان يستطلع من الكونت الكسيس اورلوف قومندان القوات الروسية في المجرين ( المتوسط والاسود ) عن امكان عقد معاهدة دفاعية وهجومية مع قيصر روسيا كاترينا الثانية . فاجاب الكونت بالايجاب وفتحت المخابرات بشأن ذلك وطال امرها كثيراً البعد المسافة بين الطرفين . اما جنود علي بك في سوريا فصاحبها الظفر واتحدت بجنود الشيخ ضاهر فاستولوا على غزة والرملة و نابلس واورشليم ويافا وصيدا واخيراً حاصروا دمشق ولم تلبث بسيراً حتى سلمت

فلما رأى محمد أبو الذهب ما كان من هذه الفتوحات العظيمة على  
 يده حدثه نفسه ان يجعلها لنفسه . ثم قادت مطامعه الى محاربة علي  
 واستخراج مصر من يده . ويظن انه لم يقدم على ذلك من تلقاء نفسه  
 وانما كان محمولاً بأوامر جاءته من الاستانة لان المخبرات السرية كانت  
 متواصلة بينه وبينها بواسطة الباشا الذي اخرجته علي من مصر .  
 فامسك محمد عن المسير في الاراضي العثمانية وحوّل شكيمة مناصده  
 نحو الديار المصرية فجمع اليه كل ما كان لدبه من الجيوش وضم اليها كل  
 الحاميات التي كان قد اقامها في المدن المنتخبة وسار قاصداً مصر . الا انه  
 لم يحسر على المسير الى القاهرة رأساً خشية ان يلاقي من الانكشارية  
 والوجقات الاخرى اعداء اشداء لعلو بما في قلوبهم من الضغينة علوه .  
 فعرج نحو الصحراء وسار حتى بلغ الصعيد فحط رحاله هناك واستولى على  
 اسيوط في آخر يوم من سنة ١١٨٥ هـ . ثم استقدم اليه قبائل العربان  
 وطلب محالنتهم ومحالنة بكوات الصعيد وجاهر بعزمه على خلع علي بك  
 وسار قاصداً القاهرة فوصلها في اوائل سنة ١١٨٦ هـ فترل بجيشه منابل  
 البساتين فوق مصر القديمة . فلما علم علي بذلك ندم على ما وضع من  
 الثقة في رجل كان له ان يعتبر من سيرته الماضية انه على غير الاخلاص  
 والاستقامة . فجنّد ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة اسماعيل بك وامرهم ان  
 يتبعوا محمداً من عبور النيل فسار اسماعيل لكنه خاف سطوة  
 عدوه . ثم وردت اليه مئة كنب مفعمة بالمواعيد يمازجها بعض التهديد  
 فاخذ جانبه وضم جيشه الى جيشه فقطع محمد بك النيل فاستقبلته رجال  
 اسماعيل بالترحاب فانصل ذلك بعلي فيمس من النور فانقطع  
 الى القلعة بعائلته واصدقائه ورجال دعوته عازماً على المدافعة الى آخر  
 نسمة من حياته . وبعد ذلك بثلاثة ايام ورد اليه كتاب من الشيخ احمد  
 حد ابنا صديقه الشيخ ظاهر ان يبارح القاهرة حالاً ويلقي الى ايديه في

عكا فبارح علي الفلعة بمن معه وسار من جهة الجبل الاحمر طالباً سوريا عن طريق الصحراء . وكان خروجه قبل دخول محمد بك القاهرة يوم واحد أي مساء ٦ محرم سنة ١١٨٦ هـ وهذه هي المرة الثالثة لخروجه منها الى سوريا وفي معيته عدد يسير من الجند لا يبلغ ستة آلاف معظمهم من الخدمة الذين لا يستطيعون الدفاع . ولم يحمل معه من المال الا ثمانية الف زرمحوب يحملها ٢٥ جملاً . ونقل معه من المصاغ والحلي ما يساوي اربعة اضعاف ذلك . وما زالوا في المسير ليلاً ونهاراً فوصلوا الى خان يونس في حدود سوريا بعد ثلاثة ايام فرأوا ان خمسة من الجمال الحاملة للنفود قد ذهبت فريسة بيد القبائل البدوية وان عدداً من جنوده قد فروا ومعهم يوسف الخزندار . وفي اليوم التالي دخل علي بك غزة ثم واصل السير حتى اتى عكا بعد ثمانية ايام فترحب به اميرها وكانت بينهما مودة شديدة فامن علي هناك غير ان ما تكبده من المشاق في الاسفار مع ما اثر في نفسه من الغيظ الشديد قد غيرا في صحته فلم يصل عكا الا وهو في حالة المخطر من شدة المرض

وفي اثناء ذلك وصل ميناء عكا اسطول روسي فلما علمت حاميته بما حل بعلي عقدوا معه معاهدة ثانية وقدموا له كلما يحتاج اليه من المؤن والزخائر وكان في خدمة ذلك الاسطول فرقة من الالبانيين (الارناووط) مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل فأمدهم بهم . فلما رأى علي بك ما كان من نجدة الروسيين مع ما يمكنه الحصول عليه من جنود الشيخ ضاهر عزم على مناوأة ابي الذهب لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك بنفسه لانحراف صحته . فهدى الى علي بك الطنطاوي بعد ثلاثة اشهر ان يسير اولاً لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة محمد ابي الذهب فسار واستولى على صور وصيدا وقرى اخرى من سواحل سوريا كانت قد احتلتها جنود عثمانية بعد انسحاب جنود محمد ابي الذهب . ثم سار علي بنفسه فبين بقي من

الجند الى يافا وافتتحها بعد محاصرة خمسة اشهر استولى في اثناها على غزوة  
عنوة وعلى الرملة واللد تسلياً . فاعاد يافا الى حكومة الشيخ ظاهر وجعل  
على اللد حسن بك الجداوي وعلى الرملة سليم بك

وفي ٩ ذي القعدة سنة ١١٨٦ هـ كان علي بك في يافا فجاءته رسل  
من القاهرة بأمرية سرية من وفاق الانكشارية والوجاقات الاخرى  
وسائر اعيان القاهرة يعلمونه ان محمد ابا الذهب دخل القاهرة حالما  
خرج منها هو وسعى نفسه شيخ البلد وجعل يعيب في البلاد ظلماً لم يسبقه  
الى مثله احد من تولى مصر قبلة فجعل بعض الضرائب ضعفين وبعضها  
ثلاثة اضعاف . ثم اخلى قانوناً غريباً دعاه قانون رفع المظالم والمنصود  
منه بحسب الظاهر انقاذ ملتزمي الاموال الاميرية من الاجراءات  
الاستبدادية التي كان يسومهم اياها الكشاف الى ذلك العهد واستبدالها  
بما يعود بالمنفعة والحقيقة ان الضرائب ما انفكت اشد وطأة من ذي قبل  
والاجراءات لم تزد الا استبداداً فضلاً عما رافق كل ذلك من التفكك  
بالعباد قتلاً ونهباً

ثم قالوا ان مصر يجملتها لما رأته ما وصلت اليه من الانحطاط وما  
لحق باهلها من المظالم والاجراءات التي ما انزل الله بها من سلطان قد  
نوبتهم ان يبلغوا علي بك انها بصوت واحد تلتبس رجوعه ليحكم فيها  
لانه هو منقذها الوحيد وان مدينة القاهرة مستعدة ان تفتح ابوابها لاستقبال  
اميرها القديم وان تدافع عنه الدفاع الممكن اذا حاول محمد بك ابو الذهب  
اجراء ما يخالف الصوت العمومي

فلا علم علي بك بكل ذلك شعر كأن آماله عادت اليه وبارح  
يافا للحال قاصداً القاهرة . ولم يكن لديه من الجنود الا الفان وخمسةماية  
فاستجد حاميات اللد والرملة وانضم اليهم جنود الشيخ ظاهر وجنود ابنه  
الشيخ شلبي وصره الشيخ كرم وحسن شيخ مدينة صور . وكان قد استأجر

ثلاثة آلاف وخمسة مائة من المغاربة . فكان عدد الجنود التي بمعيتهم جملة  
ثمانية آلاف محارب

ففي ١١ محرم سنة ١١٨٧ هـ وصل علي بك بجنوده الى خان بونس  
وفي ١٦ منه اقترب من الصالحية . وفي ١٨ منه التقى بمقدمة جيوش  
محمد بك ابي الذهب وعندهم اثنا عشر الف مقاتل وبعد محاربة  
بضع ساعات ظهر علي بك عليهم بعد ان قتل عدداً كثيراً من رجالهم .  
فانفتحت له ابواب الصالحية فدخلها بسلام وقد اُصيب بجروح بليغة . ثم  
علم ان اعتماده على احزابه في القاهرة لا يورثه الا خيبة الامل لان ابا  
الذهب كان قد جمع اليه كبراء البلاد ورجال حكومتها لما علم بمظاهرهم  
لعلي وحاول اقناعهم ان علي بك قد غدر الامة وخان الوطن واباح دماء  
المسلمين بمعاهداته مع الروسين وغيرهم من الامم النصرانية . واستخدم ابن  
الذهب في سبيل اقناعهم الدرهم الواضح فانحازت اليه كل القوات العسكرية  
الا وفاق الانكشارية فانه بقي محافظاً على ولاء علي بك . فلما تحقق محمد  
بك ابو الذهب اجتماع الاحزاب في مصر على دعوته آمن من الاضطراب  
الداخلي فسار بنفسه لمحاربة علي

اما علي فاتزعج لنلك الاحوال انزعاجاً كثيراً فضلاً عما كابده  
من مشاق الاسفار في قطع الصحراء الحارة وزد على ذلك الجروح التي  
اصابته في موقعة الصالحية فأصيب مجرى شديدة منعتة من امتطاء جواده  
وقيادة جنوده . وفي ٢٠ محرم سنة ١١٨٧ هـ علم بجي ابي الذهب وهو  
على ما تقدم من المرض فلم يتردد في وجوب الدفاع فأمر قواده فانتظمت  
رجالهم على قلنتها وتبهاأت للدفاع . وكان على الجناح الواحد من الجيش  
علي بك الطنطاوي ومن معه من البكوات وعلى الجناح الآخر ابن الشيخ  
ظاهر وصهره فاستظهرت جنود علي بادى الرأي حتى قاربت النوز  
النوم ثم ارسل ابو الذهب جواسيس الى المغاربة في جيش علي بغربهم على

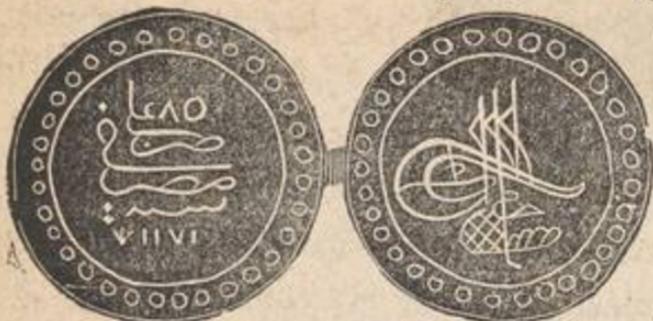
خيانة رئيسهم فوافقوه ووافقه غيرهم كثيرون من بكوات علي وفي حملتهم  
 ابراهيم بك ومراد بك . وهذا الاخير اشترط ان يأخذ مقابلًا لخيانته  
 هذه كلما يتركه علي من المتاع والنساء وعلى الاخص امرأته نفيسة التي  
 كان علي يحبها ويعتبرها كبيراً لما كانت عليه من النطنة والجمال  
 فلما انتشبت الحرب في الصباح التالي انحاز جميع المغاربة والبكوات  
 الذين خانوا الى معسكر ابي الذهب . وكانت جنود علي بك قريبة من  
 النوز فلما رأت تلك الخيانة حبطت قواها وفرّ الجند يطلبون النجاة  
 بانفسهم بعد ان قُتل علي بك الطنطاوي والشيخ شلبي ونجا الشيخ كريم  
 والشيخ حسن ورضوان بك من المعركة وساروا الى فسطاط علي واعلموه  
 بما حصل وطلبوا اليه ان يمتطي فرسه ويسير برفقتهم الى غزّة حيث يلاقهم  
 الشيخ ضاهر بمن معه من الجند . اما علي بك فابت نفسه الاصغاء لما  
 ارادوا فجلس عند باب خيمته وقال لهم «ها اني ملازم هذا الموضع لا  
 ابارحه حتى تبارحني نفسي لان الموت فيه افضل عندي من الفرار . اما  
 انتم فاذا شئتم النجاة بانفسكم فبادروا الى الفرار قبل ان يغشاكم ما ربما  
 لا تقوون على دفعه» . فاضطر ابن اخيه ورجاله الباقون ان يذعنوا  
 لما امر . فودعوه وحوّلوا الاعنة في طريق خان يونس قاصدين غزّة  
 وهناك وجدوا الشيخ ضاهر فاعلموه بما كان وبوفاة ابيه فاسف عليه كثيراً .  
 اما علي بك فمك بعد وداع اصدقائه بضع ساعات ينتظر مبيته وبجانبه  
 عشرة من مماليكه واذا بخمسين رجلاً تحت قيادة الكجيا نائب محمد ابي  
 الذهب قد وصلوا الى الخيمة ودخلوها وقتلوا من كان فيها من المماليك  
 ثم وثبوا على علي وكان المرض مشدداً عليه وفيه جروح لكنه نهض بسيفه  
 فقتل اول قادم اليه وجرح اثنين آخرين فحشي الباقون الاقتراب منه  
 فاطلقوا عليه البنادق فجرحوه جرحاً بليغاً في ذراعه وفخخ اليمنى . فجعل  
 يدافع يسراه دفاعاً شديداً حتى وثب عليه الكجيا بنفسه فدفعه حتى اصيب

في ذراع البسرى وفي اماكن اخرى فسقط على الارض وهو لا ينفك عن  
الدفاع فتكاثر عليه الرجال حتى امسكوه حيا وساروا به الى محمد ابي  
الذهب وطرحوه عند قدميه فامر بحمله الى القاهرة فحملوه اليها وانزلوه  
في داره بدرج عبد الحق في شارع البكري وراء صندوق الدين فلبث  
فيها سبعة ايام ثم توفاه الله . وقد قال بعضهم ان ابا الذهب ادخل السم  
في جروحه فقتله والله اعلم . وقد دفنوه بترية استاذه ابراهيم كحيا بجوار  
الامام الشافعي . وقد كان لموت هذا الرجل تأثير عظيم في قلب كل من  
عرفه حتى ان ابا الذهب نفسه لم يسعه الا الندم داخليا لما فرط منه وما  
اناه من نكران الجميل وارنكاب مثل هذه الخيانة

ومن صفات علي بك انه كان عظيم الهيبة حتى انفق لاناس انهم ماتوا  
خوفاً من هيبته وكانت تاخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثلول بين يديه فيأخذ  
هو بتلطيف رعيه فيقول له « هوّن عليك » . وكان صحيح الفراسة شديد  
الحذق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولا يحتاج في التنبه  
الى ترجمان او من يقرأ له الصكوك والوثائق بل يقرأها هو بنفسه ولا يحتاج  
ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها . ومن مآثره البناء العظيمة بطنطا وهي  
المسجد الجامع والقبه على مقام السيد البدوي والمكانب والميضاة الكبيرة  
والحنينات والمنارتان العظيمتان والسبيل المواجه للقبه والقيسارية العظيمة .  
وجدد ايضا قبة الامام الشافعي وبنيات ووكلات في بولاق مصر  
ولا يزال هذا الرجل مميزاً عند المؤرخين بلقب الكبير فيدعونه  
« علي بك الكبير »

وترى في شكل ٧٧ و ٧٨ صور النقود التي ضربت على عهد علي بك  
في القاهرة . الاولى فضية وعليها الطغراء الشاهانية للسلطان مصطفى  
بن احمد وتاريخ توليه السلطنة سنة ١١٧١ هـ ولكن يشاهد عليها ايضاً  
من الاعلى اسم علي وتاريخ ٨٥ هـ وفي مختصرة من سنة ١١٨٥ هـ وتدعى هذه

القطعة من المعاملة قرشاً . والثانية فضية ايضاً ويشاهد عليها الطغراء\*



العثمانية اما

تاريخ تولية

السلطان

فاستبدل

بسنة

١١٨٢ او في

السنة التي ش ٧٧ نقود السلطان مصطفى بن احمد وعلي بك



صرح به اعلى بك باستقلاله

ويشاهد عليها اسمه وتدعى

هذه القطعة عشرينية اي

نصف قرش

ش ٧٨ نقود السلطان مصطفى بن احمد وعلي بك

سلطنة عبد الحميد بن احمد

من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٤ هـ او من ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م

وفي تلك السنة تولى الخلافة العثمانية السلطان عبد الحميد بن



احمد عوضاً من السلطان

مصطفى الثالث

وترى في شكل ٧٩ و ٨٠

صور نقود ضربت في القاهرة

في عهد السلطان مصطفى

ش ٧٩ نقود السلطان مصطفى بن احمد



بن احمد قبل استقلال علي بك  
بتاريخ ١١٧١ هـ الاولى فضية والثانية  
نحاسية

ش ٨٠ نفود السلطان مصطفى بن احمد  
وبوفاة علي بك عاد وادي النيل الى ما كان عليه قبلة تابعا لاملاك  
الدولة العلية وعادت احكامه الى مشايخ البلد والكشاف الذين جعلوا  
تلك المصالح وسيلة لاختلاس اموال الناس وحتق الدولة وكان علي  
بك قد جعل لكل هذه المظالم حدا واصح الشؤون حتى علفت الآمال  
باعتراز مصر ورفع شأنها اما المنية فلم تبق عليه

نعم ان مصر بعد وفاته عادت الى كنف الدولة العلية لكنها بالحقيقة  
لم تفدها شيئا لانها كانت في الحالة الاولى طعمة لرجل محب للاصلاح  
مخلص بمقاصده وان كانت بمعزل عن صوامج الدولة وفي الثانية اصبحت  
طعمة لثلاثين رجلا كل منهم يسعى الى ابتلاعها لا يتفقون الا على كره  
الدولة التي هم تحت حمايتها . اما السلطان عبد الحميد فلم يكن يرسل  
اليها من الولاة الا من كان اسما بلا رسم كما كان شأنهم قبل ظهور علي  
فكان الباشا من هولاء آله يدبرها البكوات كيف شاؤوا ولم يكن لديه  
من الاعمال الامحار النسطنطينية مخابرات سرية فيما كان يقع بين  
هولاء البكوات من الخلاف وما كانوا يتداعون اليه من الخصام واجبانة  
المهمة ان يستلم من الحكومة المصرية الجزية ويرسلها الى الاستانة هذا اذا  
تمكن من قبضها

فلم تكن ولاية مصر الا مأمورية يستعيب بها المأمور بتأديتها  
فكانوا يعتبرونها بمثابة منفي قد اسخفته الباشا او الوزير الذي يرسل اليها  
لانه كان يعلم قبل خروجه من الاستانة انه اذا لم يكن راضيا بما برضاة  
شيخ البلد لا يلبث ان بصله منه رسالة ينقلها ناقل يقال له الاوطه باشي

وفيها الامر بعزله امرًا لا مردّ له ولا مجال للمدافعة بعده . وكيفية ذلك ان شيخ البلد ورجاله اذا رأوا في تصرف الباشا ما يوجب الشك يجتمعون اجتماعًا عموميًا في الديوان ويقررون عزله ويكتبون بذلك امرًا عاليًا يسلّمونه الى الاوطه باشي ليوصله الى الباشا فيجعله ويسير منفردًا على حمار (لان القانون لا يسمح له بركوب الخيل او البغال) بين يديه فرمان العزل فاذا مرّ في الاسواق على هذه الصورة علم الناس انه ساع الى امر مهم فيه عزل فيهرولون وراه . ولا يزال سائرًا في عرض الطرق قائدًا لتلك المواكب نحو القلعة . وكان من واجبات اي جندي صادفة في تلك الحال ان يرافقه انفاً ما يخشى حدوثه عند وصوله الى القلعة . فاذا وصل القلعة يدخل على الباشا ثم يجثو امامه بكل وقار لكنه عند ما ينهض يطوي السجادة التي كان جاثيًا عليها وينادي باعلى صوته « انزل يا باشا » وعند طي السجادة والتلفظ بهذه العبارة تسقط كل حقوق ذلك الباشا ولا يعود له اقل سلطة على الجنود التي كانت قبل بضع دقائق تنتظر اشارته وتصبر تحت اوامر الاوطه باشي . والباشا يقف ممثلًا بسمع تلاوة فرمان سواء كان منطوقه بعزله او قتله فلا يسعه الا الطاعة التامة . وعلى مثل ذلك كانت معاملة باشوات مصر فانهم كانوا عرضة لاوامر العزل التي اذا لم تكن من الاستانة تكون من مصر

فلما مات علي بك اخلف اعداؤه في القاهرة على الاجتراء من انتصاراتهم فكان كل منهم يظن لنفسه الحق بالتمتع بانمار الانتصار كغيره او اكثر فاختلفت الاحزاب من بينهم . اما من بقي من رجال علي فلم يجدوا مكانًا فيه راحة لم فقد كانوا في عكا عند الشيخ ضاهر على ما تقدم فلم يكن من ابي الذهب الا انه تعفيم لانه كان رجلًا محبًا للانتقام حبًا بنوق التصديق وقد آلى على نفسه الا يبني على احد من رجال علي اما الشيخ ضاهر امير عكا فلم يعد يطيب له السكون بعد ان خسر

ابنة في سبيل نصره على بك فنارت في خاطره دواعي الانتقام . ولكن  
 محمد بك ابا الذهب لم يكن اقل رغبة في الانتقام منه ولما لم يعد يستطيع  
 صبراً على ذلك استرحم من الباب العالي ان يوذن له بالمسير الى محاربة  
 سوريا وعلى الخصوص عكا ووقع في اميرها الشيخ ضاهر فاتهمم بالعصيان  
 وانه ساع بدسائس ضد الدولة . فاجاب الباب العالي بفرمان يشته في  
 مشيخة البلد مع لقب باشا ورتبة والي القاهرة مكافأة لما اتاه من الايقاع  
 بعلي واحزايه وصرح له ان يتبع ذلك الشيخ العاصي . فلما وصل الفرمان  
 الى ابي الذهب كاد يطير من شدة الفرح واعد جيشاً جعله تحت قيادته  
 الشخصية مستخلفاً في مصر اسماعيل بك بصفة قائمقام وعهد حكومة مدينة  
 القاهرة الى ابراهيم بك . ثم سار في جيشه الى سوريا ولم تنته سنة ١١٨٩ هـ  
 حتى دخل فلسطين . وكان لشدة عجزه بما اوتيه من الالقاب والرتب وما  
 وعد به من المساعدات من قبل الباب العالي لا يزيد الا كبراً حتى جعل  
 خيمته التي كان يقيم فيها اوقات الراحة من اثنى ما يمكن مزينة بابدع ما  
 يكون . فمرّ بخان بونس فغزة فالرملة ولم يصادف اقل مقاومة . اما يافا  
 فكان عليها الشيخ كرم صهر الشيخ ضاهر فدافعت قليلاً ثم فُتحت عنوة  
 فدخلتها رجال ابي الذهب بالقتل والنهب حتى قتلوا القسم الاعظم من  
 سكانها من رجال ونساء وشيوخ واطفال

فبلغت تلك الفواحش مسامع الشيخ ضاهر وهو في عكا فخاف ان  
 يصيبه ما اصابها ففرّ بعائلته ومن هم لديه من المهاجرين المصريين ولم يترك  
 في المدينة الا ابنة الشيخ علي . وهذا لما علم باقتراب جيوش ابي الذهب  
 اخلى القلعة وانسحب منها لعلها انه اذا حاول الدفاع انما يكون محمولاً  
 عبثاً . فوصلها ابو الذهب وابوابها منتوحة فدخلها ولم يبق عليها ومثل  
 ذلك فعل بقري اخرى من فلسطين والى هذه المدينة وفيها انتهت  
 ارتكابات هذا الرجل لانه بينما كان عازماً على العود الى مصر اصبح النوم

فوجدوه مبيتاً في خيمته ولم يستطيعوا معرفة القائل رغماً عما اتخدوا من  
الاحتياطات وما كان لديهم من القرائن الكثيرة . فقال بعضهم انه اصاب  
بنقطة وهو داء السكنة وقال آخرون لا بل مات منتولاً بيد عدو  
فانك والله اعلم . وبعد موت ابي الذهب عادت الجيوش المصرية تحت  
قيادة مراد بك الى مصر ومعهم جثة رئيسهم فدفنوها بالقرب من مدفن  
علي بك . فقد مات ابو الذهب بعد موت علي بك بميتين ولقب « بالخانن »  
وتولى مشيخة البلد بعده اسماعيل بك رغماً عن ادعاءات مراد بك  
وابراهيم بك ولم يبق غير من طائفة ابراهيم كخيا وهو من الذين نالوا رتبة  
البكوية بواسطة علي بك وكان لا يزال على دعوته ولكنه انضم الى ابي  
الذهب خوفاً . اما قلبه فلم يفت رلاًها بالمدافعة عن رئيسه الذي لم يأت  
نحوه الا كل ما يستدعي انتصاره لهُ فضلاً عن انها من طائفة واحدة .  
فلما استلم زمام الاحكام عمل على اتباع خطوات علي بك فبعث الى الذين  
كانوا لا يزالون من حزبه في سوريا واستدعاهم اليه واقدم في امامتهم  
وطيب خاطرهم كل ذلك استعداداً لمناوئة مناظره مراد وابراهيم . وكانا  
قد اتحدا معاً قلباً واحداً على خلع اسماعيل بك فباشرا اولاً بطلبان طرد  
حسن بك الجداوي صديق اسماعيل بك فلم ينوزا الا انها تمكنا من احتلال  
القلعة فاتحد اسماعيل بك وحسن بك واخرجاها منها ففرا الى الصعيد .  
وبعد يسير جمع المنهزمين حزباً كبيراً واستعدا لدفاع اسماعيل فبعث  
جيوشاً لتحمدها فقاتلها فغادرت الجيوش على اعقابها وفاز الاميران فاضطر  
اسماعيل بك الى مبارحة القطر المصري فسار الى الاسنانة . اما حسن بك  
فقبض عليه وسبق الى جدة منفياً فتمكن اثناء الطريق من ارضاء رئيس  
المركب الذي نقله فانزله في النصار على سواحل القلزم ومن هناك قطع  
الصحراء غرباً حتى اتى الصعيد فاستكن في اعلاه  
فلما خلا الجو لمراد بك وابراهيم بك اقتسما الاحكام فتعين الاول

اميراً للحج والثاني شيخاً للبلد ورقياً كثيراً من ممالئكم الى رتبة البكوية  
وقلداهم مصالحي البلاد وكانت الاحكام في عهدهما كما كانت في ايام اسلافها  
من المظالم والاستبداد . وبلغها بعد مدة ان اسماعيل بك عاد من الاسنانة  
وانه جاء الى حلوان فبعثنا اليه فرقة من الممالئك فنكت بكل ما كان معه  
من عائلته ورجاله اما هو فتمكن من النجاة باخباته في بعض الكهوف  
ثلاثة ايام . ثم سار منه طالباً الشلال وهناك اجتمع بصدقه حسن بك  
الجداوي وساراً معاً وأوبا الى شلال الجنادل في السودان . فاختلف مراد  
بك و ابراهيم بك على ارسال حملة للقبض على الهاريين فارتأى احدهما  
وجوب التجديد وخالفه الآخر حتى آل الامر الى الخصام وخروج ابراهيم  
بك من القاهرة وانحايه الى المنيا في الصعيد مغتاضاً . فارسل اليه مراد  
بك بعض الاختيارية يسكنون من جاشه ما استطاعوا فارضوه واعادوه  
الى مركزه في القاهرة . الا ان العلاقات الودية ما انفكت متكررة بين  
الاثنين ولم تمض مدة حتى انسحب مراد بك الى المنيا مغتاضاً من زميله  
لعلوه باتحاده مع خمسة من بيت عدوها القدموم والكوات عثمان الشرفاوي  
وابوب الصغير وسامان و ابراهيم الصغير ومصطفى الصغير

ولبت مراد بك بعيداً من القاهرة خمسة اشهر وكان يظن ابراهيم  
بك انه لا يلبث ان يسكن جاشه حتى يعود اليه فلما استبطأه ارسل اليه  
الاختيارية كما فعل ذلك معه . فاجب مراد بك ورد الاختيارية خائبين .  
ثم جند جنداً من اتباعه الممالئك وسار نازلاً على الضفة الغربية للنيل  
حتى اتى الحيزة مقابل مصر القديمة وعسكر هناك . ثم هم الى قطع النيل فعلم  
ابراهيم بك بذلك فحمد في الحيزة المفاصلة على البر الشرقي ليمتعه من المرور  
ولبت الجانبان على تلك الحال ثمانية عشر يوماً لا يهتأ الا الى اطلاق  
مدفع او مدفعين على سبيل المناوشة ولم يقتل الا رجل و فرس . فقل مراد  
بك من تلك الحال فعاد الى المنيا من كان معه

اما ابراهيم بك فكان كثير الرغبة في مصاحفة زميله فانفذ اليه بعد خمسة اشهر من النجايه وفداً ثانياً من كبار البلاد ومشاخها يطلبون اليه الرجوع الى القاهرة فوافقهم لكنه اشترط عليهم ان يسلموه الخمسة بكوات المتقدم ذكرهم حال وصوله الى القاهرة . فقبلوا بذلك الشرط فتزل معهم فعمل اولئك البكوات باعلام سري من ابراهيم بك بما اشترطه مراد بك فخرجوا من القاهرة لجهة القلبيوية على نية الشخص الى الصعيد عن طريق الاهرام فانصل ذلك بمراد بك فجعل عند الجسر الاسود بالقرب من الاهرام زمرة من العربان ترصد مرورهم لكنه لم يستطع صبراً على ذلك فقطع النيل ببعض رجاله الفاتني بالمنهزمين عند رأس الخليج فتلاحموا فخرج مراد بك ونجا اولئك فلاقاهم العربان عند الجسر الاسود فاسروهم وجاءوا بهم الى مراد بك فلم يسهل لشدته غيظوه الا نفيهم الى المنصورة وفرسكور ودمياط تقريباً لكنهم لم يلبثوا الا امة بسيرة حتى اجتمعوا في غاية سنة ١١٩٧ هـ واتفقوا ان يفرّوا الى الصعيد ويجمعوا اليهم عصبة بقاومون بها عدوهم لكنهم لم يباشروا ذلك حتى تداخل شيخ الجامع الازهر في امرهم واستحصل لهم على العفو من مراد بك فصنع عنهم واعادهم الى القاهرة بكل اكرام واعاد اليهم رتبهم وامتيازاتهم

ثم مضى بعد ذلك ثلاث سنوات على ابراهيم بك ومراد بك وهما على وفاق وسكينة يقتسمان ايرادات البلاد فيما بينها بالسوا لا يقدمون عنها حساباً او اذا قدموه لا يكون الا حبراً على ورق . فوشى بهما محمد باشا وكان والياً على مصر اذ ذاك الى السلطان وبما هما فيو من الاستقلال بمالية البلاد فامر السلطان عبد الحميد سنة ١١٩٩ هـ ان يرسل الى مصر جيش لايقافها عند حدها فسار الجيش في عمارة تحت قيادة قبطان باشا حسن فوصلوا الاسكندرية في ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٠ هـ فخاف البكوات خوفاً شديداً واجتمعوا اجتماعاً عمومياً في الدبوان وتباحثوا فيما يجب

اجراؤه . ونظراً لكثرة اللفظ واختلاف المقاصد والآراء لم يقرؤا على شيء .  
واخيراً ارتأوا طلب تداخل محمد باشا ولما عرضوا عليه رأيهم رفض .  
فطلبوا من الشيخ احمد العريشي شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد المهدي  
كاتب السر وباش كاتب الديوان الخصوصي وغيرهم ان يسيروا الى رشيد  
ويستعطفوا القبطان باشا



محمد المهدي كاتب  
الديوان  
الخاص  
بالمسجد  
الاحمر  
بمصر

وترى في شكل ٨١ صورة ختم الشيخ  
المهدي وامضائه الرسمي وفيه لقبه كما يكتبه يده  
فركبوا من بولاق في زورق متفن وما  
زالوا حتى بلغوا رشيد فلأقام القبطان باشا  
بما يليق من الاحترام . اما هم فعلمهم ان  
الاميرين ابراهيم ومراد لا يثبتان على رأي  
فربما طلبوا لها العفو فحصلوا عليه ثم نكت  
ذانك فتكون الملامة عليهم . فقال الشيخ

ش ٨١ ختم محمد المهدي وامضائه

العروسي « يا مولانا ان رعية مصر قوم ضعفاء وبيوت الامراء مختلطة ببيوت  
الناس » فقال الباشا « لا تخشوا بأساً فان اول ما اوصاني به مولانا  
السلطان هو قوله « ان الرعية وداعة الله عندي وانا استودعك ما اودعني  
الله تعالى » فدعوا له بطول العمر . ثم قال لهم « كيف ترضون ان يملككم  
مملوكان كافران يسومونكم سوء العذاب لماذا لا تخرجونها من بلادكم »  
فاجابة احدهم بقوله « يا سلطانم هؤلاء عصابة شديده البأس لا نفوى  
على دفعهم » فطيب خاطرهم ووعدهم بالحماية . وبالْحَقِيقَةُ ان هذا الوفد قد  
نصرف بالحكمة لانهم لم يكادوا يخرجون من حضرة القبطان حتى سمعوا  
بقدم مراد بك ومعه عشرة من البكوات وعدد من الكشاف والماليك .  
ثم شاع انهم نزلوا في الرحمانية عند منشأ التربة اليهودية الاسكندرانية .

وسبب ذلك ان مراد بك بعد ما ارسل ذلك الوفد خطر لة الدفاع بالسيف  
فجمع اليه ذوي شوره وفاوضهم فاقروا على وجوب الدفاع وان يسير  
مراد لذلك ويبقى ابراهيم للمحافظة على القاهرة  
فسار مراد بمن معه ونزلوا في الرحمانية كما قدمنا فلاقنهم الجنود  
العثمانية الظافرة وحصلت بينها موقعة لم تطل الا يسيراً فانذرت جنود  
المالك من قنابل العثمانيين التي كانت تترقع بين ارجل خيلهم فتشتت  
شملمهم وفاز العثمانيون ففر مراد بك ومن معه حتى اتوا القاهرة فاجتمعوا  
بابراهيم بك وفرؤا جميعاً الى الصعيد ولبثوا هناك ينتظرون هجمات  
العثمانيين . فلما رأى محمد باشا الوالي خلو القاهرة من المالك جمع اليه  
الوجاقات ونزل بمعينهم من القلعة استعداداً لاستقبال الجنود العثمانية  
ففي ٥ شوال سنة ١٢٠٠ هـ دخل حسن باشا القاهرة بعد ان خربت  
جيشه ونهبوا كل ما مروا به من المدن والقرى ولولاة لم يبقوا على شيء  
أصلاً . لكنه كان يتهددهم وقد قتل منهم كثيرين عبرة للباقيين فكنت  
الايدي فسكنت الناس . فلما وصل القاهرة نزل في بيت ابراهيم بك عند  
القصر العيني على النيل ثم عرض امته البكوات المهزيمين للزاد العمومي  
وفي جعلتها حريمهم واولادهم وماليهم فاسترحم المشايخ ان يخرج الاولاد  
والنساء الحوامل من معرض البيع لان ذلك فضلاً عن انه مخالف  
للحاسيات الانسانية فهو مغضب لله . فانتهرهم النبطان باشا قائلاً « ساحر  
الى الاستانة بانكم تعارضون في بيع امته اعداء جلالة السلطان » فاجابه  
الشيخ السادات قائلاً « قد أرسلت الينا لمعاينة شخصين مجرمين وليس  
لهنك شرائعنا والطعن في عواندنا فاكتب الى الاستانة ما شئت » . فعند  
ذلك امر الباشا باستثناء المحظيات الحوامل من البيع وبعد ان بيعت  
سائر الامته عكف حسن باشا الى اصلاح الادارة فاصحها على ما يوافق  
الارادة الشاهانية . وكان قد استفد اماعيل بك وحسن بك الجداوي

من الصعيد فارسلها في جيش تحت قيادة عابدين باشا ودرويش باشا وهما قائدا الحملة العثمانية التي جاءت مصر عن طريق البر (فضلاً عن العارة البحرية المتقدم ذكرها) وسار في تلك الحملة ايضاً نحو من الف مقاتل من رجال الشام تحت قيادة امير كبير من امراء شين اغلي فاجتمعت هذه الحملة وسارت نحو الصعيد لمحاربة مراد بك ورجالو

فحصلت هناك موقعة عظيمة شنت عن عدة قتلى من الجانبين وانهمزم مراد بك ورجالو الى الشلالات ورجوع الجنود العثمانية ظافرة الى القاهرة. ثم جاءت الاوامر الشاهانية بعزل محمد باشا عن مصر وتولية عابدين باشا مكانه

وهنا تنتهي ما مورته حسن قبطان باشا فاستدعي الى الاستانة بسبب الحرب مع روسيا. ولم تفتح مصر ما كانت تشكو منه نعي بهم البكوات لانهم كانوا لا يزالون في مصر العليا كما رأيت. والمسيحيون يشكون من معاملة حسن باشا لم فانه اخذ كل متاعهم وباعه على مشهد من الناس فضلاً عن الاهانة التي سامهم اياها وعلى الخصوص المعلم ابراهيم الجوهري امين احتساب مصر فانهم قبضوا على امرأته واجبروها ان تخبرهم بمخاطبة زوجها من النفود فاخبرتهم فاستخرجوها واخذوها. وعند ما بارح حسن باشا القاهرة اقام عليها اسماعيل بك شيخ البلد وهذا عهد الى صديقه القديم حسن بك الجداوي اماره الحج وانفقا معاً على اقتسام الابراد وفي سنة ١٢٠٢ هـ توفي السلطان عبد الحميد بن احمد

وترى في شكل ٨٢ و ٨٣

صور النفود الذهبية التي ضربت على عهد السلطان عبد الحميد بن



ش ٨٣ نفود السلطان عبد الحميد بن احمد



احمد في القاهرة بتاريخ ١١٨٧ هـ  
فالاولى تدعى نصف زر شعوب  
والثانية فندقلي

ش ٨٢ نقود السلطان عبد الحميد بن احمد

### سلطنة سليم بن مصطفى

من سنة ١٢٠٢ - ١٢١٢ هـ او من ١٧٨٩ - ١٧٩٨ م

فوبع السلطان سليم الثالث بن مصطفى فافرّ اسماعيل بك في مركزه  
وما زال اسماعيل بك مارساً للاحكام بكل دراية وحكمة الى سنة  
١٢٠٥ هـ وفي هذه السنة طرأ على البلاد ولا سيما القاهرة وباء شديد  
الوطأة لم يقاس مثله قبلة فان عدد الموتى بلغ نحو الالف في يوم واحد  
في القاهرة وحدها ونقل على حكومتها في يوم واحد ثلاثة حكام وسبب ذلك  
ان اسماعيل بك اصيب بالوباء فاقبم آخر مكانه فاخر حتى فني كل من  
كان من بيت اسماعيل بك الا واحد يدعى عثمان بك الطيل . ولا يزال  
هذا الوباء مشهوراً بفتكو ويعرف بوباء اسماعيل . فتولى عثمان بك  
الطيل المذكور مشيخة البلد الا انه لم يكن قادراً على ادارة الاعمال التي  
عمدت اليه فاستدعى ابراهيم بك ومراد بك فدخلوا القاهرة في ٢١ ذي  
القعدة من تلك السنة ففرّ حسن بك الجداوي الى مصر العليا قانطاً .  
فاستلم ابراهيم ومراد ازمة الاحكام وجعلوا يعيشتا فيها وكانا يتناوبان مشيخة  
البلد وامارة المحج سنوياً بعد ان اتفيا كل من كان على غير دعوتها فصفا  
الجو لها اما قلوبها فكانت لا تخلو من الضغائن المتبادلة لما طبع عليه كل  
منها من الطمع وحب الامة ولما كان في صفاتها من المناقضة . فقد كان  
مراد بك رجلاً شديداً البطش مقداماً لا يهاب الموت وكان ابراهيم بك

اكبر سناً منه وأكثر اخباراً وكان يتربص له محاذراً بطشه خيفة ان  
يطلبه للقتال والآن لما رضي معه بالاجتراء من الدخول اجتزاء سوياً وكان  
لا يعارضه فيما يتعاطاه من الاستبداد ووضع الضرائب وسلب اموال  
الناس على نية ان يشاركه بالارباح الناتجة من ذلك . وكان على شيء  
من الرياء يظهر خلاف ما يضمهر اذا استصرخ وعد مع العزم على الاخلاف  
وكان جباناً فاذا اراد امراً لا يتظاهر به وإنما يسعى اليه بالدهانس  
والمكاييد على اساليب النفاق

اما مراد بك فلم يكن يعرف المكر وإنما كان يسعى الى اغراضه  
بالقوة والحزم وكان طويل القامة عضلي البنية شديد البأس يقطع عنق  
الثور بضربة من سيفه وعلى وجهه ملامح الاسود فاذا غضب بهابة وبخاف  
منه كل من يراه حتى احب اصدقائه . وكان كرم النفس لا يبيت على  
غيظ حرّ الضمير لا ينكر الحق ولو كان عليه مخلصاً لاصحابه مقيماً على قوله  
وكان طمعه بمقدار سخائه وحبته لذاته بمقدار حرّية مبادئه وكان سريع  
الغضب شديده لا يراعي في حال غضبه امراً من الامور وربما فتك  
بصالح نفسه او اضر بشخصه



وترى في شكل ١٤ صورة  
كل من ختم مراد بك و ابراهيم  
بك محنورة على شكل جميل  
والم بالبلاد بعد عود هذين

ش ١٤ ختم مراد بك ختم ابراهيم بك

الاميرين الى مصر جوع هائل ويقال انه حصل من كثرة ما ضبطاه من  
الحبوب في مصر العليا طمعا بالكسب . ثم ألغيا النظامات التي وضعها  
حسن باشا قبطان وابدلاها بما يوافق مطامعها الشخصية . فكثرت تعدييات

ماليكها وعلى الخصوص تعديت احدم محمد الالني<sup>(١)</sup> فزارت الاهالي  
ثورة عاملة يسعها معها الا توقيف تلك الاجراآت وقتياً فمهدت الثورة  
فعادا الى ما كانا عليه فعاد الاهالي الى الاضطراب وكسدت سوق  
التجارة لقلّة الامنية

وما يحكى ان مراد بك نظاهر يوماً انه عازم على تجديد الملابس  
والامتعة العسكرية فيحتاج لما يقوم بنفقاتها ففرض على طائفة الاسرائيليين  
مبلغاً كبيراً مساعدة لهذا المشروع فاجتمع رؤساء الطائفة وتخابروا فيماذا  
يصنعون لينجوا من هذه الضريبة فاقروا على ان ينفذوا اليه اثنين من  
كبرائهم يسعيان الى ما ينجيهم من هذه الضريبة فسارا ولما مثلا بين يدي  
مراد بك قال له « ايها الامير اننا فقراء ولو بعنا جميع ممتلكاتنا ونسائنا  
واولادنا وانفسنا لا نجمع عشرينما نطلبه منا فاذا تنازلت الى اعفائنا من  
هذه الضريبة التي يستعمل علينا دفعها نطلبك على مخياة تكفيك مؤنة هذه  
المطالب . وهذه المخياة لا يعلم بها احد الا عائلتنا وقد تنوّل هذا السر فيها  
ابا عن جد حتى وصل الينا ونحن علينا ان نوصله لاولادنا عند ما تحضرنا  
الوفاة . فلما سمع كلمة « مخياة » فمخ اذنيه وقاطعها قائلاً « هلم بنا لنرى  
تلك المخياة فاني اذا رأيتكم صادقين اعفيكم وطائنتكم من كل ضريبة .  
هلم بنا الى المخياة ابن هي » فاجابا « ان هذه المخياة ايها الامير في جامع  
عمرو بن العاص في مصر القديمة قد جعلها هناك ذلك الفائح العظيم في  
صندوق من حديد في دهليز لا يعرف مقره الا نحن » فتأكد مراد بك  
انها يتكلمان الصدق فصرقها . ثم سار في اليوم التالي مظهرًا للصيد في  
البرية فمرّ بجامع عمرو فدخله كانه يريد الصلاة ثم نظر الجامع فاذا به  
قد تداعت اركانها فالتفت الى شيخه قائلاً « بما ان الله قد ادخلني الى هذا

(١) يقال انه دعي بهذا الاسم لانه ابتاع بالف دينار

المكان المقدس وجب عليّ ان اسعى الى اصلاحه لكي يذكر اسمي في الصلاة مع اسم مؤسسها النافع عمرو بن العاص وغدا ان شاء الله ارسل اليكم النعلة يباشرون العمل»

وفي اليوم التالي ارسل النعلة تحت مناظرة احد ثقاته وبدلاً من ان يبدأوا بهدم القسم المتناقص من الجامع بدأوا بالقسم النائم وبعد بضع ساعات جاء مراد بك بنفسه فاذا بهم قد وصلوا الى دهليز فيه صندوق من الحديد فتفتق ما قاله له الاسراييليان وكانا بين الجباهير فامر فأخرج الصندوق فامر بنقته فاذا هو ملآن رقوقاً مكتوباً عليها آيات من القرآن الشريف بالقلم الكوفي

سَمِعَ اللهُ

وترى في شكل ١٥ رسم

بضع كلمات من فاتحة ذلك

القرآن مثلاً لنوع كتابته

الكوفية ويظن انه كتب في

ايام عمرو بن العاص . فلما

رأى الاسراييليان ذلك فرأوا

من بين الجباهير . اما مراد

فاستشاط غمظاً ولما عاد الى

القاهرة ضاعف الضريبة على

الرحم

الرحم

ش ١٥ بعض كلمات من فاتحة القرآن الشريف

الاسراييليين واصراً الآن يدفعوها حالاً واستعمل الكراباج لجهنم على ذلك .

اما تلك الرقوق الثمينة فألقيت في الدهليز بغير اعناء . وتركت هناك

عرضة للشمس والماء ففسد بعضها . ثم لما كانت الحملة الفرنسية التقط

ما بقي منها الموسيو مارسل مدير مطبوعات تلك الحملة وحفظها عنده في

متحفه الخصوصي . وقد شاهدت في المكتبة الخديوية العامرة اليوم نسخة من

هذا النوع تماماً يقولون انها وجدت في جامع عمرو فلا يبعد ان تكون ذات النسخة التي النقطةها مارسل والله اعلم

وعاد مراد بك ورفيقه الى ما كانا عليه من اخلاص اموال الاهالي واموال الاجانب بالضرائب الناحشة فانه ضرب على التجار الاجانب في الاسكندرية والقاهرة ورشيد ضرائب ما انزل الله بها من سلطان فرفعوا شكواهم الى قناصلهم فلم تكن النتيجة الا زيادة الاضطهاد. اما تداخل الباشا في مثل هذه الامور فكان عدم النائدة على الاطلاق فرفع المظلومون شكواهم الى الاستانة فلم يكن الجواب الا الصمت ولم يرد مراد بك الا اعتقوا



وعسفا ولم يكن يبالي بما يقوله القائلون او يتظلم منه المظلومون من سائر ساكني القطر. كل ذلك كان على

ش ٨٦ نقود السلطان سليم بن مصطفى



عهد السلطان سليم بن مصطفى السلطان التاسع والعشرون من سلاطين آل عثمان وترى في شكل ٨٦ و ٨٧ صورة



نقود السلطان سليم بن مصطفى مضروبة في القاهرة بتاريخ سنة ١٢٠٢ هـ وهي سنة تنصيبه على كرسي السلطنة

ش ٨٧ نقود السلطان سليم بن مصطفى

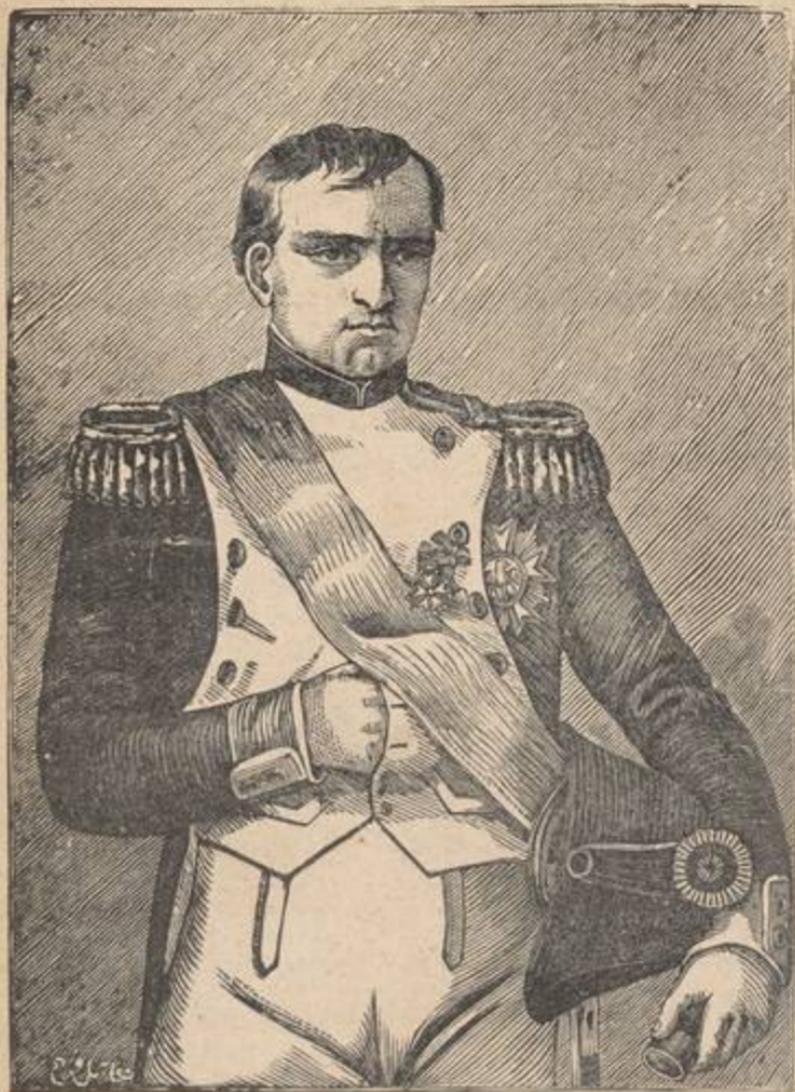
## الحملة الفرنسية

(تمهيد)

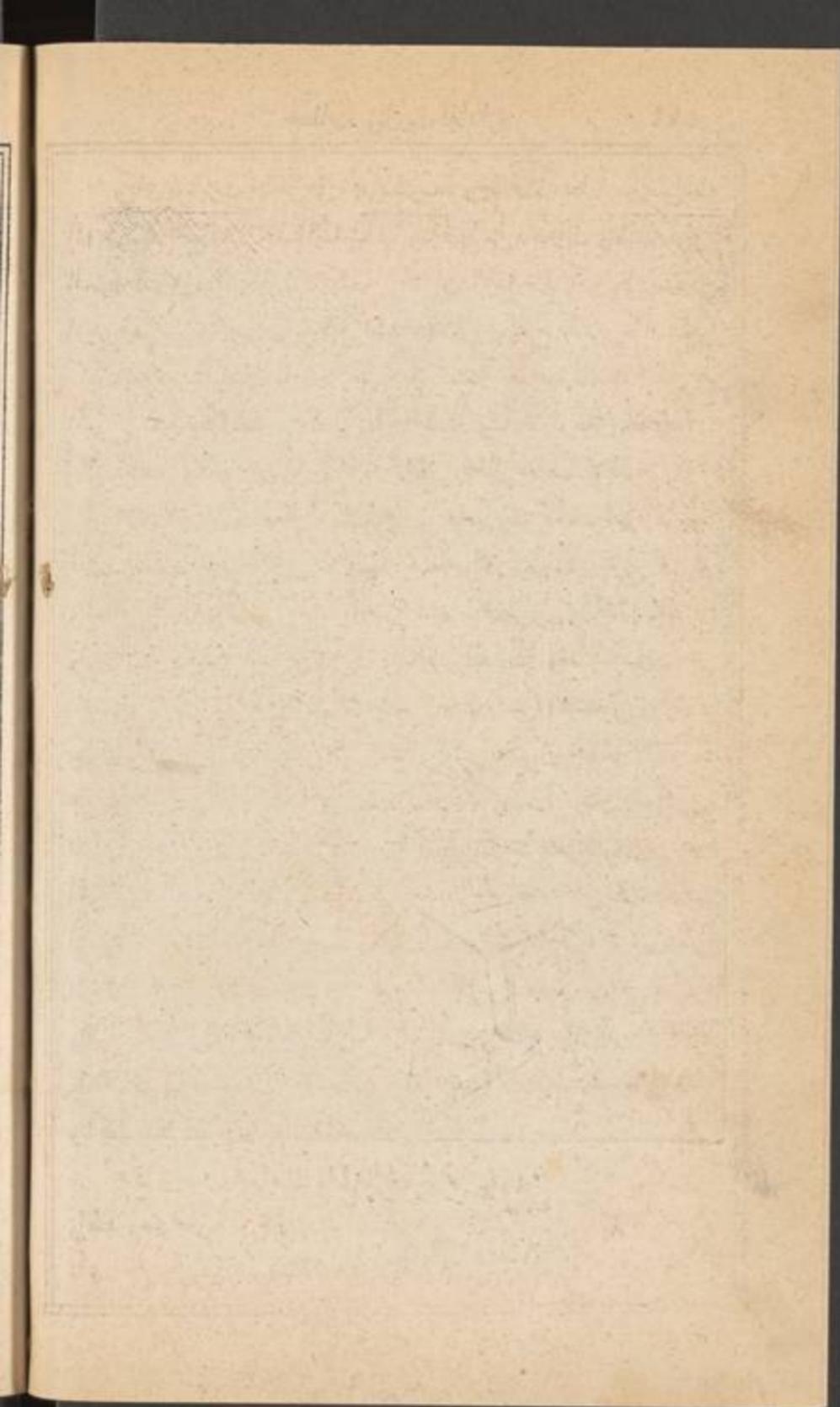
قد رأيت ما كان من انغاس مراد بك ورفيقه في ارتكاب المظالم واخلاس اموال الاهلين بغير الحق وكيف انها تطرقا بتصرفها هذا الى الاجانب القاطنين في هذا القطر تحت حماية دولهم فانها لم يكونا براعيان حرمة ولا ذمة . وكان اولئك الاجانب يتحملون تلك التعديت بالصر الجميل لانهم رفعوا شكواهم الى دولهم فاعزت الى الظالم ان برعوي فلم برعو . وما زال الحال كذلك حتى جاء النابوليون بونابرت الرجل العظيم برجاله لافتتاح هذه الديار . وقبل الخوض في تفاصيل تلك الحملة نشرح للفارئ . اولاً ما الداعي الذي حمل الفرنسيون الى تجريدنا . ثانياً كيف كانت مصر عند وصول تلك الحملة اليها

### لماذا جرّد الفرنسيون الى مصر

لما قتل الفرنسيون ملكهم لويس السادس عشر وتخلصوا من الحكم المطلق اقاموا عليهم نوعاً من الحكومة دعوه «الادارة» وهي عبارة عن لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء دعوا كلاً منهم «مديراً» وذلك سنة ١٧٩٥ للميلاد (١٢١٠ هـ) ثم جعلوا يحملون على ممالك الارض فتحتوها بهمة كبيرقوادم الرجل العظيم بونابرت . فحاربوا اوستريا ثم ايطاليا ثم غيرها وما زالوا حتى لم يبق في سبيلهم الا دولة انكلترا واقفطهم بالمرصاد وهي على جانب عظيم من القوة ولا سيما في البحار . فتباحثت ادارة فرنسا بذلك مراراً لكنهم لم تستطع مناهضة تلك الدولة لما كانت تعلمه من قوتها ومناعة جانبها



ناپوليون الاول امپراطور فرنسا وپرين



وكان بونا برت قد مرّ في البحر المتوسط وضمّ قسماً عظيماً من سواحله الى فرنسا فطمع بمصر وقد اعجبه شأنها وما فيها من الخيرات وما بها من التعزيز لدولته والارهاب لانكلترا . الا ان الادارة لم تكن على بينة من الامر فعرض بونا برت رأيه هذا عليها بعد ان شرح لها شرحاً مستوفياً كيف ان هذا الوادي ما برح منذ القدم منشأ لخيرات العالم المتمدن ثم امسى موضوعاً لمطامع الدول العظيمة وشاغلاً لرجال التنوحات كالاسكندر وغيره حتى الايام الاخيرة الى ان قال مخاطباً الادارة

« ان مصر ايها السادة اكثر الارض خصباً وقد كانت امراء لرومية قديماً وللسلطانية الآن . وفيها الحنطة والارز وسائر انواع البنول والسكر والنبلة والتطن والسنا والخيار شنبر والنطرون والكتان والقنب وفيها انواع الماشية الجوية والبرية والطيور الداجنة وقد اشتهرت على الخصوص بحسن حميرها وقوة جمالها . نعم ان مواد الاشتعال والزيت والبن والتبغ نادر فيها لكن ذلك مستدرك لان الشرق يجملته لا غنى له عن هذا الوادي لانه مركز متوسط بين افريقيا واسيا . فان التوافل تنزل في القاهرة كما ترسي المراكب عند الشواطئ بعد سفر طويل وهذه التوافل مؤلفة من مئات واحياناً الوف من الجمال قادمة من بلاد العرب او سوريا او سواحل المغرب او الحبشة او افريقيا المركبة او من راس الرجا الصالح او السجبال حاملة انواع التجارة من الخشب والنعم والزيت والتبغ والبن والاثار ومن الرقيق والتبر والعاج والريش والصفغ والاطياب والعطريات والثالات وكل محصولات الهند فتبيعها في مصر وتأخذ بدلاً منها اجمالاً من مصنوعات اوروا

« فما برحت مصر ايها السادة منذ القدم موصلاً تجارياً بين اوروا والهند وهذه تجارتنا مع الهند قد كانت قبل اكتشاف راس الرجا الصالح تأتينا عن طريق مصر وذلك ان تحط في برنيس على سواحل البحر الاحمر

ومنها تنقل على الجبال في الصحراء مسافة ٢٤ مرحلة حتى طيبة (الأقصر)  
 ومنها في النيل إلى بلاد مصر وتوزع فيها ومنها تنقل إلى أوروبا .  
 وكانت التجارة أحياناً تنقل إلى القصير في البحر الأحمر ومنها إلى السويس  
 ثم على الجبال إلى منف ومنها إلى بنا . على أننا لو اغضينا عن أهمية  
 مصر بالنسبة لتجارة الهند لرأينا فيها أهمية عظيمة بالنسبة لتجارها الخصوصيين  
 فإننا إذا فتحنا هذه البلاد واعتدنا بإدارتها مدة خمسين سنة فقط لاصح عدد  
 سكانها ضعاف ضعاف ما هو الآن لأن سكان هذا الوادي قد كانوا في  
 الأزمنة الخالية بين ١٢ و ١٥ مليوناً (كندا) وهم الآن لا يبلغون ثلث هذا  
 القدر وذلك لسوء الإدارة . هذا فضلاً عما تقدمه لمعاملتنا من محصولاتها  
 وما نتفقه فيها وفي جوارها من مصنوعات بلادنا . فما هي مستعمراتنا  
 بالنسبة إلى هذه البلاد الخصبة الشاسعة الأطراف هلم إليها فستغل من  
 أرزها وسكرها وقطنها كما فعل غيرنا وهي تغنينا عن محصولات أميركا  
 وتكفيها مؤنة الارتباط معها

« ولا يخفاكم ايضاً أننا إذا ثبتنا قدمنا في مصر لا تلبث أن نكترا طويلاً  
 في الهند فإننا نجعل على سواحل البحر الأحمر حاميات نقيمها في معازل  
 منيعة نذخر فيها من نتاج ذلك القطن ونحو التجارة الهندية اليه . على أننا  
 لو فرضنا بقاءها عن طريق رأس الرجاء الصالح كما هي الآن لاقمنا بيننا  
 وبينها باباً للمباراة وفتحنا ترعة بين السويس والنيل . ولا شك أننا إذا  
 فعلنا ذلك نخط مساعي أن نكترا جملة لأن التجارة لن نحول يحملها بنا . أما  
 هذه التركة فقد كانت مخورة منذ القدم ولا يصعب علينا إعادة حفرها .  
 فإذا فتحنا مصر لا تقتصر منفعتها لنا كمنفعة سائر المستعمرات العظيمة ولكننا  
 بها نعرفل مساعي أن نكترا فنكفي مؤنة مقاومتها هذا إذا لم نذهب بها  
 إلى الخيض »

فترددت الإدارة بقول مشروع . لكنه ما زال في مثل ما تقدم حتى

اشتد الجدل بينه وبينهم فرأى فيهم اصراراً على مقاومته فعرض بذلك استغاثته فنهضوا اليه واقفوه ثم راجعوا النظر فيما عرضه واخيراً وافقوه على رأيه بشرط ان يكون ذلك سرّاً لئلا تتصل مقاصدهم هذه بمسامع انكلترا فتسعى ضدهم . فالتحصر هذا المشروع بين بونايرت والخمسة مدراء فقط حتى ان الكاتب الذي كتب الامر باعداد الحملة لم يكن يفهم حقيقتها لانه امر ان يكتبه بصورة مبهمه في ٥ مارس سنة ١٧٦٨

ومن مقتضى هذه الاوامر السرية ان تكون هذه الحملة مؤلفة من اربعين الف مقاتل عليهم اربعون قائداً يختارهم بونايرت وفتة من رجال العلم لا يقل عددهم عن المائة بين مهندسين وجغرافيين ونحو ذلك العدد من سائر الصنائع . وعمارة بحرية تحت قيادة الاميرال برويس يضاف اليها المراكب الراسية عند طولون . وان يقبض في مدة عشرة ايام من الخريزة مليوناً وخمسمائة الف فرنك فضلاً عن ثلاثة ملايين من خريزة بارن وان يتصرف بهذه المبالغ حسب حكمته والاوامر السرية المعطاة له . فصرفت بونايرت جهده لتعزير هذه الحملة والاسراع في اعدادها . فشاعت الاقاويل عن هذه الاعدادات وكثرت الظنون فقال بعضهم انها حملة تعدها فرنسا لمحاربة انكلترا وقال آخرون لا بل لافتتاح مدن جديدة في اسيا وافريقيا وقال آخرون غير ذلك . وبونايرت لم يأل جهداً في اعداد المهات وترتيب مخارج الحملة فجعل المراكب المعدة لنقل الحملة البرية اربعمائة مركباً تسير فرقاً اربع من اماكن مختلفة فتسير الفرقة الاولى من طولون والثانية من جينوا والثالثة من شيفينا فكيما والرابعة من جاكسبو ثم تجتمع وتتحذ وتسير الى مصر . وتنقل على هذه المراكب ايضاً مطبعة عربية كانت في البروباغندا برومية مع ما يلزمها من العملة . وعلى انفاض هذه المطبعة اقيمت مطبعة بوق الاميرية ونقلوا ايضاً كل ما يلزم من الادوات الكيحية والطبيعية والرياضية وانضم الي فئة العلماء كثير

من مشاهير علماء وصناع فرنسا في ذلك العهد ومثل ذلك القواد. وكان  
 فرنسا يجملتها ناقت الى استصحاب هذا القائد العظيم فانضم الى حملته  
 كثير من ابطالها وعلمائها وصناعها بقلب واحد. وهم لا يعلمون الى ابن  
 تذهب بهم الاقدار. اما الجيوش فجعل فيهم الذين وخمسة من الفرسان  
 والـف من الطيحية والمهندسين ومن بقي (من الاربعة الفاً) جعله من المشاة  
 وكان من جملة القواد الذين رافقوا تلك الحملة كلاير ودبزه البطلان  
 الشهيران وربير وبون ومينو وهؤلاء هم قواد الخمس فرق من المشاة  
 ومورات قائداً للفرسان وكافرالي قائداً لفرقة المهندسين ودومارتين  
 على الطيحية. هذا من قبيل الحملة البرية اما الحملة البحرية فكانت  
 مؤلفة (اولاً) من ١٥ مركباً حربيّاً من جملتها «الشرق» محمولةا مائة  
 وعشرون مدفعاً ومركبان محمول الواحد منها ثمانون. وعشرة محمول  
 الواحد منها ٧٤ مدفعاً واثنان محمول الواحد منها ٦٤. (٢) من اربع  
 عشرة مدرعة بعضها تحمل اربعين مدفعاً وبعضها ٢٦ وفيها اربقان  
 (٢) من ٧٢ مركباً حربيّاً صغاراً على اشكال مختلفة. هذه هي الحملة  
 البحرية وهي مؤلفة من اكثر من مائة قطعة وبرفتها سبعمائة مركباً  
 لنقل العساكر البرية ومهاتهم وخيولهم والجنهم وجميعها تحت قيادة  
 برويس وبلغ عدد الملاحين في تلك الحملة نحواً من عشرون ألف.  
 اما الفئة العلمية المرافقة لتلك الحملة فكانت مؤلفة من فرق لكل من  
 العلوم والصنائع وجملة اعضائها مائة فيهم فرقة الهندسة واخرى للفلك  
 واخرى للميكانيكيات واخرى للكيميا واخرى للمعادن واخرى للحيوان  
 واخرى للنبات. ومثل ذلك للجراحة والطب والاقتصاد السياسي والانشاء  
 والجغرافيا وعلم الآثار والبناء والتصوير والرسم والنقش والحفر والموسيقى  
 الخ. وقد اخير لهذه الفنون اشهر من اشتغل بها ومعهم المطبعة  
 المتقدم ذكرها وعدة مترجمين. وجميع هذه المعدات توفرت وكانت

على اهبه السفر في ٢٠ افريل من تلك السنة اي بعد صدور الامر ببضعة اسابيع . ومن الغريب انه رغماً عن تعداد الرجال الذين ساعدوا في تنفيذ امر الادارة وفيهم النواد العظام ورجال العلم والصناع لم يتكشف لاحد منهم حقيقة المقصود من تلك الحملة الا لتاليران وهو الرجل السياسي الذي ارسلته الادارة الى الاستانة لمخاطبة الباب العالي بشأن تلك الحملة وطلب مصادفة عليها . وفي ٩ مايو سنة ١٧٦٨ م وصل بونايرت الى طولون وكان الجندي في انتظاره كانهم على حبر الغضى فخطب فيهم فزادهم ثوقاً ورغبة في الحرب . وفي ١٩ منه ودع بونايرت امرأته وركب على الدارعة « الشرق » وهي اكبر دوارع الاسطول ومعه اركان حربه يتهللون جميعاً كانهم ذاهبون الى نزهة او الى غنيمية باردة وسارت سائر المراكب من النقط الاخرى ثم اتحدت جميعها وعددها جميعاً يزيد عن الخمسمائة فسارت تحترق البحر معاً وعليها نحو من خمسين الف نسمة . وفي ٦ يونيو سنة ١٧٦٨ وصلوا الى مالطا ومنها ساروا قاصدين الاسكندرية فاوجست انكليترا خيفة من هذه الحملة فانفذت نلسون احد كبار اميراليتها في اسطول وعهدت اليه ان ينبع خطوات الاسطول الفرنساوي في البحر المتوسط وان يكون ساهراً على اجرائه وان يقاومه اذا رأى منه مساً لحقوق انكليترا فسار نلسون فطاق البحر المتوسط ثم تنبأ ان الاسطول الفرنساوي لا يقصد الا مصر او سوريا فسار نحوها . فبلغ ذلك بونايرت فامر الاسطول ان ييم غربي الاسكندرية ببضعة مراحل وان يكون دائماً في استعداد للدفاع

### حالة مصر عند قدوم الحملة الفرنسية

لم يكن في وادي النيل اذ ذاك اكثر من ثلاثة ملايين من السكان

مؤلفين من ثلاث طوائف كبرى وهم (١) الاقباط وهم سكان مصر  
الاصليون لا يزيدون عن مائتي الف نفس (٢) العرب الذين اقتنوها  
(٣) الاتراك وفيهم المماليك . وهناك شذومات من طوائف اخرى  
والباشا وهو الحاكم المرسل من الاستانة لتأييد سلطة امير المؤمنين  
كان يقم في قلعة الجبل في القاهرة لا فائدة من وجوده هناك الا اثبات  
سلطة جلالة السلطان وخلافته على مصر وذلك يقوم بالخطبة لجلالته في  
الصلاة وضرب النقود باسمه . اما المماليك وكانوا اخلاطاً من الاتراك  
والشراكسة والكرج وكانت جميع ثروة البلاد وادارتها في ايديهم على  
انهم مع ذلك لم يكن لهم في البلاد عصبية عائلية لانهم لم يكونوا يتوارثون  
الحكم الا نادراً وانما كان يتولى منهم من يمتاز بشيء من القوة الخصوصية  
او الاحتيال او الحسوية وما شاكل . وقلما ارتقوا الى الحكم بالحكمة  
والدراية وحسن السياسة ولذلك كانت احكامهم عرضة للنساق وداعية  
للخلل . اما مقرهم ففي قاعة كبيرة مخصصة بهم في قلعة الجبل وفيها  
اصطبلات كبيرة لحيلهم ومخازن لاسلحتهم ومعداتهم . اما مساكنهم الخصوصية  
فكانت غالباً في حي قيسون وحي بركة النيل ودرج الحبابية في اجمل  
ما يكون من البناء مرصعة بالرخام والفسيفساء وفيها الفرش من الخمطل  
مزركشة بالحزير وفي بعضها حدائق تزينها السرايري الجميلات من نساء  
الكرج وغيرها . اما الجنود فكانت تزيد عن الالفية او الالف من  
المماليك الاشداء وقلما يكونون على شيء من الفنون الحربية واكثرهم من  
الفرسان اما المشاة فقليلون بينهم . فاذا امتطى المملوك صهوة الفرس  
يمتلكه والطبجات في منطقتيه والسيف على يساره وهراوة في قربوزه وقضيباً  
من النولاذ امام انفه ممتداً من جبهته الى ذقنه . وربما يتنقى تمرن احدهم على  
الحركات الحربية اما الجماعات فلا يعرفون شيئاً عن المربعات او  
المخطوط الحربية وانما كانوا يتفنون فن الفروسية جيداً

ففي يوم قدوم الفرنسيين الى مصر كان على الاحكام ابراهيم بك ومراد بك كما مر بك الاول شيخ البلد والثاني امير الحج ويدهما الحل والعقد . وكان ابراهيم بك ربعا ضخم القامة حسن الطلعة حاد العينين مشهورا بالغنى والطمع والاحتيال . اما مراد فكان ينوقه اقلاما وحزما وفيه كرم وسخاوة . وكلاهما لم يؤيدا سلطتهما الا بالقتل والنهب والاحتيال وقد اتفقا على اقتسام ايراد البلاد . اما العرب فمنهم فئة العلماء والفقهاء وفي ايديهم ادارة المعابد والتكيات وهم في الغالب من عائلات قديمة متصلة بالصحابة وغيرهم من اصحاب البيت وكانت معيشتهم غالبا في مجبوحة الرفاهية وترف العيش لكنهم قلما وصلوا الى ما وصل اليه البكوات المالك وكانوا محترمين من الاهالي احتراماً دينياً واديباً . اما نفوذهم السياسي فكان ضائعا في جانب استبداد المالك . اما التجارة فكانت معتبرة في مصر واصحابها من ثقات العرب واصحاب الامانة ولذلك قلت بينهم التفاليس . وكانت مينا القاهرة بولاق وهناك كانت تستقبل المراكب حاملة البضائع من سائر الانواع قادمة من اقطار شتى من العالم . ومن بولاق تحمل الى الخانات او الوكالات كخان السبع قاعات وخان التركاني وتباع فيها بالاجمال . اما البيع بالمفردات فكان في الاسواق الى شمال المدينة من باب زويلة الى الباب الذي يشرف على الصحراء .

اما جمع الخراج فكان موكولا بفئتين من المصريين وهم المسلمون والاقباط . فمن المسلمين كان الروزنامجة وعندهم تقاويم الاراضي وسجلات الاملاك وكانوا يمتازون عن سائر الاهالي ومحافظين على انسابهم العائلية لا يتزوجون الا من بنات عائلتهم وكانوا على جانب من الثروة ولم يملكوا واسعة وكان يضرب بهم المثل في ذلك . اما الاقباط فكانوا يقتصرون على ضبط الحسابات في القبض والصرف كسائر الحساب الا فيما ندر . اما مساكن الاقباط في القاهرة فكانت الى شمالي المدينة وغربها فيما كان

يعرف بباب المنس ( حيث ثمن الازبكية الآن ولذلك دعي بعضها بحجارة  
النصارى ) وفي باب البحر واكثرهم من متوسطي الثروة . اما اصحاب  
البنوك والمدابون والصارف فكانوا من اليهود وكانوا يسكنون عائلات  
كثيرة في بيت واحد في حارة اليهود وبضطهدهم المالك اضطهاداً شديداً .  
اما الاجانب في القاهرة فكانوا غالباً من فرنسا وبنين وكانوا يلبسون  
اللباس العربي ويتكلمون اللغة العربية جيداً ويفهمون في جهة الموسيقى  
وكانوا يتزوجون مع المسيحيين من السوربين الذين كانوا يقيمون غالباً في  
درب الجنينة . وكان في وادي النيل جمع من السوربين لكنهم كانوا  
يقيمون غالباً في السواحل وفي المدن الكبيرة مثل دمياط ورشيد واسيوط  
ومعاطنهم التجارة غالباً اما بضائع اوربا او محصولات السودان من  
العاج والریش والصمغ او بضائع بلاد اخرى . اما علاقة مصر مع  
الدول الاجنبية في ذلك العهد فكانت مقصورة على التجارة وكانت البندقية  
«فينيس» اشد علاقة معها من الجميع ولها فئصل منيم في الاسكندرية وكانت  
لها ايضاً علاقات اخرى مع تجار فرنسا وانكلترا

هذا الملخص حالة مصر عند قدوم فرنسا وبنين اليها

### الحملة الفرنسية

من سنة ١٢١٢ - ١٢١٦ هـ او من ١٧٩٨ - ١٨٠١ م

مر بك في النصل السابق ان الاسطولين الفرنسي والانكليزي سارا  
في البحر المتوسط قاصدين سواحل الدلتا

ففي يوم الاحد الواقع في ١١ المحرم سنة ١٢١٢ هـ ظهر امام الاسكندرية  
اسطول مؤلف من خمسة وعشرين مركباً انكليزياً وكان يتولى الاسكندرية  
السيد محمد كرم احد الاشراف الوطنيين . فلما علم بقدوم الاسطول

جعل يراقب حركاته وسكناته واهل المدينة يتساءلون فيما بينهم عن امره .  
 وبعد قليل اقترب من الثغر قارب فيه عشرة نفر افرح طلبوا مقابلة  
 الحاكم فحجى بهم الى السيد محمد كريم وهو في مجلسه وحوله رجال حكومته  
 فسألهم عما جاءوا من اجله فقالوا « ان ما ترونه في هذا البحر انما هو اسطول  
 انكليزي قد جاء للتفتيش على عمارة فرنساوية عظيمة خرجت مؤخراً  
 تريد جهة من الجهات فرما داهمتكم فلا نقوون على دفعها فنكون لكم  
 نصراً عليها » فظن السيد محمد كريم ذلك مكيدة فاغظظلم بالقول فقالوا  
 « اننا نف في هذا البحر محافظين لكم لا نطلب منكم الامتداد بالماء والزاد  
 بنتمو » فاجابهم ان هذه البلاد بلاد السلطان ولا يد للفرنساويين فيها  
 فاذا جاؤنا لا نبالي بهم فاذهبوا انتم عنا . فعادوا ثم اقلعت المراكب  
 تخترق عباب البحر . اما السيد محمد كريم فانفذ الى مراد بك في القاهرة  
 حال وصول الاسطول بخبرها بما كان وارسل الى كاشف البعيرة يامره  
 ان يجمع اليه العربان ويأتي بهم للمحافظة على الثغر فلما اتصل ذلك  
 بمساع الامراء والبيكات لم يكثرثوا بها وقالوا « اننا لا نبالي بمن تحدثه  
 نفسه بمداهمتنا بل ندوسه تحت حوافر خيولنا » . اما الشعب فاضطرب  
 وخاف . ثم جاء خبر آخر باقلاع الانكليز فسكن الجاش

وفي يوم الاثنين في ١٨ منه وصلت ثغر الاسكندرية العمارة  
 الفرنسية فانفذت احد قواربها تطلب الفنصل فابع السيد محمد كريم  
 اول الامر في تسليمه . ثم اذن له فنزل حتى اتى الدارعة التي عليها  
 بونايرت فسالة عن حالة المدينة فاخبره بما كان من امر الاسطول  
 الانكليزي وان الاهالي في بقظة واستعداد للدفاع جهاداً في سبيل الدين  
 وقد كانت حامية الاسكندرية لا تزيد عن خمسمائة من الانكشارية  
 معظمهم يتعاطون التجارة والصناعة الا انهم كانوا في استعداد للدفاع .  
 وكتب السيد محمد الى مراد بك و ابراهيم بك في القاهرة بما جرى الى ان

قال « ان العمارة التي ظهرت امامنا في هذا اليوم لا يعرف اولها من آخرها ». فلما تلا مراد بك الرسالة استنشاط غيظاً ورحى بالكتاب الى الارض ثم ركب جواده فاصداً ابراهيم بك وكان قاطناً في سراي النصر العيني على ضفة النيل المطلّة على جزيرة الروضة . فلما وصل اليه انفذ الى سائر كبار البلاد ورجال الدولة وفيهم بكير باشا الوالي فاجتمعوا اجتماعاً حافلاً تباحثوا فيه في امر ما جاءهم من الانباء الاخيرة . فقال مراد بك ناظراً الى بكير باشا شزراً « لا ريب ان الفرنساويين لا يجسرون على القدوم الى مصر من تلقاء انفسهم فلعلهم جاءوا بامر من الباب العالي ولكن الله قادر ان ينصرنا على الاثين » فاجابه بكير باشا قائلاً « ان هذا الكلام لا يليق صدوره منك وكيف يخال لك ان الباب العالي يسلم بدخول امة غريبة الى بلاده . دع عنك مثل هذا وهم الى سينك ورجلك لدفع العدو الذي داهمك » . وبعد المناوضة بالامر اقرّوا على المواد الآتية ( ١ ) ان يسير مراد بك في فرقة من الفرسان على الضفة الغربية لفرع رشيد من النيل نحو الاسكندرية لابقاف الفرنساويين عن النقدم ( ٢ ) ان يعسكر ابراهيم بك بمن يبقى من الجند على الضفة الشرقية عند بولاق لحماية القاهرة

( ٣ ) ان يرسل بكير باشا رسالة الى الاستانة يستمد الباب العالي ( بالترياق من العراق ) . ثم شاع في اسواق القاهرة خبر قدوم الفرنساويين فكثرت الهرج وازداد الاضطهاد على المسيحيين رغماً عن محاولة ابراهيم بك وبكير باشا اقناع المسلمين ان هؤلاء المسيحيين هم من جملة رعايا الدولة العلية

اما بونايرت فبعد ان استوعب كلام النصل اقرّ على النزول الى البر حالاً فاعترضه الاميرال برويس نظراً لما يجول دون ذلك من بعد المسافة وصعوبة المسلك فاصرّ بونايرت على النزول وكانت قيادة التوتين البحرية

والبرية يده فوافقه برويس مكرها فسار بالمراكب الى اجفة العجمي و برج  
مرابوت على مسافة قصيرة جداً من الاسكندرية غرباً و صرفوا النهار  
بطوله يستعدون للتزول وفي الساعة العاشرة مساءً شرعوا بالتزول بالسرعة  
الممكنة وما زالوا في ذلك حتى الساعة الاولى بعد نصف الليل وقد نزل  
منهم اربعة آلاف وثلاثمائة نفر فتزل بونايرت وكانت ليلة مقمرة فرقد  
نحو ساعتين على الرمال ثم ارسل طلائعهم وسار بمن بقي مشاةً مستترين  
بجح الليل ومستترين بالقرى . فني الصباح التقى بونايرت بقباثل من عرب  
البحيرة ( ولد علي ) تحت قيادة اميرها فتبادلوا طلقات قليلة . ثم فرّ العربان  
وما زال بونايرت سائراً في رجاله حتى اشرفوا على الاسكندرية متخذين  
تاوود السواري مطيحاً لانظارهم . ثم وقف بونايرت على مرتفع ونظر الى  
الاسكندرية فراها وفيها المآذن والمنارات تناطح السحاب فجعل رجاله  
فرقاً لتسير الواحدة تعية من الاخرى مرى رصاص بعد ان خطب فيهم  
وحرصهم ان يتجنبوا اهراق الدماء ما استطاعوا فهاجم الفرنسيون المدينة  
ودخلوها وقد ادهب الجنرال كلار برصاصة في رأسه لم تمته . فاستلمت  
الجنود الفرنسية الاسوار وفرت الحامية المصرية تطلب ملجأ الى الابراج  
القديمة وسقط الجنرال مينوعن احد الاسوار التي استلها هو فجرح فخذة .  
اما الجنرال مرمون فدخل المدينة ما بابها بعد ان حطمة بالنوس .  
وخرق باقي الجيش الاسوار ودخلوا منها لانها لم تكن متينة البناء . ثم  
ارسل بونايرت احد ضباط جيشه الى اهالي المدينة يخبرهم انهم في مأمن  
على ارواحهم واموالهم وان الفرنسيين لم يأتوا لمخاربتهم وانما جاءوا لمخاربة  
الماليك . اما السيد محمد كريم والعساكر الاترك فنزلوا الى حصن فرعون  
فاضطر الاهالي الى التسليم قهراً فدخل بونايرت ورجاله الاسواق . فلما بلغ  
ذلك السيد محمد كريم جاء بمن معه وسلم سلاحه ومثل ذلك فعل المشايخ  
والعلماء فاكرمهم بونايرت اكراماً خصوصياً . ثم التفت الى السيد كريم قائلاً

« قد اخذت سلاحك بالسيف وقد كان لي ان اعاملك معاملة الاسير لاني اخذتك بعد ان دافعت عن نفسك ما استطعت ولكن بما ان الشجاعة حليفة الشرف ها اني اعيد اليك سيفك على امل ان تكون مساعداً اميناً للجمهورية الفرنسية كما كنت للحكومة السابقة على عنوها وظلمها » ثم سأله اذا كان يرغب في معاضدة مشروعهم الذي هو تأييد سلطة الباب العالي وقمع سلطة المالك . فاجاب بالايجاب فاقرة على الاسكندرية تحت مناظرة الجنرال كلابروكان قد اضطر الى البقاء في الاسكندرية بسبب المرح الذي اصابه . ثم صرح بونايرت للمسلمين بالمحافظة على معتقداتهم وصلواتهم كما كانوا يفعلون قبلاً وجرى الاهالي من السلاح قاطبة وامرهم ان يجعلوا في صدورهم الجوكار وهو عبارة عن علامة مصنوعة من ثلاث قطع من الجوخ او الحرير مستديرة بقدر الريال كحلية وبيضاء وحمراء توضع بعضها فوق بعض بحيث تظهر الالوان الثلاثة اشارة الى العلم الفرنسي ذي الثلاثة الوان . ولما ربحتم قدم الفرنسيين في الاسكندرية نزل للبر بعض رجال النة العلمية ومعهم المطبعة العربية وجعلوا يبحثون في آثار الاسكندرية البنائية والجيولوجية . ثم امر بونايرت ان تنزل الى البر جميع المهمات العسكرية من خيول والحملة ومدافع وغيرها وان يكون ذلك باوفر سرعة . وان يطبع منشور بالعربية يفرق في البلاد فكُتب وطبع ونصه بالحرف الواحد « بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه . من طرف الجمهور الفرنسي المبني على اساس الحرية والمساواة السر عسكر الكبير بونايرت امير الجيوش يعرف اهل مصر جميعهم ان السناجق الذين يتولون مصر منذ زمن مديد يعاملون الملة الفرنسية بالاحقار والاعنداء وقد حضرت الآن ساعة عقوبتهم واحسرتاه انه منذ ايام وعصور هولاء المالك المجلوبون من بلاد الاباطه والكرج يفسدون في احسن اقاليم الكنة الارضية ولقد حتم رب العالمين القادر على كل شيء

بانقضاء دولتهم . فبايها المصريون وقد يقال لكم انني ما نزلت هذه  
 الجهة الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح لا تصدقوه وقولوا  
 لاخوانكم انني ما قدمت اليكم الا للاخذ بحقكم من الظالمين وانني اكثر من  
 المالك عبادته لله سبحانه وتعالى واحتراما لنبيه محمد (صلم) والقرآن  
 العظيم وقولوا لم ايضا ان جميع الناس شرع عند الله وان الذي يميز بعضهم  
 عن بعض هو العقل والنضائل والعلوم واي شيء في المالك يميزهم عن  
 غيرهم ويستوجب ان يكون لهم وحدهم كلما تجلب به الحياة الدنيا فحيثما تكون  
 ارض مخصصة فهي للمالك ومثل ذلك احسن الجواري واكرم الخيل واجمل  
 المساكن . فان كانوا قد اخذوا الارض المصرية التزاما فليظهروا لنا الحجة  
 التي كتبها لهم الله ولكن رب العالمين رؤوف على الناس وبعونه تعالى من  
 اليوم فصاعدا لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب  
 السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعلاء والفضلاء والعلماء بينهم  
 بنوؤس اليهم تدير الامور والمهام وبذلك نصلح حال الامة كلها في الاراضي  
 المصرية كالمدن العظيمة والمخجان الواسعة والمخج الواسع الذي اضاعه  
 طمع المالك وظلمهم . فبايها القضاة والمشايخ والائمة وبايها الشريجة  
 واعيان البلاد قولوا لامتكم ان الفرنسيين هم ايضا مسلمون مخلصون  
 واثباتا لذلك قد نزلوا رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي  
 كان دائما يحث النصارى على محاربة المسلمين ثم قصدوا جزيرة مالطا  
 وطردوا منها الكنفاليرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم  
 محاربة المسلمين ومع ذلك فان الفرنسيين في كل وقت احباء حضرة  
 سلطان العثمانيين واعداه اعدائهم ابد الله ملكه وبعكسهم المالك فانهم  
 خرجوا عن طاعة السلطان غير ممثلين لاولامره ولم يطيعوه الا عن طمع  
 في قلوبهم كمين فطوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير  
 فنصلح حالهم وترفع مراتبهم وطوبى للذين يتعدون في مساكنهم غير ماثلين

لاحد الفريقين المتحاربين لكن الويل ثم الويل للذين يتعدون مع المماليك ويساعدونهم في الحرب علينا فلا يتعدون طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثر .  
 « المادة الاولى . جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة على مسافة ثلاث ساعات عن المواضع التي يربها العسكر الفرنسي يجب ان ترسل للصارى عسكر بعض وكلاء من عندها لكي يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا العلم الفرنسي الذي هو ابيض وكحلي واحمر

« المادة الثانية . كل قرية تقوم على العساكر الفرنسية تحرق بالنار  
 « المادة الثالثة . كل قرية تطبع العساكر الفرنسية يجب عليها ان تنصب العلم الفرنسي كذلك علم سلطان العثمانيين محبنا دام بقاءه  
 « المادة الرابعة . على المشايخ في كل بلد ان يخشعوا حالاً لجميع الارزاق والبيوت والاملاك خاصة المماليك وعليهم الاجتهاد الزائد لكي لا يضيع ادنى شيء منها

« المادة الخامسة . يجب على المشايخ والنضاة والائمة ان يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من اهل البلد ان يبقى في مسكنه مطمئناً كذلك نقدم الصلوة في الجوامع على العادة وعلى المصريين جميعاً ان يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض دولة المماليك قائلين بصوت عال ادام الله اجلال سلطان العثمانيين . ادام الله اجلال العسكر الفرنسي . لعن المماليك واصلح حال الامة المصرية

« تحريراً في معسكر الاسكندرية في ٢٢ شهر مسدور من السنة السابعة من اقامة الجمهور الفرنسي يعني او اخر شهر محرم سنة ١٢١٢ هـ »  
 وامر بتوزيع هذا المنشور في البلاد المصرية . ثم فكر في امر التوجه الى القاهرة واخضع سائر القطر . وكان الى القاهرة من الاسكندرية طريقان الواحد عن طريق دمهور او الصحراء على البر الغربي والثاني عن طريق رشيد في النيل فرأى ان الطريق الثاني اصعب مسلماً عليه بالنسبة لبقاء

رشيد في حوزة المالك اذ ذاك فاقر ان يسير في حملة عن طريق دمهور في الصحراء وكان قد اتخذ الجنرال ديزه عند استلام الاسكندرية ليسير في ذلك الطريق وارسل عمارة بحرية لتحمل رشيد ثم تسير في النيل للملاقات في الرحمانية

وفي ٢٤ محرم سنة ١٢١٢ هـ (٧ يوليو/تموز) سنة ١٧٩٨ م) بارح بونابرت الاسكندرية في الساعة الخامسة مساءً وقاية من الحر تاركاً كلاهما فيها وما زال سائراً بجملة حتى منتصف الليل فنزلوا للراحة فرقدوا ساعتين ثم نهضوا وما زالوا يواصلون السير ليلاً ونهاراً وقد قاسوا عذاباً شديداً من قلة الماء حتى وصلوا دمهور فصادفوا خيرات كثيرة وماء غزيراً فكموا هناك يومين وليتين ثم ساروا قاصدين الرحمانية في صباح ٢٨ محرم سنة ١٢١٢ هـ (١١ يوليو/تموز) سنة ١٧٩٨ م)

وفي اليوم الثاني من مسيرهم لا قنهم شرفة من الخيالة المالك فحصلت بين الفريقين مناوشة شنت عن انهزام المالك بعد ان قتل منهم نحو من خمسين فارساً. فواصل بونابرت سيره حتى وصل الرحمانية وقابل النيل فوثبت العساكر على الماء كانوا ذئاب خاطفة فشربوا وتركوا خبولهم للرعي وعسكر بونابرت ومن معه طلباً للاستراحة على اثر ما قاسوه من مشاق السفر والعطش ريثما تصلهم العمارة البحرية التي انفذوها الى رشيد . وبعد ليلتين من مكوثهم هناك اتت العمارة بعد ان استولت على رشيد وجعلت فيها حامية تحفظها . وكانت الجيوش قد استراحت فتأهبت للرحيل الى القاهرة فسارت المشاة والفرسان على الضفة الغربية حذاء النيل والى يسارها العمارة سائرة في النيل وما زالوا يجدون السير حتى اتوا بحلة سلامة عند المساء فلم يمكنهم استطلاع حالة العدو تلك الليلة

اما ما كان من قبيل مراد بك فانه عند ما عهد اليه المسير الى الاسكندرية كما تقدم جمع اليه خياله وقيل مبارحهم القاهرة صاروا

يصادرون الناس وبأخذون ما يحتاجون اليه بدون ثمن . ثم سار بهم الى  
 الجسر الاسود في البر الغربي فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وسناجفه  
 وفيهم علي باشا الطرابلسي وناصيف باشا وكانا من اخصائه المقيمين معه  
 في الجيزة . واخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود . وجعل الرحالة  
 وهم اسراب من الالدائشات والغليونجية والاروام والمغاربة حملة بحرية  
 تسير في النيل على الغلايين الصغار التي انشأها هو . ولما بارح الجسر  
 الاسود ارسل الى مصر بمشورة علي باشا الطرابلسي يأمر باصطناع سلسلة  
 من الحديد في غاية التحن والمثانة طولها مائة وثلاثون ذراعاً تنصب بعرض  
 البوغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لتمنع مراكب الفرنسيين من  
 المرور . وان يجعل عندها جسر من المراكب عليها المتاريس والمدافع  
 ظناً منه ان الفرنسيين لا يناهضون المصريين في البر ولا بد من قدومهم  
 بجرأ وانهم يطاولونهم ويصابرونهم في القتال حتى تأتيهم التجذات . وما زال  
 مراد بك سائراً فيمن معه ملازماً ضفة النيل الغربية والى يمينه الغلايين  
 وفيها من ذكرنا من الرحالة قاصداً الجيوش الفرنسية فوصل الى قرية  
 شبرايس وعسكر هناك بفرسانه وارسل عمارته للملاقة عمارة الفرنسيين  
 فالتقت بها على مسافة قصيرة من منية سلامة وقد تجاوزت جنود البر  
 مسافة بسبب الريح الشديد الذي طلع عليها ذلك اليوم . فانههر  
 الفرنسيون لذلك الاتفاق فاطلقوا نارهم فاجابهم المماليك وكان على  
 قيادة العمارة المصرية علي باشا الطرابلسي المتقدم ذكره فاحتمت الحرب  
 بين الفريقين حتى كادت تدور الدائرة على الفرنسيين وقد يسوا  
 لدخول عدة من مراكبهم في حوزة المماليك فارسل بيده قائد العمارة  
 الفرنسية من يوصل الخبر الى بونايرت لیسرع الى امدادهم . ثم اتفق ان  
 احدى قنابل الفرنسيين اصابت المركب الذي فيه زخائر المماليك  
 فاحرقها وتطايرت اجزاؤها في الفضاء فاندعر المماليك وخابت آمالهم

ثم وصل بونايرت بمن معه فحمد الاتفاق الذي نجس عارتمه وامران تنتظم  
عساكره مربعات منتظمة لملاقاة المماليك في البرايضا فالتقى الفريقان  
وبعد الاخذ والرد مدة عاد المماليك على اعفانهم طالبين النجاة وفر كل  
من كان في القرى المجاورة فدخلها الفرنسيون فلم يجدوا فيها احداً  
فواصلوا السير حتى اتوا وردان فعسكروا للاستراحة ثم بلغهم ان مراد  
بك ورجاله قد تحصنوا في امبابه مقابل القاهرة

وفي ٧ صفر سنة ١٢١٢ هـ بارح بونايرت وردان بجيشه قاصداً  
القاهرة وما مشى يسيراً حتى ظهرت له من وراء الافق الاهرام العظيمة .  
وما زال اهل القاهرة منذ سفر مراد بك لملاقاة الفرنسيين في اضطراب  
يجمع علماءهم وفقهاؤهم في الجامع الازهر يقدمون الصلوات والتضرعات  
الى الله ان ينصره على الاعداء ومثل ذلك كان يفعل القراء وتلامذة  
المدارس . اما باقي الاهالي فكانوا في اضطراب عظيم ولا سيما عندما كانوا  
يسمعون بتقهقر المماليك

اما ابراهيم بك فكان معسكراً في بولاق كما تقدم . فلما بلغه تهقر  
مراد بك من شبرايس بمدافعه تخابر مع رجال حكومته فاقروا على مد  
الطوباني واقامة المدافع من بولاق الى شبرا نعزيزاً للقاهرة . اما اهالي  
المدينة فمن بسكن جاشهم وقد وقع في قلوبهم الرعب . اما مراد بك فكان  
قد تحصن في امبابه على نية ان يقابل الفرنسيين هذه المرة بالمدافع وليس  
بالفرسان كما فعل في شبرايس . وفي صباح يوم السبت في ٨ صفر بلغ  
الفرنساويون الجسر الاسود ثم ام دينار . وفي صباح ٨ منه ( ٢١ يوليو )  
بارح الفرنسيون ام دينار ونزلوا على مسافة ميلين من امبابه في حقل  
من البطيخ فكان النيل عن يسارهم والاهرام وسلسلة جبال ليبيا عن  
يمينهم وامبابه امامهم وفيها مراد بك وجنوده وعليهم الالبسة والدروع من  
الحديد المصقول نللاً في اشعة الشمس واللوان ملابسهم تزيدها رونقاً

واصوات خيولهم قد ملأت النضاء . فالتفت بونابرت الى معسكر العدو  
فاذا به حصين وفي مقدمته اربعون مدفعاً مستعدة لاطلاق القنابل على  
الفرنساويين عند ابداء اول حركة نحوهم فالتفت الى رجاله و اشار الى  
الاهرام قائلاً « اعلموا ان خمسين جيلاً من الناس تنظر اليكم من قمة هذه  
الاهرام وتراقب حركاتكم ناظرة الى ما يا أول اليه امركم مع هؤلاء المماليك »  
وترى في شكل ٨٨ الجيوش الفرنسية بجوار اهرام الجيزة

ثم أمر فرقة  
الجنرال ديزه ان  
تسير نحو اليمين  
والفرق الاخرى  
نحو اليسار تجنباً  
لنيران تلك المدافع  
فادرك مراد بك  
مرادهم من هذه



ش ٨٨ الجيوش الفرنسية بجوار الاهرام

الحركات فامر ايوب بك الدفتردار ان يطلق القنابل على فرقة الجنرال ديزه  
ويوقفها عن المسير فوقفت على شكل مربع تنتظر هجوم المماليك فهجم ايوب  
بك بهجمة الاسود الضارية وتبعته السناجق بالسيف فلاقاهم مربع ديزه  
بنار كالصواعق المتساقطة فلم يترك ايوب بك هاجماً وهو ينادي باعلى صوته  
« ويل لكم ايها الكفار الملاعين قد ساقنكم كبرياؤكم الى ارضنا مهلاً اننا  
سنملى القبور باجسادكم ونجعل هذا اليوم يوماً تذكراً اعتناكم من بعدكم .  
اما نحن فاذا مات احدنا فانه يذهب شهيداً الى النعيم والذي يبقى حياً  
فله السعادة الى آخر ايامه » . ثم هجمت الفرق الفرنسية من على  
اليسار واشتد القتال وما زالت الحرب سجلاً حتى نهضت المماليك وقُتل

ابوب بك وفرّ مراد بك بمن بقي من رجاله قاصداً الصعيد واستولى  
الفرنساويون على امبابه

فلما اتصلت تلك الاخبار بالفاهرة ضجت العامة وكثرت الغوغاء من  
الرعية واخلاط الناس بالصياح منادين «يارب بالطيف يا رجال الله»  
وكانوا كأنهم يقاتلون وبجاربون بصياحهم وجلبتهم وكان العقلاء منهم  
ينادونهم ان يتركوا ذلك الصياح قائلين ان الصحابة والمجاهدين انما كانوا  
يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الاصوات والصراخ  
والنباح. اما هم فكانوا لا يسمعون ولا يرجعون ومن يقرأ ومن يسمع ثم  
ركبت طائفة كبيرة من الامراء والاجناد من المعسكر الشرقي في بولاق  
وفهم ابراهيم بك وشرعوا في التعدية امداداً لمراد فتزاحموا على المعادي  
لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة فلم يصلوا الى البر الثاني حتى  
وقعت الهزيمة على الحارين كل ذلك وريح النكباء يشتد هبوبها وامواج  
البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه  
المصريين فلم يستطع احدهم ان يفتح عينيه من شدة الغبار وكان ذلك من  
اعظم اسباب الهزيمة حتى خيل للناس ان الارض تزلزلت والسماء ساقطة  
عليها. كل ذلك والهزيمة متواصلة حتى انهزم ابراهيم بك وبكير باشا.  
وجعل اهالي المدينة يحملون ما خفف حملة وغلا ثمنه ويفرون من وجه  
الموت جنوباً وشرقاً الى الصعيد او الى السويس وبلبيس اما ابراهيم بك  
فسار الى جهة الشرق. كل ذلك ظناً منهم ان الفرنسيين قد عدوا الى  
البر الشرقي ولا سيما عندما رأوا دخاناً متصاعداً من جهة بولاق وقيل لم  
ان الفرنسيين قد حرقوها وجاءوا قاصدين المدينة بحرقون وبنهبون  
ويبتكون

ولما اصبح الفوم تبين لم ان الفرنسيين لا يزالون في البر الغربي  
فاجتمع بعض العلماء والمشايخ في الجامع الازهر واقرؤوا على ان يرسلوا الى

الفرسناويين كتاباً وينظروا ماذا يكون من أمرهم فإرسلوه صحبة رجل مغربي يعرف الفرسناوية وبرفته رجل آخر فعادا وإخبرا انها قابلا كبير الفرسناويين واعطياه الكتاب فقرأه عليه ترجمانه ومضمونه الاستنهام عن قصدهم فقال لما ابن عظامكم ومشائخكم لماذا لا يأتون الينا لنجري ما يكون فيه راحتهم فقالوا اننا جئنا نطلب ذلك بالنيابة عنهم فقال قد سبق منا منشور ارسلناه اليكم من الاسكندرية فقالوا قد وصلنا وانما نريد تضمينا آخر فكتب لهما ما مضمونه « اننا قد ارسلنا لكم سابقا كتابا فيه الكفاة وقد ذكرنا لكم اننا ما حضرنا الا بقصد ازالة الممالك الذين يعاملون الفرسناويين بالذل والاحقار واخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا الى البر الغربي خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقون وقتلنا بعضهم واسرنا بعضهم عندنا ونحن في طلبهم حتي لا يبقى منهم احد في النظر المصري . واما المشايخ والعلماء واصحاب المراتب والرعية فليكونوا مطمئنين وفي مسألتهم مستقرين الخ » . ثم قال لها يلزم ان يأتي الينا المشايخ والشورى بحجة لترتب لهم ديوانا نتخبه من سبعة اشخاص عقلاء يدبرون الامور . فلما رأى العلماء تلك الملاينة سكن جاشهم وكانوا من كان فارا منهم فحضر الشيخ الشراوي والشيخ السادات . وفي ذلك اليوم حضر بعض الاوباش ونهبوا بيتي مراد بك و ابراهيم بك بخطة قيسون واحرقوها

وفي يوم الثلاثاء ١١ اصفر عدت الجيوش الفرسناوية الى القاهرة ونزل بونايرت في بيت محمد بك الالفي في الازبكية بخط الساكت وكان قد بناه وزخرفة في السنة الماضية كانه كان يعده هذه الغاية وهي البناية التي فيها مخزن فرانسيز الآن بجانب اللوكنة الخديوية . واخذت العساكر الذين دخلوا القاهرة من الفرسناويين يعاملون الباعة باللين وبيتاعون ما يحتاجون اليه ويدفعون فيه ثمنا غاليا فاحتبهم الناس وارتاحوا اليهم وفي الخميس ١٣ اصفر بعث بونايرت بطلب المشايخ واعيان البلاد

والوجاقية فحضروا ولما استقرَّ بهم المجلس خاطبهم وتفاوض معهم بامر  
 انشاء ديوان مؤلف من عشرة اشخاص من المشايخ لنصل الدعاوي فوقع  
 الاتفاق على عشرة وفيهم الشيخ عبدالله الشرفاي والشيخ خليل البكري  
 والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ محمد المهدي . كل هذا الانتخاب حصل  
 بمشورة قنصل فرنسا في مصر والاسكندرية وجعلوا علي آغا الشعراوي  
 والباعلي الشرطة وعلي آغا محرم والبا علي الاحنساب باشارة ارباب  
 الديوان بعد ان افهموا بونايرت ان سوق مصر لا يهابون الا الانراك  
 وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يجاسرون على  
 الظلم كثيرهم . وجعلوا ذا الفقار كتحدا محمد بك الالفي كخبيا لبونايرت .  
 وجعلوا من ارباب الثوري الخواجه موسى كاقول وكلوي الفرنسيين  
 ووكيل الديوان جان بنوا . ثم امروا الوالي والآغا ان ينادوا بالامان وفتح  
 الحوايت وان يطمئن الناس . وكان الفرنسيون يدخلون بيوت الامراء  
 المهجورة ويأخذون منها شيئا ويتركونها منموجة فيدخلها الرعاع وينهبونها ثم  
 تكررت هذه التعديات على البيوت التي اصحابها فيها فجعلوا للبيوت يبارق  
 بثلاثة ألوان تعلق على بيوت الكبراء الذين يخافون على بيوتهم من النهب  
 او يلصقون على ابوابهم ورقة يأخذونها من السر عسكر ( بونايرت ) .  
 وفي ذلك اليوم قلدوا برطلين الرومي كخبيا مستخفظان وجعلوا شخصا آخر  
 افرنجيا امين البحرين واخر جعلوه آغا الرسالة وجعلوا الديوان في بيت  
 قائد آغا بالازبكية قرب الرويعي وسكن به رئيس الديوان وسكن دوي  
 قائم المدينة ببيت ابراهيم بك الوالي المطل على بركة النيل وسكن شيخ  
 البلد في بيت ابراهيم بك الكبير وسكن مجلون في بيت مراد بك . واقام  
 بونايرت بوسليك مديرا للمالية سكن في بيت الشيخ البكري القديم وكان  
 يجتمع عنده القبط لاجل الحسابات  
 ثم اخذت العساكر الفرنسية تعدي للبر الشرقي شيئا فشيئا حتى

كثير عددهم في القاهرة فامتلات منهم الاسواق وسكنوا في البيوت ولكنهم لم يشوشوا على احد وكانوا يأخذون ما يحتاجون اليه بزيادة في الثمن ففجر السوقه وصغروا اقراص الخبز وطعنوا الحنطة بترابها وكثرت باعة المأكولات وفتح الاروام عدة حوانيت لبيع انواع الاشربة وحانات وقهاوي وفتح بعض الافرنج المتوطنين بيوتاً لصنع الاطعمة والاشربة على النمط الافرنجي (اي لوكاندات افرنجية) ولم يكن ذلك معروفاً في مصر الى ذلك العهد ولذلك وصنها المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي كانها شي جديد دخل عليهم فقال «فتحوا بيوتاً لصنع الاطعمة والاشربة على طرايقهم في بلادهم وجعلوا على ابوابها علامات يعرفونها بينهم فاذا مرّت طائفة تريد الاكل بذلك المكان دخلوه وهو يشتمل على عدة مجالس بين دون وعال ووسط وعلى كل مجلس علامة ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل وفي تلك المجالس موائد من الخشب عليها الطعام وحولها الكراسي فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه ثم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة وبذهبون لحالم»

وفي يوم السبت ١٥ صفر سنة ١٢١٢ اجتمع الديوان المتقدم ذكره وتباحث في احتياجه الى النقود فقرّر استلاف خمسمائة الف ريال من التجار المسلمين والنصارى والقبط والسوريين والافرنج واخذوا في تحصيلها وقرروا ان ينادى في الاسواق ان من أخذ شيئاً من بهب البيوت عليه ان يحضر به الى بيت الفائتقام وان لم يفعل وظهر بعد ذلك بشتد عقابه . وان ينادى على نساء الامراء والبكوات بالامان وان يسكن بيوتهم وان كان عندهن شي من امتعة ازواجهن يصالحن على انفسهن فجماء كثيرات منهم وصالحن ودفعن مبالغ عظيمة

وفي يوم الاحد في ١٦ منه طلب بونا برت الخيول والجمال والاسلحة

فجمعوا شيئاً كثيراً منها وكذلك الابقار والثيران واشاعوا التفتيش وكسروا  
 عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره واخرجوا ما وجدوه فيها من الاسلحة  
 واخرجوا فيها خلا ذلك كثيراً من الخبايا والودائع بواسطة البنائين  
 والمهندسين والخدم الذين يعرفون بيوت اسياهم فكانوا يطلعونهم على  
 اماكن الخبايا ومواقع المدافن تقريباً من الفرنسيين . وفي ذلك اليوم  
 قبضوا على شيخ الجعيدية (الرعاع) ورموه بالرصاص ببركة الازبكية مع  
 رفيق له . ثم قبضوا على آخرين في الرميلة فخاف الناس وصار ياتي الذين  
 عندهم منهوبات ويقدمونها للديوان

وفي يوم الثلاثاء ١٨ منه طلبوا اهل الحرف والتجار وضربوا عليهم  
 مبلغاً على سبيل الفرض لا يستطيعون دفعه واجلوا لهم اجل ستين يوماً  
 لدفعه فاستغاثوا وذهبوا الى الجامع الازهر والمشهد الحسيني واستشفعوا  
 المشايخ فتكلموا بامرهم امام الديوان فلطف المطلوب الى نصفه ووسعوا لهم  
 في الاجل . وقد كان بكل عطفة او حارة من عطف وحارات القاهرة  
 باب كبير مصنع بالحديد يقفل ليلاً . فامر بونايرت بقلع ابواب الدروب  
 والعطف والحارات واستمروا في ذلك عدة ايام فخاف الاهالي وكثرت  
 ظنونهم في المتصود من تلك الاعمال فظن بعضهم ان الفرنسيين عازمون  
 على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة وقال آخرون غير ذلك . وكان في  
 القاهرة دار لضرب النقود تضر بها باسم السلطان فامر بونايرت ان يستمر  
 الضرب كما كان وعمهد ذلك الى احد رجاله . وكان في نيته انشاء بريد  
 (بوسطة) بين مصر والاسكندرية لكنه لم يستطع ذلك لكثرة الاخطار  
 التي تحيط برسل البريد اثناء الطريق

وفي ٢٠ منه وردت الى الديوان تحارير من قافلة الحج من العنبة  
 فذهب ارباب الديوان الى السر عسكر بونايرت واعلموه بذلك وطلبوا  
 منه اماناً لامير الحاج فامتنع خيفة ان يكون في كثرة من الحجاج فيحدث

ما يكدر الراحة . وقال لا اعطيه ذلك الا اذا جاء في قلة ولا يدخل معه  
 الماليك فقالوا ومن يغفر الحجاج قال انا ارسل لهم من عساكري اربعة  
 آلاف بوصولهم الى مصر فكتبوا الى امير الحج كتابا لطيفا واوعزوا اليه  
 ان يحضر بمن معه الى الدار الحمراء وانه متى وصل الى هناك يدبرون ما  
 فيه الخير فلم يصله ذلك الكتاب حتى خابره ابراهيم بك وكان في بليس  
 يطلب اليه ان يوافيه الى هناك حالا فسار الى بليس فعلم بونايرت باقامة  
 ابراهيم بك في بليس فارسل اليه فرقة من جيوشه تحت قيادة الجنرال  
 لاكلاك فسار وعسكر في الخانكاه وراء المطرية ومكث هناك يومين ولم  
 يصادف اقل مقاومة . وفي اليوم الثالث هجم عليه وعلى رجاله قبائل من  
 العرب وبينهم عدد كبير من الماليك وبعد محاربة شديدة تفجرت الجيوش  
 الفرنسية نحو القاهرة لعجز خيولهم فعلم الجنرال مورات بذلك فاستمد  
 بونايرت فامده فاجتمعت الجيوش الفرنسية ثانية الى الخانكاه وتبعهم  
 بونايرت بنسيه خيفة ان يكونوا في ارتباك فينكسرون وتعود العائدة عليهم  
 فاتحدت جميع الجيوش الفرنسية في الخانكاه وساروا جميعا في اثر العربان  
 والماليك حتى الصاحبة وهناك كان ابراهيم بك بمن معه ثم علموا انه بارح  
 الصاحبة فارا نحو سوريا ملتجئا الى الجزار في عكا وانضم كثيرون من  
 رجاله الى عسكر الفرنسيين وسلمت الصاحبة من فيها

فلما رأى بونايرت ذلك اسرع بالعود الى القاهرة . وبينما كان في  
 الطريق قابله رسول بكتاب منضوض فتلاه فاذا بوخبر قدوم عمارة نلسون  
 الانكليزية الى الاسكندرية وحصول موقعة كبيرة في ابي قير شنت عن  
 تحطم العمارة الفرنسية برمتها . فاندعر لذلك الخبر واكنه تجلد وقال  
 لاركان حربه الذي كان قد فض الكتاب وتلاه قبله دع هذا الخبر في  
 سرك الان لتري ماذا يأتي به الغد

## «موقعة ابي قير»

وتنصلب تلك الموقعة ان نلسون بعد ان بارح الاسكندرية علم  
 بقدم الفرنسيين اليها ودخولهم في القطر المصري فعاد بعمارته حتى جاء  
 الاسكندرية في ١٩ صفر سنة ١٢١٢ هـ (اول اوغسطس (آب)  
 سنة ١٧٩٨ م) وكانت العمارة الفرنسية راسية في جون ابي قير على خط  
 واحد ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي تحت قيادة الاميرال  
 برويس وكانت قد ارسلت في ذلك الصباح خمسة وعشرين نفراً من كل  
 دارعة من دوارعها الى البر لغفر الفعلة المرسلين لاحتمار الآبار فلما  
 استكشفوا العمارة الانكليزية نادوا بالرجال ان يعودوا الى المراكب . ثم  
 تداول الاميرال برويس مع ضباطه في كيفية مقابلة العمارة الانكليزية  
 فاشاروا عليه ان يخرج من الجون ويستقبلها في ظهر البحر فاصراً على  
 بقائه في مكانه بدعوى ان عدد رجاله لا يسمح له بقبول مشورتهم فقيت  
 العمارة في الجون بانتظار الانكليز . اما نلسون فكان مذموم باحتلال  
 الفرنسيين مصر عاملاً فكرته في كيفية ملاقاتهم لا يأكل ولا ينام .  
 فلما صار على مشهد من عمارتهم فكر في احسن اسلوب يأخذهم به فاقتر على  
 ان يرسل قسماً من مراكبه يدخل بين الفرنسيين والبر والقسم الآخر  
 بأنهم من الامام فيجعلهم هدفاً للاربعين حاميتين غير متغافل عما يحيط بهذا  
 العمل من الخطر ولكن يظهر انه كان ممن يستسهلون الصعب . فسارت  
 بعض مراكبه من وراء الفرنسيين وورست بينهم وبين البر ونقدت بقية  
 المراكب من الامام وكانت الشمس قد مالت الى الغروب وابتدأ نلسون  
 باطلاق المدافع فاجابة الفرنسيون بنار مثل ناره . وبعد ١٢ دقيقة  
 انكسرت دارعة فرنسوية وبعد عشر دقائق انكسرت دارعتان اخريان  
 ولم يأت العشاء حتى استولى الانكليز على عدة دوارع فرنسوية عدا  
 عن التي كسرت

وكان الاميرال برويس على الدارعة « الشرق » ذات المائة  
 وعشرين مدفعاً وعليها نحو من الف رجل وكان نلسون من الجهة الاخرى  
 على احدى دوارعه يراقب حركات الفرنسيين ويعطي الاوامر فاصابته  
 رصاصة في جبهته فوق احدى عينيه فتدلى الجلد حتى غشي بصره فرفعة  
 يده غير مبال وجعل ينظر الى ما يكون من حركات الدوارع وكان بجانبه  
 احد ضباطه فامسكه بيده فاتبه كأنه كان في غفلة وناداه قائلاً « قد  
 قتلت فارجوك ان تذكرني امام امرأتي » فحملوه الى غرفته واحاط به  
 الاطباء وبعد ان كشفوا عن جرحه طبيباً خاطره وطمنوه ان المرح لا  
 يؤذن بالمخطر السريع اما هو فلم يكن ينتظر الشفاء ولكنه مع ذلك لم يشغل  
 عن الاوامر الى ضباط الدوارع وكان يتبع حركاتها وهو على فراشه . ثم  
 صمدوا جرحه وهو يخاطب كاتب سره ان يجر رحالاً لنظارة البحرية  
 في لندنرا عن هذه الحاربة فلم يستطع احد من الحضور ان يمك التلم  
 من شدة التأثر فاخذ نلسون قلماً وجعل يكتب سروراً بما اوتيه من النور  
 اما الاميرال برويس فاصيب اولاً ببعض الجروح ثم اصابته قنبلة  
 قطعته قسمين فسقط على الارض فارادوا حملته الى اسفل الدارعة فاشار لم  
 ان يتركوه يفارق الحياة على ظهرها فتركوه . وبعد العشاء يسير اصاب  
 « الشرق » الدارعة الفرنسية العظيمة احتراق تطرق الى جارتها فبلغ  
 ذلك الاميرال نلسون فطلب ان يحملوه الى ظهر دارعته ليشاهد ذلك  
 فحملوه فلما رأى تلك المشاهد تأثر منها كثيراً فامر ان يسير احد الضباط  
 في سرب من العساكر لمساعدة الفرنسيين في انقاذ دارعة « الشرق » من  
 الحريق ولم ينج من رجالتها الا بعضهم واشتد الحريق حتى رآه اهالي  
 الاسكندرية ورشيد . وما زال الاطلاق متواصلاً والاضطراب متسلطاً  
 حتى ظهر يوم الثاني وقد فاز الانكليز فوزاً ميبناً  
 وكان كلا برورجاله في الاسكندرية اثناء المعركة في خوف واضطراب

وكانوا جميعاً تحت السلاح. وفي الصباح وردت لهم الاخبار بانكسار العمارة الفرنسية ثم وردت مكانية اخرى تفيد ان اسرى ومجارج الفرنسيين ممنوطين بكل اكرام عند الانكليز وان في نية نلسون ان يبعث بهم الى البر يقيمون في مستشفيات تحت معاينة بعض اطباطه . فلما وصل خبر انكسار الفرنسيين الى رشيد والاسكندرية خافت جيوش الاحتلال وصغرت قيمتهم في اعين الوطنيين. واضطر الرشيدون الى تواصل المخاطبة مع الاسكندرانيين فاقاموا قافلة تنقل البؤد وفيها التجار والرسائل والاخبار لاجل المناوضة في امر الدفاع اذا اراد الانكليز محاربتهم . فكتب كلاير الى بونايرت بواقعة الحال وما انتهت اليه العمارة الفرنسية فوصلة الكتاب اثناء عودته من الصحية كما مر بك اما العمارة الانكليزية فاقلمت عن الاسكندرية « عود »

فسار بونايرت حتى اتى بليس فرأى ضباطه واركان حربه على المائة صباحاً وهم فرحون بانتصارهم على المالك في الصحية غير عالمين بشيء من محاربة ابي قير فقال لهم ضاحكاً « افرحوا ولتنشرح صدوركم واجتهدوا ان تعادوا على هواء هذا الاقليم فاننا اصبحنا ولا مراكب لدينا تنقلنا الى اوربا » فاضطربت قلوبهم عند ذلك فطلب اليهم ان لا يذيعوا الخبر ثم ساروا حتى وصلوا القاهرة مساء الخميس ٤ ربيع اول واليوم التالي كان يوم وفاء النيل (١٢ مسري) فامر بونايرت ان يحتمل بفتح الخليج كالعادة فزينوا عدة غلابين ونادوا في الناس المخرج للنزهة في النيل والمنقاس والروضة على عادتهم . وارسل بونايرت اوراقاً رسمية الى كبحا الباشا والى القاضي وارباب الدبوان واصحاب المشورة وارباب المناصب وغيرهم للحضور في صبحها وركب هو معهم في موكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قنطرة السد وكسروا الجسر بحضورهم واطلقوا المدافع اطلاقاً متواليماً واحرقوا النبوط حتى جرى الماء في

المخلج ثم ركب وهم برفقتهم حتى اتى الى داره . اما اهل المدينة فلم يخرج احد منهم تلك الليلة للتنزه في المراكب كالعادة الا الافرنج والسوريون والقبط وقليلون غيرهم

ثم جاء المولد النبوي ولم يكن في نية العلماء الاحتفال به فاستنهم بونابرت عن سبب ذلك فاعنذر الشيخ البكري بتوقف الاحوال وتعطل الامور وعدم امكانهم القيام بما يقتضيه ذلك الاحتفال من النفقات . فقال بونابرت لا بد من الاحتفال كالعادة وصرف له في الحال ثلثمائة ريال فرنساوي وامر بتعليق قناديل واحمال وتعاليق واجتمع الفرنسيون يوم المولد ولعبوا ميادينهم وضربوا طبولهم وارسل بونابرت طليخاتة الكبرى (الموسيقى) الى بيت الشيخ البكري واستمروا بضربونها طول الليل والنهار بالبركة تحت داره واحرقوا اثناء الليل نفوطاً وشوارنج كثيرة وفي ذلك اليوم اُلبس الشيخ خليل البكري فروة ونقذ نقابة الاشراف ونودي في المدينة بان كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها الى النقيب

ثم جاء يوم احتفال الفرنسيين بجمهوريةهم للسنة السابعة فاحتفلوا به غاية الاحتفال وشخصوا فيه حرب امبايه وانكسار الماليك ونصبوا شجرة الحرية فانتهج لها الوطنيون ولم يكونوا يفهمون المقصود منها . ثم ارسل بونابرت مندوباً ينصب العلم الفرنسي ذي الثلاثة الوان على قمة احد الاهرام العظي وحنروا هناك اسماء الضباط الذي قتلوا في واقعة امبايه وقد تقدم ان السيد محمد كريم بقي في الاسكندرية كما كان فيها قبل مجيء الفرنسيين . وقبل واقعة ابي فيرسيبر عثر الفرنسيون على كتاب مرسل من محمد كريم المذكور الى مراد بك يتواطأ معه على تسليم الاسكندرية فاستحضر الى القاهرة فحكم عليه ان يدفع ثلاثمائة الف فرنك غرامة على خيانتيه وانه اذا لم يدفع المبلغ اثناء خمسة ايام يقطع رأسه فقال

له التراجمة انت رجل غني فافد نسك بهذا المبلغ فتبسم وقال « لا لا ادفع شيئاً لاني اذا قدر لي الموت لا يدفع الدفوع مقدوراً واذا قدرت لي الحياة فانا حي بغير دفع ». ثم استخضر وسئل عن تلك الخيانة فانكر فابرزوا له التحرير فأفحم فارسله بونابرت الى شيخ البلد فطلب العلماء من بونابرت ان يعنو عنه فاطلعمهم على تحريره واصرّ على قتلوه وما انفك حتى اذا فة الموت وطوف رأسه بالمدينة مكتوباً فيه « هذا جزاء الخائن »

وفي ٢٠ منه استدعى بونابرت مشايخ القاهرة وعلماءها الى بيته فلما استقروا جلوساً خرج ثم عاد ويده طيالة ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض ابيض واحمر وكحلي فوضع واحداً منها على كتف الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان فرمى به الى الارض واستعفى وتغير مزاجه واخذ منه الغيظ مأخذاً عظيماً . فقال الترجمان الذي كان مرافقاً لبونابرت « يا مشايخ ما بالكم لا تزالون في نفرة من حضرة الصاري عسكر فقد صرتم من احبائه وهو يقصد بالباسكم هذه الطيالة تعظيمكم ونشر بكم بزبه وعلامته فانكم اذا تميزتم بها عظمتكم العساكر واكثرت من احترامكم » فقالوا « لكن قدرنا يحط عند الله وعند اخواننا المسلمين » فاغناظ بونابرت وانهر الشرقاوي قائلاً ان مثلك لا يصلح للرئاسة فنهض بقية الجماعة وجعلوا يلطنون من غضب بونابرت ويطلبون اليه ان يعفيمهم ما اراد . فقال ان لم يكن هذا فلا بد من وضع الجوكار في صدوركم وهي العلامة التي يقال لها الوردة وقد تقدم ذكرها فقالوا نرجوك الامهال ربثما تروى في الامر وانصرفوا

ثم استدعى بونابرت الشيخ السادات اليه فحضر فلاتفة في النول واعرب له عن محبته له (كل ذلك بواسطة الترجمان) ثم ناوله خاتماً من الالماس هدية وطلب اليه ان يحضر في اليوم التالي فحضر فاتى له بجوكار وعلقة بفرجته فسكت ولما انصرف نزعته . وفي ذلك اليوم نودي بالمدينة

نوجوب نقل هذه العلامة وانها هي علامة الطاعة والمحبة فانف الناس على ان بعضهم علم انها لا تخل بالدين وخشي العقاب فوضعها . ثم في العصر نادوا بعدم اعطائها الا لبعض الاعيان اما الباقون فيضعونها اذا جاءوا لمقابلة رسمية

ومن الغريب ان النابوليون بونايرت مع شدة رغبته في الاستيلاء على مصر وكثرة سهره على ذلك لم يحسن التصرف يو كما كان يجب فقد رأيناه يصرح باحترامه الديانة الاسلامية وتأمين الاهالي على عوائلهم وادبانهم وارزاقهم واعراضهم الامر الذي استوجب عليه ثناء طيباً الا اننا لا نرى وجهاً يصوب ادعاءه الاسلام ادعاء لم يصدق احد من المصريين ولم يردد الناس بسببه الا حذراً من الفرنساويين بناء على انهم لم يدعوا غير دينهم الا تقرباً منهم لغرض في نفوسهم يحاولون الحصول عليه

على انه لو ادعى تلك الدعوى ثم تظاهر بما يثبتها لكان خيراً وانما رأينا من الجهة الأخرى يأمر بالمساواة في الارث بين الانثى والذكر امراً يخالف نص القرآن الشريف مخالفة صريحة كما لا يخفى . وليس ذلك فقط فانه تجاهل عن العوائد المشرقية واراد ان يجعل الشعب المصري بعد ما قاساه في ايام المليك ان يسير على خطوات الشعب الفرنساوي بعوائده وشرائعه وازيائه . فكانت العساكر الفرنساوية تدخل احيانا بيوت الهوانم اللواتي لم يكن يحسر الباشا بنفسه ان يدخلها . وسبب ذلك ان بونايرت اجاز لرجالو الدخول الى بيوت النساء للتفتيش على السلحة او مخبآت او امور اخرى ولا يخفى ما في ذلك من تنفير القلوب وكل منا يعلم ان الشرقي اشد حرصاً على عرضه منه على حياته . ناهيك عما كان ياتيه الجند الفرنساوي من التواخس التي تأبها النفوس الشرقية على اننا لا ننكر على هذا الرجل العظيم ما ادخله بواسطة هذه الحملة من الاصلاح في احوال الامة المصرية صحياً وادبياً وشرعياً ولكننا لا نعجب بعد ان علمنا من تصرفه مثل ما قد

علمنا اذا رأينا الاهالي يعبدون من الاخلاص له رغبا عن قرب الشعب المصري من الطاعة والانقياد . ولا غرو بعد هذا اذا رأيناهم يشتمون بمصائبه ويتربصون فرصة لشق عصا الطاعة وتنضيل سلطة المالك على تمكثها من العسف والظلم لانهم شركاؤهم بالدين وهو أكبر رابط بين المشاركة . وقد اتحد بونايرت بقول العلماء الاجتاع في ديوان تحت حمايته وما علم ان قبولهم ذلك وغيره من مثله انما هو رغباً عن ارادتهم وامتنالاً لقول القائل اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون

ومن الامور المغايرة التي اتى بها الفرنسيون واستوجبوا من اجلها نور الاهالي زيادة الضرائب والاستبداد في تحصيلها واتحدت القوانين على الموتى والضرائب على المراكب وعلى المسافرين من بلد الى اخرى فتعطى لهم تذكرة مرور بثمنها واباحة بيع المسكر في الشوارع وهدم بعض الجوامع والمزارع وتخرب بعض التراب تحت اسم الاصلاحات الصحية وتكثير القلع والاستحكامات على النلال خارج القاهرة وقطع ارزاق الاوقاف عن اهلها وتسليمها لغير المسلمين

وفي خاتمة الجميع وردت للعلماء والمشائخ تحارير سرية من ابراهيم بك واحمد باشا حاكم عكا في ٢ ربيع آخر ما لها ان جلالة السلطان قد ارسل قوة عسكرية ستصلهم قريباً لانقاذهم من نير الفرنسيين . وعلم بونايرت بذلك فجعل يجمع العلماء والفقهاء واعيان البلاد ويخطبهم محاولاً اقناعهم ان خطابات المالك لم كلها كذب وفتاق

وفي ١٨ ربيع آخر استكتب بونايرت المشائخ كتاباً ارسل منه نسخة لجلالة السلطان ونسخة لشريف مكة وطبعوا منها عدة نسخ لصنوها بالشوارع جعله عن لسان المشائخ يتكلمون عن اعمال الفرنسيين بمصر ومناذرة

« ان الفرنسيين قد قاتلوا المالك وهزموه وانهم انما اتوا مصر

وتكبدوا ما تكبدوه في سبيل حبه للباب العالي لانهم من اخصاء جلالة مولانا السلطان واعداً اعدائهم وان السكة والخطبة لا تزالان باسمه وشعائره الاسلام قائمة على ما كانت عليه وانهم هم انفسهم مسلمون يحترمون النبي والقرآن الشريف وانهم اوصلوا الحجاج المشتتين واكرموا واركبوا الماشي منهم واطعموا الجائع وسقوا الظمان واعنتوا يوم الزينة يوم جبر البحر استجاباً لسرور المؤمنين وانفقوا اموالاً برسم الصدقة على الفقراء واعنتوا كذلك بالمولد النبوي وانفقوا المال في شأن انتظامه وعلو شأنه وانهم قد انفقوا رأياً على لبس الجناب الاكرم مصطفى اغا كنجيا بكير باشا والي مصر حالاً وانهم (المشايخ) استحسنوا ذلك لبقاء علاقة الدولة العلية وانهم مجتهدون في اتمام مهام الحرمين وقد امرنا ان نعلمكم بذلك والسلام» . وارسلوا من هذا التحرير نسخة الى احمد باشا والي عكا واخرى الى والي سوريا

وفي اول جمادى الاولى سنة ١٢١٤ هـ (٢١ أكتوبر (ت ١) سنة ١٧٩٨) حضر الى الشيخ البكري جم غفير من اولاد المكاتب والفتها والعبيان والمؤذنين وارباب الوظائف والمستحقين من خدمة الاوقاف وشكوا من قطع مرتباتهم وخبزهم لان الاوقاف تعطل ابرادها واستولى على نظارتها من غير مسلمين فوعدهم انهم اذا قدموا شكواهم هذه الى الديوان يساعدهم في تحصيل حقوقهم . وفي اليوم التالي اجتمع المشايخ في الجامع الازهر وارسلوا الفراء يطوفون الاسواق ينادون المسلمين قائلين « فليذهب كل من يوحد الله الى الجامع الازهر هذا هو يوم الجهاد في محاربة الكفار واخذ النار» فجع الناس وقللوا حوائثهم ونقلدوا اسلحتهم التي كانوا قد خبأوها في اماكن معلومة وساروا نحو الجامع افواجاً يراحم بعضهم بعضاً وفي مقدمتهم السيد بدر وبعض رعاة الحسينية ينادون باعلى اصواتهم « نصر الله دين الاسلام» وساروا نواً الى بيت قاضي العسكر فوجدوا هناك كثيرين آخرين ممن سبقوهم على شاكلتهم فحاف القاضي واغلق بابه واوقف حجاباً

فصربوهم وحاول هوالمهرب فامسكوه . وكان قد توجه القسم الاعظم من  
 الجماهير الى الجامع الازهر . ثم سارت فرقة منهم الى بيت الجنرال كافارلي  
 وفيه بعض الادوات فنهوه واخربوه ولم يكن الجنرال فيه  
 وكان الجنرال ديبوي قائمًا في القاهرة مقيمًا عند بركة النيل وشاهد في  
 الصباح بعض الجماهير مارين في الاسواق فلم يعأ بحركاتهم وعند الظهر  
 رأى الجماهير قد تعاضمت والاسواق قد ازدحمت فركب في جماعة وسار  
 مسرعًا الى بيت الشيخ الشراوي رئيس الدبوان بقرب النورية فلم يجد  
 فسار شمالًا نحو بيت القاضي وكان يرى الجماهير تزداد والاصوات تتعظم  
 فمر بين النصرين فرأى هناك جمهورًا كبيرًا اوقفه عن السير فيمن معه  
 فكلمهم بواسطة الترجمان فلم يسمعوا فامر بالهجوم عليهم بالجنود التي برفقتوه  
 فرماه احد الناس من احد الشيايك على عنقه بحرية مشدودة براس  
 عمود فقطعت له وعاء دمويًا كبيرًا وكانت الفاضية عليه  
 وتعاضمت الجماهير على الخصوص في مركز القاهرة بجوار الجامع الازهر  
 اما اهالي مصر القديمة وخط بركة النيل فلم يتحركوا على ذلك وكانت  
 الجيوش الفرنسية على غير استعداد لمثل هذه الثورة وحصونهم على سفح  
 المنظم والرربي خارج القاهرة خالية من الجنود فلم يكونوا يستطيعون تهديد  
 المدينة . وجعل الناصرون يطوفون الاسواق يقتلون المسيحيين على اختلاف  
 نزعاتهم بين افرنج واقباط وسوربين ويونانيين وبنهبون مساكنهم  
 فلما اتصل ذلك ببونايرت ركب في ٢٠ من دواليل وسار الى اكثر  
 الاماكن تعرضًا للنهب والسلب فاتعشت جنوده فعهذ قيادة المدينة الى  
 الجنرال بون وفرق الطوبجية حيث اجتمعت جماهير الثائرين . وفي اليوم  
 التالي اصبح النوم واذا بسفح المنظم والرربي خارج القاهرة مرصعة بالمدافع  
 وقد ارسل بونايرت وفدًا الى المشايخ يطلب اليهم ان يوقفوا الرعاع عن  
 التجمهر فلم يفعلوا . وفي الساعة التاسعة (افرنجية) من الصباح بلغ

بونابرت ان بعض العربان قادمون الى القاهرة يريدون الدخول اليها من باب النصر فبعث اركان حريه سالكوسكي لينظر في امر ذلك فبينما كان ماراً عند باب العدوي هجم عليه بعض الثائرين وقتلوه وكان يحبه بونابرت فاسف عليه كثيراً

وبيناهم في ذلك وصل الجنرال كلابرجيشو من الاسكندرية بعد ماشي من جراحه فاشند ازر الجنود الفرنسية وتألفوا على المحاربة بقلب واحد فقبضوا على جمهور عظيم من الثائرين بجهة الازبكية . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اطلقت المدافع من الحصون خارج القاهرة على خط الجامع الازهر حيث كان مركز الثورة وفيه زعماؤها وما زال الضرب الى المساء فاضطربت الاهالي ووقع في قلوبهم الرعب فأجمع المشايخ على التسليم فركبوا خيولهم وساروا الى بونابرت يطلبون الامان فانتهرهم على ما أتوه من سفك الدماء ثم آمنهم واقف الضرب اما سكان خط حسين ومعظمهم من الجزارين فلم يبتكروا عن الضرب حتى فرغت جعبهم من البارود فهدأوا

فدخلت الجنود الفرنسية المدينة واخذوا في تسكين الناس وتفريق المجموع وفرقوا الخيالة في الاسواق للغفر فادخلوا خيولهم الى الجامع الازهر وكسروا قناديله ومحو ما كان مكتوباً عليه من الآيات القرآنية . وفي يوم الثلاثاء جمادى الاولى خرج المسلمون للصلاة في الجامع الازهر فاذا بالخيول تع فيه عجباً . وفي صباح الاربعاء ٥ منه بعث المشايخ الى بونابرت يلتمسون اخراج الخيول من الجامع فسألم عن زعماء الثورة ومنشطها فلم يجيبوه فرفض طلبهم . ثم تداخل محمد الجوهري من اعيان القاهرة وفضلاتها في الامر وكان ممن لازموا الحيادة فوافقته بونابرت على اخراج الخيالة من الجامع على ان يجعل في ذلك الخط غفراً من سبعين رجلاً . ثم سار الى بونابرت جميع السوريين واليونانيين الذين نهبت بيوتهم بسبب

الثورة وشكوا اليه خسائرهم . فعكف على الانقصاص من زعماء الثورة . فجعل يقبض على الذين تقع عليهم الشبهة رجالاً ونساء حتى قتل منهم ١٢ شيئاً دفعةً وجعل جنتهم في أكياس والفاها في النيل واخذ من ذلك الحين يستخدم الصرامة في معاملته المصريين فنع المشايخ من المباحنة في الديوان وحصر شغلهم في نشر المنشورات في الشعب لاجل تسكين العييان فسكن روع الشعب حسب الظاهر

وفي ليلة السبت ٢٤ جمادى الاولى جاء الى القاهرة هجان بكتابات من احمد باشا الجزائر وفيها فرمان عليه الطغراء العثمانية وكتابات اخرى من بكير باشا وبرايم بك وجميعها معنونة باسم مصطفى بك فلا تناولها وقرأها لم يسعه من خوفه الا ان يسلمها الى يونابرت فترجمت له وهاك ترجمتها بعد الاستهلال « ان الفرنساويين ابادهم الله وغشى اعلامهم غشاء العار لانهم كانوا معاندون قوم لا يؤمنون برسالة النبي (صلم) ويسخرون بجميع الاديان ويحجودون البعث وما قدرة الله فيهم من الثواب والعقاب وهم يعتقدون ان الصدفة العمياء هي المتسلطة على الحياة والموت وان النفس مادة وان الاجسام بعد انحلالها في الارض لا تعود الى الحياة ثانية ولا يلحقها حساب ولا دينونة وبناء على هذا الاعتقاد قد وضعوا ايديهم على هياكلهم وطردوا منها قسمهم ورهبانهم . وعندهم ان الكتب المنزلة ليست سوى خزعبلات وكاذيب ملفقة وان القرآن والتوراة والانجيل خرافات وان موسى وعيسى ومحمد رجال اعنياديون وان الناس جميعاً قد خلفوا سواء لا شيء يميز بعضهم من بعض وان كلاً منهم له ان يعتقد بما يخطر له وعلى هذه المعتقدات قد بنوا جميع اعالمهم ووضعوا شرائع جهنمية وقد اهتزت اوربا لاجرائهم هذه وسفكت في سبيل ذلك دماء غزيرة . وانتم تعلمون ماذا تأمركم به الديانة الاسلامية الشريفة فعليكم الانتباه للملافة ما يشيئون بينكم لان من غرضهم هدم مكة والمدينة واورشليم ودمج كل من فيها

من الناس الا الاطفال واقتسام تركاتهم وارضهم اما من يبقى منهم حياً  
 فيجبرونهم على اتباع مبادئهم وتعلم لغتهم فتحثني الاسلامة من الارض . فافهموا  
 اذا ما اذا تكون النتيجة اذا كان كل مسلم لا يحمل الاسلام ويجاهد ضد هؤلاء  
 المعطلين فاتبعوا اذا الى الشرك التي نصبت لكم . والاسد لا يكثر  
 بالثعالب اكثر عددها او قل الخ »

فلما فهم بونابرت فحوى هذا الفرمان اجتهد ان يغرس في اذهان المشايخ  
 انها فتن قد سعى بها اعداء الدولة والدين وما زال حتى استكنهم منشوراً  
 ممضياً منهم بفرقونه في البلاد ونصه بالحرف الواحد

« نعوذ بالله من اللتين ما ظهر منها وما بطن ونبرأ الى الله من الساعين  
 في الارض بالنسداد . نعرف اهل مصر قاطبة انه حصل بعض الخلل في  
 مدينة المحروسة من طرف الجعيدية واثرار الناس فحركوا الشرور بين  
 الرعية وعسكر الفرنساويين بعد ان كانوا اصحاباً واحباباً وترتب على  
 ذلك قتل جملة من المسلمين ونهب بعض البيوت ولكن باطف الله سكنت  
 اللتين بسبب شفاعتنا عند امير الجيوش بونابرت وارتفعت هذه البلية لانه  
 رجل كامل العقل ذو رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء والمساكين  
 ولولاه لكانت العساكر احرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلت  
 كامل اهل مصر فعليكم ان لا تثيروا اللتين ولا تطيعوا المنسدين ولا تسمعوا  
 كلام المنافقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكونوا مع الخاسرين سناء العقول  
 الذين لا ينتكرون بالعواقب لكي تحفظوا اوطانكم وتطمئنا على عيالكم  
 وادياتكم فان الله سبحانه وتعالى يوئني ملكه من يشاء ويحكم من يريد ونخبكم  
 ان كل من تسبوا في اثاره هذه اللتين قتلوا عن آخرهم وارج الله منهم  
 البلاد والعباد ونصحننا لكم ان لا تلقوا بايديكم الى التهلكة واشتغلوا  
 باسباب معاشكم وامور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم والدين النصيحة  
 والسلام » وهذا المنشور ممضي من علماء مصر كافة طبعوه بالمطبعة التي

انت بها الحملة معها كما تقدم . ثم شاع بين الاهالي امر الفرمان الذي ورد من جلالة السلطان فاضطربوا فاصدر المشايخ والعلماء منشوراً يبرئون به الفرنسيين مما جاء بجنتهم في ذلك الفرمان ونصه حرفياً « نصيحة من علماء الاسلام بمصر . نخبركم يا اهل المدائن والامصار من المؤمنين وباسكان الارياف من العربان والفلاحين ان ابراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك ارسلوا عدة من المكاتب والمحاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتنة بين الخلوقات وادعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وسبب ذلك انه حصل لهم الغم الشديد والكرب الزائد واغناظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم وان يتركوا عيالهم واوطانهم فارادوا ان يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنسيين لاجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية . ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين بانها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهاراً مع اغوات معينين . ونخبركم ان الطائفة الفرنسية بالخصوص عن بقية الطوائف الاخرى دائماً يحبون المسلمين ومائتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم وهم اصحاب مولانا السلطان قائمون بنصرتهم واصدقاء ملازمون له لمودته وعشوته ومعوثه يحبون من والاه وبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنسيين والموسكو غاية العداوة الشديدة ومن اجل هذا يعاونون حضرة السلطان على اخذ بلاد الموسكو ان شاء الله ولا يبتون منهم بقية . فنصحكم يا اهل الاقاليم المصرية ان لا تحركوا الفتنة ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من انواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبليّة . ولا تسمعوا كلام المنسدين ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون والافتصحو على ما فعلتم

نادمين وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا في  
 اوطانكم سالمين وعلى عيالكم واموالكم آمنين مطمئنين لان حضرة صاري  
 عسكري الكبير امير الجيوش بونايرت اتفق معنا على انه لا يتازع احدًا في  
 دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن الرعية  
 سائر المظالم ويقتصر على اخذ الخراج وبزبل ما احدثته الظلمة من  
 المغارم فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك المالك  
 ومخالق العباد . فقد قال نبيُّه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من  
 ايقظها بين الامم عليه افضل الصلاة والسلام خنام»

واصقوا نائمًا من هذين المنشورين في اسواق القاهرة وفرقوا منها في  
 سائر بلاد القطر . واقام بونايرت على القاهرة الجنرال اسنك عوضًا من  
 ديوي الذي تقدم انه قُتل . ثم سعى الى تحصين مداخل القطر المصري  
 الاسكندرية ورشيد ودمياط فحصنها تحصينًا منيعًا . وجعل في القاهرة  
 وضواحيها استحكامات تمنع ثورة الاهالي مرة اخرى . وانشأ في القاهرة  
 مطاحن هواء ومطاحن ماء لاجل طحن الحنطة . وجعل في الروضة  
 مستشفى (اسبتيالية) يسع خمسمائة مريضًا

ثم جعل مطاحن ومستشفيات ايضًا في الاسكندرية ورشيد ودمياط  
 وانشأ في القاهرة اذ ذاك مدرسة لتعليم الاولاد الفرنساويين المولودين في  
 مصر وجر يدنان فرنساويتان الواحدة تدعى «دكاد اجسيان» والاخرى  
 «كوريه ديجيبيت» ومرح للتشخيص ومعامل للاقتال والاسلحة والتجارة  
 ومعامل أخرى للدفاع وتوابعها وآلات الهندسة والورق والاقمشة وسائر  
 احتياجات البلاد . واستحدث فيها ايضًا اماكن للهو وحدائق للترفيه  
 وبالنتيجة ان الجيش الفرنساوي لم يكن ينقصه من داعيات الراحة الا  
 البريد وانشأوا مجرمًا عليًا مصريًا (انستيتي ديجيبيت)

وكان بونايرت لا يتقاعد مطلقًا عن اجراء كل ما فيه راحة جيشه

ورفاهية البلاد . فسكنت الاحوال مدة شهرين تمكن الفرنساويون اثناءها من اجراء بعض الاصلاحات في المدينة فردموا ما جاور بركة الازبكية والاماكن المجاورة لمسكن بونا بورت فجعلوها رحبة واسعة . وجددوا قنطرة المغربي وبنوا جسراً مهيئاً امتداداً من الازبكية الى بولاق حيث ينقسم الى فرعين يسير احدهما الى طريق ابي العلاء والاخر الى جهة التبانة وضفة النيل . وجعلوا الى جانبي ذلك الجسر خندقين وغرسوا على جانبيه اشجاراً وسيباناً . وحدثوا طريقاً آخر فيما بين باب الحديد وباب العدوي عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ومهدوا جسراً آخر ممتداً من هناك الى خارج الحسينية وازالوا ما يتخلل ذلك من الابنية وهدموا الابنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع المقس ومهدوا الارض بينها . وفعلوا كل ذلك دون ان يسخر واحد بل كانوا يدفعون الاجور زيادة عن الاستحقاق . وجعلوا جامع الظاهر خارج الحسينية على طريق العباسية قلعةً ومنارته برجاً قصار يعرف بقلعة الظاهر . وبنوا اماكن للارصاد الفلكية والرياضيات والنقش والرسم والتصوير في حارة الناصرية حيث الدرب الجديد فانهم رسموا ما فيه من بيوت الامراء واستخدموها لتلك الغاية وجعلوا بيت حسن كاشف جركس في تلك الحطة مكتبة للمطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم في اوقات معينة من النهار واذا دخلها احد الوطنيين كانوا يتأهلون به واذا اراد التفرج اطلعوه على ما اراد او المطالعة سلموه ما اراد من الكتب ولا سيما التي تنهج البسطاء بما فيها من الرسوم البديعة وفي جملتها رسم للنبي (صلم) ورسوم اخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم من الائمة والاماكن المهمة . وكان في مكتبتهم هذه كتب كثيرة عربية . وافردوا لكل علم من العلوم داراً مخصوصة ولا سيما علم الكيمياء فانهم جعلوا له معملًا كبيراً للتقطير والتصعيد واستحضار الخلاصات وسائر الاعمال العقارية وكانوا يجرون امام الاهالي بعض

التجارب الكيماوية التي كانوا ينهرون لها وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي بعض تلك التجارب واطهر انذاله منها . وافرذوا ايضاً اماكن للتجارة والصناعة وطواحين هوائية واستخدموا العربات . وقرروا اطلاق مدفع كل يوم عند الزوال

وفي ٦ ارجب سنة ١٢١٢ هـ ( ٢٥ ديسمبر ( ك ) سنة ١٧٩٨ م ) امر بونايرت بترتيب الديوان على نظام جديد فاتخبت ستين رجلاً يتألف منهم الديوان العمومي وانتفى منهم اربعة عشر يتألف منهم الديوان الخصوصي او الديوان الدائم لانه كان يجتمع كل يوم اما الديوان العمومي فيجتمع عند اللزوم . وهذه اسما اعضاء الديوان الخصوصي . من المشايخ . الشراوي والمهدي والصاوي والبكري والنبوي . ومن التجار المحروفي واحمد بن محرم . ومن القبط لطف الله المصري . ومن السوريين يوسف فرحات ومخايل كحيل وواحد انكليزي وآخر يدعى ابا ديف وواحد فرنساوي يدعى موسى كافور وجعل معهم وكلاء ومباشرين فرنساويين وتراجمه . اما الديوان العمومي فجعل فيه من مشايخ الحرف وغيرهم وكتب بذلك منشوراً ارسله الى الاعيان ولصق منه نسخاً في الاسواق ونصه

« من بونايرته امير الجيوش الفرنسية خطاباً الى جميع اهل مصر الخاص والعام . تعلمكم ان بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب او فعول التنتنة سابقاً بين اهل مصر فاهلكم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة والباري سبحانه وتعالى امرني بالشفقة والرحمة للعباد فامتثلت امره وصرت رحباً بكم شوقاً عليكم . ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه التنتنة بينكم ولاجل ذلك ابطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد واصلاح احوالكم من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان لان حسن احوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة انسانا ذنوب الاشرار واهل التنتنة التي وقعت سابقاً

«فيا ايها العلماء والاشراف اعلموا انتم ومعاشر رعيتكم بان الذي يعاديني  
ويخاصمني انما خصامته من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد مخلصاً ولا ملجأً  
ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من يد الله لمعارضته مقاديرهُ سبحانه وتعالى .  
والعاقل يعرف ان ما فعلناه بتقدير الله تعالى وارادته وقضائه ومن يشك  
في ذلك فهو احمق واعى البصيرة . واعلموا ايضاً انتم ان الله قدر في  
الازل هلاك اعداء الاسلام وتكسير الصليبان على يدي . وقدر في الازل  
ان اُجبي من ارض المغرب الى ارض مصر لاهلاك الذين ظلموا فيها  
واجراء الامر الذي امرت به . ولا يشك العاقل ان هذا كله بتقدير  
الله وارادته وقضائه . واعلموا ايضاً انتم ان القرآن العظيم صرح في آيات  
كثيرة بوقوع الذي حصل واثار في آيات اخرى الى امور اخرى تنع في  
المستقبل وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يخلف . واذا تقرر هذا  
وثبتت هذه المقالات في آذانكم فلترجع انتم جميعاً الى صفاء النية واخلاص  
الطوية فان منهم من يتمتع من لعني واظهار عداوتي خوفاً من سلاحي وشدة  
سطوتي . ولم يعلم ان الله مطلع على السرائر يعلم خائبة الاعين وما تخفي  
الصدور والذي يفعل ذلك يكون معارضاً لاحكام الله ومنافقاً وعليه  
اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب . واعلموا ايضاً اني قادر على اظهار ما  
في نفس كل منكم لانني اعرف احوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد  
نظري اليه وان كنت لا اتكلم ولا انطق بالذي عنده ولكن يأتي وقت  
ويوم يظهر لكم عياناً وينضح ان ما فعلته وحكمت به هو حكم الهي لا يرد .  
وان اجتهاد الانسان بغاية جهده لا يمنع عن قضاء الله الذي قدره  
واجراه على يدي فطوني للذين يسارعون في التحادم وهمتهم مع صفاء النية  
واخلاص السرية والسلام . » ورتب لارباب الديوان الدائم راتباً يدفع  
لم نظير نقيدهم بمصالح العامة والدعاوي  
وفي ذلك اليوم (١٦ رجب) بارح بونايرت القاهرة في سرب من

رجال معتبه وبعض المهندسين قاصداً برزخ السويس لاستطلاع آثار  
الترعة التي كانت قد حنرت قديماً بين البحر المتوسط والنيل فوصل  
السويس في ١٨ منه وفي ٢١ منه قطع البحر الاحمر حتى اتي آبار موسى  
فجعل يتأمل وينتذكر ما قيل عنها من المعجزات وفي اليوم عينه عاد بمن معه  
قاصداً السويس خوفاً في البحر على مثل ما فعل موسى فاختطأوا الطريق  
حتى كادت المياه تغمر خيولهم وبعد المشقة وصلوا السويس في اوائل الليل  
وفي الصباح التالي اتم بونايرت استطلاعاته ثم بارح السويس قاصداً  
القاهرة فمر ببليس فاستولى عليها وسار منها حتى اتي القاهرة في ٢٥ منه  
(في ٣ يناير سنة ١٧٦٩)

وفي يوم وصوله لاقاه الجنرال كلاير قادماً من الاسكندرية ومعه  
تجارير وجرائد وارده من فرنسا وغيرها تنبئ بتغير خاطر الباب العالي  
على الجمهورية الفرنسية لافتتاحها مصر واستقلالها باحكامها . فلندع  
بونايرت يطالع تجاريره وجرائده ولنلتمت الى الجنرال ديزه وحملته الى  
الصعيد بعد واقعة امبابه

لما عدى الجيش الفرنسي الى البر الشرقي ودخل القاهرة بعد واقعة  
امبابه عهد بونايرت الى الجنرال ديزه ان يسير في حملة لتعقب المماليك  
واخضاع الصعيد . فسار في ١٦ محرم سنة ١٢١٢ هـ حتى اتي بني سويف  
فلاقاه مراد بك برجاله وطال الحرب بينهما وكثر الاخذ والرد وانتهت  
المواقع بتفقر المماليك وامعائهم في داخلية الصعيد

وفي ١٢ جمادى الآخرة بارح الجنرال ديزه بني سويف فاتى المنيا في  
١٨ منه وتربص هناك ينتظر الدواع القادمة على النيل لمعاوضته فتأخر  
وصولها بسبب الريح المعاكسة لسيرها . ثم سار من المنيا وما زال يتعقب  
مراد بك واتباعه حتى اتي اصوان في البر الغربي فعسكر هناك . وكان كلما  
مر باثر من الآثار المصرية القديمة يحفر عليه اسمه واسماء المدن التي

افتتحها . وقد شاهدتُ مثل هذه الكتابة على جانبي باب من ابواب هيكل الكرنك بجوار الاقصر . واستطلع دبره اخبار العدو في اصوات فعلم انه معسكر فوق الشلال الاول بمسافة قصيرة فاحتل جزيرة فيلوي وحصن اصوان لدفاع المملك اذا قدموا اليها لانه لم يرَ فائزاً من تبعهم الى وراء ذلك وقد حفر على صخر فوق الشلال جميع فتوحاته على مثل ما تقدم . وهناك آخر ما وصله الفرنسيون في حملة بونايرت . ولم يكذبتم دبره تحصيل اصوان حتى سمع باحتلال النبي بك جهات طيبة فسار اليه وما زال حتى هزمه . فاذعن بلاد الصعيد وهدأت احوالها

اما بونايرت فانه علم من مطالعة تلك الجرائد ومن قرائن اخرى ان الدولة العلية سعت الى استرجاع مصر من الفرنسيين فبعثت بمشورات رسمية الى سائر بلادها طعناً بالجمهورية الفرنسية وبعثت الى احمد باشا الجزائر والى عكا ان يبعث جيشاً لاحتلال العريش ففعل فبعث اليه بونايرت ان يخلي تلك المدينة لانها من حدود مصر فلم يقطع فامر باعداد حملة يسير بها ليس للمدافعة عن مصر فقط وانما لافتح سوريا ايضاً . فاعد حملة من اثني عشر الفاً بينها الف ومائتان من الطيحية وسار قاصداً سوريا بعد ان عهد قيادة القاهرة الى الجنرال دوغوا وقيادة الصعيد الى الجنرال دبره وقيادة الاسكندرية الى الجنرال مرمون وامر بتحصين دمياط . وجعل في تلك الحملة بعضاً من مشايخ القاهرة وفي ٢١ شعبان اصدر منشوراً مطبوعاً فرقة في الاهالي وهالك نصه بالحرف الواحد

« الحمد لله وحده . هذا خطاب الى جميع اهل مصر من خاص وعام من محفل الدينان الخصوصي من عتلاء الانام وعلماء الاسلام والوجاقات والتجار النغام

« نعلمكم معاشر اهل مصر ان حضرة صاري عسكر الكبير بونايرته امير الجيوش الفرنسية صغ الصغ الكامل عن كل الناس والرعية بسبب

ما حصل من اراذل الناس مع اهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع  
العساكر الفرنسية وعفا عنواً شاملاً واعاد الديوان الخصوصي في بيت  
قائد آغا بالازبكية ورتبه من الاربعة عشر شخصاً اصحاب معرفة وانقان  
انتخبوا بالقرعة من ٦٠ رجلاً حصل انتخابهم بموجب فرمان وذلك لاجل  
قضاء مصالح الرعايا وحصول الراحة لاهل مصر من خاص وعام وتنظيمها  
على اكمل نظام واحكام . كل ذلك من كمال عقله وحسن تديبه ومزيد  
حيه لمصر وسفتته على سكانها من صغير النوم حتى كبيرهم ورتبهم بالمنزل  
المذكور كل يوم لاجل خلاص المظلوم من الظالم وقد اقتصر من عسكره  
الذين اسأوا بمتز الشبخ محمد الجوهري وقتل منهم اثنين في قره ميدان  
وانزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى ادنى مقام لان الخيانة ليست من  
عادة الفرنسيين خصوصاً مع النساء الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا  
يفعله الا كل خسيس . وقبض بالقلعة على رجل نصراني مكاس لانه بلغه  
انه زاد المظالم في الجهمرك بمصر القديمة على الناس ففعل ذلك بحسن  
تديبه ليمتنع غيره من المظالم ومزاده رفع الظلم عن كامل الخلق ودائماً  
يفكر في فتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف اجرة  
الحمل من مصر الى قطر الحجاز وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع  
الطرق وتكثر عليهم اسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق . فاشتغلوا  
في امر دينكم واسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم  
وهواكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن الاستقامة لاجل خلاصكم من  
اسباب العطب والوقوع في الندامة رزقنا الله وبارك التوفيق والتسليم . ومن  
كان له حاجة فليات الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوى شرعية  
فيتوجه الى قاضي العسكر المتولي بمصر المحمية بخط السكرية والسلام على  
افضل الرسل الى الدوام

وفي ٢٥ شعبان ( اول فبراير ) شباط ) سنة ١٨٩٩ م ) سار الجنرال

كلاير والجنرال رينر في مقدمة الحملة نحو العريش وفي ٥ رمضان ان  
 ١٠ فبراير (شباط) سافر بونايرت من بني منها . وكان على العريش قاسم بك  
 من قبل الجزائر وقد عسكر خارج المدينة . ففي صباح ٨ منه كانت مقدمة  
 الفرنسيين على مقربة من معسكر قاسم وفي المساء هاجموا بغتة فقتلوه  
 وشتوا جيشه واستولوا على جميع الزخائر والمهمات وساروا نحو المدينة . اما  
 بونايرت فوصل الصالحية في ٧ منه وفي ١١ منه وصل المسعودية فطلعت  
 ريح شديدة كانت تنسف عليه وعلى رجاله الرمال اجمالا وكانت المياه  
 قليلة فعضت العساكر عطشا عظيما فعسكر هناك وبعث الخبراء  
 يستطلعون خطوات كلاير وجهة مسير فعادوا واخبروه فنهض وما  
 زال حتى اتى العريش في ١٢ رمضان فاذا بكلاير قد حاصرها وامتنع  
 عليه فتحها لقلة الطيحية ونفاد المؤن . فلما وصل بونايرت ارسل الى حامية  
 العريش كتابا يطلب اليهم التسليم ويهددهم فسلموا بعد بضعة ايام  
 فدخل الفرنسيون العريش وامنوا اهله على حياتهم وقبضوا على خمسة  
 كشاف كانوا هناك من قبل المماليك وارسلوهم الى القاهرة تحت الحجز ثم  
 جعلوا في العريش حامية وساروا الى غزة فاستولوا عليها بغير قتال وجعلوا  
 فيها حامية وديوانا وطنيا لتنظيم الاحوال

وفي ٢٢ رمضان سنة ١٢١٣ هـ (٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٧٩٩ م)

ساروا الى يافا فلما وصلوها امر بونايرت الجنرال كلاير ان يتقدم في  
 فرقته الى عكا ففعل . وكانت حامية يافا اخلاطا من الاتراك والمغاربة  
 والارناوط والاكرد فلم ير بونايرت محاصرتها فامر بالهجوم عليها في ٢٧ منه  
 ٤ مارس ( اذار ) فهجم الفرنسيون عليها وما زالوا حتى خرقوا الاسوار  
 ودخلوها ففرّت الحامية فتنبعوها وقد تحصنت في بعض الخانات الكبيرة  
 فاتحوا عليها فقال الارناوط ومنهم تنألف معظم الحامية «نحن نسلم لكم  
 انفسنا اذا امنتمونا على حياتنا» وكان على قيادة المهاجمين من الفرنسيين

احد اركان حرب بونايرت فوعدهم بالامان فسلموا فقادهم موثقين وعددهم نحو اربعة آلاف حتى اتى بهم المعسكر الفرنساوي فلما رآهم بونايرت قال للقادم اليه ما هذه الجماهير . قال في حامية هذه المدينة قد سلمت وحينئذ بها اليك . قال « وماذا تريدون ان افعل بهذا العدد أعندكم زاد يكنفهم او مراكب تنقلهم الى مصر او فرنسا واذا ارسلناهم في البر فمن يتولى سفارتهم » فاجابه قائلاً « انا قد قبلنا استنساخهم حجباً للدماء » فقال بونايرت « نعم يجب ان تفعلوا ذلك ولكن مع الاطفال والنساء والشيوخ وليس مع مثل هذا القدر من الرجال الاشداء المحندين » ثم امرهم بالجلوس مكتوفي الايدي امام المعسكر . وفي اليوم التالي فرقوا فيهم شيئاً من البقساط الجاف والماء

ثم عند بونايرت مجلساً في خيمته للمناوذة فيماذا يجب ان يفعل بهؤلاء الاسرى وبعد الاجتماع عدة جلسات لم يقرؤا على شيء فانزعج بونايرت لكثرة التردد في الامر وبعد الافتكار والتأمل رأى انه لا يستطيع استبقاءهم معه لعدم وجود ما يكنفهم من الزاد ولا ارسالهم الى مصر لعدم استغنائه عن رجال يسرون لغفارتهم ولا اطلاق سبيلهم لئلا يبرندون عليه فاقترع على اعدامهم . وفي ٤ شوال ( ١٠ مارس ) اذار سنة ١٦٩٠ ) بعد الظهر قادوم مكتوفين الى صحراء رملية خارج يافا ثم جعلوهم فرقا قادوا كلاً منها الى ناحية وقتلوا الجميع بالرصاص قتلاً ما انزل الله به من سلطان فلما بلغت هذه النعلة مسامع الجزار ورجالهم عكا اصروا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم لئلا يصيبهم اذا سلموا ما اصاب اولئك

ولما استلم بونايرت يافا امر بترميم حصونها وبعث الى الاسكندرية بأمر العمارة الباقية هناك ان توافية الى يافا . ثم فشا الطاعون في يافا وضواحيها لنسائهم الهواء من الجثث التي ملأت تلك الجهات . ثم كتب بونايرت الى جنده بيت المقدس يطلب اليهم التسليم فاجابوا انهم تابعون

لولاية عكا وحالما نسلم عكا يسلمون . ثم كتب الى القاهرة منشوراً باستيلائه  
على يافا وكان قد ارسل مثل هذا المنشور عند ما استولى على العرش  
وغزاة ولذا ذكر هنا منشوره من يافا فقط على سبيل النموذج وفيه تنصیل  
ما تقدم عن فتح يافا وهاك نصه بالحرف الواحد

« بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد .  
هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساويين لبندر يافا من  
الاقطار الشامية . تعرف اهل مصر واقاليها ان العساكر الفرنساوية انتقلوا  
من غزاة ثالث وعشرين شهر رمضان ووصلوا الرملة في ٢٥ منه في امن واظمتان  
وشاهدوا عسكر احمد باشا الجزائر هارين بسرعة قائلين الفرار الفرار  
ووجدوا في الرملة ومدينة اللد مقداراً كبيراً من مخازن البتساط والشعير  
ووجدوا ايضاً ١٥٠ قرية مجهزة جهزها الجزائر ليسير بها الى اقليم مصر  
مسكن الفقراء والمساكين ومرادته التوجه اليها مع العربان الاشرار من  
سبع الجبل ولكن نقاد بر الله تنسد المكر والحيل وما كان قصده سوى سفك  
الدماء مثل عادته في اهل الشام وناهيكم ما هو مشهور عنه من التجبر  
والظلم والجور فانه تربية المالك الظلمة المصريين وفانه ان الامر لله  
وكل شيء بقضائه وتدييره

« وفي السادس والعشرين حلت طلائع الفرنساويين ببندر يافا من  
الاراضي الشامية واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية  
وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزائر ان يسلمهم الثلعة قبل ان يجلبهم  
وبعسكرهم الدمار ولكنه لحشونة عقله وفساد رأيه وسوء تدييره لم يرد وفي  
ذلك اليوم اي ٢٦ من شهر رمضان تكامل العسكر الفرنساوي على محاصرة  
يافا وانقسم ثلاث فرق توجهت فرقة منهم على طريق عكا على مسافة  
اربع ساعات من يافا وفي ٢٧ امر حضرة صاري عسكر الكبير بحفر  
خنادق حول السور لعل متاريس متينة واستحكامات حصينة اذ عرف

ان سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة مشحون بعساكر الجزار الوفيرة  
 « وفي ٢٦ ناهز حفر الخنادق النهاية وصار على مسافة ١٥٠ خطوة  
 في السور فامر صاري عسكران تنصب المدافع على المتاريس وان توضع  
 اموان القنابر باحكام وتأسس وامر بنصب مدافع اخرى بجانب البحر  
 لمنع الصلة بين عسكر البر والمراكب التي اعدّها عسكر الجزار في المينا  
 للهرب والفرار. ولما رأى عسكر الجزار المحاصرون في القلعة ان عدبد  
 الفرنسيين قليل غرّم الطمع فخرجوا اليهم من القلعة مسرعين ظناً منهم  
 انهم يغلبون على الفرنسيين فهجم عليهم الفرنسيين وقتلوا منهم كثيرين  
 واجبروه على الدخول الى القلعة ثانية

« وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان اشفق حضرة صاري عسكر  
 وخاف على اهل يافا اذا دخلت عساكره بالنهر والقوة فارسل اليهم مع  
 رسول خطاباً وهذا مضمونه « لا اله الا الله وحده ولا شريك له . باسم  
 الله الرحمن الرحيم . من حضرة صاري عسكر برتبه كخدا العسكر الفرنسيين  
 الى حضرة حاكم يافا . نخبركم ان حضرة صاري عسكر الكبير بونا بارت امرنا  
 ان نعرفكم في هذا الكتاب ان سبب مجيئه الى هذا الطرف هو اخراج  
 عسكر الجزار فقط من هذا البلد لانه تعدى بارسال عسكره الى العريش  
 ومرابطته فيها والحال انها من اقليم مصر التي انعم الله بها علينا فلا تجوز  
 له الاقامة بالعريش لانها ليست من ارضه فقد تعدى على ملك غيره  
 ونعرفكم يا اهل يافا اننا حصرنا بندركم من جميع اطرافه وجهاته وضيقتنا  
 عليه بالات الحرب والحصار والمدافع الكثيرة والكلل والقنابر وفي برهة  
 ساعتين يخرب سوركم وتبطل آلات حربكم ونخبركم ان حضرة صاري عسكر  
 لمزيد رحمته وحنوه خاف عليكم من سطوة عساكره المحاربين فانهم اذا  
 دخلوا عليكم بالقوة والنهر اهلكوكم جميعاً ولذلك امرنا ان نرسل اليكم هذا  
 الخطاب تأمينا لاهل البلد ولا سيما الضعفاء والفقراء والغرباء وان تؤخر

ضرب المدافع وإطلاق الفناير ساعة واحدة وإني لكم لمن الناصحين وهذا آخر خطاب بيننا . فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين بذلك الشريعة المطهرة المحمدية والقوانين الحربية . فتميز صاري عسكر من الغيظ وهاج واشتد غضبه . وأمر بإطلاق المدافع والفناير . ولم يمض إلا اليسير حتى خرست مدافع يافا وانقلب عسكر الجزائر في وبال وخسران وعند الظهر انخرق سور يافا وأرتج له النوم وثبت من الجهة التي ضربت منها المدافع ولا مرد لفضاء الله ولا مدافع . وفي الحال أمر حضرة صاري عسكر بالهجوم وفي أقل من ساعة ملكت العساكر الفرنسية جميع البندر والأبراج ودار السيف في الخاربين وحسي الوطيس وكثير القتل

« وفي يوم الجمعة غرة شوال وقع الصبح الجميل من حضرة صاري عسكر الكبير ورق قلبه لا سيما على من كان في يافا من أهل مصر فاعطاهم الأمان وأمرهم بالعود إلى الأوطان وكذلك أمر أهل دمشق وحلب بالرجوع إلى بلادهم ليعرفوا مقدار رحمتي ومزيد رأفتي . وقتل في هذه الواقعة أكثر من ٤٠٠٠ من عسكر الجزائر بالسيف . أما الفرنسيون فلم يقتل منهم إلا القليل وسبب ذلك أن سلوكهم إلى القلعة كان في طريقة أمينة خافية عن العيون وأخذوا زخائر كثيرة وأموالاً غزيرة واستولوا على المراكب التي في الميناء ووجدوا في القلعة نيناً وثمانين مدفعاً وقد فاتت الجزائر وعساكره أن آلات الحرب لا تدفع مفاد بر الله . فاستجبوا عبادة وأرضوا بفضاء الله ولا تعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يؤتية من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله »

ثم سار بونابرت برجاله قاصداً عكا تاركاً في يافا حامية كافية فقابلته في الطريق بعض العصاة من المماليك فحصلت بينها مناوشة شنت عن فرار المماليك فواصل السير حتى أتى سنخ الكرمل وإذا بعكا قد تحصنت تحصناً منيعاً مهمة وبها أحمد باشا الجزائر وهو الرجل الوحيد الذي كان

يعتمد عليه الباب العالي في حماية سوريا . فعبروا النهر وعسكروا في البر الآخر . وفي ٣ اشوال سعد بونايرت الى راية وجعل يتأمل حصون عكا مستعيناً بالنظارة المكينة ثم امر ان يسير بعض العساكر الى المدينة وكانت فيها عمارة انكليزية تحت قيادة السير سدني سميت قد زادت الجزر تمسكاً بالدفاع . ففي اليوم التالي استطلعوا الحصون واستكشفت قوات العدو . وفي ٤ اشوال او ٢ مارس ( اذار ) بدأوا بالحاربة وكانت الدوارع الانكليزية تساعد الجزر في البحر وقد اظهر هذا الرجل بسالة عظيمة لكنه اضطر اخيراً الى استنجاد قوات صيدا ودمشق وحلب

اما بونايرت فابق الحصار على عكا وحول شكيمة فتوحاته نحو اماكن اخرى من سوريا فارسل فرقاً استولت على صند وصور وطبريا واماكن اخرى واتوا منها بمؤن كثيرة . وبعد يسير وصلت الدوارع الفرنسية من الاسكندرية ومعها المدافع والمؤن . وفي ٤ ذي القعدة سنة ١٢١٢ هـ ( ٩ افريل ( نيسان ) سنة ١٧٩٨ م ) قتل الجنرال كافارتي

وفي ٥ ذي الحجة ( ٩ مايو ( ايار ) ) وهو اليوم الخمسون لحصار عكا اقر بونايرت على الهجوم النهائي فجهلوا عليها هجمة اليأس بقلوب لا تهاب الموت ولم تكن عكا لتنف في طريقهم لولا العمارة الانكليزية فانها هي التي اخرجت الفتح بدفاعها عنها بالبر والبحر . ثم جاءتهم نجدة من الاستانة تحت قيادة حسن بك فازداد المدافعون قوة ومضى ذلك اليوم ولم ينل الفرنسيون شيئاً . وفي اليوم التالي جهلوا هجمة اخرى لم ينجم منها الا التفهق لانهم صادفوا مقاومة قوية قتل فيها الجنرال بون . فيس بونايرت من حبوط مساعيه وفشل حملته السورية على انه كان يتعزى بما سبق استيلاؤه عليه من المدن والقرى السورية الا ان تلك الاماكن حالما سمعت بما لم يبشروه من النشل انحازت الى الباب العالي هرباً من العقاب . وزد على ذلك ان السير سدني سميت كتب منشورات وزعها على المشايخ

والامراء في لبنان يدعوم الى الاتحاد مع الباب العالي وارسل الى سراة  
المسيحيين ايضاً صورة منشور بونابرت الذي يقول فيه انه هذ اركان  
الديانة المسيحية فامتنع اللبنانيون عن توريد الخمر والبارود للفرنساويين  
فاصبح بونابرت في حالة اليأس الشديد لا يدري ماذا يصنع وقد خابت  
آماله . فكتب الى ديوان مصر انه قد هدم اسوار عكا واخرّب بيوتها  
بالفنايل وجرح واليهما الجزائر وانه سيبارحها بعد ثلاثة ايام عائداً الى مصر  
ومتى جاءها ينتص من الباغيين . ثم استقدم حاميات صند وطبرية وغيرها  
وفي ٢١ ذي الحجة (٢٣ مايو ايار)) امر بالمسير الى مصر بكل رجاله  
وفهم الجرحى ففاسوا عذاباً مرّاً من العطش وفشا فيهم الوباء فزادهم عناء  
فامر بونابرت ان يسير الرجال الاصحاء على اقدامهم وان تعطى الخيول  
والجمال الى المرضى والجرحى وما زادهم شقاء ان العمارة الانكليزية كانت  
تعتهم في البحر والعربان يتعرضون لهم في البر والجنود العثمانية تسوقهم من  
ورائهم اما هم فكانوا يبحر بون كل ما مروا به من المدن والقرى . وفي ٢ ذي  
الحجة (٢ يونيو حزيران)) وصلوا العريش فامر بونابرت بتحصينها تحصيناً  
متيناً واشتد عليهم الفيض وكان الماء الذي يشربونه ملأناً علقت به الدم  
فكان يلتصق بجلثهم عند الشرب فيعذبهم عذاباً اليماً

ثم واصلوا المسير الى القاهرة رغماً عن الحر والوباء حتى وصلوها  
فخرج المشايخ والاعيان الى خارج المدينة لاستقبالهم فدخلوها وهم لم يصدقوا  
انهم تخلصوا من حملة سوريا وما مروا به من الصحاري الحارة . فاخذ  
بونابرت في تنظيم العساكر وتطبيب الجرحى واعادة النظام واكتساب ثقة  
الاهالي الا انه لم يكذب يفعل حتى بلغته تقدم المماليك من جهة الصعيد وسبب  
ذلك ان مراد بك كان في أعلى الصعيد فبلغته قدوم حملة عثمانية لاجراج  
الفرنساويين من مصر فجمع اليه رجاله وسار ببعضهم على الضفة الغربية  
للنيل وارسل البعض الآخر على الضفة الشرقية للاتحاد مع ابراهيم بك

القادم من جهة سوريا فعلم بونايرت بذلك فانفذ جنداً على كل من الضننين لمحاربة الفرقتين فالتقى جند الضفة الشرقية بفرقة ابراهيم بك وراء المقطم فشتنتها واخذت امتعتها . والتقى جند الضفة الغربية وفيه بونايرت بمراد بك في الجيزة فاتشبث الحرب فانكسر المماليك وتشتت شملهم فعادت الجنود الفرنسية ظافرة

وفي ١٦ محرم سنة ١٢١٤هـ (١٥ يوليو (تموز) سنة ١٧٩٩ م) وردت لبونايرت رسالة من الجنرال مرمون في الاسكندرية تنبئ بجيئة الحملة العثمانية وتزولها في ابي قير في ١١ الجاري فانزعج بونايرت من هذا الخبر فامر باعداد حملة تسيروا الى الاسكندرية وبعث الى الحصون في رشيد وديياط ان تكون في يقظة واستعداد

وسبب قدوم الحملة العثمانية ان الباب العالي بعث الى الفرنساويين مراراً يقيم الحجة على استقلالهم باحكام مصر ويطلب اليهم الانسحاب منها ولم يكن الجواب الا المحاولة وكانت انكلترا في الوقت عينه تنشط الباب العالي في هذه المطالب حتى انها اخيراً اتفقت معه ان يرسل كل منها عمارة الى ابي قير وهناك نتخذ العمارتان وتخرجان الفرنساويين من مصر بالقوة . فسارت العمارة العثمانية تحت اميرالية باترونا بك وعليها ثمانية آلاف من الجنود البرية تحت قيادة مصطفى باشا سرعسكر ومعهم حسن بك ورجالة وسارت العمارة الانكليزية تحت اميرالية السير سدي سميت المتقدم ذكره والتفت العمارتان في ابي قير واتحدتا فاسرع الجنرال مرمون الى اعلام بونايرت كما رأيت

فبارح بونايرت القاهرة براً ثاني يوم وصول الرسالة صباحاً فسار من الجيزة الى الرحمانية ومن هناك كتب الى القاهرة « ان بين للذين قدموا للمحاربة رجالاً روسيين لا يؤمنون بالله واحد وانما يعبدون آلهة ثلاثة » ثم بارح الرحمانية فوصل الاسكندرية في ٢٤ محرم (٢٣ يوليو (تموز))

فلاقاه مرمون فعنته لغفلتو عن حصن ابي قير حتى احنئه العثمانيون وفي  
اليوم التالي استكشف استحكامات العدو ثم سار برجاله نحو ابي قير فاذا  
بالجنود العثمانية تحت قيادة مصطفى باشا على مسافة ميل ونصف وراء  
ابي قير ومنهم نحو الف رجل في حصن على رابية من الرمال الى اليمين  
بحوار الشاطي وجماعة آخرون الى اليسار في حصن على رابية اخرى  
وهاتان الرابتان بمثابة جناحي الجيش . فهاجم بونابرت اولاً الرابية اليمنى  
ففر من كان فيها الى قرية وراء قلب الجيش فارسل سرية من الفرسان  
لملاقاة الفارين ومثل ذلك فعل بالرابية اليسرى ثم هجم على قلب الجيش  
فتفكرت الجنود العثمانية الى طائفة كانوا قد جعلوها وراءهم فتشجع  
الفرنساويون وتعبوا المارين لكنهم لم يسروا يسيراً حتى سمعوا دوي  
المدافع الانكليزية ووزيز قنابلها فارتدوا الى الورا . فارتد العثمانيون  
وتبعوهم حتى كادوا يظفرون بهم لكنهم انشغلوا بتقطيع رؤوس الذئلي فاغنم  
احد قواد الفرنسيين فرصة تغافلهم وسار في فرقته من على اليسار قاصداً  
الطائفة الخلفية وسار قائد آخر من اليمين فدخلوا الطائفة وقطعوا على  
العثمانيين خط الرجوع واسرع احدهما (الجنرال مورات) بنفسه للقبض على  
مصطفى باشا في خيمته فاطلق عليه الباشا عياراً نارياً فلم يعبأ موارت  
بذلك لكنه هجم عليه بسيفه فقطع اصبعيه وامر اثنين من رجاله فاوقفاه  
وارسلاه الى معسكر الفرنسيين . واخذت العساكر الفرنسية بالنهب  
فلم يغادروا في معسكر العثمانيين شيئاً من المؤن والزخائر وفر من بقي  
من العثمانيين الى البحر في قوارب ارسلها لهم السير سدي الا بعض الحامية  
في حصن اقاموه هناك فهجم عليه الفرنسيون وبعد دفاع سبعة ايام  
هدموه واسروا من كان فيه فشاخ خبر انتصار الفرنسيين في القطر  
المصري فعظموا في عيون الاهالي  
ثم ورد لبونابرت من فرنسا رسائل منبهة باضطرابهم هناك وبثقل

البد عليهم وفيه الحاح كلي عليه ان يسير حالاً الى فرنسا بعد ان يجعل في مصر حاميةً منتظمةً فكتم الامر ولم يكاشف به احداً الا الاميرال غاتوم لانه لم يرَ بداً من مكاشفته لكي يعد له دارعين تنقلاته ومعينته الى فرنسا . ولكي لا يجعل للمصريين شبهة بمفاصده عاد الى القاهرة بما يلزم من احتفال النصر فوصلها في ١٤ صفر فخرج الاعيان لملاقاته بالموسيقى

وبعد قليل نزل الى الاسكندرية مظهرًا التجول في الوجه البحري فلما وصل الاسكندرية كتب الى الجنرال كلابر وكان على مدبرية الغربية يولييه القيادة العامة على مصر ويبين له وجوب المحافظة على الاحتلال لئلا تأتي دولة اخرى تحل هذا الفطر بعد ان بذلوا فيه ما بذلوه من المال والرجال ووعده بخدمة يبعث بها له حال وصوله الى فرنسا واخبره اخيراً عن الداعي الذي حمله على هذه السرعة . وكتب كتاباً آخر الى عساكره يشجعهم على الثبات والصبر وكتاباً آخر الى علماء مصر ومشائخها يطلب اليهم ان يعتبروا الجنرال كلابر في مكانه جاعلاً السبب في سفره انه ذاهب لتهرب من بني من اعدائه في اوروبا لانه ان لم يفعل ذلك لا يطمئن بالة على مصر ويعدم انه لا يغيب عنهم اكثر من ثلاثة اشهر وارسل كل هذه التقارير معاً الى كلابر واوصاه ان يطلع اصحابها عليها في الوقت المناسب

ثم بعث يستقدم الجنرال مينو اليه فجاءه حالاً وهو على اهبّة السفر في ٢٥ صفر ( ٢٢ اغسطس ) ( آ ب ) فعهد اليه قيادة الاسكندرية ورشيد والبحيرة وسأله تحارب كلابر واوصاه ان يوصلها له حالاً . ثم ركب جواده وسار مساءً بمن معه الى جهة مراهوت او العجمي وكان الاميرال غاتوم ودارعناه بانتظاره هناك وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة نزل بمن معه الى البحر وفي صباح اليوم التالي ودعوا سواحل الدلتا وقلعوا قاصدين فرنسا اما اهالي الاسكندرية ولا سيما الغفر خارج المدينة فانهم شاهدوا في

ذلك الصباح غباراً عجائبا بجهة حصن العجمي فخافوا ان تكون كنيبة من  
 من العربان قادمة على المدينة ثم تبين لهم انها خيول مسروجة ولا راكب  
 عليها فسألوا لمن هذه الخيول فقيل لهم انها الخيول التي نقلت بونايرت  
 ومعينته الى البحر وقد سافر الى فرنسا فاندعر النوم لتلك الاخبار البغيتية  
 وكادوا لا يصدقونها حتى بلغهم مينو رسميا ما عهد اليه بونايرت قبل ذهابه  
 ثم ارسل مينو الاوامر والنخاريب التي بيده الى كلاير فوصلته وهو في  
 رشيد قادما لمقابلة بونايرت. فذهب الى القاهرة وبلغ المشايخ والعلماء بما  
 امره به بونايرت وتلا عليهم كتاب بونايرت اليهم وهو لا يبلغ الا اهالي وهكذا  
 ذاع خبر بونايرت في سائر القطر. وكان كلاير بالتحفة اولى من جميع قواد  
 تلك الحملة بذلك المنصب لانه كان افضلهم حزمًا وعقلًا وهيبَةً وانفة وبسالته  
 فقد ظهر لك ما تقدم ان الحملة الفرنسية لم يكن القصد منها الا  
 الاحتلال الدائم. ذلك كان قصد بونايرت اما كلاير فلم يكن ذلك رأيه  
 وانما كان ينظر الى مصر نظره الى بلاد لا تصلح لسكنى الفرنسيين لما  
 بينها وبين بلادهم من اختلاف المناخ والعوائد والاخلاق فضلاً عن انه لم  
 يكن يرى امكان استمرار الحال على ما تركها بونايرت ولذلك بادر عند  
 استلامه ازمة القيادة الى اطلاق فرنسا على حالة مصر عند مبارحة  
 بونايرت فقال

« قد سافر بونايرت الى فرنسا في الفروكتيدور السادس بدون ان  
 يعلن احداً لكنه ارسل لي تحريراً وآخر للصدر الاعظم الى الاستانة وقد  
 كان في علمه انه وصل الى دمشق. اما اعداؤنا الآن فليسوا المالك فقط  
 وانما هم ثلاث دول عظمى الباب العالي وانكلترا والروسية. اما  
 جنودنا فقد اصبحوا نصف ما كانوا يوم قدومهم الى مصر مفرقين في انحاء  
 النظر من العريش والاسكندرية الى اصوان. اما معداتهم فغير كافية  
 لهم لان معامل الاسلحة والبارود معطلة ومثل ذلك الالبسة فقد اصحبت

رجالنا لاحتياجهم الى الالبسة معرضين لا وثبة البلاد وزد على ذلك اننا  
 خسرنا ١٢ مليوناً من الفرنكات بسبب تضمين الضرائب غير الاعتيادية  
 بامر بوناپرت . قد نشئت الممالك لكمهم لم يبيدوا هذا مراد بك ما انتك  
 في مصر العليا في كثرة من الرجال يمكنه بهم اشغال قسم من جنودنا لمدة  
 طويلة . وهذا الصدر الاعظم قد جاء بمحملة عثمانية لناهضتنا وقد سار  
 من دمشق الى عكا . اما حصوننا واستحكاماتنا فلا تزيدنا قوة فهذا حصن  
 العريش لا يدفع مهاجماً وهذه الاسكندرية اشبه بمعسكر محاط بزرية .  
 فافضل ما يمكنني اجراؤه والحالة هذه المخابرة مع الباب العالي لعلنا نصل  
 الى وفاق فيه خير لنا . وقد علمت الآن ان عمارة عثمانية رست امام دمياط »  
 الا ان كلابر مع ذلك لم يتقاعد عن تنظيم الاحوال واكتساب  
 ثقة الاهلين وجمع العوائد والمكوس لدفع مرتبات الجند على حين انه لم  
 يكن ممن يريدون احتلال مصر او استعمارها ولكنه كان ينضل الانسحاب  
 منها على اسلوب لا يكون فيه عار على دولته غير ان الاحوال لم تعطوا ما  
 نواؤه لان الدولة العلية عادت الى استخراج هذا الفطر السعيد من ايدي  
 الفرنساويين بالقوة فارسلت الصدر الاعظم يوسف باشا بنفسه الى دمشق  
 يجند جنداً عظيماً يسير به عن طريق البر الى القاهرة وجنداً آخر  
 يسير بحراً في عمارة السيرسدي سميت بوقاق مع انكثرتا لمطاوله الفرنساويين  
 من جهة البحر ليسهل على حملة البر المسير في داخلية الفطر . فسار  
 جند البحر الى دمياط ونزل في قلعة قديمة شرقي البوغاز فاخرجتهم  
 منها الجنود الفرنساوية . اما الصدر الاعظم يوسف باشا فقدم بافا بمحملة  
 ثم جعل يتخابر مع كلابر في امر وفاق ينتهون اليه فانتهت المخابرة بمؤتم  
 عقد في العريش مؤلف من الصدر الاعظم من العثمانيين والجنرال ديزه  
 والموسيو بوسيلك من الفرنساويين اقر على معاهدة صلح اُضفيت في ١٢  
 جمادى الآخرة سنة ١٢١٤هـ (٢ ديسمبر ١٨٠١) سنة ١٧٩٩م

غير ان هذه المعاهدة لم يطل بقاؤها لان العثمانيين خرقوها بمهاجمتهم العريش في ٢ رجب (٢٢ ديسمبر (ك ١)) وكانت تحت قيادة الكولونل كازال وكان من البسالة على جانب عظيم فاحب الاهالي التسليم فابي واصر على الدفاع الى آخر نسمة من حياته ولم يكن العريش من المناعة على شيء فدخلها العثمانيون واستولوا عليها فانصل ذلك بالجنرال كلابر فاغناظ جدا وكتب الى السير سدي بعفته مع علمه ببراهته فعاتد الخبايرت وعقد مؤتمر ثان في ٤ شعبان سنة ١٢١٤ (٢٤ يناير (ك ٢) سنة ١٨٠٠ م) في العريش مؤلف من ديزه وبوسيلك من الفرنسيين واثنين من العثمانيين واقروا على معاهدة عرفت بمعاهدة العريش من مقتضاها انسحاب الفرنسيين بمؤتمهم وزخائهم عن طريق رشيد والاسكندرية واي فير الى فرنسا انسحابا قانونيا بكل ما لديهم

فسر كلابر لتلك المعاهدة لاعنفاده ان انسحابه على هذه الصورة لا يمش شرف دولته. ولما شاع خبر تلك المعاهدة بمصر فرح الاهالي عموما وكذلك الجنود الفرنسية لانهم لم يكونوا راضين بالمقام في بلاد تخالف بلادهم هوا واخلاقا ومعيشة فضلا عما كانوا يقاسونه من عصيان الاهالي وسفك الدماء. فضرب كلابر على الاهالي ضربة غير اعتيادية مقدارها ثلاثة آلاف كيس لتنفقات الجيش في نقل المهمات وصدرت الاوامر بالتأهب للرحيل فباع الفرنسيون كل ما يصعب حمله من متاعهم. وبعث كلابر الى الجنود المتفرقة في جهات الصعيد بالقدوم الى مصر. واطمان المالك الذين كانوا قد فروا من وجه الفرنسيين فعادوا الى القاهرة بنسائهم واولادهم. ثم ان الصدر الاعظم نهض بجيشه نحو القاهرة حتى اذا اتى بليس سار علماء مصر ومشائخها باذن من كلابر لملاقاته وتقديم واجب العبودية لجلالة السلطان فسر الصدر بهم وخلع عليهم

وسمى الحال كذلك ورد للجنرال كلابر كتاب من السير سدي مائة

نقض معاهدة العريش وتعريبه ملخصاً

«سيدي . اعلم حضرتم اني قد نشرتم باوامر شاهانية تمنع عقد اي معاهدة مع الجيوش الفرنسية التي هي تحت قيادتكم في مصر وسوريا الا اذا سلموا انفسهم وسلاحهم كما يفعل اسراء الحرب مع التخلي عن كل المراكب والمؤن التي لم في الاسكندرية»

على ان السير سدي نفسه لم يكن يرى الا البقاء على المعاهدة اما دولته فما انفكت حتى حملت الباب العالي على اصدار هذه الاوامر وقد كتب السير سدي الى دولته يظهر رأيه وبيِّن اوجه الخطأ التي انتهت بذلك النقص ولم تحصل نتيجة . اما كلاير فاستشاط غضباً لذلك ولم يكن جوابه الا الحرب فاسرع الى احتلال الطواحي على الروابي خارج القاهرة وتعريزها بما يلزم من العدة والرجال . وكان يوسف باشا قد اصبح على مقربة من القاهرة ومعها الجيوش العثمانية فكتب الى المشايخ والعلماء يستخفهم على اخراج الفرنسيين من بلادهم

فعمد الجنرال كلاير مؤتمراً حريياً قال فيه « ان الدولة العثمانية قد سهلت امر انسحابنا فوقف الانكليز في طريقنا فعلينا محاربتهم » ثم بعث الى الصدر الاعظم بعزمه على الحرب وحشد جيشه خارج القاهرة وكانت مقدمة الجنود العثمانية تحت قيادة ناصيف باشا احد قواد الحملة معسكرة في المطرية النيل الى يمينها والصحراء الى يسارها والى ورائها الخانكاه وفيها باقي الجيش تحت قيادة يوسف باشا وعددهم جميعاً نحو من اربعين الفاً او تزيد وانضم اليها الانكشارية والمماليك تحت قيادة ابراهيم بك . فالتقى كلاير بمقدمة العثمانيين فتهافت بعد الدفاع الحسن وفر ناصيف باشا وبعض المماليك لجهة القاهرة فتقدم كلاير برجاله فظهر له عن بعد غبار عجاج في سهل بين قرينين وهما سرياقوس الى اليسار والمرج الى اليمين ثم انتشع الغبار عن الجنود العثمانية قادمة من الخانكاه لملاقاة الفرنسيين

فالتقى الفريقان واتشبت الحرب فدافعت الجنود العثمانية دفاعاً شديداً  
معهوداً بالرجال العثمانيين الا انهم اضطروا اخيراً الى التفرغ نحو المخانكاه  
فتبعهم الفرنسيون فخرجوا منها وما زالوا حتى تجاوزوا الصحبة فوصلها  
كلا بر فاذا بها خالية فاستولى على ما كان فيها

اما اهالي القاهرة فلما علموا بمسير كلا بر الى المطرية ثاروا على من  
بقي في مصر من الفرنسيين وبعد الظهيرة اتاهم ناصيف باشا ومعه جماعة  
من المماليك المتقدم ذكرهم وقالتوا انهم غلبوا الفرنسيين وجاءوا لاستلام  
المدينة باسم جلالة السلطان . فامر ناصيف باشا ان يقتلوا من بقي في  
مصر من المسيحيين رغماً عن كونهم من رعايا الدولة العلية . اما العساكر  
الفرنسيون الباقون في القاهرة فكانوا يدافعون بالامر الممكن . وطالت  
المذبحة في احياء المسيحيين من الاقباط والسوريين والافرنج الى ان  
جاء عثمان بك احد ضباط العثمانيين الى ناصيف باشا قائلاً « ليس  
من العدالة ان يهرقوا دماء رعايا الدولة العلية فان ذلك مخالف للارادة  
السنية » ثم بكّ رجاله في المدينة لايقاف القتل

ثم تمكن الفرنسيون من احتلال القلعة وباقي الطواحي ولبشوا ينتظرون  
ما يكون من ناصيف باشا . فهجم عليهم فاطلقوا عليه وعلى رجاله ناراً  
ارجعتهم الى اماكنهم حتى لم يبق منهم في الازبكية نفر واحد وانتم اطلاق  
النار على المدينة من القلعة وباقي الطواحي حتى منتصف الليل فوقع الرعب  
في قلوب الاهلين وهم المشايخ بالفرار فامسكهم الرعية رغماً عنهم . وكان  
في بعض بيوت المدينة مدافع فاخرجها الاهالي ورتبوها على هيئة بطارية  
احاطوها بطايبية وحظر على الناس الخروج من تلك الطايبية ولم يكن  
عندهم قنابل فاستخدموا عيار الموازين عوضاً عنها . وبعد مضي يومين  
على تلك الحال انبى ناصيف باشا بقدم جند فرنساري من جهة المطرية  
لجدة حامية القاهرة فبعث اليهم سرية من الفرسان فلم ينالوا منهم ظفراً

فوصل الفرنسيون مناديين بانتصارهم في مواقعهم مع العثمانيين . وكانت المدينة برمتها في يد الوطنيين فعجز الفرنسيون عن الدخول إليها ثم جاءت نجدة أخرى ولم يستطيعوا اخماد الثورة . ثم جاء الجنرال كلاير وقد كادت مؤن جيوشه في القاهرة تنفذ وخرج جميع المسيحيين من الاقباط والسوريين فارتين من على السور طالبين الالتجاء الى معسكر الفرنسيين ثم تضايق الاهالي لقلّة الماء لان الفرنسيين قطعوه عنهم وفي ٢٧ شوال (١٤ ابريل نيسان) طلب كلاير الى اهالي بولاق ان يسلموا فاجابوا انهم تابعون للمدينة بما يلحق بها فاطلق عليهم قنابل لا تزال بعض آثارها باقية الى هذه الغاية فسقطت البيوت ودخل الفرنسيون بولاق ولم يبقوا عليها نهبا وقتلا . فلما تأتى ذلك لكلاير عرج نحو المدينة بالمدافع والحراريق وكانت ليلة ليلاء ممطرة اخلطت فيها اصوات المدافع بقصف الرعد وشرارها بلع البرق وهجمت العساكر على المدينة خائضين في الاحوال يشون من حائط آخرين البيوت التي هدمتها مدافعهم وفي ايديهم خرق مبتلة بالزيت مشتعلة برمونها ذات اليمين وذات اليسار لاحراق المدينة فعلا الصباح من النساء والاطفال خوفاً من النيران حتى كانوا يلغون بانفسهم من على الجدران والسطوح تخلصاً من اللهب فهم ناصيف باشا الى الفرار فتنبعوه فدخل في حي من ذويه واخفى فيه فأمر كلاير ان ينادى في الناس « وما النصر الا من عند الله وهو سبحانه وتعالى يامر الغالين بالرفق وعليه فان الصاري عسكر يعنو عن اهالي القاهرة وسائر البلاد المصرية عموماً ولو اتحدوا مع الاتراك فليرجع كل الى شأنه » فكف الناس عن القتال وهدأت الاحوال فبعث كلاير ان تنظف الاسواق وترفع الجثث وامر ان تنور المدينة ثلاثة ايام احتفالاً بالنصر ودعا اليه العلماء والمشائخ واعدهم وليمة حافلة وبعد يومين جمعهم في مجلس واخذ يعنهم على ما اتوه من الخيانة فاجابه شيخ

المهدي « اننا لم نأت خيانة اما اتحادنا مع العثمانيين فكان بناء على امر منك » وحجر كلابر على خمسة عشر شيخاً لم يتركهم حتى اخذ منهم غرامة مقدارها ١٢ مليوناً من الفرنكات . وسكنت بعد ذلك الاحوال واطمأنت القلوب . ثم علم مراد بك بما حل بالمدينة وما كان من نصرة الفرنسيين فاحسب الانحياز الى الجانب الاقوى فجاء الى ضواحي القاهرة وكتب الى كلابر ثم اجتمع معه وتفاوض فتعاهدا على الاتحاد وبهاديا هدايا فاخرة فولاه مصر العليا مكافأة لصدافته

فاطمان كلابر من قبيل مصر بعد اتحاده مع المالك وعظم في عين الاهالي وسكن في بيت مراد بك في الجيزة وامر بترميم الاماكن التي هدمت بسبب تلك الثورة وفي جملتها ديوان الجيش غربي الازبكية في اول شارع بولاق الى اليمين . ففي ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م دعي كلابر الى غداء عند ارکان حربه الجنرال داماس في منزله قرب ديوان الجيش . فبعد مناولة الطعام خرج كلابر والموسيو بروتين مهندس الحملة بتمشيان في رواق (ممشى) موصل بين بيت الجنرال داماس والديوان نحو الساعة الثانية بعد الظهر فبينما كانا يتحادثان وثب رجل من منتهى الرواق عليه ثوب خلق وفي يده خنجر طعن به صدر الجنرال كلابر فنادى الحرس وهجم بروتين على الرجل فنال منه مثلما نال كلابر فسقط بروتين على الارض فتركة ذلك الشقي وعاد الى كلابر وطعنه ثانياً وثالثاً حتى اتم قتله ثم سمع ضجيجاً ففر الى حديقة بالقرب من ذلك المكان واخنياً وراء الحائط فلما اتى المحفر لم يرو الا ذبك الرجلين يخطان بدمهما فحملهما الى البيت واتوا لهما بالطبيب فمات كلابر حالاً اما بروتين فبقي تحت المعالجة . ونودي في المدينة بالقبض على ذلك الفاعل حيثما وجد وكان بروتين قد افهمهم شيئاً عن ملابسه وشكله وبعد يسير جيء برجل عابث لباس رث ووقفوه امام بروتين فعرفوه وقال هذا هو الجاني . ثم قرر

اخرين انهم رأوه منذ بضعة ايام يتردد بين البيوت ويختلط بخدمة الديوان  
 وبعد تقريره بسبل مختلفة وجد ان اسمه سليمان الحلبي النفي يو احد  
 اغوات الانكشارية في بيت المقدس وكان قد ذهب اليها هذا الانكشاري  
 للتفتيش على رجل يُقدم على قتل كلابر فخطب سليمان الحلبي بذلك  
 فاجاب على شرط ان ينجي اياه في حلب من ضرائب غير اعبيادية يطلبها  
 منه والى تلك الولاية فجاؤا به الى غزة وهناك اتى له بتجاربه توصية من آغا  
 غزة لعلماء الازهر فبارح سليمان غزة في ٨ مايو فوصل القاهرة في ١٤  
 فنزل في بيت مصطفى افندي ليلة ثم سار الى العلماء فابوا مشاركتهم بالجناية  
 اما هو فلم يفتك حتى اغنم تلك الفرصة وفعل ما فعل . فاستدعي المشايخ  
 المتهمين وهم ثلاثة وبالاستنهام منهم اجابوا انهم لم يروا الرجل ولم يعرفوه  
 قبل تلك الساعة . ثم عين الجنرال مينو لجنة لتجري القضية فتحكمت باعدام  
 المشايخ الثلاثة لانهم عرفوا عزم القاتل على القتل ولم يخبروا عنه اما القاتل  
 فتحكم عليه بالاعدام على الخازوق لكنهم اوقفوا تنفيذ الحكم لبعده دفن  
 النفي . فشيخوا جنازته بكل احترام واحترام ولما واروه التراب جاهاوا  
 بالجانين واعدموهم بموجب ذلك الحكم

واقاموا على القيادة العامة بدلاً من كلابر الجنرال مينو وكان ممن  
 يرغبون البقاء في مصر فاعتنق الاسلامية ودعى نفسه عبدالله وولد له  
 غلام دعاه سليمان . ثم ظهر من تصرفه بالاحكام انه ليس على شيء من الهمة  
 والدراية فسخر به الفرنسيون وكرهوه . وكان ديوان القاهرة مؤلفاً من  
 طائفتي المسلمين والمسيحيين فجعله من المسلمين فقط واخذ جانب المسلمين  
 فعهد اليهم جباية الخراج وقد كانت بيد الاقباط . على ان ذلك كنه لم يغير  
 شيئاً من كره الوطنيين لتلك الامة الاعجمية التي جاءت لامتلاك بلادهم .  
 ومن جملة ما قادم الى ذلك انه اعلن بحماية فرنسا على مصر وان مصر قد  
 اصبحت مستعمرة من مستعمرات فرنسا . وشق ذلك على قواد الحملة فجاهاوا

اليه بصفة رسمية وبلغوه ان الجيش الفرنسي غير راضٍ عن هذه البذع  
وان الجمهورية الفرنسية لا تقصد بحملتها على مصر ما قد صرح به هو  
فلم يجهم بشيء وانما وعدمه انه سينظر بما قالوا  
وكانت انكثرت لا تنفك عن السعي الى اخراج الفرنسيين من  
مصر صيانة لصلوحها في الهند على الخصوص . فاعدت عمارة بحرية مؤلفة  
من ١٧٥ مركباً وخمسة عشر ألفاً من الرجال وارسلتها الى مصر تحت  
قيادة السير رلف ابركرومي فسار اليها ودخل جون ابي قير في ٢  
مارس ( اذار ) سنة ١٨٠١ م فشهد آثار العمارة الفرنسية التي حطمها  
عمارة نلسون وفي ٧ منه نزل السير رلف المذكور في قارب لاستكشاف  
الشاطئ ليختار محلاً ينزل اليه الجيش . وفي ٩ منه شرعت الجنود الانكليزية  
بالنزول الى البر فاطلق عليهم من الرمل عدة قنابل من طابية قد تحصن  
فيها حاكم الاسكندرية بالف وخمسة اربعة رجل . اما الانكليز فلم يكثرثوا بذلك  
بل استمروا على النزول بسرعة والقنابل تنفقع حول قواربهم حتى  
تملكوا البر ولم يلحقهم الا ضرر يسير . ثم ساروا نحو الاسكندرية فلاقاهم  
الفرنساويون باربعة آلاف وخمسة مائة مقاتل وفيهم حامية الرحمانية .  
وانتشبت الحرب بين الطرفين طول ذلك النهار ولم يظهر احد منهما  
وكانت خسائر الفرنسيين بين خمسة اربعة رجل والانكليز الف ومائة . وما اعاق  
الانكليز قلّة خيالهم فمسكروا بحوار الاسكندرية وبنو الطواحي والخنادق  
وحفروا اباراً لاستخراج الماء . اما القاهرة فكانت على عهدك بها لفساد  
سياسة مينو . وفي ٤ مارس وصلته الاخبار بوصول العمارة الانكليزية الى  
ابي قير فبدلاً من الاسراع الى النجدة جعل يتوهم اوهاماً لا طائل تحنها  
وبعد اللتيا والتي بعث فرقة الى بليس واخرى الى دمياط واخرى الى ابي  
قير براً واخرى في النيل  
وفي ١١ منه جاءت الاخبار باحتلال الانكليز ابا قير وهجومهم على

الاسكندرية فارتبك بامرِه فجمع اليه مشايخ الديوان واعلمهم انه ذاهب الى  
السواحل تاركاً الجنرال بيليارد ليقيم مقامه مدعيًا ان سبب ذهابه قدوم  
بعض المالطية والابطالين الى ابي قير . ثم استقدم الفرقة التي ارسلها الى  
بليس وامر من بقي من الجيش في مصر ان يسير الى الرحمانية . فبارح  
مينو الفاهرة في ١٢ منه لكنه لم يصل الاسكندرية الا في ١٩ منه وقد تحصن  
الانكليز تحصنًا لا يتقوى على مقاومته فاستشار قواده فاشاروا عليه بالهجوم  
على حصنهم الامين لانه اقوى حصونهم لكنه لم يجسر على ذلك نهارًا فهجم  
ليلاً فلم ينجح وفي اليوم التالي في ٢١ مارس ( اذار ) امر ان تهجم الجيوش  
كلها دفعة واحدة باكرًا بغير ضرب النبر اما الانكليز فكانوا في بقظة  
تامة ففي الساعة الثالثة بعد نصف الليل سمعوا صوت المدافع من على  
يسارهم فوجهوا نيرانهم نحوها ثم سمعوا مثلها عن يمينهم فاجابوا بمثلها وبعد  
معركة كبيرة نهقر الفرنسيون مجانبه فنهج ابركرومي غرضهم من ذلك  
فعرز مينة معسكره واتخذ قيادتها بنسبه فاصيب بجرح قتال الفاء على  
الصعيد فقدم السير سدي سميت وانهضة وما زالت الحرب قائمة حتى  
الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وقد قتل كثير من الضباط الفرنسيين  
فامر الجنرال مينو بالراحة فعادت رجاله وعدد قتلاهم وجرحاهم نحو النين  
اما خسائر الانكليز فكانت ٢٤٠ قتيلًا و ١٢٥٠ جريحًا من جناتهم السير  
رلف ابركرومي فنقلوا الى احدى الدوارع فعاش بضعة ايام ونوفي  
فتولت قيادة العارة الى الجنرال هتشنسون

وفي ٢٥ مارس ( اذار ) جاءت الانكليز نجدة عثمانية تحت قيادة

حسين قطان باشا

فراى الجنرال هتشنسون ان بيعت اربعة آلاف من الجنود العثمانية  
وفرقتين من الانكليز وثمانية مدافع تحت قيادة الكولونل سبنسر لاحتلال  
رشيد . فانصل ذلك بالجنرال مينو فارسل اركان حربه لاستطلاع قوة

تلك التجربة فقدرها اقل مما هي كثيراً فاستخف مينو بها فلم يتجد رشيد  
 اما الكولونل سينسر فما زال سائراً حتى اتى رشيد فدخلها بسلام ولما استقر  
 بها بعث الطيحية بمدافعهم لضرب حصن جوليان وفيه حامية من الفرنسيين  
 فضايقوا عليهم حتى سلموا فامنوم ثم اخرجوهم من الحصن . فانصل ذلك  
 بحامية الرحمانية فاستمدت الجنرال بيليارد في القاهرة فاجاب معتذراً بعدم  
 امكانه الاستغناء عن لده من الجنود فبعثت الى مينو في الاسكندرية  
 فامدها بما استطاع

فاصبحت الجيوش الفرنسية بذلك اقساماً متفرقة لا تقوى على دفاع  
 فكان الجنرال بيليارد بالقاهرة في خمسة آلاف رجل يتأهب لدفاع الجيوش  
 العثمانية القادمة عن طريق الصحراء تحت قيادة الصدر الاعظم يوسف باشا  
 وحامية الرحمانية لما بلغها سقوط رشيد خارت قواها . والجنرال مينو كان  
 محاصراً في الاسكندرية لا يبدي حراكاً وقد ضايق عليه الانكليز بقطع  
 الجسر الفاصل بين الملاحة وبحيرة مريوط وزد على ذلك انهم قطعوا  
 المياه عن الاسكندرية فلم يبق عنده الا مياه الصحاريج . اما الجنود  
 العثمانية والانكليزية فبعد ما احتلوا رشيد صعّدوا في النيل في ٨ مايو (ايار)  
 حتى اتوا العطف فاستلموها ثم ساروا الى الرحمانية واستلموها ايضاً ففرت  
 الجنود الفرنسية الى القاهرة واعلموا بيليارد بما كان فامر بالنتام مجلس  
 حربي للمفاوضة بالدفاع دفاعاً نهائياً لان العدو قد تكاثر عليهم . هتشنسون  
 من الجهة الواحدة والصدر الاعظم يوسف باشا من الجهة الأخرى وكان  
 قد استولى على دمياط وسارقاصاً القاهرة في ثلاثين الف مقاتل حتى عسكر  
 في بليس في ١١ مايو (ايار) . اما مراد بك فبعد محالفتهم مع الفرنسيين  
 على ما تقدم بنة توفي وتولى مكانه على الصعيد عثمان بك البرديسي فلما علم  
 هذا بقدم العثمانيين والانكليز نقض المحالفة  
 فلما اجتمع المجلس الحربي تفاوضوا في جميع ذلك فأوان جميع

الجيش الفرنسي الموجودة في القاهرة وفي جملتها حامية الرحمانية لا تزيد عن اثني عشر ألفاً نصفهم جرحى ومرضى وليس لديهم من المال الا شيء يسير . فلم يرَ بيليارد لحل هذا المشكل الا وجهين اما ان يسير بما لديه من الجند في النيل للملاقاة مينو فيتكاتف معه على الدفاع او ان يسير الى دمياط . فلم يكن يرى بداً على المحالين من اخلاء القاهرة ولكنه كان يفضل المسير الى دمياط لانها تصلح للمحصار اذا طال . وفيها من المحصولات ما يقوم باحتياجات جيشه وهو في المحالين عالم بعجزه عن مناهضة عدوه . ثم حدثتة نفسه ان يلاقي الجنود العثمانية والانكليزية جميعاً عند اقترابهم من القاهرة . فخرج في خمسة آلاف في ١٦ مايو ( ايار ) متمثلاً بكلاير وعسكر في الخانكاه فوصلت اليه مقدمة جيوش يوسف باشا فلم يستطع الوقوف امامها فعاد الى القاهرة

وفي ٢٢ منه وصل هنتنسون الى طرامة فقطع في ترعة منوف وسار بنفسه الى معسكر يوسف باشا وتفاوض معه في الطريقة التي يجب اتخاذها لانمام مشروعاتهم فافروا على طريقة . ثم عاد هنتنسون الى طريقه وسار في رجاله على فرع النيل الغربي حتى اتى الجيزة في ٣٠ منه وواصل يوسف باشا سيره من الجهة الاخرى فاتحصر بيليارد في القاهرة لا يستطيع حراكاً فعقد مجلساً حريياً اقر فيه على تسليم المدينة والانتحاب نحو الاسكندرية او دمياط فبعث الى معسكر الانكليز مندوباً بشأن ذلك وبعد المخاطبة تقرر من الطرفين ان تنتحب الجيوش الفرنسية الموجودة في القاهرة انتحاباً قانونياً بما لديهم من المهات والاسلحة الى فرنسا وان يكون ذلك على نفقة الانكليز وكتب بذلك معاهدة امضيت في ٢٥ يونيو ( حزيران ) سنة ١٨٠١ وتثبتت في ٢٦ منه على ان تنتد بعد ١٥ يوماً

وفي ١٠ يوليو ( تموز ) ( ٤ ربيع اول سنة ١٢١٦ هـ ) بارح بيليارد القاهرة ومعه ١٢٧٢٤ من العساكر والضباط قاصدين رشيد على ان يسافروا

منها الى فرنسا فاندهل هتشنسون لما اوتيه من الفوز العظيم وكاد لا  
يصدق به حتى ٧ اوغسطس (آب) عند ما علم بركوب الجيوش  
الفرنساوية قاصدين بلادهم

اما مينو فكان باقياً في الاسكندرية ومعه عشرة آلاف مقاتل فتفاوض  
مع من كان باقياً لديه من القوات فاصروا على المخابرة وفي ٢ نوفمبر  
من تلك السنة عقدوا معاهدة الانسحاب وانحبوا اثناء ذلك الشهر على  
مثل انسحاب بيلارد واذا تأملت ترى انها ومعاهدة العريش التي عقدت  
في ٢٤ يناير (ك ٢) سنة ١٨٠٠م شيء واحد ولم تكن نتيجة ذلك التأخير  
الأسفك الدماء

وكانت الحكومة الانكليزية قد امرت الجنرال بردان يسير من الهند  
في ستة آلاف من الجنود الهندية المنتظمة الى مصر امداداً لا يركرومي في البر  
فجاء الى القنصر على سواحل البحر الاحمر ومنها سار في الصحراء حتى اتى  
قناطم نزل الى القاهرة فوصلها بعد التوقيع على الانسحاب فتزل الى  
الاسكندرية وحضر انسحاب مينو وجماعته

هذه هي الحملة الفرنسية فتأمل كيف كانت نهايتها وكيف انها  
بعد صرف ثلاث سنوات ونيف كلها حروب ومقاومات عادت بخيبي حنين

من انسحاب الفرنسيين الى تولية محمد علي باشا

من سنة ١٢١٦ - ١٢٢٠هـ او من ١٨٠١ - ١٨٠٥م

فبعد انسحاب الفرنسيين استلم يوسف باشا الصدر الاعظم زمام  
الاحكام في القاهرة باسم جلالة السلطان بمساعدة الجنرال هتشنسون  
وكان حسين قبطان باشا اميرال العمارة العثمانية لا يزال في ابي قير  
والاسكندرية بعد سفر مينو . اما الانكليز فلم يكن غرضهم الا تثبيت

سلطة الباب العالي والانسحاب فجعلوا معسكرهم في مصر القديمة . اما الممالك فكانوا لا يزالون يحاولون النسلط ولم تنزل بقية منهم تحت قيادة اثنين من كبارهم هما عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفي اما معسكرهم فكان في الجيزة فاخذ القائدان العثمانيان يوسف باشا وحسين قبطان باشا يدبران مكيده تذهب من بقي من الممالك فانفقا على ان يدعو قبطان باشا بعض امرائهم الى مكيده يعدها لهم في ابي قير وان يهجم يوسف باشا على من بقي منهم في الجيزة فيأتيان على اهلاكهم . فبعث قبطان باشا الى بعض امراء الممالك يدعومهم الى وليمة قال انه اعدّها لهم في معسكره باني قير وان غرضه من ذلك الاجتماع المناوضة معهم فيما يجب اتخاذه من الوسائل لاصلاح حالة البلاد فاجابوا دعونه وهم في ريبه من مقاصده على انهم لم يكونوا يستطيعون رفض الدعوه خيفة ان يجعلوا للقوتين العثمانيه والانكليزيه باباً للارتباب بمقاصدهم . فلما وصلوا ابا قير ترحب بهم حسين باشا ودعاهم الى النزول معه في قاريو الخصوصي ليسيروا معاً الى النومندان الانكليزي على احدى الدوارع للمناوضة معه ببعض الشؤون . فركبوا حتى صاروا على مسافة من البر فالتقوا بقارب آت من جهة الدوارع قال من فيه ان لديهم تحارير باسم قبطان باشا ومخبرات اخرى مهمه فوثب القبطان عند ذلك الى القارب الآخر وامره ان يسير فصار وبقي الممالك وحدهم فارجسوا خيفه ثم سمعوا اطلاق المدافع عليهم من قارب العثمانيين فتأكدوا انها مكيده فحاولوا الرجوع الى البر ولم يصلوه حتى قتل عثمان بك الطمبورجي وثلاثة آخرون وجرح عثمان بك البرديسي واثنان آخران . وفي نحو ذلك الوقت ارسل يوسف باشا في القاهرة فرقة من رجاله يهاجمون الممالك في الجيزة فوثبوا عليهم واحرقوا بيوتهم فالتجأ كبارهم الى الانكليز فحومهم رغماً عن اصرار يوسف باشا على طلبهم ثم انسحبت الجيوش الانكليزيه من مصر بامر الاميرال كيت وبقيت

مصر يتنازعها الجنود العثمانية والمماليك . وكان يوسف باشا في القاهرة  
بمثابة نائب عن الباب العالي . ولما كان لا بد من تولية والٍ عثماني يقوم  
بإعباء الولاية سعى يوسف باشا بمساعدة حسين قبطان باشا الى تولية  
خسرو باشا كخليفة حسين قبطان باشا فكتبنا بذلك الى الاستانة فاجاب  
الباب العالي طلبها وبعث لها الفرمان المؤذن بذلك

فتولى خسرو باشا على مصر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٦ هـ ولم  
يكن ينفصه لاستتباب الراحة الا ابادته من بقي من المماليك وكانواع ما  
المهم منذ قدوم الفرنسيين لا يزالون قادرين على المقاومة نظراً لمعرفتهم  
بأحوال البلاد واحزابها وبعد وفاة مراد بك واعتزال ابراهيم بك عن  
الاعمال اصبحوا تحت قيادة عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفي كما  
نقدم وقد دانت لهم مصر العليا . فناهضهم خسرو باشا فلم يجمع ولم يكن اذ  
ذاك في سلطة الباب العالي الا القاهرة والاسكندرية وما بينهما . فلم يستطع  
خسرو باشا تحصيل ما يقوم بدفع مرتبات العساكر فناروا في ٢  
مايو سنة ١٨٠٢ م واحاطوا بالخنزدار وحسوه في بيتوه . فامر خسرو  
باشا ان تطلق عليهم المدافع حتى علت الضوضاء واشتد الخصام  
فتداخل طاهر باشا اركان حرب خسرو باشا يريد صرف ذلك المشكل  
فلم يوافقته خسرو على قصده واتهمه بالتحاده مع العصاة . فاغاض طاهر  
باشا واخذ جانب العصاة وامرهم ان يهدموا الاسوار فخاف الباشا ولم ير  
الا الفرار بجره وحاشيته على ضفة النيل الشرقية نحو المنصورة . ثم سار  
منها الى دمياط وحاصر هناك . فاغتم طاهر باشا تلك الفرصة وجمع اليه  
النضاه وارباب الديوان فاقروه على مصر بصفة قائم مقام موقفاً لبيها ترد  
الارادة السنية بتولية من يتولى عوضاً من خسرو باشا

ففي ٢٥ مايو ( ايار ) سنة ١٨٠٢ م لاقى طاهر باشا من القوة العسكرية  
مالاقاه خسرو باشا وذلك ان اثنين من الاغوات وهما موسى واسماعيل

تشكيا اليوم من تأخر الرواتب فانتهرهم فاغلظوا له فاشتد الخصام فجردا  
سيفيها وقطعا رأسه ورمياه من الشباك وانتهى الخصام باحتراق السراية  
فاصبحت مصر بغير وال يدبر اعمالها . وفي هذه الفرصة تأتي لذلك  
الرجل العظيم المغفور له محمد علي باشا ارومة العائلة الخديوية اظهار ما  
اخضع به من السالة والاقدام وما جعله الله فيه من الفضائل التي قدر  
له ان يبثها في هذا الفطر السعيد

## الدولة المحمدية العلوية

### ولاية محمد علي باشا

من سنة ١٢٢٠ - ١٢٦٤ هـ او من ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م

ولد هذا الرجل العظيم في مدينة قواله<sup>(١)</sup> من اعمال الرومي سنة  
١١٨٢ هـ (١٧٦٨ او ١٧٦٩ م) من اب يدعى ابراهيم آغا وكان من  
ضباط تلك المدينة وفي عهده رئاسة غفر الشوارع . ويقال ان والدته  
الصبية رأت رؤية وهي حامل به فاستنسرت المنسرون فبشروها بعظم  
الذي هي حامل . ثم توفي ابراهيم آغا ومحمد علي لم يتجاوز الرابعة من عمره  
ولم يبق له الا عم كان يدعى طوسون آغا منسلم قواله قتل بامر الباب  
العالي بعد ذلك بيسير فاصبح يتيمًا قاصراً فرباه جرنججي براوسطا احد

(١) مدينة صغيرة واقعة في مكدونية غربي الرومي بقرب خليج قواله  
تجاورها مدينة فيليبي وهي على مسافة ١٢٨ كيلومتر للجهة الشمالية الشرقية  
من تسالونيكيا و ٢٢٠ من الاستانة . حسنة التجارة وفيها نحو من ٨٠٠٠  
من السكان معظمهم من المسلمين



محمد علي پاشا خديوي مصر

اص  
الي  
ذ  
بق  
ولا  
وا  
لا  
ار  
ولا  
هذ  
علي  
قا  
فت  
اج  
وك  
هذ  
وك  
الغ  
وه  
في  
بع  
لي  
فلا



اصدقاء والده وجعله بمنزلة اولاده . ولكن محمد علي كان يشعر بحاله من  
اليتم الذي يقود الى الذل وضعة النفس . وما بروى عنه بعد ان ارتقى  
ذروة المجد انه كان يحدث اخصاءه عما قاساه في صباه من الذل الى ان  
يقول « ولد لاني سبعة عشر ولدا لم يعش منهم سواي فكان يجنني كثيراً  
ولا تغفل عينه عن حراستي كيفما توجهت ثم توفاه الله فاصبحت يتيماً قاصراً  
وابدل عزّي بذل وكثيراً ما كنت اسمع عشراي يكررون هذه العبارة التي  
لا انساها عمري وهي « ماذا عسى ان يكون مصير هذا الولد النعيس بعد  
ان فقد والده » فكنت اذا سمعتهم يقولون ذلك اجعل نفسي غافلاً عنه  
ولكني كنت اشعر باحساس غريب يجركني الى النهوض من تحت  
هذا الذل فاجهد نفسي بكل عمل يمكيني معاطاة مهمة غريبة حتى كان يمر  
عليّ احياناً بومان ساعياً لا آكل ولا انام الا شيئاً يسيراً . ومن جملة ما  
قاسيت اني كنت مسافراً على مركب فطلع النور فكسره وكنت صغيراً  
فتركني ارفاقي وطلعوا الى جزيرة هناك على قارب كان معنا اما انا فجلعت  
اجاهد بالماء وسعي نذفي الامواج وتستقبلني الصخور حتى تجرحت يداي  
وكانت لا تزالان يانعتين وقد قدرني الله ووصلت الجزيرة سالماً وقد اصبحت  
هذه الجزيرة الآن قسماً من مملكتي »

وكان في قواله عائلة فرنساوية من مرسليليا كبيرها يدعى الموسبوليون  
وكان من الوجهاء واصحاب الثروة والمحبين للفضيلة وانفق له انه عرف هذا  
الغلام فكان يظهر له المحبة والحنولما رأى فيه من الذكاء والنباهة الطبعيتين  
وهذا اصل وثوق محمد علي بعد ذلك بالشعب الفرنساوي واستخدامه اياه  
في مصالح البلاد . ويقال ان محمد علي بعد ان استولى على ولاية مصر  
بعث الى الموسبوليون سنة ١٢٢٥ هـ او ١٨٢٠ م بدعوة الى مصر  
ليصرف زمناً في ضيافته فاجاب دعوته لكنه توفي في اليوم المعين لقدومه .  
فلما علم محمد علي بذلك اسف اسفاً شديداً وبعث الى اخت النقيب هدية

تساوي عشرة آلاف فرنك

فلما ترعرع محمد علي انتظم في سلك الجهادية واطهر على صغر سنه نباهة وبسالة عجيبتين وكان يرسله مربيه في مأموريات مهمة لجمع الضرائب ويعتمد عليه بأمور كثيرة حتى اذا بلغ الثامنة عشرة من العمر رقاء الى رتبة بلوك باشي وازوجه إحدى قريباته فولدت له خمسة اولاد منهم ثلاثة ذكور وهم ابراهيم وطوسون واسماعيل . وكانت امرأة محمد علي على جانب من الثروة فتعاطى التجارة وعلى الخصوص في صنف الدخان لانه أكثر اصناف التجارة في بلاده وبرع فيها كثيراً حتى انه مع قلة معارفه العلمية اكتسب شهرة عظيمة بين التجار

فلما كانت الحملة الفرنسية ارسل الباب العالي يطلب من المكشوفة نجدة عسكرية فوردت الاوامر الى جرنجى براوسطا ان يجمع ثلاث مئة مقاتل ففعل وجعل عليهم ابنه علي اغا قائداً ومحمد علي مساعداً . فسارت تلك الكتيبة المكشوفة برفقة العمارة العثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا الى ابي قير وكان الفوز بتلك المحاربة للفرنساويين على ما مر بك . فترك علي اغا كتيبته بعد ان عهد قيادتها لمحمد علي وعاد الى بلاده فارتقى محمد علي الى رتبة بيكباشي . ثم كانت محاربة العمارة الانكليزية وتقدمها الى القاهرة في النيل والعاكر العثمانية تحت قيادة الصدر الاعظم في البر من جهة الشرق كما تقدم

فلما انسحبت الجيوش الفرنسية ثم تبعها الجيوش الانكليزية احنلت مصر الجيوش العثمانية وكانت مؤلفة من اربعة آلاف من الالبانيين (الارناوط) الاشداء وكان المماليك لا يزالون يحاولون الاستقلال في الملك ولم يتفرر لديهم اذا كانوا ينالون هذه البيعة او ان مصر ستعود بعد الحملة الفرنسية تحت سلطة الباب العالي كما كانت قبلها . اما الباب العالي فكان يرغب ان تكون حكومة مصر بيد من يرسله اليها من

وزراء الدولة فنهى عن اعطاء المماليك القوة العسكرية

وكان المماليك من الجهة الثانية منقسمين فيما بينهم تحت رئاسة اثنين من امراءهم كل منهما يحاول الاستقلال بنفسه كما قد علمت. فلما تولى محمد خسرو باشا على مصر كان مرفوقاً باوامر سرية ما لها ابادة كل من بقي في مصر من المماليك باي وسيلة كانت وكان مخلصاً للدولة وفيه عزيمة ونشاط الا انه لم يحسن التصرف بما خول له بما يتعلق بالاوامر السرية فضلاً عما كان بينه وبين محمد علي من المناظر منذ بضع سنين. الا ان هذا لم ينفك عن العمل حتى ارتقى في الجيش الى رتبة قبي بلوك باشي ابي رئيس حرس السراي واخيراً نال من محمد خسرو باشا رتبة سرشمة فاصبح قائداً لثلاثة او اربعة آلاف من الالبانيين. فجعل من ذلك الحين يظهر ما كان كامناً فيه من المواهب العظيمة فامتلك قلوب رجاله امتلاكاً غريباً واكتسب ثقة كل من عرفه

فاتفق اثناء ذلك ان المماليك ثاروا على الدولة فانفذ اليهم خسرو باشا حملة من الجنود العثمانية لتهزمهم وفي جملتها فرقة محمد علي. فقدر الله انقلاب جنود خسرو باشا قبل وصول رجال محمد علي الى الموقعة فرأى قائد تلك الحملة ان يتسبب انكسار رجاله لتأخر محمد علي ورجالوه في الطريق فقدم تقريراً بهذا المعنى الى خسرو باشا فسرر بهذه الشكاية واقرر عليها لاول وهلة وحكم على محمد علي بالاعدام سرّاً تخلصاً منه فكتب اليه ان يقابله في منتصف الليل للتخاطب معه بشؤون مهمة. فاجس محمد علي خبنة من تلك الدعوة فاخذ يفكر فيماذا يفعل لينجو من هذه المكيدة مع علمه انه اذا امتنع عن الحضور بعد عاصياً فتكون البلية الثانية اشر من الاولى

واتفق اذذاك تمرد القوة العسكرية لتأخر مرتباتهم. ثم كان انهزام محمد خسرو باشا الى دمياط وتولية طاهر باشا. ثم قتل طاهر باشا كما

مر بك فنهض احمد باشا والى الشرطة يطلب ان يولوه على مصر بدلاً من محمد خسرو باشا وساعده الانكشارية . وكان محمد علي قد ملك القلعة ومعها رجاله الارناوط وكانوا لا يريدون ولاية احمد باشا وانما خافوا ان لا يستطيعوا مناهضته . فلاح لمحمد علي ان يستجلب حزب المماليك اليه فكانتهم الى الصعيد وجهات اخرى فانوا المدينة وفيهم الاميران عثمان البرديسي و ابراهيم بك وغيرها فتعاهد معهم على اخراج احمد باشا من المدينة فكتب اليه ابراهيم بك ان يخرج من القاهرة حالاً واذا بقي فيها لبعده الساعة الحادية عشرة من ذلك النهار لا يلومن الا نفسه فخرج احمد باشا من المدينة رغماً عنه . ثم طهروا القاهرة من الانكشارية والبشناق والسجبان ولم يبق فيها الا المماليك ومحمد علي ومعها الارناوط . ثم اتفق محمد علي مع عثمان البرديسي على استئثار محمد خسرو باشا فصار عثمان الى دمياط وحاربه هناك حتى اسره في ١٤ ربيع اول سنة ١٢١٨ هـ واتى به الى القاهرة وسله لابراهيم بك في غاية ربيع اول منها . ثم نقل بعد ذلك الى القلعة

فلما وصلت هذه الحوادث الى الاستانة ارسل الباب العالي على باشا الجزائري ( الطرابلسي ) ليقوم مقام خسرو باشا ويقتص من الجانين فلم يصل القاهرة الا بعد شق الانس ولما جاءها علم بعدم استطاعته القيام بهذه المهمة بالقوة فعهد الى المكيدة فعادت العائدة عليه فوقع في ايدي اعدائه فقتلوه فاتعش المماليك لهذا الانتصار

وفي خلال ذلك عاد رئيسهم الثاني محمد الالفي من انكلترا وكان قد ذهب اليها يطلب مساعدة دولتها فنزل في ابي قير فلما علم البرديسي بعودته اوجس شراً خينة ان يطلب مفاصله فيما ناله بسعيه . فاصبح كل منها يترصده الآخر فكانت هذه الفرصة ثمينة لمحمد علي ونظراً لما كان له من التسلط على افكار البرديسي جعل يثير فيه عوامل الحسد لزميله الالفي

وما زال حتى حمله على الكيد به . فاعد البرديسي مكيدة لزميلو الالفي الا انه لم يتمكن من نوال مرغوبه لان الالفي فرّ طالباً الصعيد فخلا الجو للبرديسي فظن نفسه قد تخلص من مناظره ولكنه لم يعلم ان هنالك مناظرًا اصعب مراساً من ذلك . وذلك ان الالبانيين لما رأوا انقسام رؤسائهم بعضهم على بعض خافوا على حقوقهم من الضياع فقاموا بصوت واحد يطلبون مرتباتهم لمدة ثمانية اشهر واصروا انهم اذا لم ينالوا مطلوبهم يقبلون البلاد رأساً على عقب فخاف البرديسي من ذلك واجابة لطلبهم ضرب على اهل القاهرة ضرائب فوق العادة ليدفع المبلغ المطلوب غير ان ذلك لم يكن الا لزيادة الطين بلة لان اهالي القاهرة انفسهم اتوا من تلك المعاملة فنثاروا على الحكومة واتحدوا مع القوة العسكرية واضطهدوا البرديسي في سرايته يريدون قتله لكنه لحسن حظو تمكن من الفرار فترك القاهرة ولم يعد يدخلها فيما بعد وكان ذلك سنة ١٢١٩ هـ ( سنة ١٨٠٤ م )

وكان الباب العالي عندما بلغه استبداد البرديسي وارفاقه في الاهالي وضرب الضرائب الفاحشة مما سبق من قتلهم علي باشا الجزائري قد امر باعداد اسطول يأتي مصر في البحر . وبعث الى احمد باشا الجزائر ان يسير بمحملة في البر وان نعد القوتان على اولئك المستبدين ويقصوا منهم فلما بلغه خبر الثورة العسكرية وما آل اليه امر المالك عدل عن عزمو اكنفاء بما حصل

وكان لمحمد علي باع طولى في كل هذه الحوادث . فلما فرّ الاميران لم يعد في القاهرة سواه وكانت جميع القوة العسكرية والملكية يداً واحدة معه فاستدعى اليه العلماء والمشائخ وتفاوض معهم بشأن اخلاء سبيل خسرو باشا وتوليته على مصر وبعد المناوذة اقروا على ذلك وبعد تنصيبه بيوم ونصف اقروا على ارساله الى رشيد تحت الحفظ ومنها برسل الى الاستانة وهكذا فعلوا . فقد رأيت كيف تمكن محمد علي بحسن سياسته

وبعيد نظره في الامور من اضعاف سلطة الامراء المالك ولولا ذلك لم يبلغ ما بلغه بما بلغه . فلما كانت هذه الاحوال في مصر وقد اصحبت بغير نائب عثماني يؤيد سبلطة جلالة السلطان عليها صرح ان مصر لا تمتثل الا لحاكم عثماني يأتيها من لدن الباب العالي و اشار بتولية خورشيد باشا حاكم الاسكندرية لهذا المنصب . فوافقه العلماء والفقهاء واعيان البلاد والاجناد وظلوا اليه ان يكون هو عليهم بصفة قائمقام وارسلوا الى الباب العالي يخبرونه بهذا التعيين فاقر عليه . فاستدعوا خورشيد باشا من الاسكندرية واقاموه على القاهرة وجعلوا محمد علي قائمقاماً له وذلك في ذي القعدة سنة ١٢١٨ هـ (مارس ( اذار ) سنة ١٨٠٤ م ) فورد الفرمان بتثبيت خورشيد باشا في ٢٢ محرم ونصه

« اننا كنا صفحنا ورضينا عن الامراء المصرية ( المالك ) على موجب الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة علي باشا والصدر الاعظم فتحانوا العهود ونقضوا الشروط وطغوا وبغوا وظلموا وقتلوا انحجاج وغدروا علي باشا المولى عليهم ( يريد علي باشا الجزائري ) وقتلوه ونهبوا امواله وبتاعه فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركباً حربية وكذلك احمد باشا الجزائر بعساكر برية للاتقام منهم ومن العسكر الموالين لم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لم وقتلهم واخراجهم فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الاول وصفحنا عنهم صفحاً كثيراً واطلفنا لهم السفر والاقامة متى شاؤوا وايضا ارادوا من غير حرج عليهم وولينا حضرة احمد باشا خورشيد كامل الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة وفور العقل الخ »

ثم حصلت بعد ذلك مواقع كثيرة بين محمد علي والمالك في اماكن مختلفة من القطر فاصبحوا بعد ما قاسوه من الحروب المتواترة مدة سنين لم يعودوا فيما كانوا عليه من الشؤذ عن ذي قبل واصحبت قوتهم لا تزيد عن

خمس أو ستة آلاف من الفرسان اما ماليهم فكانت آخذة في الانحطاط .  
 وكانت العساكر مؤلفة من الالبانيين ( الارناوط ) وهؤلاء قضا  
 تحت قيادة محمد علي مدة طويلة وكانوا يحبونه ويعتبرونه فشق ذلك على  
 خورشيد باشا وصار يخاف هؤلاء الالبانيين فاستقدم اليه جنداً من  
 الدلاة ( المغاربة ) ففرصلوا مصر في اول سنة ١٢٢٠ هـ وكان محمد علي  
 يوم وصولهم في جهات الصعيد يجارب المالك فبلغه ان احمد باشا خورشيد  
 استقدم هؤلاء الدلاة يستعين بهم على الارناوط فعاد الى القاهرة برجاله  
 مظهرًا طلب العلوقة ولولا ذلك لمنعة الدلاة من الدخول اليها اما خورشيد  
 فاجس خيفة من قدومه فجعل يراقب حركاته . اما الدلاة فاتشروا في  
 البلاد ينهون ويقتلون ويصادرون الناس وياخذون اموالهم فاشتكوا  
 الى خورشيد باشا اولاً وثانياً وثالثاً وهو بعدم بكت هؤلاء ثم يخلف ولا  
 تزيد الاحمال الا اضطراباً فشق ذلك خصوصاً على علماء البلاد ومشائخها  
 وكرهوا خورشيد باشا كرهاً شديداً وصاروا يتوقعون تخلصهم منه وعلم هو  
 بذلك فلم يزد الا فجوراً

وفي ٢ صفر سنة ١٢٢٠ هـ ورد الخط الشريف بتولية محمد علي ولاية  
 جدة فبعث اليه خورشيد باشا وقلده الولاية والبسة الفروع والقاورق  
 المحنصين بهذه الرتبة فخرج يريد الركوب فتارت العساكر وطالبوه بالعلوفة  
 فقال لهم هذا هو الباشا عندكم فطالبوه وسار فاصداً بيته بالازبكية وصار  
 ينثر الذهب على الناس طول الطريق فازدادوا له حباً واعتباراً ولخورشيد  
 باشا كرهاً واحتقاراً

وفي ٦ منه مل اهالي البلاد من معاملة خورشيد باشا فسار علماءهم  
 ومشائخهم وائمةهم وروساء الجند الى محمد علي وقالوا له نحن لا نريد هذا  
 الباشا حاكماً علينا قال ومن تريدون اذا قالوا لا نرضى الا بك تكون والياً  
 علينا لما توسم فيك من العدالة والخير فامتنع اولاً ثم رضي واحضروا له

كركا وعليه فنتان وقام اليه السيد عمر والشيخ الشراوي فالبساة ثم بعثوا الى خورشيد باشا بذلك فقال « اني موث من طرف السلطان فلا اعزل بامر الفلاحين ولا انزل من القلعة الا بامر من السلطنة » فحاصروها فيها وقد انحازت جميع القوات العسكرية من الارتاوط والدلاة لمحمد علي الا قليلا . وكتبوا بالاشتراك مع العلماء والمشايخ الى الباب العالي يطلبون نصيب محمد علي عليهم واصروا وما زالوا حتى صدرت الارادة السنية بفرمان ينقله الفايحي باشي فوصل القاهرة في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ (١٩٠٥ م) فقرأوا الفرمان في بيت محمد علي بحضور كل الاعيان والمشايخ ومضمونه الخطاب لمحمد علي باشا والي جدة سابقا والي مصر حالا من ابتداء ٢٠ ربيع اول حيث رضي بذلك العلماء والرعية وان احمد خورشيد باشا معزول عن مصر وان يتوجه الى الاسكندرية بالاعزاز والاكرام حتى ياتي به الامر بالتوجه الى بعض الولايات الا انه لم يخرج من القلعة الا في ١٥ جمادى الاولى من تلك السنة بعد ان جاءه مندوب مخصوص من الاستانة بشأن ذلك

وكان المالك لا يزالون منشربين في جهات القنطر بكمون ويستعدون . وكان الالقي مقبلا في الصعيد وقد التفت حوله جمهور من المالك وعندما علم بتولية محمد علي باشا نزل بفرسانه طالبا خلعته وتخار مع خورشيد باشا ليساعده في غرضه وتعهد انه اذا فعل ذلك يعيد الاحكام لبيده ويكون بعد ذلك خاضعا لاوامر الدولة العثمانية ضاربا بسيفها هذا اذا كانت تخلع محمد علي باشا وخابر من الجهة الثانية دولة انكلترا ووعدها انها اذا عضدت مشروعه هذا يكون مستعدا ان يسلمها ابواب القنطر المصري حالا . فعلم بذلك قنصل فرنسا فعرقل مسعاة فعكف الى مصالحة محمد علي باشا على شيء برضى به الاثنان فحصلت المخابرات فلم يتفقا فعاد الالقي الى مسعاة ثانية بواسطة سنير انكلترا في مصر

فطلب هذا الى الباب العالي بالنيابة عن دولته ارجاع سلطة المماليك الى البلاد وتعهدها بامانة الاتني وخضوعه لاوامر الدولة . فقبل الباب العالي بذلك فاصدر عفواً عاماً عن المماليك باسم اميرهم الكبير الاتني فوصلة في غرة ربيع آخر سنة ١٢٢١ هـ . وفي ١٤ الشهر المذكور وصل القاهرة خبير قدوم عمارة عثمانية نقل موسى باشا مرسلان قبل الباب العالي والبا على مصر ومعه عدة من العساكر المنظمة على النظام الجديد وخطاً شريفاً الى محمد علي باشا ان ينتقل الى ولاية سالانيك وان يرجع المماليك المصرية الى مراكزهم في الامارات والاحكام فخاف محمد علي من حبوط المسعى فاخذ الامر بالحزم والحكمة فرأى ان احزاب المشايخ والعلماء جميعها معه وانضم اليهم بعض المماليك الذين كانوا في الاصل من الجيش الفرنسي وبقول في مصر بعد سفر الحملة لعدم امكانهم مرافقتها واعنتقوا الديانة الاسلامية وانضموا الى المماليك فاستكتبهم كتاباً الى الباب العالي يطلبون فيه استبقاء محمد علي باشا وارجاع موسى باشا وبينون الاسباب الموجبة لذلك فكتبوه وامضوه وارسلوا منه نسخة الى الاستانة واخرى الى قبطان باشا قبطان العمارة التي انت موسى باشا فاجابهم القبطان ان ما قدموه من الاعذار غير مقبول ولا بد من خروج محمد علي باشا من مصر حالاً وكان لسفير فرنسا في الاستانة رغبة شديدة في بقاء محمد علي باشا على مصر لما علم من عزم الاتني على تسليم البلاد للدولة الانكليزية فسعى جهده مع قبطان باشا الى بقاء محمد علي باشا . ثم علم قبطان باشا بعد ذلك ان المماليك لم يتفكروا منذ وجودهم في مصر عثرة في سبيل حقوق الدولة وانهم منتسمون فيما بينهم لا يتفقون على امر فرأى اصوية طلب البلاد فكتب اليهم ان يعيدوا طلبهم وان يبعثوا الطلب مع ابن محمد علي باشا فكتبوه وارسلوه مع ابنه ابراهيم بك على يد قبطان باشا . وفي ٥ شعبان سنة ١٢٢١ بارحت العمارة العثمانية الاسكندرية وعايها قبطان باشا وموسى باشا

وابراهيم بك

وفي اواخر شعبان (نوفمبر) سنة ١٨٠٦ م) وردت الاوامر  
 الشاهانية بتثبيت محمد علي باشا على ولاية مصر مع الابعاز اليه ان  
 لا يتعرض للمالِك بعد ذلك لصدور العنو عنهم قبلاً. وفي الشهر التالي  
 مات عثمان البرديسي. وفي ١٩ ذي القعدة سنة ١٢٢١ هـ (يناير) (ك ٢)  
 سنة ١٨٠٧ م) توفي محمد الالفي وهما زعيما احزاب المالِك فولوا عليهم  
 شاهين بك رئيساً الا انهم مع ذلك لم تعد تقوم لهم قائمة وقد خلا الجول محمد  
 تلي باشا

ثم ان الحكومة الانكليزية اعترضت تثبيت محمد علي مخلصاً بنفوذها  
 ومضراً بصالحها فجدت حملة من ثمانية آلاف مقاتل تحت قيادة الجنرال  
 فرازر لارجاع سلطة المالِك وكانوا قد تبعثوا في البلاد فوصل الانكليز  
 الاسكندرية في ٩ محرم سنة ١٢٢٢ هـ (١٧ مارس) (اذار) سنة ١٨٠٧ م)  
 مظهرين حماية القطر من الفرنساوية فاستولوا على المدينة في ٢١ محرم وبقوا  
 فيها ستة اشهر لا يستطيعون انتقالاً الى ما وراءها وكانوا قد ارسلوا فرقة  
 منهم الى رشيد فمزقتها سيوف الارناوط كل ممزق. وفي يوم الخميس ٥  
 جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ هـ استقال السلطان مصطفى سنة ٢٢ سنة  
 فبوع السلطان محمود بن عبد الحميد (محمود الثاني)

وفي ١٢ رجب سنة ١٢٢٢ هـ (١٤ سبتمبر) (ابول) سنة ١٨٠٧ م)  
 انسحبت الجيوش الانكليزية من الاسكندرية بانفاق صلح مع القطر فاستنبت  
 القوة لمحمد علي باشا وقد رضي جلاله السلطان عنه ودخلت الاسكندرية  
 في ولايته ثم سعى بعضهم الى المصالحة بينه وبين المالِك فتمت بقدم شاهين  
 بك الى مصر بالهدايا الثمينة فاكرمه محمد علي وبنى له قصراً نفيساً لسكناه في  
 الجيزة ثم تبادلوا الزيارات وكل علائق المودة وهكذا فعل كل المالِك  
 فلما رحمت قدم محمد علي باشا في مصر اخذت في تسليم مصالح

حكومتو لمن يثق بهم من ذوي قرياء لانه كان من شديدي الحبة  
 اعائنتو ولا شك ان ازرة اشتد بهم . ثم نظر الى امر الاراضي ومكوسها  
 فابطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعاني البلاد التي التزموها لانه لما ابتدع  
 المغارم والشهريات والقرض التي فرضها على القرى ومظالم الكشوفية  
 جعل ذلك عاماً على جميع الالتزامات والحصص التي بايدي جميع الناس  
 حتى اكاير العسكر واصاغرم ما عدا البلاد والحصص التي للمشايخ فانه  
 اخرجها من ذلك فلا يبوخذ منها نصف الفائض ولا ثلثه ولا ربعه وكذلك  
 من ينسب لم او يحنمي فيهم وكانوا يأخذون الجعالات والهدايا من  
 اصحابها ومن فلاحهم نظير صيانة حقوقهم . قال ذلك الامتياز الى تطرف  
 اولئك بانواع المعيشة وزيادة الترف فرأى محمد علي باشا ابطال ذلك  
 الامتياز فابطله رحمة بالرعية

ثم استفحل امر الوهايين في شبه جزيرة العرب فارسل السلطان  
 محمودخان بعهد الى محمد علي باشا امر اخضاعهم وتخليص البلاد من ايديهم  
 والوهايون فئة من المسلمين ذهبوا الى اغتال كل الكتيب الدينية  
 الاسلامية الا القرآن الشريف فهم بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين . زعيمها  
 الاول يدعى محمد عبد الوهاب ولد سنة ١١١٠ هـ ( سنة ١٦٩٦ م ) ولما  
 شب نفعه وحج ثم اظهر دعوة فالتفت عليه احزاب كثيرة فافتتح نجد فالحجاز  
 فالحرمين وما زال يفتح في بلاد العرب حتى توفي سنة ١٢٠٥ هـ ( سنة  
 ١٧٨٩ م ) وسنة ٩٥ سنة فاستمر احزابه في اعماله حتى سنة ١٢٢٤ هـ  
 ( سنة ١٨٠٩ م ) تحت قيادة الامير سعود وقد اصحبت حدود مملكتهم من  
 الشمال صحراء سوريا ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خاليج العجم  
 ومن الغرب البحر الاحمر فنهوا<sup>(١)</sup> الكعبة وقد استفحل امرهم ولم ير الباب  
 العالي بدا من تكليف بطل مصر على ما تقدم  
 فاجاب محمد علي باشا طائفاً وجعل يجمع الثروات اللازمة لتلك

(١) وقيل بل نهوا الحج النبوية في المدينة المنورة

الحملة لكنه فكر في امر المماليك فحشي اذا سارت الحملة ان لا تكون البلاد في مأمن منهم فيجمعون كلتهم ويعودون الى ما كانوا عليه من الفلاقل فعمد الى اهلاكهم قبل مسير الحملة لكنه في الوقت نفسه عمل على اعداد مواد الحملة فامر بتجديد اربعة آلاف مقاتل تحت قيادة ابني طوسون باشا ثم طلب الى الباب العالي ان يبعث الى السويس بالاخشاب لبناء المراكب اللازمة لنقل الجند ومعدات الحرب فارسل له ما طلب فابتنى ثمانية عشر مركبا واعدّها عند السويس في انتظار الحملة . اما المماليك فكانوا قد يسوا من الاستقلال بالاحكام لما راوا ما حلّ بسلفائهم وما عليه محمد علي باشا من العزيمة فكانوا عن مطامعهم واكتفوا بالتمتع بارزاقهم وممتلكاتهم في حالة سلبية فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وتشتتوا في انحاء النطر . وكان شاهين بك وهو الذي تولى رئاستهم بعد وفاة الالفي قد اذعن لمحمد علي باشا كما تقدم فاقطعه ارضا بين الجيزة وبنى سويف والنيوم فأوى اليها . وفي محرم سنة ١٢٢٦ هـ (فبراير شباط) سنة ١٨١١ م) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العزب في الصحراء ينتظرون باقى الحملة ومعها طوسون باشا . وتعيّن يوم الجمعة لوداع طوسون والاحتفال بخروجه ورجاله الى قبة العزب فأعلن ذلك في المدينة ودعي كل الاعيان لحضور ذلك الاحتفال في الوقت المعين وفي جملتهم المماليك وطلب اليهم ان يكونوا بالملابس الرسمية

ففي يوم الجمعة في ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ (اول مارس) اذار) سنة ١٨١١ م) احشد الناس الى القلعة وجاء شاهين بك في رجاله فاستقبلهم الباشا في سرايته بكل ترحاب ثم قدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة امر محمد علي بالمسير فصار الموكب وكل في مكانه منه جاعلين المماليك الى الورا يكسنتهم الفرسان والمشاة حتى اذا اقتربوا من باب العزب من ابواب القلعة في مضيق بين هذا الباب والحوش العالي

امر محمد علي فانغلت الابواب و اشار الى الالبانيين (الارناوط) فجمعوا على المالك بغتة فاندعروا اولئك وحاولوا الفرار تسلقاً على الصخور ولكنهم لم يفوزوا لان الالبانيين كانوا اكثر تعوداً على تسلقها . واقحم المشاة المالك من ورائهم بالرصاص فطلب المالك الفرار بخيولهم من طرفي اخرى فلم يستطيعوا لصعوبة المسلك على الخيول ولما ضوبق عليهم ترجل بعضهم وفرّوا ساعين على اقدامهم والسيوف في ايديهم فتداركهم الجنود بالبنادق من الشبايك فقتل شاهين بك امام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الانتحاء الى الحرم او الى طوسون باشا بدون فائدة . ثم نودي في المدينة ان كل من يظفر باحد المالك في اي محل كان ياتي به الى كحيا بك فكانوا يقبضون عليهم ويأتون بهم اليه افواجاً وهو يقتلهم

وكان عدد المالك المدعويين الى الولية اربعمائة فلم ينج منهم الا اثنان احدهم احمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير كان غائباً بناحية بوش والثاني امين بك كان قد اتى الى القلعة متأخراً فرأى الموكب سائراً نحو باب العزب فوق خارج الباب ينتظر خروج الموكب . ثم لما قفلت الابواب بغتة وسمع طلق النار علم المسكيدة فهز جواده وطلب الصحراء قاصداً سوريا . والمتبادر على الالسنه ان امين بك هذا كان داخل القلعة فعند ما حصلت المعركة همز جواده فوثب به من فوق السور لجهة الميدان فقتل جواده وسلم هو والاقرب للحقيقة ان هذه الاشاعة مخلفة او مبالغ فيها . ثم نودي في الاسواق ان شاهين بك زعيم المالك قد قتل فخافت الناس ثم طافت العساكر في المدينة يهبون بيوت المالك وياخذون حريمهم وجوارهم وعل الصباح

وفي اليوم التالي نزل الباشا وابنه من القلعة وطافا المدينة فامر الباشا بايقاف النهب وقتل كل من حاول ذلك ولكنه حرص على قبض من يظفرون به من المالك في سائر انحاء القنطر فكانوا يأتون بهم افواجاً

يسوقونهم كالغنم الى الذبح فبلغ عدد من قتل من البكوات ٢٢ بيكاً . وفي  
اليوم التالي نزل طوسون باشا الى الاسواق في فرقة من الجند لتسكين  
القلوب وايقاف النهب . اما الجثث التي كانت في التلعة فاحفروا لها حفراً  
جعلوا فوقها التراب وصرح محمد علي باشا بحماية جميع نساء المالك ولم  
يسمح بتزويجهن الا لرجالو

ولما استتبت الراحة وخلت البلاد من المالك انعكف محمد علي الى  
المهام الاخرى واخصها الوهايون فكتب الى غالب شريف مكة بخبره  
باستعداده الى حملة تنفذه من فئة الوهايين فنفع طريق الحرمين لجميع  
المسلمين وطلب اليه ان يهد له السبيل فاجابه شاكرآ ووعده بالمساعدة .  
اما سعود امير الوهايين فانبأ انه الجواسيس بما نواه محمد علي فامر  
فاجتمع حوله خمسة عشر الفا ليدفع بهم جنود مصر . اما محمد علي فسير  
حملة من ثمانية آلاف مقاتل تحت قيادة طوسون باشا فركبت البحر من  
السويس حتى انت <sup>تسمع</sup> على الساحل الشرقي للبحر الاحمر ومنها يتصل  
الى المدينة . فتملكوا <sup>تسمع</sup> وساروا منها الى صفر وفيها معسكر الوهايين  
وقد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا فتهتمر سعود ورجاله اولآ ثم ارتدوا  
على الجيوش المصرية فانهمزمو تاركين كل مؤتمهم وزخائرهم وجمالهم وعادوا  
الى جنبو . فأنبى محمد علي باشا بذلك فجنّد جنداً كبيراً وبعث يمدداً لابنه  
فاشتد ازر طوسون وجمع اليه القوتين وسار حتى اتى المدينة فاطلق عليها  
النار فهدم بعض السور ثم دخلها وانحن في حاميته حتى سلت فكف  
السيف عنها . فاتشر خبر افتتاح المدينة في سائر الحجاز فخاف الوهايون  
وفرح اعدائهم ولا سيما الشريف غالب . وقد كان في جدة لا يدري ماذا  
يكون من امر تلك الحملة فلما علم بانتصارها كاد يطير من الفرح . واخلى  
الوهايون مكة خوفاً من اهلها فجاءها طوسون واحتلها وكتب الى ابيه  
وفرح فرحاً لا مزيد عليه لما اتاه الله من النصر على بد ابنه نصرآ لم يتأت

لغيره من التواد الهمايين وحي البو بقائد حامية المدينة من الوهايين  
 فارسه في غفر الى الاستانة فقتلوه حال وصوله اليها . اما من بقي من دعاة  
 الوهايين فكانوا لا يزالون في مأمن خارج مكة تحت قيادة كبيرهم سعود  
 فلما جاء صيف سنة ١٨١٢ (سنة ١٢٢٨ هـ) علموا ان جنود طوسون  
 لا يجهلون حر تلك البلاد وانهم اذا ناهضهم اذ ذلك يتغلبون عليهم  
 فجدوا وساروا الى طراباين<sup>(١)</sup> شرقي مكة فحاربوها واستولوا عليها ثم ساروا  
 الى المدينة وتهددوها بعد ان استولوا على كل ما بين هاتين المدينتين من  
 القرى والمدن فانصل الخبر بمحمد علي فلم يرداً من ذهابه بنسوة لنصرة  
 الجنود المصرية وقد اصبحت مصر في مأمن من المماليك وغيرهم فسار في  
 جند عظيم حتى اتى جدة فترها في ٢٠ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ (٢٨  
 اوغسطس (آب) سنة ١٨١٢ م) فلاقاه الشيخ غالب شريف مكة وترحب  
 به وبعد ان ادى فروض الحج رأى ان الشريف غالب ليس من يعتمد عليهم  
 في الدفاع فعمد الى خلعه بطريقة تضمن حقن الدماء فثار ثم وضع يده  
 على ممتلكاته ونعت به وبعاثته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش  
 فيها اربع سنين ومات . اما الوهايون فمات قائدهم سعود في دراية في  
 ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٢٩ هـ (١٧ افريل (نيسان) سنة ١٨١٤ م) فالتحطت  
 سطوتهم فاقاموا عليهم ابنه عبدالله ولم يكن كفوءاً للرعاية الجند . وحصلت  
 بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بنتيجة . وفي ٢٨ محرم  
 سنة ١٢٢٠ هـ (١٠ يناير (ك) سنة ١٨١٥ م) حصلت موقعة كبيرة  
 بين جنود محمد علي والوهايين تحت قيادة فيصل اخي عبدالله شنت عن  
 انتصار المصريين فتقدم طوسون الى نجد . الا انه اضطر اخيراً الى التوقف  
 لقلّة المؤن وهو لم يبلغ دراية<sup>(٢)</sup>

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الى مصر فعاد وقد فجع طريق  
 الحرمين ولكنه لم يبد جميع الوهايين فوصل القاهرة في ٤ رجب

سنة ١٢٢٠هـ (يوليو (حزيران) سنة ١٨١٥م) فاهتم بتدريب الجند على نظام جند اوربا وكان أوّل من فعل ذلك في مصر فاصدر امراً عالياً في شعبان سنة ١٢٢٠هـ (يوليو (تموز) سنة ١٨١٥م) مؤداهُ ان الجنود المصرية ستدرّب على النظام الحديث وهو النظام الفرنسي الذي كان متبعاً اذ ذاك في سائر اوربا فعظم على الجهادية ولا سيما الارناوط الامتثال الى هذه الاوامر لانهم اعتبروها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما اصرّ عليهم الا ان يتبعوها ثاروا وتجمهروا الى القلعة يطلبون الرفق بهم وانقاذهم من الجور فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فاجابهم الى ما ارادوا على نية ان يدخل هذا النظام اولاً بين الجنود الوطنية لانهم اقرب الى الطاعة من هؤلاء الالبانيين ومن كان على شاكلتهم

وفي اثناء ذلك عاد طوسون باشا من الحجاز الى القاهرة فخرج الناس لملاقاته بالاحتفال والاكرام ثم نزل الى الاسكندرية حيث كان ابوه مقيماً فوجد امرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاماً زكياً دعته عباساً . وبعد يسير اصيب طوسون بالحم شديد في رأسه لم يعش بعده الا بضع ساعات . وكان محمد علي باشا قد توجه الى القاهرة . ولما اتصل به الخبر كان على ضفة النيل الغربية بجوار اهرام الجيزة . فقالوا له ان طوسون مريض فاسرع الى الاسكندرية لمشاهدته فلما دنا من المكان علم بوفاته فوقف مبهوتين لا يبدي حراكاً وبقي على مثل تلك الحال ثلاثة ايام متوالية ونقلت جثة طوسون باشا الى القاهرة ودُفنت قرب مسجد الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن العائلة الخديوية اليوم

وبعد قليل عاد محمد علي الى روعه فاخذ بهم بامر الوهابيين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبدالله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي استخرجها الوهابيون من الكعبة وان يتأهب متى قدم ليسير الى الاستانة . فاجابه يعتذر عن عدم امكانه الشخصوس وقال ان تلك

الاموال قد تفرقت على عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد  
 علي تلك الهدايا واوسعه تهديداً . ثم جرّد اليه حملة عهد قيادتها الى ابيه  
 ابراهيم باشا ( جد سمو الخديوي الحالي ) وكان باسلاً شجاعاً مقداماً لا يهاب  
 الموت شديد الغضب سريعاً ولكنه كان سليم القلب حرّ الضمير ولذلك  
 كانت احكامه عادلة صارمة . وفي ١٠ اشوال سنة ١٢٢١ هـ ( ٢٠ سبتمبر  
 ايلول ) سنة ١٨١٦ م ) سار ابراهيم باشا بجملته من القاهرة في  
 النيل الى قنا ومنها في الصحراء الى القصير على شواطئ البحر الاحمر ومنها  
 بجزراً الى جنبو ثم الى المدينة وتربص هناك بجمع قوائمه يستعد الى هجوم  
 شديد امثالاً لمشورة ابيه . فالتفت حوله عصبة جديدة من القبائل المتحابة  
 ولما تكاملت قوائمه اقام الحرب سجّالاً وما زال بين هجوم ودفاع حتى فاز  
 وقبض على زعيم الوهايين عبدالله فارسله الى ابيه فوصل القاهرة في ١٨  
 محرّم سنة ١٢٢٤ هـ ( ١٧ نوفمبر ) سنة ١٨١٨ م ) فأذن له بالمثل  
 بين يدي الباشا وتقبل يديه فترحب به كثيراً لانه كان يعجب من جسارة  
 الوهايين ثم سأله ما ظنّه بابراهيم فاجابه قائلاً « انه قد قام بواجباته ونحن  
 قننا بواجباتنا وهكذا اراد الله » . وفي ٢٠ محرّم أرسل الى الاستانة فطاقوا  
 به في اسواقها ثلاثة ايام ثم قتلوه . وخلق جلالة السلطان على ابراهيم باشا  
 خلعة شرف مكافأة له وسماه والياً على مكة . فانصلت هذه الاخبار بدراية  
 فخاف اهلها فهدموا المدينة وفرّوا من وجه الموت فاحتلتها الجنود الظافرة .  
 اما محمد علي باشا فانه نال من انعام امير المؤمنين لقب خان مكافأة  
 لاخلاصه وبسالته وهو لقب لم ينجح لاحد من وزراء الدولة الا حاكم القرم  
 ولما انتهى هذا الرجل الخطير محارباته في بلاد العرب فكر في افتتاح  
 السودان على امل ان يصادف فيها الكنوز الثمينة من معادن الذهب  
 بحوار البحر الازرق ناهيك عما هنالك من المحصولات والواردات العجيبة  
 من الصمغ والريش والعاج والرقيق وغير ذلك . فوجد خمسة آلاف من

الجند النظامي وبعض العربان وثمانية مدافع وجعل الجميع تحت قيادة  
 اسماعيل باشا احد اولاده فسارت الحملة من القاهرة في شعبان سنة ١٢٢٥  
 (يونيو حزيران) سنة ١٨٢٠م في النيل فقطعت الشلال الاول فالثاني  
 فالثالث حتى السادس فانت شندي والمتمة وقد اخضعت كل ما مرّت  
 به من القرى والبلدان بدون مقاومة . ومن شندي سارت الى سنار على  
 البحر الازرق وراء الخرطوم . ولم يكن من القبائل التي يعتد بها هناك الا  
 الشائقة فقاوموا قليلاً ثم سلموا ودخلت سنار عاصمة كردوفان في املاك  
 مصر فسار اسماعيل باشا في جنوده الى فزقل وهناك ظن انه اكتشف  
 معادن الذهب . ثم فشا في رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم اتته نجدة  
 من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار فاشتد ازره  
 فاقام صهره هذا على كردوفان وسار في جيش الى المتمة على البر الغربي من  
 النيل ثم عبر الى شندي في البر الشرقي لحماية المال وجمع الرجال فاستدعى  
 اليه ملكها واسمه نمر وقال له « اريد منك ان تأتي الي قبل خمسة ايام بل  
 قاري هذا من الذهب والدين من العساكر » فجعل ذلك الملك يستعطف  
 اسماعيل باشا لينتازل عن ذلك القدر فقبل منه اخيراً عوضاً عن الذهب  
 مبلغ عشرين الف ريال من النضة فاجابه الى ما اراد ولكنه لم يكن يستطيع  
 جمعها في تلك المدة فطلب اليه تطويل الاجل فضربه اسماعيل بالشبق  
 ( الغليون ) على وجهه قائلاً « لا ان كنت لا تدفع المبلغ فوراً ليس لك  
 غير الخازوق جزاء » فسكت نمر وقد اضمر له الشرّ وصم على الانتقام فطيب  
 خاطره وودعه بانمام ما يريد وفي تلك الليلة جعل يرسل من التبن الجاف  
 اجمالاً الى معسكر اسماعيل باشا علفاً للجمال وانما جعله حول المعسكر  
 كانه يريد اشعالة . وفي المساء اتى الى اسماعيل في سرب من الاهالي  
 يخفون بالمزمار وبرقصون رقصة خاصة بهم فطرب اسماعيل وضباطه  
 لذلك ثم اخذ عدد المتفرجين من الوطنيين يتزايد شيئاً فشيئاً حتى اصبح

كل اهل المدينة هناك . فلما تكامل العدد امرهم ملكهم نمر بالهجوم فجهلوا  
بغنة على اسماعيل ورجالو ثم داروا بالنيران على التبن فاشتعلوا فمات  
اسماعيل باشا وكثيراً من كان معه بين قتل وحرق . وفي اليوم التالي  
اتوا على الباقيين وساقوا سليمهم الى المدينة

فاتصل الخبر باحمد بك الدفتردار فاشتعل غيظاً واقسم انه لا يقبل  
اقل من عشرين الف رأس انتقاماً لاسماعيل فترل بجيشه القليل وحارب  
الملك نمر ونغلب عليه ولم ينفك حتى انفذ قسمه فقتل ذلك العدد من الرجال  
متفتناً في طرق قتلهم على اساليب مختلفة فبدأت الاحوال بعد ذلك وهكنا  
تم افتتاح السودان . وما زال احمد بك على حكومة سنار وكردوفان الى  
سنة ١٢٤٠ هـ (سنة ١٨٢٤ م) ثم ابدل برستم بك

اما محمد علي باشا فعاد الى ما كان فيه من تدريب الجند على النظام  
الحديث وكانت قد مهدت له السبل فأسس مدرسة عسكرية في الخانكاه  
كانت تعلم فيها اللغات والحركات العسكرية وجعل سراية مراد بك في  
الجيذة مدرسة للفرسان واقام فيها اسانذة من الافرنج . وانشأ مدرسة للطبجية  
وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع ولاصطناع جميع حاجيات الجند  
تحت مناظرة عملة من الافرنج . والفضل في ادخال النظام الجديد في  
الجيش المصري لاحد رجال الفرنساويين اسمه الحقيقي «ساف» لكنه لم  
يدعن له الجند حتى اسلم ودعى نفسه سليمان باشا . ثم عكف محمد علي الى  
تنشيط الخارجية بجزاً فوجه انتباهه الى نغر الاسكندرية . وجعل فيه  
ترسخانة اتى اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا وفيه يسيما ثم اقام فيها مدرسة  
اتى اليها بالاسانذة الماهرين من فرنسا وانكلترا وبني حول الاسكندرية  
حصناً منيعاً قد هدم الآن القسم الاعظم منه توسيعاً لمساحة المدينة  
ثم حوّل انتباهه الى محصولات البلاد فرأى ارضها خصبة وقد علم  
من عاجها في الازمنة الخالية انها كثيرة التناج فجاء اليها بالنظن من

البذار ( التفاوي ) الاميركاني وجاء بنبات النيلة من جهات الهند وجاء  
 بمن يحسن زرعهم منهم ومثل ذلك فعل بالافيون فانه اتى به ومن يزرعه  
 من اسيا الصغرى . ثم اكثر من غرس الاشجار الكبيرة الى ما يشبه  
 الاحراش تلطيفاً لحرارة الهواء واستزادة للغيث . وغرس في جزيرة الروضة  
 بين القاهرة والاهرام حديقة فيها انواع الاشجار والرياحين اتى بها من  
 اقصاء العالم وغرس مغارس اللبون في شورا

ومن اعماله من هذا القبيل غرس حديقة الازبكية وقد كانت اثناء  
 الحملة الفرنسية بركة من الماء كبيرة تنصل اليها مياه النيل ايام الفيضان  
 وكان الناس يأتون اليها في المواسم والاعباد في قوارب عليها الانوار  
 المتعددة الالوان ومعهم آلات الطرب . فاحضر محمد علي حوفا ترعة  
 تنصرف اليها المياه فظهرت ارض البركة فجعل حول هذه الترعة صنفوا  
 من الاشجار تحيط ببقعة كلها غرس طيب . فلما كانت ولاية محمد  
 سعيد باشا اصحبت هذه الحديقة مجموع قهاوي ومحلات لمو على السق  
 الاوربي حتى اذا كانت ولاية اسماعيل باشا الخديوي السابق احبطت  
 بسور عليه شبك حديد بعد ان ردمت الترعة وجعل في وسط الحديقة  
 بركة ياتيها الماء بفتاة متصلة بترعة الاسماعيلية ولا يزال هذا شأنها الى اليوم  
 وبعد ان اكثر محصولات البلاد اخذ في تهيد سيل التجارة فنظر في  
 امر انشاء مينا امينة تاوى اليها السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا  
 دمياط لخشونة مرساهما فاختر الاسكندرية فاحضر الترعة الموصلة بينها  
 وبين النيل ودعاها المحمودية نسبة الى السلطان محمود الثاني . وكان  
 افتتاح تلك الترعة في ٤ ربيع ثاني سنة ١٢٢٥ هـ ( ٢٠ يناير ك ١ )  
 سنة ١٨٢٠ م ) وكانت كثيرة الاستعمال لقلب الضائع الواردة بحراً الى  
 الدلتا فاكسبت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى فتناظر اليها التجار من  
 اماكن مختلفة من اوربا وغيرها واقامت فيها بنايات الكبيرة على النمط

الافرنجي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء والمسافرين . واصبح مرفأ بولاقي . ثم عاد الى الصناعة فرأى ان ينشئ معامل لمعالجة الفطن والنبلة وغيرها من محصولات البلاد فانشأ معامل كثيرة في اماكن مختارة لم يتبع منها الا معمل الطرايش الحمراء التونسية لكثرة طلاب هذه البضاعة في الشرق عموماً اما حبوط باقي المعامل فلعدم وجود معادن النخ والحديد في القطر ثم جاء الى الاصلاحات الصحية وقد كانت البلاد في غاية الاحياج اليها لا تشار التدجيل والتنطيب بالكتابة والحجاجة وما شاكل . والنفل في ايجاد المدارس الطبية والمستشفيات في القطر المصري للدكتور كلوت ( ثم صار بعد ذلك كلوت بك واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة ) فانه ادى من الخدمات ما استوجب عليه ثناء محمد علي وحبه فقد ناست بمساعي هذا الدكتور مستشفيات عديدة في سائر القطر المصري وانشئت مدرسة طبية وصيدلية مع مستشفى في ابي زعبل وراء الخانكاه ومدرسة اخرى في فن القوايل في القاهرة . واجاز محمد علي باشا لسوربا ان ترسل من ابناهما عدداً معلوماً يتعلمون الطب مجاناً . ثم اهتم بالحالة العلمية فشكل مجلساً للمعارف العمومية وقصد به تعليم خدمة الحكومة الملكيين والجهاديين ما يؤهلهم للقيام بمهام اعمالهم . وفتح مدارس كثيرة لتعليم شبان القطر وكان يرسل بعضاً منهم الى اوربا لتنظيم دروسهم على مثال الارساليات العلمية في هذه الايام

وقسم القطر المصري الى اقاليم او مديريات جعل على كل منها مديراً وقسم المديرية الى اقسام على الواحد منها مأمور مع بعض القوة العسكرية او الشرطة لمساعدته في جمع الضرائب ( الفردة ) وكانوا يستخدمون الكرباج في تحصيلها . وما اناه من الاصلاح الداخلي تنظيم الضابطة فأمن الناس من غائلات السبل ولا سيما الاوربيون فانهم كانوا يقاسون اثناء تجولهم في القطر اهانات ومشاقاً شديدة اما بعد تنظيم الضابطة فاصبحت

السبل في مأمن ونسّلت الصلات التجارية وعلى الخصوص بين انكلترا  
والهند عن طريق البحر الاحمر فاستعاضوا بها عن طريق رأس الرجاء  
الصالح في امور كثيرة

ومن مشروعاته الخطيرة القطار الخيرية على رأس الذلنا وتنصل  
ذلك ان محمد علي باشا رأى ان النيل اذا وصل الى رأس الذلنا ينفصل  
الى فرعين هما فرع رشيد ودمياط او الفرع الغربي والفرع الشرقي فالغربي  
يصب عند رشيد وهو اكبرها ويمر في اراضٍ معظمها لا يصلح للزراعة  
فيذهب معظم مياهه هدراً والشرقي بالعكس فانه يخترق اراضٍ واسعة  
الارحاء حسنة التربة . فاذا كانت ايام التخاريق لا يعود هناك مياه  
كافية للري فارتأى ان يتخذ وسيلة بتيسر له بها الانتفاع بما يزيد من مياه  
الفرع الغربي باضافته الى الشرقي ورأى ايضاً ان النيل اذا كانت ايام  
فيضانه يذهب جانب عظيم من مائه هدراً فاذا كانت ايام التخاريق  
تحتاج الارض الى الري ولا سيما في الصعيد على ان ارض الصعيد لا ترتوي  
كلها الا اذا كان الفيضان اقيماً . فاقترح على ابناء قناطر على عرض  
الفرعين عند اول تكونها في رأس الذلنا وان يجعل هذه القناطر ابواباً  
من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء بحيث يمكن سد القناطر وفتحها متى  
اراد فاذا سد قناطر الفرع الواحد وفتح قناطر الآخر انصرفت المياه الى  
الفرع المفتوح . وبهذه الوسيلة يمكن صرف المياه الى حيث شاء واذا  
كان الفيضان غير واف نسد القناطر كلها فترتفع المياه في الصعيد ونسفي  
اراضيهم لا يصرف منها الا ما يلزم لري الوجه البحري . فاذا كانت ايام  
التخاريق تفتح القناطر فتفيض الماء والارض في احتياج اليها . فاقترح رأيه  
على مباشرة العمل فوضع الحجر الاول لتلك القناطر سنة ١٢٥١ هـ  
(سنة ١٨٤٥ م) ودعيت القناطر الخيرية او البراج وهي الآن تامة  
البناء . غير ان ذلك المشروع لم يأت بالفائدة المطلوبة تماماً لان الماء

في الصعيد لم يرتفع الى القدر المطلوب فضلاً عن ان البناء لم يكن متيناً  
كاللازم فاهتمت نظارة الاشغال مؤخراً في سد هذا الخلل . ومن آثاره  
ايضاً مطبعة بولاق الاميرية وقد زاد فيها من جاء بعده من الولاة وهي  
لا تزال الى الآن عامرة عاملة تزيد تحسناً كل يوم وتنفق عليها الحكومة  
المصرية الآن ٢٢٤٠٠ جنيهاً وهي تابعة لنظارة المالية

ولما تم محمد علي تلك الاصلاحات العمومية فكر في امر راحته  
الخصوصية فابتنى القصور والسرايات لاقامته في القاهرة والاسكندرية وشاد  
لثة بيتاً في القلعة لسكناه في فصل الشتاء . وانشأ جنائن في شورا بجوار  
القاهرة للترفيه وابتنى في الاسكندرية ابنة للمصيف

وقد باشر محمد علي باشا هذه الاصلاحات وانها والمشاكل السياسية  
نتيجة من كل ناحية وتخلل مشروعاته فكان لا يلبث ان يباشر عملاً حتى  
يحدث من القلاقل او المشاغل ما يستدعي اهتمامه فيهمم به حتى بصرفه  
فيعود الى مشروعاته كل ذلك مما يدلنا دلالة صريحة على عزيمة ونشاط  
هذا الرجل العظيم

وفي سنة ١٢٢٩ هـ او سنة ١٨٢٥ م ارسل محمد علي باشا بامر الباب  
العالي حملة مصرية تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورافسار  
وحارب وعاد ظافراً بعد ان بذل في سبيل ذلك عشرين مليون فرنك  
وثلاثين الف مقاتل . ثم ثارت حكاهم سوريا على الباب العالي وفي حملتهم  
عبدالله باشا حاكم عكا فجرد محمد علي باشا سنة ١٢٤٧ هـ ( سنة ١٨٢١ م )  
حملة في البر والبحر فارسل البيادة والطليعية عن طريق العريش براً وسار  
ابراهيم باشا في بطائه بجراً . اما حملة البر فاستولت على غزة ويافا بغير  
شديد مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار في جيشه الى عكا فوصلها  
في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هـ ( ٢٦ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٢١ م )  
فحاصرها براً وبحراً الى ٢٦ ذي القعدة منها ( ٢٧ مايو (ايار) سنة ١٨٢٢ م )

فهم عليها هجمة بهائية شنت عن نسلها . ثم سار قاصداً دمشق فاخضعها ولم تدافع إلا يسيراً وبارحها الى حمص حيث كانت تنتظره الجنود العثمانية تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فوصلها في ٩ ربيع اول سنة ١٢٤٨ هـ (٨ يوليو (تموز) سنة ١٨٢٢ م) فعسكر فجمع عليه محمد باشا وبعد الاخذ والرد استولى ابراهيم باشا على حمص فخافت سوريا سطوة هذا القائد العظيم فسلمت له حلب وغيرها من مدن سوريا . فتغير وجه المسألة باعنيار الباب العالي فبعث حسين باشا السرعسكر بجيش عثماني لايقاف ابراهيم باشا عند حده فجاء وعسكر في اسكندرونه فلاقاه ابراهيم باشا وحاربه واتصر عليه ولم يعد يلاقي بعد ذلك مقاومات تستحق الذكر . ثم تقدم في اسيا الصغرى تاركاً طورس وراءه . وكان الباب العالي قد ارسل رشيد باشا في جيش لملاقاته فوجد ابراهيم باشا جنداً كبيراً من البلاد التي افتتحتها وسار نحو الاستانة لملاقاة رشيد باشا فالتقى الجيشان في ديسمبر (ك ١) سنة ١٨٢٢ م في كونه جنوبي اسيا الصغرى فتنهقر رشيد باشا برجاله واخترق ابراهيم باشا اسيا الصغرى حتى يهدد الاستانة

فداخلت الدول وفي مقدمتهن الدولة الروسية فانذرت الى مصر البرنس موارافيف لمخاطبة محمد علي باشا بذلك وتهديده فبعث الى ابراهيم باشا ان يتوقف عن المسير . ثم عقدت بمساعي الدول معاهدة من مقتضاها ان تكون سوريا قسماً من مملكة مصر و ابراهيم باشا حاكماً عليها وجاياً لخراج ادنه وقد تم ذلك الوفاق في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٨ هـ (١٤ مايو (ايار) سنة ١٨٢٢ م) وهو المدعو وفاق كوتاهيا . فعاد ابراهيم باشا الى سوريا واهتم بتدبير احكامها وجعل مقامة في انطاكية وابنى فيها سراية وقشلاقات وولى اسمعيل بك على حلب واحمد منكلي باشا على ادنه وطرسوس اما الاجراءات العسكرية فلم يكن يسوغ لاحد

ان يتداخل فيها الآهو

وكان ابراهيم باشا سائراً بالاحكام بكل دراية وحكمة خشية سوء العنتى الآ انه مع ذلك لم يخج من ثورة ظهرت في نواحي السلط والكرك في اواخر سنة ١٢٤٩هـ (منتصف سنة ١٨٢٤م) وامتدت الى اورشليم وبعد الاخذ والرد اضطر ابراهيم الى المحاصرة في اورشليم لانها ذات اسوار منبعة ثم امتدت الثورة الى السامرة وجبال نابلس

وفي ١٦ يونيو «حزيران» منها هجم المسلمون على صفد وفيها جماهير من اليهود فهدموا منازلهم وقتلوا رجالهم وقتلوا بنسائهم واصبحت تلك المدينة في حوزتهم ثم اجرؤا مثل هذه التعديات على المسيحيين في الناصرة وبيت لحم واورشليم ولكنهم لم يتمكنوا مما تمكّنوا بصفد ويقال بالجملة ان سوريا صبحت بسبب ذلك شعلة ثوروية فانصل الخبر بمحمد علي باشا فبارح الاسكندرية الى يافا فتفرقت منه وجهاء البلاد وسرايتها ثم عمدت الجيوش المصرية الى قمع النافرين فتشنت العصاة الآ النابلسيون فانهم قاوموا طويلاً لكنهم اذعنوا اخيراً ثم هاجم المصريون السلط والكرك وهدموها وبعد قليل عادت الثورة الى جبال النصرية فاعترض اهلها فرقة من الجند كانت سائرة من اللاذقية الى حلب واعادوها الى حيث اتت . فارسل المصريون سبعة آلاف مقاتل اتحدوا بثمانية آلاف من الدرود والمارونيين تحت قيادة الامير خليل بن الامير بشير امير لبنان وسار الجميع الى النصرية واخضعوم ثم سعى ابراهيم باشا الى تجريد السوريين من السلاح خوفاً من عودهم الى الثورة ففعل لكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين . وكان الامير بشير وابراهيم باشا على وفاق تام وكانها خلفنا ليتحدا ولا يخفى ان ابراهيم باشا قد استفاد من ذلك الاتحاد وكذلك الامير بشير لانه كان آخذاً جانب المسيحيين لاعتناقه الديانة المسيحية حديثاً . وكان بود اتحادهم مع من يد سلطته ويساعده على اعدائه الدرود

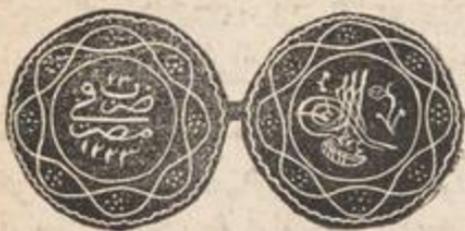
وبعد ان اتى ابراهيم باشا جمع سلاح السوريين بمساعدة الامير بشير  
 جاء الى بعلبك فوصلها في ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٢ هـ (٢ أكتوبر  
 ١٨٦٦ م) وفي تلك الليلة اعد رجاله للمهاجمة الشوف في  
 لبنان (مركز قوات الدروز) في ثلاث فرق وجاءت فرقة رابعة من  
 بيروت تحت قيادة سليمان باشا لمخاض بيت الدين فوصل الجميع في  
 وقت واحد . فانذهل الدروز لهذا المباغتة واضطروا الى التسليم . وثار  
 اهالي المتن ثم سلموا . وفي ٢٤ جمادى الآخرة او ٩ أكتوبر (١٨٦٦ م) اتى  
 ابراهيم تجريد الدروز من سلاحهم وارسل الامير بشير بعض الضابطة  
 الى بيوت المسيحيين وهم في الكيسة فدخلوها واخذوا ما وجدوا فيها من  
 الاسلحة وحملوا كل ما جمعوه منها الى عكا وكانوا يصطنعون منها فعلاً  
 لحيولهم . فاستتبت الراحة في سوريا واذعنت البلاد حتى اصبحت اطوع من  
 الظل . الا ان محمد علي باشا لم يقف عند هذا الحد فاحب استخدامها لتوسيع  
 دائرته حكمه فجعل يجمع منها الرجال والحيل بطرق زجرية فشق ذلك  
 على الباب العالي فعقد مجلساً في ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٥٢ هـ (٢٢ يناير  
 ١٨٦٦ م) للنظر في مقاصد المصريين فاقر المجلس على  
 تجريد حملة من ثمانين الف مقاتل منهم ٢٥ الفاً من الباشوزق طبقاً  
 لارادة جلالة السلطان محمود خان وان تكون تحت قيادة حافظ باشا  
 وان تسير لمحاربة المصريين

وكان محمد علي باشا قد سار الى السودان تاركاً القاهرة تحت عناية  
 حنيدِه عباس باشا فلما عاد اليها اول سنة ١٢٥٤ هـ علم باعدادات الباب  
 العالي فانذرع لها فكتب الى ابنه يستحثه فاخذ ابراهيم في الاستعداد للدفاع  
 فحشد جيوشه في حلب لدفع الجنود العثمانية القادمة برّاً . ثم علم ان معظم  
 الاهالي راغبون في دولتهم الاصلية ومستعدون للتسليم وعلى الخصوص  
 الدروز تحت قيادة شبلي العربيان احد ابطالهم المعدودين . فحصلت

مواقع شديدة بين الجيوش العثمانية والجيوش المصرية في ترتيب انتهت  
بانتهزام الاولى الى مرعش . واتفق في اثناء ذلك وفاة ساكن الجنان  
السلطان محمود خان في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٥٤ هـ او ٢٠ يونيو  
(حزيران) سنة ١٨٢٩ م قبل بلوغه خبر المواقع فتولى الخلافة السلطان

عبد المجيد

وترى في شكل ٨٩  
صورة نفود السلطان  
محمود الثاني مضروبة



في مصر وعليها من ش ٨٩ نفود السلطان محمود الثاني  
الاسفل تاريخ سنة ١٢٢٢ هـ وهي سنة توليته ومن الاعلى تاريخ ٢٢ اي  
السنة الثالثة والعشرين من حكمه فتكون هذه القطعة من المعاملة مضروبة  
سنة ١٢٤٦ هـ . وعليها من الوجه الآخر الطغراء باسم السلطان المشار اليه  
وكان السلطان محمود قد ارسل عمارة بحرية لمحاربة المصريين فجاءت  
الاسكندرية فاصابها ما اصاب الحملة البرية

ثم توالى الحوادث الى ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٢٥٥ هـ او ١٥ ايلول  
(تموز) سنة ١٨٤٠ م فانعقدت معاهدة لندن قاضية باعتبار محمد علي باشا  
من تابعي الدولة العثمانية . الا ان ذلك لم يكن ليوقفه عن مقاصده  
ولديه اذ ذاك نحو ١٤٦ الفاً من الجنود النظامية و ٢٢ الفاً من الباشوزق  
متها ١٢٠ تحت قيادة ابنه ابراهيم في سوريا والباقيون متفرقون في الحجاز  
وسنار وجزيرة كندي ومصر لكنه علم بعد ذلك ان هذه القوات قليلة في  
جانب ما يلزمه لانعام مشروعاته فجعل يضم اليها كل تلامذة المدارس حتى  
استخدم المرضى والجرحى . ثم عمد الى اثناء غفر وطني احتياطاً ولكنه  
لم ينجح به كل النجاح على انه مع ذلك لما عرضت عليه معاهدة لندن لم

بصادق عليها فعرض عليه ان يأخذ ولاية عكا ترضيه له وبضمها الى مصر  
وتسحب من سوريا فرفض ايضاً

وبعد ذلك يبسبر جاءت الجيوش الانكليزية الى صيدا وفرّ ابراهيم  
الى الجبل . وكان الكومودور ناير قد سار في عمارة بحرية انكليزية لمحاصرة  
بيروت وكانت تحت قيادة سليمان باشا وقد حصنها تحصيناً منيعاً ومعه فرقان  
من الجند وانما لسوء الحظ جاءت الانبياء ان ابراهيم قتل ونشنت رجالة  
فخاف سليمان ورأى ان لا بد له من تأكيد حقيقة ذلك الخبر حتى اذا  
تحقق موت ابراهيم يضم اليه ما بقي من الجيوش للمدافعة فبارح بيروت  
بعد ان جعل عليها صادق بك احد اميرالايات الفرقتين اما هذا فلما  
رأى نفسه منفرداً في بيروت خاف فترك المدينة وفرّ فاستولى عليها الانكليز  
ثم اتصل به من سليمان ان ابراهيم باشا لا يزال حياً وبأمره بالثبات  
امام العدو لئلا يحضر فخاف صادق بك الوقوع في شر اعماله فانضم الى  
الانكليز هو ورجاله . ثم سار ناير من بيروت الى عكا وحاصرها فتر  
اسماعيل بك ومن فيها من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار الى الاسكندرية بست سفن وعرض على محمد علي باشا الصلح  
فقبل وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان وعند ما ارادوا تثبيتها مانعت  
الدول في ذلك ونفيت الاشياء على حالها حتى دارت المخابرات بين  
الباب العالي ومحمد علي باشا فاراد جلالة السلطان مكافأة محمد علي  
فاعطاءه ان تكون ولاية مصر وراثية لسلوه بشرط ان يكون لجلالة  
السلطان الحق المطابق ان يختار من عائلة محمد علي من يريد لتوليها  
فتردد محمد علي في بادئ الرأي . ثم امر جيوشه ان تسحب من سوريا  
وكان عددها عند ذهابها اليها مائة وثلاثين ألفاً فلم يرجع منها الا خمسون  
الفاً وقد اخذ التعب منهم مأخذاً عظيماً فلم يربداً من قبول انعام  
جلالة السلطان . فبعث الى الباب العالي بذلك فارسل اليه خطاً شريفاً

بتاريخ ٢١ ذي الحجة سنة ١٢٥٦ هـ أو ١٢ فبراير «شباط» سنة ١٨٤١ م  
 بتعيينه على مصر مع حقوق الوراثة لاعقابه وان يكون لجلالة السلطان  
 ان يختار منهم من يريد لهذا المنصب وغير ذلك . ثم صدر فرمان آخر  
 بثبت ولاية علي نوبيا ودارفور وكردوفان وسنار فاصبحت حكومته بعد  
 ذينك الفرمانين محصورة في مصر والسودان . وبمقتضى الخط الشريف  
 تنازل محمد علي باشا عن عشرة آلاف من جنود سور يا فلم يبق عنده  
 الا ثمانية عشر الفا بين مشاة وفرسان وغيرهم فاضطر اذ ذلك الى  
 الاقتصاد لاصلاح مالية البلاد فاوقف كثيرا من المدارس العمومية التي  
 كان قد خصص مبالغ معلومة للنفقة عليها ومن ضمنها مدرسة شوبرا  
 الزراعية وابدل الاساتذة الاورباويين لما بقي من المدارس باساتذة  
 اترك او وطنيين وسار من ذلك الحين في خطة الاصلاح قانعا بما قسم  
 له من البلدان فعمل على ارضاء جلالته السلطان فانفذ الى جلالته ابنة  
 سعيد باشا لتقديم واجب العبودية

فعدت العلاقات الودية واستنبت الراحة وقد انق محمد علي من  
 الحروب وانعكف الى استرجاع ثروة البلاد ورغدها فاهتم بالزراعة على  
 نوع خاص ولما رأى ان الفلاح لا يستطيع من نسيه امرا كافلا اخراجه  
 ما هو فيه من الضيق ورأى انه لم يعد من حاجة لبقاء ضباط الجهادية  
 منقطعين الى وظائفهم العسكرية مع بقاء روايتهم جارية عليهم في حالة  
 السلم وان ليس من التدبير والحكمة ان يتناولوا معيبتهم وهم عطل من  
 الاعمال ورأى من الجهة الثانية ان الفلاح يحتاج الى مرشد يهديه الى  
 الطرق اللازمة لاستقامة امره ووازع يدفعه الى النهوض بواجباته وعلم  
 ايضا ان المرء مما كان صادقا في خدمة الحكومة يشتغل لنفسه اكثر مما  
 يشتغل لغيره ارناى ان يعهد بامر البلاد الى اولئك الامراء مفوضا لم  
 تعبيرها واصلاحها بانفسهم ففعل ولم يجرم الفلاح مع ذلك من ثمة اتعابه

بل جعل لهذه الطريقة التي اعتمدها اصولاً وقوانين نقضي بان لا تعطى الاطيان للمتعمد ما دامت رائجة ومقتدرة على اداء ما عليها من الاموال في اوقاتها . اما الاطيان غير الرائجة فتحال الى عهده باختيار اربابها وهو يتعمد باداء المال المطلوب للحكومة وبهذه الوساطة نشطت الزراعة وتحسنت تحسناً عظيماً وما زالت الاراضي المصرية في يد المتعبدن الى ايام المغنورلة عباس باشا وهو الذي استردها من المتعبدن واعادها الى اربابها . وفي جمادى الآخرة سنة ١٢٥٧ هـ او سبتمبر « ايلول » سنة ١٨٤٢ م انعم جلالة السلطان على محمد علي باشا بترقية صدر اعظم مكافأة لمثل هذه الاجراءات النافعة

واصبحت مصر هذه السنة بضربات وبائية في مواشيتها وفي السنة التالية سطا عليها الجراد فاهلك مزروعاتها فتضايقت البلاد حتى كثرت مهاجرة الناس سنة ١٢٥٩ هـ او ١٨٤٤ م لتعذر دفع الرسوم المطلوبة منهم والحاج الحكومة في طلبها بكل واسطة وكانوا اذا خلت قرية من اهلها اضافوا رسومها على القرية التي يجانبها فكثرت اللغظ في البلاد . كل ذلك من سوء تصرف العمال ومحمد علي باشا غير عالم بشي لانهم لم يكونوا يطلعونه على حقيقته الامر خوفاً من تاثير الغضب عليه لانه كان قد طعن في السن وملّ معاطاة الاحكام . فرأى ابنه ابراهيم باشا ان اخناء تلك الاحوال عن ابيو ربما يؤول الى خراب البلاد فاخذ على نفسه القيام بتبليغ ذلك اليه فكأف شقيقته في ٢٥ يونيو ان تبلغ اباها بطريقة غير رسمية ما وصلت اليه البلاد من العسر وما نتج عن ذلك من التشكيات والنظلمات المتواترة . فاشتغل محمد علي غيظاً وحمل هذا البلاغ على مكينة اعدوها له فبارح سرايته في الاسكندرية وسارتوا الى قرية صهره محرم بك بجانب الترعة المحمودية وجعل يغلظ في القول على مسمع من كان حاضراً هناك مصرحاً انه يحاط بقوم خائنين ولذلك فهو مستعد للتخلي عن الحكومة

والذهاب الى مكة . فحاول ابنه ابراهيم باشا وسعيد باشا مخاطبته واستعطافه فلم يصغ فحجاء سامي باشا وكان من اعز اصدقائه وخاطبه فلم يقتنع الا بما سبق اليه فهمة وان ذلك لم يحصل الا عن بد خائفة تدس السم في الدم فاستنقح المحضور من تلك الاعمال انه اُصيب بتغير في عقله . ثم ترك محمد علي القرية وسار في بعض حاشيته وطيبه قاصداً الناهرة فمحدث الناس في الاسكندرية وعرضوا على ابنه ابراهيم باشا ان يتولى مكانه فاجاب انه لا يقبل ذلك طالما كان ابوه حياً

ولما جاء محمد علي الناهرة كان قد عاد الى روعه ووطن لنفسه فجمع اليه رجال ماليته ووجههم لاخنائهم نظلمات الاهالي عنه ثم تداخل ابراهيم باشا في الامر وصرف المشكل . وكان على ديوان المالية شريف باشا حاكم سوريا سابقاً وعلى ديوان المدارس ادم بك

وفي صيف سنة ١٨٤٥ م (١٢٦٠ هـ) اصيب ابراهيم باشا بانحراف في صحفه فسار الى اوربا ترويحاً للنفس فاصاب ترحاباً عظيماً في سائر الممالك الاوربية ولا سيما فرنسا وانكلترا وعاد الى مصر في اواخر صيف سنة ١٨٤٦ م (١٢٦١ هـ) وكان والده قد توجه قبل وصوله بيسير الى الاستانة بدعوة رسمية ليقدم عبوديته لجلالة السلطان فوصلها في ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٨٤٦ م (١٢٦٢ هـ) ونزل في سراي رضا باشا ثم تشرف بالمشول بين يدي امير المؤمنين فترحب به ولما اراد تقبيل الاعتاب الشاهانية امسكه واجلسه بجانبه ومكث معه ساعة يتحادثان ثم انصرف شاكرًا وزار عدوة القديم خسرو باشا ونصافيا . وفي ١٧ اوجسطس من تلك السنة بارح الاستانة قاصداً قواله مسقط رأسه فاقام فيها عدة اينة لتعليم الفقراء واعانة الضعفاء والمساكين ثم بارحها الى الاسكندرية فتوبل بالانوار وسار منها الى القاهرة فتقاطر اليه المهنون من الاصدقاء افواجا فكان يستقبلهم وعلى صدره الطغراء الشاهانية تئلاً كالشمس

## ولاية ابراهيم باشا بن محمد علي

وفي منتصف سنة ١٢٦٤هـ (سنة ١٨٤٨ م) توعدك مزاج محمد علي باشا وازدادت فيه ظواهر الخرف فلم يعد ثم بد من تولية ابراهيم باشا فتوجه هذا الى الاستانة في اوغسطس من تلك السنة لاجل تثبيت علي ولاية مصر خلفاً لايوه فثبته السلطان بنفسه فعاد لمعاطة الاحكام وكان مهيباً اكثر مما كان محبوباً بخلاف والده الذي كان مهيباً ومحبوباً معاً ثم راجعه العباء واشتد عليه بغتة ففارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر « ٢ » سنة ١٨٤٨ م وبعد وفاته باحدى عشر ساعة دفن في مدفن العائلة

الخدوية بجوار الامام الشافعي جنوبي القاهرة

وكان عباس باشا غائباً في مكة فاستقدم حالاً لاستلام زمام الاحكام فوصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر بعد ان قضى فروض الحج وبمائه اكبر ابناء العائلة لم يكن ثم اعتراض على توليته فاجاء الفرمان الشاهاني من الاستانة مؤذناً بذلك فتولى الامور

كل ذلك ومحمد علي باشا في الاسكندرية وقد اخذ منه العباء مأخذاً عظيماً وما زال يهزل جسداً وعقلاً حتى ٢ اوغسطس « آب » سنة ١٨٤٩ م فتوفي ولم يستغرب الناس ذلك لانه مكث في حالة النزاع مدة طويلة . وفي ٢ منه تقاطر الناس من الاعيان والفتاوى الى سراي راس التين في الاسكندرية لحضور مشهد ذلك الرجل العظيم فاذا به في قاعة الاستقبال موضوعاً في محمل تغطيه شيلان الكشمير وعلى صدره سيفه والقرآن الكريم وعلى رأسه طربوشه الجهادي احمر تونسي وحوله ٢٢ من العلماء في الملابس الرسمية يتلون القرآن بانغام محزنة . وكان سعيد باشا اكبر من وجد في الاسكندرية من عائلة النقيب فكانت توجه نحوه خطابات التعزية .

ثم نقله سعيد باشا الى القاهرة ودفنه في جامعوه في القلعة ولم يكن الجامع نام البناء بعد ولا يزال هناك الى هذه الغاية

« صفات محمد علي باشا الشخصية في آخر أيامه »

كان محمد علي متوسط القامة عالي الجبهة اصلعها بارز النفوس الحاجبي اسود العينين غابرها صغير النم باسمه كبير الانف متناسب الملامح مع هيبه ووداعة . ايض اللحية كثيفها مع استدارة وسعة جميل اليدين منتصب القامة جميل الهيئة ثابت الخطوات منتظمها سريع الحركة . اذا مشى يجعل يديه متصلبتين وراء ظهره غالباً وعلى الخصوص اذا مشى في داره متفكراً في امر « وكذلك كان يفعل بونا برت » . وقلماً كان يتفاخر باللباس فكان لباسه غالباً على زي المالك وعلى رأسه الطربوش الجهادي ثم ابدله بالعمامة فزادته هيبه وقاراً وابدل اللباس العسكري بلباس واسع بسيط لا يمتاز به عن بعض اتباعه

وكان يكره التفاخر بالحاشية فلم يكن على بايه الا رجل واحد بخفزه . واذا استوى في مجلسه لا يتقلد السلاح انما يجلس وفي يده حفة العاطوس والمسبحة يتلاهي بها وكان يحب العاب البليارد والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط واما جلساؤه العادبون فالقناصل وكبار السواح وكانوا يحبون ويحترمون جداً ويلقبونه احياناً بميد المالك او مصطفي الديار المصرية . وكان سليم القلب سريع التأثر لا يعرف الكظم فكثيراً ما كان ينقاد بدسائس المنسدين وكان كرم النفس سخى العطاء . وفي بعض الاحوال مسرفاً . وكان يتفاخر بعصاميته وبرناح لنتكلم عن سابق حياته . وكان محباً للاطلاع ولا سيما على الاخبار السياسية وكان يعتبر الجرائد وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية فكانوا يترجمونها له فيطالعها بنعم انما هو اجسه السياسية فكانت تلتق راحته فلا ينام الا يسيراً وقلماً برناح في نومه ولا يبتك متقلباً من جانب الى آخر فكان يجعل عند فراشه

اثنين من خدمته يتناولان اليقظة لتغطيته اذا انكشف عنه الغطاء من القلب . ويقال ان من جملة دواعي ارقه الشهفة المرتجفة التي كانت تتردد اليه كثيراً وكان قد اصيب بها في حملته على الوهابيين على اثر رعب شديد . على ان ذلك الأرق لم يكن ليضعف شيئاً من سرعة حركته فكان يستيقظ نحو الساعة الرابعة من الصباح ويقضي بهارة في المشاغل المختلفة بين مناوضة مع ذوي شوره او مراقبة استعراضات العساكر واستطلاع امور اخرى تتعلق بصالح الامة . وكان بارعاً في الحساب بغير تعلم لانه شرع بتعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والاربعين من عمره ويقال انه ابتدا بتعلم احرف الشجاء على احد خدمة حريمه والكتابة على احد المشايخ وهذا مما يزيد شرفاً وفخراً ويبرهن على ما فطر عليه من قوة الادراك والحذاقة والمقدرة على المهام السياسية . وكان صارم المعاملة مع لين ورقة وحسن الاسلوب . وكان متمسكاً بالاسلام مع احترام التعاليم الاخرى ولا سيما التعاليم المسيحية فكان يقرب اصحابها منه ويعهد اليهم اتم اعماله ويقال بالاجمال انه كان لرعيته ابا حنوناً وصديقاً مخلصاً ولذوي قرابة نصيراً مسعناً ولاولاده ابا حقيقياً ولذلك تراه بعد ان اصيب بفقد اكثرهم غلب عليه الحزن حتى اثر في صحته تاثيراً رافقه الى المهد . اما حبة للرعية فلا يحتاج الى دليل فهذه الديار المصرية عموماً اذا قصرت السنة اهلها عن تعداد فضائله ينطق جمادها بمزيد فضله هذه الترع والجسور والبنائات والشوارع والجنان هذه المطابع والمدارس هذه المنظمات الجهادية والملكية والقضائية هذه الزراعة والفلحة هذه شبه جزيرة العرب تردد ما لاقتنه من نجدته . وقد كان معتبراً ليس فقط من رعيته او ذويه بل من الاجانب البعيدين منه وطناً وديناً ومشرقياً وكثيراً ما تقربوا اليه بالنياشين والهدايا اقراراً بفضلوه على العالم عموماً بتمهيد سبل التجارة بين اوربا والهند على الخصوص

## ولاية عباس باشا

من سنة ١٢٦٥ - ١٢٧٠ هـ أو من ١٨٤٨ - ١٨٥٤ م

هو عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٢٨ هـ  
أو ١٨١٢ م وربي احسن تربية وكان محباً لركوب الخيل فرافق عمه  
ابراهيم باشا في حملته الى الديار الشاميه وشهد اكثر المواقع . وفي ربيع  
آخر سنة ١٢٦٥ او ديسمبر « ك ١ » سنة ١٨٤٨ م تولى زمام الاحكام على  
الديار المصرية واتبع خطوات سابقية وكان على جانب من العلم والمعرفة  
لان المرحوم جده كان يحبه كثيراً فاعنى بتعليمه في مدرسة الخانكاه

ومن مشروعاته المهمة الشروع في انشاء الخط الحديدي بين مصر  
والاسكندرية وتأسيس المدارس الحربية في العباسية ومد الخطوط التلغرافية  
لتسهيل سبل التجارة وغير ذلك

وكان له غلام يدعى البرنس ابراهيم الهامي وكان على جانب عظيم  
من الجمال والذكاء والالطف والمعرفة والعلم زار الاستانة سنة ١٢٧٠ هـ  
ونشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد المجيد فاحبه وزوجه بابتوه وغمره  
بنعمه فرجع الى مصر شاكرًا حامدًا والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات

العفاف والعصمة حرم سمو الخديوي الحالي توفيق الاول

وعباس باشا هو الذي وضع الحجر الاول لمسجد السيدة زينب بيده  
وقد كان لذلك احتفال عظيم حضره كثير من الاعيان ورجال الدولة  
وذبحت فيه الذبايح وفرقت الصدقات على الفقراء كميات كبيرة

وفي ايامه كانت بين الدولة العلية والروسين حروب فبعث لنجدة  
الدولة حملة كبيرة سارت عن طريق بولاق في البحر وسار هو بنفسه  
لوداعها هناك وقبل ركوبها النيل نهض لوداعها فالتقى في الجمهور خطاباً

بإيغاً منشطاً

وتوفي عباس باشا في شوال سنة ١٢٧٠ أو يوليو «تموز» سنة ١٨٥٤م في سرايته في مدينة بنها العسل ثم نقل ودفن في مدفن العائلة الخديوية في القاهرة

## ولاية سعيد باشا

من سنة ١٢٧٠ - ١٢٧٩ هـ أو من ١٨٥٤ - ١٨٦٤ م

هو ابن ساكن الجبان محمد علي باشا ولد في اسكندرية سنة ١٢٢٧ هـ «١٨٢٢ م» وكان محباً للعلم بارعاً فيه وعلى الخصوص في اللغات الشرقية والعلوم الرياضية وسلك الأبحر والرسم وكان يتكلم الفرنسية جيداً . تولى زمام الأحكام سنة ١٢٧٠ هـ أو ١٨٥٤ م بعد وفاة عباس باشا ابن أخيه وكان محباً للعدل والفضيلة مهتماً بالإصلاح الإداري . ومن أعماله المبرورة إتمام المخطوط الخديوية والتلغرافية بين اسكندرية ومصر والشروع في مد غيرها وتنظيم لوائح الأطباء واسترجاعها من المتعديين إلى أربابها . وقد عدل الضرائب فجعلها عادلة ورفع كثيراً من الضرائب التي كان يتظلم منها الرعايا ونزح ترعة اليهودية وفي أيامه تمت معاهدة ترعة السويس وقد نشطها تشبهاً كبيراً وأقام على طرفها الشمالي مدينة حديثة دُعيت باسمه وهي بورت سعيد وغرس الأشجار في طريق المنشية وفي السنة الثانية من توليه على مصر وضع الحجر الأول لاساس القلعة السعيدية عند راس الدلتا فيما بين القناطر الخيرية تداعت أركانها الآن وقد عثرت على قطعة فضية مستديرة قطرها قيراطان ونصف على أحد وجهيها رسم النيل عند ترعه والقناطر الخيرية يلبها على الجانبين برج القناطر وبينهما عند راس الدلتا القلعة السعيدية وكل ذلك في أجمل ما

يكون من الرسم وعلى الوجه الآخر كتابة تركية تنيد ان المغنور له محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا المشهور قد وضع اساس القاعة السعيدية وما يليها من الاستحكامات بين في يوم الاحد ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧١ هـ لاجل حماية الديار المصرية . هناك نص ما هو مكتوب هناك بالحرف الواحد بلغة الاصلية

«قوله لي مشهور محمد علي صليدن بيك ايكيوز اونوز بدي سنة هجرية سنه اسكندرية ده دنيا به كلوب بتمش سنة سي شوال المكرمته خطه جسمه مصره حكيم جاري اولان محمد سعيد محافظه ام دنيا انجون اشوا استحكامات قويه به بيك ايكيوز بتمش بر سنة سي جمادى الثانيك بكرمي او حنجي دوشنه كوفي ومولودينك اونوز دردنخي سنة سي كندي بدله وضع اساس اتمشدر»

وفي ايامه ثارت مديرية النجوم على الحكومة فبعث اليها واتخذ الثورة فهذات الاحوال . ولما اخنتن نجلة طوسون بك اطلق كل من كان في السجون من المجرمين حتى القائلين . وقد زار محمد سعيد باشا المجرمين وادى فروض المحج ولذلك بقبونه بالحاج محمد سعيد باشا . وفي ايامه اعطيت بلاد السودان بعض الامتيازات وتولى عليها البرنس حلیم باشا حكمداراً . وفي سنة ١٢٧٦ هـ او ١٨٥٩ م توجه لزيارة سوريا فمكث في بيروت مدة ثلاثة ايام ونزل ضيفاً كريماً على وجهاء المدينة وكان اثناء مروره في الطرقات ينثر الذهب على الناس

وفي سنة ١٢٧٨ هـ او ١٨٦١ م توفي المغنور له السلطان عبد المجيد وتولى الخلافة بعده السلطان عبد العزيز . وفي يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ او ١٧ بنابر (٢٦) ١٨٦٢ م توفي سعيد باشا في الاسكندرية ثم قتل الى ~~الاسكندرية~~ في مصر ودفن في جامع النبي زانبال

## ولاية اسماعيل باشا خديوي مصر الاول

من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ او من ١٨٦٢ - ١٨٧٩ م

هو ثاني ابناء المرحوم ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٤٦ هـ او ١٨٢٠ م وتربى احسن تربية وتنفقت قواه العاقلة بالعلم والمعرفة فانقن فن الهندسة وبرع على الخصوص في التخطيط والرسم ثم جال في اوربا واخبر احوالها وعوائدها . وفي ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ او ١٨ يناير (ك ٢) ١٨٦٢ م تولى زمام الاحكام في الديار المصرية بعد وفاة عمه سعيد وفي سنة توليته شرف هذه الديار بمجلول اعنائه الشريفة جلالة المغفورلة السلطان عبد العزيز خان فلاقى ترحاباً لم يسبق له مثيل . وكان اسماعيل باشا كثير الميل الى تحسين المدن الى ما يقربها من زبي مدن اوربا فشرع في ذلك وكان شديد الرغبة فيه الى ما يفوق التصديق فتسهلت سبل التجارة في ابامه ونقاطر الى الديار المصرية الاجانب افواجاً افواجاً . وفي سنة ١٢٨٢ هـ او ١٨٦٦ م نال من الباب العالمي خطاً شريفاً مؤذناً بالارث الصريح في عائلته وسيأتي شرح ذلك وفي السنة التالية نال من انعام جلالة السلطان لقب خديوي وهو اول من نال هذا اللقب الذي هو ارفع رتب وزراء الدولة

وفي ١٤ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ او ١٩ نوفمبر (ت ٢) ١٨٦٩ م كان الاحتفال بافتتاح ترعة السويس وبالنظر لعظم اهمية هذا العمل وفائدته لعالم التجارة في سائر العالم رأيت ان افرد فصلاً مخصوصاً اشرح فيه تاريخ الوسائل التي اتخذت منذ القدم لايصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر فاقول



ش ٩٠ اسماعيل باشا الخديوي السابق

## فصل

في ملخص تاريخ الوسائل التي اتخذت لايصال  
البحر المتوسط بالبحر الاحمر

ما برح ملوك مصر من عهد الفراعنة يسعون الى ايجاد مثل هذا  
الاتصال وقد اتخذوا لذلك سبلاً عديدة تعود الى ثلاثة

(١) بواسطة النيل وفروعه

(٢) » النيل والصحراء

(٣) » ترعة مالحنة

وقبل شرح كل من هذه الوسائل نأتي على شيء من جغرافية مصر  
انفدومة نعني بها المخارطة التي رسمت في عهد اليونان وهي تمتاز عن المخارطات  
الحديثة على الخصوص بتعداد فروع النيل ومواقعها وامتداد البحر الاحمر  
ومجبرات اخرى (انظر خارطة مصر في ايام الفراعنة)

فالنيل الآن بعد ان ينقسم بالقرب من القاهرة الى فرعيه الكبيرين  
يسيران شمالاً فيمر الشرقي منها بينها فيمت غمر فسمنود فالمنصورة وينتهي  
الى البحر المتوسط بالقرب من دمياط . والغربي يمر ببنوف فكفر الزيات  
فدسوق الى ان يصب في ذلك البحر بالقرب من رشيد . وهذان الفرعان  
هما الفرعان الوحيدان للنيل الآن وقلما يتفرع منها غير الترعة الاصطناعية .  
اما في الازمنة الخالية فكانت لها فروع اخرى كبيرة اكبرها متفرع من  
الفرع الشرقي . وكيفية ذلك ان هذا الفرع بعد ان يصل الى قرب بنها  
يسير منه فرع غربي ينقسم الى عدة فروع تنهي الى البحر المتوسط بثلاثة

نصب عند مجري المتزلة والبرلس . وكيفية ذلك انه اذا تجاوز اتريب ( اتريس ) قليلاً تنزع منه فرع كبير شرقي يقال له فرع بلوسيوم يسير الى الشمال الشرقي فيمر ببوباستس ( تل بسطة ) فالصاحبة دفنته الى ان يصب في البحر المتوسط بالقرب من بلوسيوم ( طينة ) شمالي الفرما ويتفرع ما بقي الى فرعين او اكثر قد اغفلنا ذكرها لاستغنائنا عنها فيما نحن في صدده . اما بحر القلزم او البحر الاحمر فكان متصلاً بالبحيرة المرة الكبرى بمضيق صالح لسير السفن وكانت هذه البحيرة خليجاً يدعى خليج هيروبوليس نسبة الى مدينة كانت قائمة على مسافة قصيرة من رأسه بالقرب من فيثوم ( تل المسخوطة ) . واذ قد تمهد ذلك نقول

( ١ ) « الاتصال بواسطة النيل وفروعه »

قد مرّ بك في الكلام عن العائلة التاسعة عشرة الملكية في فذلركة تاريخ مصر القديم من هذا الكتاب ان الملك سبتي الاول هو اول من سعى الى ابصال النيل بالبحيرة المرة الكبرى ويظن ارستوتل وسترابون وبلينيوس ان سيزوستريس ( رعمسيس الثاني او الاكبر ) هو اول من فعل ذلك في الجيل الرابع عشر قبل الميلاد وربما كان ظنهم هذا مبنياً على ان هذا الملك هو الذي اسس مدينة فيثوم المنقذ ذكرها فرحموا انه احفر اليها ترعة من النيل لربها وهذه الترعة توصل بين النيل وخليج هيروبوليس فيتم الاتصال المطلوب . اما المعول عليه بالاسناد الى المصادر التاريخية الوثيقة ان اول من اخرج ذلك الى عالم الفعل انما هو الملك نخاو الثاني من العائلة السادسة والعشرين ( سنة ٦١٠ ق م ) فاحفر ترعة تنشأ من فرع بلوسيوم عند بوباستس بالقرب من الزقازيق وتسير فيما يدعى الآن وادي القتال حتى هيروبوليس ويقال ان امتداد هذه الترعة كان ٦٢ ميلاً من الاميال الرومانية ( نحو ٥٧ ميلاً انكليزياً )

فلما استولى الفرس على مصر اتهمها الملك دار بوس ( دارا ) بن هستاسبس

سنة ٥٢٠ ق م وكان المضيق بين هيروبوليس والبحر الاحمر قد كاد  
 يتلى من الرواسب فامر بحرفه وتوسيعه وكان طوله نحو عشرة اميال ولا  
 تزال آثاره باقية الى هذا العهد بالقرب من شالوف عند الطرف الجنوبي  
 للبحيرة الكبرى وترعة الاسماعيليه وبشاهد هناك بعض الآثار الفارسية  
 الدالة على صحة ذلك . وكان المعروف اذ ذاك ان البحر الاحمر اعلى من  
 النيل فلم يجسر نجاو ولا داربوس على ابصال ترعتها هذه الى الخليج تماماً  
 خشية ان يختلط المآان او يطوف المالح على العذب . فتمت المواصلة اذ  
 ذاك على هذه الصورة . تسير السفن من البحر المتوسط في فرع بلوسيوم  
 الى بوباستس ومنها في تلك الترعَة الى هيروبوليس ومن هنه كانوا ينقلون  
 المحمولات الى مراكب البحر الاحمر على الدواب او غيرها فكانوا يقاسون  
 في ذلك بعض المشقة . فلما تولى بطليموس فيلادلتوس وجه اهتمامه الى  
 اصلاح ذلك الخلل سنة ٢٨٥ ق م فاحفر ترعة موصلة بين هيروبوليس  
 وراس البحر الاحمر وترعة اخرى من هيروبوليس الى خليج هيروبوليس  
 ووسع المضيق فاصبح هناك ترعتان وكلاهما متصلتان بالبحر الاحمر واتخذ  
 حواجز واحنياطات اخرى لمنع طفو المياه المالحه على العذبة بحيث يمكن  
 للسفن ان تمر الى الخليج والى البحر الاحمر مع توقي الطغيان . وابتنى عند  
 مصب الخليج في البحر الاحمر مدينة دعاها ارسينوا جعلها محطة بحرية تنهي  
 اليها المراكب القادمة عن طريق النيل وتقلع منها السائفة في البحر  
 الاحمر وبالعكس

ثم اخذ ماء النيل يتحول عن فرع بلوسيوم شيئاً فشيئاً حتى نفض ماءه  
 فبطلت تلك الترعَة . حتى اذا كان الاسلام وفتحت مصر على يد عمرو  
 بن العاص كما مر بك امره الخليفة بانشاء ترعة يسهل نقل المؤن عليها  
 الى انجاز فاحفر ترعة دعاها خليج امير المؤمنين فابتدأ بها عند مصر  
 القديمة حيث يتندى خليج مصر اليوم فسار بها في ظاهر النسطاط حتى

القاهرة اليوم ومنها الى المطرية ومنها الى بوباستس حيث تبتدئ الترعنة القديمة ومن بوباستس الى البحر الاحمر . وما زالت تسير السفن في خليج امير المؤمنين من النسطاط واليهامدة ١٢٤ سنة حتى ايام الخليفة المنصور ابي جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ومؤسس مدينة بغداد فامر بردمه منعاً لامداد العلويين الذين ثاروا في المدينة وما زال مردوماً الى الآن ويقال ان الملك الحاكم بامر الله الفاطمي امر بحفره سنة ١٠٠٠ للميلاد لتسير فيه السفن الصغيرة ثم اهل قطرنة الرمال . ولم يبق من اثاره الاّ الخليج الذي يقطع القاهرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي وهو المعروف بخليج مصر . ينشأ من قم الخليج عند مصر القديمة ويسير نحو الشمال الشرقي وقبل ان يبلغ نظارة المالية ينعطف نحو الشرق الجنوبي حتى جامع السيدة زينب فيعود الى سيره نحو الشمال الشرقي فيمر بجانب بركة النيل ثم سراي درب الجمائز فتكبة الحبابية ثم يقطع شارع محمد علي فيمر بجانب سراي منصور باشا الى ان يقطع السكة الجديدة قرب اتصالها بشارع الموسكي فيمر تاركاً كنيسة اللاتينيين وكنيسة السريان الى يساره وكنيسة الارمن وكنيسة القبط الى يمينه الى ان يصل الى بداية سكة مرجوش فيتركها الى يمينه ثم يقطع سور القاهرة عند باب الشعرية ويسير خارج القاهرة الى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر الى يمينه حتى يلتقي بترعة الاسماعيلية وهناك ينتهي . اما فائدة هذا الخليج الآن فنصورة على ري المدينة وبعض ضواحيها وهو الخليج الذي يحتفلون بفتح سنوياً عند وفاء النيل بين الخامس والسادس عشر من اوغسطس ( آب )

( ٢ ) « الاتصال بواسطة النيل والصحراء »

اوجد هذا الاتصال مريع احد ملوك العائلة السادسة ثم اتت جنو في ايام العائلة الحادية عشرة كما مرّ بك غير ان بعض المتأخرين يزعم ان بطليموس فيلادلتوس المتقدم ذكره هو الذي اوجد هذا الاتصال ولعلّ

الصواب انه اعاده بعد اهما الى

والانصال المذكور يتم بطريق في الصحراء بين برنيس على البحر الاحمر وقنط على النيل بقرب قوص بمصر العليا فكانت المنقولات تحمل على المجال او ما شاكل من برنيس الى قنط ومن هناك تنقل على مراكب نبيلة الى البحر المتوسط عن طريق دمياط اورشيد وما زالت هذه الطريق عظيمة الاهمية حتى اكتشف راس الرجاء الصالح جنوبي افريقيا سنة ١٤٦٧ م فاتخطت اهميتها . ولما فتح خليج السويس كادت تهمل كلية لكننا نرى انها لا تزال تستعمل في بعض الاحوال وقد اصبح الانصال الآن بين القصير على البحر الاحمر وقنا على النيل عوضاً من برنيس وقنط وقد يكون الى قنط ولا تستعمل الا اذا كان المقصود المواصلة بين البحر الاحمر ومصر العليا رأساً

(٢) « الانصال بواسطة ترعة مالحمة (ترعة السويس)

كانت التجارة بين اوربا والمشرق في الاجيال الاخيرة محصورة على نوع ما في فينيسيا (البندقية) وكان النينيسيون ابرع الناس فيها واكثرهم اشتغالا بالاسفار بين البحرين عن طريق مصر فلما اكتشف راس الرجاء الصالح تحولت تلك التجارة الى يد البرتغاليين فشق ذلك على النينيسيين فاهتموا في امر انشاء ترعة توصل بين البحرين فخابروا سلطان مصر اذ ذاك (قنسو الغوري) وما زالت المخابرات بهذا الشأن دائمة حتى الفتح العثماني سنة ١٥١٧ م فبطلت واهمل المشروع . فلما كانت الحملة الفرنسية اهتم نابوليون بوناپرت بذلك الانصال بواسطة برزخ السويس فاستكشف البرزخ ومعه المهندس الشهير موسيولاير سنة ١٢١٢ هـ او ١٧٩٨ م وتخصاه تخصصاً مدققاً فاكشف لاير ان البحر الاحمر يعلو المتوسط ٢٠ قدماً ولذلك رأى عدم مناسبة ففتح ترعة موصلة بين البحرين رأساً فقدم التقرير الآتي وهو يتضمن افضل ما رآه من الطرق

(١) المواصلة بواسطة النيل وفروعه وذلك بترعة من الاسكندرية الى الرحمانية على فرع رشيد . وفي النيل من هناك الى القاهرة وبحلج امير المؤمنين من القاهرة الى البحيرة المرة حيث بquam حواجز ومن هناك الى السويس بترعة مالحة

(٢) المواصلة بين البحرين رأساً وكيفية ذلك ان تخفر ترعة بين السويس والبحيرة المرة وترعة اخرى بين البحيرة المرة وبلوسيوم الآن هذا التقرير لم يباشر تنفيذ قبل ان قضي على تلك الحملة بالانسحاب من مصر

وفي سنة ١٢٥٥ هـ او ١٨٢٧ م اقامت شركة البواخر الشرقية خطاً للمواصلات بين الهند وانكلترا عن طريق برزخ السويس بكيفية ان تأتي المنقولات في البحر المتوسط الى اول البرزخ فتنتقل في البر الى السويس ومنها في البحر الاحمر الى الهند وغيرها

وفي سنة ١٢٦٤ هـ او ١٨٤٦ م تعينت لجنة مختلطة للنظر في تقرير لاير فقررت ان الفرق بالارتفاع بين البحرين لا يعاب به الا انها انحلت ولم تصل الى نتيجة تاركة ذلك الى احد اعضائها الموسيو تالابوت فكان من رأيه تنبع الترع القديمة من السويس الى تل بسطة (قرب الزقازيق) رأساً واحفان ترعة من هناك الى رأس الذلتا حيث الفناطر الخيرية الآن فنقام لها قناطر تسير عليها مياه تلك الترع الى البر الغربي ومن هناك تم الترع الى الاسكندرية فكانت يريد إيصال البحرين بترعة تمر بين السويس والاسكندرية وتقطع الذلتا عند رأسه فلم يصادف مشروعاً استحسناتها كان يحول دون ذلك من المشاق . ثم تقدم تقرير آخر من الخواجات بارولت من مقنضاه ان يوصل البحر الاحمر ببجيرة المنزلة الى ديباط ثم يقطع النيل هناك وتم الترع الى رشيد فيقطع فرع رشيد ايضاً وتوصل الترع الى الاسكندرية فلم يصادف هذا نجاحاً ايضاً لمشايهته

بمشروع نالابوت

وفي سنة ١٢٧١ هـ او ١٨٥٥ م اهتم لبنان بك وموجل بك تحت  
ادارة الموسيو دلسيس في امر هذه المواصلة بعد ان حصل هذا الاخير  
على البراءة في ذلك من سعيد باشا والي مصر اذ ذاك فاقروا على وجوب  
فتح ترعة في خط مستقيم بين السويس وبلوسيوم مارة في العجيرات المرة  
فجيرة التماسح فالمنزلة وان تنصل هذه الترعة من طرفها بجواجز عند  
التقاءها بالبحرين واقروا ايضاً على احضار ترعة عذبة من بولاق مصر الى  
منتصف البرزخ ومن هناك الى السويس لاجل حمل المياه اللازمة للشرب  
والري وترعة توصل المياه الى بلوسيوم . فعمل الموسيو دلسيس تقريباً في  
ذلك وعرضه سنة ١٢٧٢ هـ او ١٨٥٦ م على لجنة دولية مؤلفة من نواب  
دول اوستريا وانكلترا وفرنسا واطاليا وهولندا وبروسيا واسبانيا  
فادخلت فيوتجويرات من مقتضاها ان تنهي تلك الترعة من طرفها  
الشمالي في نقطة على مسافة ١٢ ميلاً الى الغرب من بلوسيوم حيث  
بورت سعيد الآن وسبب ذلك ان مياه البحر المتوسط هناك عمقها بين  
٢٥ و ٣٠ قدماً على مسافة ميلين من الشاطئ اما عند بلوسيوم فلا تبلغ  
هذا العمق الا على مسافة خمسة اميال . وان تغفل الجواجز عند طرفي  
الترعة وتجويزات اخرى

ثم تمّ الفرار على ذلك وباشر الموسيو دلسيس حفر الترعة الذي  
كان انتهائه في ١٤ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ (١٧ نوفمبر (٢) ١٨٦٩ م)  
في ابام اسماعيل باشا الخديوي السابق واحفل الخديوي المشار اليه في  
ذلك اليوم احتفالاً عظيماً بافتتاحها حضره سائر ملوك اوربا و مندوبوم  
وكانت رسوم المرور في تلك الترعة بموجب نص البراءة عشرة فرنكات  
على التونولانو ونحو ذلك على الراكب فضلاً عن نفقات اخرى

## عود

وفي سنة ١٢٨٩هـ أو ١٨٧٢م تعدى اهل الحبشة على الحدود المصرية مما يلي بلادهم واسروا عدداً وافراً من الاهالي فبعثت الحكومة الخديوية بطلب استرجاعهم ونستفهم عما اقتضى تلك المعاملة . ثم اقتضت الاحوال فجردت الحكومة المصرية على الحبشة لكنها لم تنجح بتلك التجربة

ثم باشر اسماعيل باشا بناء مرفأ الاسكندرية وارصفته . وفي سنة ١٢٩٠هـ او ١٨٧٣م زار اسماعيل باشا الاستانة فقبل بالترحاب ونال التفاناً عظيماً من لدن الحضرة الشاهانية . وفي هذه السنة ايضاً احتفل بزواج انجاله الكرام وهم سمو الخديوي الحالي محمد توفيق باشا والبرنس حسين باشا والمرحوم البرنس حسن باشا وكان اقترانهم جميعاً في شهر واحد ومُنحوا ايضاً في الوقت نفسه رتبة الوزارة معاً

وفي ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠هـ (٨ يوليو) (تموز) ١٨٧٣م) جاءه الفرمان الشاهاني بخولة كل الحقوق المعطاة لرتبة الخديوية وهي حقوق الوراثة لاول ابنائه والاستقلال بالاحكام الادارية واقامة المعاهدات مع الدول الاجنبية واستقراض القروض والجزية التي تدفع للدولة العلية (١٥٠٠٠٠ كيس) . وهاك تعريب الفرمان السلطاني الذي ورد بهذا الشأن بعد الديباجة

« قد نظرنا بعين الاهتمام الى طلبك باصدار خط سلطاني يجمع بالتفصيل والتغيير اللازم جميع المخطوط الصادرة بعد الفرمان المانح للمرحوم الوالي محمد علي باشا الحكومة الارثية سواء كانت تلك الفرامين متعلقة بكيفية الخلافة او بالحقوق والامتيازات الجديدة الممنوحة مراعاة لحال الخديوية وسكانها . فهذا الفرمان من شأنه ان يفتح في المستقبل حكم تلك الفرامين جميعها بما يتضمنه مما سيأتي بعد ويكون دائماً نافذاً مرعي الاجراء

« ان كيفية وراثته الحكومة المصرية المقررة في فرماننا الصادر ثاني ربيع الآخر سنة ١٢٧٥ هـ قد غيرت على وجه ان تنتقل الخديوية من متبوتني كرسبها الى كبير ابنائه ومن هذا الى بكر ابنائه ايضاً وهلم جراً علماً بان ذلك ادنى الى المصلحة واشد ملامة لاحوال البلاد المصرية . واخصاصاً لك بانعطافي الذي صرت له اهلاً بحسن سعيك واستقامتك واجتهادك وامانتك واثباتاً لذلك اجعل قانون الوراثة لخديوية مصر ومتعلقاتها وما يتبعها من البلاد وقائمقامية سواكن ومصوع وتوابعها كما تقدم بيانه بحيث تكون الولاية لبكر ابنائك ثم لبكر ابنائه من بعده . فاذا لم يرزق من ولي الخديوية ولدًا ذكرًا كانت الولاية من بعده لأكبر اخوتيه او لأكبر بني اخيه الأكبر كما تقرر ولا تكون هذه الوراثة لابناء البنات . ولاجل تاييد هذه الاحكام ينبغي ان تكون الوصاية في حال كون الوارث قاصراً على الصورة الاتية وهي

« اذا توفي الخديوي وكان كبير ولد قاصراً اي غير بالغ من العمر ثماني عشرة سنة يكون هذا القاصر بالتحقيق خديوياً بحيث الوراثة فيصدر اليه فرماننا بوجه السرعة واذا كان الخديوي المتوفى قد نظم قبل وفاته اسلوباً للوصاية وعين كينيتها وذوي ادارتها بصك مثبت بشهادة اثنين من روساء حكومتيه فاولئك الاوصياء يقبضون اذ ذاك على ازمة الاعمال عقب وفاة الخديوي . ثم ينهون بذلك الى الباب بشتمهم في مناصبهم ولكن اذا توفي الخديوي بغير وصية وكان ابنه قاصراً فيجلس الوصاية عند ذلك بولف من تولي ادارة الداخلية والمحربية والمالية والخارجية والحفانية وقائد العسكر ومفتش المديرات فيجتمع هؤلاء الذوات وتتخون للخديوي وصياً باجماع الرأي او باغليتيه فاذا تساوت الآراء لاثنين من المنتخبين كانت الوصاية لارفعها رتبة باعتبار الترتيب السابق من الداخلية فما بعدها وبشكل مجلس الوصاية من الباقيين فيباشرون جميعاً امور الخديوية

ويعرضون ذلك لسלטنتنا السنبة ليصدق عليه بالفرمان الشريف . وكما  
انه لا يجوز تبديل الوصي وتغيير حياة الوصاية قبل انتهاء مدتها في الصورة  
الاولى اي فيما اذا كان تنظيمها بحكم وصية الخديوي المتوفى فكذلك لا تغير  
في الصورة الثانية واما اذا توفي الوصي او احد اعضاء مجلس الوصاية  
في خلال تلك المدة فينتخب بدل الاول احد اعضاء المجلس وبديل الثاني  
احد ذوات المملكة ومجرد بلوغ الخديوي القاصر ثماني عشرة سنة يكون  
راشداً فيباشر ادارة امور الخديوية وذلك مما نقرر لدينا واقتضت  
ارادتنا السلطانية

«ولما كان تزايد عمارة الخديوية المصرية وسعادة حالها ورفاهة سكانها  
من اهم الامور لدينا وكانت ادارة المملكة المانية ومنافعها المادية المتوقف  
عليها تكامل وسائل الراحة وتوفر اسباب السعادة عائدة على الحكومة  
المصرية رأينا ان نذكر كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها على شرط بقاء  
جميع الامتيازات المنوحة سابقاً للحكومة المصرية . وذلك انه لما كانت  
ادارة المملكة الملكية والمالية بجميع فروعها واحوالها ومنافعها عائدة بالمحصر  
على الحكومة ومتعلقة بها وكان من المعلوم ان ادارة اي مملكة وحسن  
انتظامها وتزايد عمرائها وسعادة سكانها مما لا يتم الا بالتوفيق والتطبيق  
بين الادارة العمومية والاحوال والموقع وامزجة السكان وطبائعهم فقد  
مخنك الرخصة المطلقة في وضع القوانين والنظامات الداخلية حسب  
الحاجة واللزوم . ولاجل تسهيل تسوية المعاملات سواء كانت من قبل  
الرعية او من قبل الحكومة مع الاجانب وتوسيع نطاق الصنائع والحرف  
وتوفير اسباب التجارة مخنك ايضاً الرخصة التامة في عند المشاركات  
وتجديد المقاولات مع ما موري الدول الاجنبية في امور الجمارك والتجارة  
وسائر المعاملات التجارية مع الاجانب في امور المملكة الداخلية وغيرها  
على شرط ان لا يكون ذلك موجباً للاخلال بمعاهدات الدولة السياسية

« وأكون خديوي مصر حائزاً لحق التصرف المطلق في الامور المالية قد اعطيت له الرخصة في عقد القروض من الخارج بغير استئذان عند ما يجدر لذلك لزوماً على شرط ان يكون الفرض باسم الحكومة المصرية . وبما ان امر المحافظة على المملكة وصيانتها من الطوارق ( وهو اهم الامور واحوجها الى العناية ) من اقدم الوظائف المختصة بخديوي مصر قد منحناه الاذن المطلق بتدارك اسباب المحافظة وتنسيبها على مقتضى ضرورات الزمان والحال وتكثير او تقليل عدد العساكر المصرية الشاهانية على حسب الزوم بغير تقييد ولا تحديد . وابقينا كذلك لخديوي مصر امتيازاً القدم بمخ الرتب العسكرية الى رتبة ميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية على شرط ان تكون المسكوكات المضروبة في مصر باسمنا الشاهاني وتكون اعلام العساكر البرية والبحرية في القطر المصري كاعلام عساكرنا السلطانية بلا فرق او تمييز ولا يجوز لخديوي مصر ان ينشئ البوارج المدرعة بغير استئذان اما سائر السفن والبوارج في استطاعته ان ينشئها متى شاء . »

« ولاجل اعلان الاحكام السابق بيانها وتأيدتها اصدرنا اليكم هذا الفرمان الجليل القدر من ديواننا الهايوني واعطى لكم متمماً ومعدلاً وشارحاً للخطوط الشريفة والاوامر المنيفة الصادرة الى هذا التاريخ سواء كانت في وراثتة الحكومة المصرية وفي كيفية الوصاية او في اذارة الامور الملكية والعسكرية والمالية والمنافع العمومية وسائر المهمات على شرط ان تكون احكام هذا الفرمان الجديدة نافذة مرعية الاجراء على مر الزمان قائمة مقام احكام الفرمانات السالفة على ما اقتضته ارادتنا السلطانية . فينبغي ان تعلموا قدر لطف عنايتنا وتودى الشكر لها وتصرفوا الهمة الى تنظيم الادارة على محور الاستقامة والى الاخذ باسباب وقاية الرعية واصلاح شؤونها وتأييد راحتها على حسب ما فطرتم عليه من الغيرة والاستقامة وحسن الاخلاق وما وقفتم عليه من احوال تلك الجهات وان تراعوا احكام

الشروط الواردة في هذا فرمان الجديد مع تأديته المائة وخمسين الف كيس المضروبة على الديار المصرية خراجاً سنوياً في اوقاتها المعينة الى خزينتنا العامة السلطانية على القوانين والنواعد المرعية» انتهى فكان ذلك فرمان منشطاً لهبة اسماعيل باشا فاخذ في اتمام مشروعاته في الاصلاح وعلى الخصوص فيما يتعلق بتنظيم البلاد وانشاء البنائات والشوارع والحداثق فتمهدت سبل التجارة فازداد في ايامه نقاطر الاوربيين الى القطر المصري وكان بكرم وفادتهم وبحبب اليهم الاقامة في القطر لما كانوا يتمتعون يومئذ من الارباح والرغد . وفي سنة ١٢٩٢ هـ (سنة ١٨٧٥ م) ابتاعت الحكومة الانكليزية من اسهم ترعة السويس ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات الانكليزية فكان ذلك حاملاً على نداخلها في المالية المصرية بعد ذلك

وفي سنة ١٢٩٢ هـ او ١٨٧٦ م توفي المغفور له السلطان عبد العزيز وتولى بعده السلطان مراد الخامس مدة قصيرة ثم اعلى اريكه السلطنة جلالة السلطان عبد الحميد خان ولا يزال على اريكها الى الان ابد الله سلطانه وعزز انصاره واعوانه



وترى  
في شكل  
٩١ صورة  
النفسود  
المضروبة

على عهد  
السلطان عبد العزيز بتاريخ ١٢٧٧ هـ وهي سنة توليته السلطنة وهذه  
القطعة من النقود يقال لها (عشرين خرذا) وقد كانت نساوي في اول امرها

نصف غرش اي عشرين بارة ثم انحطت منذ بضع سنوات الى بارنين ثم  
 بعد ان ضربت النغود الحديثة الآتي ذكرها لم تعد لها قيمة معلومة  
 ومن المشروعات المهمة التي اتمت او بوشرت في ايام اسماعيل باشا  
 انه انشأ المتحف المصري في بولاق والكتبخانة الخديوية المشهورة في درب  
 الجماميز بمصر واصح الطرق وشيد الابنية العمومية منها الاوبرا الخديوية  
 بقرب الازبكية في القاهرة . والذي يشاهد هذا المرحع الجليل يندهش  
 لما فيه من الاتقان وحسن الذوق ولا سيما في النقوش على الستائر مع اتقان  
 الملابس اللازمة للتشخيص ويزيد اندهاشه عند ما يعلم انها بنيت وتمت  
 معادتها في مدة خمسة اشهر فقط وسبب ذلك ان الخديوي كان قد اعد  
 سنة ١٢٨٦ هـ او ١٨٦٩ م احتفالاً عظيماً دعا اليه اكثر ملوك الارض  
 لحضور افتتاح ترعة السويس كما مرّ بك فامر ببناء هذا المرحع في القاهرة  
 لاحياء اوقات اللعب فيه ولم يكن لديه الا مدة خمسة اشهر الصيف فاكثر  
 من العملة البارعين ولا تسئل عما انفق في سبيل ذلك من النغود . ومن اعماله  
 انه ابني ايضاً مرحع زيزينيا في الاسكندرية وسرايات اخرى عجيبة وجرّ  
 الماء الى العاصمة ووزعه في البيوت وعمم زرع الاشجار على الطرق ونور  
 القاهرة بالغاز وتدارك ما ينجم عن الحريق باستجلاب الآلات لاطفاء  
 النيران وفتح المدارس وعمم المعارف وحسن مطبعة بولاق الاميرية وامر  
 بترجمة الكتب المفيدة الى العربية وطبعها واسس معمل الورق وغيره  
 من المعامل ونظّم المجالس واصلح ترع النيل وبجاربها واصل المخطوط  
 التفرافية والسكك الحديدية الى نوبيا ونظّم البوسطة وبنى مدينة الاسماعيليه  
 وزينها بالحدائق والقصور وانشأ المنارات في البحر وابطل تجارة الرقيق  
 وسعى لاكتشاف ما غمض من قارة افريقيا بمدد اصحاب الخبرة وزين  
 حديقة الازبكية بغرس اشجارها ونسوزها وترتيب الموسيقى فيها على ما  
 هي عليه الان . وغير ذلك من الاعمال الكثيرة التي تنوق الحصر .

وايتنى عدة بنايات بالقرب من طره على طريق حلوان لاجل معامل  
 البارود والاسلحة الصغيرة وانفق على بنائها مبالغ فاحشة ولكنه لم يستعملها  
 وكان اسماعيل باشا لشدة رغبته في التنظيم والتزيين لا ينظر الى  
 نسبة النفقات التي تقتضيها تلك المشروعات الى دخل البلاد فتراكمت  
 الديون على النظر الى حدٍ اوجب قلق الدول التي لها يد في تلك  
 الديون فالامر الى تعيين لجنة مالية مختلطة لمراقبة دخل ونفقة الحكومة  
 المصرية وذلك في ٢٦ ربيع اول سنة ١٢٩٥ هـ (٢٠ مارس (اذار)  
 ١٨٧٨ م) فرأت عجزاً مقداره مليون ومائتا الف جنيه فتنازل اسماعيل  
 باشا عن املاكه الخاصة واملاك عائلته ملافاة لما تدارك البلاد من  
 الديون الكثيرة وهي التي تعرف الآن باملاك الدومين . ثم صادق على  
 تعيين ناظر انكليزي للمالية يقال له المستر ريفرس ويلسون وآخر  
 فرنساي لنظارة الاشغال العمومية يقال له الموسيو بليبير . وكانت  
 اجراءات الحكومة المصرية راجعة الى الخديوي رأساً فاجراها اسماعيل  
 باشا بواسطة مجلس النظار كما هي الحال الان

وفي تلك السنة تقرر استقراض مبلغ ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات  
 فاستدانوها وجعلوا عليها املاك الدومين رهناً . وهذا هو الدين المعروف  
 بدين روتشيلد . ثم رأى مجلس النظار وجوب توفير شيء من نفقات  
 الجيش فرفت عدداً كبيراً من العساكر والضباط . وفي ٢٥ صفر  
 سنة ١٢٩٦ هـ (١٨ فبراير (شباط) ١٨٧٩ م) ثار المرفوتون وجاء نحو  
 من التي نثر واربعماية ضابط منهم الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا  
 والمستر ويلسون وطلبوا اليها ما كان متأخراً لهم من الرواتب ثم علت  
 الغوغاء ولم ينكف الناس حتى اشرف اسماعيل باشا فلما رأوا يهتول رعبه  
 وكأنه اثر عليهم تأثيراً سحرياً فكلمهم وطيب خاطرهم ووعدهم باجراء  
 مطلوبهم فانصرفوا . ثم استقال الوزيران رياض باشا ونوبار باشا تخلصاً

من المسئولية في حكومة لا يعرف لها رأس . فولى اسماعيل باشا ابنه البرنس توفيق باشا ( وهو الآن سمو الخديوي الحالي ) رئاسة مجلس النظار وفي ١٤ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ هـ ( ٧ افريل ( نيسان ) ١٨٧٩ م ) قلب اسماعيل باشا هيئة مجلس النظار وعزل كل من كان فيه من الاجانب وجعل في اماكنهم نظاراً وطنيين تحت رئاسة المرحوم شريف باشا وامر ان تزداد القوة العسكرية الى ستين الفاً فشق ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتتا عزله للنظرين الانكليزي والفرنساوي لغير علة من الاعمال العدوانية فسعيا الى الانتقام بكل ما لديهما من السبل . وفي ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ( ٢٥ يونيو ( حزيران ) ١٨٧٩ م ) أُقيل اسماعيل باشا من خديوية مصر وولي ابنه محمد توفيق باشا الخديوي الحالي مكانه

### ولاية محمد توفيق باشا الخديوي الحالي

من سنة ١٢٩٦ هـ او ١٨٧٩ م ولا تزال

تولى سمو محمد توفيق باشا خديوية مصر يوم الخميس الواقع في ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ( ٢٦ يونيو ( حزيران ) ١٨٧٩ م ) واعلى اريكتها بين امور مختلة واحوال مرتبكة بسبب المضاعف التي طرأت على احوال الفطر المصري قبل توليته . ومن اهم اسباب الاخلال اذ ذاك عسر المالية وعدم انتظام الجندية ونحو ذلك ما نشأ عن تداخل الاجانب في امور البلاد على عهد الوزارة المختلطة واشتداد وطأهم على العسكرية وطموح ابصارهم الى ما اوجب بومئذ استحكام الضغائن في صدور الجهادية . ففي الساعة ٤ ١/٢ من نهار الخميس المذكور ورد الى مصر تلغراف من الباب العالي مشعراً بتولية سموه وتعريته . -





توفيق باشا خديوي مصر المعظم



ش ٩٢ محمد توفيق باشا الخديوي الحالي

« بناء على ان الخطة المصرية هي من الاجزاء المنمة لجسم ممالك السلطنة السنية وان غاية حضرة صاحب الشوكة والافتدار انما هي تأمين اسباب الترفي وحنظ الأمن والعمارة في الممالك وبناء على ان الامتيازات والشرايط المخصوصة الممنوحة للخديوية المصرية مبنية على بما للحضرة

الشاهانية من المقاصد المذكورة الخيرة وبناء على تزايد اهمية ما حصل في النظر المصري ناشئاً عما وقع فيه من المشكلات الداخلية والخارجية الفاتكة العادة وحب تنازل والد جنابكم العالي اسماعيل باشا . ثم انه بناء على ما انصفت به ذاتكم السامية الاصفية من الرشد وحسن الروية وعلى ما ثبت لدى محام الخلافة الاسمي من ان جنابكم الداوري ستوفقون الى استحصال اسباب الامنية والرفاهية لصنوف الاهالي والى ادارة امور المملكة على وفاق ارادة الحضرة الشاهانية الملوكانية توجهت الارادة العلية بتوجيه الخديوية الجليلة الى عهدة استبهاال آصفانيتكم وبناء على فرمان العلي الشأن الذي سيصدر حسب العادة على مقتضى الارادة السنية السلطانية التي صار شرف صدورها وبناء على ما كتب في التلغراف الى حضرة المشار اليه اسماعيل باشا من تخليوه عن النظر في امور الحكومة وتفرغه منها بصورة وقوع انفصاله قد تحرر تلغراف هذا العاجز لكي يعلن حال وصوله للعلماء والامراء والاعيان واهل المملكة جميعاً وتباشر من بعد امور الحكومة وهذا من التوجيهات الوجيبة الى اثر استحقاق آصفانيتكم لتجري التنظيمات والترقيات مبداً ومقدمة وبصير تكرير الدعاء بتوفيق الذات الجليلة الفخيمة السلطانية ولذلك صارت المبادرة الى ابقاء لوازم النهضة لحضرتكم ايها الخديوي المعظم والامر والفرمان على كل حال لمن له الامر افندم»

الامضاء

خير الدين

فصدرت الاوامر باعداد ما يلزم للاحتفال بذلك وجلس سمو في الفلعة يستقبل المهتهن من الوزراء والعلماء يتقدمهم نقيب الاشراف ثم القاضي ثم شيخ الجامع الازهر ثم جاء القناصل وبعد ذلك دخل النواب وامراء العسكرية والملكية ثم رجال الحفانية ثم النواب ووجهاء البلاد ثم ارباب الجرائد ثم الموظفون والمستخدمون وغيرهم . ومن جملة من وفد للنهضة

وقد ماسوني جاء بالنيابة عن الشرق الاعظم المصري فقدم عبوديته فنال من سمو عواطف الرضاء عنهم وعن اعمالهم ووعدهم رعاية محافلهم وحمائنها فانصرفوا شاكرين . وبعد ذلك ارسل الجناب الخديوي تلغرافاً الى الباب العالي جواباً على التلغراف المؤذن بارتقائه الى كرسي الخديوية

وفي ١١ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ( ٢٠ يونيو ( حزيران ) ١٨٧٩ م ) سافر الخديوي السابق من القاهرة الى الاسكندرية ومنها ركب وسافر على الباخرة ( المحروسة ) الى اوربا وكان لوداعه على المحطة في القاهرة ازدهام وفي مقدمة المودعين سمو نجله الخديوي الحالي فكلّم اسماعيل باشا الجمهور مودعاً ثم خاطب نجله قائلاً

« لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم ان تكون يا اعز البنين خديوي مصر فاوصيك باخوتك وسائر الآل برأ واعلم اني مسافر وبودي لو استطعت قبل ذلك ان ازبل بعض المصاعب التي اخاف ان توجب لك الارتباك على اني واثق بمجزمك وعزمك فأتبع رأي ذوي شورك وكن اسعد حالاً من ابيك »<sup>(١)</sup>

ثم عين مجلس النظار رواتب العائلة الخديوية فتنازل سمو الخديوي عن عشرين الف جنيه من راتبه الخصوصي على ان يضمها لراتب والده . ثم استعنت الوزارة جرياً على المعتاد فنظّمها الامير الجديد تحت رئاسة شريف باشا وكتب اليه رقيماً بذلك وبعث ايضاً الى هيئة النظار مشوراً بتاريخ ٤ رجب سنة ١٢٩٦ هـ يظهر فيه افكاره واراءه ومستقبل سياسته واجراءات حكمه

ومضت مدة بعد ورود تلغراف الباب العالي المؤذن بولاية توفيق

(١) وقال اخرون انه خاطبه بذلك في منزله وانه بارح العاصمة

باشا ولم يرد الفرمان السلطاني المؤيد لذلك فاختلفت اقوال الناس وظنّونهم في اسباب تأخر الباب العالي عن اصداره . وفي اثناء ذلك صدر الامر للجهادية بصرف عشرة آلاف من الجند المجنّدين تحت السلاح وجعل الجيش اثني عشر ألفاً واهتمت الوزارة بتسوية الدين السائر وغيره . وفي ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ ( ١٤ اوغسطس «آب» سنة ١٨٧٩ م ) ورد الفرمان الشاهاني الامر بتولية سمو محمد توفيق باشا خديوية مصر و تعريفة .

« فرمان تولية توفيق باشا المعظم »

«الدستور الاكرم والمعظم الخديوي الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدير امور الجمهور بالفكر الثاقب متم مهام الانام بالرأي الصائب مهدي بنیان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المخوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاً الحامل لنيشاننا الهايوتي المرصع العثماني ونيشاننا المرصع الجيادي وزبري سمير المعالي توفيق باشا ادام الله تعالى اجالته وضاعف بالتأيد اقتداره واقباله » انه لدى وصول توقيعنا الهايوتي الرفيع يكون معلوماً لكم انه بناء

على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ وحسن خدماتكم وصدافتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من ان لكم وقوفاً ومعلومات تامة بخصوص الاحوال المصرية وانكم كفوة لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة واصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضي المنضمّة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتخذة بالفرمان العالي الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٢ هـ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث

انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه قد وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية .  
ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة  
اهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبنا  
ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العلي الشأن المبني على تسهيل  
هذه المقاصد الخيرية المبين في الامتيازات الحائقة لها الخديوية المصرية  
قدماً نشأت عنها الاحوال المشككة المحاضرة المعلومة فذلك صار تثبيت  
المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيد ما صار تبديل المواد  
المقتضى تبديلها وتعديلها واصلاحها فما نقرر اجراءه الآن هو المواد الآتية وهي  
« ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفائها باسمنا  
الشاهاني . وحيث ان اهالي مصر ايضاً من تبعه دولتنا العلية وان الخديوية  
المصرية ملزمة بادارة امور المملكة والمالية والعدلية بشرط ان لا يقع  
في حقهم ادنى ظلم ولا تعدى في وقت من الاوقات فخدوي مصر يكون  
مأذوناً بوضع النظم اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة  
عادلة . وايضاً يكون خديوي مصر مأذوناً بعقد وتجديد المشارطات مع  
مأموري الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة امور المملكة  
الداخلية لاجل ترقي الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية  
المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب او بين الاهالي والاجانب  
بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البولوتيقية وفي حقوق  
متبوعية مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التي تعقد مع  
الاجانب بهذه الصورة بصير تقديمها الى بابنا العالي . وايضاً يكون حائزاً  
للتصرفات الكاملة في امور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض  
من الآن فصاعداً بوجه من الوجوه وانما يكون مأذوناً بعقد استقراض  
بالاتفاق مع المندائين الحاضرين او وكلائهم الذين يتعينون رسمياً .  
وهذا الاستقراض يكون مخصصاً في تسوية احوال المالية الحاضرة ومخصوصاً

بها وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى مصر في جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وادعت لديها لا يجوز لاي سبب او وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها او بعضها او ترك قطعة ارض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقاً ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ الف ليرة عثمانية الذي هو الوبركو المقرر دفعه في كل سنة في اوانه وكذلك جميع النفود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر الفاً لان هذا القدر كافٍ لحفظ امنية ابالة مصر الداخلية في وقت الصلح . وانما حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة من اجل دولتنا يجوز ان يزداد مقدار العساكر بالصورة التي تستتب فيها حالة دولتنا العلية بمحاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياسينهم وبياح لخديوي مصر ان يعطي الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة اميرالاي والملكبة الى الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوي مصر ان ينشئ سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية . ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالنة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها قد اصدرنا امرنا هذا الجليل القدر الموشح اعلاه بخطنا الهايوتي وهو مرسل صحة افتخار الاعالي والاعاظم ومختار الاكابر والافاخم علي فواد بك باشكاتب الهامين الهايوتي ومن اعاظم دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والهجيدية ذات الشأن والشرف

« حرر في ناسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العزة والشرف »

وفي غاية شعبان (١٧ اوغسطس (آب)) استعفت وزارة شريف باشا استعفاء غير مبني على سبب ظاهر فتألفت وزارة جديدة تحت رئاسة

الجناب الخديوي . وكان رياض باشا اذ ذاك خارج النظر المصري فامر الخديوي ان يستقدم تلعرافياً . وفي يوم الاربعاء ٢٠ سبتمبر (اللول) سنة ١٨٧٩م الموافق ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦هـ وصل رياض باشا الاسكندرية ومعه ولده وتوجه توجاً الى المحروسة . وفي ٢١ منة كلفه الجناب الخديوي بتشكيل وزارة جديدة تحت رئاسته بعد ان قدم الوزراء استعفاءهم فلبي الطلب ونظم وزارة جديدة ولم تـمض ٢ اشهر على وزارته حتى اخذت حال البلاد في التحسن وهدأت الامور

وفي ١٨ رمضان سنة ١٢٩٦هـ (٤ سبتمبر (اللول) ١٨٧٩م) وقع سمو الخديوي على الامر الناطق بتعيين الموسيو بارنج والمسيودي بلينيار بصنة منتشين ماليين . وفي اواخر هذه السنة ايضاً قدم نوبار باشا من اوربا واستعفى غوردون باشا من حكمدارية السودان وكان قد وليها سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) في عهد الخديوي السابق وتعيين رأوف باشا في مكانه وفي ايامه ظهر المهدي بدعوته . ثم كلفت الوزارة الجناب الخديوي ان يتجول في انحاء القطر جريباً على المؤلف في مثل هذه الحال اي في حال تولية امير جديد فسار سموه في ١٠ صفر سنة ١٢٩٧هـ او ٢٢ يناير (ك ٢) ١٨٨٠م نحو الصعيد ثم الى الوجه البحري وعاد الى المحروسة في ٤ مايو وفي ١١ يناير من تلك السنة قرر مجلس النظار تشكيل لجنة خصوصية للنظر في مبادئ اعمال التصفية ومرجع هذه اللجنة ينحصر في ناظر المالية و كاتب اسراره الثاني . ولما قدم المنتشان العموميان الى مصر نظراً لآخعة فيما يتعلق بتسوية الدين المنظم . وفي ٥ صفر سنة ١٢٩٧هـ او ١٧ يناير (ك ٢) ١٨٨٠م صدر الامر العالي بالغاء الضرائب الدينية والشخصية التي لا يتجاوز مجموعها ستمائة الف جنيه في السنة وذلك بناء على تقرير رفعه اليه ناظر المالية

وفي ٩ صفر او ٢١ يناير (ك ٢) صدر امر خديوي متعلق بابطال

بون حلیم باشا . وفي ٢٥ ربيع آخر او ٥ افريل ( نيسان ) من هذه السنة تعينت لجنة التصفية مؤلفة من خمسة اعضاء ورئيس اورباو بين وعضو وطني هو بطرس بك غالي ( اليوم بطرس باشا ) لينوب عن الحكومة المصرية . وفي ١٨ جمادى الاولى او ١٧ افريل ( نيسان ) عقدت اللجنة جلستها التمهيدية وجرت المحابر بين المنتشين المالمين ولجنة التصفية فيما يجب نقره بخصوص المواد الآتية ( ١ ) الدين الممتاز ( ٢ ) الموحد ( ٢ ) التعيينات ( ٤ ) متأخرات كوبونات الموحد ( ٥ ) القروض الغربية الآجال ( ٦ ) بيان اجمال الدين غير المنظم ( ٧ ) لائحة تتضمن مسائل عديدة ودبونا متنوعة . وفي ١٨ جمادى الآخرة او ٢٧ مايو « ايار » رفع رياض باشا الى سمو الخديوي كتابا يتضمن بيان احتياج البلاد الى تعميم المعارف . فامر سمو بتشكيل لجنة للنظر في ما يتعلق بالتعليم العمومي وما يحتاج اليه من التحويل تحت رئاسة علي باشا ابراهيم ناظر المعارف اذ ذلك . وفي ١٦ رجب او ٢٢ يونيو « حزيران » تعين الموسيو كولفن منتشاً مالياً بدلاً من المستبرانج . وفي ١٩ رجب ورد تلغراف من الباب العالي بتوجيه رتبة المشيرية الى رياض باشا وفي ١٠ شعبان او ١١ يوليو « تموز » أتمت لجنة التصفية اعمالها وانتهت قانونها وصادق عليه الجنب الخديوي وهالك مخصصة

( ١ ) ان صافي ايرادات السكك الحديدية والتلغرافات ومينا الاسكندرية يكون مخصصاً لتسديد فوائد واستهلاك الدين الممتاز دون غيره اما فائدته فتبقى ٥ بالمائة على القيمة الاسمية . والقيمة التي تدفع سنوياً لثلاثة واستهلاك هذا الدين تكون ١١٥٧٢٦٨ جنياً سنوياً

( ٢ ) ان صافي ايرادات الكمارك وعوائد الدخان الوارد ومدبريات الغربية والمنوفية والبحيرة واسيوط بما فيه جميع الرسوم المقررة الا ايراد الملح والدخان البلدي . جميع صافي هذه الابادات تبقى مخصصة لتسديد الدين

الموحد والفائدة باعتبار اربعة بالمائة

(٣) ان املاك الدائرة السنية واملاك الدائرة الخاصة المذكورة في الكشوفات والرهونات العقارية المسجلة وغيرها تكون ملكاً للحكومة وهي تكون مخصصة لضمانة دين الدائغ السنية العمومي

(٤) تسوية الدين السائر تكون من البواقي من سلنة الاملاك الاميرية ومن النفود الباقية لغاية سنة ١٨٧٦ م في خزينة النظارات والمديريات والمصالح التي لم تخصص للدين المنتظم ومن الزائد من دفعات المقابلة وموجود نقدية في صندوق الدين العمومي ومن المبالغ التي يمكن تحصيلها من المتأخرات لغاية ١٨٧٦ م من العوائد والرسوم والاموال من اي نوع كانت ومن العقارات الجائر للحكومة التصرف بها ولم تكن مخصصة وما ينتج من تغيير البونات او السندات ومن سندات الدين الممتاز التي توجد على مقتضى المدون في البند السادس من قانون التصفية ومن الجزء المخصص لاستهلاك الدين المنتظم حسب المدون في البند ١٥ من القانون ومن الزيادات التي تظهر في الموازن كما هو مبين في البند السابع من قانون التصفية

هذه شذرة صغيرة من قانون التصفية ومن احب التنصيل فليراجع القانون نفسه فانه مؤلف من ٩٩ بنداً وبرفقته كشفان عن التسويات التي حصلت وغيرها

ونكاثرمخ الرتب من انعام الحضرة الخديوية في ذلك الاثناء وكانت الرتب تستلزم زيادة المرتبات كما هي الحال الآن في رتب الجهادية فملافاة للتثقل على المالية اصدرت نظارة الداخلية امرأ مفاداً ان الرتب الملكية لا توجب زيادة المرتب وانما تكون تحلية ذوبها بحليلة الشرف فقط

واشتهر سمو الخديوي بميله المخصوصي الى ابناء البلاد ورفع شأنهم وبث الحرية بين ظهرانيهم فتألفت قلوبهم واتحدت كلمتهم ووجهوا اسيابهم

الى اصلاح شؤونهم . وإنما كانت تلك الحربة لدى البعض هبة في غير محلها وقبل اوانها فجمعت بامور آلت الى الثورة العرابية التي كانت عثرة في سبيل فلاحهم فاوصلت البلاد الى ما نراها عليه الان

### الحوادث العرابية

ولد احمد عرابي في سنة ١٢٤٨ هـ وقيل سنة ١٢٥٧ هـ او سنة ١٨٥٩ م في قرية (هريه رزنة) من مديرية الشرقية من عائلة بدوية الاصل وفي سنة ١٢٧٢ هـ انتظم في سلك العسكرية في عهد المغفور له محمد سعيد باشا ثم ترقى في ايامه الى رتبة الملازم ثم الى رتبة البوزباشي ولم تأت سنة ١٢٧٦ هـ حتى بلغ رتبة بكباشي . وفي سنة ١٢٧٧ هـ نال رتبة الفانمقام ثم اعتزل الخدمة ثم عاد اليها في اوائل ولاية اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ هـ وما زال حتى وقعت بينه وبين خسرو باشا الشركسي مخاصمة ادت الى ابعاد عرابي من الخدمة العسكرية مدة سنة وهذا سبب بغضه للشراكية ثم الحق باشغال الدائرة الحلبية واقترن بابنة مرضعة المرحوم الهامي باشا التي هي شقيقة حرم الخديوي الحالي بالرضاع فعفا عنه الخديوي السابق وارجعه الى وظيفته في احد الايات سنة ١٢٩٢ هـ فاخذ من ذلك الحين في تأليف قلوب الضباط وجمع كلمتهم على ولائهم بما كان يظهروه من الاسف على حرمانهم من الترقيات حال كون غيرهم من الشراكية والاتراك متمتعين بها الى غير ذلك

وما زال في ذلك الى تولية الخديوي الحالي فارقى الى رتبة امير الاي سنة ١٢٩٦ هـ او ١٨٧٩ م وكان على نظارة الجهادية عثمان باشا رفيق شارعا في سن قانون عسكري يؤخذ من فحواه حرمان كل من نحت السلاح من الترتي فتذمر عرابي ورفاقه وحملوا ذلك على الايقاع بابناء

الوطن وجعلهم انفاراً تحت سلطة الترك والشراسة فاجتمع ثلاثة من زعمائهم وهم علي فهمي (كان علي باشا فهمي) وعبد العال (عبد العال باشا) واحمد عبد الغفار (احمد بك عبد الغفار) في منزل عراي وتأمروا على معاكسة ذلك القانون ومنع صدوره فمخالفوا وحثوا ضباط الاياتهم على التشيع لم بعد ان اقتنعوا بنبالة مقصدهم واجمع رأيهم على كتابة تقارير ممضية من جميع الضباط مرفوعة اليهم بالنظم من ناظر الجهادية وطلب تنزيله فحفظوها عندهم وقدموا تقريراً منهم رفوعه الى مجلس النظر يطلبون تنزيل ناظر الجهادية فصدر امر النظر بسجنهم في قصر النيل فاستدعوا اليه فساروا بعد ان امروا الاياتهم بالاستعداد للمقاومة عند اول اشارة. فلما وصلوا الى القصر جردوا من سلاحهم وأدعوا السجن فوصلت الاشارة الى الاي عابدين فسار الى قصر النيل واخرج المسجونين بالعنف وبعثوا الاعلامات الى الاي العباسية والاي طره بالحضور حالاً الى سراي عابدين وبعد يسير اجتمعت الايات امام سراي عابدين رغماً عما حاوله الجناب الخديوي من منع مجيئهم بواسطة الرسل والتهديد ولما تم اجتماعهم قام عراي خطيباً فيهم فشكرهم على تلك الهمة والغيرة وكانت ساحة عابدين غاصة بجماهير المتفرجين ثم تقدم عراي امام سمو الخديوي وطلب لم العنو عما اتوه من القحة . وطلب خلع عثمان باشا رفقني ناظر الجهادية . فاجاب سموه الطلب وجعل على نظارة الجهادية محمود سامي (كان محمود باشا سامي)

وبعد ان سكنت عوامل هذه الحركة خاف زعماء الثورة من هذا النجاح السريع واعتبروا اجابة طلبهم هذه مكيدة من الحكومة لتسكين جاشهم ثم تحال للاغتيال بهم فاكثروا من التخفظ وشرعوا في عقد مجالس سرية ليلية في منزل احمد عراي يدعون اليها خواصهم ويتفاوضون في امر اجتماع كلتهم والوقاية من الاغتيال فاقترحوا على ديوان الجهادية اقتراحات

عديدة نعرز جانبهم فتمكن عرابي بذلك من استئالة قوم العسكرية فطلق  
بيك افكاره بين الاهالي من مشايخ العربان وعمد البلاد واعيانها وعلمائها  
وتجارها استجلاً لمساعدتهم في مشروعه العائد الى نفعهم على ما زعم وكتب  
اليهم في ذلك منشورات ثوروية ايقاعاً بالوزارة الرياضية

وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٦٨هـ او ٢٠ ابريل (نيسان) ١٨٨١م  
اصدر الجناب الخديوي بناء على اقتراح رياض باشا رئيس النظار امراً  
عالياً بشأن زيادة مرتبات الضباط والعساكر وتعديل النظمات  
والقوانين العسكرية بناء على طلب محمود سامي ناظر الجهادية فاحتفل  
هذا احتفالاً فاخراً في قصر النيل دعا اليه النظار والمتنشين اخفاءً  
بصدور ذلك الامر خطب فيه رياض باشا ومحمود سامي واحمد عرابي  
ثناءً طيباً على المكارم الخديوية لما منحه لجماعة الجهادية من الانعام

وفي ٢٨ شعبان او ٢٥ يوليو (تموز) كان الجناب الخديوي في مصيفه  
في الاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت جندياً  
من الطيحية صدمة قضت عليه فحملة رفقائه الى سراي راس التين  
وطلبوا الى الخديوي النظر في امره فوعدهم فسكن جاشهم . وبعد بضعة  
ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكماً على النفر الذي حمل رفقائه على  
المسير الى راس التين بالاشغال الشاقة طول حياته . اما رفقائه وعددهم  
نحو الثمانية فحكم عليهم بثلاث سنوات في الليمان وبعد ذلك يرسلون الى  
السودان انفاراً للجهادية . فبعث عبد العال امير الفرقة السودانية الى  
ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من قسوة ذلك الحكم فرفع سامي تلك  
الشكوى الى الخديوي فنكدر واستدعى في الحال الوزراء تلغرافياً الى  
الاسكندرية فانوها في ٧ رمضان او ٢ اغسطس (آب) وعقدوا برئاسته  
مجلساً قدم فيه ناظر الجهادية استعناؤه قبل وعين بدلاً منه داود باشا  
بكن واستلم الاعمال وعاد النظار الى العاصمة وهدأت الاحوال

وفي شوال اوستمبر ( ايلول ) بعد عود الجناب الخديوي من الاسكندرية صدر امرٌ من نظارة الجهادية الى الاي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامرٌ آخر الى الاي الاسكندرية بالهجي الى المحروسة فاعز عرابي الى الاي القلعة ان تلك الاوامر لا يقصد بها الا تفريق كلمتهم فصرح ذلك الاي بعدم امتثاله لما امر به . وفي خلال ذلك كان عرابي يخاطب الالايات بالاشارة ان يستعدوا للحضور الى ميدان عابدين في اول سبتمبر ثم ارسل كتابة الى الجناب الخديوي والى نظارة الجهادية يخبرهم فيها ان الجيش سيحضر الى سراي عابدين لابتداء اقتراحات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وكتب مثل ذلك الى قناصل الدول مبيناً ان لا خوف من هذه الحركات على ابناؤنا بعينهم لانها متصلة الغاية بالاحوال الداخلية . فارسل الجناب الخديوي وقد اى زعماء الثورة وهم عرابي وعبد العال واحمد عبد الغفار بتصميم ان يكتفوا عن اجراءاتهم وتوجه سموه بنسوه الى الاي عابدين واخذ بتصميمه فنظاهروا بالانتصاح وتوزعوا في نوافذ السراي وقاية لها ثم توجه وفي معيته النظر الى القاعة للغرض عينه . فاجابه الجيش هناك « نحن مطيعون لاوامرولي نعمتنا غير اننا اخبرنا بان المنصود من تسفيرنا اغراقنا في كبري كبر الزيات » فقال سموه لمن معه يظهر ان العساكر مغرورون ثم تركهم وقصد العباسية لايقاف عرابي فلم يجده وقيل له انه سار في جنده الى عابدين فعاد سموه ايضاً اليها

ولما تكامل اجتماع الالايات في ميدان عابدين في ١٥ شوال سنة ١٢٩٨ هـ ( ٩ سبتمبر ( ايلول ) ١٨٨١ م ) كانت الساحة غاصة ببجهاهير المتفرجين وقناصل الدول داخل السراي فاشرف الجناب الخديوي من السلامك وامر باحضار عرابي فحضر على جواده مشهراً سيفه وحوله ضباط السواري فامرهم باغماد السيف والترجل وابعاد الضباط فنعمل

فقال الخديوي الم اك سيدك ومولاك  
 » عراي نعم  
 » الخديوي الم ارقك الى رتبة الميرالاي  
 » عراي نعم ولكن بعد ترقية نحو الاربعماية  
 » الخديوي وما هي اسباب حضورك بالجند الى هنا  
 » عراي لنوال طلبات عادلة  
 » الخديوي وما هي هذه الطلبات  
 » عراي هي اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة  
 عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية  
 الجديد وعزل شيخ الاسلام  
 » الخديوي كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية  
 فكف عراي واشارت القناصل على الخديوي ان ينقلب الى داخل .  
 ثم قال فنصل انكثرا الى عراي بالنيابة عن الجناب الخديوي « ان اسقاط  
 الوزارة من خصائص الخديوي وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات  
 الامة ولا وجه لزيادة الجيش لان البلاد في طمأنينة فضلاً عن ان مالية  
 البلاد لا تساعد على ذلك اما التصديق على القانون فسينفذ بعد اطلاع  
 الوزراء عليه اما عزل شيخ الاسلام فلا بد من استاده على اسباب »  
 فاجاب عراي . اعلم يا حضرة القنصل ان طلباتي المتعلقة بالاهالي  
 لم اقدم عليها الا لانهم انا بوني في تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر لانهم  
 اخوتهم واولادهم فهم القوة التي ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالمنفعة .  
 واعلم اننا لا نتنازل عن هذه الطلبات ولا نبرح من هذا المكان ما لم تنفذ  
 القنصل . اذا تريد تنفيذ اقتراحاتك بالقوة الامر الذي يخشى منه  
 ضياع بلادكم  
 عراي . ذلك لا يكون ومن ذا الذي ينازعنا في اصلاح داخلينا

فاعلم اننا نقاومة اشد المقاومة الى ان نفنى عن آخرنا  
 الفئصل . وابن هذه القوة التي ستقاوم بها  
 عراي . في وسعي ان احشد في زمن يسير مليوناً من العساكر طوع  
 ارادتي

الفئصل . وماذا تفعل اذا لم تنل ما طلبت

عراي . اقول كلمة ثانية

الفئصل . وما هي

عراي . لا اقولها الا عند القنوط

ثم انقطعت المحادثات بين الفريقين نحواً من ثلاث ساعات تداول  
 الفئصل والخذوي اثناءها داخل السراي واستقر الرأي على اجابة  
 طلبات عراي وانفاذها تدريجياً لان بعضها يحتاج الى محاربة الباب العالي  
 فاصر عراي على تنزيل الوزارة قبل انصرافه فتزلت واستدعي شريف  
 باشا وبعد اللتيا والتي قبل بان يشكل وزارة جديدة بشرط ان يتعهد له  
 رؤساء الحزب العسكري بالامتنال لاوامره وان يقدم عمدة البلاد ضمانه  
 على ذلك فحصل ونشككت الوزارة وجعل محمود سامي ناظرًا للجهادية .  
 فاوز شريف باشا الى عراي ان يتوجه بالابو الى راس الوادي في  
 مديرية الشرقية والى عبد العال ان يسير بالابو الى دمياط فامثلا وسارا  
 الى حيث أمرا باحتفال عظيم وخطب عبد الله نديم محرر جريدة الطائف  
 وحسن الشمسي محرر جريدة المنيد في المحطة خطباً هنا ولبها الحزب الوطني  
 على فوزه

ولما استقر عراي في رأس الوادي جعل يقول في انحاء المديرية  
 بيت مبادية في نفوس عمدة البلاد ومشايخ العربان فاستدعته الحكومة الى  
 العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ووظيفة وكيل نظارة الجهادية فقبل  
 الثانية ورفض الاولى ليبقى الالاي في عهده . ولما استوى على منصبه

الجديد جعل يعقد المحافل في منزله علانية وتوسط بالعفو عن حسن موسى العفاد احد تجار المحروسة وكان مبعداً في السودان فاجابة الجناب الخديوي الى ذلك ثم سعى الى عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامباني

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨هـ (٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات الجهادية يوم حادثة عابدين تحوي على قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون المستودعين وقانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها وقانون القواعد الاساسية في المنظمات العسكرية وقانون الترتي وقانون الضائم والامتيازات والاعانة العسكرية . وبعد التصديق عليها جاء الى شريف باشا وفد جهادي وقدموا له الشكر على اعنائه بمطالبهم وبينوا ارتياحهم الى وزارته واكسوا له اخلاصهم

وفي ١١ ذي القعدة او ٤ اكتوبر (ت ١) من تلك السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب مجلس النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مديلاً بالف وسمائة توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي ومن مقتضى تلك اللائحة ان يكون النواب واحد او اثنين من كل قسم من اقسام المديرية و٢ من مصر و٢ من الاسكندرية وواحد من دمياط على شروط المذكورة في اللائحة . ووزعت نظارة الداخلية منشورات بشأن ذلك في المديريات

وفي ١٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٨هـ او ١٠ اكتوبر (ت ١) ١٨٨١ م وصل الى الاسكندرية وفد عثماني وهو عبارة عن لجنة مخصوصة مبعوثة من الاستانة بامر الجناب السلطاني مؤلفة من نظامي باشا وراضي باشا وعلي فواد بك وصفر افندي فاستقبلوا في الاسكندرية وفي يوم وصولهم قدموا العاصمة فانزلهم الجناب الخديوي في قصر التزهة في شوبرا وفي اليوم التالي

ساروا لمقابلة سموه في سراي الاسماعيليه وبلغوه رضى الجنب السلطاني عما توجهت اليه هم الحضرة الخديوية من تحسين الاحوال وحفظ النظام وان حضور هذا الوفد انما هو عنوان ما للذات الملوكة من الاعتماد وشدة الوثوق بحضرة الخديوي المعظم وان المنقصد الاول من حضورهم انما هو تأييد نفوذهم وتعزيز موقعه وثبيت مركزه فشكر سموه لتعطفات الحضرة السلطانية وابتهل الى الله تعالى بدوام بقائها . ثم قاموا وانصرفوا وبعد يسير سار الجنب الخديوي لرد تلك الزيارة . ثم سار علي نظامي باشا لزيارة الاي قصر النيل فاحتفل به محمود سامي احفنا لا عظيما وبعد ان لاحظ نظامي باشا حركات الاي اثني على اميره . ثم زار شيخ الاسلام وتقيب الاشراف . واقام رجال الوفد في مصر بضعة عشر يوماً ادبت لهم فيها المآدب وكان الناس يرحبون بهم . ثم ظهر للوفد ان ليس في مصر ما يوجب الاضطراب فعادوا الى الاستانة راضين مقتنعين عن طريق الاسكندرية في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٩٨هـ (١٩ أكتوبر (ت ١) ١٨٨١م) ثم توجهت عناية شريف باشا الى تنظيم المحاكم الاهلية فانضرفت الانظار الى مشروع تنظيمها وفي ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٨هـ (١٧ نوفمبر (ت ٢) ١٨٨١م) صدر الامر العالي مؤذناً بذلك مع لائحة ترتيب المحاكم . وبتاريخه الغيت جريدتنا المحجاز ولجبت الاولى لانها طعنت في الاجانب والثانية لخروجهما عن الحد في التعبير عن الحضرة النبوية . وفيه انفذ الخديوي الى الاستانة وفداً مصرياً رداً للوفد العثماني الذي جاءه . وفيه انشئ صندوق للاذخار في ديوان الجهادية يجعل فيه من ماهيات الضباط خمسة في المائة يشتري بالمجموع قراطيس مالية وتضم الفائدة الى الاصل كل عام ويشتري بالمجموع قراطيس وهكذا . ومثل ذلك فعل مستخدم امانة السنية

وفي ١٩ محرم سنة ١٢٩٩هـ (٩ ديسمبر (ك ١) ١٨٨١م) صدر الامر

العالي بتولية العلامة الشيخ الامباري مشيخة الجامع الازهر بدلاً من الشيخ العباسي وقد تقدم ان عرابي كان ساعياً الى ذلك . وفيه طلبت نظارة الجهادية ان يزداد في ميزانيتها مبلغ ١٢٠ الف جنيه فاجيب طلبها رغماً عن امسك المالية عن اجابة مثل هذه الطلبات

وفي ٥ صفر سنة ١٢٩٩ هـ (٢٦ ديسمبر (ك ١) سنة ١٨٨١ م ) ثم انتخاب اعضاء مجلس النواب بمقتضى اللائحة التي اشير اليها فكان مؤلفاً من اثنين وثمانين عضواً اُقيم منهم المرحوم سلطان باشا رئيساً وعبدالله باشا فكري رئيساً للكتابة واعدت قاعة المجلس في ديوان الاشغال لتكون مقر انعقاده . وحضر تلك الجلسة الجناب الخديوي وقال المقالة الافتتاحية بين فيها شدة رغبته في تأليف ذلك المجلس وتنشيطه . وقال انه يرجو ان يكون مساعداً له في نشر العلوم والمعارف بين افراد الامة محطاً في خدمة المصالح . وحضر تلك الجلسة ايضاً جميع الوزراء ورجال الدولة فتكلم كل منهم حسب مقتضى المقام . ثم نظر المجلس في بعض الامور الداخلية وارفضت الجلسة . وعكف مجلس شورى النواب على الاهتمام بشؤونه فرتب اقلامه وانتخب رؤساءها ثم وجه التفاته على الخصوص الى اللائحة الاساسية الجديدة التي كان موعوداً من مجلس النظر بارسالها اليه لينظر فيها لان مجلس النواب افتتح بمقتضى اللائحة الشوروية القديمة

وفي ١١ صفر سنة ١٢٩٩ هـ (٢ يناير (ك ٢) سنة ١٨٨٢ م ) وقد شريف باشا على مجلس النواب لتقدم اللائحة الاساسية الجديدة التي اعدّها له فقدمها وخطب في ذلك خطاباً اثر في اذهان النواب وقد جاءت هذه اللائحة مشتملة على احكام حرة وحدود مطلقة يكون بمقتضاها للنواب حق النظر في القوانين والمصروفات العمومية وان لا يُنذ قانون ولا يُعتبر نظام ما لم يصادق عليه في مجلسهم مع الحرية التامة لهم في ابداء ارائهم . فتعينت لجنة من اعضاء المجلس لمراجعة هذه اللائحة . وبعد الاجتماع مات

عديدة قررت أكثر بنود اللائحة ووقع الخلاف بين النواب والنظار في شأن ما يتعلق بالميزانية من تلك اللائحة . وفي ٢٧ صفر من تلك السنة اعاد النواب اللائحة المذكورة الى النظار بعد ان بينوا ما يريدون تحويره فيها . فرأى النظار ان يغيروا شيئاً من تحويرات النواب فلم يقبل اولئك واصروا على التنفيذ تحويرات لجنّتهم . وفي ١١ ربيع اول سنة ١٢٩٩ هـ ( ٢١ يناير (ك ٢) ١٨٨٢ م ) اعاد النظار اللائحة الى النواب مرفوقة بافادة مفادها ان وكيلي الدولتين فرنسا وانكلترا يريان ان لا حق لمجلس النواب في تقرير الميزانية ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة في هذا الشأن بشرط ان يستقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود اللائحة . وبناء على ذلك نطلب الحكومة من النواب تصديقهم على اللائحة مع اغفال ما يتعلق بالميزانية لئلا يعطي النواب رأيهم النهائي فيه . فنظر النواب في تلك الافادة عدة ساعات ففروا احالنها الى اللجنة التي كانت مكلفة بتنقيح اللائحة وطلبوا اليها اعادة النظر في التعديلات التي أدخلها مجلس النظار فصدقت على بعضها ورفضت البعض الآخر وادخلت على البند المتعلق بالميزانية تعديلاً على مقتضى ما ارادت . وقررت في الوقت نفسه عدم قبول تداخل القنصلين في ذلك الامر

وفي يوم الخميس ١٢ ربيع اول ( ٢ فبراير « شباط » ) سارت لجنة مؤلفة من ١٥ نائباً الى الجناب الخديوي يطلبون تنفيذ ما قرروه او استعفاء الوزارة فوعدم سموه الى صباح السبت وانصرفوا فتقابل مع شريف باشا بحضور القنصلين فاصر شريف باشا على رأيه واستغنى للحال فاستدعى الجناب الخديوي لجنة النواب وكنّتها ان تختار رئيساً للوزارة فقالوا ان ذلك من حقوق الجناب الخديوي فالح عليهم فامتنعوا ولكنهم قالوا نريد وزارة تنفذ لائحتنا فاخترنا لم محمود سامي وقلده منصب الوزارة وعهد اليه تشكيل وزارة جديدة فشكلها وجعل احمد عرابي ناظرًا للمجاهدية .

فسر الحزب الوطني بذلك كل السرور ووردت له النهائي من سائر القطر من وطنيين واجانب واقام النواب احتفالاً لنوزم . وفي ١٥ ربيع اول او ١ فبراير « شباط » اجتمع ضباط الجهادية من رتبة الصاغفول آغاسي فما فوق ومثلوا بين يدي الجناب الخديوي للشكر واطهار الطاعة فشكرهم سموه وخاطبهم بما شئت عن حبه لاصلاح البلاد . وفي ١٩ ربيع اول حضر محمود سامي الى مجلس النظار فقبل بالتعظيم والتكريم وسر النواب بنفوذ رأيهم فخطب فيهم ونشطهم واقر لهم على اللاتحة كما حوروها . فلما علم الناس بالتصديق على لاتحة النواب اقاموا الاحتفالات في مصر والاسكندرية سروراً بنوز الحزب الوطني واصبح الجهاديون القوة المتسلطة في البلاد والهم بوجه الفناء كأن تلك المنى قد أدركت بمساعيمهم

ولما جلس عرابي على مسند نظارة الحرية والجمرية أحسن عليه وعلى عبد العال برتبة لواء « باشا » ثم سعى الى ترقية كثيرين من رفاقه الضباط وقرر قانون الضمان والمعاشات بصفة جمعت القلوب على ولائه . وتخلصاً من الحزب الشركسي الذي كان لا يزال متخلاً الجهادية شكل لجنة لفرض الضباط المستودعين ففرزت نحو السماية منهم وأكثرهم من الاتراك والشراكسة فاصبحت الجهادية وطنية محضة . وذكرت جرائد اوربا ان ذلك ان الحزب الوطني وفي مقدمته عرابي كان ينهدد مجلس النواب ويتوعد بالسو اذا لم يسر على غرضه فنشر رئيس المجلس المذكور في الجريدة الرسمية ما ينفي تلك التهمة . ثم تخصصت جريدة الطائف لنشر محاضر مجلس النواب والتكلم بافكار اعضائه والدفاع عنهم . وفي اواسط ربيع آخر او مارس « اذار » استعفى بلينيار احد المراقبين الماليين فعين بدلاً منه الموسيو برديف . وفي ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٦ مارس « اذار » سنة ١٨٨٢ م انتض مجلس النواب من اعماله لتلك السنة وقد قرر فيها (١) القانون الاساسي (٢) لاتحة الداخلية

(٢) لأئحة الانتخاب (٤) أموراً أخرى مهمة . وقد نقرر في لأئحة الانتخاب ثبوت حق الانتخاب والنيابة معاً لأي من كان من رعايا الحكومة سواء كان مولوداً في القطر المصري أو مقبلاً فيه منذ عشر سنين . ولما ودع النواب الجناب الخديوي سلم سموه كلاً منهم أمراً مؤذناً بتعيينه عضواً في المجلس المشار إليه الى خمس سنوات

ثم بلغ عرابي ان بعض ضباط الشراكة المتأهين للسفر الى السودان تكلموا بشأنه بما لا يليق وان في عزمهم الكيد به فامر بالقبض عليهم فقبض على اربعين منهم وفي جملتهم عثمان باشا رفيق ناظر الجهادية سابقاً وادعهم السجن في قصر النيل وعاملهم بالنسوة والغلظ . ثم تشكل مجلس حربي لهاكمتهم برئاسة راشد باشا الشركسي فصدر الحكم عليهم بالنفي الى اقاصي السودان ثم خفف الجناب الخديوي هذا الحكم الى الابعاد عن القطر المصري . وبعد صدور ذلك الامر وقع الخلاف بين الخديوي والنظار في هذا الشأن فاجتمع النظار في ١١ مايو « ايار » اجتماعاً طويلاً حضر اثناءه وكلاء الدول وسألوا النظار عن حال الاوربيين في القطر المصري وعما اذا كان يتوعدم خطر فاكسوا لهم ان لا شيء في الامر من مثل ذلك

ثم بعث النظار يستقدمون النواب من بلادهم للاجتماع والنظر في امر ذلك الخلاف فاجتمعوا وحاولوا اصلاح الخلاف فلم ينوزوا وسار وفد منهم الى الجناب الخديوي برجونه اجابة سؤلهم فاجابهم آسفا لعدم امكانه ذلك فعادوا واخبروا بما كان فتعينت لجنة ثانية في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩هـ او ١٤ مايو « ايار » ١٨٨٢م لتعرض على سموه قبول الاقتراح بشرط ان يتزل رئيس النظار فقط وان يجعل مكانه مصطفى باشا فهمي فتوجهوا وعرضوا ذلك على سموه فقبل بعد التردد . فساروا الى مصطفى باشا فهمي بسألونه اذا كان يقبل تلك الرئاسة فابي

فعمادت المسألة الى مركزها الاول بل زادت تجسماً فوقفت حركة الاعمال وبانت العيون شاخصة الى ما سيكون . واجتهد سلطان باشا الى توفيق ذلك الخلاف بكل طريقة ممكنة وساعده ناظر المعارف وناظر الاوقاف فلم ينجح . وبيناهم في ذلك ورد تلغراف من لندرا مني بصدور الامر الى الاسطول الانكليزي الراسي في بحر المانش ان يتأهب ليسافر في ٢٨ مايو الى البحر المتوسط فاجس الناس خيفة

وما زال النواب يسعون الى حل ذلك المشكل بدون نتيجة فاستدعوا العلماء والوجهاء لعقد اجتماع عمومي يتخابرون فيه ويتشاورون في كيفية حله . فاجتمعوا في ٢٧ جمادى الآخرة او ١٥ مايو « ايار » وسارت منهم لجنة الى الجناب الخديوي وما زالوا يستعطفونه حتى وافقهم على ما ارادوا مع استبقاء الوزارة . وفي اليوم التالي سار النظار الى دواوينهم وبعثوا الى الجهات يبشرون بزوال الخلاف الا ان الهواجس لم تهدأ تماماً . ثم كثرت الاشاعات عن قرب وصول الاسطول الانكليزي واسطول آخر فرنساوي فازداد الاضطراب وتلونت الاقوابل . ثم ورد تلغراف من اكريت بنى بخرج الاسطول فرنساوي منها قاصداً ثغر الاسكندرية وان الانكليزي باق فيها ينتظر قدوم الاسطول العثماني فيأتي الاثنان في وقت واحد وينضمّان الى الاسطول فرنساوي

وفي مساء الجمعة غرق رجب او ١٩ مايو « ايار » وفدت على ميناء الاسكندرية دارعة انكليزية وفي الصباح التالي دارعتان اخريان وثلاث دوارع فرنساوية فاطلقت المدافع للسلام كالعادة . ثم جعلت البواخر تترد الى ذلك الثغر حتى تكامل الاسطولان ولم يكن معها اسطول عثماني فكثير نقول الناس في سبب قدوم هذه العمارات على هذه الصورة . ثم اشيع ان قدومها كان بوافق مع الباب العالي وبارتياح الدول عموماً بشرط ان تسرع بعد انتهاء المشاكل الى الانسحاب

وفي ٧ رجب أو ٢٥ مايو « ايار » قدم فصلا انكلترا وفرنسا بلاغاً  
 نهائياً من دولتيهما تطلبان فيه سقوط الوزارة وخروج عرابي من القصر  
 المصري بان نضمنا له حفظ رتبته ورواتبه ونياشيته وابعاد عبد العال حلي  
 وعلي فهمي الى الارباف في جهات لا يخرجان منها مع حفظ رتبهما ورواتبهما  
 ونياشيتهما وان الدولتين عازمتان على تنفيذ كل ذلك وهما تكلنان المحاب  
 الخديوي ان يصدر عنواً عاماً على جميع الذين لم دخل في المسألة . فرفض  
 النظار هذا البلاغ ولم يجيبوا عليه بدعوى قولهم « ان لا علاقة للدول  
 الاوربية معنا فاذا شئن فليخبرن الاستانة اما نحن فاننا مستعدون للمقاومة »  
 فاخذ سلطان باشا يسعى الى التوفيق فحبط مسعاه . وفي ٨ رجب ان  
 ٢٦ مايو « ايار » استعفت الوزارة بحجة على بلاغ الدولتين وطلباتها  
 فكلف شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فاني واصر على الاباء فاطلعة  
 فنصل فرنسا على تلغراف وارد اليه من وزارة فرنسا ونصه  
 « الامل ان يقبل شريف باشا رئاسة الوزارة واكدوا له اننا نعضد  
 ونؤيده بكل جهدنا » فلم يقنع ذلك واصر على الرفض

ثم عقدت جلسة عند المحاب الخديوي حضرها بعض رؤساء الجهادية  
 وفي مقدمتهم طلبة عصمت فقال شريف باشا انه يقبل ان يشكل وزارة  
 جديدة بشرط ان تنفذ الجهادية ما كل طلبات الدولتين فقال طلبة  
 « نحن مطيعون انما يستحيل علينا تنفيذها ولا حق للدولتين بطلب ذلك  
 لان هذه المسائل من اختصاص الباب العالي » قال ذلك وخرج فتبعه  
 الضباط . وبتاريخه ورد تلغراف من راس التين بالاسكندرية ان العساكر  
 هناك لا يقبلون غير عرابي ناظرآ عليهم وانهم اذا مضت ١٢ ساعة ولم  
 يرجع الى منصبه لا يكونون مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه فزاد  
 الاشكال والاضطراب فتمكن شريف باشا وغيره من اصرارهم على رفض  
 تشكيل وزارة جديدة . وعند الغروب اجتمع النواب ورؤسهم وحضر

عراي وجعل بخطب فيهم وخطب ايضاً عبد العال وغيره يطلبون تنازل الخديوي فتفانم الخطب فارسل الجناب الخديوي بخبر الباب العالي ان الجند غير راضين عن استعفاء الوزارة وانهم اقاموا الحجّة على طلب الدولتين . فاجابة ان الحضرة السلطانية امرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذا الامر . فامر الجناب الخديوي ان يرجع عراي الى مركزه مؤقتاً للتأمين على الاجانب لئلا يصل الوفد العثماني فسرّ الجند بذلك . وبعث عراي منشوراً الى قناصل الدول بضمن لم تأيد الامن لجميع سكان القطر المصري من وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين وفي الوقت عينه اقترح ثلاثة امور

(١) اعادة لائحة الدولتين وانحساب اسطولهما

(٢) وضع قانون اساسي تبين فيه حدود كل من الجناب الخديوي

وزرائه

(٣) قطع المخابرات والالعلاقات تراً مع الدولتين ومع سائر الدول

الابواسطة الدولة العثمانية

ثم عمل العرايون على خلع الخديوي وتولية البرنس حلیم باشا وكثيراً ما كانوا يصرحون بذلك في مجالسهم . ثم صرفوا الهمة الى الامة والتعصين كأنهم يتوقعون قتالاً فصرّح المستر غلادستون وزير انكلترا اذ ذلك ان دولته تريد ان تؤيد كلمة الجناب الخديوي توفيق باشا لما اظهر من ادلة الصداقة والاخلاص . وفي ٢٠ رجب او ٧ يونيو (حزيران) وصل الى نهر الاسكندرية اليخت الشاهاني بقل درويش باشا المعتمد العثماني فسار تراً الى العاصمة للنظر فيما هو واقع بين الخديوي وجنك

« حادثة ١١ يونيو (حزيران) »

وما انقضى شهر مايو حتى بلغ الاضطراب والقلق من ساكني مصر مبلغاً عظيماً فكثرت الاشاعات وزادت بواعث الایحاس فتزع التزلاء

الاجانب الى الجلاء والمهاجرة الى اوربا خوفاً من امر يأتي او فراراً من  
 بلاء محسوب . فاصبحت الاسكندرية ملجأ للوافدين من جالية الريف  
 على امل ان يكونوا فيها آمنين غوائل التعدي لكثرة من فيها من الاجانب  
 او بالحري احباء بحوار الاسطوليين الانكليزي والفرنساوي  
 ثم احسن الاجانب فيها ان سفلة الاهالي ومعظم الجهاديين قد اغلظوا  
 في معاملاتهم واستبدوا في امورهم فكانوا يخطرون في الازقة تبها يمتنون  
 الرقيق ويستعبدون الوضع ثم لاح لهم ان اولئك الاجانب يريدون بهم  
 سراً فجعلوا يتوقعون منهم ما يتذرعون به الى الوقعة بهم توهماً منهم ان  
 اولئك من الدلاء لوطنهم . فعلم الاجانب بتلك المفاصد فجعلوا  
 يتأهبون سراً للدفاع بما امكنهم من اقتناء الاسلحة والرجال واخنائهم في  
 منازلهم واستشاروا اميري الاسطوليين فوافقهم ثم عرضوا الامر على القناصل  
 الجزرية في القاهرة بواسطة مندوب مخصوص فانكروا عليهم ذلك فلبثوا  
 يتوقعون المقدور

اما اهل التنتة فادركوا تحذر الاجانب منهم فتموا بهم في ٢٤ رجب  
 او ١١ يونيو وابتدأوا التنتة بخصام بين حمار ومالطي انصلوا منها الى  
 الغارة على البيوت والمنازل والفنك بكل من مروا به في السبل فلم تكن  
 ترى الا اخلاطاً من السفلة بين صعيدي وسوداني وبدوي وفيهم الحارة  
 والمحالون وامثالهم يهجمون جماعات على من لقوه في طريقهم فقتلوا نحواً من  
 ٢٠٠ نفس وقتل منهم نحو هذا العدد . كل ذلك والاسطولان لم يجركا  
 ساكناً ومارض ما مور الضابطة المدعو السيد قنديل ولم يتزل يومئذ الى  
 المدينة وجرح في هذه الموقعة عدد كبير من كبار الاجانب وفيهم قنصل  
 اليونان والمستر كوكسون قنصل انكلترا في الاسكندرية وقنصل ايطاليا وفس  
 قنصلها وقنصل الروسية وكثيرون غيرهم . فامر محافظ الاسكندرية ( عمر  
 باشا لطفي ) الاميرالاي سليمان داود ان يبعث الجند لابقاف الاهالي

ومنعم من ارتكاب تلك الفظائع . فاجاب انه لا يستطيع ذلك الا بعد ان ياتيه امر من عرابي فجاهه الامر نحو الساعة الخامسة بعد الظهر فسار الجند والحفاظ امامهم ساعياً على قدميه يسكنون الخواطر وينادون باعادة الراحة فرأوا المخازن قد نهبت والارزاق قد تبعثت على قارعة الطرق وعند الغروب هدأت الغوغاء وكف الناس فدخل كل منزلة وانقضى الليل ولم يحدث شيء . وفي اليوم التالي كثر عدد المهاجرين بحراً حتى خيل للناس انه لم يبق في المدينة احد من الاجانب فتزل من المدينة في يوم واحد نحو من عشرة آلاف وتفرقوا في السفن . كل ذلك خوفاً مما كانوا يخشون حدوثه من مثل ما قاسوه . وانصلت هذه الاخبار بالداخلية فانتشر الاضطراب وعمت البلوى ونقاطر الناس من سائر الاقطار الداخلية الى السواحل يطلبون الفرار كما فعل الاسكندرانيون واستمرت الحال على ذلك بضعة ايام حتى كاد يخلو الفطر من النزلاء . وقد عدل بعضهم عدد من هاجر في تلك المدة فبلغ زهاء مائة وخمسين الفاً . فنقلت الحوانيت وبطلت المعاملات ولم يبق في البلد شغل الا لارباب العربات واصحاب الصنادل وادارات البابورات والسكة الحديدية وما شاكل

«عود»

ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالعاصمة اضطرب اهلهما وفي صباح ١٢ يونين خاطب القناصل درويش باشا معتمد الحضرة السلطانية بكلام عييف وسألوه ان يتخذ التدابير الفعالة لصيانة الاوربيين واموالهم في جميع انحاء الفطر فعقد مجلساً في عابدين حضره الجناب الخديوي ودرويش باشا ومن معه وشريف باشا ووكلاء الدول العظمى السياسيون وبعد المذاكرة اقرروا ان تعطى للقناصل ضمانات اكدية تكفل اعادة الامن والحفاظة على ارواح الاوربيين واموالهم ومن اخص هذه الضمانات ان يمثل عرابي لاي الامر التي تصدر له من الخديوي فدعي وشغل فاجاب بالقبول ونهده

باجراء ما يضمن الراحة واخذ درويش باشا على نفسه تبعة تنفيذ الاوامر الخديوية بمعنى ان يكون مشتركاً مع عراي ومسئولاً معه في تنفيذ تلك الاوامر فرضي وكلاء الدول بذلك وانصرفوا واخذ عراي بهم قبالاً بتعمده فنشر المنشورات بمنع الاجتماعات وابطال كل ما يوجب الارتياح . وكانت قد تعينت لجنة بامر الجنب الخديوي للنظر في امر حادثة الاسكندرية تحت رئاسة عمر باشا لطفي محافظها وفيها مندوبو القناصل فاجتمعت اللجنة في الاسكندرية وباشرت اعمالها وقررت ما خيل لها انها تدابير فعالة لاعادة الامنية

وفي ٢٦ رجب او ١٢ يونيو (حزيران) وصل سمو الخديوي الى الاسكندرية بصحبة درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية فصنّت لها الجنود من المحطة الى سراي راس التين وأطلقت المدافع تحية لها ثم زار قناصل الدول الاقصدلا انكلترا وفرنسا فانها بقيا في مصر فابدى لهم اسفه الشديد لما حدث ووعدهم بصرف العناية الى اخماد الفتنة وخطابهم درويش باشا ايضاً بمثل ذلك وزاد عليه انه واثق الثقة التامة باخلاص الجهادية . الا ان الخديوي اسر الى المستركولفن المراقب العمومي الانكليزي انه غير واثق باستمرار الامن والراحة وانه يعتبر مهمة درويش باشا كانهما قد انتهت ولم تنلح وانه لا يرى بداً من محيي جنود عثمانية لاعادة الراحة . وكان في تلكات الاسكندرية نحو من ثمانية آلاف من الجنود بالاسلحة الكاملة ولديهم من المهمات ما يكفي خمسين الفاً

ثم بلغت القناصل رعاياها ان يتخذوا اقرب السبل للتجاة ما ربما يحدث فاورعت اليهم ان يهاجروا من المدينة فتناقلت الاسن هذه الاخبار فتأكد الناس ان الساعة آتية لا ريب فيها وعينت كل دولة من الدول الاجنبية سفناً لنقل رعاياها المهاجرين مجاناً فتسارع الفقراء من كل ناحية متقاطرين من مدن الداخلية والارياف الى الاسكندرية وبورت سعيد

حيث كانت تلك السفن معدة لنقلهم الى بلادهم . وكان المستر مالت  
 وكيل انكلترا السياسي لا يزال في العاصمة فجاءه امرٌ من لندرا بان يحضر  
 الى الاسكندرية ويرافق الخديوي حينما توجه فانها واتي معه المسيو  
 سنكوفينش وكيل فرنسا فخلت العاصمة من رجال السياسة وخلا جوؤها  
 لعرايي وجماعته واستفحل امرهم ولا سيما لما بلغهم من انقسام دول اوربا في  
 المسألة المصرية فظنوا انهم في مأمن من الاغتيال . ثم حسب التناصل ان  
 تغيير الوزارة يأتي بحل هذه المشكلة فاشاروا على الجناب الخديوي  
 بذلك فشكل وزارة جديدة تحت رئاسة اسماعيل راغب باشا وبقي  
 عرايي ناظرًا للجهادية والبحرية فكان رأي هذه الوزارة ان الطريقة  
 المثلى للملافاة الامران يصدر عنو عمومي وان يعلن في الجرائد الرسمية « ان  
 كل من عليه مسئولية او اشترك بالحوادث الاخيرة فعليهم العنق  
 الا المشتركين في حادثة الاسكندرية وهم تحت المحاكمة » فوافقها الجناب  
 الخديوي على ذلك . وفي ٥ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ او ٢١ يونيو (حزيران)  
 سنة ١٨٨٢ م بعث الجناب الخديوي منشورًا الى راغب باشا يطلب  
 اليه التحري الحسن في مسألة حادثة الاسكندرية فاجابه بتلبية الطلب  
 ثم جاءت الاخبار بعزم الدول على عقد مؤتمر في الاستانة لاجل  
 البحث في المسألة المصرية وتمتع الباب العالي من ذلك بدعوى ان  
 ليس في مصر ما يوجب الاضطراب اعتيادًا على تقارير درويش باشا  
 المرسله منه وكان ذلك ما شدد عزائم الحزب الوطني ولا سيما لما رآوا  
 الباب العالي وانقادهم بأي عقد مؤتمر دولي . وكان عرايي يوءكده  
 لاتباعه ان وجود هذه الاساطيل في ميناء الاسكندرية لا يخشى منه البتة  
 لانها انما انت هذا البحر للتنزه كما فعلت مرات عديدة قبل هذه . اما  
 انكلترا فلم تنفك ساعية الى عقد المؤتمر بدعوى انه يستعمل اعادة الامن  
 الى مصر بغير واسطة فعالة وكان الباب العالي يجيب على ذلك بقوله انه

بعد تشكيل الوزارة الجديدة صار يرجو استقرار السلام ووافقه على رأيه هذا دول المانيا واوستريا واطاليا والروسية وهذه الموافقة كانت مبنية على خوف الدول من مطامع انكلترا في مصر . فلما علمت هذه بنياتهم اكدت لم انها تتعهد متى عقد المؤتمر مع سائر الدول ألا تسعى البتة الى ضم ارض ما اليها او الاستيلاء على مصر او قسم منها او الحصول على امتياز ما سياسي او تجاري بدون ان يكون فيه نصيب لسائر الدول فوافقتها الجميع على عقد المؤتمر اما الدولة العلية فاصرت على عدم لزومها

وفي ٧ شعبان او ٢٤ يونيو «حزيران» عقد المؤتمر في الاستانة ولم يكن للدولة العلية معتمد فيه فقرر ما يأتي مضمناً من سائر المعتمدين . « ان الحكومات التي وقع وكلائها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتوكول تتعهد انها لا تقصد البتة اغتنام ارض ما ولا الحصول على امتيازات ما ولا ان يكون لرعاياها من الامتيازات التجريبية ولا يستطيع ان ينال غيرهم من رعايا ابي الدول في مصر وذلك في اي مسألة حصل التوافق عليها بسعيها واشترآكها في الخبرات لتنظيم امور تلك البلاد » . وقد كانت انكلترا اثناء سعيها الى عقد المؤتمر تحشد الجنود استعداداً للحرب مدعية ان تلك الاستعدادات انما هي من قبيل التهديد لعرايي وكانت في الوقت عينه تلح على سائر الدول ان تساعدوا في ذلك . اما دول اوربا فكانت شديدة الحذر من انفراد انكلترا في المسألة المصرية لكنها لم تكن تستطيع معارضتها بالعنف

وجاء في اثناء ذلك الى عرايي نيشان من لدن الحضرة السلطانية فانغذت الناس ذريعة الى اثبات رضا الباب العالي عن اعماله وكان هو يحاول اقناعهم ان جميع الدول تساعد على مقاومة انكلترا اذا مست الحاجة . وفي ٥ شعبان او ٢٢ يونيو «حزيران» تمارض المستر مالت وكيل انكلترا فأنزل الى احدى السفن وبقي فيها بضعة ايام ثم سافر الى

برندزي . وفي ٢٥ منه نعى المستر كوكسن فنصل انكلترا في الاسكندرية  
 بد عوى مرضه بسبب الجراح التي كان قد اصيب بها اثناء حادثة ١١ يونيو  
 وهكذا افعل فنصل مصر اما باقي القناصل فبقوا في الاسكندرية الى ٦  
 يوليو . وكان الخديوي ودرويش باشا مقببين في سراي راس التين وعراي  
 مقبياً في الترسحانة ونحت امره في ثغر الاسكندرية تسعة آلاف مقاتل  
 وفي جلسة المؤتمر السابعة اقر الدول على كتابة لائحة مشتركة  
 يقدمونها الى الباب العالي يطلبون منه ارسال جنود عثمانية الى مصر  
 لاصحاح الفتنة فعملوا فالي . فاتخذت انكلترا ذلك ذريعة لتدخلها بالقوة  
 وكان به نجاح سياستها فاخذ الاميرال سيمور قومندان العارة الانكليزية  
 بتفعل سبباً ولو طفيفاً لمباشرة الة دوان فادعى ان الجهادية يحصنون القلاع  
 في الثغر وينقلون احجاراً ضخمة يدفونها عند قم المضيق وان القصد بها  
 سد مدخل المينا فيمنع المدد ويحصر الاسطول وقال ان هذا التحصين  
 منافع لحنوقه فكلف الحكومة المصرية ان تكف عن تقوية الاستحكامات  
 حالاً والاضطرته الحال الى اطلاق مدافعها عليها فبدكها عن آخرها .  
 فاجابه طلبة باشا عصمت ان لا صحة لما يقول وان الجهادية لم يهتموا قط  
 بتحصين القلاع . وشاع ذلك فخافت الناس واوعز الى الجناب الخديوي  
 بواسطة المستر كولفن ان يتخى صيانة لجبانه فاجابه « لا يلبق بي ان اترك  
 الكثيرين من رعييتي الامناء في اوان الشدة ولا يلبق بي ايضاً ان اترك البلاد  
 في اوان الحرب » ثم توسطت قناصل الدول في الاسكندرية بين الاميرال  
 سيمور وبين الجهادية المصرية فلم يتجملوا . فسعى عراي وسامي الى كاتب  
 سر مجلس النظار وطلبوا اليه ان يكتب تقريراً في المسألة مفاده « ان  
 الاميرال تجاوز الحدود فيما يطلب وانه لا بد من مقاومته وان عراي وقومه  
 مفوضون في امر الدفاع عن البلاد » وداروا به على منازل النظار وطلبوا  
 التوقيع عليه فوق بعض اختياراً والبعض اضطراراً ويقال ان الخديوي

نفسه صدق عليه او المحي للتصديق ثم ارسلوه الى الاميرال سيمور وارسل  
عراي منشوراً الى المدراء يطلب اليهم ان يكونوا مستعدين للامداد  
بالمجندين والمال

وفي مساء ٢٢ شعبان او ٩ يوليو «تموز» جاء المستر كارتر ايت الى  
الخديوي واعلنه رسمياً عن عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح  
الثلاثاء في ١١ يوليو «تموز» والح عليه ان يترك سراي راس التين ويلجأ  
الى سراي الرمل ففعل ثم حرر رسمياً الى درويش باشا يطلب اليه ان  
يحافظ على حياة الجناب الخديوي والتي عليه التبعة اذا أصيب بسوء

وفي ٢٢ شعبان او ١٠ يوليو «تموز» ارسل الاميرال سيمور كتابات  
رسمية الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة يعلمها عن  
خروج رجال الوكالة الانكليزية من القطر المصري اشارة الى قطع العلائق  
الودية واعلنت خارجية انكلترا سائر الدول بذلك بدعوى «انها لم تر  
بداً من ذلك غير انها مع ذلك تصرح ان ليس لها ارب خفي او نية غير  
بيئة وانما عملها هذا من قبيل الدفاع وحرصاً على مصلحة الجناب الشاهاني»  
وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنسي متفهراً تاركاً سفينتين  
من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ  
او ١١ يوليو «تموز» ١٨٨٢ م اطلقت العارة الانكليزية مدافعها على  
حصون الاسكندرية وما زالت الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر فهدمت  
معظمها وانفجر مستودع البارود في قلعة أطه . فحاج راغب باشا الى الجناب  
الخديوي في الرمل واخبره ان الحصون قاومت اشد المقاومة وان كثيراً  
من سفن الانكليز قد غرقت وكان يقول ذلك مسروراً ولكن قوله هذا  
ما لبث ان نفى بورود الخبر الصحيح . ثم جاء عراي فوقف بين يدي سموه  
فسأله عن حالة الحصون فقال «لم يعد في وسعنا المقاومة ولا بد لنا من

تدابير اخرى اوان تتماهل مع الاميرال» وبعد المخاطرة بقرار ارسال طلبه عصمت الى الاميرال وعاد عرابي من حيث اتى . فعاد طلبه باشا من عند الاميرال واخبر الجناب الخديوي ان الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلع والأيسر نف القتال الساعة ٢ بعد الظهر . ثم قال « ولكني قلت لك ان هذه المدة لا تكفي لانمام المخاطرة بشأن ذلك فطلبت تطويلها فاني فانيت لاعلم سموكم ملتصقا رأيكم» فعقد مجلس تقرر فيه انه لا يحق للحكومة المصرية الترخيص في احتلال جنود اجنبية بدون مخاطرة الباب العالي الا ان الوقت لم يسمح بتبليغ ذلك الفرار للاميرال

ولما رأى رجال الحصون المصرية عدم استطاعتهم مقاومة السفن الانكليزية رفعوا العلم الابيض اشارة الى ايقاف العدوان فانقطعت السفن عن قذف النار وكانت الحصون قد تهدمت فعلم الثائرون ان ذلك التسليم يعقبة احتلال الجيوش الانكليزية المدينة فوزعوا في غلس ١٢ يوليو « تموز » فرساناً في احياء المدينة بأمر من الوطنيين بالخروج من الاسكندرية على الثور وكانت هذه الاوامر تصدر من الاميرالاي سليمان داود وامر ايضاً زمرّاً من الرعاع ان تطوف المدينة وتحرقها فابتدأوا من الساعة الاولى بعد الظهر فكانت الاسكندرية مساء الاربعاء مضطربة الجوانب منهوبة المخازن لا ترى فيها الا الهباء متصاعدة واناساً حاملين الامتعة والمصاغ فارّين الى داخلية البلاد

وكان الخديوي في سراي الرمل وبمعيته عثمان باشا واسماعيل باشا الشركسيان وزبير باشا السوداني والجنرال ستون باشا وفدر يكو بك وطونينو بك ودي مارتينو بك واباتي بك وتيكران باشا وزهراب بك « اليوم زهراب باشا » وغيرهم لا يزيد عدد الجميع عن الخمسين . وبعد ظهيرة ذلك اليوم جاء الى سراي الرمل نحو اربعمائة فارس وبعض المشاة واحناطوا بها فستلوا عن الغاية من مجيئهم فقالوا « قد اتينا للمحافظة على

السراي» والحقيقة انهم جاءوا مأمورين باحراقها وقتل من يخرج منها وفي الساعة ٧ مساءً بعث عرابي يستدعيهم اليه فصاروا يتخلف منهم احد البكباشية ومعه ٢٥٠ فارساً فنزل بين يدي الجناب الخديوي واقسم انه يموت بين يديه واقندي رجاله به واخبره انهم كانوا قد اتوا يريدون شراً . وفي خلال ذلك ارسل الاميرال سيمور ثلاث دوارع من اسطوله لترسو بجوار سراي الرمل صيانة لحياة الحضرة الخديوية ويقال انها هي التي كانت السبب في انسحاب الفرسان العرايين . ثم جاء المحافظ الى الخديوي يخبره بما كان من النهب والحرق في احياء المدينة فارسل سموه كامل باشا الشركسي وبرفته زبير باشا ليمعوا الناس من ذلك

ونحو الساعة ٢ ١/٢ بعد ظهر ٢٦ شعبان او ١٢ يوليو ( تموز ) كانت جنود عرابي قد اتجلت عن الاسكندرية . فجاء زهراب بك بهذا النبا الى الخديوي وان الاميرال سيمور عازم على انزال جنود بحرية الى راس التين وانه يدعو الحضرة الخديوية الى سفينته حيث يكون آمنة ففضل سموه التوجه الى سراي راس التين فصار وبمعيته درويش باشا حتى جاء السراي فوجد هناك الاميرال سيمور وبعضاً من جنوده يتظرون في ساحة النصر . وفي المساء نزل بعض وكلاء الدول وهناك سموه بسلامته وكان في السراي ٢٠٠ من الحامية الانكليزية . وفي الصباح التالي انزل الاميرال فرقا اخرى من رجاله بطوفون الشوارع ومعهم عدد من المدافع تسكيناً لحواطر الباقين فيها

وقد قدرت الخسائر فبلغت نحو ستماية من الوطنيين وخمسة من الانكليز على الدوارع هذا فضلاً عن المذابح التي حصلت في اثناء ذلك في طنطا والمحلة الكبرى وسمنود وجهات اخرى . وبعد انتقال العائلة الخديوية الى راس التين استدعى الجناب الخديوي زهراب بك وجعله ترجماناً بين السراي والضباط الانكليز وعهد اليه ان يمنع ابا كان من

الدخول الى القصر لان العرايين كانوا قد عينوا نفراً من الجواسيس لاستطلاع حالة السراي . اما عرابي واتباعه ففروا الى كفر الدوار وعسكروا هناك على نية الدفاع

ولما استتب المقام للانكليزي في الاسكندرية جعلوا ينظرون في تنظيف الاسواق ونقل جثث القتلى ودعوا المهاجرين ان يعودوا الى منازلهم لاعادة الراحة والطاينة واستدعي اثناء ذلك درويش باشا الى الاستانة فتوجه . وحرر راغب باشا الى الاميرال سيمور يخبره ان اجراءات عرابي من الآن فصاعداً مخالفة لاوامر الخديوي وانه هو وحده ( عرابي ) المشول عنها

ثم كتب الجناب الخديوي الى احمد عرابي يأمره بالامساك عن جمع العساكر واعداد التجهيزات لان الحكومة الانكليزية لا خصومة بينها وبين الحكومة المصرية وانها مستعدة لتسليم المدينة متى رأت فيها قوة منتظمة والبلاد في أمن وامر ان يأتي الى سراي راس التين حالاً

فاجاب عرابي « ان مقاومة العمارة الانكليزية حصل باقرار مجلس النظار ودرويش باشا وان النظار هم الذين اعلنوا باقامة الحرب مع الانكليز وهكذا حصل فاذا كان الاميرال الآن قد عدل عن المحاربة الى المسالمة بعد وقوع الحرب فذلك يعد طلباً للصلح ولا يجوز ان يكون انكاراً للحرب » الى ان قال « انه يبيل الى الصلح ولكن مع حفظ شرف البلاد والحكومة فاذا كان الاميرال يريد تسليم المدينة فليسلمها ولتبارح مراكة مياه الاسكندرية وانه للمحافظة على شرف الحكومة الوطنية ينبغي الاستمرار على الاستعداد العسكري حتى تفارق المراكب السواحل المصرية وانه يعتبر قول الانكليز هذا مكيدة لان الاسكندرية ما برحت محنلة بالانكليز ولذلك لا يمكن الحضور اليها » ثم طلب التمام مجلس النظار في مركز الجيش للداوله في الامر وبعد ذلك بصرف الجيش ويحضر

فيظهر ان اصرار عرابي هذا هو السبب في اتساع الخرق لان الحكومة الانكليزية لم تكن تطمع باحتلال هذه البلاد على ما يظهر من اقوالها . وحرر عرابي الى وكيل الجهادية يعقوب سامي في القاهرة ابقاءً في الحضرة الخديوية وانتمها انها تتعامل على الجهادية الوطنية وانها هي التي جلبت كل هذه المتاعب الى النظر المصري ويطلب اليه ان يتروى في الامر وينظر في صلاحية هذا الواجب للتولية عليها او عدمه . فلما وصل تحرير عرابي هذا الى يعقوب سامي جمع اليه النواب والاعيان والرؤساء الروحانيين في ديوان الحرية في غرة رمضان سنة ١٢٩٦هـ (١٧ يوليو (تموز) ١٨٨٢ م) وعقدوا جلسة تحت رئاسة وكيل الداخلية قام فيها عدة خطباء انهموا الجناب الخديوي ببيع الوطن . واستنفر الرأي اخيراً على لزوم الاستمرار على اعداد التجهيزات الحربية وان تعين لجنة من ستة اشخاص يتوجهون الى الاسكندرية لاستدعاء النظار الى العاصمة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حصل . وبناء على ذلك التقرر سار الوفد فمرّ بكفر الدوار وتداول مع عرابي ورؤساء الجند فاخبر منه اثنان هما علي باشا مبارك واحمد بك السيوفي للتوجه الى الاسكندرية للغرض المتقدم ذكره . فوصل اليها وقابلا الجناب العالي صباح الاثنين في ٢٤ يوليو وعرضاً له الحالة فاصدر امراً عاليًا يقضي بعزل عرابي عن نظارة الجهادية واعلان ذلك في البلاد . ثم ارسل الى الباب العالي يخبره بعصيان عرابي وان الجند انحاز اليه وهو المسئول عنه

اما عرابي فلم يفتك عن اعداد المعدات والتحصين بمساعدة رفاقه فحاول سدّ ترعة الحمودية بجهة كفر الدوار فلم يفلح وجعل يشيع في البلاد ان الخديوي مشترك مع الانكليز على اضعاء البلاد الى غير ذلك اثاراً لخواطر الاهلين ولما وصل الامر بعزل عرابي الى العاصمة اجتمع المجلس المتقدم ذكره في نظارة الداخلية وقرروا بقاء عرابي للمدافعة عن الوطن

وابتغاف اوامر الخديوي بدعوى انه خرج عن قواعد الشرع الشريف .  
 واستولى العرابيون على الخطوط الحديدية والبرقية فجعل الاميرال  
 سيمور سلكاً تفرقياً بين الاسكندرية وبورت سعيد واعلن الخديوي  
 ثانية بعصيان عرابي . غير ان جميع هذه الاوامر والمنشورات كانت تذهب  
 ادراج الرياح لان الاهالي اصبحوا متفادين للحزب الوطني انقياداً امست  
 البلاد بؤآلة بيد زعيم الثورة بديرها كيف شاء .

ثم نزل العرابيون نحو الاسكندرية وعسكروا في الرملة فخرجت اليهم  
 فرقة من الانكليز في ٥ اوغسطس فلم تقو عليهم فتهقرت الى الاسكندرية  
 ثم عادت اليهم ثانية وقد تشددت فتهقر العرابيون ونحسوا بين ابي قير  
 وخطوط الرملة ثم تهقروا الى كفر الدوار فاعنبر الانكليز من ذلك  
 الحين حالتهم في مصر حالة حرية يحتاجون فيها الى الامداد فاستمدوا  
 انكليترا فامدتهم بقوات كانت تنوارد اليهم عن طريق السويس . اما عرابي  
 فكان في كفر الدوار في اربعة الايات من المشاة والاي من الفرسان  
 والاي من الطيحية وبطارية من مدافع الرش وكثير من العربان وقد  
 قدرت الجنود الانكليزية التي سارت لمحاربة عرابي فبلغت اربعة عشر  
 الفا من المشاة واربع فرق من الفرسان والالف من الطيحية معهم ٢٦ مدفعاً  
 ونحو ست فرق من المهندسين . ثم انضم الى هذه القوة بعد ذلك قوة هندية  
 مؤلفة من تسعة آلاف جندي ويقال بالاجمال ان جميع الحاميات  
 الانكليزية التي كانت في مالطا وقبرص وجبل طارق انضمت الى  
 حملة مصر

الآن كل هذه الاعدادات لم تكن لثني العرابيين عن عزمهم فان  
 عرابي حرر الى المدبرين بتاريخ ١٢ اوغسطس ان يجمعوا جنداً يبلغ  
 مجموعه ٢٥ الفا وطلب ان يكون فيهم الحفراء لانهم اقرب الناس الى  
 الحركات العسكرية تلبية لما تدعوه اليه الحالة من السرعة في حشد الجيوش

وفرض أيضاً على المدبرين أموالاً يجمعونها من الأهالي امداداً للحرب فلا  
 نسل عن الطرق التي كانوا يجمعون بها تلك النفود . واخذ في تقوية  
 الاستحكامات وتشييد الطوابي فبناها فيما بين ما فوق الرملة بأربعة  
 كيلومترات الى كفر الدوار وانشأ في كفر الدوار سداً عرضه ٢٠ متراً  
 وخذقاً عرضه أربعة امتار وجعله فاصلاً بين السد وارض أكثر فيها  
 من مواقع الاستحكام وكان الخط الدفاعي الاول ممتداً ما بعد الحجة بمسافة  
 الف متر على طول الخط الممتد من الرملة الى البيضة وجعل ما وراء هذا  
 الخط من المرتفعات والتلال مواقع محصنة الى كفر الدوار فكانت كلها  
 نحو ٥٠٠ موقع واتم مثل هذه الاعمال الدفاعية من كفر الدوار الى ابي  
 حمص ويوجد بين ابي حمص ودمهور تل ينضل سائر التلال مساحة  
 وارتفاعاً فاختره عرابي موقعاً يقيه من الانكليز اذا قضت عليه الحال  
 بالتقهير الى دمنهور وعزز دمنهور بالمدافع

وقد قام بين الوطنيين من افاضلهم من خطب فيهم او حرر لهم  
 ايضاحاً لما اتوه وياتونه من الاغلاط في سيرهم فلم يفتهموا بل كان يقوم من  
 بينهم من يخطب خطباً تهيجية مدحاً في عرابي ومشرعائه . وكان عرابي  
 اثناء قيامه بالاعمال الحربية معتمداً على مساعدة الباب العالي في مشروعه  
 ولكن خاب املة اثر صدور المنشورات الخديوية واتصال الخبر به ان  
 النوم في دار السعادة عدوه عاصياً ولم تمض مدة حتى تحقق ذلك الخبر  
 بمنشور اصدرة الباب العالي بعصيان عرابي واتباعه وجوب الرضوخ  
 لاوامر الجناب الخديوي

وفي اواسط اوجسطس وصل الجنرال السير وولسلي الى الاسكندرية  
 واستلم قيادة الجيش . ثم اخذت تتوارد القوات الانكليزية فبلغت في  
 اواخر الشهر المذكور نحو ٢٥ ألفاً وكان قدوم هذا القائد العظيم داعياً  
 لتيفن الناس بنور الحملة الانكليزية نظراً لما اشتهر به من البسالة والدرابة

العسكرية . وبعد وصوله الى الاسكندرية نشر اعلاناً مآله انه لم يأت الى مصر الا لتأييد سلطة الخديوي وهو لا يجارب الا الذين يخالفون اوامر ملك البلاد . ثم اخذت العساكر الانكليزية تستكشف مراكز العرايين في كل يوم فكانوا اذا ظفروا بشرذمة من العرايين ولقوا منها مقاومة قابلوها بقوة السلاح فتوَّى الادبار تاركة في ساحة القتال من جرح منها فيقتلون الى معسكره اما القتلى فكانوا يدفنونهم

وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٠ اغسطس (آب) ١٨٨٢ م حصلت بين الفريقين موقعة في كفر الدوار استمرت ساعتين وكان فيها عدد العرايين ضعفي عدد الانكليز وانجحت عن انهزام قسم عظيم من العرايين ونقلهم الى تل الوادي واحتل الانكليز بعض مواقع العصاة بعد ان قتلوا منهم ١٦٨ واسروا ٦٢ . وحصلت موقعة اخرى في اليوم التالي لم يفز بها احد الطرفين . اما في اليوم الثالث ٧ شوال فاقنتل الفريقان في كفر الدوار اقتتالا تعزز فيه جانب الانكليز بنجدة جاءتهم على قطار مخصوص فتكص العرايون وتربصوا تحت امرة طليعة عصمت في مواقعهم يتوقعون فرصة . وكان العرايون بعد كل موقعة يكتبون الى اخوانهم في العاصمة وغيرها انهم ظافرون . اما عرابي فذهب لتحصين التل الكبير في مديرية الشرقية

وبعث سير الاحوال وزارة راغب باشا على الاستعفاء فاستقدم الجناب الخديوي رياض باشا من اوربا حيث كان متغيباً فقدم في واسط اوغسطس وبعد قدموه دعا الخديوي شريف باشا الى تشكيل وزارة جديدة فلبى الدعوى وتعين رياض باشا ناظرًا للداخلية وعمر باشا لطني ناظرًا للجهادية

وارسل الانكليز فرقا من جيوشهم عن طريق الاسماعيلية ليقدموا مصر فاشتبكوا في ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٢ اغسطس سنة ١٨٨٢ م مع

العرايين بين المسخوطة والاسماعيلية وكان النوز للانكليز واستولى الانكليز  
 ايضاً على المحسمة فاصبحوا على عشرة اميال من التل الكبير وفي ٢٨  
 اوغسطس حصلت موقعة الفصاين بين المحسمة والتل الكبير . وفي ٢٩  
 شوال او ١٢ سبتمبر ( ايلول ) ورد للجناح الخديوي في الاسكندرية  
 تلغراف من سلطان باشا مني\* باستعداد الانكليز لمهاجمة التل الكبير  
 حيث تحصن العصاة ثم ورد تلغراف آخر من الاسماعيلية يعلن هجوم  
 الانكليز على التل من كل ناحية وصوب في الساعة الرابعة والدقيقة ٢٠  
 افرنجي بعد منتصف الليل وان العرايين لم يقفوا امام الانكليز الا ٢٠  
 دقيقة استولى الانكليز بانقضائها على التل فغنموا ٤٠ مدفعاً وقتلوا الفتي  
 رجل واسروا الفين واستولوا على المؤن والزخائر ثم اخذوا يتعقبون  
 الجند المهزم

وتنصبل ذلك ان عرابي كانت قد وصلت اليه نسخة من جريدة  
 الجوائب وفيها منشور جلاله السلطان باعتبار عاصياً فاغناظ وكاد يقع  
 في اليأس لان حجة الكبرى كانت انه مدافع عن حقوق الدولة العلية  
 في مصر فتشاور مع عبدالله نديم واقراً على اخفاء ذلك عن الجند . فلما  
 كانوا في التل الكبير وقد تحصنوا فيه بقوة ٢٠ الف مقاتل و ٧٠ مدفعاً  
 زحفت الجنود الانكليزية تحت قيادة الجنرال وولسلي بقوة ١٢ الفاً و ٦٠  
 مدفعاً وقبل وصولهم الى معسكر العرايين ارسلوا جواسيس من المصريين  
 ومعهم نسخاً من الجريدة المشار اليها ففرقوها في الضباط وكبار الجيش .  
 فلما اطلع اولئك عليها خارت قواهم وبسوا من النوز لان معظمهم كان  
 يقاتل لاجل السلطان فعلم عرابي بذلك فجمع اليه الضباط وتشاور معهم  
 فاقروا على استمرار الدفاع بحماية ورياء . وفيه كتب علي بك يوسف  
 امير الامي المقدمة الى عرابي انه قد تحقق ان العدو لا يخرج في هذه الليلة  
 فاصدر عرابي امره ان يرتاح الجيش اما العساكر الانكليزية فسارت من

اول الليل لا تنتر لها عزيمة وفي مقدمتها بعض الضباط المصريين  
الذين كانوا من حزب الجناب العالي وامامهم عريان الهنادي برشدونهم  
الى الطريق قبلغوا المقدمة في آخر الليل فاخلى لهم علي بك يوسف الطريق  
ومروا بين العساكر لا راد بردهم فاطلقوا النار على الاستحكامات واقعوا  
بالجند الراقد فالقت الاجناد اسلحتها وفرّت فاستيقظ عرابي من نومه على  
دوي المدافع وخرج من خيمته فارناع لما علم ان العدو قد استولى على  
الاستحكامات وانهمزمت الجنود المصرية فاخذ بنادهم فلم يلبو عجيب ثم رأى  
خيمته قد أصيبت بقنبلة فطارت فعلم انه لا ينبغي من الموت الا الفرار  
فركب جواداً كريماً وفرّ وتبعه ندم فحاول بعض خيالة الانكليز ادراكها  
فما استطاعوا وما زالوا حتى وصلا محطة ابي حماد فنزلا في القطار وامرا  
السائق بالمسير فتعلّل فهداه فصار حتى وصل القاهرة

فتوجه عرابي توجاً الى قصر النيل وعقد مجلساً من امراء العسكرية  
والملكية واخبرهم بما كان واستشارهم فاختلفت الاراء فنهض البرنس ابراهيم  
باشا (ابن عم الجناب الخديوي) وخطب في الناس محرّضاً على الدفاع  
فوافقوه بحسب الظاهر واستقرّ الرأي على انشاء خط دفاعي في ضواحي  
الحروسة فسار عرابي في فرقة من المهندسين نحو العباسية يستشيرهم عن انسب  
المواقع لبناء ذلك الخط فقال له احد الضباط « انك تجهلك وسوء  
تديريك قد احرقت الاسكندرية وتريد الآن ان تحرق مصر فاذا لم يكن  
لك فيها ما يهتك فاعلم ان لنا فيها نساء واطفالا واملاكاً لا نسلم بضياعتها  
تنينداً لاغراضك الا تدري انك تعرض مصر للخطر بانشاء الاستحكامات  
وتجعل منازلها هدفاً لكرات المدافع فنعن لا نوافقك على ذلك واني اقول  
لك ذلك بالاصاله عن نفسي وبالنهاية عن جميع الضباط الحاضرين فلا  
ترج منا مساعدة ويكفي ما قد جرى »

فاندهل عرابي وارنبتك في امره لا سيما لما رأى الباقيين مستحسنين ما

قالة رفبتهم فكر راجعاً على عقيبه كثيراً فاجتمع باصدقائه ودعاهم الى النظر في الامر فلم يجدوا افضل من رفع عريضة الى الجناب الخديوي يعتذرون بها عن افعالهم ويقدمون له الخضوع فحرروا عريضة وارسلوها مع وفد مؤلف من بطرس باشا عالي وعلي باشا الروي ومحمد رافع باشا ثم اردفوها بعريضة اخرى ارسلوها مع عبدالله نديم في قطار مخصوص وكان ذلك في غرة ذي القعدة سنة ١٢٩٩هـ او ١٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٨٢م فابي الخديوي قبول العريضة وامر بالقبض على الروي وسجنه . اما نديم فانه ركب القطار الذي قدم عليه وعاد من فوره بعد ان وصل كفر الدوار ثم اخفى بعد ذلك ولم يتيسر للحكومة القبض عليه الى الان اما الجنود الانكليزية فانها بعد استيلائها على التل الكبير سارت فرّت ببليس فالزقازيق واستولت عليها ثم سارت حتى اتت العباسية خارج القاهرة في مساء الخميس ١٤ منه وعسكرت في سفح الجبل المقطم فاجس الناس خيفة ان يدخل الانكليز مصر محاربين ولكن الامر جاء بخلاف ما كانوا يتوهمون لان الجيوش الانكليزية دخلت العاصمة بحالة سلمية في يوم الجمعة ٥ سبتمبر طبقاً لما تنبأ به الجنرال وولسلي والفت القبض على عرابي . وبعد وصول الجنرال وولسلي الى القاهرة انشد السير الجنرال افلن وود الى كفر الدوار فوصلها في ١٦ منه فسلمت فامر بنسف الطابية التي كان قد بناها العرابيون في قرية اصلان ومثل ذلك سلمت باقي الحصون في بورت سعيد ورشيد واخيراً دمياط فانها لم تسلم الا في ٢١ سبتمبر (ايلول)

وبعد وصول الجنود الانكليزية الى القاهرة احتلوا قسلاًقات العباسية والقلعة والمقطم وقصر النيل ونزل الجنرال السرو وولسلي في سراي عابدين وكان من جملة قواد هذه الحملة البرنس دي كوت ابن ملكة انكلترا . وأودع عرابي ومحمود سامي في سجن العباسية والاسرى من الملكية في سجن

## الضبطية والجهادية في القلعة

ثم صدرت الاوامر الخديوية بتعيين حكام المديرات من اهل النزاهة والاخلاص وصدرت اوامر اخرى بتعيين لجنة مخصوصة في الاسكندرية لتحقيق مواد السرقة والقتل والحرق التي وقعت فيها في حادثتي ١١ يونيو و ١١ يوليو الى غاية ١٦ منه وتقديم التقارير بما نستطلعها . واما امر اخرى بتعيين مثل هذه اللجنة في طنطا لتحقيق مثل هذه الحوادث التي حدثت خارج الاسكندرية . وارسلت نظارة الداخلية منشورات الى المديرين يستقدمون من يجدون ممن وقعت عليهم الشبهة بالاشتراك مع العرايين . ولا نسل عن النهائي التلغرافية التي وردت للجناب الخديوي والجنرال وولسلي بما اتاهما الله من النصر المبين . وفي ٢٢ سبتمبر أقيمت جريدتنا الزمان والسفير وفي ٢٥ منه اقبل الجناب الخديوي الى العاصمة واصحبه شريف باشا وسائر الظار فتواردت الجباهير لملاقاء سموه في المحطة ثم ساروا الى يساره ابن الملكة وامامه الجنرال وولسلي والمستمرالت حتى اتى سراي الاسماعيليه فقتل وفي اليوم التالي سار الى سراي الجزيرة لاجراء التشرينات الاعيادية واستمرت الزينة في القاهرة ثلاث ليال متوالية وفي ٥ اذي القعدة سنة ١٢٦٩ هـ او ٢٨ سبتمبر ( ايلول ) سنة ١٨٨٢ م امر سموه بتشكيل لجنة مخصوصة بالقاهرة تحت رئاسة اسماعيل باشا ايوب لتحقيق قضية كل من كان له يد في الحوادث الاخيرة وان تقدم ما نقره لنظارة الداخلية لتنفذه . واصدر امراً آخر بتشكيل محكمة شرعية في القاهرة تحت رئاسة محمد راوف باشا للحكم بالدعاوي التي تقدم من اللجنة المختصة وان تكون احكام هذه المحكمة قطعية لا تستأنف . واصدر امراً آخر بتشكيل لجنة عسكرية بالاسكندرية للحكم في الدعاوي التي تقدم لها من اللجنتين المخصوصتين اللتين تشكلنا في الاسكندرية وطنطا وان تكون احكامها قطعية تحت رئاسة عثمان نجيب باشا . فشرع كل من هذه اللجان والمحاكم

في اجراء ما عهد اليه . وفي ١٨ اذي الفعده سنة ١٢٩٩ هـ او ٢ اكتوبر  
 (ت ١) سنة ١٨٨٢ م تعين الشيخ محمد العباسي لمشيخة الجامع الازهر  
 بدلاً من الشيخ الامباري . وكافاً الجناب الخديوي سلطان باشا بمبلغ عشق  
 آلاف جنيه على صداقته التي ابداه اثناء الثورة . ثم اصدر الجناب  
 العالي امراً بالغاء الجيش المصري بقصد صرف العساكر التي جاھرت  
 بالعصيان والاكتفاء بمحاكمة الضباط وكبار قادة الجيش كمراني وعبد العال  
 وغيرها ثم امر بتجديد تنظيمه . وفي ١١ ذي الحجة او ٢١ اكتوبر (ت ١)  
 صدر العنوعن الملازمين واليوزباشية الذين كانوا في جيش عرابي مع  
 بعض الاستثناء . وانعم الجناب الخديوي بالنيشان المجدي والعثماني من  
 رتب مختلفة على ٥٢ ضابطاً من ضباط الجيش الانكليزي . واخذت  
 الحكومة المصرية بمشاركة قناصل الدول نسعى الى تسكين البال وتوطيد  
 الراحة والقبض على من اشترك بتلك الثورة ومكافأة الذين ساعدوا في  
 اطفائها وبرهنوا على اخلاصهم للمليك البلاد . وعينت في الاسكندرية  
 لجنة للنظر في تعويض الخسائر التي تكبدها اهاليها بسبب الحرق والنهب  
 ثم جاء اللورد دوفرين معتمداً من قبل دولة انكلترا لتسوية المسائل  
 المصرية وتنظيم تقرير بشأنها ولم يكن ذلك برضاء الباب العالي . واخذ  
 اللورد دوفرين منذ وصوله الى القاهرة يجتمع بالخديوي والوزراء  
 ويتداول معهم في المسائل التي يجب النظر فيها ذلك بعد ان درس احوال  
 البلاد ويبحث بنسبه عن الامور التي كان عازماً على وضعها . ثم حرر تقريره  
 المشهور وارسله الى لندن في ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ م بحث فيه بحثاً دقيقاً في  
 حالة مصر السياسية والقضائية والمالية وعلى نوع مناصب بديون الفلاحين  
 ثم شرع الانكليز في الغاء المراقبة الانكليزية الفرنسية بقصد الانفراد  
 بالعمل فكبر ذلك على فرنسا ولكنها لم تستطع امراً يمنع الغاءها فالغيت  
 وجعل في مكانها بامر الحضرة الخديوية ما مور مصري دعوى مستشاراً

مالياً وله الحق ان يحضر في جلسات مجلس النظار فتعين السير اوكلاند  
 كولفن في هذا المنصب . وكانت الحكومة قد باشرت محاكمة زعماء الثورة  
 العراقية بواسطة اللجن التي سبق ذكرها وكان الفراغ من تلك المحاكمة في  
 ١٤ شوال سنة ١٢٤٩ هـ (٢٠ ديسمبر (ك ١) ١٨٨٢ م) ثم التأمّت اللجنة  
 مراراً للنظر في تثبيت تلك الاحكام ثم عرضت على الجناب العالي فتكرّم  
 بالعمو عن حكم عليهم بالقتل فاصبحت الاحكام بعد ذلك العنو نقضي  
 بتجريدهم من الرتب والالقباب والنياشين ونفهم وهاك ما صدر بشأن ذلك  
 « (١) الحكم الصادر على كل من احمد عراي وطلبة عصمت وعبد  
 العال حلي ومحمود سامي وعلي فهمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي المنقضي  
 جزاؤهم بالقصاص وقع تبديله بالنفي الى الابد من الاقطار المصرية ولمخافتها  
 » (٢) ان هذا العنو يبطل ويقع اجراء الحكم على المذكورين بالقتل  
 اذا رجعوا الى الاقطار المصرية او لمخافتها . ثم ارتأى مجلس النظار ان  
 تضبط املاكهم المنقولة وغير المنقولة وان يعين لهم في مقابل ذلك راتب  
 سنوي كاف لمعيشتهم فصدر بذلك امر عال في ٢٠ شوال او ١٤ ديسمبر  
 (ك ١) من تلك السنة فعينت لجنة لاجراء ذلك ثم صدرت الاحكام  
 المختلفة على من بقي من اتباع عراي كل بحسب استحقاقه . وكان الامر بالنفي  
 على ما تقدم يقضي بتسفيرهم حالاً وانما رات الحضرة الخديوية امهالم الى  
 ١٦ صفر او ٢٧ ديسمبر (ك ١) وعند ذلك ركبا في قطار مخصوص مع  
 من ارادوا استصحابه من ذوبهم الى السويس ومنها الى جزيرة سيلان محل  
 منقام ولا يزالون هناك الى اليوم . ثم اصدر الجناب الخديوي امراً عالياً  
 بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٢٥٠ هـ الموافق ٢ يناير (ك ٢) سنة ١٨٨٢ م بالعمو  
 عن كل اهالي القطر المصري الذين اشتركوا في الثورة العراقية ما عدا  
 الذين سبق صدور الحكم عليهم لغاية تاريخه  
 ولاحظ رياض باشا بعين الناقد ان نيات الانكليز منصرفة الى

مساعدة عرابي ورفقائه اثناء محاكمتهم فابت نفسه الكظم على ما في ضميره  
 فقدم استعفاءه من نظارة الداخلية فكان ذلك مكرراً لعموم الاهالي .  
 وقد خاضت الجرائد بهذا الشأن ولا سيما جريدة الديبا وابانت ما لهذا  
 الوزير الخطير من المآثر الغراء في التنظيمات الادارية وحرية التصرف  
 بالاحكام وقد اجمعت تلك الجرائد على استحسان فعله مؤثراً الاستعفاء على  
 قبول خدمة لا يستطيع فيها التصرف بالحرية التي تقتضيها مصالح الامة  
 التي هو اكثر الناس غيرة عليها . فلما قبل استعفاءه عين بدلاً منه اسماعيل  
 باشا ابوب ثم توفي هذا بعد يسير فعين بدلاً منه خيرى باشا

وفي ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٠ هـ (١ مايو ايار) ١٨٨٣ م)  
 صدر الامر العالي بتشكيل (١) مجالس المدبريات مجلس في كل مديرية  
 ويكون لها ان تقرر رسوماً فوق العادة لصفها في منافع عمومية تتعلق  
 بالمديرية انما لا تكون قراراتها في هذا الشأن قطعية الا بعد تصديق  
 الحكومة عليها (٢) مجلس شورى القوانين . وفائدته النظر في القوانين  
 التي تسن حديثاً قبل نشرها ولا يجوز اصدار قانون او امر يشتمل على  
 لائحة ادارة عمومية ما لم يتقدم ابتداء الى هذا المجلس لأخذ رأيه فيه وان  
 لم تعول الحكومة على رأيه فعليها ان تعلنه بالاسباب التي اوجبت ذلك  
 انما لا يترتب على اعلانه بهذه الاسباب جواز مناقشة فيها (٣) الجمعية  
 العمومية . وهذه لا يجوز ربط اموال جديدة او رسوم على منقولات او  
 عقارات او عوائد شخصية في النظر المصري الا بعد مباحثة الجمعية  
 العمومية في ذلك واقرارها عليه (٤) مجلس شورى الحكومة . صدر الامر  
 بتشكيله وتأجل بيان وظائفه

ثم شرعت الحكومة في تنظيم الجيش المصري الجديد بعد ما ألغيت  
 الجيش القديم على ما تقدم فاتخذت من الضباط من لم يكن له يد في  
 الحوادث العراية واخذت بعد ذلك في تنظيم الجندرية والبوليس وجعلت

السير افلن وود قائداً عاماً للجيش المصري وباكراً باشا قائداً للجندرية والبوليس فكان عدد الجندرية ٢٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠ ماش . ثم تعين الجنرال السير افلن وود سرداراً للجيش المصري ورئيساً لاركان حريه فاختر لمساعدته عدداً من الضباط الانكليز جعلهم في اركان حريه وعهد اليهم قيادة الفرق لتعليمها الحركات العسكرية . ثم نظمت المجالس المحلية ووضعت لها قوانين عادلة وتعين لها رجال يقضون على ازمئتها وقد انصرف اليها هم اللورد دوفرين فتشكلت لجنة تحت رئاسة فخري باشا لانتقاء اللاتفين الذين يجب انتخابهم ليعهد اليهم بالعمل والادارة . ثم اهتم مجلس النظار في مسألة الفضاة الاوربيين فقررت لجنة التعديل ان يكون في كل مجلس ابتدائي اوريان وفي الاستئنافي اربعة . وفي ٨ شعبان سنة ١٢٠٠ هـ ( ١٤ يونيو ( حزيران ) ١٨٨٢ م ) صدر الامر الخديوي بترتيب هذه المحاكم ولائحة قوانينها . ثم صدر الامر الكرم بكل من القانون المدني والتجارة البرية والبحرية والمرافعات وتحقيق المجانيات وفي صيف سنة ١٨٨٢ م ظهر في هذا القطر السعيد الويا المشوم المعروف بالكوليرا ( الهوا الاصفر ) فاقامت الحجر الصحي واعنت الحكومة بتنظيف البلاد وبلغ عدد الوفيات بهذا الداء نحواً من ستين الف نسمة

### الحوادث السودانية

ظهر في رمضان سنة ١٢٩٨ هـ وائل اوغسطس ( آب ) سنة ١٨٨١ م رجل نوبي المشاء يدعى احمد محمد بن عبدالله وادعى انه المهدي المنتظر وكان منياً في جزيرة ابا من اعمال السودان فالتفت حوله عصابة قوية وكان على حكمة ادارة السودان رؤوف باشا فانفذ اليه احد رجال بطانته

يطلب حضوره الى الخرطوم عاصمة السودان فاني فبعث اليه ثلاثمائة مقاتل على باخرتين فعادوا خاسرين فاستمسك الرجل بهدويته وكثر انصاره فبعث محمد سعيد باشا مدير كردوفان جيشاً كبيراً يقضي اثره وكان قد نزع الى جبل الغور شمالي فشوده واستنجد باهله فعاد ولم ينل منه وطراً . ثم جرد اليه راشد بك مدير فشوده وقائمه فشنت المقاتلة عن قتل راشد بك ونشنت رجاله واكتسب المهدي كل ما كان معهم من المؤن والرخاير . وانتشر اتباع المهدي المعروفون بالدرابيش بين القبائل السودانية يحثونهم على الجهاد في سبيل الله وما زالت الفتنة تقوى وتنتشر حتى اوائل سنة ١٨٨٢ م حينما استقدم رأوف باشا من السودان واقام عبد القادر باشا مكانه

وفي ربيع اول سنة ١٢٩٩ هـ اوائل افريل سنة ١٨٨٢ م تقدم احد اقارب المهدي في شردمة من رجاله الى سنار فسارت نجدة من رجال الخرطوم لمساعدة حامية سنار فشنت شمل العصاة وانفذت سنار . وظهر في ذلك الاثناء رجل يدعى محمد طاهها ادعى انه وزير المهدي وجمع اليه عصابة زادت اتباع المهدي قوة لكنه ما لبث ان ظهر حتى تبدد شمله وشمل رجاله

وفي شوال من تلك السنة نزل المهدي الى العبيد في سنين النأ وكانت حامية سنة آلاف بالاسلحة التامة و١٢ مدفعاً فحاصرها بعد ان هاجمها دفعتين ولم يفر منها بشي . فوجه عبد القادر باشا عنايته الى تحصين الخرطوم خوفاً من العائلة . وفي اواخر هذه السنة ارسل القائم مقام سنوارت الى الخرطوم ليرفع للحكومة تقريراً عن احوال السودان . وفي اوائل سنة ١٨٨٢ م مات حامية العبيد الحصار فسأمت فصارت كردوفان ومن فيها انصاراً للمهدي . ثم استقدم عبد القادر باشا الى مصر واقام مقامه علاء الدين باشا وتولى حسين باشا قيادة جيش سنار . ثم توالى

الحوادث الى اوائل فبراير من هذه السنة فانفذت الحكومة المصرية حملة  
 من ١١ الف مقاتل تحت قيادة قائد انكليزي النزعة يقال له هيكس باشا  
 لافقاد العبيد وقمع العصاة المهذوبين وما زالت حتى انت الخرطوم فمكنت  
 مدة للراحة ونهضت منها قاصدة العبيد فهلكت عن آخرها بمكة كانت  
 منصوبة لها في وسط الصحراء وهلك معها قائدها ولم يرجع منها مخبر  
 وفي اثناء ذلك كان توفيق بك محافظ سواكن محاصراً في سنكات  
 لاحتماد نار الثورة في تلك الاقطار تحت قيادة احد قواد المهدي المدعو  
 عثمان دجنا . واشتد الحصار على توفيق بك ولم يكن لديه الا ستون  
 مقاتلاً واما عدد العصاة فلا يقدر لكثرتهم فطلب عثمان من توفيق بك  
 ان يسلم والا فقتله ومن معه فطاولة حتى تحصن ففهم عليه عثمان فقتل  
 بعضاً من رجاله ولكنه لم يفر يو . فانتشر سم الثورة في تلك الانحاء  
 وحاصر العصاة طوكار وهي على ٤٥ ميلاً من سواكن ثم تقدموا حتى  
 هاجموا سواكن نفسها وعادوا خائبين . وفي اواخر سنة ١٢٠٠ هـ او  
 سنة ١٨٨٢ م أعدت الحكومة المصرية حملة تسير الى جهات سواكن  
 تحت قيادة باكر باشا لافقاد الحاميات ثم تسير الى بربر وتعيد المواصلات  
 بينها وبين سواكن . فسار اولاً الى مصوع ليتحالف مع روساء القبائل  
 ليعد طريقاً لانسحاب حامية الخرطوم عن طريق كسال ثم عاد الى سواكن  
 واخذ في اعداد ما يلزم لتخايص حاميات طوكار وسنكات وحصلت مواقع  
 كثيرة انتهت باستيلاء العصاة على سنكات وقتل توفيق بك حاميتها  
 وبطلها بعد ان اظهر من البسالة وعلو الهمة ما يتفخر التاريخ بذكره وعاد  
 باكر باشا بجيشه الى سواكن وحصنها ثم انيطت حكومتها بالاميرال هبوت  
 واستقدم باكر باشا الى القاهرة وبقيت طوكار محاصرة  
 وفي اثناء ذلك اشارت الحكومة الانكليزية على الحكومة المصرية  
 ان تخلي السودان وتحمب جيوشها منها فلم يصادف ذلك قبولاً لدى شريف

باشا رئيس النظر فاصر الانكليز ومن ذهب مذهبهم على الاخلاء واستمسك شريف برأيه علماً منه بإمكان اخضاع السودان واستبقاء السودان فلما رأى اصرار اللجنة المضادة لرأيه استقال من رئاسة النظر في ٥ ربيع اول سنة ١٢٠١ هـ (٤ يناير (ك ٢) سنة ١٨٨٤ م) ورضي نوبار باشا بتشكيل وزارة جديدة قبالاً بما اشار به الانكليز على شرط استبقاء سواكن فلم يعد على الحكومة الا سحب حاميتها ورعاياها المتيمين في الاقطار السودانية فدار البحث على انسب طريقة لذلك . وفي ٩ ربيع اول ان ٨ يناير (ك ٢) منها اتدبت الحكومة الانكليزية غوردون باشا احد رجالها المشهورين ليسير الى السودان برفع عنها تقييداً منفصلاً وعلى الخصوص عن حالتها الحربية والوسائط المناسبة لسلامة من بها من الحاميات والسكان الاورباويين وعن احسن طريقة لاخلاء داخلتها وتثبيت حكومة منتظمة على سواحل البحر الاحمر وابطال تجارة الرقيق التي كانت قد عادت الى ما كانت عليه واسلم طريقة لانسحاب الجيش المصري . وكان غوردون عالماً باحوال السودان لانه تولأها في عهد الخديوي السابق فيبارح الجنرال غوردون انكلترا مستصحباً الكولونيل سنوارت كاتم اسراره فوصل القاهرة في ٢٥ يناير (ك ٢) فاخبره السير افلن بارنغ وكيل انكلترا السياسي في مصر ان الحكومة الانكليزية قد فوضت اليه اخلاء السودان وانها تطلب اليه اعادة حكم الامراء الذين كانوا يحكمون فيها عند ما فتحها المغنور له محمد علي باشا . وفي اليوم التالي اصدر الجناب الخديوي امراً عالياً بتولية غوردون على الاقطار السودانية وفوض اليه امر اخلائها ثم سافر غوردون فوصل بربر في ١١ ربيع آخر او ٩ فبراير (شباط) وهناك اباح للاهالي جهاراً الاتجار بالرقيق بدعوى ان السودان اصبحت دولة مستقلة عن مصر وان المهدي قد اقيم سلطاناً على كردوفان . وفي ١٨ فبراير (شباط) وصل غوردون الى الخرطوم فتلقاء اهلبا

وحاميتها بالترحاب فقال لهم «اني ائتيت لاقاد السودان مما رزئت به ولم  
أت جيش بل انكملت على معونة الله فلا احارب الا بسلاح العدل» وكانوا  
بجوبة فوق كلامه من قلوبهم موقع الاستحسان واستتبت الراحة في الخرطوم  
ثم رأى الناس قد عادوا الى الثورة فحرر الى انكلترا مشيراً بوجوب  
كسر شوكة المهدي قبل اخلاء السودان لانه يخشى منه اذا ملك الخرطوم  
ان يسير الى حدود مصر وشار بترك سواكن ومصوع . واخذ من الجهة  
الثانية يبشر السودانين بالسلم وبانه لم يأت الامسالم فلم تجمع دعواه  
فناهضهم فلم يفز وكان عند وصوله قد ارسل الى المهدي يخبره انه قد عينه  
سلطاناً على كردوفان فرفض تلك العطية وهدده بالقتال والمسير الى  
مصر فاخذ في عدوانه وجعل يرسل بواخوه الى البحر الازرق لمحاربتيه ولم  
يتنه مارس ( اذار ) من تلك السنة حتى اصحبت الخرطوم في حصار تام فجعل  
غوردون يستحث الحكومة الانكليزية على انه لا بد من محاربة المهدي  
وكسر شوكتيه وانه يكفي لذلك ٢٠ الف من مشاة الاتراك وبعض خيالتها  
وفي اثناء ذلك بعثت الحكومة الانكليزية جيشاً من رجالها لاقاد  
طوكار وحاميتها تحت قيادة الجنرال غرام . ولكن «لم يأت الترياق من  
العراق حتى كان العليل فارق» الا ان الجنرال غرام ما انفك حتى جاء  
طوكار بعد مفاصة شديدة وانفذ حاميتها وكانت قد اسرت واستعبدت  
ورجع الى سواكن . ثم عاد ثانية لمحاربة العربان ففتك بهم ولكن لم  
تكن ثم نتيجة لتلك الغلبات الا زيادة الرعب للقبائل المسالمة ولا سيما  
بعد انتحاب غرام من سواكن في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٠١ هـ  
او ٢٥ مارس ( اذار ) سنة ١٨٨٤ م

وتماهلت الحكومة الانكليزية في اجابة طلب غوردون فكتب الى  
صديق له في لوندرا يدعى السير صموئيل باكر يقول « الا يقرضنا اغنياء  
انكلترا وامبركا مئتي الف ليرة انكليزية فنستأجر بها الفين او ثلاثة

آلاف من الباشوزوق التركي ورسلم الى بربر . ثم كتب الى السير افلن بارنج في القاهرة يقول « قد علمت منك ان قصدك ان لا نمدنا بجدة الى هنا او الى بربر فلذلك اراني حراً ان افعل بحسب ما تقتضيه الاحوال فسابقى هنا ما امكن وساخمد الثورة اذا استطعت والآن فاني ارجع الى خط الاستواء ويبقى العار على الذين اهلوا حامية سنار وكسالا وبربر ودنقلة عالماً حق العلم انه لا بد لكم من محاربة المهدي وقهره في ظروف وعرة واحوال عسرة اذا كان قصدكم حفظ السلام في القطر المصري »

وقد قال انه سائر الى خط الاستواء لانهظنها الطريق الافضل للنجاة بمن معه لان الاعداء كانوا قد احاطوا به من كل الجهات وقد سقطت بربر وما جاورها

الآن ان الحكومة الانكليزية اقرت اخيراً على ارسال حملة من رجالها دعيتها الحملة النيلية لتسير الى السودان عن طريق النيل لانتقاذ غوردون ومن معه جعلتها مؤلفة من سبعة آلاف جندي تحت قيادة الجنرال اللورد وولسي قائد حملة سنة ١٨٨٢ م . فبارح لندرا في ٩ ذي القعدة سنة ١٢٠١ هـ او ٢١ اوجسطس (آب) سنة ١٨٨٤ م وبارح القاهرة في ٢٧ سبتمبر منها . وكان قد سار في مقدمة الجيش الماجور كشنر (اليوم كشنر باشا) ليستطلع الاحوال فأخبر ان الكولونيل سنيوارت كاتب اسرار غوردون بينما كان نازلاً في باخرة مرة ببربر فانكسرت به البخرة وغدر العريان به وبمن معه وقتلوه . اما الحملة النيلية فسارت حتى انت حلقتا عند الشلال الثاني وقاست اشتر العذاب في تطبيع مراكبها فوق الشلالات وعلى الخصوص الشلالين الاول والثاني ومن حلقتا مدوا سكة حديدية الى سرس على مسافة ٢٠ ميلاً منها ومن هناك سار وولسي حتى اتى دنقلة فلاقاه مديرها مصطفى بك ياور (اليوم مصطفى باشا ياور) فسلمه لقب ورتبة (سير) من انعام جلالة ملكة

انكثرتا مكافأة على خدامته في محاربة العصاة لانه بشانوه مع قلة رجاله  
منعهم من التقدم الى ما وراء بربر

ثم اخذ اللورد وولسلي رسالة من غوردون باشا بتاريخ ٤ نوفمبر يقول  
فيها انه لا يمكنه حفظ المدينة (الخرطوم) اكثر من اربعين يوماً ويشير  
عليه ان يأتي برجاله عن طريق امبوكول فالتمتة عن طريق الصحراء .  
فرأى وجوب الاسراع فسار الى كورتى قرب امبوكول وهناك جعل  
جيشه قسمين ارسل احدهما تحت قيادة الجنرال ارل ليسير على النيل حتى  
ابي حمد وبربر فيقهر العربان الذين قتلوا الجنرال سنبارت ثم يفتح طريق  
الصحراء بين ابي حمد وكروسكو لتسهيل نقل المؤن . والتزم الثاني ارسله  
عن طريق الصحراء الى المنمة تحت قيادة الجنرال سنبارت ليفتح طريق  
الخرطوم ويسرع الى غوردون فينفذه . وبين كورتى والمنمة مسير ١٢  
يوماً في ارض رملية قاحلة لا ماء فيها الا في بعض الآبار التي ماء معظمها  
مختلج من الامطار وهي افضل طريق موصلة الى الخرطوم من امبوكول .  
فسار الجنرال سنبارت في ١٢ ربيع اول سنة ١٢٠٢ هـ او ٢٠ دسمبر  
«ك ١» سنة ١٨٨٤ م في فرقة من الجند لاستكشاف احوال الآبار فجاء  
اولاً آبار الهواثر ثم آبار جكدول فرأى فيها ماء كافياً للملئ مع الجهد  
فعاد الى كورتى

وفي ٢١ ربيع اول سنة ١٢٠٢ هـ او ٨ يناير «ك ٢» ١٨٨٥ م عاد  
فاصداً المنمة في الف وستماية مقاتل ونحو الفين من الجمال وثلاثماية من  
الهمجانة المصريين فوصل جكدول في ١٢ يناير وبارحها في ١٤ منه بعد  
ان ترك فيها حامية قليلة وبعد يومين قابل الللال التي تحيط بآبار ابي  
طلح فارسيل بعض الفرسان لاستطلاع حالة الآبار فعادوا واخبروا انها  
مخوفة بالحمام والاعلام المهدوية ومعظم السواد الى غربيها . فعسكر سنبارت  
في مخنض وسبع واحاط معسكره بزريبة وبانوا تلك الليلة ساهرين وفي

الصباح التالي انتظروا هجوم العدو فلم يهجم احدٌ منهم فأمر الجنرال سنيوارت رجاله ان يترجلوا تاركين مطيهم في الزريبة وليسيروا على هيئة مربع لامتلاك الآبار لان الماء لا يلبث ان ينفذ من معسكرهم وترك في الزريبة ١٥٠ جندياً لحراسة المتاع وسار نحو العدو فمضى ساعة ثم هجم عليه العربان فلاقاهم بعزم ثابت فتقهقر واقتبعم المربع حتى تواروا فوصل الآبار واستولى عليها وفي صباح اليوم التالي استقدم من كان باقياً في الزريبة وقد قُتل من الانكليز في هذه الموقعة تسعة ضباط وستون جندياً وقتل من العربان ثمانمائة

وفي غاية ربيع اول او مساء ١٧ يناير «ك ٢» بارح الجنرال سنيوارت آبار ابي طلح تاركاً عندها حامية وسار في ظلام الليل قاصداً المنمة حيث ينزل على النيل الى الخرطوم وكان ليلاً حالكاً وقد أُبج لي ان اكون من رفقاء تلك الحملة في تلك الليلة الليلية فكنا سائرين لا نرى شيئاً من آثار الطريق المؤدي الى المكان المنصود لشدة الظلام فاضطررنا الى الاستدلال عليها بالابرة المغناطيسية (البصلة) والنجم القطبي وكنا نارة نصعد على آكام مناسين وطوراً نعتار رجل جمالنا باعشاب او أنجم شوكية ولم نكن نخرج صوتاً ولا نقدح ناراً لئلا يكون بالقرب منا من الاعداء من يستطلع احوالنا فتحبط مقاصدنا ولم يأت آخر الليل حتى اصبحنا وليس فينا من لم يأخذ منه العس ما أخذاً عظيماً. وكانت تأخذ من احدنا سنة الوسن وهو على ظهر الجمل فينتبه وهو على وشك السقوط فيعندل

وعندما اصبح يوم غرة ربيع آخر او ١٨ يناير «ك ٢» اشرفنا على النيل المبارك عن بعدٍ والمنمة عن يسارنا ولم نكد نقف والغزاة في الضحى حتى خرج البنا من اسوار المدينة (المنمة) جيش جرار من العربان وقفوا على مرمى رصاص منا وقد حالوا بيننا وبين النيل وجعلوا يطلقون علينا النار من وراء الاشجار والصخور فأمر الجنرال سنيوارت بالترجل

وإنشاء زريبة وما كدنا نفعل حتى احدثت نيران العدو فامر الجنرال بتشكيل مربع ثم وقف وراء احد المدافع ويده المنظر برقب حركات العدو فاصابته رصاصة في بطنه فسقط على الارض وسقطت قلوبنا معه وكان بجاني المستر سانكي هربرت كاتب سر الجنرال فسألته ما ظنت بجياة الجنرال فاجاب متأسفاً انه لا يرجو له شفاء . وما اتم كلامه حتى اصيب هو برصاصة في رأسه فتهنى وسقط ميتاً لا حراك به وكان خادمة بجانيه يجاطبه في بعض حاجاته فلما رآه ساقطاً رفع يده منادياً يا سيدي يا سيدي ولم يتم قوله هذا حتى اصببت يده عند المعصم برصاصة ثنتها من الجانب الواحد الى الآخر وكنا نرى كثيرين غيره يسقطون مثل تلك السقطه . فلانسل عما حل بالجند من اليأس الا انهم تجلدوا واقاموا عليهم اكبر ضباطهم قائداً فانوا تشكيل المربع بعدان رفعوا الجنرال جريحاً جرحاً بليغاً لم يعش بعد أكثر من شهر واحد فمات عند انحاب الحملة ودفن عند آبار جكدول في وسط الصحراء

فسار المربع ونحن داخله قاصداً النيل فهاجمنا الاعداء ببسالة غربية ثم ما لبثوا ان اقتربوا من مربعا حتى تشتت شملهم فسرنا حتى ادركنا النيل عند الظلام بعد مفارقتنا اياه نحواً من اسبوعين فحييناه نجمة منتاح وعسكرنا على ضفته للبيت تلك الليلة . وفي الصباح التالي جاءت العساكر مع من كان معهم في الزريبة ثم انتقلنا الى قرية جنوبي المنمة يقال لها القبة وقد دعاها بعض الكتبة «جويات» غلطاً . وهناك التقى الجيش باربع بوآخر كان قد ارسلها غوردون من الخرطوم للاقاتهم فاستلواها وكان فيها نصحي باشا وخشم الموس بك «اليوم خشم الموس باشا» وكلاهما من المخلصين لغوردون باشا والحكومة المصرية

وفي ٧ ربيع آخر او ٢ يناير «ك ٢» ركب السير شارلس ولسن رئيس قلم الخبايرت في سرية من الجند على باخرتين ومعه خشم الموس

بك وسار فاصداً الخرطوم وفي اليوم التالي وصلوا الى الشلال السادس « شلال السبلوكا » فانكسرت احدى الباخرتين فاحششد الجند في الباخرة الباقية ثم ساروا قليلاً فلاقاهم اعرابي واخبرهم ان الخرطوم قد سقطت فلم يصدقوا حتى وصلوا اليها ورأوا الاعلام المهديوية تخفق فوق اسوارها فعادوا وقد يسوا ما ارادوا . ثم علموا ان سقوطها كان بخيانة فرج باشا اكبر قواد الاسوار وان غوردون قد قُتل وقتل معه كثيرون من الاوربيين وغيرهم فعاد السير شارلس بباخرته وعند وصوله الى الشلال المعهود صدمت الباخرة الباقية صخرةً فانكسرت فقتل بمن كان معه من الجيش الى البر فاقام اعرابي وفي يد كتاب من المهدي يطلب اليهم التسليم فطاولوه الى ان اتهم باخرة من الممتة ولم تصلهم الا بعد شق الانفس لما كان يتهدها من الطوايي القائمة على الضفتين وكانوا قد ارسلوا احد الضباط لاستجلابها وتبلغ ما كان من الخرطوم وسقوطها . فركبوا الباخرة حتى اتوا القبة وهم لم يصدقوا انهم نجوا . فأرسلت هذه الاخبار الى اللورد وولسي في كورتي فاستشار حكومته فامرته بالانسحاب فبعث بتلك الاوامر الى حملتي الممتة وابي حمد

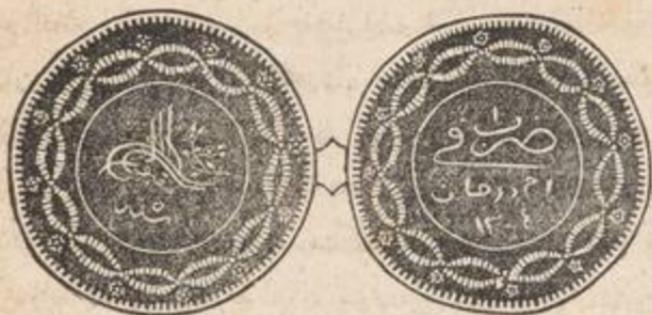
اما حملة ابي حمد التي كانت تحت قيادة الجنرال ارل فكانت قد حاربت العربان في اماكن متعددة قتل فيها الجنرال ارل واميرالابان وسبعة عساكر ثم تقدموا الى ابي حمد فظفروا ببقية باخرة الكولونيل سنيوارت وبعض اوراقه ثم ادركتهم اوامر اللورد وولسي بالانسحاب فانسحبوا الى كورتي . ومثل ذلك فعلت حملة الممتة فانها عادت حتى اتت كورتي وفي ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٢٠٢ هـ او ٨ مارس « اذار » سنة ١٨٨٥ م التفت عساكر اللورد وولسي مرة ثانية في كورتي فاعلنهم ان الحكومة الانكليزية قد عزمت على سحب كل الحملة في الخريف القادم وكان الانكليز قد ارسلوا حملة ثانية الى سواكن تحت قيادة الجنرال

غرام لنفخ طريق بربر ومد سكة حديدية فهدوها الى عطوة وطنبوك بكل  
مشقة لما كان يحول دون ذلك من مناوشات العربان وتعدياتهم  
وفي رجب سنة ١٢٠٢ هـ او اوانل مابو « ايار » سنة ١٨٨٥ م جاء  
اللورد وولسي الى سواكن وشاهد تلك الاجراءات وفي اواخر هذا الشهر  
اعتمدت الحكومة الانكليزية على اخلاء السودان من عساكرها لاسباب دعنها  
اليها سياستها الخارجية فاخذت الجيوش بالانسحاب وفي شوال او يوليو  
(نموز) شرعوا بالانسحاب من دنقلة على نية ان يتحصنوا في وادي حلنا  
وكروسكو واصوان ويتركوا للعصاة ما وراء ذلك من البلاد

اما المهدي فبقي في حصن ام درمان بجوار الخرطوم بمجد جيشاً  
لافتتاح النظر المصري . وفي ٦ رمضان سنة ١٢٠٢ هـ او ١٩ يونيو  
(حزيران) ١٨٨٥ م اصيب بالجدري ومات في مساء اليوم التالي بعد  
ان استخلف <sup>عبد الله العاصمي</sup> لمصلحيه . ولم يضعف موت المهدي شيئاً من الثورة بل بقيت  
على ما كانت عليه قبل موته وظل العصاة يتجمعون ويتفرقون ويفتنون  
امر الانكليز حتى احتلوا دنقلة فصارت تجارة الرقيق الى ما كانت عليه  
وتكاثر عدد الخاسين

اما الجيوش الانكليزية فاصبحت بعد سفر اللورد وولسي تحت قيادة  
الجنرال غرانفيل ومعها بعض الجيوش المصرية وقد احتلت الحدود المصرية  
الى وادي حلنا فكانت تهاجم الدراويش مرة وبهاجمتهم اخرى حتى  
كانت واقعة جنس ثم مواقع اخرى وكان النور دائماً للعساكر الانكليزية  
والمصرية الى ان خمدت ولم تعد تسمع الا بمناوشات طنينة وقد اصحبت  
آخر الحدود المصرية الآن وادي حلنا ولا يزال العربان في ما وراء ذلك  
على نية مقاومة الحكومة المصرية وقاها الله من كل غدر وحرصها بعنايتي .  
وقد استقل الدراويش المهدويون بالاقطار السودانية وتشبهوا  
بالدول الاخرى فخطبوا المهديهم وخلصوا الفود بامرهم في ازمة

مختلفة فمنها ما هو مضروب في سنة الهجرة وهي هجرة المهدي على ما يزعمون ومنها ما هو مضروب بعد ذلك . وقد عثرت على قطعة فضية من هذه النقود ترى رسمها في شكل ٩٢ بحججها الطبيعي على احد وجهيها اسم المدينة التي ضربت فيها «ام درمان» بجوار الخراطوم قد اتخذها المهدي عند افتتاح الخراطوم مقراً له وعند اسنل ذلك تاريخ ٤ . ١٢٠ هـ وهي سنة استنظامه بالاقطار السودانية والى اعلاها رقم واحد يقصدون به السنة الاولى من سلطانتهم وعلى الوجه الآخر ما يشبه الطغراء يقرأ منها كلمة «مقبول» كأنهم يريدون بها ان هذه النقود مقبولة عند حكومتهم وعند اسنل الطغراء يقرأ سنة ٥ ربما يقصدون بها السنة الخامسة من ظهور المهدي او هجرته



ش ٩٢ نقود محمد احمد المهدي

هذا المخلص الحرب السودانية التي انتهت بخروج معظم الاقطار السودانية من حوزة الحكومة المصرية بعد ان هدرت في سبيل ذلك دماء عزيزة وانفتحت مبالغ جسيمة تنوق ما بذله المغنور له محمد علي باشا على افتتاحها فقد صح فيها قول الشاعر  
 وبلاة ان نظرت وان هي اعرضت وقع السهام ونزعهن البم  
 «عود»

اما ما كان من امر مصر فان الاشاعات تكاثرت بعزم الحكومة

الانكليزية ان تضع حمايتها على هذا البرثم اثبت الزمان كذب تلك الاشاعات . ثم نكاثرت النول بقرب انجلاء عسكرها عن مصر . وفي شعبان سنة ١٢٠١ هـ او يونيو (حزيران) ١٨٨٤ م تشكل مؤتمر دولي من جميع الدول وانعقد في لندن تحت رئاسة اللورد غرانفيل ناظر خارجية انكلترا للبحث في امور كثيرة تتعلق بمصر فقررت تحويرات كثيرة انتهت الى غير نتيجة فلا حاجة الى ذكرها

وفي ذي القعدة سنة ١٢٠١ هـ (اوائل سبتمبر / ايلول) ١٨٨٤ م) وفد على القنصل المصري اللورد نورثبروك معتمداً من انكلترا للنظر في المسألة المالية واحوال الادارة الداخلية مستصحباً معه القاضي الهندي سميع الله خان بناء على رغبة اللورد في انتخاب قاض مسلم بصحة الى مصر ويكون شريكاً له في هذه المهمة فتحدثت الناس كثيراً بسبب قدوم هذا المعتمد اما هو فاخذ في ملاحظة ما اتى من اجله وطاف البلاد شمالاً وجنوباً وبعد ان قضى اياماً طويلاً عاد الى بلاده ونظم تقريراً رفعه الى حكومته فلم يجز قبولاً فسجعت عليه عناكب النسيان

ورأت الحكومة المصرية انها لا تقوى على القيام بالتعهدات وبذل النفقات وكانت الاحوال تستدعي التخفيف عن المالية بقدر الامكان فرأت ان تعدد الى توقيف استهلاك الدين الموحد بالرغم عما في ذلك من مس قانون التصفية فنعلت . ثم عمدت ملافاة لعسر المالية ايضاً الى الاقتصاد وعلى الخصوص في نفقات الدوائر فاخذت في رقت مستخدميها الذين تراءى لها امكان استغناء مراكزهم عنهم فرفقت منهم ما بعد بالآلاف ومعظمهم من اصحاب الرواتب القليلة والذين لم يعد يمكنهم معاطاة اشغال اخرى تجارية او صناعية او غيرها فنظموها على اساليب مختلفة وقد جالت الجرائد المحلية في هذا الشأن واكثرت من تعنيف الحكومة ولومها على ذلك . وانما ذلك لم يكن ليسد عوز المالية وبكفي الحكومة

مؤنة الرفت فهي رغباً عن رغبها في الرحمة بالرعايا لا تزال آخذة  
بالاقتصاد من باب الرفت وغيره

وفي اواخر عام ١٨٨٤م أنشأت الحكومة المصرية المعرض القطني  
واصدرت نظارة الداخلية لأتمة عمومية في تعيين يوم افتتاحه وتنظيمه  
وإدارة أعماله. وفائدة ان تُعرض فيه كل المحصولات الأما كان فيها  
داخلاً في نطاق الصناعة الداخلية ويُعطى لمن يأتي باجود المحصولات  
جائزة. وفي ٨ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ هـ او ٢٤ يناير (ك) ١٨٨٥م  
افتتح هذا المعرض بحضور الجناب الخديوي والنظار والقناصل

ثم اهتمت الحكومة الخديوية باستبدال النقود المصرية القديمة بنقود  
جديدة وما زالت المسألة تحت البحث حتى اواخر سنة ١٨٨٥م فصدر  
امر عال بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣٠٢ هـ او ١٤ نوفمبر (ت) ١٨٨٥م  
مؤذن بضررها وفي اواخر سنة ١٨٨٧م ظهرت وتداولتها  
الايدي وهي مبنية على حساب الكسور العشرية تسهيلاً للمعاملة. وكنية  
ذلك انهم جعلوا الجنيه المصري بقيمة مائة غرش كما كان قبلاً وقسموه الى  
الف جزء دعوا الواحد منها ملياً اي جزء من الف فالمليم هو جزء من  
الف من الجنيه المصري والغرش عشر مليات والريال مائتا مليم (عشرون  
غرش) وهكذا والجنيه واجزائه مصنوعة من الذهب والريالات واجزائها  
من الفضة والمليم ومركبانه الى ابي الخمس مليات من النكل وقسموا المليم  
الى نصفين يعرف الواحد منها بنصف عشر الغرش وقسموا كلاً من هذين  
التسعين الى نصفين يعرف الواحد منها بربع عشر الغرش اي جزء من  
اربعين من الغرش وهي البارة وجميع اجزاء المليم مصنوعة من النحاس  
وترى في شكل ٩٤ مثال النقود المضروبة حديثاً وهن القطعة تعرف  
بنصف ريال وقيمتها عشرة غروش او مائة مليم وترى على احد وجهيها  
من الاسفل تاريخ سنة ١٢٩٢ هـ وهي السنة التي تولى بها جلالة السلطان

عبد الحميد خان الخلافة العثمانية ومن الأعلى رقم عشرة وهي السنة العاشرة من تولية جلالته وفيها ضربت هذه النقود . وترى على الوجه الآخر الطغراء العثمانية باسم جلالته أيضاً وإلى أسفلها رقم عشرة تحته حرف شين للدلالة على قيمة هذه القطعة أي عشرة غروش



ش ٩٤ النقود المصرية الجديدة

أما قيم النقود الأجنبية بالنسبة للنقود المصرية فعلى الوجه الآتي

بارة غرش صاع أو ملياً

٢٠ الليرة الانكليزية تساوي ٩٧ ٩٢٥

٣٠ الليرة العثمانية » ٨٧ ٨٧٧ ١/٢

٠٦ الليرة الفرنسية (فانتي) ٧٧ ٧٧١ ١/٢

ومتى عرفت قيم الليرات يمكنك استخراج قيم اجزائها

وفي ١٧ ربيع آخر سنة ١٢٠٤ هـ أو ١٢ يناير (ك) سنة ١٨٨٧ م

الح الباب العالي على الحكومة الانكليزية ان تعين زمن انجلاء جيوشها

عن القطر المصري فاجابت انها لا يمكنها ذلك الا متى استتب النظام فيها

وفي ٣ فبراير نقرر ان يكون جيش الاحتلال مخصصاً في ثلاثة مراكز

فيقيم في القاهرة الثان وتسع مئة جندي وفي الاسكندرية ٩٠٠ وفي اصوان

٤٠٠٠ . وفي ١٥ جمادى الاولى او ٩ فبراير اقترح السير ولف معتمد

انكلترا في الاستانة على الباب العالي الاقتراحات الآتية بما يتعلق بمصر وهي

(١) استقلال مصر تحت سيادة جلاله السلطان والغاء المود والامتيازات الفنصلية

(٢) ان تكون حالة مصر من قبيل المحياده على مثال حالة بلجيكا

(٣) حرية المرور في قنال السويس في زماني الحرب والسلم

(٤) اخلاء انكلترا للقطر المصري بعد ان تجمع الدول على وجوب

ذلك

فتلقى جلاله السلطان هذه الاقتراحات بتفوق وطلب ان يتقدم كل ذلك لتحديد انكلترا زمن الانجلاء وبعد النظر في هذه الاقتراحات مدة يومين رفضت

وفي ٢٥ رجب سنة ١٢٠٤ هـ او ١٩ افريل (نيسان) ١٨٨٧ م توفي شريف باشا رئيس مجلس النظار سابقاً بينما كان في اوربا يسعى الى ترويج النفس فاسف الجميع على فقده وحملت جنته الى مصر ودفنت فيها

وفي ١١ شعبان او ٥ مايو منها عرضت انكلترا على الباب العالي ان يكون زمن احتلالها في مصر خمس سنوات فطلب الباب العالي ان يكون ٢ سنوات ولم يتقرر شيء . وفي اوائل يونيو عرض على الباب العالي وفاق بينه وبين انكلترا بخصوص مصر وهالك نصه

(١) تبقى مصر كما هي حسب نصوص الترمانات السلطانية

(٢) يبقى خليج السويس على المحياده وتضمن الدول سلامة مصر

(٣) تبقى العساكر الانكليزية في مصر مدة ثلاث سنوات وعند

انقضائها يلبث الضباط الانكليزي في رئاسة الجيش المصري سنتين

(٤) لا يخرج انكلترا عساكرها من مصر بعد ختام السنة الثالثة من

التوقيع على هذا الوفاق اذا حدث اضطراب جديد في مصر داخلياً كان ام خارجياً

(٥) يحق لانكلترا احتلال مصر بمساعدة العساكر العثمانية اذا وقع احتلال بها او خشي ان ترسل دولة اجنبية عساكرها الى مصر  
 (٦) تستدعي الدولة العلية وانكلترا بقية الدول للتصديق علي هذا  
 الوفاق وتطلبان من الدول اجراء بعض التعديلات في المعاهدات الدولية  
 المخولة للاجانب في مصر جملة امتيازات  
 وبعد المخبرات الطويلة بشأن هذا الوفاق رفض الباب العالي  
 المصادقة عليه

وفي ١٨ رمضان سنة ١٢٠٤ هـ او ١٠ يونيو (حزيران) ١٨٨٧ م توفي  
 خيرى باشا رئيس الديوان الخديوي . وزاد ارتفاع النيل في هذه السنة  
 فطاف على كثير من الاراضي وخشي الناس فتكهُ . وفي ٢٢ سبتمبر منها  
 طاف الجناب الخديوي في جهات القطر متنقلاً احوال الاهالي ومعزياً  
 الذين اصابوا بطفحان النيل فصار اولاً الى الوجه البحري ثم القبلي  
 فاستغرقت السباحة المشار اليها ١٦ يوماً

وأم حوادث سنة ١٨٨٨ م سقوط الوزارة النوبارية وتشكيل الوزارة  
 الرياضية لان الناس ما فتئوا منذ اعتزال رياض باشا عن الاعمال بعد  
 حادثة عرابي بشخصون اليه باصارهم وقد احاطت به آمالم لما اشتهر به  
 هذا الوزير الخطير من الحب الشديد للشعب المصري ورغبته الفائقة في  
 اصلاح البلاد ولما له من الولع الخاص بالزراعة وهو مشهور بذلك  
 شهرة تضافي شهرته في حب العلم وتنشيط ذويه . ومن مبادئه حرية  
 الضمير والصرامة في اتباع الحق من حيث هو وكثيراً ما قاده ذلك الى  
 التنحي عن قبول منصب الوزارة في الاحوال التي كان يخشى معها ثقيد  
 افكاره ومخالفة مبادئه . فعندما سقطت الوزارة النوبارية في ٢٠ رمضان  
 سنة ١٢٠٥ هـ او ٩ يونيو «حزيران» ١٨٨٨ م لم يكن يصدق الناس ان  
 رياض باشا يقبل ان يشكل وزارة جديدة . فلما انبأهم البرق بجلوسه على

دستها وثقله اعمال نظارتي الداخلية والمالية كادوا يطبرون على اجنحة  
الآمال وتناولت اعناقهم استطلاعاً لما سيكون من امر هذه الوزارة  
الجديدة . وقد تحققت بعض الامال الآن ولا يزال الناس ينتظرون تحقق  
الباقى مع الزمن

ومن اعمال الوزارة الرياضية انشاء المحاكم في جهات الصعيد وهي  
مأثرة لا تخفى اهميتها على احد . وقد باشرت اموراً كثيرة تعود بالخير  
والفلاح على الامة المصرية وحكومتها نطلب الى الله ان يعضدها في  
مشروعاتها وينفعنا بسعيها ونشاطها تحت ظل الحضرة الخديوية النخيمية  
ورعاية جلالة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ابد الله  
سلطانة وعزز جنوده واعوانه

### تم الجزء الثاني

(فائدة) اذا تأملت بصور النقود المطبوعة في هذا الكتاب  
وقابلت اشكال خطوطها بعضها ببعض متدرجاً بذلك من قديمها الى  
حديثها يتمثل لك كيفية انتقال الخط العربي من الشكل الكوفي الى ما  
هو عليه الآن

# جدول عام

وهو يتضمن أسماء الذين حكموا في مصر منذ فتوح الاسلام الى هذه الايام . وهم على ثمانية اقسام

- (١) الامراء العرب . وهم الذين تولوا مصر منذ فتوحها الى مجيء الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الى القاهرة . وقد تولوها تحت رعاية الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين من سنة ١٨ - ٢٦٢ هـ او من ٦٤٠ - ٩٧٢ م وقد دعوناهم عرباً لان معظمهم من العرب
- (٢) الخلفاء . وهم الخلفاء الفاطميون اولهم المعز لدين الله وآخروهم العاضد بن يوسف من سنة ٢٦٢ - ٥٦٧ هـ او من ٩٧٢ - ١١٧١ م
- (٣) السلاطين . وهم سلاطين الدولة الابوية ودولة المماليك الاولى والثانية . اولهم السلطان صلاح الدين الابوي وآخروهم السلطان الملك الاشرف طومان باي من سنة ٥٦٧ - ٩٢٢ هـ او من ١١٧١ - ١٥١٦ م
- (٤) الباشوات . وهم الولاة الذين تولوا مصر باسم الدولة العثمانية منذ فتوحها اياها الى استبداد الامراء المماليك من سنة ٩٢٢ الى ١١١٦ هـ اولهم خيربك باشا وآخروهم حسن باشا
- (٥) الامراء المماليك . وهم مشايخ البلد الذين كانوا يتولون حكومة القاهرة وقد كانت سلطتهم في بادئ الرأي محدودة ثم قويت شوكتهم فاستبدوا اما مرجعهم فالى الدولة العثمانية اولهم قاسم عيواظ بك وآخروهم ابراهيم بك ومراد بك من سنة ١١١٩ الى ١٢١٢ هـ
- (٦) الامراء الفرنسيون . وهم قواد الحملة الفرنسية اولهم نابوليون بوناپرت وآخروهم الجنرال مينو من سنة ١٢١٢ الى ١٢١٦ هـ

(٧) باشوات آخرون . وهم الولاة الذين تولوا مصر باسم الدولة العلية منذ خروج الحملة الفرنسية الى ايام محمد علي . اولهم خسرو باشا وآخرهم خورشيد باشا من سنة ١٢١٦ الى ١٢٢٠ هـ

(٨) الدولة المحمدية العلوية . وهم سلالة رجل الاصلاح المغفور له محمد علي باشا من سنة ١٢٢٠ هـ ولا تزال

وهاك جدولاً شاملاً لاسماء الذين حكموا في مصر مرتبة حسب سني تولياتهم مع مراعاة التقسيم المتقدم ذكراً والاشارة الى الاماكن المذكورة فيها تلك التوليات من هذا الكتاب ثم اذا كانوا امراء او ولاة تذكر بجانب ذلك اسماء الخلفاء او السلاطين الذين حكموا تحت رعايتهم

### (١) الامراء العرب

#### تحت رعاية الخلفاء الراشدين

اسم الامير	سنة هـ	الصفحة ج ١	الخليفة
عمرو بن العاص	١٨	٩٤	عمر بن الخطاب
عبدالله بن سعد	٢٥	١٢٤	عثمان بن عفان
محمد بن ابي حذيفة	٢٥	١٢٨	»
قيس بن سعد	٢٦	١٢٢	علي بن ابي طالب
محمد بن ابي بكر الصديق	٢٧	١٢٤	»

#### تحت رعاية الخلفاء الامويين

عمرو بن العاص (ثانية)	٤١	١٤٠	معاوية بن ابي سفيان
عنة بن ابي سفيان	٤٢	١٤٠	»
عقبة بن عامر	٤٤	١٤١	»

اسم الامير	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	الخليفة
مسلمة بن مخلد	٤٥	١٤١	معاوية بن ابي سفيان
سعيد بن يزيد الازدي	٦٢	١٤٢	يزيد بن معاوية
عبد الرحمن بن عتبة	٦٤	١٤٥	عبدالله بن الزبير
عبد العزيز بن مروان	٦٥	١٤٦	مروان بن الحكم
عبدالله بن عبد الملك	٨٦	١٤٨	عبد الملك بن مروان
قرة بن شريك	٩٠	١٤٩	الوليد بن عبد الملك
عبد الملك بن رفاعة	٩٦	١٤٩	»
ايوب بن شرحبيل	٩٩	١٥١	عمر بن عبد العزيز
بشر بن صفوان	١٠١	١٥٢	يزيد بن عبد الملك
حنظلة بن صفوان	١٠٢	١٥٢	»
محمد بن عبد الملك بن مروان	١٠٤	١٥٢	»
الحمر بن يوسف	١٠٥	١٥٢	هشام بن عبد الملك
حنص بن الوليد	١٠٨	١٥٢	»
عبد الملك بن رفاعة (ثانية)	١٠٩	١٥٢	»
الوليد بن رفاعة	١٠٩	١٥٢	»
عبد الرحمن بن خالد	١١٧	١٥٢	»
حنظلة بن صفوان (ثانية)	١١٩	١٥٢	»
حنص بن الوليد (ثانية)	١٢٤	١٥٤	»
حسان بن عناية	١٢٧	١٥٦	مروان بن محمد
حنص بن الوليد (ثالثة)	١٢٧	١٥٧	»
الحوثر بن سهل الباهلي	١٢٨	١٥٧	»
المغيرة بن عبيدالله	١٢١	١٥٧	»
عبد الملك بن موسى	١٢٢	١٥٧	»

## تحت رعاية الخلفاء العباسيين

اسم الامير	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	الخليفة
صالح بن علي	١٢٢	١٥٩	ابو العباس ابن محمد
ابو عون عبد الملك بن يزيد	١٤٠	١٦٠	المنصور بن محمد
موسى بن كعب	١٤١	١٦٠	»
محمد بن الاشعث	١٤١	١٦٠	»
حميد بن قمطبة	١٤٢	١٦٠	»
يزيد بن حاتم	١٤٤	١٦٠	»
عبدالله بن عبد الرحمن	١٥٢	١٦١	»
محمد بن عبد الرحمن	١٥٥	١٦٢	»
موسى بن علي	١٥٦	١٦٢	»
عيسى بن لقمان	١٦١	١٦٢	محمد المهدي
واضح مولى ابي جعفر	١٦٢	١٦٢	»
منصور بن يزيد الرعيبي	١٦٢	١٦٢	»
بجبي بن داود	١٦٢	١٦٢	»
سالم بن سواده	١٦٤	١٦٢	»
ابراهيم بن صالح	١٦٥	١٦٢	»
موسى بن مصعب	١٦٧	١٦٢	»
اسامة بن عمرو	١٦٨	١٦٤	»
الفضل بن صالح	١٦٨	١٦٤	»
علي بن سليمان	١٦٩	١٦٥	»
موسى بن عيسى	١٧١	١٦٦	هارون الرشيد
مسلمة بن بجبي	١٧٢	١٦٦	»

الخليفة	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	اسم الامير
»	١٧٢	١٦٦	محمد بن زهير
هارون الرشيد	١٧٢	»	داود بن يزيد بن حاتم
»	١٧٥	»	موسى بن عيسى (ثانية)
»	١٧٦	»	ابراهيم بن صالح
»	»	»	عبدالله بن المسيب
»	١٧٧	»	اسحق بن سليمان
»	١٧٨	»	هرثمة بن اعين
»	»	١٦٧	عبد الملك بن صالح
»	١٧٩	»	عبدالله بن المهدي
»	١٧٩	»	موسى بن عيسى (ثالثة)
»	١٨٠	»	عبيدالله بن المهدي (ثانية)
»	١٨١	»	اسماعيل بن صالح
»	١٨٢	»	اسماعيل بن عيسى
»	١٨٢	»	الليث بن الفضل
»	١٨٧	١٦٨	احمد بن اسماعيل
»	١٨٩	١٦٨	عبيدالله بن محمد
»	١٨٩	١٦٨	الحسين بن جميل
»	١٩٢	١٦٨	مالك بن دلم
»	١٩٢	١٦٨	الحسن بن جميل
محمد الامين	١٩٤	١٧٠	حاتم بن هرثمة
»	١٩٥	١٧٠	جابر بن الاشعث
»	١٩٦	١٧١	عباد بن محمد
عبدالله المأمون	١٩٨	١٧١	المطلب بن عبدالله الخزاعي

اسم الامير	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	الخليفة
عباس بن موسى ابن عيسى	١٩٨	١٧١	عبدالله المأمون
المطلب بن عبدالله (ثانية)	١٩٩	١٧٢	»
السري بن الحكم	٢٠٠	»	»
محمد بن السري	٢٠٤	»	»
عبيدالله بن السري	٢٠٦	١٧٢	»
عبدالله بن الطاهر	٢١١	»	»
عيسى بن يزيد الجلودي	٢١٢	»	»
عمير بن الوليد النيمى	٢١٤	»	»
عيسى بن يزيد الجلودي (ثانية)	٢١٤	»	»
عبدويه بن جبلة	٢١٥	»	»
عيسى بن منصور	٢١٦	١٧٤	»
كيدر الصفدي	٢١٧	»	»
المظفر بن كيدر الصفدي	٢١٩	١٧٧	محمد المعتصم
موسى بن ابي العباس	»	»	»
مالك بن كيدر الصفدي	٢٢٤	»	»
ابوجعفر اشناس	٢٢٥	»	»
علي بن يحيى الارمني	٢٢٨	١٨١	الواثق بن المعتصم
عيسى بن المنصور (ثانية)	٢٢٩	»	»
هرثمة بن نصر الجبلي	٢٢٢	١٨٢	المنوكل بن المعتصم
حاتم بن هرثمة (ثانية)	٢٢٤	»	»
علي بن يحيى الارمني (ثانية)	»	»	»
اسحق بن يحيى الجبلي	٢٢٥	»	»
خوط عبد الواحد بن يحيى	٢٢٦	»	»

اسم الامير	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	الخليفة
عبسة بن اسحق	٢٢٨	١٨٢	المتوكل بن المعتصم
يزيد بن عبدالله	٢٤٥	"	"
مزاحم بن خاقان التركي	٢٥٢	١٨٨	المعتز بن المتوكل
احمد بن مزاحم	٢٥٤	١٨٩	"
باكبك	٢٥٤	"	"

## الدولة الطولونية

## تحت رعاية الدولة العباسية

احمد بن طولون	٢٥٥	١٨٩	المعتز بن المتوكل
خمارويه بن احمد	٢٧١	٢١٨	المعتد بن المتوكل
ابو العساكر جيش بن خمارويه	٢٨٢	٢٢٥	المعتضد بن الموفق
هارون بن خمارويه	٢٨٢	"	"
شيبان بن احمد	٢٩٢	٢٢٨	المكتفي بن المعتضد

## تحت رعاية الدولة العباسية الثانية

محمد بن سليمان	٢٩٢	٢٢٨	المكتفي بن المعتضد
عيسى بن محمد النوشري	"	٢٢٢	"
محمد بن الخليلج	٢٩٥	"	المقتدر بن المعتضد
عيسى بن محمد النوشري (ثانية)	٢٩٥	"	"
نكبن الخزري ابو منصور	٢٩٧	"	"
زكا الرومي ابو الحسن الاعور	٢٠٢	"	"
نكبن الخزري (ثانية)	٢٠٧	٢٢٢	"
محمد بن نكبن	"	"	"

اسم الخليفة	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	اسم الامير
محمد بن طغ	٢٢٠	٢٢٢	محمد بن طغ
احمد بن كيفلغ	٢٢١	٢٢٥	احمد بن كيفلغ

## الدولة الاخشيدية

## تحت رعاية الدولة العباسية

محمد بن طغ (ثانية)	٢٢٢	٢٢٥	الراضي بن المنتدر
انوجور بن الاخشيد	٢٢٤	٢٤٢	المطيع بن المنتدر
علي بن الاخشيد	٢٤٩	٢٤٤	»
كافور الاخشيدي	٢٥٥	٢٤٥	»
ابي الفوارس ابن علي	٢٥٧	»	»

## (٢) الخلفاء

## الدولة الفاطمية

اسم الخليفة	سنة ٥٠	الصفحة ج ١
المعز بن المنصور	٢٦٢	٢٤٦
العزبز بالله ابن المعز	٢٦٥	٢٥٤
الحاكم بامر الله ابن العزبز	٢٨٦	٢٥٨
الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم	٤١١	٢٦٢
المستنصر بالله ابن الظاهر	٤٢٧	٢٦٢
المستعلي بالله ابن المستنصر	٤٨٧	٢٨٤
الامر باحكام الله ابن المستعلي	٤٩٥	٢٨٩
الحافظ لدين الله ابن محمد	٥٢٤	٢٩٢
الظافر بامر الله ابن الحافظ	٥٤٤	٢٩٥
الفائز بنصر الله ابن الظافر	٥٤٩	٢٩٦

٢٩٨ ٥٥٦

العاقد لدين الله ابن يوسف

## (٣) السلاطين

## الدولة الايوبية

		اسم السلطان
٢١٥	٥٦٧	الملك الناصر صلاح الدين يوسف الابوي
٢٢٤	٥٨٩	" العزيز عماد الدين ابن يوسف
٢٢٧	٥٩٥	" المنصور بن العزيز
٢٢٨	٥٩٦	" العادل بن ابوب
٢٤١	٦١٥	" الكامل بن العادل
٢٥٠	٦٣٥	" العادل بن الكامل
٢٥٠	٦٢٧	" الصالح بن الكامل
٢٥٥	٦٤٧	" المعظم بن الصالح

## دولة المماليك الاولى

الصفحة ج ٢	سنة ٥٠	اسم السلطان
٠٠٥	٦٤٨	شجرة الدر الصالحية
٠٠٦	٦٤٨	الملك المعز ايك الجاشنكير
٠٠٦	٦٤٨	" الاشرف بن يوسف
٠١١	٦٥٥	" المنصور نور الدين علي بن ايك
٠١٢	٦٥٧	" المظفر سيف الدين قطوز
٠١٤	٦٥٨	" الظاهر بيبرس البندقداري
٠٢٢	٦٧٦	" السعيد برقة خان ابن بيبرس
٠٢٢	٦٧٨	" العادل سلامش بن بيبرس

الصفحة ج ٢	سنة هـ	اسم السلطان
.٢٢	٦٧٨	الملك المنصور قلاون الاني
.٢٧	٦٨٩	" الاشرف خليل بن قلاون
.٢٧	٦٩٢	" الفاهر بيدرا
.٢٨	٦٩٣	" الناصر ابن قلاون (اولاً)
.٢٨	٦٩٤	" العادل زين الدين كنبوغا
.٢٠	٦٩٦	" المنصور حسام الدين لاجين
.٢١	٦٩٨	" الناصر ابن قلاون (ثانية)
.٢٢	٧٠٨	" المظفر بيبرس الجاشنكير
.٢٤	٧٠٩	" الناصر ابن قلاون (ثالثة)
.٢٧	٧٤١	" المنصور ابو بكر ابن الناصر
.٢٧	٧٤٢	" الاشرف كجيك بن الناصر
.٢٧	٧٤٢	" الناصر احمد بن الناصر
.٢٧	٧٤٣	" الصالح اسماعيل بن الناصر
.٢٧	٧٤٦	" الكامل شعبان بن الناصر
.٢٧	٧٤٧	" المظفر حاجي بن الناصر
.٢٨	٧٤٨	" الناصر حسن بن الناصر
.٢٨	٧٥٢	" الصالح صلاح الدين بن الناصر
.٢٩	٧٥٥	" الناصر حسن بن محمد بن قلاون
.٢٩	٧٦٢	" المنصور محمد بن حاجي
.٤٠	٧٦٤	" الاشرف شعبان بن حسين
.٤١	٧٧٨	" المنصور علي بن شعبان
.٤٢	٧٨٢	" الصالح حاجي بن شعبان

## دولة المماليك الثانية

الصفحة ج ٢	سنة ٥٠	اسم السلطان
. ٤٤	٧٨٤	الملك الظاهر برفوق
. ٤٧	٨٠١	" الناصر فرج بن برفوق (اولاً)
. ٤٨	٨٠٨	" المنصور عبد العزيز بن برفوق
. ٤٩	٨٠٨	" الناصر فرج بن برفوق (ثانية)
. ٥٠	٨١٥	الخليفة الامام المستعين بالله
. ٥١	.	الملك المؤيد الشيخ محمودي
. ٥٢	٨٢٤	" المظفر احمد بن محمودي
.	.	" الظاهر سيف الدين نثر
.	.	" الصالح محمد بن نثر
.	٨٢٥	" الاشرف برس باي
. ٥٢	٨٤١	" العزيز يوسف بن برس باي
. ٥٤	٨٤٢	" الظاهر جقمق
. ٥٤	٨٥٧	" المنصور عثمان بن جقمق
. ٥٥	.	" الاشرف بنال
.	٨٦٥	" المؤيد احمد بن بنال
. ٥٦	.	" الظاهر خوش قدم
.	٨٧٢	" الظاهر بلباي
.	.	" الظاهر ثمار بوغا
. ٥٧	.	" الاشرف قايت باي
. ٥٩	٩٠١	" الناصر محمد بن قايت باي
. ٦٠	.	" الظاهر قنسو خمسية

الصفحة ج ٢	سنة هـ	اسم السلطان
٠٦٠	١٠٤	الملك قنمو ابو سعيد
٠	١٠٥	الاشرف جان بلد
٠	١٠٦	العادل طومان باي
٠٦١	٠	الاشرف قنمو الغوري
٠٦٢	١٢٢	طومان باي

## (٤) الباشوات

## تحت رعاية الدولة العثمانية

السلطان	الصفحة ج ٢	سنة هـ	اسم الباشا
سليم بن بيازيد	٠٦٦	١٢٢٤	خيربك باشا
سليمان بن سليم	٠٧١	١٢٢٦	مصطفى
٠	٠٧٢	١٢٢٧	احمد
٠	٠	١٢٤١	قاسم
٠	٠	١٢٤٢	ابراهيم
٠	٠	١٢٤٤	سليمان
٠	٠	١٤٥٥	داود
٠	٠٧٤	١٥٠٦	علي
٠	٠	١٦١١	محمد
٠	٠	١٦٦٢	اسكندر
٠	٠	١٦٨١	علي الخادم
٠	٠	١٦٦٩	مصطفى (٢)
٠	٠	١٧١١	علي الصوفي
٠	٠	١٧٢٤	محمد

اسم الباشا	سنة .	الصفحة ج ٢	السلطان
ستان باشا	٩٧٥	٧٤	سليم بن سليمان
حسين	٩٨٠	٧٥	.
مسج	٩٨٢	٧٦	مراد بن سليم
حسن	٩٨٨	.	.
ابراهيم	٩٩١	.	.
الخدم	٩٩٢	٧٧	.
ستان	٩٩٤	.	.
عويس	٩٩٩	.	.
حافظ احمد باشا	١٠٠٢	٧٨	محمد بن مراد
قورط باشا	١٠٠٤	.	.
السيد محمد باشا	١٠٠٦	٧٩	.
خضر باشا	١٠٠٩	.	.
علي	١٠١٢	٨٠	احمد بن محمد
اللمحدار	١٠١٣	٨١	.
ابراهيم	١٠١٣	٨٢	.
محمد	١٠١٦	.	.
الكورجي	١٠١٦	.	.
حسن	١٠٢٢	٨٤	.
محمد	١٠٢٦	٨٥	مصطفى بن محمد
الصوفي	١٠٢٧	.	عثمان بن احمد
احمد	١٠٢٨	.	.
مصطفى	١٠٢٨	٨٦	.
لفغلي	١٠٢٨	.	.
جعفر	١٠٢٨	.	.
مصطفى	١٠٢٨	.	.
حسين	١٠٢٨	٨٦	.
محمد	١٠٢٨	.	.
ابراهيم	١٠٢٨	.	مصطفى بن محمد (٢)

اسم الباشا	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢	السلطان
مصطفى باشا (٥)	١٠٢٢	٨٦	مصطفى بن محمد (٢)
علي (٥)	.	٨٧	مراد بن محمد
مصطفى (٥) (ثانية)	.	.	.
بيرام	١٠٢٧	٨٩	.
محمد (٥)	.	٨٩	.
موسى	١٠٤٠	٩٠	.
خليل	١٠٤١	٩١	.
احمد الكورجي	١٠٤٢	٩٢	.
حسين (٢)	١٠٤٢	٩٢	.
محمد بن احمد باشا	١٠٤٥	٩٤	.
مصطفى باشا البستانجي	١٠٤٩	٩٥	ابراهيم بن احمد
منصود	١٠٥١	٩٦	.
ايوب	١٠٥٤	٩٩	.
محمد ابن حيدر	.	.	.
احمد (٤)	١٠٥٨	١٠١	محمد بن ابراهيم
عبد الرحمن باشا	١٠٦٢	١٠٢	.
عزة باشوات	.....	١٠٢	.
حسين باشا (٢)	١١١٩	.	احمد بن محمد

## (٥) الامراء المالك

## تحت رعاية الدولة العثمانية

اسم الامير	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢	السلطان
قاسم عيواظ بك	١١١٩	١٠٢	احمد بن محمد

أحمد بن محمد	١٠٤	١١٢٦	اسماعيل بك
"	١٠٦	١١٢٦	شركس بك
"	١٠٧	"	ذوالفقار
محمود بن مصطفى	١٠٨	١١٤٤	عثمان
"	١١٣	١١٥٦	ابراهيم كنجيا
عثمان بن مصطفى	١١٦	١١٦٨	رضوان بك
"	١١٧	"	حسين
"	"	"	خليل
مصطفى بن احمد	١١٩	١١٧٧	الكبير
"	١٢٨	١١٨٦	ابوالذهب
عبد الحميد بن احمد	١٢٧	١١٨٩ (٢)	اسماعيل
"	"	"	ابراهيم بك ومراد بك

## (٦) الامراء الفرنساويون

## تحت رعاية الجمهورية الفرنسية

١٦٨	١٢١٣	بونابرت
٢٠٣	١٢١٤	كلابر
٢١٠	١٢١٥	مينو

## (٧) باشوات آخرون

## تحت رعاية الدولة العثمانية

سليم بن مصطفى	٢١٧	١٢١٦	خسرو باشا
"	٢٢٢	١٢١٨	علي باشا الطرابلسي
"	٢٢٤	"	خورشيد باشا

## (٨) العائلة المحمدية العلوية

## تحت رعاية الدولة العثمانية

اسم الباشا	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢
محمد علي باشا	١٢٢٠	٢٢٦
ابراهيم	١٢٦٤	٢٥٠
عباس	١٢٦٥	٢٥٢
سعيد	١٢٧٠	٢٥٤
اسماعيل	١٢٧٩	٢٥٦
محمد توفيق باشا	١٢٩٦	٢٧٢
سليم بن مصطفى		
عبد المجيد بن محمود		
عبد العزيز بن محمود		
عبد الحميد بن عبد المجيد		

## فهرس الجزء الثاني من تاريخ مصر الحديث

## دولة المالك الاولى

صفحة	
٢	منشأ المالك ومبدأ امره
٥	سلطنة شجرة الدر
٦	" ابيك الجاشنكير
٦	" الملك الاشرف ابن يوسف
١١	" نور الدين علي بن ابيك
١٢	" المظفر سيف الدين قطوز
١٤	" الظاهر بيبرس البندقداري

صفحة	
٢٢	سلطنة برقة خان بن بيبرس
٢٢	" سلامش بن بيبرس
•	" الملك المنصور قلاون
٢٧	• خليل بن قلاون ثم الفاهر بيدرا
٢٨	" الملك الناصر ابن قلاون «أولاً»
•	" " العادل كتبوغا
٣٠	" " المنصور لاجين
٣١	• " الناصر ابن قلاون «ثانية»
٣٢	• بيبرس الجاشنكير
٣٤	• الملك الناصر ابن قلاون «ثالثة»
٣٧	• اولاد الناصر بن قلاون
٣٩	• محمد بن حاجي
٤٠	• شعبان بن حسن
٤١	" علي بن شعبان
٤٢	• حاجي بن شعبان

## دولة المالك الثانية

٤٢	منشأ المالك الشراكسة
٤٤	سلطنة الملك الظاهر برفوق
٤٧	" فرج بن برفوق «أولاً»
٤٨	" عبد العزيز بن برفوق
٤٩	• فرج بن برفوق «ثانية»
٥٠	• الامام المستعين بالله
٥١	" الشيخ المحمودي

صفحة

- ٥٢ سلطنة احمد بن المحمودي ثم سيف الدين تتر ثم محمد بن تتر  
 ٥٢ » الملك الاشرف برس باي  
 ٥٢ » يوسف بن برس باي  
 ٥٤ » الملك الظاهر جقمق  
 ٥٤ » عثمان بن جقمق  
 ٥٥ » الملك الاشرف ينال  
 ٥٥ » احمد بن ينال  
 ٥٦ » الظاهر خوش قدم  
 ٥٦ » الظاهر بلباي ثم الظاهر تمار بوغا  
 ٥٧ » الملك الاشرف قايت باي  
 » محمد بن قايت باي ثم قنمو خمسية ثم قنمو ابي سعيد ثم  
 ٥٩ قنمو جان بلد ثم العادل طومان باي  
 ٦١ » قنمو الغوري  
 ٦٢ » الملك الاشرف طومان باي

## الدولة العثمانية

- ٦٥ سلطنة سليم بن بيازيد  
 ٦٨ » سليمان بن سليم  
 ٧٤ » سليم بن سليمان  
 ٧٦ » مراد بن سليم  
 ٧٨ » محمد بن مراد  
 ٨٠ » احمد بن محمد  
 ٨٥ » مصطفى بن محمد ثم عثمان بن احمد ثم مصطفى بن محمد  
 ثانية

صفحة	
٨٧	سلطنة مراد بن احمد
٩٥	» ابراهيم بن احمد
١٠١	» محمد بن ابراهيم
١٠٢	» سليمان بن ابراهيم ثم احمد بن ابراهيم ثم مصطفى بن محمد
١٠٢	» احمد بن محمد
١٠٩	» محمود بن مصطفى
١١٦	» عثمان بن مصطفى
١١٧	» مصطفى بن احمد
١١٩	» علي بك الكبير
١٢٢	» عبد الحميد بن احمد
١٤٢	» سليم بن مصطفى

### الحملة الفرنساوية

١٤٨	لماذا جرّد الفرنساويون الى مصر
١٥٢	حالة مصر عند قدوم الحملة الفرنساوية
١٥٦	قدوم الفرنساويين الى مصر
٢١٥	من انتحاب الفرنساويين الى تولية محمد علي

### الدولة المحمدية العليوية

٢١٨	ولاية محمد علي باشا
٢٥٠	» ابراهيم باشا بن محمد علي
٢٥٢	» عباس باشا
٢٥٤	» سعيد باشا
٢٥٦	» اسماعيل باشا الخديوي الاول

صفحة	
٢٥٨	تاريخ الوسائل لايصال البحرين
٢٧٢	ولاية محمد توفيق باشا الخديوي الحالي
٢٨٢	الحوادث العراقية
٢١٨	" السودانية
٢٢٦	جدول عام

### فهرس عام

قد رأيت ان اضع فضلاً عن الفهرس لكل جزء من جزئي الكتاب  
فهرساً عاماً يتضمن أهم مواد هذا الكتاب مرتبة على الحروف الابدئية  
تسهيلاً للاهداء الى اماكنها

(١)

الجزء	صفحة		الجزء	صفحة	
١ ج	١٦٢	• بن صالح	١ ج	١٢	الآثار المصرية
"	١٥٥	• بن الوليد	"	٢١	الهة المصريين
٢ ج	١١٢	• كنجيا	"	٢٨٩	الأمير باحكام الله
"	٢١١	• ابركرومي	٢ ج	٢٤	اباكو خان
١ ج	١٩٠	• ابن المدر	"	٧٢	ابراهيم باشا «١»
٢ ج	١٢٢	• ابو الذهب	"	٧٦	" " «٢»
١ ج	١٥٧	• ابو العباس	"	٨٤	" " «٣»
"	٢٢٥	• ابو العساكر	"	٨٦	" " «٤»
١ ج	٢٤٥	• ابو الفارس بن علي	٢ ج	٩٥	ابراهيم بن احمد

صفحة		صفحة	
٥٥ ج ٢	احمد بن ينال	١٢٧ ج ٢	ابراهيم بك الكبير
٢٢٢ ج ١	الاخشيدي	٢٢٥ "	بن محمد علي
٧٥ "	ادفو	٢٩ ج ١	ابو الهول
٢٨٦ "	الارثيون	٢٧ ج ٢	ابو بكر بن الناصر
٢٢٨ ج ٢	الازبكية	١٧٧ ج ١	ابو جعفر اشناس
١٦٤ ج ١	اسامة بن عمر	٢٢٥ ج ٢	ابو طلح
١٥٠ "	بزيد	١٦٠ ج ١	ابوعون بن بزيد
١٦٦ "	اسحق بن سليمان	١٧٢ ج ٢	ابو قير
١٨٢ "	بجي	٧٥ ج ١	ايفنان
٧٨ "	اسكندر الثاني	٢٧٩ "	انسز
٧٢ "	المكدوني	٧٢ ج ٢	احمد باشا «١»
٧٢ ج ٢	باشا	٨٤ "	«٢»
٢٥٦ "	اسماعيل باشا الخدبو	٩٢ "	الكورجي
٢٢٦ "	بن محمد علي	١٠١ "	«٤»
١٠٤ "	بك «١»	١٠٢ "	احمد بن ابراهيم
١٢٧ "	«٢»	١٦٨ ج ١	اسماعيل
٢٧ "	بن الناصر	٥٢ ج ٢	المحمودي
١٦٧ ج ١	صالح	٢٧ "	الناصر
"	عيسى	١٩٢ ج ١	طولون
٥٢ ج ٢	الاشرف برس باي	٢٢٥ "	كيفلغ
٦ "	بن يوسف	٨٠ ج ٢	محمد
٥٧ "	قايت باي	١٠٢ "	"
٥٥ "	ينال	١٨٩ ج ١	مراحم

صفحة		صفحة	
٤٢ ج ٢	برقوق	٧٧ ج ١	افريحيث الثاني
٢٩ ج ١	بركة موريس	٢٨٤ "	الافضل شاهين شاه
١٥٢ "	بشر بن صفوان	١٧٢ "	الامام الشافعي
٧٢ "	البطالسة	١٦٦ ج ٢	امبابه
٥٦ ج ٢	بلباي الظاهر	٠٤٩ ج ١	امنوفيس الثالث
٢٥ "	بولاق مصر	٧٢ "	انس الوجود
١٥٠ "	بونابرت «قدمه»	٢٤٢ "	انوجور بن الاخشيد
١٦٨ "	«سفره»	٢٠ "	اهرام الجيزة
٤٥ "	بيازيد الاول	٢٧٠ ج ٢	الاوربا الخديوية
٨٩ "	بيرام باشا	٠٧٩ ج ١	اولينس
٢٤ "	بهارستان قلاون	٢٩ ج ٢	الاوربانية
(ت)		٠٦ "	ايك الجاشنكير
٢٧ ج ١	تنا	٩٩ "	ايوب باشا
٤٦ "	تخومس الثالث	١٥١ ج ١	ايوب بن شرحيل
٢٥٨ ج ٢	ترعة السويس	(ب)	
٢١٠ "	تل الكبير	١١٢ و ٩٦ ج ١	بابليون
٢٢٢ ج ١	تكين الخزري	١٨ ج ٢	الباطنيون
٥٦ ج ٢	تمار بوغا	١٨٩ ج ١	باكيك
٢٧٢ "	توفيق باشا الخديوي	٢٢٠ ج ٢	باكر باشا
٠٤٥ "	تيمورلنك التنري	٢٧٢ ج ١	بدر الجمالي
(ث)		٢٩٢ "	بردويل
٠٨٢ ج ١	ثيودوسيوس	٠٥٢ ج ٢	برس باي
		٢٢ "	برقة بن يبرس

صفحة	(ج)	صفحة
١ ج ٢٠٩	ج ١	١٧٠ جابر بن الأشعث
• ٢٢٥	• ٢٠٥	جامع ابن طولون
(ح)		
١ ج ١٧٠	• ٢٥٢	• الازهر
٢ ج ٠٢٧	• ١٩٦	• التنوير
• ٠٤٢	• ٢٦١	• الحاكم
• ٢٩٧	• ٢٠٠	• الحسين
• ٠٧٧	٢ ج ٠٢٠	• الظاهر
١ ج ٢٩٢	• ٠٢٩	• السلطان حسن
• ٢٥٨	• ٠٢٥	الجامع الناصري
• ٠١٤	• ٠٤٦	جامع برقوق
• ١٥٢	• ٠٢٨	• شيخون
• ١٥٦	١ ج ١١٦	• عمرو
٢ ج ٠٧٦	٢ ج ٠٥٩	• فايت باي
• ٠٨٢	• ٠٢٤	• فلاون
• ١٠٢	• ٢٢٦	جدول حكام مصر
• ٠٢٧	١ ج ٠٧٢	جزيرة فيلوي
١ ج ١٦٨	٢ ج ٠٨٥	جعفر باشا
٢ ج ٠٧٥	١ ج ٠٨٩	جغرافية مصر الحديثة
• ٠٨٦	• ٠١٦	• القديمة
• ٠٩٢	٢ ج ٠٥٤	جنتي الظاهر
• ٢١٥	• ١٧٧ و ١٦٠	الجوکار
١ ج ١٦٨	١ ج ٢٤٧	جوهر القائد

صفحة		صفحة	
٢٠	خوفو ج ١	١١٧	حسين بك ج ٢
٦٦	خيربك باشا ج ٢	١٥٢	حنص بن الوليد ج ١
	(د)	١٤٨	الحملة الفرنساوية ج ٢
٧٢	داود باشا ج ٢	٢٠٠ و ١٤٠	حملة عثمانية
١٦٦	داود بن يزيد ج ١	٢٢٢	الحملة النبيلة
١٦٤	دحية	١٦٠	حميد بن قحطبة ج ١
٢٩٦	درويش باشا ج ٢	١٥٢	حنظلة بن صفوان
١٢٠ و ١٨٢ و ٢١٢	دمياط	١٥٧	الحوثة بن سهل
٢٢٩ و ٢٥٢ ج ١ و ١٢	ديانة المصريين القدماء	٢٧٥	حي دارا
٢٠	دبزه ج ١		(خ)
١٩٠	دبزه ج ٢	٢٧	الحان الخليبي ج ٢
	(ذ)	١٧٢	الحانكاه
١٠٧	ذو الفقار بك ج ٢	٢١٧	خسرو باشا
	(ر)	٧٩	خضر باشا
٢٢٥	الراضي بن المنتدر ج ١	٢٠	خنرع
٢٠٠	راغب باشا ج ٢	١٢١	خليج امير المؤمنين
٥٨	رحبعام ج ١	٩١	خليل باشا ج ٢
١١٦	رضوان بك ج ٢	١١٧	بك
٤١	الرعاة ج ١	٢٧	بن قلاون
٥٢	رعميس الثاني	٢١٨	خمارويه بن احمد ج ١
٩٥	رفح	٢٢٤	خورشد باشا ج ٢
٢١٧ و ٢٧٩	رياض باشا ج ٢	٥٦	خوش قدم
٢٢٤	ج ١	١٨٢	خوط بن يحيى ج ١

صفحة	(ز)	صفحة
٢ ج ٠٧٧	سنان باشا «٢»	٢ ج ٢٠٥
١ ج ٠٧٨	سوتر الاول والثاني	١ ج ٢٢٢
٢ ج ٢٢٦	السودان	(س)
١ ج ٢٢٢ و ٢٨٠	سور القاهرة	١ ج ١٦٢
٢ ج ٠٧٨	السيد محمد باشا	٠ ٠٦١
٠ ١٩٨	السير سدي سميت	٠ ٠٢١
١ ج ٢٨٢	سيسيليا	٢ ج ٠٢٠
٠ ٢٤١	سيف الدولة	١ ج ٠٢١
٢ ج ٠٥٢	الدين نتر	٠ ١٧١
(ش)		٢ ج ٢٥٤
١ ج ٢٩٩	شاور	١ ج ١٤٢
٢ ج ٠٥٤	شجرة الدر	٠ ٠٤١
٠ ١٠٧	شركس بك	٢ ج ٠٢٢
١ ج ٠٥٧	ششناق	٠ ٠٦٢
٢ ج ٠٤٠	شعبان بن حسن	٠ ٠٧٤
٠ ٠٢٧	الناصر	٠ ١٢٤
٠ ٠٢٥	شمس الدين	٠ ٢٠٩
١ ج ٠٧٨	شوطار	٠ ٠٧٢
٠ ٢٢٨	شيبان بن احمد	٠ ١٠٢
٢ ج ١٢٤	الشيخ ضاهر	٠ ٠٦٨
٠ ٠٥١	المحمودي	٠ ٠٠٠
١ ج ٢٠١	شيركويه	١ ج ١٥٠
		٢ ج ٠٧٤
		سنان باشا

صفحة			
١ ج ٢٦٢	الظاهر بن الحاكم	(ص)	
٢ ج ١٤	البنديقداري	صفحة	
٠٠٥٦	نمار بوغا	١ ج ٢٥٠	الصالح بن الكامل
٠٠٥٤	جفقي	٠٠١٥٩	علي
٠٠٥٦	خوش قدم	٠٠٢٢٠	نور الدين
(ع)		٠٠٢٩٨ و ٢٠٠٨	طلائع
١ ج ٢٢٨	العادل بن ايوب	٢ ج ٠٢٧	صلاح الدين بن
٠٠٢٥٠	بن الكامل		الناصر
٠٠٢٢٤	العاقد بن يوسف	١ ج ٢٠١	صلاح الدين يوسف
١ ج ١٧١	عباد بن محمد	(ض)	
٢ ج ٢٥٢	عباس باشا	٢ ج ٢٠٢	ضرب الاسكندرية
١ ج ٢٠٩	عباس بن احمد	١ ج ٢٠١	ضرغام ابو الاشبال
٠٠١٧١	عباس بن موسى	(ط)	
٢ ج ١٢٢	عبد الحميد الاول	١ ج ٢٩٧	طلائع بن رزيك
٠٠٢٦٩	الثاني	١ ج ٢٢٢	الطواحين
٢ ج ١٠٢	عبد الرحمن باشا	٢ ج ٢٢١	طوسون باشا
١ ج ١٥٢	بن خالد	١ ج ١٨٠	طولون
٠٠١٤٥	عبد الرحمن بن عنية	٢ ج ٠٦٢	طوهان باي الاشرف
٢ ج ٢٨ و ٢٤	عبد الشهيد	" ٠٥٩	طومان باي العادل
٠٠٢٥٥	عبد العزيز السلطان	(ظ)	
٢ ج ٠٤٨	عبد العزيز بن برفوق	١ ج ٢٩٥	الظافر بن الحافظ
١ ج ١٤٦	مروان	٢ ج ٠٤٤	الظاهر برفوق
١ ج ١٧١	عبد الله المأمون	٢ ج ٠٥٦	الظاهر بلباي

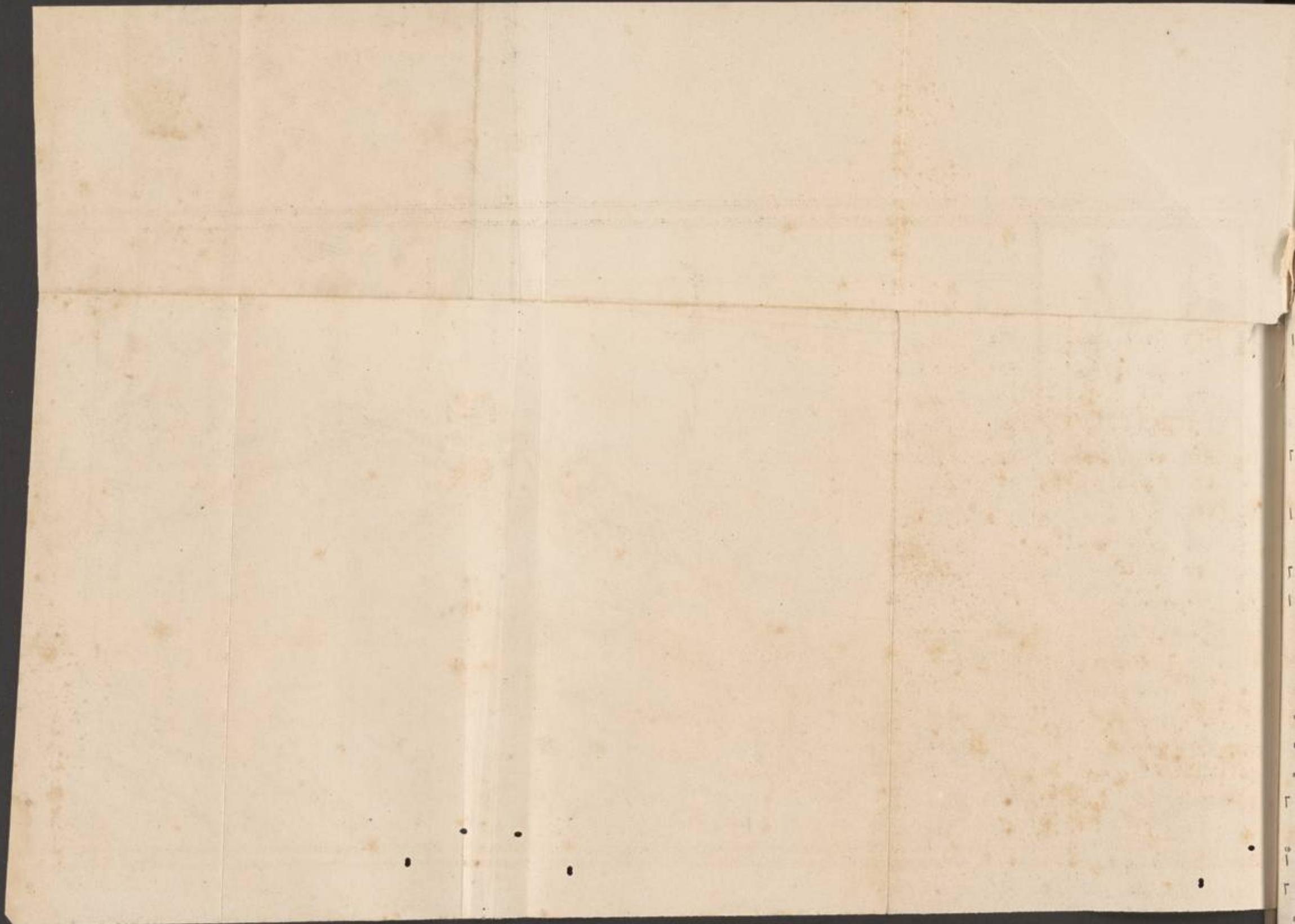
صفحة		صفحة	
٢٥٤	العزبز بن المعز	١٤٢	عبد الله بن الزبير
٢٢٤	" يوسف "	٩٥	عبد الله بن سعد
١٥٨	العسكر	١٦٦	عبد الله بن المسيب
١٤١	عقبة بن عامر	١٧٢	عبد الله بن طاهر
١٨١	علي الارمني	١٦٢	عبد الله بن عبد الرحمن
٧٢	" باشا "	٢٤٥	عبد المجيد . السلطان
٨٧	" « ٤ » "	١٤٩	الملك بن رفاعه
٧٢	" الخادم "	١٦٧	صالح
٧٩	" السلحدار "	١٤٧	مروان
٧٢	" الصوفي "	١٥٧	موسى
٢٢٢	" الطرابلسي "	١٦٠	يزيد
١١٩ و ١١٤	علي بك	١٧٢	عبدويه بن جبلة
١٢	علي بن ابي طالب	١٧٢	عبيد الله بن السري
٢٤٤	علي بن الاخشيد	١٦٧	المهدي
١٦٥	علي بن سليمان	١٦٨	محمد
٤١	علي بن شعبان	١٤٠	عنة بن ابي سفيان
٩٢	عمر بن الخطاب	١٠٨	عثمان بك
١٥١	عمر بن عبد العزيز	٨٥	عثمان بن احمد
١٢٦ و ٩٤	عمرو بن العاص	٥٤	" جفقي "
١٧٢	عمير التميمي	١٢٢	عنان
١٨٢	عنيسة بن اسحق	١١٦	مصطفى
٧٧	عويس باشا	٢٨٢	عراي
١٧٢	عيسى الجلودي	٢٠٥	العريش

صفحة		صفحة	
٢٢٢	الفاهر بن المعتضد	٢٢٢	عيسى النوشري
٢٧	الفاهر بيدرا	١٦٢	عيسى بن لقمان
٢٥٠	القاهرة (بناؤها)	١٧٤	عيسى بن منصور
٥٧	قايت باي	١٠٤	عبواظ بك
٢٢١ و ٢٢٧	القرامطة	( غ )	
١٤٩	قرق بن شريك	٦١	الغوري
١١٢	قصر الشمع	( ف )	
١٩٢	القطائع	٢٩٦	الغافر بن الظافر
٢٢	قلاون (السلطان)	٨	الغفار اقطاعي
٢٢٢	قلعة الجبل	٦٩	فتاح
٢٤	القناطر الخيرية	٩٤	فتح مصر (الاسلامي)
٢٠	قناطر السباع	٦٤	فتح مصر (العثماني)
٥٩	قنساو ابوسعيد	٤٧	فرج بن برفوق
٥٩	قنساو جان بلد	١٠٧	النسطاط
٥٩	قنساو خمسية	١٦٤	النضل بن صالح
٦١	قنساو الغوري	٢٥٧	فهرس الجزء الاول
٢٧	قوجوق بن الناصر	٢٥١	فهرس الجزء الثاني
٧٨	قورط باشا	٧٢	فيلاد لنوس
١٢٠	قيس بن سعد	٧٥	فيلوباتر
( ك )		٧٧	فيلوماتر
كافور الاخشيني ١٤١ و ٢٤٥	كافور الاخشيني	( ق )	
٢٤١	الكمال بن العادل	٧٢	قاسم باشا
٢٨	كايه خوس	١٠٢	قاسم بك عبواظ

صفحة		صفحة	
٢ ج ٠٨٦	محمد باشا «٤»	٢ ج ٠٢٨	كتبوغا
• ٠٨٩	• «٥» • •	• ٢٠٦	كفر الدوار
• ٠٩٤	• البستانجي • •	• ٢٠٩ و ٢٠٢	كلابر
• ٠٩٩	• حيدر • •	١ ج ٠٧٩	كليويطرا
• ١٤٠	• قبطان • •	• ٠٦٦	كميس
• ١٢٨	• بك ابو الذهب • •	• ١٧٤	كيدر الصفدي
• ١٠١	• بن ابراهيم • •	• ٠٦٦	كبروس
١ ج ١٢٤	" بن ابي بكر	(ل)	
" ١٢٨	" بن ابي حذيفة	١ ج ٠٢٩	لا براتا
٢ ج ٠٩٤	• بن احمد باشا • •	٢ ج ٠٢٠	لاجين (المصور)
١ ج ١٦٠	" بن الاشعث • •	• ٢١٥	اللورد دوفرين
• ١٧٢	• بن السري • •	١ ج ١٦٧	الليث بن الفضل
• ٢٢٢	• بن الخليل • •	(م)	
٢ ج ٠٥٢	• بن نثر • •	١ ج ١٦٨	مالك بن دلم
١ ج ٢٢٢	• بن تكين • •	١ ج ١٧٧	مالك بن كيدر
٢ ج ٠٢٩	• بن حاجي • •	• ٢٢٩	المتقي لله
١ ج ١٦٦	• بن زهير • •	• ١٨١	المتوكل بن المعتصم
• ٢٢٧	• بن سليمان • •	• ١٦٩	محمد الامين
• ٢٢٢	" بن طنج • •	• ٢٩٢	• الكاتب •
" ١٦٢	" بن عبد الرحمن • •	• ١٦٢	• المهدي •
" ١٥٢	" بن عبد الملك • •	٢ ج ٠٧٢	• باشا «ا» •
٢ ج ٠٥٩	• بن قايت باي • •	٢ ج ٠٨١	• باشا الكورجي •
• ٠٧٨	• بن مراد • •	• ٠٨٢	• باشا الصوفي •

صفحة		صفحة	
٢ ج	مصطفى باشا «٤» ٨٥	٢ ج	محمد توفيق باشا ٢٧٢
•	• «٥» ٨٦	•	• سعيد • ٢٥٤
•	• مصطفى الاول ٨٥	•	• علي • ٢٢٦
•	• الثاني ١٠٢	•	• محمود الثاني ٢٢٨
•	• الثالث ١١٧	•	• باشا • ٧٢
•	• الرابع ٢٢٨	•	• بن مصطفى ١٠٩
١ ج	المعتز بن المتوكل ١٨٧	•	• مراد بك ١٤٧
•	• المعتصم ١٧٢ و ١٧٧	•	• مراد بن احمد • ٨٧
•	• المعتضد بالله ٢٢٢	•	• مراد بن سليم • ٧٦
•	• المعتمد بن المتوكل ١٩١	١ ج	• مروان بن الحكم ١٤٢
٢ ج	• مطبعة بولاق ٢٧٠	•	• بن محمد • ١٥٦
١ ج	• المطرية ٢٧	•	• مزاحم بن خاقان ١٨٨
•	• المطلب بن عبدالله ١٧١	•	• المستعلي (الخليفة) ٢٨٤
•	• المطيع لله ٢٤٠	٢ ج	• المستعين بالله • ٥٠
•	• المظفر بن كيدر ١٧٧	١ ج	• المستعين بن محمد ١٨٥
٢ ج	• المظفر قطوز ١٢	•	• المستكفي بالله • ٢٤٠
•	• معاهدة العريش ٢٠٥	•	• المستنصر بن الظاهر ٢٦٢
•	• معاهدة كوتاهيا ٢٤٢	•	• مسلمة بن مخلد ١٤١
•	• معاهدة لندرا ٢٤٥	•	• مسلمة بن يحيى ١٦٦
١ ج	• معاوية بن ابي ٢١ و ١٤٠	٢ ج	• مسج باشا • ٧٦
•	• سفيان	•	• مصطفى باشا «١» • ٧٢
•	• معاوية بن يزيد ١٤٢	•	• «٢» • ٧٢
•	• المعز بن المنصور ٢٤٦	•	• لفلي • ٨٥

صفحة		صفحة	
١ ج	٢٦٠ منف (بناؤها)	١ ج	٢٦٤ المعز بن باديس
"	٢٠١ منكورع	"	٢٥٥ المعظم بن الصالح
"	٢٦٠ منّا	"	١٥٧ المغيرة بن عبدالله
"	١٩١ المهندي بن الوائق	"	٢٢٢ المنذر بن المعتضد
٢ ج	٢١٨ المهدي السوداني	"	٢٨٤ المهندي بالله
"	٢٠١ مؤتمر الاستانة	٢ ج	٠٩٦ منقود باشا
١ ج	٢٢٢ الموسكي	١ ج	٠٩٧ و ٩٢ المنوقس
"	١٦٥ موسى الهادي	٢ ج	٢٧٠ المكتبة الخديوية
٢ ج	٠٩٠ باشا	١ ج	١١٠ مكتبة الاسكندرية
١ ج	١٧٧ بن ابي العباس	"	٢٢٢ و ٢٢٧ المكتفي بالله
"	٢٠٤ بن بغا	"	١٧٩ المماليك . اصاهم
"	١٦٢ بن علي	٢ ج	٠٤٢ و ٢٠
"	١٦٦ بن عيسى	"	١١٠ المماليك الجافية
"	١٦٠ بن كعب	"	١٠٢ " الفقارية
"	١٦٢ بن مصعب	"	١٠٢ " الفاسمية
"	الموفق بن المتوكل ١٩٩ و ٢١٤	"	١١٠ " الفزدغلية
٢ ج	٢١٠ مينو	"	٢٢١ المماليك . مهلكهم
	(ن)	١ ج	٢٨٤ المنتصر بن المتوكل
١ ج	٢٧٠ و ٢٦٦ ناصر الدولة	"	١٦٠ المنصور بن محمد
٢ ج	٢٨ و ٣١ و ٣٤ ناصر بن فلاح	"	١٦٢ منصور الرعيني
"	٢٠٦ ناصيف باشا	"	٢٢٧ المنصور بن العزيز
١ ج	٢٨٥ نزار بن المنصور	"	٢٤٥ المنصورة
٢ ج	٢٢٢ النفود الجديدة	٢ ج	٠٢٠ المنصور لاجين

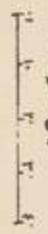


# صحرا ليبيا

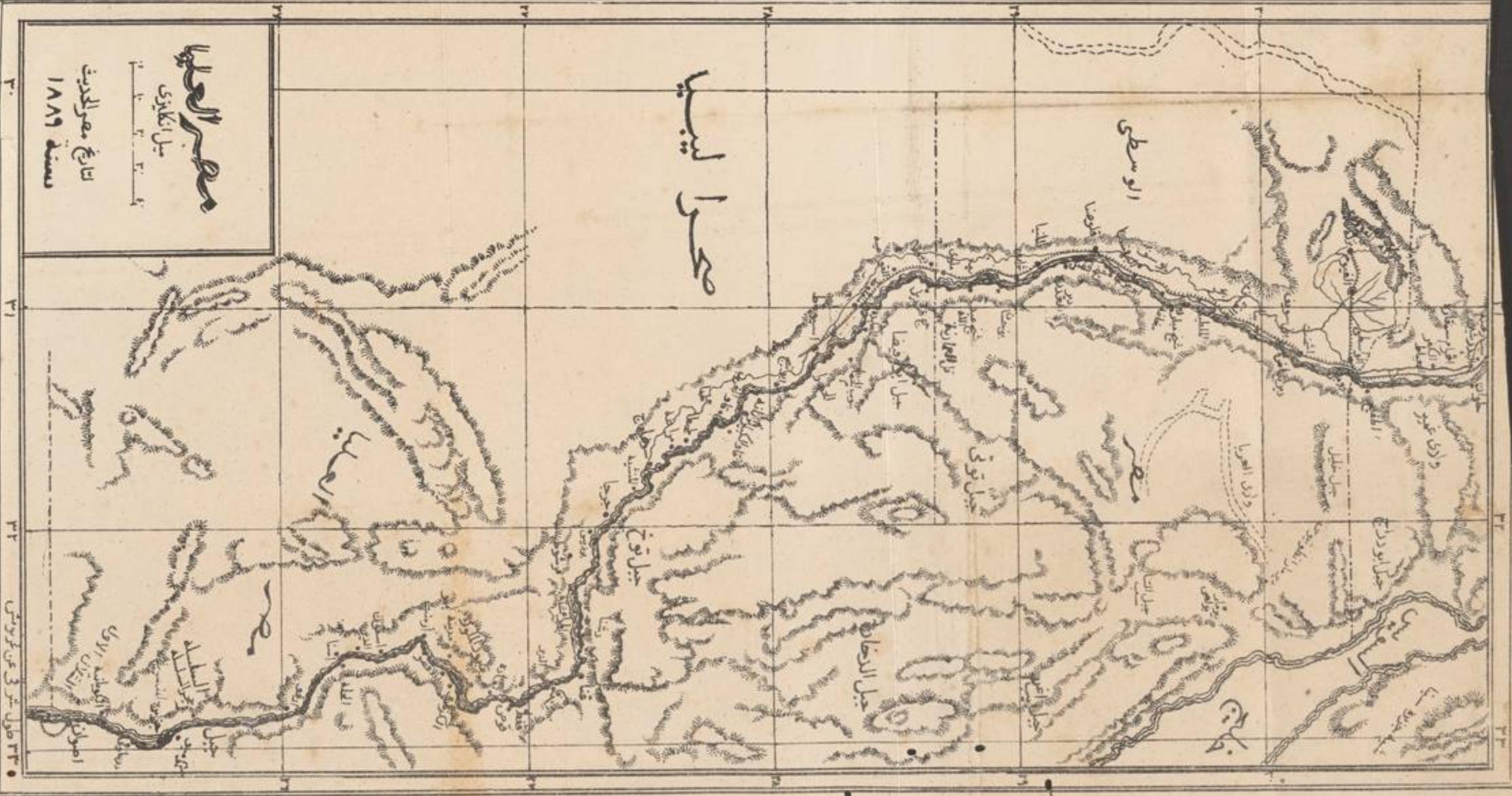
الوسطى

مصر العليا

بيل الكاوي



لتاريخ مصر الحديث  
سنة ١٨٨٩



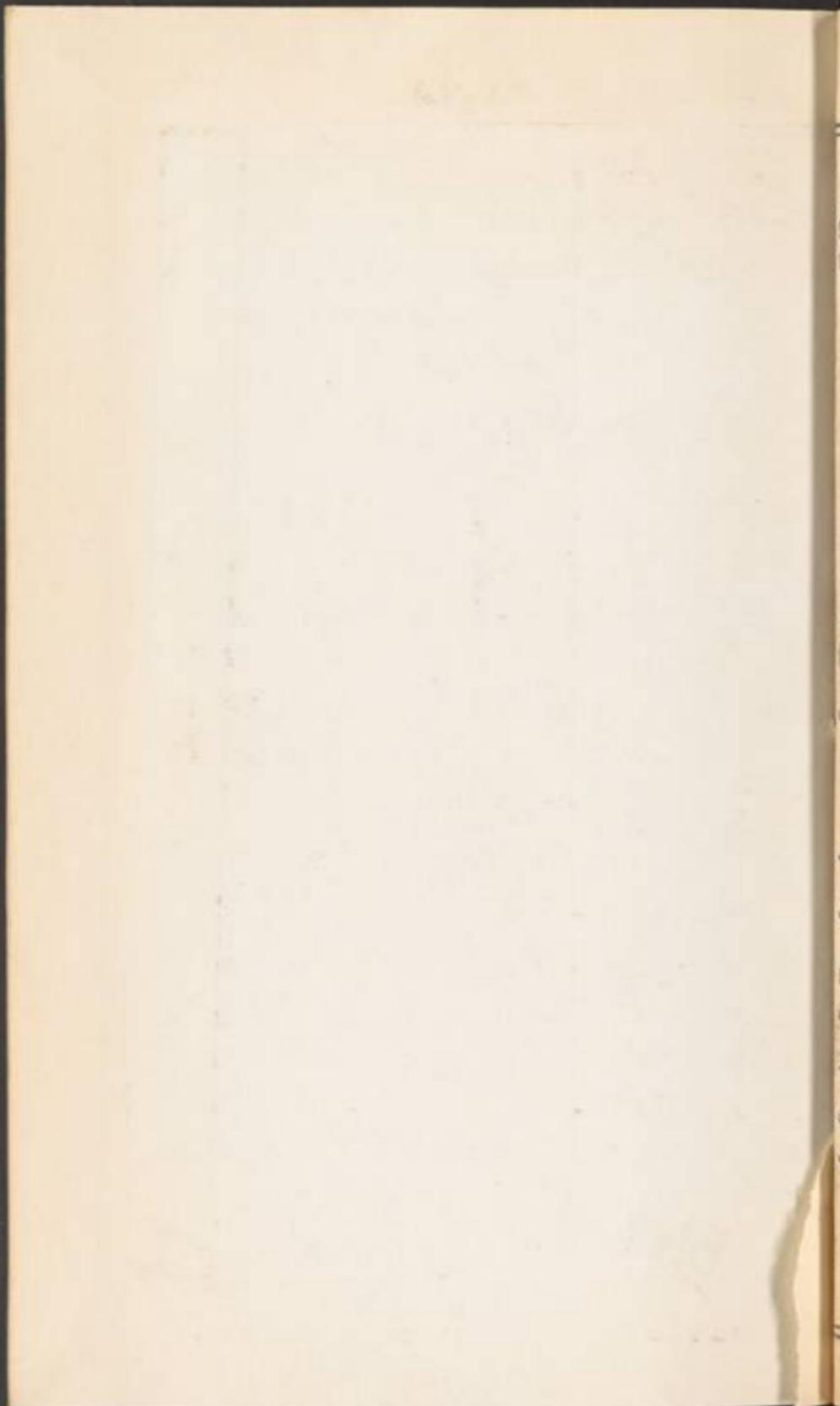
٣٣ طول شرقى عن غروب الشمس

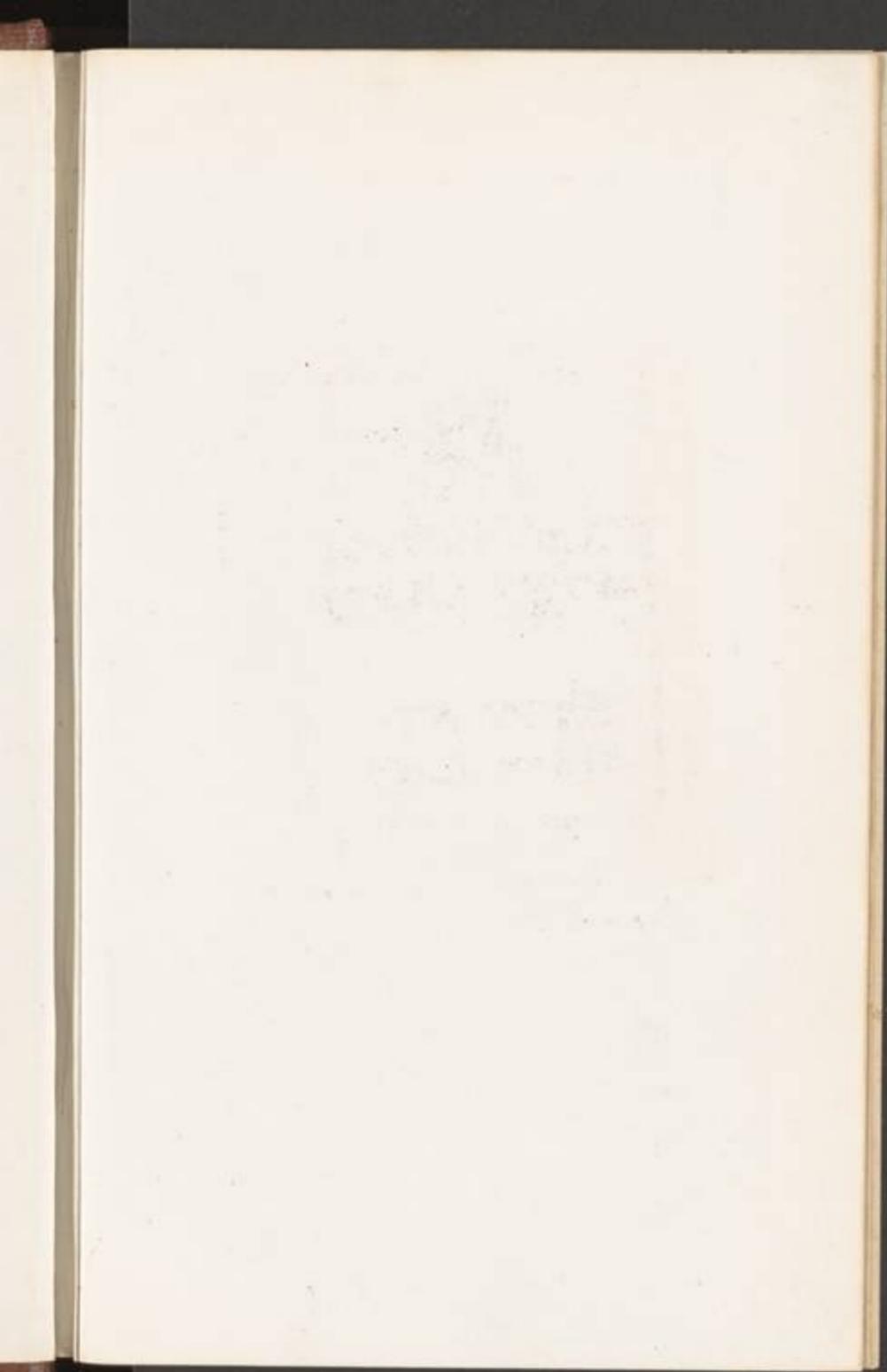
صفحة		صفحة	
١ ج ١٦٢	واضح مولى ابي جعفر	٢ ج ١٧٢	نلسون
" ١٥٢	الوليد بن رفاة	١ ج ٢٠١	نور الدين العادل
" ١٤٨	الوليد بن عبد الملك	٢ ج ٠١٠	علي
" ١٥٤	بن يزيد	(هـ)	
٢ ج ٢٢٩	الوهايون	١ ج ١٦٤	هارون الرشيد
" ٢٠٩	وولسلي	" ٢٢٥	بن خمارويه
(ي)		٢ ج ٢١٢	هشتمون
١ ج ١٦٢	بجبي بن داود	١ ج ١٦٦	هرثة بن اعين
" ١٥٥	يزيد بن الوليد	" ١٨٢	هرثة بن نصر
" ١٦٠	بن حاتم	" ٠٨٢	هرقل
" ١٨٢	بن عبدالله	" ١٥٢	هشام بن عبد الملك
" ١٥٢	بن عبد الملك	" ٢٥٥	هشام بن الشراي
" ١٤٢	بن معاوية	٢ ج ٠١٢	هولاكو التتري
" ٢٥٢	يعقوب بن كلس	١ ج ٠١٢	المبروغلغيف
٢ ج ٢٠٤	يوسف باشا الصدر	٢ ج ٢٢٠	هيكس باشا
" ٠٥٢	برس باي	(و)	
		١ ج ١٨١	الوائق بن المعتصم

## « حالة مصر الادبية »

قد وعدنا في مثال نشرناه من هذا الكتاب اننا سندبله بشرح موجز عن حالة مصر الادبية الحاضرة فتعدد ما فيها من الجرائد والمدارس والجمعيات على اختلاف نزعاتها وقد سعينا الى انجاز هذا الوعد جهدا فاعلنا بطرق مختلفة نطلب الى المدارس والجمعيات في النظر المصري ان تبعت البنا









**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

---

---

